

مجموعه
السيرة النبوية والمسائل النجديّة

الطبعة الأولى ١٣٤٩

الطبعة الثانية ١٤٠٨

مكتبة الإمام الشافعي
صرب ٢١٨٢ - الرياض - السعودية

مجموعه
السَّيِّئَاتِ وَالْمُسَيِّئَاتِ النَّجْدِ

لبعض علماء نجد
رحمهم الله تعالى

مكتبة الإمام الشافعي
الرياض



كِتَاب الْجَوَاهِرِ الْمُضِيَّةِ

لمجدِّ الدعوة النجدية ، شيخ الإسلام ، علم الهدى الاعلام
الشيخ محمد عبد الوهاب رحمه الله تعالى

وفيه بيان عقيدته ومآدعها اليه ، ويلييه بضع رسائل له في
بيان حقيقة التوحيد وكلمة الشرك الجلي والحق والنفاد الاعتقادي والعملي

﴿ عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى من يصل إليه من المسلمين . سلام عليكم
ورحمة الله وبركاته

وبعد أخبركم اني والله الحمد عقيدتي وديني الذي أدين الله به مذهب أهل
السنة والجماعة الذي عليه أئمة المسلمين ، مثل الائمة الاربعة واتباعهم إلى يوم
القيامة ، لكنني بينت للناس اخلاص الدين ونهيهم عن دعوة الانبياء والاموات
من الصالحين وغيرهم ، وعن اشراكهم فيما يعبد الله به من الذبح والنذر والتوكل
والسجود وغير ذلك مما هو حق الله الذي لا يشركه فيه ملك مقرب ولا نبي
مرسل ، وهو الذي دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم ، وهو الذي عليه أهل
السنة والجماعة . وأنا صاحب منصب في قريتي مسعود الكلمة فأذكر هذا بعض
الرؤساء لكونه خالف عادة نشئوا عليها .

وأيضاً ألزمت من تحت يدي باقام الصلاة وإيتاء الزكاة وغير ذلك من فرائض
الله . ونهيهم عن الربا وشرب المسكر وأنواع من المنكرات ، فلم يمكن الرؤساء
القدح في هذا وعيبه لكونه مستحسناً عند العوام ، فجعلوا قدحهم وعداوتهم فيما
أمر به من التوحيد وما نهيتهم عنه من الشرك ، ولبسوا على العوام ان هذا خلاف
مأليه الناس ، وكبرت الفتنة جداً ، وأجلبوا علينا بخيل الشيطان ورجله ، فنقول :
التوحيد نوعان : توحيد الربوبية وهو ان الله سبحانه متفرد بالخلق والتدبير
عن الملائكة والانبياء وغيرهم ، وهذا حق لا بد منه لكن لا يدخل الرجل في
الاسلام ، بل أكثر الناس مقرون به ، قال الله تعالى (قل من يرزقكم من السماء
والارض أم من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت
من الحي ومن يدبر الامر؟ فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون) وأن الذي يدخل

الرجل في الاسلام هو توحيد الالهية وهو أن لا يعبد إلا الله لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلًا ، وذلك أن النبي ﷺ بعث والجاهلية يعبدون أشياء مع الله ، فمنهم من يعبد الاصنام ، ومنهم من يدعو عيسى ، ومنهم من يدعو الملائكة ، فنهاهم عن هذا وأخبرهم أن الله أرسله ليوحد ولا يدعى أحد إلا الملائكة ولا الانبياء ، فمن اتبعه ووحد الله فهو الذي شهد أن لا إله إلا الله ، ومن عصاه ودعا عيسى أو الملائكة واستنصرهم وانتجا اليهم فهو الذي جحد لا إله إلا الله مع اقراره انه لا يخلق ولا يرزق إلا هو .

وهذه جملة لها بسط طويل ولكن الحاصل أن هذا مجمع عليه بين العلماء فلما جرى في هذه الامة ما أخبر به نبيها ﷺ حيث قال « لتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه » وكان من قبلهم كما ذكر الله عنهم (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) وصار ناس من الضالين يدعون أناساً من الصالحين في الشدة والرخاء مثل عبد القادر الجيلاني واحمد البدوي وعدي بن مسافر وأمثالهم من أهل العبادة والصلاح صاح عليهم أهل العلم من جميع الطوائف أعني على الداعين وأما الصالحون الذين يكرهون ذلك فخاشعهم ، وبين أهل العلم في أمثال هذا انه هو الشرك الاكبر وعبادة الاصنام ، فان الله سبحانه انما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده ولا يدعى معه إله آخر

والذين يدعون مع الله آلهة أخرى مثل الشمس والقمر والصالحين والتمثيل المصورة على صورهم لم يكونوا يعتقدون أنها تنزل المطر أو تنبت النبات وانما كانوا يعبدون الملائكة والصالحين ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله . فبعث الله الرسل وأنزل الكتب تنهى عن أن يدعى أحد من دونه لادعاء عبادة ولا دعاء استغاثة . واعلم أن المشركين في زماننا قد زادوا على الكفار في زمن النبي ﷺ

بأنهم يدعون الملائكة والاولياء والصالحين ويريدون شفاعتهم والتقرب اليهم وإلا فهم مقرون بأن الامر لله، فهم لا يدعونهم إلا في الرخاء، فاذا جاءت الشدائد أخلصوا لله. قال الله تعالى (واذ مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم) الآية

واعلم ان التوحيد هو افراد الله سبحانه بالعبادة، وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده، فأولهم نوح عليه السلام أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين ودأ وسواع ويغوث ويعوق ونسراً. وآخرهم محمد ﷺ وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين، أرسله الله إلى أناس يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيراً، ولكنهم يحملون بعض الخلوقات وسائط بينهم وبين الله تعالى، يقولون: نريد منهم التقرب إلى الله، ونريد شفاعتهم عنده مثل الملائكة وعيسى ومريم وأناس غيرهم من الصالحين. فبعث الله محمداً ﷺ بمجدد لهم دين أبيهم ابراهيم، ويخبرهم ان هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله تعالى لا يصلح منه شيء، لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل، فضلاً عن غيرهما، وإلا فهؤلاء المشركون يشهدون ان الله هو الخالق وحده لا شريك له، وانه لا يخلق ولا يرزق إلا هو ولا يحيي ولا يميت إلا هو، وان جميع السموات السبع ومن فيهن، والارضين السبع ومن فيهن كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره

فاذا أردت الدليل على ان هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يشهدون بهذا فاقرأ قوله تعالى (قل من يرزقكم من السماء والارض أم من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر؟ فسيقولون الله فقل أفلا تتقون) وقوله تعالى (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون) سيقولون لله قل أفلا تذكرون* قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم* سيقولون لله قل أفلا تتقون* قل من يده ملكوت كل

شيء وهو يجبر ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون * سيقولون لله قل فأتى تسحرون)
 وغير ذلك من الآيات الدالات على تحقق انهم يقرون بهذا كله ، وانه لم يدخلهم
 في التوحيد الذي دعاهم اليه رسول الله ﷺ وعرفت (١) ان التوحيد الذي جحدوه
 وهو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد ، كما كانوا يدعون
 الله سبحانه وتعالى ليلا ونهارا خوفا وطمعاً ثم منهم من يدعو للملائكة والانبياء
 والصالحين لاجل صلاحهم وقربهم من الله عز وجل ايشفعوا لهم ويدعو رجلا
 صالحا مثل اللات أو نبيا مثل عيسى - وعرفت ان رسول الله ﷺ قاتلهم على ذلك
 ودعاهم إلى اخلاص العبادة لله كما قال تعالى (وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا)
 وقال تعالى : (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم
 بشيء) الآية . وعرفت أن رسول الله ﷺ قاتلهم ليكون الدين كله لله ،
 والدعاء كله لله ، والذبح كله لله ، والنذر كله لله ، والاستغاثة كلها بالله ، وجميع
 أنواع العبادات كلها لله — وعرفت أن اقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في
 الاسلام ، وان قصدهم الملائكة والانبياء والاولياء يريدون شفاعتهم والتقرب لله
 بذلك هو الذي أحل دماءهم وأموالهم — عرفت (٢) حينئذ التوحيد الذي دعت
 إليه الرسل وأبى عن الاقرار به المشركون .

وهذا التوحيد هو معنى قولك لا إله إلا الله ، فان الاله عندهم هو الذي يقصد
 لاجل هذه الامور سواء كان ملكا أو نبيا ، أو وليا أو شجرة ، أو قبرا أو
 جنيا ، لم يريدوا أن الاله هو الخالق الرازق المدبر ، فانهم يقرون أن ذلك لله

(١) قوله وعرفت — لم يتقدمه ما يصح عطفه عليه ولعل أصل الكلام: فاذا
 عرفت ان التوحيد الحق والا كان هنالك شرط عطف هذا عليه وسقط من التامخ
 كان يكون: اذا عرفت ذلك

(٢) هذه الجملة جواب الشرط المذكور

وحده، كما قدمت لك، وإنما يعنون بالاله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السيد .
فأتاهم النبي ﷺ يدعوهم الى كلمة التوحيد وهي لا اله الا الله . والمراد من هذه
الكلمة معناها لا مجرد لفظها، والكفار الجاهل يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه
الكلمة هو افراد الله بالتعاق والكفر بما يعبد من دونه والبراء منه، فانه لما قل لهم
قولوا : لا اله الا الله قالوا (أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا شيء عجاب)
فاذا عرفت ان جهال الكفار يعرفون ذلك فالحجب ممن يدعي الاسلام وهو
لا يعرف من معنى هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار، بل يظن أن ذلك هو التلفظ
بمحروفها من غير اعتماد القلب بشيء من المعاني ، والحاذق منهم يظن أن معناها
لا يتحقق ولا يرزق ، ولا يحيي ولا يميت ، ولا يدبر الامر الا الله . فلا خير في
رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا اله الا الله

فاذا عرفت ما قلت لك معرفة قلب ، وعرفت الشرك بالله الذي قل فيه :
(ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) الآية وعرفت دين
الله الذي بعث به الرسل من أولهم الى آخرهم الذي لا يقبل الله من أحد ديناً
سواه ، وعرفت ما أصبح غالب الناس اليوم فيه من الجهل بهذا أفادك فائدتين :
الاولى الفرح بفضل الله ورحمته ، قال الله تعالى (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك
فليفرحوا هو خير مما يجمعون) وأفادك أيضاً الخوف العظيم ، فانك اذا عرفت أن
الانسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه وقد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل ،
وقد يقولها وهو يظن أنها تقر به الى الله ، كما ظن المشركون خصوصاً ان أهلك
الله ما قص عن قوم موسى مع صلاحهم وعلهم انهم أنوه قائلين (اجعل لنا إلهاً
كما لهم آلهة) حينئذ يعظم خوفك وحرصك على ما يخلصك من هذا وأمثاله
واعلم أن الله سبحانه من حكمته لم يبعث نبياً بهذا التوحيد الا جعل له أعداء
كما قال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحى

بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا) وقد يكون لاعداء التوحيد علوم كثيرة وكتب وحجج كما قال تعالى (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم) فاذا عرفت ذلك وعرفت أن الطريق الى الله لا بد له من اعداء قاعدین عليه، أهل فصاحة وعلم وحجج كما قال تعالى (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله) الآية . فالواجب عليكم أن تعلم من دين الله ما يصير لك سلاحا تقاقل به هؤلاء الشياطين الذين قال امامهم ومقدمهم لربك عز وجل (لا أقعدن لهم صراطك المستقيم) * ثم لا تينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائهم ولا تجد أكثرهم شاكرين) ولكن إن أقبلت على الله وأصغيت إلى حجج الله وبياناته فلا تخف ولا تحزن (إن كيد الشيطان كان ضعيفا) والعامي من الموحدين يطلب الالف من علماء هؤلاء المشركين، كما قال تعالى (وان جندنا لهم الغالبون) فجندهم الغالبون بالحجة واللسان ، كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان . وانما الخوف على الموحّد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح ، وقد منّ الله علينا بكتابه الذي جعله نبينا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين . فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها كما قال تعالى (ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً) قال بعض المفسرين هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة

والحاصل أن كل ما ذكرنا من الاسباب غير دعوة الناس إلى التوحيد والنهي عن الشرك فكله من البهتان ، وما أعجب ماجرى من الرؤساء المخالفين فاني لما بينت لهم كلام الله وما ذكر أهل التفسير في قوله تعالى (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) الآية ، وقوله (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وقوله (مانعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) وما ذكر الله من اقرار الكفار في قوله (قل من يرزقكم من السماء والارض أم من يملك السمع

والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر الآية وغير ذلك قالوا لا يجوز العمل لنا ولا لمثلنا بكلام الله ولا بكلام الرسول ولا بكلام المتقدمين ، ولا نطيع إلا ما ذكره المتأخرون .

ولما قلت لهم انا أخاصم الحنفي بكلام المتأخرين من الحنفية ، والمالكي والشافعي والحنبلي كل أخاصمه بكتب المتأخرين من علمائهم الذين يعتمدون عليهم ، فلما أبوا ذلك نقلت كلام العلماء من كل مذهب لأهله . وذكر كل ما قالوا بعد ماصرحت بالدعوة عند القبور والنذر لها فعرفوا ذلك وتحققوه فلم يزدتهم إلا نفورا

وأما التكفير فاني أكفر من عرف دين الرسول ثم بعد ما عرفه سبه ونهى الناس عنه وعادى من فعله ، فهذا هو الذي أكفروه ، وأكثر الامة ولله الحمد ايسوا كذلك وأما القتال فلم نقاتل أحداً إلى اليوم إلا دون النفس والحرمة ، وهم الذين أتونا في ديارنا ولا أبقوا ممكننا ، ولكن قد نقاتل بعضهم على سبيل المقاتلة وجزاء سيئة سيئة مثلها . وكذلك من جاهر بسب دين الرسول بعد ما عرفه

فان تبين لكم أن هذا هو الحق الذي لا ريب فيه وان الواجب اشاعته في الناس وتعليمه النساء والرجال ، فرحم الله من أدى الواجب عليه ، وتاب إلى الله ، وأقر على نفسه ، فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، ونسئله الله أن يهدينا وإيماناً لما يحب ويرضى والله أعلم .



رسالة في المسائل الخمس

(الواجبة معرفتها)

وله أيضا قدس الله روحه ونور ضريحه ما نصه :

الواجب عليك ان تعرف خمس مسائل :

(الاولى) ان الله لما ارسل محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق كان أول كلمة أرسله الله بها قوله تعالى يا ايها المدثر قم فأنذر ربك فكبر) ومعنى قوله (فأنذر) الانذار عن الشرك بالله. وكانوا يجعلونه ديناً يتقربون به الى الله تعالى مع انهم يفعلون من الظلم والفواحش ما لا يحصى ، ويعلمون انه معصية . فمن فهم فهما جيداً ان الله امره بالانذار عن دينهم الذي يتقربون به الى الله قبل الانذار عن الزنى ونكاح الامهات والاخوات، وعرف الشرك الذي يفعلونه رأى المعجب العجيب، خصوصاً ان عرف ان شركهم دون شرك كثير من الناس اليوم لقوله تعالى (وإذا مس الانسان ضر دعا ربه منيباً اليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله انداداً ليضل عن سبيله ، قل تمتع بكفرك قليلاً انك من أصحاب النار)

(الثانية) انه لما أنذرهم عن الشرك أمرهم بالتوحيد الذي هو اخلاص الدين لله تعالى وهو معنى قوله تعالى (وربك فكبر) يعنى عظمه بالاخلاص. وليس المراد تكبير الاذان وغيره فانه لم يشرع الا في المدينة

فاذا عرف الانسان ان ترك الشرك لا ينفع الا إذا لبس ثوب الاخلاص وفهم الاخلاص فهما جيداً وعرف ما عليه كثير من الناس من ظنهم ان الاخلاص وترك دعوة الصالحين نقص لهم، كما فل النصارى: ان محمداً يشتم عيسى، - لما ذكر انه عبد الله ورسوله ليس يعبد مع الله تعالى

فمن فهم هذا عرف غربة الاسلام خصوصاً ان أحضر بقلبه ما فعل الذين يدعون .

١٠ الشريك يحبط العمل ولولا جل الاسلام. والكفر ببعض الكتاب كالكفر به كله

انهم من العلماء من معاداة هذه المسئلة وتكفيرهم من دان بها وجاهدتهم مع عباد قبة ابي طالب وأمثالها وقبة الكواز وأمثالها، وقتواهم لهم بحل دماثنا وأموالنا لتركنا ما هم عليه . ويقولون لهم : انهم ينكرون دينكم . فلا تعرف هذه والتي قبلها الا باحضارك في ذهنك ما علمت انهم فعلوا مع أهل هذه المسئلة وما فعلوا مع المشركين، حينئذ تعرف ان دين الاسلام ليس مجرد المعرفة فان ابليس وفرعون يعرفونه ، وكذلك اليهود يعرفونه كما يعرفون ابناءهم، وانما الاسلام هو العمل بذلك والحب والبغض وترك موالاة الالباء والابناء في هذا

(الثالثة) أن تحضر قلبك ان الله سبحانه لم يرسل الرسول إلا ليصدق ويتبع ولم يرسله ليكذب ويعصى. فاذا تأملت إقرار من يدعي انه من العلماء بالتوحيد وانه دين الله ورسوله ، لكن من دخل فيه فهو من الخوارج الذين تحل دماؤهم وأموالهم ، ومن ابغضه وسبه وصد الناس عنه فهو الذي على الحق ، وكذلك اقوارهم بالشرك وقولهم : ليس عندنا قبة نعبدها بل جهادهم الجهاد المعروف مع اهل القباب وان من فارقه حل ماله ودمه ،

فاذا عرف الانسان هذه المسئلة الثالثة كما ينبغي وعرف انه اجتمع في قلبه ولو يوما واحدا ان قلبه قبل كلامهم أن التوحيد دين الله ورسوله ولكن لا بد من بغضه وعداوته ، وان ما عليه اهل القباب هو الشرك ولكن هم السواد الاعظم وهم على الحق ولا يقول انهم يفعلون الشرك ، فاجتماع هذه الاضداد في القلب مع انها ابغ من الجنون فهي من أعظم قدرة الله تعالى وهي من أعظم ما يعرفك بالله وبنفسك، ومن عرف نفسه وعرف ربه تم امره . فكيف اذا علمت ان هذين الضدين اجتماعا في قلب صالح وحيوان وأمثالهما اكثر من عشرين سنة

(الرابعة) انك تعلم ان الله أنزل على رسوله (ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) مع انهم راودوه

على قول كلمة او فعل مرة واحدة ، ووعده ان ذلك يقودهم إلى الاسلام اذا عرفت ان أعظم أهل الاخلاص وأكثرهم حسنات لو قال كلمة الشرك مع كراهيته لها ليقود غيره بها إلى الاسلام حبط عمله وصار من الخاسرين ، فكيف بمن أظهر انه منهم وتكلم بمائه كلمة لاجل تجارة او لاجل أن يحج لما منع الموحدين من الحج كما منعوا النبي ﷺ وأصحابه حتى فتح الله مكة

فمن فهم هذا فهما جيداً انفتح له معرفة قدر التوحيد عند الله عز وجل وقدر الشرك ، ولكن ان عرفت هذه بعد أربع سنين ننعى لك أعني المعرفة التامة كما تعرف ان قطرة من البول تنقض الوضوء الكامل إذا خرجت ولو بغير اختياره (الخامسة) ان الرسول ﷺ فرض الايمان بما جاء به كله لاتفريق فيه ، فمن آمن ببعض وكفر ببعض فهو كافر حقاً ، بل لابد من الايمان بالكتاب كله ، فإذا عرفت ان من الناس من يصلي ويصوم ويترك كثيراً من المحرمات لكن لا يورثون المرأة ويزعمون ان ذلك هو الذي ينبغي اتباعه بل لو ورثها أحد عندهم وخالف عاداتهم لانكرت قلوبهم ذلك ، او ينكر عدة المرأة في بيت زوجها مع علمه بقول الله تعالى (ولا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) ويزعم ان تركها في بيت زوجها لا يصلح ، وان اخراجها منه هو الذي ينبغي فعله ، او أنكر التحية بالسلام مع معرفته أن الله شرعها حباً لتحية الجاهلية لما ألفها ، فهذا يكفر لا نه آمن ببعض ، وكفر ببعض ، بخلاف من فعل المعصية او ترك الفرض مثل فعل الزنى وترك بر الوالدين مع اعترافه انه مخطيء وان أمر الله هو الصواب (١)

واعلم أي مثلث لك بهذه الثلاث لتحذو عليها فان عند الناس من هذا

(١) يعني أن الكفر في استنباح شرع الله وتفضيل العادات المحرمة عليه لا مجرد فعل المحرم مع اعتقاد قاعله انه مذنب وأن فعله قبيح

كثير يخالف ما حدى الله في القرآن، وصار المعروف عندهم مأفوه عند أهلهم ، ولو يفعل أحد ما ذكر الله ويترك العادة لأنكروا عليه واستشفوه ، بخلاف من يفعل أو يترك مع اعترافه بالخطأ ، وإيمانه بما ذكر الله ،
واعلم ان هذه المسئلة الخامسة من أشد ما على الناس خطراً في وقتنا بسبب
غربة الاسلام والله أعلم

رسالة في النفاق بقسميه وصفات المنافقين

قال : أسكنه الله الفردوس الاعلى :

اعلم رحمك الله ان الله تعالى منذ بعث محمداً ﷺ وأعزه بالهجرة والنصر صار الناس ثلاثة أقسام : قسم مؤمنون وهم الذين آمنوا به ظاهراً وباطناً ، وقسم كفار وهم الذين أظهروا الكفر به ، وقسم منافقون وهم الذين آمنوا به ظاهراً لا باطناً . ولهذا افتتح الله سورة البقرة بأربع آيات في صفة المؤمنين ، وآيتين في صفة الكافرين ، وثلاث عشرة في صفة المنافقين ،

وكل واحد من الايمان والكفر والنفاق له دعائم وشعب كما دل عليه الكتاب والسنة ، وكما فسرهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الحديث المأثور عنه ، فمن النفاق ما هو نفاق أكبر ويكون صاحبه في الدرك الاسفل من النار كنفاق عبد الله بن أبي وغيره ، مثل ان يظهر تكذيب الرسول او جحود بعض ما جاء به او بغضه او عدم اعتقاد وجوب اتباعه ، او المسرة بانخفاض دينه ، او المساء بظهور دينه ، ونحو ذلك مما لا يكون صاحبه إلا عدواً لله ورسوله ، وهذا القدر موجود في زمن الرسول ﷺ . وما زال بعده أكثر من عهده لكون موجبات الايمان على عهده أقوى ، فاذا كانت مع قوتها والنفاق موجود فوجوده فيمادون ذلك أولى به ، وهذا ضرب النفاق الاكبر ونعمياد بالله

وأما النفاق الاصغر فهو نفاق الاعمال ونحوها، مثل ان يكذب إذا حدث ويخلف إذا وعد، او يخون إذا ائتمن . للحديث المشهور عنه صلى الله عليه وسلم قال « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان ، وان صلى وصام وزعم انه مسلم »

ومن هذا الباب الاعراض عن الجهاد، فانه من خصال المنافقين لقوله صلى الله عليه وسلم « من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق » رواه مسلم . وقد أنزل الله سورة براءة التي تسمى الفاضحة لانها فضحت المنافقين كما قاله ابن عباس رضي الله عنه قال « هي الفاضحة، مازالت تنزل (ومنهم، ومنهم) حتى ظنوا ان لا يبقى أحسن الا ذكر فيها » وعن المقداد بن الاسود قال : هي سورة البحوث لانها بحثت عن سرائر المنافقين . وقال قتادة هي المثيرة لانها أثارت مخازي المنافقين . وهذه السورة نزلت في آخر معازي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غزوة تبوك ، وقد أعز الله الاسلام وأظهره فكشف فيها عن أحوال المنافقين ، ووصفهم فيها بالجن والبخل . فأما الجن فهو ترك الجهاد ، وأما البخل فهو عن النفقة في سبيل الله . وقال تعالى (ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم) الآية . وقال (ومن يؤلم يومئذ بره الامتحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله) الآية

فاما وصفهم فيها بالجن والفرع فقد قال تعالى (ويخافون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون * لو يجدون ملجأ) يلجئون اليه مثل المعاقل والحصون (او مغارات) يغورون فيها كما يغور الماء (أو مدخلا) وهو الذي يتكلف الدخول اليه ولو بكلفة ومشقة (لولا اليه) عن الجهاد (وهم يجمعون) أي يسرعون اسراعا لا يرددهم شيء كالفرس الجوح الذي اذا حمل لم يرده الاجام . وقد قال تعالى (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم

وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) فخصر المؤمنين فيمن آمن وجاهد .
وقال تعالى (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر) الآيتين . فهذا
اخبار من الله ان المؤمن لا يستأذن في ترك الجهاد وإنما يستأذن الذين لا يؤمنون
بالله ، فكيف بالتارك من غير استئذان؟

وقال في وصفهم بالشح (وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم - الى قوله -
ولا ينفقون الا وهم كارهون) فاذا كان هذا ذم الله تبارك وتعالى لمن أنفق وهو
كاره ، فكيف بمن ترك النفقة رأسا .

وقد أخبر ان المنافقين لما قربوا من المدينة تارة يقولون للمؤمنين : هذا الذي
جرى علينا بشؤمكم ، فاتم الذين دعوتهم الناس الى هذا الدين وقاتلهم عليه وخالفتموهم .
وتارة يقولون : أنتم الذين اشرتم علينا بالمقام هنا والا لو كنا قد سافرنا ما مضينا
هذا . وتارة يقولون : انتم مع قتلكم وضعفكم تريدون أن تكسروا العدو وقد غركم
دينكم . وتارة يقولون : انتم مجانين لا عقل لكم تريدون أن تهلكوا أنفسكم وتهلكوا
الناس معكم . وتارة يقولون أنواعا من الكلام المؤذي ، فاخبر الله عنهم بقوله عز
وجل (يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يات الاحزاب يودوا لو انهم بادون
في الاعراب يسألون عن انبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا) فوصفهم
تبارك وتعالى بثلاثة أوصاف :

الاول انهم يخوفهم يحسبون الاحزاب لم ينصرفوا عن البلد وهذا حال
الجبان الذي في قلبه مرض ، فان قلبه يبادر الى تصديق الخبر المخوف وتكذيب
خبر الامن . الوصف الثاني : ان الاحزاب اذا جاؤا تمنوا ان لا يكونوا بينكم
بل في البادية بين الاعراب يسألون عن انبائكم : ايش خبر المدينة؟ وايش خبر
الناس؟ الوصف الثالث : ان الاحزاب اذا اتوا وهم فيكم لم يقاتلوا الا قليلا
وهذه الصفات الثلاث منطبقة على كثير من الناس .

رسالة في كلمة لا اله الا الله

بين فيها حقيقة التوحيد ومعناه ، وكونه لا ينجي من النار سواء

وله في معنى لا اله الا الله ما نصه :

قال رحمه الله تعالى ، هذه كلمات في بيان شهادة أن لا إله إلا الله ، وبيان التوحيد الذي هو حق الله على العبيد ، وهو افترض من الصلاة والزكاة وصوم رمضان ، فرحم الله امرأً نصح نفسه وعرف أن وراءه جنة ونارا ، وان الله عز وجل جعل لكل منهما امعالا . فن سأل عن ذلك وجد رأس اعمال أهل الجنة توحيد الله تعالى . فمن أتى به يوم القيامة فهو من أهل الجنة قطعا ولو كان عليه من الذنوب مثل الجبال ، ورأس اعمال أهل النار الشرك بالله . فمن مات على ذلك ، فلو أتى يوم القيامة بعبادة الله الليل والنهار والصدقة والاحسان فهو من أهل النار قطعا ، كالتنصاري الذين يبني أحدهم صومعة في البرية ويزهد في الدنيا ويتعبد الليل والنهار لكنه خلط ذلك بالشرك بالله - تعالى الله عن ذلك

قال الله عز وجل (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءا منثورا) وقال تعالى (مثل الذين كفروا رهبهم أعلمهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرّون مما كسبوا على شيء) الآية .

فرحم الله امرأً تنبه لهذا الامر العظيم قبل ان يعرض الظالم على يديه ويقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا .

نسأل الله ان يهدينا واخواننا المسلمين إلى الصراط المستقيم ، صراط الذين انعم عليهم ، وان يجنبنا طريق المغضوب عليهم ، وهم العلماء الذين علموا ولم يعملوا ، وطريق الضالين وهم العباد الجاهل

فما اعظم هذا الدعاء وما احوج من دعا به ان يخلص قلبه في كل ركعة

إذا قرأ بها بين يدي الله تعالى أن يهديه وأن ينجيّه فإن الله قد ذكر أنه يستجيب هذا الدعاء الذي في الفاتحة إذا دعا به الإنسان من قلب حاضر

(ف نقول) لا إله إلا الله هي العروة الوثقى، وهي كلمة التقوى، وهي الحنيفية ملة إبراهيم وهي التي جعلها الله عز وجل كلمة باقية في عقبه، وهي التي خلقت لأجلها المخلوقات، وسها قامت الأرض والسماوات، ولأجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب، قال الله تعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) والمراد معنى هذه الكلمة، وأما التلفظ باللسان مع الجهل بمعناها فلا ينفع، فإن المنافقين يقولونها وهم تحت الكفار في الدرك الأسفل من النار.

(فاعلم) أن معنى هذه الكلمة نفي الألوهية عما سوى الله تبارك وتعالى، وإثباتها كلها لله وحده لا شريك له، ليس فيها حق لغيره لا ملك مقرب ولا نبي مرسل كما قال تعالى (إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً * لقد أحصاهم وعدهم عدداً * وكلهم آتية يوم القيامة فرداً) وقال تعالى (يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً) وقال تعالى (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها) الآية

فاذا قيل: لا خالق إلا الله فهذا معروف لا يشاركه في ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل، وإذا قيل لا يرزق إلا الله فكذلك، فاذا قيل لا إله إلا الله فكذلك فتفكر رحمك الله واسأل عن معنى لا إله إلا الله كما تسأل عن معنى الخالق والرازق فاعلم أن الإله هو المعبود. هذا هو تفسير هذه اللفظة بأجماع أهل العلم، فمن عبد شيئاً فقد اتخذها إلهاً من دون الله، وجميع ذلك باطل، إلا إله واحد وهو الله وحده تبارك وتعالى علواً كبيراً

والعبادة أنواع كثيرة لكنني أمثلها بأنواع كثيرة لا تنكر: من ذلك السجود

فلا يجوز لعبد أن يضع وجهه على الأرض ساجداً إلا لله وحده لا شريك له ، لا ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ولا ولي . ومن ذلك الذبح فلا يجوز لأحد أن يذبح إلا لله وحده كما قرن الله بينهما في القرآن في قوله تعالى (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له) والنسك هو الذبح وقل (فصل لربك وانحر) فتفطن لهذا واعلم أن من ذبح لغير الله من جني أو قبر فهو كما لو سجد له . وقد لعنه رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح قال « لعن الله من ذبح لغير الله » ومن أنواع العبادة الدعاء كما كان المؤمنون يدعون الله ليلاً ونهاراً في الشدة والرخاء وحده ، لا يشك أحد أن هذا من أنواع العبادة (١)

فتفكر رحمك الله أنه فيما حدث في الناس اليوم من دعاء غير الله في الشدة والرخاء ، هذا يريد سفرّاً فيأتي عند قبر أو غيره فيدخل عليه بماله عمن ينهبه . وهذا تلحقه الشدة في البر أو البحر فيستغيث بعبد القادر أو السماء أو بني من الانبياء أو ولي من الاولياء ، أن ينجيه من هذه الشدة .

فيقال لهذا الجاهل : إن كنت تعرف أن الإله هو المعبود وتعرف أن الدعاء من العبادة فكيف تدعو مخلوقاً مبتغياً عاجزاً وتترك الحي القيوم الرؤوف الرحيم القدير ؟ فيقول هذا المشرك : إن الأمر بيد الله ولكن هذا العبد الصالح يشفع لي عند الله وتنفعني شفاعته وجاهه ، ويظن أن ذلك يسلمه من الشرك .

(١) وهو أعلى الأنواع وأدناها على الإيمان الصحيح والتوحيد الخالص ، فالسجود إنما كان عبادة بحكم الشرع ، وقد كان عادة في النجدة من قبل ، ومنه سجود يعقوب وأولاده لولده يوسف عليهم السلام . وأما الدعاء فهو ركن العبادة الأعظم بمقتضى الفطرة وفي دين الله على السنة جميع الأمم ، ولذلك قال (ص) « الدعاء هو العبادة » رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد وأصحاب السنن الأربعة وغيرهم من حديث الزمان بن بشير وأبو يعلى من حديث البراء وفي معناه « الدعاء مخ العبادة » رواه الترمذي من حديث أنس

فيقال لهذا الجاهل: المشركون عباد الاصنام الذين قاتلهم رسول الله ﷺ وغنم أموالهم وأبناءهم ونساءهم كلهم يعتقدون أن الله هو النافع الضار الذي يدبر الامر وانما أرادوا ماأردت من الشفاعة عند الله ، كما قال تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وقوله (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) وإلا فهم يعترفون بأن الله هو الخالق الرازق النافع الضار كما أخبر عنهم بقوله (قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والا بصار ؟ ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ؟ ومن يدبر الامر ؟ فسيقولون الله . فقل أفلا تتقون)

فليتدبر اللبيب العاقل الناصح لنفسه الذي يعرف أن بعد الموت جنة ونارا - هذا الموضع ، ويعرف الشرك بالله الذي قال الله فيه (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) الآية وقال (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) فما بعد هذا البيان بيان ، اذا كان الله عز وجل قد حكى عن الكفار أنهم يقرون أنه هو الخالق الرازق ، والمحبي للميت الذي يدبر الامر ، وانما أرادوا من الذين يعتقدون فيهم - التقرب والشفاعة عند الله تعالى (فكم من) آية في القرآن ذكر الله فيها هذا كقوله تعالى (قل من الارض ومن فيها إن كنتم تعلمون * سيقولون لله - الى قوله - فأنى تسجرون) وكقوله (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله) (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض بعد موتها ليقولن الله) وغير ذلك من الآيات التي أخبر الله بها عنهم انهم أقروا بهذا لله وحده ، وانهم ماأرادوا من الذين يعتقدون فيهم إلا الشفاعة لا غير ذلك .

فان احتج بعض المشركين ان اولئك يعتقدون في اصنام من حجارة وخشب ، ونحن نعتقد في الصالحين . قيل له والكفار أيضا منهم من يعتقد في الصالحين مثل

الملائكة وعيسى بن مريم . وفي الاولياء مثل العزيز واللات ، وناس من الجن . وقد ذكر الله عز وجل في كتابه ما يدل على هذا فقال في الذين يعتقدون في الملائكة ليشفعوا لهم (ويوم يحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون* قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) وقال (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) وقال فيمن اعتقد في عيسى (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكتبته ألقاها إلى مريم وروح منه) وقال (أنعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرراً ولا نفعاً والله هو السميع العليم) فاذا كان عيسى بن مريم وهو من أفضل الرسل قيل فيه هذا فكيف بعبد القادر أو غيره إذ يقال فيه انه ملك ضرراً أو نفعاً؟ وقال في حق الاولياء (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً * اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب* ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا) قال طائفة من السلف: كان أقوام يدعون الملائكة وعزيراً والمسيح فقال الله : هؤلاء عبيدي كما أنتم عبيدي ، يرجون رحمتي كما ترجون أنتم رحمتي ، ويخافون عذابي كما تخافون عذابي فرحم الله امرأ تفكر في هذه الآية العظيمة وفيما نزلت فيه ، وتفكر ان الذين اعتقدوا فيهم انما أرادوا التقرب إلى الله والشفاعة عنده بهم . وهذا كله يدور على كلمتين الاولى أن تعرف ان الكفار يعرفون ان الله سبحانه هو الخالق الرازق الذي

يدبر الامر وحده ، وانما أرادوا التقرب بهؤلاء إلى الله تعالى

والثانية ان تعرف ان منهم أناساً يعتقدون في أناس من الانبياء والصالحين مثل عيسى والعزيز والاولياء ، فصاروا هم والذين يعتقدون في الاصنام من الحجر والشجر واحداً ، فلما جاءهم رسول الله ﷺ لم يفرق بين الذين يعتقدون في الاوثان من الخشب والحجر . والذين يعتقدون في الانبياء والصالحين

إذا تبين هذا لك عرفت دين الله .

ولو قال المشرك بعد ذلك : هذا بين نعرفه في أول الامر ولا نخاف منه . قيل : إن كان أصحاب رسول الله ﷺ لم يعرفوا هذا إلا بعد التعلم ، ومن أنواع الشرك أشياء ماعرفوها إلا بعد سنين ، فإن عرفت هذا بلاتعلم فأنت أعلم منهم ، بل الانبياء لم يعرفوا هذا إلا بعد أن علمهم الله تعالى ، قال الله تعالى لأعلم الخلق محمد ﷺ (فاعلم انه لا إله الا الله) وقال تعالى (ولقد أوحى اليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين * بل الله فاعبد وكن من الشاكرين)

فاذا كان هذا حال نبينا وحال الخليل ابراهيم عليه السلام إذ يوصي بها أولاده وهم أنبياء . قال الله تعالى (ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب : يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) وقال تعالى (وقال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) فاذا كان هذا الامر لا يخاف على المسلمين منه فما بال الخليل يخاف على نفسه وعلى بنيه وهم أنبياء حيث قال (رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبني أن نعبد الاصنام) ؟ ما بال العليم الحكيم لما أنزل كتابه ليخرج الناس من الظلمات إلى النور جعله في هذا الامر ، وأكثر الكلام فيه وبينه ، وضرب فيه الامثال ، وحذر منه وأبدى وأعاد ؟ فاذا كان الناس يفهمونه بلاتعلم ، ولا يخاف عليهم منه فما بال رب العالمين جعل أكثر كتابه فيه ؟ فسبحان من طبع على قلب من شاء من خلقه فأصمهم وأعمى أبصارهم

وأنت يا من الله عليه بالاسلام وعرف معنى لا إله إلا الله لا تظن أنك إذا قلت : هذا هو الحق وتارك ماسواد (١) لكن لا تعرض لهم ولا أقول فيهم شيئاً ، لا تظن أنك غير عاص ربك ، بل لا بد من بغضهم وبغض من يحبهم ومسبتهم

« ١ » كذا في الاصل ويظهر انه سقط من هنا شيء

ومعاداتهم كما قال أبوك إبراهيم والذين معه لقومهم (إنا برآء منكم ومما تعبدون من
 دن الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده)
 وقال تعالى (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى) الآية،
 وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)

ولو قال رجل أنا أتبع النبي ﷺ وهو على الحق لسكن لا أتعرض للات
 والعزى ولا أتعرض لابي جهل وأمثاله، ما علي منهم؟ لم يصح اسلامه
 وأما مجادلة بعض المشركين بأن هؤلاء الطواغيت مأمروا الناس بهذا ولا
 رضوا به، فهذا لا يقوله إلا مشرك مكابر، فإن هؤلاء ما أكلوا أموال الناس بالباطل
 ولا ترأسوا عليهم، ولا قربوا ما قربوا إلا بهذا، وإذا رأوا رجلاً موحداً منكراً
 لهذا الشرك سموه وآذوه. وإذا رأوا مشركاً كفرّاً تابعا للشيطان قربه وأحبوه
 وزوجوه بناتهم وعدوا ذلك شرفاً.

وهذا القائل يعلم أن قوله ذلك كذب فإنه لو يحضر عندهم ويسمع بعض
 المشركين يقول: جاءني شدة فجئت الشيخ فلان أو السيد فلان فنذرت له فخاصني،
 لم يجوز أن يقول هذا القائل لا يضر ولا ينفع إلا الله، بل لو قال هذا وأشاعه في الناس
 لأبغضه الطواغيت بل لو قدروا على قتله لقتلوه، وبالجملة لا يقول هذا إلا مشرك
 مكابر، وإلا فدعواهم هذه وتخويفهم الناس وذكرهم السوالات الكفرية التي اشتهرت
 عن آباؤهم مشهور لا ينكره من عرف حالهم كما قال تعالى (شاهدين على أنفسهم بالكفر)

*
* *

ولنختم الكتاب بذكر آية من كتاب الله فيها عبرة إن اعتبر. قال تعالى في حق
 الكفار (وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه) فذكر عن الكفار
 أنهم إذا جاءتهم الشدة تركوا غيره وأخلصوا له الدين، وأهل زماننا إذا جاءتهم
 الشدة والضر التجؤوا إلى غير الله سبحانه وتعالى عن ذلك. فرحم الله من تفكر
 في هذه الآية وغيرها من الآيات

وأما من من الله عليه بالمعرفة فليحمد الله تعالى وإن أشكل عليه شيء
فليسأل أهل العلم عما قال الله ورسوله ولا يبادر بالانكار لأنه إن رد رد على
الله . قال الله تعالى (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من
المجرمين منتقمون)

* *

اعلم رحمك الله أن أشياء من أنواع الشرك الأكبر وقع فيها بعض المصنفين
على جهالة لم يفتن لها من ذلك قوله في البردة :

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم
وفي الحمزية من جنس هذا وغيره أشياء كثيرة ، وهذا من اللداء الذي هو
العبادة التي لا تصلح إلا لله وحده ،

وإن جادل بعض المشركين بجلالة هذا القائل وعلمه وصلاحه وقال
بجهله كيف هذا ؟ فقل له : أعلم منه وأجل أصحاب موسى الذين اختارهم الله
وفضلهم على العالمين وقد قالوا (يا موسى اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة) فإذا خفي
هذا على بني إسرائيل مع جلالتهم وفصلهم فما ظنك بغيرهم (١) وقل لهذا الجاهل :

(١) فيه أن بني إسرائيل الذين قالوا هذا القول لم يكونوا أصحاب جلالة وفضل
ولا علم بالدين ولا كانت التوراة نزات عليهم وأعدا كانوا مشركين انقذهم موسى
عليه السلام من ظلم فرعون وقومه ليتخذ منهم شعبا يعبد الله وحده ويقيم دينه ، وقد
أجابهم موسى عليه السلام بقوله (إنكم قوم تجهلون) وقد اتخذوا المعجل بعد
ذلك وعبدوه . وفي القرآن وكذا في التوراة من ذم قوم موسى وتمردهم وعنهم
وايذاهم له في عهد التشريع العجب العجيب ، وأما تفضيل بني إسرائيل على العالمين
في زمانهم فالمراد به جلالتهم بما كان فيهم من الأنبياء والصالحين من قبل موسى إلى
عهد عيسى عليه السلام (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) =

أصلح من الجميع وأعلم أصحاب محمد (١) لما مروا بشجرة فقالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط ، خلف رسول الله ﷺ أن هذا كما قال بنو سرائيل لموسى (اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة)

ففي هذا عبرتان عظيمتان
(الأولى) ان النبي ﷺ صرح أن من اعتقد في شجرة أو تبرك بها أنه متخذها إلهًا ، والا فأصحاب رسول الله ﷺ يعرفون أنها لا تخلق ولا ترزق ، وإنما ظنوا ان النبي ﷺ إذا أمرهم بالتبرك بها صار فيها بركة (والعبرة الثانية) ان الشرك قد يقع ممن هو أعلم الناس وأصلحهم وهو لا يدري كما قال رسول الله ﷺ « الشرك أخفى من ديب النمل » بخلاف قول الجاهل: هذا بين نعرفه .

فإذا اشكل عليك من هذا شيء وأردت بيانه من كلام أهل العلم وإنكار جنس الشرك الذي حرمه الله فهو موجود والبحث عن كلام العلماء في هذا ، ان أردت من الحنابلة ، وان أردت من غيرهم . والله اعلم

(١) كان ينبغي أن يقال بعض أصحاب محمد «ص» من أهل مكة فان الذين قالوا هذا ليسوا أعلمهم بالخلفاء والعبادة مثلاً وإنما هم الطلقاء الذين كانوا حـدبـي عهد بالشرك ، بل كان بعضهم لا يزال على شركه كما ظهر في غزوة حنين فتنبه .
وكتبه محمد رشيد



رسالة أخرى في الشهادات بين

(وبهثة محمد ﷺ ودلائل رسالته)

قال - صب الله عليه من شآيب بره ورحمته ووالى :
 هذه كلمات في معرفة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وقد غلط أهل زماننا فيها ، وأثبتوا لفظها دون معانيها ، وقدياًتون بادلة على ذلك تلبس على الجاهل المسكين ، ومن ليس له معرفة في الدين ، وذلك يفضي إلى أعظم المهالك . فمن ذلك قوله ﷺ « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم » الحديث . وكذا قوله ﷺ لما سئل عن شفاعته . من أحق بها يوم القيامة ؟ قال « من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه » وقوله ﷺ « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » وكذلك حديث عتب بن مالك « فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله »
 وهذه الأحاديث الصحيحة إذا رآها هذا الجاهل أو بعضها أو سمعها من غيره طابت نفسه ، وقرت عينه ، واستنقذه المساءد على ذلك ، وليس الأمر كما يظنه هذا الجاهل المشرك ، فلو أنه دعا غير الله أو ذبح له أو حلف به أو نذر له لم يرد ذلك شركاً ولا محرماً ولا مكروهاً . فإذا أنكر عليه أحد بعض ما ينافي التوحيد لله والعمل بما أمر الله أشأز ونفر وعارض بقوله : قال رسول الله وقال رسول الله ، وهذا لم يدر حقيقة الحال ، فلو كان الأمر كما قال لما قال الصديق رضي الله عنه في أهل الردة « والله لو منعوني عناقاً - أو قال عقالا - كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه » أفيظن هذا الجاهل أنهم لم يقولوا لا إله إلا الله ؟ وما يصنع هذا الجاهل بقول رسول الله ﷺ في الخوارج « أينما لقيتموهم فاقتلوهم ، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم ، فإنهم شر قتيل

محت أديم السماء؟ أفيطان هذا الجاهل ان الخوارج الذين قال فيهم رسول الله ﷺ هذا انهم لم يقولوا لانه الا الله وقال ﷺ « في هذه الامة - ولم يقل منها - قوم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقرآنه مع قرأتهم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم » (١) وكذلك أهل حلقة الذكر لما رأهم أبو موسى في المسجد في كل حلقة رجل يقول: سبحوا مائة ، هلموا مائة . الحديث فلما انكر عليهم عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله ﷺ قالوا والله ما أردنا الا الخير . قل: كم من مرید للخير لم يصبه (٢) ان رسول الله ﷺ حدثنا « ان قوما يقرؤن القرآن لا يجاوز حلقهم » أو قال « تراقبهم » وإيم الله لا أدري ان يكون أكثرهم الا منكم ، قال عمرو بن سلمة: فما كن الا قليل حتى رأوا أولئك يطاعنون أصحاب رسول الله ﷺ يوم النهروان مع الخوارج . أفيطان هذا الجاهل للمشرك انهم يترون ذلك لكونهم يسبحون ويهللون ويكبرون

وكذلك المنافقون على عصر رسول الله ﷺ يجاهدون في سبيل الله باموالهم وأنفسهم ويصلون مع رسول الله ﷺ الصلوات الخمس ويحجون معه ، قال الله تعالى (ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار) أفيطان هذا الجاهل انهم لم يقولوا لا اله الا الله؟ وكذلك قاتل النفس بغير حق يقتل . أفيطان هذا الجاهل انه لم يقل لا اله الا الله؟ وانه لم يقلها خالصا من قلبه ؟ فسبحان من طبع على قلب من شاء من عباده وأخفى عليه الصواب ، وأسلكه مسلك البهائم والدواب ، (أولئك كالانعام بل هم أضل) حتى قال هؤلاء الجهالة ممن ينتسب

(١) فيه ان الخليفة الرابع رضى الله عنه قاتلهم ببغهم ولم يحكم بكفرهم وكانوا متأولين كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية في عدة مواضع
(٢) انكر ابن مسعود (رض) ذلك على قائله لأنه بدعة كما بينه الشاطبي في الاعتصام وغيره

الى العلم والفقه قبلتنا من أمها لا يكفر (١)
فلا إله إلا الله نفي وإثبات الآية كلها لله فمن قصد شيئا من قبر أو شجر أو نجم
أو ملك مقرب أو نبي مرسل لجلب نفع أو كشف ضرر فقد تخذه إلها من دون
الله فكذب بلاله إلا الله يستتاب فإن تاب والا قتل

فان قال هذا المشرك: لم أقصد إلا التبرك، وأني لأعلم ان الله هو الذي ينفع
ويضر. فقل له: ان بني اسرائيل ما أرادوا إلا ما أردت كما أخبر الله عنهم أنهم لما
جاوزوا البحر أتوا على قوم يعكفون على اصنامهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم
آلهة فاجابهم بقوله (انكم قوم تجهلون) الآيتين. وحديث أبي واقد الليثي قال:
خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر والمشركون سدره
يعكفون عندها وينوطون بها اسلحتهم يقل لها ذات انواط، فررنا بسدره، فقلنا
يا رسول الله اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط، فقال رسول الله ﷺ
« الله أكبر إنها السنن (٢) قلتم والذي نفسي بيده كما قال بنو اسرائيل لموسى اجعل
لنا إلها كالهم آلهة ، لتركين سنن من كان قبلكم »

وقال تعالى (افرأيتم اللات والعزى) وفي الصحيح عن ابن عباس وغيره
أنه رجل صالح كان يلبث السوق للحاج فمات فعكفوا على قبره
فيرجع هذا للمشرك ويقول هذا الشجر والحجر ، وانا أعتقد في اناس

(١) يعني الشيخ رحمه الله ان هؤلاء الجاهلة لم يفهموا قول أهل السنة انهم
لا يكفرون احدا من أهل القبلة وانهم يعنون به عدم التكفير بالذنب لا بالشرك
والكفر الذي لا يحتمل التأويل . والتأويل الذي يمنع تكفير الشخص المميز انما
يعنه مادام محتملا فاذا قامت عليه الحجة وذهب احتمال التأويل ظهر أنه مرتد ليس له عذر
(٢) الضمير هنا ضمير الفصة والشأن، والسنن - من الله في الامم وهي قواعد الاجتماع
والاحوال التي يستن فيها بعض الناس بما كان عليه غيرهم

صالحين انبياء واولياء أريد منهم الشفاعة عند الله كما يشفع ذو الحاجة عند الملوك، وأريد منهم القربة إلى الله، فقل له : هذا مذهب الكفار بعينه كما أخبر سبحانه بقوله (والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) وقوله (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا) وقد ذكر أناسا يعبدون المسيح وعزيراً فقال الله هؤلاء عبيدي يرجون رحمتي كما ترجون، ويخافون عذابي كما تخافون وأنزل الله سبحانه (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً) الآية وقال تعالى (ويوم نحترهم جميعاً ثم نقول لللائكة هؤلاء اياكم كانوا يعبدون ؟) الآيةيتين . والقرآن بل والسكتب السماوية من أولها إلى آخرها مصرحة ببطالان هذا الشرك وكفر أهله . وانهم اعداء الله ورسوله ، وانهم اولياء الشيطان ، وأنه سبحانه لا يغفر لهم ولا يقبل عملهم ، كما قال تعالى (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وقال تعالى (وقد منا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً) وقال تعالى (فلا تجعلوا لله انداداً وانتم تعلمون) قال ابن مسعود وابن عباس : لا تجعلوا له ا كفاء من الرجال تطيعونهم في معصية الله . وقال رجل للنبي ﷺ ما شاء الله وشئت فقال « اجعلتني لله ندا ؟ قل ما شاء الله وحده » وقال ﷺ لاصحابه « اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر » فستل عنه فقال « الرياء » وبالجملة فأكثر أهل الارض مفتونون بعبادة الاصنام والاثان ، ولم يتخلص من ذلك إلا الحنفاء اتباع ملة ابراهيم عليه السلام . وعبادتها في الارض من قبل قوم نوح كما ذكر الله وهي كلها ووقوفها وسدانتها وحجابها والسكتب المصنفة في شرائع عبادتها طبقت الارض قل إمام الحنفاء (واجنبني وبني أن نعبد الاصنام) كما قص الله ذلك عنهم في القرآن ونجى الرسل وأتباعهم من الموحدين . وكفى في معرفة كثرتهم وانهم أكثر أهل الارض ما صح عن النبي ﷺ أن

بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون قال الله تعالى (فأبى أكثر الناس
الا كفوراً) وقال (وإن تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله) وقال
(وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين)

ولما اراد سبحانه إظهار توحيده ، وإكمال دينه ، وأن تكون كلمته هي العليا ،
وكلمة الذين كفروا هي السفلى ، بعث محمداً خاتم النبيين ، وحبيب رب العالمين ،
وما زال في كل جيل مشهوراً ، وفي توراة موسى وأنجيل عيسى مذكوراً ، الى أن
أخرج الله تلك الدرّة ، بين بني كنانة وبني زهرة ، فأرسله على حين فترة من الرسل ،
وهدهاه إلى أقوم السبل ، فكان له ﷺ من الآيات الدالة على نبوته قبل مبعثه
ما يعجز أهل عصرها . فمن ذلك قوله ﷺ « أنا دعوة أبي ابراهيم وبشارة
عيسى ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني انه خرج منها نور أضاءت له بصري من
أرض الشام » وولد ﷺ ليلة الاثنين الثاني عشر من ربيع الاول عام الفيل ،
وانشق ابوان كسرى ليلة مولده حتى سمع انشقاقه وسقط أربعة عشر شرفة (١) وهو
باق إلى اليوم آية من آيات الله ، وخدت نار فارس ولم تحمد قبل ذلك ، وغاضت
بحيرة ساوة ، وكانت بحيرة عظيمة في مملكة العراق عراق العجم وهمدان
تسير فيها السفن وهي أكثر من ستة فراسخ فأصبحت ليلة مولده يابسة ناشفة
كأن لم يكن بها ماء ، واستمرت على ذلك حتى بني مكانها مدينة ساوة وهي باقية
الى اليوم ، وأرسلت الشهب على الشياطين كما أخبر الله بقوله (وأنا كنا نقعد منها
مقاعد للمع) الآية . وأنبت الله نباتا حسنا وكان أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقا
وأعزهم جواراً وأعظمهم حملاً وأصدقهم حديثاً حتى سماه قومه « الامين » لما جعل
الله فيه من الاحوال الصالحة والخصال المرضية

ووصل بصرى من أرض الشام مرتين فرآه بحيرا الراهب فعرفه وأخبر

(١) كذا في الاصل: ولا بد ان يكون صوابه: اربع عشرة شرفة منه او من شرفاته

عنه انه رسول الله ، ونصحته أن يرده ، فردّه مع بعض غلمانّه وقال لعمه : احتفظ به فلم نجد قدماً أشبهه بالقدم الذي بالمقام (١) من قدمه . واستمرت كفالة أبي طالب له كما هو مشهور ، وبغض اليه الاوثان ودين قومه فلم يكن شيء ابغض اليه من ذلك . والدليل على انه رسول الله ﷺ من العقل والنقل :

فاما النقل فواضح . وأما العقل فنبه عليه القرآن : من ذلك ان ترك الله خلقه بلا أمر ولا نهى لا يناسب في حق الله ونبه عليه في قوله (وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء)

ومنه أن قول الرجل اني رسول الله إما أن يكون خيراً للناس واما أن يكون شرهم وأكذبهم . والتميز بين ذلك سهل يعرف بامور كثيرة ، ونبه على ذلك بقوله (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين * تنزل على كل أفك أثيم) الآيات ومنه شهادة الله بقوله (قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم

الكتاب) ومنها شهادة أهل الكتاب بما في كتبهم كفي هذه الآية ومنها — وهي عظم الآيات العقلية — هذا القرآن الذي تحداهم بسورة من مثله ، ونحن إن لم نعلم وجه ذلك من جهة العربية فنحن نعلمه من معرفتنا بشدة عداوة أهل الارض له ، علمائهم وفصحائهم ، وتكريره هذا واستعجازه به ولم يتعرضوا لذلك على شدة حرصهم على تكذيبه وإدخال الشبهة على الناس ، ومنها تمام ما ذكرنا وهو اخباره سبحانه انه لا يقدر أحد أن يأتي بسورة مثله إلى يوم القيامة ، فكان كما ذكر ، مع كثرة أعدائه في كل عصر ، وما أعطوا من الفصاحة والكمال والعلوم

ومنها نصره من اتبعه ولو كانوا أضعف الناس . ومنها خالان من عاداه وعقوبته في الدنيا ولو كانوا أكثر الناس وأقواهم

ومنها أنه رجل أمي لا يخط ولا يقرأ الخط ولا أخذ عن علماء ولا ادعى

« ١ » مقام ابراهيم ، يعني انه ﷺ أشبه الاس بابراهيم

ذلك أحد من أعدائه مع كثرة كذبهم وبهتانهم ، ومع هذا أتى بالعالم الذي في
لكتب الأولى كما قال تعالى (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه
بيمينك ، إذا لارتاب المبطلون)

وقال رحمه الله تعالى :

ولما بلغ أربعين سنة بعثه الله بشيراً ونذيراً (وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً
منيراً) ولما أتى قومه بلأله إلا الله قالت قريش (أجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟)
قال الترمذى : حدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة وزيد بن مروان
وغيرهم قالوا : قام رسول الله ﷺ ثلاث سنين مستخفياً ثم أعلن في الرابعة
فدعا عشر سنين يوافي الموسم كل عام فيقول « أيها الناس قولوا لا إله إلا الله
تفلحوا ، وتملكوا بها العرب ، وتدين لكم بها العجم ، فإذا منكم كنتم ملوكاً في الجنة »
وأبو لهب وراءه يقول لا تطيعوه فإنه صابئ كذاب ، فيردون عليه أقبح الرد
ولما أمره الله بالهجرة هاجر وأظهر الله دينه على الدين كله ، وقاتل جميع المشركين
ولم يميز بين من اعتقد في نبي ولا ولي ولا شجر ولا حجر ، وما زال يعلم الناس
التوحيد ، ويقمع من دعاة الشرك كل شيطان مريد ، حتى أزال الله الجبل
والجبال وبان للناس من التوحيد ساطع الجمال

وعن انس قال : قال اناس يارسول الله ياخيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن
سيدنا فقال ﷺ « ياأيها الناس انا محمد عبد الله ورسوله ، ما احب ان ترفعوني
فوق منزلتي التي انزاني الله عز وجل » وعن عبد الله بن الشخير قال : انطلقت في
وفد بني عامر إلى النبي ﷺ فقلت : انت سيدنا فقال « ليس الله » وعن ابن
عمر ان رسول الله ﷺ قال « لا تطروني كما اطرت الانصارى المسيح بن مريم
انما انا عبد الله ورسوله » وما زال ﷺ معلماً لأصحابه هذا التوحيد ، ومحذراً من
الشرك حتى اتاهم مرة وهم يتذاكرون الدجال فقال « ألا اخبركم بما هو اخوف

ما خاف عليكم عندي من المسيح الدجال ؟ » قالوا: بلى، يا رسول الله. قال «الشرك الخفي . يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل » وحتى قال « لا تحلفوا بآبائكم . من حلف بالله فليصدق ومن حلف له بالله فليرض ، ومن لم يرض فليس من الله في شيء » وحتى قال « لا يقول أحدكم ما شاء الله وشاء فلان » وحتى قال « لا تقولوا لولا الله وفلان » وحتى قال « لا يقول أحدكم تبدي وامتي » وحتى قال « من حلف بغير الله فقد أشرك أو كفر » وحذرهم من الشرك بالله في الأقوال والأعمال حتى قال « إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول رب فاجيب، وأنا تارك فيكم اثنتين كتاب الله فيه الهدى والنور ومن تركه كان على الردى » وحتى قال « خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار » وحتى أنه لم يترك النهي عند الموت والتحذير . لنا من هذا الشرك حتى قال « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وحتى قال « دخل الجنة رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب » الحديث ، وحتى حذرهم عن الكفر بنعمة الله قيل هو قول الرجل هذا مالي ورثته من أبائي وقال بعضهم هو كقوله : الريح طيبة والملاح حاذق ، ونحو ذلك

ولما ذكر شيخ الاسلام تقي الدين الاحاديث « امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا إله إلا الله » وكذلك حديث ابن عمر في الصحيحين « امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة » وقال « ان الصلاة من حقها والزكاة من حقها » كما قال الصديق لعمر ووافقهم عمر وسائرهم على ذلك . ويكون ذلك أنه قال قد شرع في العصمة وإلا بطل . وقد قال النبي ﷺ كل واحد من الحديثين في وقت ليعلم المسلمون ان الكافر إذا قالها جب الكفر عنه ثم صار القتال مجرداً إلى الشهادتين

ليعلم ان تمام العصمة يحصل بذلك لثلاث شبهة واما مجرد الاقرار فلا يعصمهم على الدوام (١) كما وقعت لبعض الصحابة حتى جلاها الصدوق رضي الله عنه ووافقوه وقال ابن القيم في شرح المنازل (٢): شهادة ان لا إله إلا الله الاحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد . هذا هو التوحيد الذي نفى الشرك الاعظم وعليه نصبت القبلة، وبه حققت الدماء والاموال، وافصلت دار الايمان من دار الكفر، وصحت به الملة للعامة وان لم يقوموا بحسن الاستدلال بعد أن يسلموا من الشبهة والحيرة والريبة بصدق شهادة صحيحها قبول القلب، وهذا توحيد العامة الذي يصح بالشواهد وهي إرسال الرسل الصنائع (٣) ويجب بالسمع ويوجد بتقدير الحق وينمو على مشاهدة الشواهد (٤) والحمد لله رب العالمين

(١) الاقرار بالشهادتين هو المدخل في الاسلام والعنوان على ترك الكفر السابق فهما كافتان في العصمة من القتل في اثناء القتال واما الاعتداد باسلام قائليها بمد ذلك فلا بد فيه من اقامة الصلاة وابتداء الزكاة لقوله تعالى (فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) وقال بعدها (فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخلواكم في الدين)

«٢» هذه العبارة التي نقلها هنا هي عبارة كتاب المنازل لا شارحه ابن القيم
«٣» عبارة المنازل: وهي «أى الشواهد» الرسالة والصنائع . قال ابن القيم ومقصوده ان الشواهد نوعان آيات متلوة وهي الرسالة، وآيات مرئية وهي الصنائع
«٤» هذه آخر عبارة المنازل



رسالة في كلمة التوحيد

وله أيضا قدس الله روحه ونور ضريحه ما نصه :

اعلم - رحمك الله - ان فرض معرفة شهادة ان لا اله الا الله قبل فرض الصلاة والصوم ، فيجب على العبد ان يبحث عن معنى ذلك أعظم من وجوب بحثه عن الصلاة والصوم. وتحريم الشرك والايان بالطاغوت أعظم من تحريم نكاح الامهات والجدات. فأعظم مراتب الايمان بالله شهادة ان لا اله الا الله ومعنى ذلك أن يشهد العبد أن الالهية كلها لله ليس منها شيء لنبي ولا لملك ولا لولي بل هي حق لله على عباده والالهية هي التي تسمى في زماننا السر . والاله في كلام العرب هو الذي يسمى في زماننا الشيخ والسيد الذي يدعى ويستغاث به ، فاذا عرف الانسان ان هذا الذي يعتقد كثير من في السماء (١) وأمثاله أو في قبر بعض الصحابة هو العبادة التي لا تصاح الا لله وأن من اعتقد في نبي من الانبياء (٢) فقد كفر وجعله مع الله الها آخر فهذا لم يكن قد شهد ان لا اله الا الله ومعنى الكفر بالطاغوت أن تبرأ من كل ما يعتقد فيه غير الله من جني أو إنسي أو شجر أو حجر أو غير ذلك وتشهد عليه بالكفر والضلال وتبغضه ولو كان اباك وأخاك .

فاما من قال انا لا أعبد الا الله وأنا لا اتعرض السادة والقباب على القبور .

(١) السماء شيخ كان اهل نجد يعتقدون ولايته فيدعونه في الشدائد

(٢) اي انه يدعى ويستغاث به فيدعوه لكشف الضر وجاب النفع سواء اعتقد

المعتقد انه يفعل ما يدعي له بنفسه او بتأثيره عند الله تعالى ، فان اعتقاد هذا التأثير في ارادة الله وفعله عين الاثراك في حصول المقصود ، فهو من الشرك

وأمثال ذلك فهذا كاذب في قول لا اله الا الله ولم يؤمن بالله ولم يكفر بالطاغوت . وهذا كلام يسير، يحتاج الى بحث طويل واجتهاد في معرفة دين الاسلام ، ومعرفة ما أرسل الله به رسوله ﷺ والبحث عما قال العلماء في قوله (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى) ويجهل في تعلم ما علم الله رسوله وما علمه الرسول لامتة من التوحيد . ومن أعرض عن هذا فطبع الله على قلبه وآثر الدنيا على الدين لم يعذره الله بالجهالة والله أعلم

رسالة اخرى في كلمة التوحيد

(وكونها تنفي اربعا وتثبت اربعا)

قال رحمه الله تعالى:

اعلم رحمك الله ، ان معنى لا اله الا الله نفي واثبات ، تنفي أربعة أنواع وتثبت أربعة أنواع، تنفي: الالهة، والطواغيت، والانداد، والارباب. فالالهة: ما قصدته بشيء من جلب خير أو دفع ضرر فانت متخذة لها، والطواغيت من عبد وهو راض أو رشح للعبادة، مثل السمان أو تاج أو أبي حديدة، والانداد ما جذبك عن دين الاسلام من أهل او مسكن أو عشيرة أو مال فهو ندلقوله تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله) والارباب من افتك بمخالفة الحق وأطعته، مصداقا لقوله تعالى (اتخذوا أجبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه وتعالى عما يشركون)

وتثبت أربعة أنواع: القصد، وهو كونك ما قصد الا الله . والتعظيم والمحبة لقوله عز وجل (والذين آمنوا أشد حبا لله) والخوف والرجاء لقوله تعالى (وان

يمسك الله بضر فلا كاشف الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم)

فمن عرف هذا قطع العلاقة مع غير الله . ولا تكبر عليه جهامة الباطل كما أخبر الله عن ابراهيم على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام بتكفيره الاصنام وتبريه من قومه لقوله تعالى (قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم) الآية .

مذاكرة

الشيخ محمد رحمه الله مع أهل بلد حريملة

في كلمة التوحيد ، والجمع بين التوحيد والشرك

قل لهم : لا إله إلا الله قد سألنا عنها كل من جاءنا منكم من مطوع ^(١) وغيره ولا لقينا عندهم إلا أنها لفظة ماله معنى ، ومعناها لفظها ومن قالها فهو مسلم . وقد يقولون لها معنى لكن معناها لا شريك له في ملكه ونحن نقول لا إله إلا الله ليست باللسان فقط لا بد للمسلم اذ لفظ بها ان يعرف معناها بقلبه ، وهي التي جاءت لها الرسل والا الملك ما جاءت الرسل له ، وأنا أبين لكم ان شاء الله مسألة التوحيد ومسألة الشرك

تعرفون المشهد فيه قبة والذي من الرجال صلى الظهر قام وتقبل القبر وولى الكعبة قفاه وركع لعملي ركعتين : صلاته لله توحيد ، وصلاته لعملي شرك ، أأنتم فهمتم ؟ قالوا فهمنا ، صار هذا مشرك صلى لله وصلى لغيره .

ولله سبحانه حق على عبده في البدن والمال . والصلاة زكاة البدن والزكاة في المال حق له تعالى فاذا زكيت لله وخرجت بشيء تفرقه عند القبة فزكائك لله توحيد ، وزكائك للمخلوق شرك

(١) المطوع : هو الذي يعلم العامة ويفقههم وهو دون العالم

كذلك سفك الدم إن ذبحت لله توحيد وإن ذبحت لغيره صار شركاً، كما قال تعالى (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لا شريك له) والنسك سفك الدم (١)

كذلك التوكل من أنواع العبادة إن توكلت على الله صار توحيداً وإن توكلت على صاحب القبة صار شركاً . قال تعالى (فاعبدوه وتوكل عليه)

وأكبر من ذلك كله الدعاء ، تفهمون أنه يذكر (٢) أن الدعاء منح العبادة ؟ قالوا نعم ، قال الله تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) أنتم تفهمون أن هنا من يدعو الله ويدعو الزبير ، ويدعو الله ويدعو عبدالقادر ، الذي يدعو الله وحده مخلص ، وإن دعا غيره صار مشركاً . ففهمتم هذا ؟ قالوا فهمنا

قال الشيخ : هذا إن فهمتوه فهذا الذي بيننا وبين الناس ، فأت قالوا هؤلاء يعبدون أصناماً يدعونهم يريدون منهم ، ونحن عبيد مذنبون وهم صالحون ونبغى بجاههم ، فقل لهم عيسى نبي الله عليه السلام وأمه صالحة ، والعزير صالح والملائكة كذلك ، والذين يدعونهم أخبر الله عنهم أنهم ما أرادوا منهم ما أرادوا بجاههم إلا قربة وشفاعة وأقرأ عليه الآيات في الملائكة في قوله تعالى (ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة) الآية ، وفي الأنبياء قوله (يا أهل الكتاب لا تنلوا في دينكم) الآية وفي الصالحين (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه) الآية ، ولم يفرق بينهم النبي ﷺ

رسالة أخرى في كلمة التوحيد

وله أيضاً رحمه الله تعالى :

اعلم أرشدك الله أن الله خلقك لعبادته وأوجب عليك طاعته ، ومن أفرض عبادته عليك معرفة لا إله إلا الله علماً وقولاً وعملاً ، والجامع لذلك قوله تعالى

(١) أي لأجل القربة كالأضحية وفدية الأحرار ومثلها النذر لله وحده

(٢) أي يذكر في الحديث عن النبي (ص)

(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) وقوله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه)

فأعلم أن وصية الله لعباده هي كلمة التوحيد الفارقة بين الألف واللام فعند ذلك افترق الناس سواء جهلا أو بغيا أو عنادا ، والجمع لذلك اجتماع الأمة على وفق قول الله تعالى (ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وقوله (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصرية أنا ومن اتبعني) الآية

فلواجب على كل أحد اذا عرف التوحيد وأقر به أن يحبه بقلبه ، وينصره بيده ولسانه ، وينصر من نصره ووالاه ، واذا عرف الشرك وأقر به أن يبغضه بقلبه ، ويخذله بلسانه ، ويخذل من نصره ووالاه باليد واللسان والقلب. هذه حقيقة الأمرين ، فعند ذلك يدخل في سلك من قل الله فيهم (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) فنقول لاختلاف بين الأمة أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب الذي هو العلم ، واللسان الذي هو القول ، والعمل الذي هو تنفيذ الأوامر والنواهي ، فمن أخل بشيء من هذا لم يكن 'الرجل مسلما' ، فان أقر بالتوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند كفرعون و'بليس' ، وإن عمل بالتوحيد ظاهراً وهو لا يعتقده باطناً فهو منافق خالص ، وهو شر من الكافر ، والله أعلم

قال رحمه الله وهو نوعان : توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ، أما توحيد الربوبية فيقر به الكافر والمسلم ، وأما توحيد الألوهية فهو الفارق بين الكافر والمسلم ، فببغني لكل مسلم أن يميز بين هذا وهذا ويعرف أن الكفار لا ينكرون أن الله الخالق الرازق المدبر ، قل الله تعالى (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ، ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ، ومن يدبر الأمر ؟ فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون) الآية (ولئن سألتهم

من خلق السموات والارض وسخر اشمس والقمر ؟ ليقولن الله (الآية .
فاذا ثبت لك أن الكفار يقرون بذلك عرفت أن قولك لا يخاق ولا يبرزق
إلا الله ، ولا يدبر الامر إلا الله ، لا يصيرك مسلماً حتى تقول لا إله إلا الله مع
العمل بمعناها . فهذه الاسماء كل منها له معنى يخصه

أما قولك الخالق فعناه الذي أوجد جميع مخلوقاته بعد عدمها ، وأما قولك
الرازق فعناه أنه لما أوجد الخلق أجرى عليهم أرزاقهم . وأما المدبر فهو الذي
تنزل الملائكة من السماء إلى الارض بتدبيره ، وتصعد إلى السماء بتدبيره ، ويسير
السحاب بتدبيره ، وتصرف الرياح بتدبيره ، وكذا جميع خلقه هو الذي يدبرهم
على ما يريد . فهذه الاسماء تتعلق بتوحيد الربوبية الذي يقر به الكفار

وأما توحيد الألوهية فهو قولك لا إله إلا الله وتعرف معناها كما عرفت معنى
الاسماء المتعلقة بالربوبية ، فقولك لا إله إلا الله نفى وإثبات : فتنفي الألوهية كلها
عن غير الله وتثبتها لله وحده ، فعنى الإله في زماننا الشيخ والسيد الذي يقال فيهم
سراً ممن يعتقد فيهم أنهم يجلبون منفعة أو يدفعون مضرة

فمن اعتقد في هؤلاء أو غيرهم نبيا كان أو غيره هذا الاعتقاد فقد اتخذها
من دون الله ، فإن بني اسرائيل لما اعتقدوا في عيسى بن مريم وأمه سماً لله الآمين
قال تعالى (وإذا قال الله يا عيسى بن مريم أنت قات للناس اتخذوني وأمي الآمين
من دون الله ؟ قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ، إن كنت قلته
فقد علمته ، تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك ، انك أنت علام الغيوب)

ففي هذا دليل على أن من اعتقد في مخلوق جلب منفعة أو دفع مضرة فقد
اتخذها الها ، فاذا كان الاعتقاد في الانبياء هذه جاله فما دونهم أولى

وأيضاً فإن من تبرك بحجر أو شجر ، أو مسح على قبر أو قبة يتبرك بهم فقد اتخذهم آلهة^(١)

والدليل على ذلك أن الصحابة لما قالوا للنبي ﷺ اجعل لنا ذات أنوط كما لهم ذات أنواط ، يريدون بذلك التبرك ، قال « الله أكبر إنها السنن ، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو اسرائيل لموسى (اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ، قال إنكم قوم تجهلون * ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون * قال غير الله أبعينكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين) فوصف قول الصحابة في ذات انواط بقول بني اسرائيل و«ما إلهاً»^(٢)

ففي هذا دليل على أن من فعل من ذلك شيئاً مما ذكرناه فقد اتخذ إلهاً ، والآله هو المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له وهو الله وحده ، فمن نذر لغير الله أو ذبح له فقد عبده ، وكذلك من دعا غير الله ، قال تعالى (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين) وفي الحديث

(١) كذا في الأصل بضمير العقلاء . ويعني بالتبرك المنافي للتوحيد مافشا في العوام من اعتقاد أن هذه الأشياء المتبرك بها تنفع فتشفي من المرض وبرد البلاء وغير ذلك ، بخلاف التبرك المروي عن بعض الصحابة بآثار النبي (ص) وبدم حجامته ونخامته وتبرك الشافعي بقميص الامام احمد الذي روي بالسند كما في طبقات السبكي ، ولكن شيخ الاسلام ابن تيمية قال ان هذه الرواية غير ثابتة وعلى تقدير ثبوتها يراد بها وبأمثالها ذكرى الحب كالمعهود من عشاق الحسان

(٢) ان الذين قالوا للنبي (ص) ما ذكر كانوا حديثي عهد بالشرك فظنوا ان ما يجعله لهم النبي (ص) من ذلك يكون مشروعا لا ينافي الاسلام . وأما بنو اسرائيل الذين طلبوا من موسى جعل الآلهة لهم فكانوا جاهلين بحقيقة التوحيد بما روي عليه من شرك الفراعنة كما تقدم في حاشية سابقة

«ان الدعاء مع العبادة» وكذلك من جعل بينه وبين الله واسطة وزعم انها تقربه الى الله فقد عبده . وقد ذكر الله ذلك عن الكفار فقال تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وقال تعالى (والذين اتخذوا من دونه اولياء : ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) وكذلك ذكر عن الذين جعلوا الملائكة وسائط فقال (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول لللائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ؟ قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون)

فذكر سبحانه أن الملائكة نزهوه عن ذلك وأنهم تبرؤا من هؤلاء ، وأن عبادتهم كانت للشياطين الذين يأمرونهم بذلك . وذكر سبحانه عن الذين جعلوا الصالحين وسائط فقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً * أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا) وذكر سبحانه أنهم لا يملكون كشف الضر عن أحد ولا عن أنفسهم ، وأنهم لا يحولونه عن أحد ، وأنهم يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ، ويرجون رحمته ويخافون عذابه ، فهذا يثبت لك معنى لا اله الا الله فاذا عرفت حال المعتقدين في عيسى بن مريم والمعتقدين في الملائكة ، والمعتقدين في الصالحين ، وحالهم معهم انهم لا يملكون لانفسهم ضرراً ولا نفعاً فضلاً عن غيرهم عرفت أن من اعتقد فيمن دونهم فهو أضل سبيلاً حينئذ يثبت لك معنى لا اله الا الله ، والله أعلم



رسالة في حقيقة الاسلام من الكتاب والسنة (ومن خالفهما من أدعياء العلم والمرفان)

قال رحمه الله تعالى :

اعلم وفئنا الله واياك للايمان بالله ورسله - أن الله سبحانه قل في كتابه (فقتلوا
المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد ، فان
تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) فتأمل هذا الكلام وأن الله أمر
بقتلهم وحصرهم والعودة لهم كل مرصد الى أن يتوبوا من الشرك وقيموا الصلاة
ويؤتوا الزكاة . وأيضاً فقد قال ﷺ « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا
أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا
فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الاسلام ، وحسابهم على الله
تعالى » فهذا كلام رسوله ، وقد جمع العلماء عليه من كل مذهب وخالف ذلك
من هؤلاء الجهال الذين يسمون العلماء فقالوا : من قال لا إله إلا الله فهو المسلم ،
حرام الدم والمال ، وقد بين النبي ﷺ الاسلام في حديث جبريل لما سأله عن
الاسلام فقال « الاسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتقيم
الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت اليه سبيلاً »
فهذا تفسير رسول الله ﷺ وهؤلاء يقولون البدو اسلام لانهم يقولون لا إله إلا
الله ، فنسمع كلامهم ونسمع كلام رسول الله ﷺ فلا بد له من أحد أمرين
إما أن يصدق الله ورسوله ويتبرأ منهم ويكذبهم ، وإما أن يصدقهم ويكذب
الله ورسوله ، فنعوذ بالله من ذلك والله أعلم

فتأمل أصول الدين (الاولى) ان الله أرسل الرسل وأنزل الكتب لبيان
الحق من الباطل (الثانية) بيان ما اختلف فيه الناس أن الواجب عليهم اتباع

ما أنزل اليهم من ربهم (الثالثة) ان من لم يرفع به رأسا فهو منافق جاهل (الرابعة) رد ما تنازعوا فيه إلى الكتاب والسنة (الخامسة) أن من اتبع الهدى الذي جاءت به الرسل من عند الله لا يضل ولا يشقى (السادسة) ان من أعرض عن ذلك حشر أعمى ضالا شقيما مبعداً (السابعة) أن الذين في قلوبهم مرض يتبعون ما تشابه منه ﴿ تكفير المسلم بالشرك بالله وموالاة المشركين على المؤمنين ﴾

(قل الشيخ محمد رحمه الله تعالى)

إذا شهد الإنسان ان هذا دين الله ورسوله كيف لا يكفر من انكره وقتل من آمن به وحبسهم ؟ كيف لا يكفر من أتى المشركين يحثهم على لزوم دينهم ويزينه لهم ويحثهم على معاداة المؤمنين وأخذ أموالهم ؟ كيف لا يكفروا يشهد ان هذا الذي يحث عليه ان الرسول ﷺ انكره ونهى عنه وسماه الشرك بالله ؟ وهذا الذي يبغضه ويبغض أهله ويأمر المشركين بقتلهم هو دين الله ورسوله

وعلم ان الأدلة على تكفير المسلم اصالح إذا اشرك بالله أو صار مع المشركين على الموحدين ولم يشرك - أكثر من ان تحصر من كلام الله وكلام رسوله وكلام العلماء ، وانا أذكر لك آية من كلام الله اجمع أهل العلم على تفسيرها وأنها في المسلمين وان الرجل إذا قل ذلك فهو كافر في أي زمان كان . قال الله تعالى (من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقابله مطمئن بالإيمان) الآية . وفيها ذكر أنهم استجبوا الحياة الدنيا على الآخرة ، فذا كتب العلماء ذكروا أنها نزلت في الصحابة لما فتنهم أهل مكة وذكروا ان الصحابي إذا تكلم بكلام الشرك بلسانه مع بغضه لذلك وعداوة أهله - كن خوف منهم فهو كافر بعد إيمانه فكيف بالمؤمن في زماننا إذا تكلم بالبصرة أو الاحساء أو مكة أو غير ذلك خوف منهم لكن قبل الاكراه إذا كن هذا يكفر ، فكيف بمن كان معهم وسكن معهم وصار من جملتهم ؟ فكيف بمن اعاسهم على الشرك وزينه لهم ؟ فكيف بمن امرهم

بقتل الموحدين وحنهم على لزوم دينهم
فأنتم وفقكم الله تأملوا هذه الآية وتأملوا من نزات فيه واجمع العلماء على
تفسيرها وتأملوا ماجرى بيننا وبين اعداء الله، نطلبهم دائماً للرجوع إلى كتبهم
التي بأيديهم في مسألة التكفير والقتال فلا يجاوبوننا إلا بالشكوى عند الشيوخ
وامثالهم . ونسأل الله ان يوفقكم لدينه القيم ويرزقكم اثبات عليه وصلى الله على
محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

﴿ ذبيحة المرتد وما يكفر به المسلم وحكمه ﴾

وسئل عن ذبيحة الارتد وتكفير من يعمل بفرائض الاسلام الخ
فأجاب: قوله تعالى (اليوم أحل لكم الطيبات) الآية وقوله (فكلوا مما ذكر
اسم الله عليه) الآيات ، لا اختلاف في حكمهن بين احد عرف كتاب الله . ولكن
الكلام في حكم الذابح هل هو مسلم فيدخل حكمه في حكم الآية اذا ذبح وسمى
الله عليها فلو ترك التسمية نسيانا حلت ذبيحته وكانت من الطيبات بخلاف من
ترك التسمية عمداً فلا تحل ذبيحته ، وكذلك أهل الكتاب أعني اليهود والنصارى
ذبيحتهم منا كحتم حلال لقوله تعالى (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) الآية
وأما المرتد فلا تحل ذبيحته وإن قل فيها بسم الله لان المانع لذلك ارتداده
عن دين الاسلام لا ترك التسمية لان المرتد شر عند الله من اليهود والنصارى
من وجوه (أحدها) ان ذبيحته من الخبائث (الثانية) انها لا تحل منا كحتم بخلاف
أهل الكتاب (الثالثة) أنه لا يقر في بلد المسلمين لا بجزية ولا بغيرها (الرابعة) أن
حكمه يضرب عنقه بالسيف لقوله ﷺ «من بدل دينه فاقتلوه» بخلاف أهل الكتاب .
فاذا تقرر هذا عندك فاعرف أن الكلام في تحريم ذبيحة المرتد لا في أن الله
أمر بأكل ما سمي الله عليه ولا تحليل طعام أهل الكتاب
وقولكم لم تكفرون من يعمل بفرائض الاسلام الخمس ؟ فقد كان في زمن

الرسول ﷺ من انتسب إلى الاسلام ثم مرق من الدين^(١) كما في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ بعث البراء بن عازب معه الراية إلى رجل تزوج امرأة أبيه ليقتله يأخذ ماله، وقد انتسب إلى الاسلام وعمل به

ومثل قتال الصديق والصحابة رضي الله عنهم مانعي الزكاة وسبي ذراريهم وغنيمة أموالهم وتسميتهم مرتدين بعد ما عملوا بشرائع الاسلام . ومثل اجتماع التابعين على قتل الجعد بن درهم وهو مشتهر بالعلم والدين إلى غير ذلك وقد جرى وقائع لا تعد ولا تحصى ، ومثل بني عبيد الذين ملكوا مصر والشام وغيرها مع تظاهرهم بالاسلام ، وصلاة الجمعة والجماعة ، ونصب القضاة والمفتين . لما أظهروا من الاقوال والافعال ما أظهروا . لم يتوقف أحد من أهل العلم والدين عن قتالهم مع ادعائهم الملة ومع قولهم لا إله إلا الله أو لأجل اظهار شيء من أركان الاسلام إلا ماسمعنا منكم ، فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب وهو (باب حكم المرتد) وهو المسلم الذي يكفر بعد اسلامه حتى ذكروا فيه أنواعا كثيرة كل نوع منها يكفر الانسان ويحل دمه وماله، حتى ذكروا أشياء يسيرة مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب، والذين قل الله فيهم (يخلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر) الآية أسمعت الله كفرهم بكلمة مع كونهم في زمن النبي ﷺ يجاهدون معه ، ويصلون ، ويذكرون ، ويصومون ، ويحجون ، ويوحدون الله سبحانه ؟ وكذلك الذين قال الله فيهم (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون؟ لا تعتذروا قد كفرتم) الآية، نالوا كلمة على وجه المزح واللعب^(٢) فصرح

(١) كذا في الاصل وقد سقط منه الخبر اي كذلك يحكم بكفره ويفتل

٢ « تلك الكلمة تتضمن تكذيب النبي ﷺ او الشك في نبوته قيل هي قول بعضهم ان كان ما يقول محمد حقا فهم شر من الخير وقيل هي استهزاءؤهم بقتاله للروم، وعلى كل حال قد ثبت بالآية ان الذي يصلي ويصوم ويجاهد قد يحكم بكفره بكلمة استهزاء بالدين او بالرسول ﷺ

الله أنهم كفروا بعد إيمانهم وهم مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فتأمل أرشدك الله ، من انتسب الى الاسلام . مرق من الاسلام لما اظهر خلاف ذلك، فكيف بما هو اظهر من ذلك؟ فإذا كان على عهد النبي ﷺ وخلفائه من انتسب الى الاسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة حتى أمر النبي ﷺ بقتالهم ، فعلم أن المنتسب الى الاسلام في هذه الازمان قد يمرق من الاسلام ، وقولكم هل يعلمون للنبي ﷺ ديننا الا الاسلام الذي جاء به جبرئيل ؟ فمعلوم ان رسول الله ﷺ قام يدعو الناس الى التوحيد سنين عديدة قبل أن يدعوهم الى أركان الاسلام . ومعلوم أن التوحيد الذي جاء به جبرئيل أعظم فريضة، وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج ، فكيف اذا جحد الانسان شيئا من اركان الاسلام كفر، ولو عمل بكل ما جاء بها الرسول ﷺ ، واذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل من نوح الى محمد لا يكفر لانه يقول لا إله الا الله . أو لانه يفعل كذا وكذا؟ فما الذي فرق بين رسول الله ﷺ وبين قريش؟ هل هو عند الملك والرياسة والتطاول؟ أو عند لا إله الا الله محمد رسول الله؟ ففرقوا عند ذلك وقالوا (أجعل الآلهة إلها واحدا ان هذا شيء عجاب)

أتظن ان قريشا لو يعلمون ان هذا الكلام مجرد قول بلا عمل وانهم يقولون لا إله الا الله وينشئون على دينهم ولا يضرهم وان النبي ﷺ يرضى منهم بذلك وانه ما يحاربهم ولا يكفرهم ولا يقتلهم؟ انراهم يتركون التافظ بلا إله الا الله كما هو اعتقادكم ، أو دين الاسلام لفظ لا إله الا الله؟ وان من قالها فهو المسلم وتؤثرون عليها حديث جبرئيل، وحديث بني الاسلام على خمسة اركان، وحديث أمرت أن أقاتل الناس . وحديث اسامة . وحديث من صلى صلاتنا . وحديث انه كان إذا اغار على القرية إن سمع أذاناً كف عنها والا أغار عليها. ولكن الامر كما قال عمر رضي الله عنه « انها لا تنقض عرى الاسلام عروة عروة حتى ينشأ في الاسلام

من لا يعرف الجاهلية» فذلك انه إذا لم يعرف من الشرك ما عابه القرآن وما ذمه وقع فيه ، وهو لا يعرف انه الذي كان عليه أهل الجاهلية أو فوقه أو دونه أو شر منه، فتتقضى بذلك عرى الاسلام ويعود المعروف منكراً والمنكر معروفاً، والبدعة سنة والسنة بدعة، ويكفر الرجل بمحض الايمان وتجريد التوحيد، ويبدع بمتابعة الرسول، فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

فان كان سؤالك مسترشداً فاسأل عن قول الله في ابراهيم (واجنبني وبني أن نعبد الاصنام) قال وما نجا من شر هذا الشرك الا كبير الا من جرد التوحيد لله، وعادى المشركين في الله وتقرب بمقتهم الى الله .

فتأمل ان الاسلام لا يصلح إلا بمعادات أهل الشرك وان لم يعادهم فهو منهم ولو لم يفعله ، واسأل عن معنى قوله تعالى (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم — الى قوله — ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء) وقوله (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء — الى قوله — وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدأ حتى تؤمنوا بالله وحده) الآيات وقال تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله) الآيات وما أشبه ذلك

واسأل عن سبب نزول الآية وما معناها وان كان غير ذلك، فلا تأس على الهالكين . وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم

✽ انتهت رسائل الشيخ محمد عبد الوهاب رحمه الله تعالى ✽



كِتَابُ
جَوَابِ أَهْلِ السُّنَّةِ النَّسَبِيَّةِ
فِي نَقْضِ كَلَامِ الشَّيْخَةِ وَالزَّيْدِيَّةِ
وَهُوَ دَعَا عَلَى بَعْضِ عُلَمَاءِ الزَّيْدِيَّةِ فِيمَا اعْتَرَضَ بِهِ عَلَى دَعْوَةِ التَّوْحِيدِ الْوَلَهَابِيَّةِ

تَأَلَّفَ
السَّيِّدُ الْإِمَامُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَيِّدِ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ
رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

ان الحمد لله نحمده ونستعينه وتستغفره، ونعوذ بالله من شرور انفسنا، ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد ان لا إله إلا الله، وأشهد ان محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما
(اما بعد) فإنه قد وصل الينا كتابكم الذي فيه الاعتراض على الجواب الذي قد اتاكم العام الماضي صحة رسولكم. واعتراض المعارض عليه فاسد من وجوه كثيرة، وهو يدل على جهالة قائله ومكابرته ومعاندته لاهل البيت النبوي وغيرهم من أهل السنة والجماعة المقتدين بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، كما سنبينه ان شاء الله تعالى، والجاهل يبين جهله وضلاله بالادلة، فاذا عاند وكابر صار جهاده بالسيف، كما قال تعالى (لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس، وليعلم الله من ينصره ورسوله بالغيب ان الله قوي عزيز)

اما قوله ان سبب الاختلاف بين السائل والمسؤول هو ان علياً عليه السلام فارقه وحاربه معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه ، وقتل علي رضي الله عنه بعد أن كانت الحرب بينهما أربعين يوماً إلى آخره فنقول :

هذا مما يدل على جهل المعارض أو تجاهله ، وذلك ان الاختلاف الذي بيننا وبينكم ليس هذا سببه، وانما سبب الاختلاف والعداوة والمقاتلة لمن قتلناه هو الشرك بالله الذي قد انتشر وذاع في سائر البلاد ، من يمن وشام ومغرب

ومشرق ، وهو الاستغاثة بالصالحين ودعوتهم في كشف الشدائد وجلب الفوائد الذي قال الله فيه وفيمن فعله (ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من انصار) وقال تعالى (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثماً عظيماً) وقال تعالى في حق الانبياء (ولو اشر كوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون)

وقال لنبينا ﷺ (واقعدوا حي اليك وإلى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين * بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) وقال تعالى (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك ، فان فعلت فانك اذاً من الظالمين) وقد صح عندنا بالنقل المتواتر أن هذا يفعل عندكم في كثير من بلاد اليمن ولا تزيلونه ولا تنكرونها على من فعله ، والاوثان والبنيات التي على القبور موجودة عندكم . وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي الهياج الاسدي قول : قال لي علي رضي الله عنه : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ «ألا أدع تماثلاً إلا طمسته ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته» (١)



الاختلاف بين علي ومعاوية

﴿ورأي أهل السنة في هذه الفتن (١)﴾

وأما الاختلاف الذي بين علي ومعاوية فتلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولنا ما كسبنا ولا نستل عما كانوا يعملون ، كما قال الله تعالى لاهل الكتاب لما احتجوا بإبراهيم واسحاق ويعقوب (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تستلون عما كانوا يعملون)

وأما قوله: فلما مات الحسن استتم لمعاوية هذا الامر . فهذا مما يدل على جهله بالسير والاخبار، فان الامر قد استتم لمعاوية قبل موت الحسن بسنين وبإيعه جميع المسلمين بالخلافة سنة الخلع الحسن من الخلافة وسلمها الى معاوية وصالحه على ذلك في سنة احدى وأربعين ، وذلك أنه ولي الخلافة بعد قتل أبيه رضي الله عنه فأقام فيها ستة أشهر وأياما ، ثم سار اليه معاوية وأرسل اليه الحسن يبذل تسليم الامر اليه واشترط عليه شروطا، فأجاب معاوية الى ذلك وظهرت المعجزة النبوية في قوله ﷺ في الحسن بن علي « ان ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » وكان نزوله عنها في شهر ربيع الاول من السنة المذكورة ، وقيل في جماد الاول (٢) وتوفي الحسن رضي الله عنه بالمدينة سنة تسع وأربعين ، وقيل في خامس ربيع الاول سنة خمس وأربعين ، وقيل سنة احدى

(١) هذا العنوان وامثاله من وضع المطبعة لامن وضع المؤلف والفرض منها الترغيب في المطالعة ، وتسهيل المراجعة ، اقتداء بوضع الامة اسماء السور في المصحف ووضع العلماء أبوابا لصحيح مسلم

(٢) كذا في الاصل ولعله تحريف من النسخا فالصواب جمادى الاولى

وخمسين . كذا ذكره السيوطي وغيره من أهل التواريخ . وبهذا يتبين لك تخطيط الحبيب في كلامه وجهله بالنقل

وأما قواه : فلما قتل علي ومات ابنه الحسن استتم لمعاوية لامر فذلته الرقاب وافتقت الامة إلى فرقتين إلى آخر كلامه

فيقال : وهذا أيضاً من عجيب جوله ، فان الافتراق العظيم الواقع بين الامة سببه قتل امير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ، وبعد قتله افتقت القلوب حتى آل الامر إلى ائتمال بالسيف وجرى بين علي وطلحة والزبير وقعة الجمل المشهورة قتل فيها بين الفريقين نحو ثمانية عشر ألفاً ، ثم جرت بين علي ومعاوية وقعة صفين ودام القتال بينهم نحو مائة يوم وعشرة أيام وقتل بين الفريقين نحو مائة ألف وعشرة آلاف ، فمن أهل الشام تسعون ألفاً ، ومن أهل العراق عشرون ألفاً كما ذكر ذلك السعودي وغيره من أهل العلم بالتاريخ ، وجرى في أيام علي من الفتن والحروب والقتل بين المسلمين ما هو معروف ، وكل ذلك بسبب قتل عثمان رضي الله عنه ^(١) وقد أخرج ابن عدي وابن عساكر من حديث أنس عن النبي ﷺ انه قال « ان لله سيفاً مغموداً في غمده مادام عثمان فاذا قتل عثمان جرد ذلك السيف فلم يغمد الى يوم القيامة » قال السيوطي تفرد به عمرو بن فائد وله مناكير وأخرج ابن عساكر عن حذيفة قال « أول الفتن قتل عثمان ، وآخر الفتن خروج الدجال . والذي نفسي بيده لا يموت رجل وفي قلبه مثقال حبة من حب قتل عثمان الا وقع في فتنة الدجال ، وإن لم يدركه آمن به في قبره » وأخرج ابن عساكر : ^(٢) لو لم يطلب الناس بدم عثمان لموا بالحجارة من السماء .

(١) واما السبب الباطن لهذه الفتن فهي دعاية التشيع لعلي كرم الله وجهه التي بثها الحبيث عبد الله بن سبأ اليهودي الزنديق في المسلمين فكان الغلو فيها سبب غلو الخوارج في عداوة علي وانصاره وغيرهم من أهل السنة
(٢) لم يذكر صاحب هذا الاثر والظاهر انه حذيفة فيراجع في تاريخ ابن عساكر

وأخرج عن سمرة قول « ان الاسلام كان في حصن حصين وانهم ثلثوا في الاسلام ثلثة بقتلهم عثمان لاتسد الى يوم القيامة ، وان أهل المدينة كانت فيهم الخلافة فأخرجوها ولم تعد اليهم »

وأخرج عبدالرزاق في مصنفه عن حميد بن هلال قل: كان عبدالله بن سلام يدخل على محاصري عثمان فيقول « لا تقتلوه فوالله لا يقتله رجل منكم الا اتي الله أجزم لا يدله ، وإن سيف الله لم يزل مغمودا وإنكم والله ان قتلتموه لسله الله ثم لا يغمده عنكم أبداً ، وما قتل نبي قط الا قتل به سبعون الفا ، ولا خليفة الا قتل به خمسة وثلاثون الفا قبل ان يجتمعوا » (١) وأخرج الحاكم عن الشعبي قل: ماسمعت من مرأى عثمان أحسن من قول كعب بن مالك حيث قال :

فكيف يديه ثم أغلق بابه وأيقن ان الله ليس بغافل
وقال لاهل الدار : لا تقتلوهم عفا الله عن كل امرء لم يقاتل
فكيف رأيت الله صب عليهم مداودة البغضاء بعد التواصل ؟
وكيف رأيت الخير أدبر بعهده عن الناس ادبار الرياح الجوافل ؟

وأما بعد مبايعة الحسن لمعاوية فاجتمعت الكلمة واصطاح الناس ، ولأجل ذلك سمي العام عام الجاعة ، فكيف يقول هذا الجاهل: اقترقت الامة بعد أن استتم لمعاوية الامر فرقتين إلى آخر كلامه (٢)

وقد ذكر أهل العلم بالسير والتواريخ ان معاوية لما تولى الخلافة واستتم له الامر حين عزل الحسن نفسه اتفقت كلمة المسلمين ، وكانوا في ولايته متفقين غير

-
- (١) من مرويات عبدالله بن سلام من كتب بني اسرائيل اه من حاشية الاصل
(٢) قوله هذا اصطلاح للشيعية يعنون به ان فريقا من الناس صاروا عثمانيين ويعنون بهم أهل السنة، وفريقا صاروا علويين ويعنون بهم أنفسهم، كما سيأتي مع رد المؤلف عليه

مختلفين ، يغزون العدو ويجاهدون في سبيل الله ، فلما مات معاوية جرت الفتن العظيمة ، منها قتل الحسين وأهل بيته ، ومنها حصار ابن الزبير بمكة ، ووقعة الحرة بالمدينة . ثم لما مات يزيد جرت فتنة بالشام بين مروان والضحاك بمرج راهط . ثم وثب المختار بن عبيد على ابن زياد فقتله ، وجرت فتنة مصعب بن الزبير وقتله ، ثم حاصر الحجاج ابن الزبير فقتله وجرت فتنة ، ثم لما تولى الحجاج العراق خرج عليه عبدالرحمن بن الاشعث مع خلق عظيم من القراء وكانت فتنة كبيرة . فهذا كله بعد موت معاوية رضي الله عنه ، ثم جرى بعد ذلك أيضا فتنة ابن المهلب بخراسان وقتل زيد بن علي بالكوفة وجرت فتن . ثم قام ابو مسلم وغيره بخراسان وجرت فتن يطول وصفها وتزايد شرها

وبالجملة فلم يكن ملك من ملوك المسلمين خير من معاوية اذا نسبت أيامه الى أيام من بعده . وقد روى ابو بكر الاثرم : حدثنا محمد بن عمرو حدثنا مروان عن يونس عن قتادة قال : لو أصبحت في مثل عمل معاوية لقال الناس هذا المهدي ، وكذا رواه ابن بطة بإسناده اثبات من وجهين عن الاعمش عن مجاهد قال : لو أدركتم معاوية لقلتم هذا المهدي

وروى عبدالله بن احمد بن حنبل : حدثنا ابوسعيد الاشج حدثنا ابو اسامة حدثنا الثقة عن ابي اسحاق السبيعي انه ذكر معاوية فقال : لو أدركتموه او أدركتم أيامه لقلتم هذا المهدي^(١)

(١) أكبر فضيلة لمعاوية عند هؤلاء المثنيين عليه وغيرهم انه قدر على حفظ المملكة الاسلامية من التقاتل بين المسلمين ، ووجه همتهم وقوتهم الى الكفار ، وفتح الامصار ، واكبر غائلة له اخراج منصب الامامة العظمى عما وضعها فيه الصحابة هداية الله ورسوله وهو الانتخاب الاختياري ، الى عصية النسب بجعلها في ولده يزيد الفاجر ، ثم إرثا يتداوله بنو أمية ، فكان هذا سببا لجعلها كالكرة يتقاذفها الاقوياء بالعصية دون هداية الصحابة ، وبذلك صارت ملكا عضوا بعد الراشدين كما ورد في الحديث

وفي الصحيحين ان رجلا قال لابن عباس: هل لك في أمير المؤمنين معاوية إنه أوتر بركعة ؟ فقال: أصاب، انه فقيه. فهذه شهادة ابن عباس بفقاه معاوية . وابن عباس من علماء أهل البيت ، ومعاوية ليس من السابقين الاولين ، بل قد قيل انه من مسلمة الفتح وقيل بل أسلم قبل ذلك ، وكان يعترف بأنه ليس من فضلاء الصحابة ، ومعلوم باجماع المسلمين انه ليس قريبا من عثمان وعلي فضلاء عن أبي بكر وعمر . وقد تبين بما ذكرنا لكل منصف أريب ، ولمن له قلب منيب ، جهل هذا المعترض وطائفته بما عليه أهل البيت ، وان دعواهم ومحبتهم كذب واقتراء ، ومجرد دعوى لاحقية لها ، كما ان اليهود والنصارى يدعون اتباع أنبيائهم وهم قد خالفوهم وسلكوا غير طريقهم ، وكذلك الرافضة والشيعة يدعون اتباع علي وأهل بيته وهم قد خالفوا طريقهم ، وسلكوا غير منهاجهم ، وان أسعد الناس باتباعهم ومحبتهم أهل السنة والجماعة القائلون بما دل عليه الكتاب والسنة



مدة الحرب بين علي ومعاوية

وأما قوله : بعد ان كانت الحرب بينهما أربعين يوما ، فالجواب أن يقال : هذا مما يدل على جهل هذا المعارض بالسير والخبار، وأنه يخطئ في كلامه خبط عشواء بلا دليل ولا مستند ولا استبصار، ولا معرفة بما نقله أهل تواريخ الاسلام والعلماء الكبار ، فان كان مراده يوم صفين خاصة فقد ذكر أهل التواريخ الاسلامية ان الحرب أقامت بين علي ومعاوية في يوم صفين^(١) نحو مائة يوم وعشرة أيام وجرى بينهم في تلك المدة نحو تسعين وقعة. وذلك انهم ذكروا ان ابتداء القتال في أول يوم من صفر سنة سبع وثلاثين من الهجرة فدامت الحرب بينهم ثلاثة أشهر وعشرين يوما كما ذكر معنى ذلك المسعودي عن أهل السير والخبار كما تقدم ذلك عنه ، وذكر القرطبي صاحب التفسير الكبير ان مقام علي ومعاوية بصفين سبعة أشهر ، وقيل تسعة ، وقيل ثلاثة ، وكان بينهم قبل القتال نحو من سبعين يوما زحفا في ثلاثة أيام من أيام البيض وهي ثلاثة عشر وأربعة عشر وخمسة عشر ، وقتل ثلاثة وسبعون الفا من الفريقين ، ذكره الثقة العدل ابراهيم بن الحسن الكسائي الهمداني ، وفي تلك الليالي ليلة الهرب جعل بعضهم يهر الى بعض ، والهرب

(١) ان قيل كيف قال يوم صفين ثم قال انه كان ١١٠ أيام (قلنا) ان لفظ «اليوم» في أصل اللغة معناه الزمن الذي يحدده ما يقع فيه قل أو كثر ، فيوم صفين هو الزمن الذي وقعت فيه الحرب بين علي ومعاوية وقدره ١١٠ أيام فلكية ، وهكذا يقال في يوم الجمل وأيام العرب وغيرها . ويوم القيامة زمن مقداره خمسون ألف سنة كما قال الله تعالى

الصوت يشبه النباح لانهم تراموا بالنبل حتى فنيت، وتطاعنوا بالرمح حتى اندقت، وتصاربوا بالسيوف حتى تقصفت، ثم نزل القوم بعضهم الى بعض، قد كسروا جنون سيوفهم واضطربوا بما بقي من السيوف وعمد الحديد، فلا تسمع إلا غغمة القوم والحديد في الهام. فلما صارت السيوف كالمناجل، تراموا بالحجارة ثم جثوا على الركب فتحاثوا بالتراب، ثم تكادموا بالافواه، وكسفت الشمس وثار القتام، وارتفع الغبار، وتقطعت الالوية والرايات، ومرت أوقات اربع صلوات، لان القتال كان بعد صلاة الصبح واقتتلوا الى نصف الليل. وذلك في شهر ربيع الاول سنة سبع وثلاثين. قاله الامام احمد في تاريخه انتهى ما ذكره القرطبي (١)

واما ان كان مراده محاربة علي ومعاوية وعدم تسليم معاوية الامر له فهذا أعظم جهلا وأكبر خطأ مما قبله. فان معاوية اقام محاربا لعلي مدة خلافته كلها من حين قتل عثمان الى ان قتل علي رضي الله عنه، وذلك نحو خمس سنين إلا ثلاثة اشهر، وقيل أربع سنين وتسعة اشهر وثلاثة أيام، وقيل وستة أيام، وقيل وأربعة عشر يوما، وقيل أربع سنين وثمانية اشهر وثلاثة وعشرين يوما

(١) ولا يخفى ما في كلام القرطبي من الكذب والغلو والتشنيع الخالف لصحيح التاريخ اه من حاشية الاصل. والقرطبي لم يكن هو المفتري ولكنه اغتر ببعض ما كتبه اصحاب الاهواء في ذلك

فصل

واما قوله افرقت الامة فرقتين فرقة توالي معاوية باطنا وظاهرا وهم الذين قاتلوا معه ونصروه وسموا انفسهم أهل السنة والجماعة كما اخبرت بذلك التواريخ . فالجواب ان يقال : هذا ايضا جهل وتخبيط وقصور فهم وغباوة شديدة فان الامة قد افرقت بعد قتل عثمان رضي الله عنه ثلاث فرق : فرقة بايعت عليا رضي الله عنه ودخلوا في طاعته ، وهم اكثر الصحابة وجهود المسلمين وفرقة امتنعت عن الدخول في طاعته ومبايعته واظهروا الخطاب بدم عثمان رضي الله عنه ، وهم معاوية ومن تابعه وكان هو الامير عليهم في خلافة عمر رضي الله عنه وخلافة عثمان ، وارسلوا إلى علي : ان كنت تريد ان نبايعك فادفع الينا قتلة عثمان فابي علي رضي الله عنه ذلك .

والطائفة الثالثة لم يبايعوا عليا ولا معاوية واعتزلوا الفريقين جميعا لم يعينوا هؤلاء ولا هؤلاء ولم يدخلوا في تلك الحروب والفتن ولم يحضروها ، منهم سعد ابن ابي وقاص رضي الله عنه أحد العشرة المبشرين بالجنة ، ومنهم اسامة بن زيد وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، ومحمد بن مسلمة الانصاري ، وأبو موسى الاشعري وعمران بن حصين الخزاعي . وأبو بكره انثقي ، واهبان بن صيفي . ومن التابعين شريح والنخعي رضي الله عنهم أجمعين

واخرج ابن ماجه عن ابي بردة قال دخلت على محمد بن مسلمة فقال ان رسول الله ﷺ قال « انها ستكون فتنة وفرقة واختلاف ، فاذا كان ذلك فانت بسيفك أحدا فاضربه به حتى يقطع ثم اجلس في بيتك حتى تأتيتك يد خاطئة أو منية قاضية » فقد وقعت وفعل ما قال النبي ﷺ .

ومن هؤلاء من بايع عليا رضي الله عنه ولم يقاتل معه في حروبه قال أبو عمر

ابن عبد البر في الاستيعاب : وتختلف عن بيعة علي اقوام فلم يكرههم علي وسئل عنهم فقال: أولئك قوم قعدوا عن الحق ولم يدخلوا في الباطل . وقال غيره : ان كثيرا من المسلمين حتى من أهل المدينة ومكة لم يكونوا بايعوه، دع الذين كانوا بميدن كاهل الشام ومصر والمغرب وخراسان والعراق. انتهى

وقد قال غير واحد من أهل العلم: ان جمهور الصحابة ما دخلوا في الفتنة. قال عبد الله بن الامام احمد: حدثنا ابي ثنا اسماعيل يعني ابن علية حدثنا ايوب السخيتاني عن محمد بن سيرين قال: هاجت الفتنة وصحاب رسول الله ﷺ عشرة آلاف فما حضرها منهم مائة، بل لم يبلغوا ثلاثين . هذا إسناد من اصح اسناد على وجه الارض، ومحمد بن سيرين من أروع الناس في منطقته، ومراسيله من أصح المراسيل وقال عبد الله : حدثنا ابي ثنا اسماعيل ثنا منصور بن عبد الرحمن ^(١) . قال : قال الشعبي لم يشهد الجمل من اصحاب النبي ﷺ غير علي وعمار وطاحه والزبير، فان جاؤا بخامس فانا كذاب . وقال عبد الله بن احمد ثنا ابي ثنا أمية بن خالد قال قيل لشعبة: إن ابا شيبة روى عن الحكم عن عبد الرحمن بن ابي ايلي قال: شهد صفين من أهل بدر سبعون رجلا ، فقال: كذب والله، لقد ذكرت الحكم بذلك وذاكرناه في بيته فما وجدنا شهد صفين من أهل بدر غير خزيمة بن ثابت. وهذا الذي يدل على قلة من حضرها، وقيل: انه حضرها سهل بن حنيف وابو ايوب، وكلام ابن سيرين متقارب فما يكاد يذكر مائة واحد . وقد روى ابن بطة بإسناده عن بكير ابن الاشج قال : اما ان رجالا من أهل بدر لزموا بيوتهم بعد قتل عثمان رضي الله عنه فلم يخرجوا الا لقبورهم .

فصل

واما قوله في معاوية رضي الله عنه لما استتم له الامر فذات له الرقاب : افترقت الامة إلى فرقتين : فرقة توالي معاوية باطنا وظاهراً وهم الذين قتلوا معه وسموا أنفسهم أهل السنة والجماعة كما اخبرت به كتب التواريخ وبدعوا من وإلى علياً وأهله فالجواب ان يقال : هذا من الكذب والبهتان الظاهر اسكل من له معرفة بما عليه أهل السنة والجماعة بل معاوية وأصحابه الذين قتلوا علياً ومن معه لا يبدعون ولا يبدعون من والآء ، بل العلماء منهم مقرون بفضله ودينه وورعه وسابقته وحسن بلائه في الاسلام ، حتى معاوية نفسه يقر بذلك في المحافل والمجالس ، كما ذكر ذلك أهل العلم في كتبهم . فروى يحيى الجعفي في كتاب صفين باسناده : حدثني يعلى بن عبيد حدثنا ابي قل أبو مسلم الخولاني وجماعة لمعاوية : أنت تنازع علياً ؟ ام انت مثله ؟ قال : لا والله إني لأعلم ان علياً افضل مني واحق بالامر . واسكن أستم تعلمون ان عثمان قتل مظلوماً وانا ابن عمه وانما أطلب بدمه ، فثبوا علياً فليدفع إلي قتلة عثمان واسلم له ، فأتوا علياً فسلموه فلم يدفعهم اليه

فانظر وتأمل يتبين لك كذب المعارض ونسبته إلى الصحابة مالا يليق بهم ، كذلك نسبته إلى أهل السنة والجماعة تبديع من وإلى علياً وأهل بيته وشيعته ، فان هذا كذب واقتراء على القوم ، بل جميع أهل السنة يتولون علياً وأهل البيت ويقدمونه على معاوية بل وعلى من هو افضل من معاوية ، فن الذي عليه جمهور أهل السنة والجماعة ان افضل هذه الامة بعد نبيها أبو بكر ومن بعد أبي بكر عمر ثم بعد عمر عثمان ثم بعد عثمان علي ، ثم بقية المشرة ، ثم أهل بدر ، ثم أهل بيعة الرضوان ، ثم بقية الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ، وأهل السنة يعلمون ان معاوية ليس من السابقين الاولين ، بل هو من مسلمة الفتح ومن المؤلفة قلوبهم ولكنه من حسن اسلامه بعد ذلك ، وصار يكتب الوحي لرسول الله ﷺ . ثم لما توفي

أبو بكر خرج إلى الجهاد مع أخيه يزيد بن أبي سفيان، ثم لما توفي يزيد استعمله عمر رضي الله عنه على الشام فأقام أميراً عشرين سنة وخليفة عشرين سنة وكانت رعيته تحبه لحسن سيرته

وقد ثبت في الصحيح ان رسول الله ﷺ قال « خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، ويصلون عليهم ويصلون عليكم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم » ومما يدل على اعتراف معاوية بفضل علي ما أخرجه غير واحد من أهل السنة في كتبهم وذكره أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب في ترجمة علي حيث قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن يوسف قال حدثنا يحيى بن مالك قال حدثنا أبو الحسن محمد بن محمد بن مقلد البغدادي بمصر قال حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن درية قال حدثنا الكلبي عن الحرماوي عن رجل من همدان قال : قال معاوية لضرار الصدائي : يا ضرار ، صف لي علياً ، قال اعطني يا أمير المؤمنين ، قال فلتصفه لي قال « اما اذا لا بد من وصفه ، فكان والله بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلاً ، ويحكم عدلاً ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويأنس بالليل ووحشته ، وكان غزير العبرة ، طويل الفكرة ، يعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ما خشن ، كان فينا كاحدنا ، يجهلنا اذا سألناه ، ويأثينا اذا دعواناه ، ونحن والله مع تقريبه ايانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبه له ، يعظم أهل الدين ويقرهم ، ويحب الساكنين ، لا يطعم اقوي في باطله ، ولا يئس الضعيف من عدله ، واشهد لقد رأيته في بعض مواقفه ، وقد ارخى الليل سدواه ، وغارت نجومه ، قابضاً على لحيته ، يتململ تلمل السليم ، ويبكي بكاء الحزين ، ويقول : يا دنيا غري غري ، لي تقربت ؟ ام الي تشوفت ؟ هيئات هيئات ، بتلك ثلاثاً لا رجعة فيها ، فعمرك قصير ، وخطرك حقير ، آه من قلة الزاد ، وبعد السفر ، ووحشة الطريق »

فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن، كان والله كذلك. فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال «حزن من ذبح واحدا في حجرها»

وكان معاوية رضي الله عنه يكتب فيما ينزل به إلى علي بن أبي طالب يسأله عن ذلك. فلما بلغه قتله قال ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب، فقال له عتبة أخوه لا يسمع هذا منك أهل الشام. انتهى ما ذكره أبو عمر

وكذلك الصحابة الذين قاتلوا عليا مع معاوية ليس فيهم من يقول ان معاوية أفضل من علي وإنما قاتلوه ومن معهم من أهل الشام يدم عثمان رضي الله عنه. وكانوا يقولون ان معاوية هو ولي عثمان والطالب بدمه كما ذكر ذلك غير واحد من أهل العلم بالأخبار والتواريخ وأيام الناس

قال مجالد عن الشعبي: لما قتل عثمان أرسلت أم حبيبة بنت أبي سفيان إلى أهل عثمان: ارسلوا إلي بذياب عثمان وبالحصاة الشعر التي تنفت من لحيته، ثم دعت النعمان بن بشير فبعثته إلى معاوية، ففضى بذلك وبكتائبها فصعد معاوية المنبر وجمع الناس ونشر القميص عليهم، وذكر ماصنع بعثمان ودعا إلى الطالب بدمه، فقام أهل الشام فقالوا: هو ابن عمك وأنت وليه، ونحن الطالبون معك بدمه، فبايعوا له. وقل يونس عن الزهري: لما بلغ معاوية قتل طلحة والزبير وظهور علي دعا أهل الشام للقتال معه على الشورى والطالب بدم عثمان، فبايعوه على ذلك أميرا غير خليفة. وقد روى الطبراني عن ابن عباس قال: ما زلت موقفا ان معاوية سيلي الملك والسلطان من هذه الآية (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا) (١) وأما سائر أهل السنة والجماعة فكلمهم يتولون عليا وأهل البيت ويحبونهم

(١) ولكن قال الله بعد ذلك (فلا يسرف في القتل) وقد أسرف معاوية، وقامت عليه الحجة بما رواه هو وغيره من قوله (ص) لعمار «تقتلك الفئة الباغية» ثم ماذا فعل بقتلة عثمان، بمد ان انتهى إليه السلطان؟

وينكرون على بني أمية الذين يسبون علياً، وكتبهم مشحونة بالثناء عليه ومحبة وموالاة،
وجميع كتب الحديث مذكورة فيها فضل علي وأهل البيت ولكنهم يتولون سائر الصحابة
ومحبوهم ويترضون عنهم طاعة لله ولرسوله ﷺ، فإن الله تعالى ذكر الصحابة في
كتابه، وأحسن اثناء عليهم، فقال تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء
على الكفار رحماء بينهم) الآية . وقال تعالى (لا يستوي منكم من أنفق من قبل
الفتح وقاتل) الآية . وأثنى تعالى على من جاء من بعدهم ودعا لهم بالمغفرة فقال تعالى
(والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان)
الآية . فتبين بما ذكرنا جهالة المعترض وكذبه على أهل السنة بأنهم بدعوا من وإلى
علياً وأهل بيته .

*
* *

وأما قوله : وذلك قال الشافعي لما رأى التبديع لأهل الحق :
إن كان روضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أي رافضي
لجميع أهل السنة وأكثر أهل البدعة من المعتزلة والمرجئة وغيرهم يقولون
كما قال الشافعي ، ويقولون أيضاً كما قال بعض العلماء :

إن كان نصيباً حب صاحب محمد فليشهد الثقلان أي ناصبي
فالبيت الأول إرغام للخوارج وطائفة من بني أمية الذين يبغضون علياً
رضي الله عنه وأهل بيته، ومنهم من يكفره . والبيت الثاني إرغام للروافض والزيدية
الذين يبغضون بعض أصحاب النبي ﷺ ، وذلك إن الله تبارك وتعالى هدى
أهل السنة والجماعة إما اختلف فيه من الحق (والله يهدي من يشاء إلى صراط
مستقيم) وذلك أنهم آمنوا بجميع المنزل من عند الله ، وجميع ما ورد عن رسول
الله من الأحاديث الصحيحة الثابتة ، ولم يغلو غلو الروافض والزيدية ، ولم يقصروا
تقصير الخوارج ومن نحا نحوهم

فصل

وما قوله : ولهذا الافتراق روى مسلم في صحيحه عن أبي اسحاق ما معناه : انه لما وقعت الفتنة قل بعض المحدثين لبعض إذا حدثوا: يدينوا لنا رجالكم، وكانوا قبل الفتنة يقبلون المرسل ولا يسألون عن رجال السنة فيقال : هذا مما يدل على انصاف أهل السنة والجماعة ونصحهم لله ولرسوله ولدينه، خصوصا أئمة الحديث وجهان مذهبه. وذلك انه دين فلا يجوز لهم الاخذ عن كل من روى الحديث حتى يعرفوا حاله هل هو ثقة حافظ. ضابط لما يرويه ؟ وهل هو من أهل السنة أو من أهل البدعة ؟ فإذا عرفوا الرجل بالكذب يدينوا حاله ، وإذا عرفوه بالبدعة يدينوا حاله ، فإذا عرفوا أن الرجل ثقة أخذوا عنه ، وقبلوا حديثه . ولو كان من أهل البدع ، وإذا كان الرجل قليل الضبط أو معروفا بالكذب أو بالتخليط أو الاضطراب في حديثه تركوا حديثه ، ودينوا حاله . وإن كان من أهل السنة ومن أهل الصلاح . يعرف ذلك من طالع كتب الجرح والتعديل ، وفي البخاري ومسلم والسنن الاربعة رجال من أهل البدع يروون عنهم الحديث من الخوارج والتدريسة والمرجئة والشيعة وغيرهم اذ كانوا معروفين بالصدق والضبط ،

ولكن أهل الحديث وأهل العلم يعلمون ان اكذب الطوائف هم الرافضة والشيعة ومن نحنا نحوم . وذلك ان عمدتهم في المنقولات على تواريخ منقطعة الاسناد وكثير من وضع المعروفين بالكذب . قال أبو حاتم الرازي : سمعت يونس بن عبد الاعلى يقول قل أشهب بن عبد العزيز : سئل سالك عن الرافضة فقال : لا تروو عنهم ولا تكلمهم فانهم يكذبون . وقال أبو حاتم : حدثنا حرمة قال سمعت الشافعي يقول : لم أر أحداً أشهد بالزور من الرافضة . وقال مؤمل بن

إهاب : سمعت يزيد بن هارون يقول يكتب عن كل صاحب بدعة إذا لم يكن داعية إلا الرافضة فانهم يكذبون

وقل محمد بن سعيد الاصبهاني سمعت شريكا يقول : احمل العلم عن كل من لقيت إلا الرافضة ، فانهم يضعون الحديث فيخذلونه ديناً ، وشريك هذا هو شريك بن عبد الله القاضي بالكوفة من أقران اشوري وأبي حنيفة وهو من الشيعة الذي يقول بلسانه أنا من الشيعة وهذه شهادته

ومن تأمل كتب الجرح والتعديل المصنفة في أسماء الرواة والنقلة وأحوالهم مثل كتب يحيى بن سعيد القطان وعلي بن المديني ويحيى بن معين والبخاري وأبي زرعة وأبي حاتم الرازي والمسائي وأبي حاتم بن حبان وأبي أحمد بن عدي والدارقطني وإبراهيم بن يعقوب الجوزجاني ويعقوب بن سفيان والعجلي والعقيلي والموصلي والحاكم النيسابوري والحاظ عبد الغني بن سعيد المصري وأمثال هؤلاء الذين هم جهابذة نقاد ولهم المعرفة التامة بأحوال الاسناد علم أن المعروف عندهم بالكذب في الشيعة أكثر منهم في جميع الطوائف ، حتى ان أصحاب الصحيح كالبخاري وغيره لم يرووا عن أحد من قدماء الشيعة مثل عاصم بن ضمرة والحارث الاعرج وعبد الله بن سالم ، مع ان هؤلاء من خيار الشيعة ، وانما يروون حديث علي عن أهل بيته كالحسن والحسين ومحمد بن الحنفية ، وكان به عبيد الله بن أبي رافع . وعن أصحاب ابن مسعود كعبيدة السلماني والحارث بن قيس وأشباههم وهؤلاء أئمة النقل ونقاد من ابعد الناس عن الهوى ، وأخبرهم بالناس ، وأقولهم بالحق ، لا يخافون في الله لومة لائم

ولهذا قال أحمد بن حنبل رحمه الله لما قيل له ان ابن أبي قتيلة يقول ان أصحاب الحديث قوم سوء فقام أحمد ينفذ ثوبه ويقول زنديق زنديق زنديق وقال بعضهم : اذا رأيت من يبغض أحمد بن حنبل فاعلم انه مبتدع ، واذا

رأيت من يبغض يحيى بن معين فاعلم انه كذاب، ولا يبغض يحيى بن معين ويتكلم فيه وفي أمثاله إلا من هو من أهل الكذب

فصل

وأما قوله : ونشأ من هذا الافتراق الامر العظيم وهو استمرار لعن علي عليه السلام على المنابر حتى قطعه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
فيقال : اما لعن علي رضي الله عنه فانما فعله طائفة قليلة من بني أمية وهم عند أهل السنة ظالمة فسقة ، وأهل السنة ينكرون عليهم ذلك بالسنتهم ويروون الاحاديث الصحيحة في فضائل علي

وذلك انهم أرادوا وضعه عند الناس ، وحط رتبته ومحبطه من قلوبهم فجازاهم الله بنقيض قصدهم ، ورفع الله ، وأظهر أهل السنة والجماعة فضائله ، وحدثوا بها الناس ، فاشتهرت عند العامة فضلا عن الخاصة ، وجميع أهل السنة يحبونه ويوالونه رضي الله عنه . فلما زالت دولة بني أمية وجاءت دولة بني العباس في سنة ثنتين وثلاثين ومائة انقطع لعن علي رضي الله عنه

وأما قول المعترض : ان ابن تيمية روى في منهاجه انه استمر لعن علي إلى زمانه ، وأما في أيامه فقد انقطع ، فهذا كذب ظاهر على ابن تيمية رحمه الله ، وقلة حياء فيمن نسب ذلك اليه ، ومنهاج السنة موجود عندنا ولم يذكر هذا فيه ، وابن تيمية أجل من أن يخفى عليه هذا الامر الواضح الذي يعرفه أدنى من له معرفة بالسير والتواريخ ، وانه انقطع من الشام وغيره من بلاد الاسلام

ثم ظهرت الدولة العباسية وانقطعت الدولة الاموية في أيام السفاح الذي كان هو أول ملوك بني العباس ، وقتل مروان الملقب بالحمار الذي هو آخر ملوك بني أمية سنة اثنتين وثلاثين ومائة

وأعجب من هذا قوله: إن ابن تيمية أيضاً روى في منهاج السنة أن كثيراً من علماء السنة والجماعة حكموا بتخطئة علي في حروبه إلا أحمد بن حنبل إمام الشيعة عند التحقيق، فإنه قال: من خطأ علياً في حروبه فهو كجار أهله. انتهى معنى كلام ابن تيمية

والجواب أن يقال: إن هذا من الكذب الظاهر على ابن تيمية وعلى أحمد ابن حنبل رحمهما الله، وهذا نص لفظ ابن تيمية في المجلد الأول من كتاب منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية قل رحمه الله:

« ولهذا اضطرب الناس في خلافة علي على أقول، فقالت طائفة إنه إمام، وإن معاوية إمام، وأنه يجوز نصب إمامين في وقت واحد إذا لم يمكن الاجتماع على إمام واحد، وهذا يحكى عن الكرامية وغيرهم، وقالت طائفة لم يكن في ذلك الزمان إمام عام، بل كان زمان فتنة، وهذا قول طائفة من أهل الحديث البصريين وغيرهم. ولهذا لما أظهر الإمام أحمد التبريع بعلي في الخلافة وقال: من لم يبرع بعلي فهو أضل من حمار أهله، أنكر طائفة من هؤلاء وقالوا قد أنكر خلافته من لا يقال فيه هو أضل من حمار أهله، يريدون من تخلف عنها من الصحابة. واحتج أحمد وغيره على خلافة علي بحديث سفينة عن النبي ﷺ « تكون خلافة النبوة ثلاثين سنة ثم تصير ملكاً » وهذا الحديث قد رواه أهل السنن كابن داود وغيره. وقالت طائفة ثالثة علي هو الإمام وهو مصيب في قتاله لمن قاتله، وكذلك من قاتله من الصحابة كطلحة والزبير كأنهم مجتهدون مصيبون، وهذا قول من يقول: كل مجتهد مصيب، كقول البصريين من المعتزلة وأبي الهذيل وأبي هاشم ومن وافقهم من الأشعرية كالقاضي أبي بكر وأبي حامد، وهو المشهور عند أبي الحسن الأشعري، وهؤلاء أيضاً يعملون معاوية مجتهداً مصيباً في قتاله كما أن علياً مصيب. وهذا قول طائفة من الفقهاء من أصحاب أحمد وغيره ذكره أبو عبد الله بن حامد. وذكر لأصحاب أحمد في المقتلين يوم

الجل وصفين ثلاثة أوجه (أحدها) كلاهما مصيب (والثاني) المصيب واحد لا بعينه (والثالث) ان عليا هو المصيب ومن خالفه مخطيء

«والمقصود عن احمد وأئمة السنة انه لا يذم أحد منهم، وان عليا أولى بالحق من غيره . أما تصويب القتال فليس هو قول أئمة السنة بل هم يقولون ان تركه كان أولى ، وطائفة رابعة تجعل عليا هو الامام وكان مجتهداً مصيباً في القتال، ومن قاتله كانوا مجتهدين مخطئين. وهذا قول كثير من أهل الكلام والرأي من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي واحمد ، وطائفة خامسة تقول ان عليا مع كونه كان خليفة وهو أقرب الى الحق من معاوية فكان ترك القتال أولى . وينبغي الامساك عن ائمتال هؤلاء وهؤلاء فان النبي ﷺ قال « ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الساعي » وقد ثبت انه ﷺ قال في الحسن « ان ابني هذا سيد واعمل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المؤمنين » فأثنى على الحسن بالاصلاح . ولو كان ائمتال واجبا أو مستحبا لما مدح تاركة ، قالوا وقتال البغاة لم يأمر الله به ابتداء ولم يأمر بقتال كل باغ بل قال (وإن طائفتان من المؤمنين ائتتلا فأصاحوا بينهما ، فان بغت إحداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله) فأمر اذا اقتتل المؤمنون بالاصلاح بينهم ، فان بغت احداهما على الاخرى قوتلت ، قالوا ولهذا لم يحصل بالقتال مصلحة ، والامر الذي لم يأمر الله به لا بد أن يكون مصلحته راجحة على مفسدته . وفي سنن أبي داود: ثنا الحسن بن علي ثنا يزيد ثنا هشام عن محمد بن سيرين قال قال حذيفة : ما أحد من الناس تدركه الفتنة الا انا اخافها عليه الا محمد بن مسلمة ، فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا تضره الفتنة » فهذا يبين ان النبي ﷺ أخبر ان محمد بن مسلمة لا تضره الفتنة وهو ممن اعتزل في القتال فلم يقاتل مع علي ولا مع معاوية كما اعتزل سعد بن ابي وقاص واسامة بن زيد وعبد الله بن عمر

وابو بكرة وعمران بن حصین واکثر السابقین الاولین . وهذا يدل علی انه لیس هناك قتل واجب ولا مستحب ، إذ لو کان كذلك لم یکن ترک ذلك مما یمدح به الرجل بل کان من فعل الواجب أو المستحب أفضل ممن ترکه . ودل ذلك ان القتال قتال فتنة كما ثبت فی الصحيح عن النبی ﷺ انه قال « ستكون فتنة القاعد فیها خیر من القائم والقائم فیها خیر من الماشي والماشي فیها خیر من الساعي والساعي فیها خیر من الموضع »^(١) وأمثلة ذلك من الاحادیث الصحيحة التي تبین ان ترک القتال کان خیرا من فعله من الجانین ، وعلى هذا جمهور أئمة الحديث والسنة . وهذا هو مذهب مالک والثوري واحمد وغيره . وهذه اقوال من یحسن القول فی علی وطلحة والزبیر ومعاوية . ومن سوى هؤلاء من الخوارج والروافض والمعتزلة فمقاتلتهم فی الصحابة نوع آخر ، فالخوارج یكفرون علیا وعثمان ومن والاها والروافض یكفرون جمهور الصحابة ومن ولاهم أو یفسقوهم ویكفرون من قاتل علیا ویقولون هو امام معصوم ، وطائفة من الروائية تفسقه وتقول انه ظالم معتد . وطائفة من المعتزلة تقول قد فسق إما هو واما من قاتله ، لكن لا یعلم عینه . وطائفة أخرى منهم تفسق معاوية وعمر بن العاص دون طلحة والزبیر وعائشة « انتهى ما ذکره الشیخ نقی الدین بن تیمیة فی منهاج السنة

فانظر رحمک الله بعین الانصاف الی کلام هذا الامام ، ثم انظر الی کلام المعارض یتبیین لك تحریفه للکلم عن مواضعه ، فان ابن تیمیة انما ذکر ان جمهور أئمة السنة یرون ان ترک قتال علی أولى من القتال ، وان ترکه أحب الی الله والی رسوله لاحادیث الرسول ﷺ فی الحسن ابن علی وغيره الدال علی هذا المعنی ، وتقدمت الإشارة الی بعضها

وأما تخطئتهم علياً في ذلك فحاشا وكلا، بل كثير من أهل السنة والجماعة يرون أن علياً مصيب في قتاله لمعاوية ومن معه وكلهم متفقون على أنه أقرب إلى الحق وأولى به من معاوية ومن معه، ولما ماذكره عن أحمد بن حنبل فإنما أراد أحمد بذلك : ومن لم يجعل علياً رابع الخلفاء الراشدين . وقال : من لم يربع بعلي في الخلافة فهو أضل من حمار أهله

وأما لفظ المعترض الذي ذكره عن أحمد : أن من خطأ علياً في حروبه فهو كحمار أهله ، فليس هذا لفظ أحمد ولا هو معنى كلامه ولا ذكره الشيخ ابن تيمية رحمه الله عن أحمد ، وإنما كن نموذ بالله من التعصب واتباع الهوى الذين يصدان عن اتباع الحق ، وبجملان على كتمان الحق ولبسه بالباطل . وقد نعى الله سبحانه في كتابه عن هاتين الخصلتين فقال تعالى (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون)

ومن العجب أن هذا المعترض وأشباهه يعلمون أن الحسن ابن علي رضي الله عنه وغيره من أهل البيت يرون أن ترك القتال أولى من فعله وأحب إلى الله وإلى رسوله كما اختاره كثير من أهل السنة والحديث ، ومع هذا ينكرون على أهل السنة ذلك مع زعمهم أنهم من شيعه أهل البيت ، ويزعمون أن أهل السنة يبعضون أهل البيت ومن والاهم . وقد كذبوا فإن أهل السنة والحديث أولى باتباع أهل البيت منهم وهم شيعتهم على الحقيقة ، لأنهم سلكوا طريقتهم واتبعوا هديهم ، وقد قال تعالى لليهود والنصارى لما ادعى كل طائفة منهم أن إبراهيم كان منهم (أن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا)

فصل

﴿الاقوال والآراء في قتال الحسين (رض) ليزيد﴾

وأما قوله : ومما نشأ من هذا الاقتراق ان كثيرًا من علماء اهل السنة والجماعة حكوا بان الحسين بن علي باغ على يزيد بن معاوية فيقال : قد اختلف اهل السنة والجماعة في هذه المسألة وكذلك اهل البيت ، فذهبت طائفة من اهل السنة رضي الله عنهم من الصحابة فمن بعدهم كسعد بن أبي وقاص واسامة ابن زيد ومحمد بن مسلمة وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم وغيرهم وهو قول احمد بن حنبل وجماعة من أصحاب الحديث - إلى ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر باللسان ان قدر على ذلك وإلا فبالقلب فقط ولا يكون باليد وسل السيوف والخروج على الأئمة وان كانوا أئمة جور . واستدلوا باحاديث صحاح عن رسول الله ﷺ منها ما اخرجاه في الصحيحين عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال « من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه فإنه ليس أحد من الناس يخرج من السلطان شبراً فأت إلا مات ميتة جاهلية » وفي لفظ « من أت الجماعة شبراً فأت مات ميتة جاهلية » وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال « من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات مات ميتة جاهلية » الحديث

وفي صحيح مسلم عن حذيفة قل : قلت يا رسول الله ، إنا كنا في جاهلية وشر ف جاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال « نعم » فقلت فهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال « نعم وفيه دخن » قلت وما دخنه ؟ قال « قوم يستنون بغير سنتي ، ويهتدون بغير هديي ، تعرف منهم وتنكر » فقلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال « نعم ، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم قذفوه فيها » فقلت : يا رسول الله صفهم لنا . قال « نعم . قوم من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا » قلت : يا رسول الله

فما ترى إن أدركني ذلك ؟ قال « تلزم جماعة المسلمين وإمامهم » قلت فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال « فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض على اصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك » والاحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً وذهبت طائفة أخرى من الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من التابعين ثم الأئمة بعدهم الى أن سل السيوف في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب اذا لم يقدر على ازالة المنكر الا بذلك . وهو قول علي بن أبي طالب وكل من معه من الصحابة رضي الله عنهم كعمار بن ياسر وابن عباس وأبي سعيد الخدري وغيرهم وهو قول أم المؤمنين ومن معها من الصحابة كعمرو بن العاص والنعمان بن بشير وأبي العادية السلمي وغيرهم ، وهو قول عبدالله بن الزبير والحسين بن علي ، وهو قول كل من قام على الفاسق الحجاج كعبد الرحمن بن أبي ليلى وسعيد بن جبير وأبي البخري الطائي وعطاء السلمي والحسن البصري والشعبي ومن بعدهم كالناسك الفاضل عبد الله بن عبد العزيز بن عبدالله بن عمر وعبيد الله بن حفص بن عاصم وسائر من خرج مع محمد بن عبدالله بن الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، ومع أخيه ابراهيم بن عبدالله ، وهشيم بن بشير والوراق وغيرهم وقد ذكر ابن كثير في تاريخه عن طاوس عن ابن عباس قال استشارني الحسين بن علي في الخروج الى العراق ، فقلت : لو أن يزري بي وبك الناس لنسبت يدي في رأسك فلم أتركك تذهب ، فكان الذي رد علي أن قال : لأن أقتل في مكان كذا أحب الي من أن أقتل بمكة ، قال : وكان هذا الذي سلى نفسي عنه . وقال غير واحد عن شابة بن سوار : حدثنا يحيى بن اسماعيل بن سالم الاسدي قال سمعت الشعبي يحدث عن ابن عمر انه كان بمكة فباغاه ان الحسين بن علي قد توجه الى العراق فلحقه على مسيرة ثلاث ايام ، فقال أين تريد ؟ قال العراق واذا معه طوامير وكتب ، فقال هذه كتبهم وبيعتهم ، فقال ابن عمر لا تأتهم ، فإني

فقال ابن عمر : أي محدثك حديثاً « إن جبريل أتى النبي ﷺ فخير بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا ، وذلك بضعة من رسول الله ﷺ والله لا يليها أحد منكم أبداً ، وما صرفها الله عنكم الا للذي هو خير لكم » فأبى أن يرجع ، فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال استودعك الله من قتيل

وقال ابوسعيد الخدري : غلبني الحسين بن علي على الخروج وقد قلت له : اتق الله في نفسك ، ولا تخرج على امامك ، والزم بيتك . وقال أبو واقد اللبني بلغني خروج الحسين فأدر كته فناشدته الله أن لا يخرج فإنه يخرج في غير وجه خروج انما يقتل نفسه ، فقال لا أرجع

وقال جابر بن عبد الله : كلمت حسيناً فقلت له : اتق الله ولا تضرب الناس بعضهم ببعض فوالله ما حمدتم ما صنعتم ، فعصاني . وقال سعيد بن المسيب : لو أن حسيناً لم يخرج لكان خيراً له ، وكتب اليه السور بن مخرمة : إياك أن تغتر بكتب أهل العراق ، ويقول لك ابن الزبير : الحق بهم فانهم ناصروك ، إياك ان تبرح الحرم ، فانهم إن كان لهم بك حاجة فسيضربونك آباط الابل حتى يوافوك فتخرج في قوة وعدة ، فجزاه خيراً ، وقال أستخير الله في ذلك

وكتب اليه عبد الله بن جعفر بن أبي طالب كتاباً يحذره أهل الكوفة ، ويناشده الله أن يشخص اليهم ، فكتب اليه الحسين « اني رأيت رؤيا ورأيت فيها رسول الله ﷺ وأمرني بأمر انا ماض له ولست بمخبر بها أحداً حتى ألاقي عملي » وذكر محمد بن سعد رحمه الله بأسانيده : انه لما بايع معاوية الناس ليزيد كان حسين ممن لم يبايع له . وكان أهل الكوفة يكتبون اليه يدعونه الى الخروج اليهم في خلافة معاوية ، كل ذلك يأبى عليهم ، فقدم منهم قوم الى محمد بن الحنفية يطلبون اليه ان يخرج معهم فأبى وجاء الى الحسين يعرض عليه امرهم ، فقال له الحسين إن اقوم انما يريدون ان يأكلوا بنا ، ويستطيعوا بنا ، ويسيطوا دماء الناس ودماءنا

فأقام الحسين على ما هو عليه من الهموم مدة يريد أن يسير اليهم ، ومدة يجمع
الاقامة عنهم ، فجاءه ابو سعيد الخدري فقال : يا ابا عبد الله اني لكم ناصح ،
واني عليكم مشفق ، وقد بلغني انه قد كاتبكم قوم من شيعتكم بالكوفة يدعونك
إلى الخروج اليهم فلا تخرج اليهم ، فاني سمعت اباك بالكوفة يقول « والله لقد
مللتهم وملوني ، وابغضتهم وابغضوني »

وكلمه في ذلك ابو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فلم يطع احداً
منهم وصمم على السير

وقال له ابن عباس : والله اني اظنك ستقتل بين نساءك وولدك كما قتل
عثمان فلم يقبل منه

وكذلك اخوه محمد بن الحنفية نهاه عن ذلك واعلمه ان الخروج ليس له
برأي يومه هذا ، فأبى الحسين ان يقبل فحبس محمد بن الحنفية ولده فلم يبعث معه
أحداً منهم حتى وجد حسين في نفسه على محمد

والمقصود من هذا ان ابن عباس وغيره من الصحابة أنكروا على الحسين
خروجه على يزيد ونهوه عن ذلك خوفاً عليه مما جرى عليه وعلى أهل بيته ، ولكن
لا راد لما قضى الله

وما جرى على الحسين رضي الله عنه وعلى أهل بيته مما يعظم الله به أجورهم ،
ويرفع به درجاتهم رضي الله عنهم أجمعين .

وأهل السنة يبغضون يزيد ومنهم من يلعنه ، ليس كما يظنه المعترض فيهم
وبرمهم به ، من بغضهم علياً وأهل بيته ، يعرف ذلك كل من طالع كتب القوم



فصل

﴿ بيان مذهب الزيدية من البدع ﴾

« وأقوال المحدثين في الامام زيد بن علي وبرائتهم من الشيعة »

واما قوله (ومن عجائب الانحراف عن آل محمد ان عالم اهل السنة والجماعة الذهبي لما عدد في ميزانه المذاهب الاسلامية قال : مامعناه عن يحيى بن معين - وللزيدية مذهب بالحجاز وهو معدود من مذاهب أهل البدع. فهذا يخبرك بان علماء اهل السنة والجماعة لم يعرفوا طريقة اهل بيت رسول الله ﷺ الى آخره)

فيقال : هذا من اعظم الجهل فان علماء اهل السنة والجماعة خصوصاً أئمة الحديث كيجي بن معين وأشباهه من أخبر الناس باحوال الرجال ويقولون الحق الذين يدينون الله به لا يخافون في الله لومة لائم، فاذا كان للزيدية مذهب ينسبونه الى زيد بن علي - وأهل العلم يعرفون كذبهم واقتراءهم عليه في ذلك - ينوه اذا كان ذلك مخالفاً لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما كان عليه علماء اهل البيت كعلي وابن عباس ، وليس كل من انتسب إلى احد من اهل البيت او غيرهم من الأئمة يكون صادقا في انتسابه اليهم ونقله عنهم ، فهؤلاء الروافض الذين يسبون الشيخين وجمهور الصحابة ويكفرونهم ينتسبون إلى علي وأولاده ، ويقولون : نحن شيعة آل محمد، أفكانوا صادقين في ذلك ؟ كلا بل هم اعداؤهم حقاً، واهل البيت برآء منهم ، وكذلك اليهود والنصارى ينتسبون إلى أنبيائهم ويزعمون انهم على دينهم وعلى طريقتهم ، وهم قد باينوا أشد البايئة

وكذلك أهل البدع من هذه الامة ينسبون مذاهبهم الباطلة إلى رسول الله ﷺ او إلى اصحابه، وكلام علماء اهل الحديث والسنة في زيد بن علي وأمثاله من علماء اهل البيت معروف مشهور .

قال ابو حاتم البستي: لما ذكر قتل زيد بن علي بالكوفة قال: كان من أفضل أهل البيت وعلمائهم، وكانت الشيعة تنتحلها انتهى.

ومن زمن خروج زيد أفرقت الشيعة الى رافضة وزيدية، فنه لما سئل عن ابي بكر وعمر فترحم عليهم رفضه قوم، فقل: رفضتموني، فسموا رافضة لرفضهم اياه، ولا يبغض علماء اهل الحديث ويتكلم فيهم الا من هو من اهل البدع والكذب والفجور. وقد تقدم كلام احمد في ابن ابي قتيلة لما قيل له ان أصحاب الحديث قوم سوء، فقام احمد ينفض ثوبه ويقول: زنديق زنديق، يعني انه لا يتكلم فيهم إلا من هو منافق لان الله حفظ بهم الدين، وميزوا بين صحيح الاخبار وسقيمها ولهذا قل احمد بن هارون الفلاس: اذا رأيت الرجل يقع في يحيى بن معين فعلم انه كذاب يضع الحديث

وقال ابن حجر- في كتاب تهذيب التهذيب في معرفة الرجل: زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب أبو الحسين المديني روى عن أبيه وأخيه وأبي جعفر الباقر وابان بن عثمان وعروة بن الزبير وعبيد الله بن ابي رافع، روى عنه ابنه حسين وعيسى وابن أخيه جعفر بن محمد والزهرى والاعمش وشعبة وسعيد بن هشيم^(١) واسماعيل وزيد اليمامي وزكريا بن ابي زائدة وعبد الرحمن بن الحارث بن عياش بن ابي ربيعة وابو خالد عمرو بن خالد الواسطي وابن ابي الزناد، وعده ابن حبان في الثقات. وقال: روى عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ، وقال السدي عن زيد بن علي « ان رافضة حربي وحرب بني في الدنيا والآخرة »

وروى الحافظ ابو الحجاج المزي باسناده عن الفضل بن مرزوق قال سألت عمر بن علي وحسين بن علي: هل فيكم انسان مفترضة طاعته؟ فقال لا، والله ما هذا فينا من قال هذا فهو كذاب، فقلت لعمر بن علي رحمك الله انهم يزعمون أن النبي

(١) في تهذيب التهذيب: سعيد بن خيثم

ﷺ أوصى الى علي، وان عليا أوصى الى الحسن، وان الحسن أوصى الى الحسين،
وان الحسين أوصى الى ابنه علي، وابنه علي أوصى الى ابنه محمد بن علي؟ فقال «والله
لقد مات أبي فما أوصى بحرفين، ما لم قاتلهم الله، والله ان هؤلاء إلا متأكلة بنا»
وقال يحيى بن سعيد الانصاري: سمعت علي بن الحسين وكان أفضل
هاشمي رأيته يقول «أحبونا حب الاسلام فما برح بنا حكم حتى صار علينا عاراً»
فانظر رحمك الله الى ما نقله أهل العلم عن أهل البيت علي بن الحسين وأولاده
يتبين لك أن الشيعة من الرافضة والزيدية هم المنحرفون عن آل محمد
لأهل السنة والحديث

فصل

وأما قوله (وباليت شعري هل سمع ابن معين من رسول الله ﷺ انه عد
مذهب أولاده من البدع؟)

فهذا من عظيم جهل المعارض وافتراءه على ابن معين وغيره من أهل السنة
والجماعة، فان ابن معين لم يقل ان مذهب زيد بن علي وآبائه وأجداده من البدع
بل قال ما نقله عنه المعارض: والزيدية مذهب بالحجاز وهو معدود من مذاهب
أهل البدع. يعني بذلك الزيدية الذين ينتسبون إلى زيد بن علي وليسو على طريقته
ومجرد الانتساب إلى زيد أو غيره من أهل البيت لا يصير به الرجل متبعاً
لطريقتهم حتى يعرف طريقتهم ويتبعهم عليها، كما قال الحسن البصري رحمه الله
في قوله ﷺ «المرء مع من أحب» ان اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم فلا تغتروا.
وابن معين رحمه الله سمع حديث رسول الله ﷺ انه قال «من أحدث في
أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» فهذه كلمة جامعة بين فيها ﷺ ان كل من أحدث
مخالف أمر الله ورسوله فهو مردود عليه. وكذلك قوله في حديث العرابض بن

سارية « وإياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة » والرسول ﷺ أعطي جوامع الكلم، فأفاد أمته وأعلمهم صلوات الله وسلامه عليه « ان كل بدعة ضلالة » فإذا تبين لأهل العلم ان طائفة من طوائف الزيدية أو غيرهم خالفوا ما عليه رسول الله ﷺ وأصحابه — بينوا للناس أنهم اهل بدعة وضلالة لئلا يفتربهم الجاهل كما بينوا فساد مذهب الرافضة المنتسبين الى علي وأولاده ، وكذلك بينوا فساد مذهب القدرية المنكرين ان يكون الله خالق اعمال العباد وقدرها عليهم، وكذلك بينوا فساد مذهب الخوارج الذين كفروا علياً وعمان ومن والاهما ، وهم مع ذلك ينتسبون الى الرسول ﷺ والى ابي بكر وعمر ويتولونها ويستدلون بآيات من القرآن لاتدل على ما قالوه

وهذا الجاهل يظن ان من انتسب الى زيد بن علي وغيره من اهل البيت لا يذم ولا يعاب، ولو خالف الكتاب والسنة. وهذا جهل عظيم لا يمتري فيه إلا من اضله الله وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ، نعوذ بالله من الخذلان

فصل

الشيعية المعتدلون من أئمة الحديث

وأما قوله (ومن رموه بالتشيع أهل السنة والجماعة المذكورون علي بن المديني شيخ البخاري وعبد الرزاق الصنعاني وأحمد بن عقدة والدارقطني والحاكم الخ) فيقال : هذا مما يبين لك معرفة اهل الحديث بأحوال الرجال وبمدحهم عن التعصب والهوى ، وهؤلاء الأئمة الذين عددتهم هم عند اهل السنة والجماعة من أئمة العلم يقتدون بهم ، ويأخذون عنهم ، ويرحلون اليهم، ولو كان فيهم بعض التشيع الذي لا يخرجهم عن ان يكونوا أئمة هدى يقتدى بهم ، والتشيع الذي

لا يخرج صاحبه عن الحق لا يذم به صاحبه ولا يخرج عن اهل السنة والجماعة
فان لفظ التشيع ليس مذموما في الشرع ، بل قل تعالى لما ذكر نوحا عليه السلام
قل بعده (وان من شيعته لابراهيم) أي من اهل دينه، وانما صار مذموما عند اهل
السنة لما كان اهل البدع كالرافضة وأمثالهم الذين يسمون أنفسهم الشيعة يقولون
نحن شيعة آل محمد، وهم قد كذبوا في ذلك بل هم أعداؤهم لانهم خالفوا هديهم
وسلكوا غير طريقهم

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « ان آل ابي فلان ليسوا
لي باولياء، انما ولي الله وصالح المؤمنين »

فصل

﴿ افتراء الشيعة على اهل السنة الانحراف عن آل البيت وتولي الدول الجائرة ﴾

وأما قوله (وسبب انحراف من ذكر عن اهل البيت وشيعتهم انهم تولوا
اليوم الدول الجائرة وأطاعوهم وصححوا ولايتهم واستدلوا على ذلك باحاديث
كثيرة رويها ، فلما سمعها اهل بيت رسول الله ﷺ وجدوها مخالفة لكتاب
الله تعالى في قوله (إني جاعلك للناس إماما ، قل ومن ذريتي ؟ قل لا ينال عهدي
الظالمين) وقوله (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) وقوله (وما كنت
متخذ المضلين عضدا) إلى غير ذلك من الآيات الكريمة ونظروا في الاحاديث
الموجبة لطاعة أئمة الجور فوجدوها قد رواها خصومهم تقريرا لمذهبهم ، ووردوا
للتاعدة التي قررها اهل الاصول وأهل الحديث في انه لا يجب على الخصم قبول
رواية خصمه فيما يقرر مذهبه الذي يرى خصمه انه عنده بدعة)

فيقال: الجواب عن هذا الكلام من وجوه (أحدها) ان هذا كذب على

أهل السنة والجماعة لا يمتري فيه أحد عرف مذهبهم ، وطالع كتبهم ، فأنهم لم ينحرفوا عن أهل البيت ، بل من أصول الدين عندهم محبة أهل البيت النبوي وموالاتهم والصلاة عليهم في الصلاة وغيرها ، ولو ذهبنا نذكر نصوصهم في ذلك لطال الكلام جداً

(الثاني) أنهم لم يتولوا الدول الجائرة كما ذكره هذا المعتبر ، بل هم يبغضونهم ويكرهونهم ويسمونهم ظلمة وأئمة جور ، وإنما أوجبوا طاعتهم إذا أمروا بطاعة الله ورسوله ويستدلون على ذلك بأحاديث ثابتة عن رسول الله ﷺ منها أنه قال « على المرء السمع والطاعة ما لم يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » وثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس عن النبي ﷺ قل « من رأى من أميره شئنا يكرهه فليصبر ، وإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبراً فيموت إلا ويموت ميتة جاهلية »

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة من رواية أهل البيت وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم بأسانيد ثابتة بمقتل العدول من أهل الحديث

(الوجه الثالث) أن أهل السنة والجماعة لم يصححوا ولا يتهموا إلا إذا تولوا على الناس وبإيعامهم على ذلك أهل الشوكة وأهل الحل والعقد ، فإذا كان كذلك صحت ولايته ، ووجبت طاعته في طاعة الله ، وحرمت طاعته في المعصية ، ولكن لا يجوزون الخروج عليه ، ومحاربة بالسيف لأن ذلك يتول إلى الفتن العظيمة ، وسفك الدماء ، والهرج الكثير ، هذا الذي عليه أهل السنة والجماعة ، وهذا القول هو الذي تدل عليه النصوص النبوية ، وعليه كثير من أهل البيت

(الوجه الرابع) أن قوله في الأحاديث التي يستدل بها أهل السنة على السمع والطاعة لولي الأمر : فلما جمعها أهل البيت وجدوها مخالفة لكتاب الله كذب ظاهر على أهل البيت عليهم السلام ، فإن كثيراً من أهل البيت مذهبهم مذهب

أهل السنة والجماعة في هذه المسئلة ، هذا الحسن بن علي رضي الله عنه أنخاع لما وية رضي الله عنه وبايعه ، وأمر كل من بايعه وبايع أباه بمبايعة معاوية ، والسمع والطاعة له ، وهو عند هذا المعترض وأمثاله من أئمة الجور . وأما عند أهل السنة والجماعة فهو من خيار ملوك الاسلام وأعدلهم وأحسنهم سيرة ، ونهى أخاه الحسين عند موته عن طاعة سفهاء الكوفة .

وهذا ابن عباس وهو من أئمة أهل البيت نهى ابن عمه الحسين رضي الله عنه عن الخروج ، وكذلك محمد بن الحنفية وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم ، وهؤلاء من أئمة أهل البيت وقد تقدم النقل عنهم بذلك . وذكرنا من رواه من الأئمة (الوجه الخامس) أن أهل السنة رحمهم الله بينوا أن هذه الأحاديث المروية عنهم في السمع والطاعة لولي الامر هي الموافقة لكتاب الله حقاً لا تخالفه بل القرآن يصدقها ويدل على مادلته ، لأن الجميع من عند الله . والرسول ﷺ أعلم بكتاب الله من أهل البدع ، وكذلك أصحابه وأهل بيته . قال العلماء : كان جبريل ينزل على النبي ﷺ بالسنة كما ينزل بالقرآن ، وقد أمر الله بطاعة رسوله ﷺ في القرآن في أكثر من سبعين موضعاً ، وأخبر أن من يطع الرسول فقد أطاع الله وقد أمر الله بطاعة أولي الامر في القرآن فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) الآية ، قال أئمة التفسير : هم العلماء والأمراء (الوجه السادس) أن هذه الآيات التي ذكرناها تخالف هذه الأحاديث قد بين أهل التفسير معناها وليس فيها ما يخالف كلام الرسول ﷺ ولا ما يدل على مراد هذا المعترض واشباهه من أهل البدع كالحوارج والمعتزلة ، ونحن نذكر كلام أئمة التفسير رحمهم الله في هذه الآيات لنبين بطلان ماذهب إليه هذا المعترض .

قال أبو حيان رحمه الله في تفسيره المسمى بالبحر : والعهد - يعني في الآية -

الإمامة، قاله مجاهد، أو النبوة قاله، السدي، أو الأمان، قاله قتادة، وروى عن السدي واختاره الزجاج، أو الثواب، قاله قتادة أيضا، أو الرحمة، قاله عطاء، أو الدين، قاله الضحاك والربيع، أو لا عهد عليك لظالم أن تطيعه في ظلمه، قاله ابن عباس، أو الأمر من قوله (إن الله عهد البنا - لم أعهد إليكم) أو إدخاله الجنة من قوله «كان له عهد عند الله أن يدخله الجنة» أو طاعتي^(١) قاله الضحاك، أو الميثاق، أو الأمانة، والظاهر من هذه الأقوال أنها الإمامة لأنها هي المصدر بها، فأعلم الله إبراهيم عليه السلام أن الإمامة لا تنال الظالمين. انتهى كلامه

وقد جمع لك كلام المفسرين في هذه الآية في هذا المختصر ولم يذكر أحد من المفسرين أن الآية تدل على الخروج على ولي الأمر ومقاتلته بالسيف وأنه لا يطاع إذا أمر بطاعة الله وطاعة رسوله، وأهل السنة أهل عدل وانصاف واتباع للحق لأنهم لم يأمرُوا بطاعة ولي الأمر في المعصية بل أمرُوا بطاعته إذا أمر بطاعة الله، فإذا أمر بالمعصية فلا سمع له ولا طاعة. لسكن لا يجوز الخروج عليه (٢) ولا يكون عندهم إماما في الدين إذا كان ظالما. والآية تدل على أن الظالم لا يكون إماما في الدين، وليس فيها ما يدل على أنه إذا غضب الناس وتولى عليهم وصار معه أهل الشوكة وأهل الحل والعقد لا يجوز طاعته في الطاعة ومبايعته، فيتمين بما ذكرنا أن هذه الآية ليس فيها دليل على ما ذهب إليه أهل البدع والله أعلم. وأما الآية الثانية التي احتج بها وهي قوله تعالى (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) فقال أبو العالية: في معنى لا تركنوا إلى الذين ظلموا

(١) هذا تفسير لكلمة (عهدي) من الآية وبقيّة الالفاظ تفسير للعهد فيها غير مضاف (٢) لأن خروج الناس عليه والشوكة بيده مدعاة للفتن الداخلية واقتتال الأمة بما يجعل بأسها بينها ويقوي أعداءها عليها، ولكن عدم طاعتها له في المعصية تضطره إلى التزام الشريعة. وأما أهل الحل والعقد فيجب عليهم إقرار الإمامة في قرارها الشرعي إذا قدرُوا

فتمسك النار . قال المعنى لا ترضوا باعمالهم . وقال ابن عباس : معنى الركون الميل ، وقال السدي وابن زيد : لا تداهنوا الظلمة وقال سفيان : لا تدنوا من الذين ظلموا ، وقال جعفر الصادق (الى الذين ظلموا) إلى انفسهم فانها ظالمة ، وقيل لا تشبهوا بهم . ذكر هذه الاقوال كلها ابو حيان النحوي في تفسيره البحر ، ولم يذكر أحد من المفسرين ان الآية تدل على ان الظالم إذا تولى على الناس وقهرهم بشوكته وسلطانه لا نصح ولايته ، ولا يجوز طاعته ، إذا امر بطاعة الله ، وجميع أهل السنة والجماعة متفقون على ان الركون الى الظلمة لا يجوز على ما فسره علماء التفسير ، كابن عباس وابي العالمية ، فلا يجوز الميل اليهم ، ولا الرضا باعمالهم التي تحالف كتاب الله وسنة رسوله ، وكذلك لا يجوز مداھنتهم ، بل ينكر عليهم ما فعلوه من المنكر بلسانه اذا قدر على ذلك ، فان لم يقدر انكره بقلبه ، كما في الحديث المرفوع أنه لما ذكر الظلمة قال «من انكره فقد سلم ، ومن كرهه فقد برى» ، ولكن من رضي وتابع » (١) فتبين بما ذكرناه ان الآية لا تدل على ما ذهب اليه هذا المعترض ومن نحا نحوه من أهل البدع

واما الآية الثالثة وهي قوله تعالى (وما كنت متخذ المضلين عضدا) قال أهل التفسير (المضلين) يعني الشياطين لانهم الذين يضلون الناس (عضدا) قول قتادة: اعوانا يعضدونني اليها ، والعضد كثيراً ما يستعمل في معنى العون ، وذلك ان العضد قوام اليد ، ومنه قوله (سنشد عضدك باخيك) أي سنعينك ونقويك به ، فهذا إخبار عن كمال قدرته واستغنائه عن الانصار والاعوان ، والله تبارك وتعالى لا يحتاج إلى إغاثة أحد من خلقه ، بل هو الغني عما سواه ، وكل ما سواه فقير اليه ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، فهل في هذه الآية ما يدل على مقصود هذا المعترض الجاهل بوجه من الوجوه (الوجه السابع) ان يقال : احتجاجة بهذه الآيات على معارضة الاحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ في السمع والطاعة لولي الامر ومناصحته من جنس

احتجاج الخوارج واشباههم على بطلان ولاية علي وامامته ، بقوله تعالى (لن اشركت ليجبطن عملك) وقوله (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون) وانما أتوا من قلة معرفتهم بتفسير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ومن جنس احتجاج الرافضة ومن نحائهم على كفر الصحابة وظلمهم بقوله تعالى (من یرتد منكم عن دینه) وكذلك احتجاجهم على امامة علي بعد رسول الله ﷺ بقوله تعالى (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) الآية ، وكذلك احتجاج الجهمية والمعتزلة على نفي الصفات الواردة في القرآن والسنة بقوله تعالى (هل تعلم له سميا) وقوله (ليس كمثل شيء) وكل هذه الآيات لا تدل على مذهبوا اليه ، وانما تدل على ما جمع عليه سلف الامة ونعمتها من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ، لان القرآن يصدق بعضه بعضا ، وكذلك الاحاديث يصدق بعضها بعضا والسنة الصحيحة لا تخالف الكتاب لان الجميع من مشكاة واحدة (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)

(الوجه اثنامن) أن يقال قوله (ونظروا في الاحاديث الموجبة لطاعة ائمة الجور فوجدوها قدرواها خصومهم عنه) كذب ظاهر ، وتمويه على الجهال الاصاغر ، فن الاحاديث التي فيها السمع والطاعة لولي الامر قدرواها جماعة كثيرة من الصحابة من أهل البيت وغيرهم ، ولم يردوا علماء اهل البيت بل تلقوها بالقبول كما تقدم النقل عنهم بذلك^(١) وبينا ان اهل البيت اختلفوا في جواز الخروج على ائمة الجور

(١) بقي شيء آخر وهو أن رواة الاحاديث الذين دونوها ومحصوا اسانيدها ليسوا خصوما فيها لآل البيت ولا للشيعنة وغيرهم من المبتدعة بل يروون عن كل من ثبت عندهم عدالته في الرواية وان كان مخالفا لهم في بعض الاصول والفروع لا يتصرون مذهب أحد في الرواية فالجهد منهم بروي كل ما سمعوا من الرواة ويتبع ما صح عنده بحسب فهمه ومن نشأ على مذهب كالذهبي والمزي وابن حجر العسقلاني لا يأتون ان يصحح ما خالف مذهبهم وأن يوافق ما وافقه ، فتعجب الاسانيد عندهم مقدم على كل شيء ، وعلماء الشيعة المتعصبون من الزيدية والامامية يعلمون هذا ولكنهم يوهمون عوامهم ان حفاظ الحديث خصوم لهم ليةطعوا طريق الادلة الصحيحة عابهم

فمنهم من يرى ذلك ويفعله ، ومنهم من لا يرى ذلك ولا يفعله ، بل ينهى عنه ويكرهه ، ولو لم يكن إلا فعل الحسن رضي الله عنه لكفى به تكذيبا لما حكاه هذا المعارض ، ولكن هذا وأشباهه من اهل البدع ينتسبون إلى اهل البيت وينقلون مذاهبهم الباطلة عنهم فينسبونها اليهم ، ويكذبون عليهم ، ولا يميزون بين الصدق والكذب ، فلا نقل صحيح ، ولا عقل مليح ، نسأل الله العفو والعافية

فصل

(في اهواء الشيعة والخوارج في حديث الردة وحديث الوصية بآل البيت)

واما قوله : (ولقد قرر هذا الواقع على اهل بيت رسول الله ﷺ ما حذر عنه الامة والصحابة من لا ينطق عن الهوى ﷺ فيما أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله ﷺ قال « انكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلا » . الحديث وكذلك حديث ابن مسعود وما في معناها ، وكذلك قوله : وقد فسر هذين الحديثين للذين ذكرهما ﷺ بمخالفة كتاب الله عز وجل ، واهل بيت رسول الله ﷺ ما أخرجه الطبراني في الكبير عن زيد بن ارقم قوله ﷺ « اني لكم فرط » الحديث وما في معناه من الاحاديث)

فالجواب عن ذلك من وجوه (أحدها) ان يقال حديث ابن عباس وحديث ابن مسعود المتفق عليهما وما في معناهما من الاحاديث الصحيحة (١) قد رواها اهل العلم ، وفسروها بان المراد بها الذين ارتدوا بعد موت رسول الله ﷺ فقاتلهم ابو بكر الصديق والصحابة معه ، كاصحاب مسيلمة الكذاب والاسود الغنسي وطلحة ومن معهم من قبائل العرب ، فجهز ابو بكر رضي الله عنه الجيوش وأمر عليهم خالد بن الوليد ، وقاتلهم حتى قتل منهم على الردة جماعة كثيرة ، ودخل

(١) التي فيها أن بعض من برد عليه ﷺ الخوض تذودهم الملائكة ويملئون طردهم بقولهم له ﷺ إناك لا تدري ما أحدثوا بعدك فيقول « بعدا لهم وسحقا »

بقيتهم في الاسلام ضوعا وكرها، وظهر مصداق ما أخبر الله به في كتابه حيث قال (يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) الآية . قال الحسن البصري رحمه الله: هم والله ابوبكر واصحابه

وقد روى البخاري في صحيحه تفسير ذلك بما ذكرنا فقتل في ترجمة مرهم من (احاديث الانبياء) قال الفربري عن ابي عبدالله البخاري عن قبيصة قال: هم الذي ارتدوا على عهد ابي بكر فقاتلهم ابوبكر، يعني حتى قتلهم وماتوا على الكفر قال الخطابي: لم يرتد من الصحابة أحد، وإنما ارتد قوم من جفلة الاعراب ممن لا بصيرة له في الدين، وذلك لا يوجب قدحا في الصحابة المذكورين

قال الحافظ ورجح عياض والباجي وغيرهما ما قاله قبيصة راوي الخبر، ولا يبعد أن يدخل في ذلك أيضا من كان في زمنه من المنافقين، كما في حديث الشفاعة «وتبقى هذه الامة فيها مناقوها» فدل على انهم يحشرون مع المؤمنين

(الوجه الثاني) ان يقال: الخوارج ومن سلك سبيلهم يمحلون هذه الاحاديث على علي رضي الله عنه ومن والاه، ويقولون انهم ارتدوا واشركوا فكما انهم مخضون ظالمون في ذلك فكذلك الروافض والشيعة الذين يمحلون هذه الاحاديث على أصحاب رسول الله عليه السلام كابي بكر وعمر وجهور الصحابة، او على معاوية ومن قاتل معه عليا، بل قولهم أظهر فسادا وابعد عن الحق والصواب من قول الخوارج، فان كان كلامهم صحيحا فكلام الخوارج أقرب إلى الصحة

(الوجه الثالث) ان أهل البيت الذين ذكروا في حديث زيد بن أرقم وما في معناه هم قرابة رسول الله عليه السلام الذين حرمت عليهم الصدقة قال: علي وآل جعفر وآل العباس وآل ابي لمب، كما أخبر بذلك زيد بن أرقم وهو راوي الخبر كما ذكر ذلك مسلم في صحيحه والامام احمد في مسنده وغيرهما من أهل الحديث وهذا لفظها وروايتها: حدثنا اسماعيل بن ابراهيم عن ابي حيان الليثي حدثني يزيد بن حبان قال انطلقت انا وحصين بن سبرة وعمرو بن مسلم الى زيد بن أرقم،

فلما جلسنا إليه قال له حصين: لقد لقيت يازيد خيراً كثيراً رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت معه، لقد لقيت يازيد خيراً كثيراً حدثنا يازيد ما سمعت من رسول الله ﷺ فقال: يا ابن أخي والله لقد كبر سني، وقدم عهدي، ونسيت بعض الذي كنت أعني من رسول الله ﷺ، فحدثتكم فقلوه، وما لا فلا تكلفوني. ثم قل: قام فينا رسول الله ﷺ يوماً خطيباً بآء يدعي (خما) بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه وذكر وعظ ثم قل «أما بعد: ألا إياها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب، وإني تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور فخذوا بكتب الله واستمسكوا به» فحث على كتاب الله ورغب فيه وقال «وأهل بيتي، اذكركم الله في أهل بيتي» فقال له حصين: ومن أهل بيته يازيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قل: إن نساءه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم «صدقة بعده». قال ومن هم؟ قل هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس، قال: أكل هؤلاء حرم الصدقة؟ قل نعم. فانظر رحمك الله إلى كلام الصحابي راوي الخبر، وإخباره أن أهل البيت كل من حرم الصدقة بعده^(١) والرافضة والشيعة تحمل هذه الأحاديث على آل علي خاصة (الوجه الرابع) أن يقال هذه الأحاديث أكثرها مطعون في صحتها لا تقوم بها حجة. والصحيح منها لا يدل على مقصود هذا المعارض وأشباهه من أهل البدع، وذلك لأن مدلولها يعلم أهل البيت، كآل علي وآل العباس وآل عقيل وآل جعفر وغيرهم ممن حرمت عليه الصدقة، وتدل على أن إجماعهم حجة وأنهم لا يجمعون على مخالفة كتاب الله وسنة رسوله. وأما إذا اختلفوا لم يكن قول أحدهم حجة على الآخر بل يجب الرد عند التنازع إلى الله وإلى الرسول كما قال تعالى (فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً)

(١) والتحقق أنهم بنو هاشم وبنو المطلب

(الوجه الخامس) ان يقال الذين ظلموا اهل البيت وقتلهم او اُحداً منهم هم عند اهل السنة والجماعة أئمة جور وظلم لا يحبونهم ولا يوالونهم بل يبغضونهم ويعادونهم ، ويلعنون من ظلمهم . وهذه كتبهم محشوة باثماء على اهل البيت والدعاء لهم والترضي عنهم ، وذم من ظلمهم ، ولو ذهبنا نذكر نص كلامهم اطال الكتاب جداً فتبين بما ذكرنا ان مذهب اهل السنة والجماعة هو الحق الذي لا يجوز العدول عنه ، وان مذهب الرافضة والزيدية هو المخالف لكتاب الله وسنة رسوله ، ولما اجمع عليه اهل البيت النبوي . والله أعلم

فصل

﴿ في تفسير (قل لا أسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى) ﴾

واما قوله (واما أدلة السائل وحجته على ان معتمده وطريقه إلى جده ﷺ اهل الحق ، أعني اهل البيت سلام الله عليهم في الكتاب والسنة . أما الكتاب فأيات قد أضاء نورها ، أولها قوله تعالى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً) وقوله (قل لا أسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى) ووجه الدلالة ان الله لا يأمر بمودة من ليس على الحق - إلى آخره)

فيقال هذا من تمويهه على الجهال الذين لا يميزون بين الحق والباطل ، وليس كل من احتج بالقرآن يدل على ما احتج به عليه وانما يعرف معاني القرآن والسنة اهل العلم من الصحابة والتابعين لهم باحسان كابن عباس رضي الله عنهما وعلي بن الحسين ومن شابههم من اهل العلم الذين يعرفون مراد الله ورسوله

وقد صح عن ابن عباس انه فسر قوله تعالى (قل لا أسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى) بان المراد بذلك أن يصلوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ من قرابة ويكفوا عنه الاذى ويدعوه ببلغ رسالات ربه ، كما قال البخاري في صحيحه : حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة

سمعت طاوساً عن ابن عباس أنه سئل عن قوله (إلا المودة في القربى) فقال سعيد بن جبيرة، قربي آل محمد. فقال ابن عباس عجلت، إن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة، فقال «إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة» انفرد به البخاري. ورواه الامام احمد عن يحيى القطان عن شعبة به. قال ابن كثير: وهكذا روى عامر الشعبي والضحاك وعلي بن أبي طلحة والعمري ويوسف ابن مهران وغير واحد عن ابن عباس، وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة والسدي رواه الطبراني باسناده عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا أسألكم عليه أجراً إلا أن تودوني في نفسي لقرايتي منكم وتحفظوا القرابة التي بيني وبينكم» وروى الامام احمد باسناده عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال «لا أسألكم على ما آتيتكم من الميقات والهدى أجراً إلا أن تودوا الله وتقرّبوا اليه بطاعته» هكذا روى قتادة عن الحسن البصري عن ابن عباس مثله، وهذا كما أنه تفسير بقول ثابث وقول ثالث، وهو ما حكاه البخاري وغيره عن سعيد بن جبيرة ما معناه أنه قال: معنى ذلك أن تودوني في قرايتي، أي تبرؤهم وتحسنوا اليهم. قال ابن كثير: والحق تفسير الآية بقول خبر الامة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس كما رواه عنه البخاري^(١) ولا ننكر الوصاة باهل البيت والامر بالاحسان اليهم واحترامهم

(١) نعم هذا هو الحق وما عداه باطل مخالف لنصوص القرآن القطعية الناطقة بأن رسل الله تعالى لم يسألوا على تبليغ وحي الله ودينه أجراً بل صرحوا بأن أجراً على الله وحده كما تراه في قصص الرسل في سورتي هود والشعراء وغيرها وما كان خاتم النبيين بدءاً من الرسل فما ينبغي له وهو افصاهم أن يسأل قومه أجراً على تبليغ الدين أن يودوا قرابته واكثر البشري يسعون ويكدحون لاجل أدلي قرايتهم وقد حكي الله تعالى عنه ذلك كما حكي عنهم في سور الانعام ويوسف والفرقان وسبأ وص والشورى وفيها استثناء (الا المودة في القربى) وهو استثناء منقطع قطعاً لثلاث تخالف مع بقية الآيات التي جاءت على أصل العقيدة في سائر الرسل عليهم السلام. فمعناها: لا أسألكم عليه أجراً مطلقاً ولكن أسألكم المودة في القرابة وصلة الرحم بيني وبينكم كسائر الاقربين. كما استثنى في آية الفرقان (الا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً)

واكرامهم ، فانهم من ذرية طاهرة ، وأشرف بيت وجد على ظهر الارض فخراً ، وحسباً ونسباً . ولا سيما اذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجليلة ، كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه ، وعلي وأهل بيته وذويه . ثم ذكر ابن كثير رحمه الله الاحاديث في وصية رسول الله ﷺ بهم وساقها من وجوه متعددة

فصل

﴿ في تفسير (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) وتحريف الشيعة لها ﴾
وأما قوله (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيرا) فقال الحافظ ابن كثير في تفسيره . هذا نص في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت لانهم سبب نزول هذه الآية وسبب النزول داخل فيه قولاً واحداً . اما وحده على قول أو مع غيره على الصحيح .

وردى ابن ابي حاتم باسناده عن ابن عباس في قوله (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) قال نزلت في نساء النبي ﷺ . وقال عكرمة من شاء باهلهن انها نزلت في أزواج النبي ﷺ ، فان كان المراد أنهم سبب النزول دون غيرهن فهذا حق ، وإن كان المراد انها لاتعم غيرهن ففي هذا نظر ، فانه قد وردت أحاديث تدل على ان المراد أعم من ذلك ، ثم ساق الاحاديث بطولها . انتهى معنى ما ذكره ابن كثير . ومن تدبر القرآن لم يشك ان نساء النبي ﷺ داخلات في قوله (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) لان سياق الكلام معهن ^(١) ولهذا قال

(١) التحقّق المتبادر من الايات انها في نساء النبي وحدهن دون غيرهن
واما ذكر الضمير في قوله (ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) لدخوله (ص) معهن في ذلك وليكون ما اراد من التشديد عابن هذه الموايا وحكمته هو تطهير بيته (ص) مما يدنسها بانحرافهن عن صراط التقوى (برأهن الله من ذلك) ومن المعلوم بالبداهة أن الرجل لا يلحقه من العار بارتكاب احد اولاد عمره لفاحشة ما مثل ما يلحقه باقتراف زوجه لفاحشة

بعد هذا كله (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) أي واعلمن بما نزل الله على رسوله في بيوتكن من الكتاب والسنة . قاله قتادة وغير واحد من المفسرين وعائشة بنت الصديق رضي الله عنها وعن أبيها أولاهن بهذه النعمة ، وأحظاهن بهذه الغنيمة ، فنه لم ينزل على رسوله ﷺ الوحي في فراش امرأة سواها ، كما نص على ذلك رسول الله ﷺ . قل بعض العلماء لانه لم يتزوج بكراً غيرهما ، ولم يتم معهما رجل في فراشها غيره ﷺ ، فناسب أن تخص بهذه المزية ، وأن تفرد بهذه المرتبة العلية وانقصود ان هذه الآية تنقض مذهب هذا المعارض وترد عليه وتنادي ببطالان مذهبه من وجوه كثيرة (منها) نها عامة في جميع أهل البيت كآل العباس وآل جعفر وآل الحارث بن عبد المطلب ، وهو إنما يظن أن المراد بها آل علي خاصة . ومنها أن أزواجه داخلات في جملة أهل البيت ، وهم يزعمون ان عائشة ومن معها من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين مخطئون عاصون في قتالهم علياً وأصحابه (ومنها) أنه ليس فيها دليل على عصمة أهل البيت ، لان العلماء رحمة الله عليهم ذكروا أن الارادة في القرآن نوعان : إرادة شرعية دينية ، وإرادة قدرية كونية . فلأولى كقوليه في هذه الآية (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) وقوله (يريد الله ليبين لكم بهديكم سنن الذين من قبلكم) الآية وقوله (ولكن يريد ليظهركم وليتم نعمته عليكم) وأخبر أنه يريد أن يتوب على المؤمنين ويظهرهم ، وفيهم من تاب ومن لم يتب ومن تضرع ومن لم يتضرع ، فلا يكون فيها دليل على العصمة ولا الامامة (١)

وأما الارادة الكونية القدرية فكقوله (من يريد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يريد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً) الآية . وقوله (ومن يريد الله فتنته فإن تملك له من الله شيئاً) وقوله (وإذا اردنا ان نهلك قرية) الآية (١) ومثله في حكمة الرخصة في الصيام (يريد الله بكم اليسر) الآية

وقوله (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض) الآية . وهذه هي الكلمات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر .

ولفظ (الرجس) أصله القذر ، ويراد به الشرك كقوله تعالى (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) ويراد به الخبائث المحرمة كقوله (أولحم خنزير فانه رجس) ونحن نقطع أن الله أذهب عنهم الرجس والخبائث ، فمن تاب وقع ذنبه مكفراً أو مغفوراً له فقد طهره الله تطهيراً ،

فتبين بما ذكرنا ان الآيات التي احتج بها قد أضاء نورها في بطلان ما ذهب اليه هذا المعترض وهو المطلوب

فصل

﴿ في أهواء الشيعة في مناقب أحاديث آل البيت ﴾

وأما قوله (وأما الاحاديث ففي الترمذي عن زيد بن أرقم قوله عليه السلام « اني تارك فيكم ما إن استمسكتم به لن تضلوا بعدي » الى آخره ، وكذلك حديث أبي سعيد الذي أخرجه ابن أبي شيبة وابن سعد وأحمد ، وكذلك حديث أبي ذر « مثل اهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح في قومه » الى آخره ، وكذلك حديث ابن الزبير ، وكذلك حديث أبي سعيد وغيره مما ذكر)

(فالجواب) أن يقال : قد تقدم الجواب عن حديث الثقلين وما في معناه قريباً ، وبيننا انها لا تدل على مقصود هذا المعترض بل تدل على نقيض مقصوده وانما تدل على أن إجماع اهل البيت حجة وانهم لا يجمعون على باطل ، لان الله عصمهم من ذلك كما عصم هذه الامة أن تجتمع على ضلالة . وهذا قول طائفة من أصحاب احمد وغيره ، ذكره القاضي في المعتمد

ومن العجب قوله قال بعض اهل التحقيق ان حديث الثقلين متلقى بالقبول

والامة مجمعة على صحة هذا الحديث . وهذا كذب ظاهر ، فان حديث زيد بن ارقم الذي في صحيح مسلم الذي فيه ذكر اثني اثنين قد طعن فيه غير واحد من اهل العلم بالاحاديث والاخبار ، كأبي حاتم الرازي وأبي داود السجستاني ، فأهل الحديث اختلفوا في صحته ، فصححه بعضهم وطعن فيه بعضهم فضلاً عن جميع الامة وأما الاحاديث الأخرى التي ذكرها فليست في دواوين الاسلام المعتمدة كالصحيحين والسنن الاربعة ، وانما يروونها بعض اهل الحديث المتأخرين الذين يروون الصحيح والضعيف والموضوع ، وعلى تقدير صحتها فليس فيها حجة على العصمة ولا على الامامة لانها عامة في جميع أهل البيت . ومعلوم أن بني العباس من أهل البيت وهم عند هذا المعارض من أئمة الجور والظلم ، فمدلول هذه الاحاديث يناقض مذهب هذا المعارض وأشباهه من أهل البدع والله أعلم

فصل

وأما قوله (فلنرجع إلى الكلام على السؤال والجواب واظهار ما فيه من خطأ وصواب) وقوله في الجواب (اعلم أن قولنا في هذه الآيات وما أشبهها من آيات الصفات الواردة في القرآن العزيز والاحاديث الواردة في الصحاح وغيرها هو مذهب السلف الصالح ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين إلى آخره ، ثم قال معترضاً عليه : أقول قد تحجرت واسعاً . قل الله تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) فقد جعلت سيد المرسلين الذي هو رحمة للعالمين رحمة لك ولاهل مذهبك ، وللمتسمين باهل السنة والجماعة خاصة ، وأضفته إلى رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم وجعلتهم سلفاً لك ولاهل نحلتهك ، فيا ليت شعري أين تضع أهل بيت رسول الله ﷺ وقد أخرجتهم عن أن يكون سلفهم جدهم ﷺ وأصحابه وتابعيهم لما فسرُوا كتاب الله وتأولوا صفات الله على ما تقتضيه لغة العرب ، فقد قل تعالى

«قرأنا عربيا غير ذي عوج» فلقد فرقت بين النبي ﷺ وآله وقطعت ما وصله الله ورسوله، وخالفت قوله ﷺ فيما قاله لعلي «اما»^(١) تكون رابع أربعة: أول من يدخل الجنة أنا وأنت، والحسن والحسين، وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا، وذرياتنا خلف أزواجنا» أخرجه الثعلبي واحمد في المناقب، وفي رواية أخرى أخرجه بعد ذكر الذرية «وأشباعنا عن أيماننا وشمائلنا» إلى آخره

(فالجواب) أن يقال في هذا الكلام من الكذب والزور والظلم أنواع كثيرة (الاول) قوله قد تحجرت واسعا، قال الله تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) وقد جعلت سيد المرسلين الذي هو رحمة للعالمين رحمة الك ولاهل مذهبك. وهذا كذب ظاهر على المحيب لانه لم يخص أحداً معيناً بل أخبر ان مذهبه في هذه الآيات وما أشبهها من الاحاديث مذهب السلف الصالح ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين، فهذا كلامه صريحاً في تكذيب هذا المعارض

(الثاني) قوله : فقد جعلت سيد المرسلين الذي هو رحمة للعالمين رحمة لك ولاهل مذهبك، وهذا أيضاً كذب ظاهر على المحيب لان ظاهر كلامه على صريحه يناقض ما ذكره هذا المعارض، وكل من اتبع كتاب الله وسنة رسوله من جميع الطوائف فهو عنده من أهل الرحمة الناجين، ولا يخالف في هذه المسئلة أحد من أمته ﷺ لامن أهل السنة ولا من أهل البدعة، وانما الشأن في تحقيق هذه الدعوى بالعمل وقد قال تعالى في كتابه (ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) الآية فدلّت هذه الآية الكريمة على ان كل من أطاع الله ورسوله من الاولين والآخرين فهو من أهل الجنة الناجين (الثالث) قوله وللمتسمين باهل السنة والجماعة خاصة. وهذا أيضاً كذب على

المحيب، لان الذي ذكر المحيب - كما نقله هو عنه - انه ما درج عليه رسول الله ﷺ

(١) كذا في الاصل وامله «أما نرضى أن نكون الخ» أو نحو هذا

وأصحابه والتابعون ومن اتبع سبيلهم من الأئمة وأهل الحديث وسائر العلماء الذين لهم لسان صدق عند الأئمة، وهم أهل السنة. فهذا كلام الحبيب بحروفه وهو ظاهر في كذبه واقترانه عليه، والحبيب يعلم أن كثيراً من أهل البدع يسمون أنفسهم أهل السنة والجماعة وليسوا كذلك بل هم مخالفون للسنة الثابتة عن رسول الله ﷺ ولجماعة أهل الحق، كالخوارج والمعتزلة الذين يسمون أنفسهم أهل العدل والتوحيد، وهم في الحقيقة أهل ظلم وشرك.

وكذلك الروافض والشيعة الذين يسمون أنفسهم شيعة آل محمد وهم أعداء آل محمد في الحقيقة كما أن اليهود والنصارى يدعون اتباع الأنبياء وينتسبون إليهم وهم أعداؤهم حقاً، ولهذا امتحنهم الله تبارك وتعالى بهذه الآية الكريمة لما ادعوا محبة الله (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) الآية

(الرابع) قوله في البيت شعري أين تضع أهل بيت رسول الله ﷺ فقد أخرجتهم عن أن يكون سلفهم جدتهم ﷺ وتابعيهم وهذا من أظهر الكذب والفجور على الحبيب، لأن أهل بيت رسول الله ﷺ هم أئمة وسلفه فيما ذكر لأنه بين في كلامه أن مذهبه ما درج عليه رسول الله ﷺ وأصحابه وتابعوه إلى يوم الدين، فابن في هذا أنه أخرج أهل بيت رسول الله ﷺ من هذه الجملة، بل صريح كلامه أنهم داخلون فيمن انتسب إليهم، لأن قوله وأصحابه وتابعوه إلى يوم الدين، يعم فيدخل فيه علي وسبطا رسول الله ﷺ وابن عباس وأبوه العباس وغيرهم من أهل البيت الذين اتبعوا سلفهم الصالح، فكيف يقول هذا الكاذب الفاجر أن الحبيب أخرجهم من هذه الجملة ؟

وأما قوله فقد أخرجتهم عن أن يكون سلفهم جدتهم ﷺ وأصحابه وتابعيهم لما فسروا كتاب الله وتأولوا صفات الله على ما تقتضيه لغة العرب فقد قال تعالى (قرآنا عربيا غير ذي عوج) فالحبيب إنما أخرج من هذه الجملة أهل البدع

والضلال الذين يكذبون على رسول الله ﷺ وأهل بيته، وينسبون أقوالهم الباطلة اليهم، ويتأولون كتاب الله على غير تأويله وعلى غير مفسره به الصحابة والتابعون، بل يحرفون الكلم عن مواضعه كفعل اليهود والنصارى كالجهمية والمعتزلة، ومن شابههم من هذه الامة: الخوارج والشيعة الذين يعطون صفات الله ويصفونه بصفات المحدثات، ويجحدون ما وصف الله به نفسه او وصفه به رسوله ﷺ، او يتأولونه على غير ما دل عليه عند علماء العربية.

والمقصود انه بين في كلامه ان المذهب الصحيح 'اصواب في مسألة الصفات هو ما درج عليه رسول الله ﷺ واصحابه ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين، والحق لا يخرج عنهم. بل الحق يدور معهم حيث داروا، لان الطرق كلها مسدودة إلى الله وإلى جنته إلا من طريقه صلوات الله وسلامه عليه. وهذا مجمع عليه بين فرق الامة وإنما الشأن في تحقيق الدعوى وتحقيق المنقول عنه صلوات الله عليه، والتمييز بين الصحيح والكذب، وأهل العلم كلهم من جميع الفرق يتفقون على أن طريقة أهل التأويل مبتدعة ابتدعها أوائل الجهمية والمعتزلة الذين أخذوها عن الصابئين من المشركين أعداء الاسلام، ولا تؤثر عن أحد من السلف الصالح لا عن رسول الله ﷺ ولا عن أهل بيته ولا عن أحد من اصحابه ولا التابعين لهم باحسان، وإنما حدثت هذه البدعة في اواخر دولة بني امية - امر العلماء - كالحسن البصري وغيره من أهل العلم - بقتل من ابتدعها وهو الجعد بن درهم، فضحى به الامير خالد بن عبد الله القسري بواسطة بالعراق، فخطب الناس وقال «أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فاني مضح بالجعد بن درهم، انه يزعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً» ثم نزل فذبحه لانكاره الخلة والتكليم، وذلك ان أهل البدع يزعمون ان الله لا يتكلم ولا يجب خلقه، ولا يخلل احداً، ويزعمون ان هذا من صفات المخلوقين، ويتأولون الآيات التي فيها، ان الله يتكلم او يجب او يتخذ

إبراهيم خليلًا على غير مدلولها كما ذكر ذلك أهل العلم من أهل التواريخ وغيرهم، فقد خالفت ما عليه رسول الله ﷺ وأهل بيته والتابعون لهم بإحسان، واتبعت سبيل المبتدعة الضالين، وذممت طريقة رسول الله ﷺ وأصحابه وكل من اتبعهم وزعمت أنها تقتضي التشبيه والتجسيم، ومدحت طريقة جهم بن صفوان وجهم بن درهم، وزعمت أنها هي الحق الذي يجب اتباعه، ونسبتها بجهلك إلى رسول الله وأهل بيته. وقد ذكر البخاري رحمه الله في كتابه (خلق أفعال العباد) قصة جهم بن صفوان وجهم بن درهم، وكان جهم أخذ هذا المذهب عن الصابئين، وأخذ عنه الجهم بن صفوان. قال رحمه الله حدثنا قتيبة حدثني القاسم بن محمد بن حبيب بن أبي حبيب عن أبيه عن جده قال شهدت خالد بن عبد الله القسري بواسط في يوم الاضحى وقال «ارجعوا وضجوا تقبل الله منكم فاني مضح بالجهم بن درهم، زعم ان الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا، ولم يكلم موسى تكليمًا، سبحانه وتعالى عما يقول الجهم بن درهم علواً كبيراً» ثم نزل فذبحه. قال أبو عبد الله بلغني ان جهما كان يأخذ هذا الكلام عن الصائبة

فصل

وأما قوله: فلقد فرقت بين النبي ﷺ وقطعت ما وصله الله ورسوله. فهذا كذب واقتراء على الحبيب، لا يمتري فيه ذو قلب منيب، وذلك ان الحبيب قرر في كلامه مذهب السلف الصالح وهو ما عليه رسول الله وأصحابه، وذكر الأدلة على ذلك من كلام الله وكلام رسوله وكلام أهل العلم. وإنما الذي قطع ما أمر الله به أن يوصل وفرق بين رسول الله ﷺ هم أهل البدع والضلال الذين شاقوا الله ورسوله من بعد ما تبين لهم الهدى واتبعوا غير سبيل المؤمنين، فأولئك يوليهم الله ما تولوا، ويصليهم جهنم وساءت مصيراً، ولو ادعوا اتباعهم، وانتحلوا طريقهم كذباً واقتراء عليهم

فصل

(زعم الزيدي ان الوهابي كفر من خالف مذهبه ، وابطأه)

وأما قوله : أولم تدر انك ضللت وكفرت من خالف مذهبك استناداً إلى الاوزاعي الذي يدعي ان الحق معه ، وان التابعين أجمعوا على ما ادعاه (فالجواب) أن يقال في هذا الكلام من الكذب والظلم والجهل أنواع كثيرة (الاول) قوله انك ضللت وكفرت من خالف مذهبك في مسألة الصفات فان الامة اختلفوا في هذه المسائل اختلافاً كثيراً ولم يكفر بعضهم بعضاً ، وانما يكفرون من خالف نص كتاب أو سنة ، وقامت عليه الحجة واعتقد أن الحق خلاف ذلك . وأما نحن فلم نكفر أحداً بهذه الامور ، وانما كفرنا من أشرك بالله وعبد معه غيره وقامت عليه الحجة واستهزأ بالدين الذي جاء به محمد ﷺ من عند الله أو شيء منه أو كرهه وأبغضه . والادلة على ذلك كثيرة في الكتاب والسنة كقوله تعالى (ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) وقال تعالى لنبيه ﷺ (لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) وقال تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مآدون ذلك لمن يشاء) وقال تعالى (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء) الآية . وقال تعالى (قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون ؟ لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم) وقال تعالى (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم)

(الثاني) قوله استناداً إلى الاوزاعي الذي ادعى ان الحق معه لان الاوزاعي رحمه الله لم يدع أن الحق معه ، بل ذكر ان مذهبه هو ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه وما أجمع عليه التابعون . ومعلوم ان الحق معهم لا يمتري في ذلك مسلم . وإذا تنازع الناس في مسألة من المسائل الاصولية والفروعية فالصواب

والحق مع من كان الدليل معه كأننا من كان

(الثالث) قوله وان التابعين أجمعوا على ما ادعاه ، لان الاجماع في هذه المسئلة قد حكاه غير واحد من أهل العلم ، كمحمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة وأبي عمر ابن عبد البر وغيرهما ، فثبت عن محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة أنه قال « اتفق الفقهاء من الشرق والغرب على أن الايمان بالقرآن والاحاديث التي جاء بها النقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب عز وجل من غير تفسير ولا تشبيه فمن فسر شيئاً من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ وفارق الجماعة فانهم لم يصفوا ولم يفسروا ولكن آمنوا بما في الكتاب والسنة . فمن قال بقول جهيم فارق الجماعة » انتهى

فانظر رحمك الله الى هذا الامام كيف حكى الاجماع في هذه المسئلة ؟ ولاخير فيما خرج عن إجماعهم ولو لزم انتجسيم عن السكوت عن تأويلها لفروا منه فانهم أعرف الامة بما يجوز على الله وما يمتنع عليه . وثبت عن اسماعيل بن ابراهيم بن عبد الرحمن الصابوني انه قال « ان اصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة يعرفون ربهم تبارك وتعالى بصفاته التي نطق بها كتابه وتنزيله وشهد بها رسوله ﷺ على ما وردت به الاخبار اصحاح ونقله العدول النقات ، ولا يعتقدون تشبيهها لصفاته بصفات خلقه ولا يكييفونها تكييف المشبهة ، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه تحريف المعتزلة والجهمية » وقد أعاد الله اهل السنة من التحريف والتشبيه ، ومن عليهم بالتفهيم والتعريف حتى سلكوا سبيل التوحيد والتتريه ، وتركوا القول بالتشبيه ، واكتفوا بنفي النقائص بقوله عز وجل (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) وبقوله تعالى (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) فتبين بما ذكرنا بطلان قول المعارض ! استدلالك بما رواه الازاعي من الاجماع آحادي ولا يجوز تكفير المسلمين إلا بقطعي المن والدلالة

فصل

وأما قوله (انك ادعيت أن الذي تذهب اليه ترك انتعرض لتفسير آيات الصفات ، والاوزاعي روى خلاف ماتدعي فانه قل . كنا والتابعون تتر بان الله فوق عرشه . وإذا اثبت اتباعون والاوزاعي الفوقية لله على العرش فقد فسروا (١) فكأنهم قالوا معنى قوله (الرحمن على العرش استوى) أي كان فوقه ، وأنت تقول انك لا تتعرض لتفسير آيات الصفات ، فما الجامع بين كلامك وكلام الاوزاعي والتابعين ؟ فكيف تستدل به على تكفير المسلمين ؟)

(فالجواب) أن يقال هذا الكلام من المعترض مما يدل على جهله وقلة معرفته بكلام الأئمة ومراهم ، فإن كلام الاوزاعي وغيره من أهل السنة معناه أنهم لا يفسرون ولا يكتفون صفات الله بالاستواء على العرش والنزول والمجيء والغضب والرضا والمحبة وغير ذلك من الصفات ، فيقولون مثلاً في الاستواء : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والایمان به واجب والسؤال عنه بدعة ، كقول الامام مالك ابن أنس رحمه الله ، فقليل له يا أبا عبد الله (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى ؟ فاطرق مالك وعلاه الرضاء - يعني العرق - وانتظر انقوم مايجي منه فرفع رأسه اليه وقال الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والایمان به واجب والسؤال عنه بدعة ، وأحسبك رجل سوء ، وأمر به فأخرج . ومن أول الاستواء بالاستيلاء فذاك هو الذي فسر ، وهذا تأويل الجهمية والابتدعة الضالين وهم أئمة هذا المعترض الذين فارقوا ما عليه أصحاب رسول الله ﷺ وابتدعوا في الدين ما لم يأذن به

(١) التفسير في اللغة المبالغة في توضيح ما فيه خفاء وهذا المعنى كان يذكره المتقدمون فقول الاوزاعي بعدم تفسير الصفات الالهية أنهم يرونها على ظاهر مدلول اللغة مع اعتقاد تنزيهه تعالى عن مشابهة خلقه

الله ، وبالدليل على أن مذهب السلف ما ذكرنا أنهم نقلوا إلينا القرآن العظيم وأخبار رسول الله ﷺ نقل مصدق لها يؤمن بها غير مرتاب فيها ولا شك في صدق قائلها ولم يفسروا ما يتعلق بالصفات بتأويل ولا غيره ولا شبهوه بصفات المخلوقين اذ لو فعلوا شيئاً من ذلك لعقل عنهم ولم يجز أن يكتم بالكلية ، اذ لا يجوز التواطؤ على كتمان ما يحتاج الى نقله ومعرفة ، لجريان ذلك في القبح مجرى التواطىء على نقل الكذب وفعل مالا يحل ، بل بلغ من مباغتهم في السكوت عن هذا أنهم كانوا اذا رأوا من يسأل عن التشابه بالغوا في كفه وزجره ، تارة بالقول العنيف وتارة بالضرب وتارة بالاعراض الدال على شدة الكراهة لمثله ولذلك لما بلغ عمر رضي الله عنه أن صبيغاً يسأل عن التشابه أعد له عراجين النخل ثم أمر به فضرب ضرباً شديداً وبعث به الى البصرة ، وأمرهم أن لا يجالسوه فكان بها كالبعير الاجرب لا يأتي مجلساً الا قالوا عزمة أمير المؤمنين فتفرقوا عنه . وقال سعيد بن جبير ما لم يعرفه البديون فليس من الدين .

وثبت عن الربيع بن سليمان قال سألت الشافعي رضي الله عنه عن صفات الله تعالى ، فقال : حرام على العقول أن تمثل الله تعالى ، وعلى الاوهام أن تحده ، وعلى الظنون أن تقطع ، وعلى النفوس أن تفكر ، وعلى الضمائر أن تتعمق ، وعلى الخواطر أن تحيط ، وعلى العقول أن تعقل الا ما وصف الله به نفسه أو على لسان نبيه ﷺ . وثبت عن الحميدى أبي بكر عبد الله بن الزبير انه قال . أصول السنة فذكر أشياء - ثم قال وما نطق به القرآن والحديث مثل (وقات اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم) ومثل (والسموات مطويات بيمينه) وما أشبه هذا من القرآن والحديث ولا يزيد فيه ولا ينقصه . ونقف على ما وقف عليه القرآن والسنة ، ونقول (الرحمن على العرش استوى) فمن زعم غير هذا فهو جهمي فذهب السلف رحمة الله عليهم اثبات الصفات واجراؤها على ظاهرها

ونفي الكيفية عنها، لان الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات واثبات الذات اثبات وجود لا اثبات كيفية، وعلى هذا مضى السلف كلهم . ولو ذهبنا نذكر ما أطلعنا عليه من كلام السلف في ذلك لخرج بنا عن المقصود في هذا الجواب، فن كان قصده الحق واطهر الصواب اكتفى بما قدمنا . ومن كان قصده الجدال والقبيل والقال والمكبرة لم يزد التطويل الا ضلالا . والله الموفق للصواب

فصل

﴿ في انكار الزيدي صفة العلو والفوقية لله تعالى والرد عليه ﴾

واما قوله (وأنت ايضا قد ناقضت كلامك بكلامك حيث قلت وذلك مثل وصف نفسه تبارك وتعالى بانه فوق السموات مستو على عرشه فقد فسرت كتاب الله واثبت لله صفة وهي الفوقية المستلزمة للتجسيم ، وليست الفوقية مذكورة في قوله (لرحمن على العرش استوى)

(فالجواب) أن ينقل قد ذكرنا ان تفسير الصفات الذي نفينا في كلامنا ، وذكرنا نفيه عن السلف هو تأويل آيات الصفات وأحاديثها بتأويلات الجهمية والمعتزلة الذين يفسرون الاستواء بالاستيلاء والفوقية بالقهر ، واليد بالنعمة ، وما أشبه ذلك ، ويفسرونها بتفسير المشبهة الذين يقولون استوى كاستواء المخلوق على سريره ، ويفسرون اليد بالجراحة كجراحة المخلوق فكل هذا من التفسير المردود المبتدع المحدث في الدين ، ولم ينقل هذا عن أحد من السلف باسناد صحيح ولا ضعيف حتى ان المخالفين لهم في ذلك يقرون بان مذهب السلف في آيات الصفات وأحاديثها امرارها كما جاءت من غير تعرض لتفسير او تأويل مع نفي التشبيه عنها ويقولون هذا أسلم . وأما مذهب الخلف فهو تأويلها وتفسيرها بما يليق بالله سبحانه فحصل الاتفاق من الموافق والمخالف على ان مذهب السلف ما ذكرنا والله الحمد والمنة

وأما وصف الرب بالفوقية فقد صرحت الآيات الكريمات بذلك وكذلك الاحاديث الثابتة المتواترة ، وأجمعت عايه الامم عربهم وعجمهم لان الله فطرهم على ذلك إلا من شذ واجتالته الشياطين عن فطرته التي فطره الله عليها ، وهذا كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ وعامة كلام الصحابة والتابعين ثم عامة كلام سائر الامة مملوء بما هو إما نص وإما ظاهر في أن الله هو العلي الاعلى ، وانه فوق كل شيء ، وانه عال على كل شيء ، وانه فوق العرش ، وانه فوق السماء مثل قوله (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه - إني متوفيك ورافعك إلي - أأنتم من في السماء - تعرج الملائكة والروح اليه - يخافون ربهم من فوقهم - ثم استوى على العرش) في ستة مواضع إلى أمثال ذلك مما لا يحصى إلا بكلمة ياسبحان الله ، كيف لم يقل الرسول ﷺ يوما من الدهر ، ولا أحدا من سلف الامة : هذه الاحاديث والآيات لا تعتقدوا مادلت عليه لكن اعتقدوا الذي تقتضي مقاييسكم فإنه الحق ، وما خالفه فلا تعتقدوه وانفوه . ولازم هذه المقالة أن يكون ترك الناس بلا رسالة خيراً لهم في اصل دينهم لان مردمهم قبل الرسالة وبعدها واحد ، وإنما الرسالة زادتهم شقاء وضلالا ، ونحن لم نصف الله بالفوقية وإنما هو سبحانه هو الذي وصف نفسه بذلك ، فبطل قول المعترض وكلامه صريح بانه اتبع ما قاله الله ورسوله ، وان الله هو الذي وصف نفسه بذلك .

وأما قوله فقد فسرت كتاب الله - فهذا كذب واقتراء على المجيب ، يعرفه كل منصف ليديب ، وهذا المعترض لا يستحي من كثرة الكذب ، نعوذ بالله من ارتكاب الهوى والتعصب على الباطل المذين يصدان عن اتباع الحق وإرادته .

وقوله : وأثبت لله صفة وهي الفوقية المستلزمة للتجسيم - كذب ظاهر ، لان إثبات الفوقية لا يلزم منه ذلك عند من قل به ، والله سبحانه وتعالى اعلم من خلفه بما يجوز عليه وما يمتنع عليه ، ولكن هذا شأن اهل البدع والضلال ، يردون ماجاء

به الرسول ﷺ من عند الله بهذه الامور القبيحة، كما ان الجهمية أنكروا تكليم الله لموسى عليه السلام وغيره من خلقه، وزعموا ان انقرآن مخلوق، قالوا لان الكلام إذا أطلق على ظاهره يلزم منه الجسم، وكذلك أنكروا رؤية الله في الآخرة، وزعموا ان المړثيات لا تكون إلا جسما، ولهذا لما ظهرت الفتنة في امارة المأمون العباسي وامتحن العلماء بالضرب والحبس على أن يقولوا القرآن مخلوق، وأن الله لا يرى في الآخرة، وجرى امور عظيمة، وقتلوا بعض العلماء، وضربوا الامام احمد لما امتنع من القول بذلك، ولما ناظره برغوث تلميذ حسين النجار بان الله لو كان متكلمًا لكان جسما، قل الامام احمد: لا أدري ما تقولون، ولكن أقول (الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) فأجابهم الامام احمد بطريقة الانبياء واتباعهم وهو الاعتصام بكتاب الله، وترك البدع والمقاييس التي لم يأت بها كتاب ولا سنة والله سبحانه وتعالى أعلم

فصل

وأما قوله (إن روايتك عن الازاعي مرسله لم تذكر طريقها ولا مخرجها ولا من صححها فكيف تكفر بها المسلمون ؟) (فالجواب) ان يقال هذا المعارض لا يعرف معنى المرسل عند أهل الحديث ولا يميز بينه وبين المقطع أو المعضل، لان هذا لا يسمى مرسلا، وانما المرسل ما أرسله التابعي عن النبي ﷺ وسقط الصحابي كما اذا روى سعيد بن المسيب أو الزهري أو الحسن أو مكحول وأماهم عن النبي ﷺ وأما مثل هذا فلا يسمى مرسلا وانما يسمى معضلا أو منقطعا . ويقال أيضا استنادنا في هذه المسئلة ليس إلى قول الازاعي خاصة ولا إلى قول من هو أجل من الازاعي، وانما استنادنا في هذه المسئلة وأمثالها من صفات الله إلى نصوص الكتاب والسنة

واجماع أهل العلم من السلف الصالح ، فقد نقل الاجماع في هذه المسئلة غير واحد كما تقدم التنبيه عليه

وقوله : فكيف يكفر بها المسلمين ؟ فيا سبحان الله ؛ كيف تغتري الكذب الظاهر على الحبيب ؛ فقد بينا فيما تقدم اننا لم نكفر أحداً بالجهل في هذه المسئلة أعني تأويل آيات الصفات وأحاديثها ومخالفة ما عليه السلف ، ولا نكفر إلا من أنكر ما علم بحجىء الرسول ﷺ به ضرورة

فصل

وأما قولك (ان الاوزاعي الراوي لذلك الاجماع قد ناقض نفسه فقد حكي عنه الذهبي انه قال لانعلم أحداً ينسب إلى القدر من التابعين أجل من الحسن ومكحول رحمهما الله)

فالجواب : ان هذا المعترض لا يعرف المناقضة لان اثبات القدر او نفيه من باب اثبات فعل العبد لله تعالى او نفيه ، لامن باب تفسير الصفات وتأويلها . والذي ذكره الاوزاعي عن التابعين اثبات الصفات لله تبارك وتعالى وعدم تفسيرها وتأويلها ، فأين في هذا ما يناقض ما ذكره الاوزاعي في قوله : كنا والتابعون متوافرون نقول إن الله فوق عرشه ، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته ، وقد رواه البيهقي وغيره باسناده عن الاوزاعي

واثبت خلق الله تعالى للاشياء المخلوقة لا ينازع فيه أحد من الناس حتى عبدة الاوثان يقرون بذلك كما أخبر الله عنهم بقوله (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون) وقوله (قل من يرزقكم من السماء والارض — إلى قوله — ومن يدبر الامر ؟ فسيقولون الله فقل أفلا تتقون) وانما نازع من نازع من المعتزلة في فعل العبد خاصة . فلم تنزلة ينكرون ان الله خلق أفعال العباد خيرها وشرها

وفي صحيح مسلم ان أول من قل ذلك بالبصرة معبد الجهني، فلما ذكر ذلك لعبد الله بن عمر تبرأ منه . واستدل على اثباته بما سمعه من رسول الله ﷺ في اثبات القدر حين سأله جبريل عليه السلام عن الاسلام والايمان والاحسان، كما ذكر ذلك مسلم في اول كتاب الايمان من صحيحه . وكذلك ابن عباس ثبت عنه انه تبرأ ممن أنكر ذلك

ومن العجب قوله (وأيضاً ينتقض بما روي عن عامر الشعبي التابعي انه قال إن أحببنا أهل البيت هلكت دنيانا ، وإن أبغضناهم هلك ديننا)

فإن المناقضة في هذا الكلام يا جاهل . وأهل السنة كلهم يحبون آل محمد مع اثباتهم لصفات الله تعالى التي نطق بها القرآن .

فإن قلت ان أهل البيت ينكرون هذه الصفات ، وبأولون ظواهر هذه الآيات طالعناك بصحة النقل عنهم بذلك . وهبهات لأن أهل البيت لا يفارقون كتاب الله ولا يخالفونه كما ورد في الحديث انه قل « وإن يفرقا حتى يردا علي الحوض » كما تقدم في حديث زيد بن ارقم وغيره . وأنت لا تنكرن ظواهر الآيات والاحاديث المذكورة فيها صفة الرب بصفاته العلى وأسمائه الحسنى، كالعلي الاعلى، واه فوق عرشه استوى، وانه فوق عباده، ولم ينقل عن أحد من الصحابة انه فسر هذه الآيات بتفسير الممتزلة والجهمية الذي يذهب اليه هذا المعترض، ولا قلوا للناس اعلوا ان ظاهراً هذه النصوص غير مراد فلا تعتقدوه فانه يقتضي امثليه واتجسيم ، بل سكتوا عن ذلك ووصى بعضهم بعضاً بالسكوت عنها، وانما فسرهما وتناولها أهل الضلال والبدع وما أحسن ما قل عمر بن عبد العزيز ابن عبد الله بن ابي سلمة الماحشون : عليك بلزوم السنة فانها لك باذن الله عصمة فإن السنة انما جاءت ليستين بها . ويقتصر عليها ، وانما سنها من قد علم ما في

خلافها من الزلل والخطأ والحق والتمقق، فأرض لنفسك بما رضوا به فانهم عن علم وقفوا، وببصرنا قد كفوا، ولهم كانوا على كشفها أقوى، وبتفصيلها كانوا أخرى، وانهم لهم السابقون. وقد بلغهم عن نبيهم ما يجري من الاختلاف بعد القرون الثلاثة. فلئن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبتموهم، ولئن قلتم حدثت بعدكم، فما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم واختار ما حتمه فكره على ما تلقوه عن نبيهم، وتلقاه عنهم من اتباعهم بإحسان، ولقد وصفوا منه ما يكفي، وتكلموا منه بما يشفي، فمن دوسهم مقصر، ومن فوقهم مغرط، ولقد قصر دوسهم أناس فجفوا، وطمح آخرون فغلوا، وأنهم فيما بين ذلك إلى هدى مستقيم

فصل

﴿ في مسألة القدر واثبات السلف والخلاف أهل السنة له ﴾

وأما قوله (وقد روي اتكلم في القدر عن محمد بن سيرين وقتادة — إلى قوله — ومن تكلم في القدر فقد تكلم في الصفات، وسواء كان من جانب المعتزلة كالحسن ومكحول ومن ذكر أو من جانب الاشعرية، فمن التابعين من هو سلف للاشاعرة. وقلنا ان اتكلم في القدر تكلم في الصفات إذ معناه عند الحسن ومكحول ان الله تعالى متصف بعدم خالق أفعال العباد أي لم يؤثر فيها، ومن أثبت لله خلق الأفعال فقد وصف الله بأنه مؤثر فيها. وهذان المذهبان قد اشتهرا وشاعا في التابعين. فمنهم المذهب المعتزلة كالحسن ومكحول ومن ذكرنا ومنهم المذهب الاشعرية)

(فالجواب) من وجوه (أحدها) ان يقل : اثبات القدر او نفيه ليس من باب اثبات الصفات ولا تفسيرها عند اثبتين ولا عند النافين كما تقدم التنبيه عليه، وانما ذلك من باب إثبات الفعل والخلق، فالمعتزلة ينفون ان الله قدر أفعال العباد ويقولون ان الله لا يقدرها عليهم ثم يعذبهم عليها، وانما يكون ذلك ابتداء من

عند انفسهم، ويوردون على ذلك شبهات من الكتاب والسنة
وأما السلف وأهل السنة ومن اتبعهم من أتباع الأئمة الاربعة من الاشعرية
وغيرهم فيثبتون ان الله قدر افعال العباد وشاءها منهم، ولا يكون في ملكه إلا
ما يريد. ويستدلون على ذلك بالآيات القرآنية الصريحة في ان الله خلق العباد
وأعمالهم كقوله تعالى (والله خلقكم وما تعملون) وقوله (إنا كل شيء خلقناه
بقدر) وقوله (ومن يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً)
وبالاحاديث الصحيحة الصريحة المتواترة عن رسول الله ﷺ بأن الله قدر
اعمال العباد وان كلاميسر لما خلقه كما قال تعالى (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى
فسيؤتاه الله أجره الكثير) * وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسيؤتاه الله العسرى)
(الوجه الثاني) ان يقل هؤلاء الذين ذكرهم مع المعتزلة للحسن وابن
سيرين ومكحول كلهم قد صح عنهم الايمان بالقدر وإثباته موافقة لأهل السنة
وان كل قد نسب إلى بعضهم موافقة المعتزلة فليس كل ما ينسب الى شخص يكون
ثبته عنه ، فليس مجرد نسبة بعض الناس اليهم ذلك يكون صدقا. وذلك لان
المعتزلة انما اشتهر امرهم بعدموت الحسن البصري ، لانهم اعتزلوا اصحاب الحسن بعد
موته فسموا المعتزلة لذلك وهم الذين يسمون القدرية لانهم ينكرون ان يكون
الله تبارك وتعالى قرر افعال العباد وشاءها منهم . وغلاتهم ينكرون ان يكون
الله علم ذلك ، ومن أنكر علم الله بذلك فقد كفر عند أئمة أهل السنة ، ولهذا
قل من قال من أئمة أهل السنة : ناظروا القدرية بالعلم فان أنكروه كفروا وان
أقروا به خصموا

(الثالث) ان أهل السنة الذين حكمنا مذهبهم في الصفات وانهم لا يمتنعون
لها بتفسير ولا تأويل بل يثبتونها صفات لله ، ولا يلزم من إثباتهم الصفات لله
انهم يفسرونها او يتأولونها كما انهم وغيرهم يثبتون لله ذاتا وفلا وحياة وقدرة

ولا يكتفونها ولا يفسرونها بل يثبتون ما أثبتته لنفسه ، ويسكتون عما سكت عنه ،
وينزهونه عن مشابهة المخلوقات ، ومذهبيهم وسط بين الغالي فيه والجاهلي عنه ،
فلا يتأولونها تأويل المبتدعة ، ولا يشبهونها بصفات المخلوقين . وقد قال تعالى
(فهدى الله الذين آمنوا لما اختلف فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء
الى صراط مستقيم)

(الوجه الرابع) ان هذا المعترض جزم في كلامه بأن الحسن ومكحولاً ومن
ذكر معهم قد ذهبوا مذهب المعتزلة . وهذا كذب ظاهر عليهم ، فإن كان مراده
ان هؤلاء نسب اليهم القول بمذهب المعتزلة فقد يدنا أن مجرد نسبته اليهم لا يلزم
منه صحة ذلك عنهم ، والمنقول عنهم في ذلك من موافقة أهل السنة والجماعة في
إثبات القدر والايمان به هو الثابت عنهم . وأنت تعلم أن كثيراً من الناس قد
نقل عن علي رضي الله عنه وأهل البيت أشياء كثيرة ونسبوا اليهم أقوالاً قد برأهم
الله منها ، والرسول ﷺ قد نسب اليه أقوال كثيرة وأهل العلم يعرفون انها مكذوبة
عليه . ومن هؤلاء المذكورين من تكلم في شيء من القدر ثم رجع عنه كوهب بن
منبه كما قال الحافظ أبو الحجاج المزني في تهذيبه ، قال احمد بن حنبل عن عبد الرزاق
سمعت أبي يقول « حج عامة الفقهاء سنة مائة وحج وهب بن منبه ، فلما صلوا العشاء
أتاه نفر فبهيم عطاء والحسن بن أبي الحسن وهم يريدون أن يذاكروه في باب من
الحمد ، فما زال فيه حتى طلع الفجر ، فافترقوا ولم يسألوه عن شيء » قال احمد
وكان يتهم بشيء من القدر ورجع

وقال حماد بن سلمة عن أبي سنان قال سمعت ابن منبه يقول كنت أقول
بالقدر حتى قرأت بضعة وسبعين كتاباً من كتب الانبياء في كلها : من جعل الى
نفسه شيئاً من المشيئة فقد كفر . فتركت قولي .

فتبين بما ذكرنا أن جزم هذا المعترض بأن هؤلاء الأئمة المذكورين يقولون
بمقالة المعتزلة كذب ظاهر ، وقول بلا دليل

(الوجه الخامس) ان من المعلوم عند أهل العلم ان أول من تكلم في آيات الصفات وأحاديثها بهذه التأويلات الباطلة المخالفة للظاهر هم المعتزلة والجهمية خاصة . وأما الصحابة والتابعون لهم بإحسان فكلهم متفقون على الايمان بها ، والسكوت عن البحث عن كيفيةها

فصل

وأما قوله (فمن أعجب ما سمعنا قولاك بأن مذهبك الذي درج عليه رسول الله ﷺ كما هو معنى كلامك فان أهل السنة والجماعة هم الذين ملؤا كتبهم بروايات التجسيم لله تعالى والكيفية في الصفات ، وفسروا صفاته ، فلو ادعيت ذلك التنزيه على ما في نفسك لكان أحسن من تحجر الواسع الذي يريد قومك من أهل السنة والجماعة ، فسمع ما رواه السيوطي في الدر المنثور قل : أخرج ابن جرير والحاكم ^(١) وابن مردويه « أن موسى عليه السلام لما كلفه ربه أحب أن ينظر اليه فسأله فقال (لن تراني ولكن انظر الى الجبل) قل فخف حول الجبل الملائكة وحف حول الملائكة بنار ، وحف حول النار ملائكة ، وحف حولهم بنار ، ثم تجلى ربك للجبل ، تجلى منه مثل الخنصر ، وجعل الجبل دكا فخر موسى صمعا » الى آخر الحديث الذي في تفسير قوله تعالى (قال رب أرني أنظر اليك) ثم ذكر حديث ابن عباس نحو ما تقدم . وكذلك أخرج ابو الشيخ عن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال « لما تجلى الله لموسى كان ينظر إلى ديب النمل في الليلة الظلماء من مسيرة عشرة فراسخ » فهذا في التجسيم والتكليف

(فالجواب) أن يقال : كلام هذا المعترض يدل على رسوخه في الجهل العظيم ، واتباعه لأهل البدع والضلال ، وعداوته لله ورسوله وعباده المؤمنين ، وذلك

(١) راجعت المستدرک للحاكم في تفسير قوله تعالى (فلما تجلى ربه للجبل) فلم أجده في المستدرک وهو من رواية ابن اسحاق عن بنى إسرائيل اهن هامش الاصل

ان مثل هذا الذي زعم انه تجسيم وتكييف قد ورد ما هو مثله أو أبلغ منه في كتاب الله وفي الاحاديث الثابتة عن رسول الله ﷺ ، فإذا كان هذا عنده تجسيم وتكييف فلازم كلامه ان الله وصف نفسه بالتجسيم والتكييف ، وكذلك رسوله ﷺ . ومن زعم هذا فقد انسلك من العقل والدين .

فاسمع الآن ما ذكر الله في كتابه . قال الله تعالى (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) وقال تعالى (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك) وقال تعالى (ثم استوى على العرش) في ستة مواضع من كتابه العزيز . وقال تعالى (أأنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض فإذا هي تمور * أم أأنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً) ووصف نفسه بانه يحب عباده المؤمنين . وكذلك وصف نفسه بالغضب والسخط في غير آية من القرآن . وكذلك وصف نفسه بانه سميع بصير ، وبأن له يدين كقوله تعالى (لما خلقت بيدي) وقوله (بل يداه مبسوطةتان) وبأنه يقبض الارض يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ « ان الله يقبض الارض يوم القيامة ويطوي السموات بيمينه ثم يهزهن بيده ، ثم يقول أنا الملك أين ملوك الارض » وقال تعالى (وجاء ربك والملك صفا صفا) وأمثال ذلك كثير في الكتاب والسنة وقد أمرنا الله بتدبر القرآن وتفهمه

إذا تبين هذا فقد أوجب الله تصديق الرسول ﷺ على كل مسلم فيما أخبر به عن الله من أسمائه وصفاته مما جاء في القرآن وفي السنة الثابتة عنه ، كما كان عليه السابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه ، فإن هؤلاء الذين تلقوا عنه القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهم قد أخبروا أنهم كانوا اذا تعلموا من النبي ﷺ

عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قتلوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا . ولم يقل الرسول ﷺ يوما من الدهر ولا أحد من أصحابه فيما بلغنا أن ظواهر هذه الايات وما في معناها من الاحاديث تقتضي التشبيه والتكيف والتجسيم فلا تعتقدوها ، بل أولوها على التأويلات المستكرهه كما يقول من يقوله من الجهمية والرافضة وغيرهم من أهل البدع والضلال بل أطلقوا هذه النصوص وبلغوها لجميع الخلق ، ومعلوم أن في زمانهم الذكي والبايد من أهل البادية والحاضرة والرجال والنساء ، فلم يقولوا لاحد منهم لا تعتقدوا ظواهر هذه النصوص ولافسروها بما يخالف ظاهرها

فهذا سبيل السابقين الاولين من المهاجرين والانصار ومن اتبعهم باحسان الى يوم القيامة ، ومن أعرض عن ذلك واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ماتولى واصلاه جهنم وسأت مصيرا

فصل

﴿ في شبهة تأويل بعض السلف للصفات ﴾

وأما قوله (وأما تفسير الصفات وتأويلها فروى أيضا السيوطي في الدر المنثور في قوله تعالى (وهو شديد المحال) قال اخرج ابن ابي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس في قوله تعالى (وهو شديد المحال) قال شديد القوة . وعنه أيضا : شديد المكر والعداوة وأخرج ابن جرير عن ابن عباس أيضا : شديد الحول . وأخرج ابن جرير عن علي رضي الله عنه قال : شديد الاخذ . وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال : شديد الانتقام . وأخرج أبو الشيخ عن علي قال : شديد الحقد . وأخرج عبد الرزاق وابن أبي حاتم وابن جرير وأبو الشيخ عن قتادة شديد المحال شديد القوة والحيلة انتهى .

قال المعترض فهو لاء الاجلة من الصحابة والتابعين قد روى عنهم من هو إمام في حزبك وسلفك السيوطي ما ترى من تفسير الصفات وتأويلها بل روى التجسيم عن سيد المرسلين ﷺ وقد اشتهر اشتهار الشمس في كتب قومك وسلفك حديث « سترون ربكم كالقمر ليلة البدر » فهل بعد هذا التكييف من بلاء وعي؟ نسأل الله لك الهداية والسلامة من نرغات الشيطان

(فالجواب) من وجوه كثيرة (أحدها) أن يقال ما ذكرت من رواية السيوطي عن ابن عباس وغيره من الصحابة والتابعين ليس من باب تفسير الصفات وتأويلها الذي ينكره أهل السنة والجماعة ، بل فسروها على ظواهر الآيات ووصفوا الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ ، وهذا من أوضح الدلائل في الرد عليك أيها المعترض وعلى أشباهك المنكرين لصفات الله تعالى . فلم يفعلوا فعل الجاهلية النفاة الذين لم يثبتوا لله صفة ولا فعل المثلة المشبهة الذين يشبهون صفاته بصفات خلقه (الوجه الثاني) أن جميع الصحابة والتابعين لهم باحسان يصفون الله بأنه شديد القوة ، وكذلك شديد المكر ، وشديد الاختد ، كما وصف نفسه بذلك في غير آية من كتابه كقوله (ان أخذه اليم شديد) وقوله (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) وقال (ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) وقال (ان ربك لشديد العقاب وانه لغفور رحيم) وقال (أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة) فيمرون هذه الآيات على ظواهرها ويعرفون معناها ولكن لا يكتفونها ولا يشبهونها بصفات المخلوقين . هذا مجمع عليه بينهم والله الحمد والمنة

فاين في هذا ما يدل على أنهم أولوا صفات الله بتأويلات الجهمية والمعتزلة والرافضة ومن نحاحهم ممن أزاغ الله قلبه واتبع التشابه وترك المحكم كما قال تعالى (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله) والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوالباب *

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب)
جعلنا الله وسائر إخواننا ممن يقول هذه المقالة التي علمنا الله إياها، وأعاذنا من طريق
المغضوب عليهم والضالين .

فاما المغضوب عليهم فيكون الحق ولا يريدونه مع معرفتهم به. وأما الضالون
فالجاهل الذين جهلوا الحق فلم يعرفوه بل عملوا على جهل وذكر المفسدون ان المراد
من المغضوب عليهم اليهود لانهم عرفوا الحق معرفة تامة وتركوا اتباعه. والمراد
بالضالين النصارى لانهم عبدوا الله على جهل ، وقد نزه الله نبيه عن هذين الوصفين
فقال تعالى (والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى)

وقد قال سفيان بن عيينة وغير واحد من السلف: من فسد من علمنا ففيه
شبه من اليهود ، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى

(الوجه الثالث) ان يقال : قوله بل قد روي التجسيم عن سيد المرسلين -
كذب ظاهر، لان السيوطي وغيره من اهل السنة ينفون عن الله مشابهة المخلوقات
ومماثلة الاجسام المصنوعات ، فان قال: ان لازم كلامهم يقتضي التجسيم والتشبيه.
قلنا هذا ممنوع عند اهل السنة ، فنهى يقولون : ان إثبات الصفات لله تبارك
وتعالى وإثبات رؤيته تعالى لا يقتضي ذلك ولا يلزم منه التجسيم ، ولكن هذا
شأن اهل البدع والضلال ، يردون كتاب الله وسنة رسوله بهذه الخرافات الباطلة ،
والجهالات والضلالات الكاذبة الفاسدة

(الوجه الرابع) ان يقال : القرآن مملوء من صفات الله تبارك وتعالى وأسمائه
الحسنى ، وقصص الانبياء المتضمنة لإثبات صفات والافعال الاختيارية لله تبارك
وتعالى ، كالجبي، والمناداة والتكلم واقتبض والبسط والغضب والرضا . أفيقول
مسلم او عاقل إن الله وصف نفسه بالتجسيم والتكييف ؟ او وصفه برسوله وأنبياءه ؟
فذا قلتم ان لازم تلك النصوص إثبات التجسيم والتكييف ، فإِنَّه النصوص

الواردة في القرآن أبانغ منها فيما ذكرتم . سبحانه الله ما أعجب هذا الجهل . ولازم هذه المقالة أن ظواهر القرآن والسنة تجسيم وتكييف

(الوجه الخامس) ان يقال: قوله قد اشتهر اشهار الشمس في كتب قومك وسلفك حديث « إنكم سترون ربكم » الخ فيقال: هذا حق وصدق تواترت به الاحاديث عن رسول الله ﷺ ودل على ذلك آيات كثيرة من القرآن كقوله (لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو الاييف الخبير)

ووجه الدلالة من هذه الآية الكريمة: انه سبحانه نفى إدراك الابصار له وأثبت له إدراكها ، ونفى الادراك لا يستلزم نفى الرؤية ، فمفهوم الآية ان الله يرى ولا يدرك ، وبما ذكرنا فسر الآية حبر الامة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، كما روى ذلك أئمة التفسير عنه ، كابن جرير وابن أبي حاتم عن عكرمة عن ابن عباس قل: رأى محمد ربه ، فقالت: أليس الله يقول (لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار) الآية ، فقار لي: لا أم لك ، ذلك نور إذا تجلى بنوره لا يدركه شيء ، قل عكرمة لمن قل له لاتدركه الابصار أنست ترى السماء ؟ قال بلى ، قل ؟ فكلمها ترى (١) ولا بن أبي حاتم بسنده عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ في قوله (لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار) قال: لو ان الجن والانس والشياطين والملائكة منذ خلقوا إلى أن فواصفوا صفا واحداً ما أحاطوا بالله عز وجل» ويدل على ذلك قوله تعالى (وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة) فسرهما أئمة التفسير بان المراد بذلك ان المؤمنين يرون ربهم يوم اقيامة . ولهذا قال الامام احمد بن حنبل رحمه الله في كتاب الرد على لزنادقة والجهمية :

﴿ باب بيان ما جحدت الجهمية ﴾ (وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة)

(١) يعني أنها لو كانت ترى كلها لسكانت رؤيتها ادراكا فان الادراك هو الاحاطة فنفى الادراك لا يستلزم نفى الرؤية التي دون الاحاطة بالمرئي

فقلنا لهم : لم أنكرتم ان أهل الجنة ينظرون إلى ربهم ؟ فقالوا : لا ينبغي لأحد أن ينظر إلى ربه لان المنظور اليه معمول موصوف . فقلنا لهم : أليس الله يقول (إلى ربها ناظرة) ؟ فقالوا إنما معناه انها تنظر الثواب من ربها ، وإنما ينظرون إلى فعله وقدرته ، وتلوا آية من القرآن (ألم تر إلى ربك كيف مد الظل) المعنى : ألم تر إلى فعل ربك . فقلنا ان فعل الله لم يزل العباد يرونه ، وإنما قال (وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة) فقالوا إنما تنتظر الثواب من ربها ، فقلنا انها مع ما تنتظر من اثواب هي ترى ربها . فقالوا إن الله لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة ، وتلوا آية من المتشابه من قوله جل ثناؤه (لا تدركه الابصار) وقد كان النبي ﷺ يعرف معنى قول الله (لا تدركه الابصار) وقال « إنكم سترون ربكم » وقال الله لموسى عليه السلام (لن تراني) ولم يقل لن أرى ، فأيهما أولى أن يتبع ؟ النبي صلى الله عليه وسلم حين قال « انكم سترون ربكم » ام جهنم حين قال : لا ترون ربكم ؟ والاحاديث في ايدي أهل العلم عن نبي ﷺ ان أهل الجنة يرون ربهم ، لا يختلف أهل العلم في ذلك . ومن حديث سفیان عن ابي اسحاق عن عامر بن سعد في قول الله (الذين أحسنوا الحسنی وزيادة) قال : انفار إلى وجه الله . ومن حديث ثابت البناني عن عبد الرحمن بن ابي ليلى قل « اذا استقر أهل الجنة في اجنة نادى منادى : يا أهل الجنة ان الله قد أذن لكم في الزيارة ، قل فيكشف الحجاب فينظرون إلى الله لا إله إلا هو » وانا لنرجو ان يكون جهنم وشيعته ممن لا ينظرون إلى ربهم ويحجبون عن الله لان الله قال للكفار (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فاذا كان الكافر يحجب عن الله والمؤمن يحجب عن الله فما فضل المؤمن على الكافر ؟

فالحمد لله الذي لم يجعلنا مثل جهنم وشيعته وجعلنا ممن اتبع ولم يجعلنا ممن ابتدع . انتهى كلام احمد بحروفه ولفظه
وهذا الكتاب الذي نقلت منه هذا الكلام رواه عن احمد أئمة أصحابه

وهو مشهور عند العلماء . وفي هذا ما بين ان هذا المعترض اتبع قول جهنم وشيعته وترك ما علمه رسول الله ﷺ وأهل بيته وأصحابه

ومن العجب انه يدعي ان الامام احمد هو امام الشيعة عند الحقيقة وقد خالف مذهبه في هذه المسئلة وغيرها من مسائل أصول الدين، فكيف بمسائل الفروع؟ وأعجب من هذا قوله ان رواية هذا الحديث — أعني حديث الرؤية وما شابهه — تكييف وعماء وضلال، فاذا كان موسى عليه السلام قال لربه (أرني أنظر اليك) أنيسأل موسى عليه السلام ما هو تكييف وتجسيم وعماء وضلال؟ وبكون موسى عليه السلام لا يعرف ما يجوز على الله وما يمنع عليه ويعرف ذلك جهنم وشيعته؟ فلا إله إلا الله ما أقبح هذا الجهل وأبعد عن السداد والصواب عند أولي الألباب! وقد صرح بعض شياطين هؤلاء المبتدعة الضلال بان عيسى عليه السلام شبه حيث قال (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك) وكذلك موسى عليه السلام حيث قال (رب أرني أنظر اليك) وكذلك جهنم ذكر البخاري رحمه الله في كتاب خلق أفعال العباد بسنده ان جهنم قرأ في المصحف، فلما أتى على هذه الآية (الرحمن على العرش استوى) قال والله لو قدرت لحككتها من المصحف وذكر أبو الحجاج المزني في (كتاب تهذيب المكالم في معرفة الرجال) ان عمرو ابن عبد الله القدرية قال في حديث الصادق المصدوق النجاشي في الصحاحين وغيرهما من كتب الاسلام عن عبد الله بن مسعود قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق «ان خلق أحدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما نظفة» الخ فقال: لو سمعت الاعمش يقول هذا لقلت له كذبت، ولو سمعت زيد بن وهب يقول ذلك لقلت له كذبت، ولو سمعت ابن مسعود يقول ذلك ما قبلته، ولو سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك لرددته، ولو سمعت الله يقول ذلك لقلت ليس عني هذا أخذت منه قنأ، او كلاما هذا معناه . فنسئل الله العظيم المنان ان لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا وان يهب لنا منه رحمة انه الوهاب

فصل

وأما قوله (واركب السفينة وادخل من باب حطة ، حتى تدخل بنور قلبك ، حقيقة عاقبة أمرك ، وما حصلت عليه من التكفير للمسلمين بسبب الاستناد والركون إلى سلفك ، والمتسمين بأهل السنة والجماعة ، والحال أنهم قد نقضوا غزلك ، فبينما أنت تأوي إلى كهفهم من أنهم لا يفسرون ولا يؤولون آيات الصفات ، إذ جاءوك بالمدلمات من التجسيمات والتأويلات ، ورووها عن ركنك إلى إجماعهم وهم التابعون الذين رووه لك عن الأوزاعي فكنت كالساعي إلى مشعب موائل من سل لراعد ، وانظر هداك الله وتدبر فذلك تحوض في بحر الغرق ، وهو تكفير أهل الاسلام ، ولم تأو إلى ركن شديد ، ولم تركب سفينة نوح ، فقد أردت أن تنزه ربك بما يلزم منه التجسيم ، كما نبينه إذا جاء قومك بالقرآن وهو صريح التجسيم والتكليف)

(فالجواب) ان يقال: قد تقدم ما يبطل دعواك فيما ذكرت في هذا الكلام بما فيه كفاية والله الحمد والمثقة .

وهذا الكلام فيه أنواع من الكذب والزور والبهتان يتضح السكل من له أدنى بصيرة من علم وإيمان (منها) قوله وما حصلت عليه من تكفير المسلمين ، فأين في كلام المجيب انه صرح بتكفير المسلمين .

(الثاني) قوله والحال أنهم قد نقضوا غزلك ، فأين فيما ذكرت عنهم أيها الجاهل في النقض على المجيب ، وقد بينا ان كلامهم موافق لما ذكره المجيب لا مخالف له ، وانما فيه النقض عليك وعلى سلفك من المعتزلة والجهمية الذين ينغون صفات الله ويعطونها عن حقائقها

(الثالث) قوله : فبينما أنت تأوي إلى كهفهم من أنهم لا يفسرون ولا يؤولون آيات الصفات ، إذ جاءوك بالمدلمات من التجسيمات والتأويلات وهذا أيضاً من أظهر

الكذب والمنجور عليهم، لان جميع ما ذكره عنهم لا يدل على التجسيم ولا التأويل الباطل بوجه من الوجوه، وانما يدل على انهم يصفون الله باسمائه الحسنی وصفاته العلى، وهم قد صرحوا بذلك ونحملوا ائمة عنك وعن سلفك طاعة لربهم ومعبودهم ونبهم ﷺ كما قال القائل:

وعيرها الواشون اني أحبها وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

ويقال لهذا وأشباهه من أهل البدع والضلال: انتم اعلم ام الله؟

(الرابع) قوله: فانك تخوض في بحر الغرق وهو تكفير أهل الاسلام فيقال أين في كلام الحبيب انه كفر أحداً من المسلمين بتأويل آيات الصفات وأحاديثها؟ أما تستحي من كثرة الكذب وترداده في السطر الواحد ولاتنين والثلاثة والأربعة من كلامك؟ اما عندكم رجل رشيد ينصح هذا الجاهل ويستر عورته اذا كشفها؟ (الخامس) قوله ولم تأو الى ركن شديد ولا ركبت سفينة نوح. وهذا أيضاً من الكذب والزو والبهتان، لان الحبيب قد اوى إلى ركن شديد وركب سفينة نوح التي من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، وقد احتج في كلامه بكتاب الله وسنة رسوله وبما اجمع عليه السلف الصالح من صدر هذه الامة

(السادس) قوله: وقد أردت ان تنزه ربك بما يلزم منه التجسيم. كذب ظاهر لانا قد بينا ان ما رصف الله به نفسه او وصفه به رسوله حق وصدق وصواب ولازم الحق حق بلا ريب، ولا نسلم ان ذلك يلزم منه التجسيم، بل جميع أهل السنة المثبتة للصفات ينازعون في ذلك ويقولون لمن قل لهم ذلك لا يلزم منه التجسيم كما لا يلزم من اثبات الذات لله تعالى، والحياة، والقدرة، والارادة، والكلام - تجسيم وتكليف عند المنازع

ومعلوم ان المخلوق له ذات ويوصف بالحياة والقدرة والارادة والكلام ومع هذا لا يلزم من إثبات ذلك لله تبارك وتعالى إثبات التجسيم والتكليف تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

ومعلوم ان هذه الصفات في حق المخلوق إما جواهر وإما أعراض . وأما في حقه تبارك وتعالى فلا يعلمها إلا هو ، بلا تفسير ولا تكيف (السابع) قوله : إذ جاء قومك بالقرافر وهو صريح التكيف والتجسيم ، لأن ما ذكره عن اهل السنة ليس فيه تصريح بالتجسيم وإنما يقول المخالف انه يلزم منه ذلك ، وقد تقرر عند علماء الاصول وغيرهم ان لازم المذهب ليس بمذهب ، وهو نفسه ذكر ان ذلك يلزم منه التجسيم ومنازعه يقول لا يسلم له ذلك ثم في آخر كلامه ، في موضع واحد يقول وهو صريح التجسيم وليس فيما ذكره عن الحبيب ولا عن سلفه من اهل السنة ما هو صريح في ذلك ، والصريح في ذلك أن يقول القائل : ان لله جسماً كما يقوله بعض أئمة الرافضة كهشام بن الحكم وغيره من اهل الكوفة كما يذكر ذلك عنهم أهل المقالات فاتفق الله أيها الرجل واحذر ان تكون من الذين يفترون الكذب وقد قال تعالى (انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم المكاذبون)

فصل

وأما قوله جواباً عن كلام الحبيب وهو ما درج عليه رسول الله ﷺ فنقول (هات لنا حديثاً واحداً عن رسول الله ﷺ قطعي الدلالة متواتر المن أو متاقى بالقبول عند الأمة بان رسول الله ﷺ منع من تفسير آيات الصفات وتاويلها حتى يكون حجة لك على من خالفك في تكفيرك له . وأما انه ﷺ لم يتعرض للتفسير والتاويل فانه لا يكفرك في تكفير المسلمين ، مع اننا قد ذكرنا لك ان قومك قد رووا عنه ﷺ التفسير والتاويل والتجسيم ، فآختر لنفسك ما يحلو . ولا حول ولا قوة إلا بالله)

(فالجواب) من وجوه (أحدها) ان يقال : ان الحبيب قد ذكر من الأدلة القاطعة من الكتاب والسنة ان الله وصف نفسه بالاستواء واليدن والمحبي والرضا والسخط

والغضب والمحبة وغير ذلك من أسمائه الحسنى ، وصفاته العليا ، مايشفى ويكفى لمن أراد الله هدايته

(اثنائي) انه لم يدع ان معه دليلا حديثا قطعي الدلالة بأن رسول الله ﷺ منع من تفسير آيات الصفات وتأويلها حتى يقل له هات ما ادعيت . وإنما دعواه ان آيات الصفات وأحاديثها قد وردت في الكتاب والسنة ، ولماها رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعون لهم باحسان بالقبول والتصديق والإيمان . ولم يرد عن أحد منهم لا بإسناد صحيح ولا بحسن انهم فسروا ذلك أو قل الرسول أو أحد من أصحابه الناس لا تعتقدوا ظواهر هذه النصوص بل تأولوها على ما تقتضيه عقولكم ومقاييسكم ، بل سكتوا عن ذلك وأصروا بتبليغ القرآن والسنة ، وان رسول الله ﷺ قال « بلغوا عني ولو آية » وقال الله لنبيه ﷺ (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) الآية (فتما عليك البلاغ وعلينا الحساب — ما على الرسول إلا البلاغ)

(الثالث) انك قد أقررت انه صادق في هذه الدعوى بقولك : وأما انه ﷺ لم يتعرض للتفسير والتأويل فانه لا يكفيك فقد صرحت بأنه ﷺ لم يتعرض لها بتفسير ولا تأويل ، وهو المطلوب . فاذا كان رسول الله ﷺ وأصحابه قد درجوا على ما ذكره المجيب من إمرارها كما جاءت من غير تعرض لها بتفسير ولا تأويل ، وقد أقررت بذلك ولم تنكره أفلا يسمعك ما وسع رسول الله ﷺ وخلفاءه الراشدين المهديين كابي بكر وعمر وعثمان وعلي وأولاده والعباس وابنه عبد الله بن عباس والحسن والحسين ابنا علي وأخاها محمد بن الحنفية وعبد الله بن جعفر وعلماء العترة رضي الله عنهم ؟ فلا وسع الله لمن لا يسمعه ما وسعهم فانهم أئمة المتقين ، وهداة الفر المحجلين . وقد قل تعالى في سورة المائدة وهي من آخر القرآن نزولا (اليوم أكملت لكم دينكم وأنممت عليكم نعمتي ورضيت

لكم الاسلام ديناً) والاسلام هو ما درج عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ، فما ترك رسول الله ﷺ وسكت عنه وجب على الامة السكوت عنه ، فالامور التي ترك رسول الله ﷺ وأصحابه الكلام فيها يجب على الامة اتباعهم فيها ، كما ان الامور التي فعلها وأمر بها يجب على الامة اتباعه في ذلك . وهذا هو دين الاسلام الذي رضي الله لهذه الامة حيث قل (ورضيت لكم الاسلام ديناً) وقال (ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه)

وثبت في الصحيحين ان رسول الله ﷺ قال « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » وفي حديث انه قال « تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك » وقال أبوذر « لقد توفي رسول الله ﷺ وما من طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا ذكر لنا منه علماً » وفي صحيح مسلم وجامع الترمذي وغيرهما عن سلمان انه قيل له : قد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراء ؟ فقال سلمان « أجل »

أفليس في هذا بيان للمؤمن ان كل ماحدث بعدهم فليس من دين الاسلام ، بل من البدع والسكرات العظام ؟ وقد قال تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) وأثنى الله تبارك وتعالى على من اتبع سبيلهم ، ووقفى منهاجهم ، فقال تعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار ، والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الانهار ، خالدين فيها أبداً ، ذلك الفوز العظيم)

(الوجه الرابع) أن يقال : الرسول ﷺ وأصحابه كانوا أقدر على تفسيرها وتأويلها من بعدهم فلم يسكتوا عن ذلك إلا لعلهم بأن الصواب فيها سلكوه ، والحق فيما أصلوه ، فمنهم من تابع العلم ، ومنهم من لدجى ، كما قال عبد الله بن مسعود (رض) « من كان منكم مستمناً فليستن بمن قد مات ، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة ، أولئك أصحاب محمد ﷺ أبر هذه الامة قلوباً ، وأعظمها علماً ، وأقلها تكلفاً »

١٢٢ تكرار اتهام المعارض للمهاجرين بتكفير مؤولي الصفات وتكذيبهم له

قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ، وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم حقهم ، وتمسكوا بهديهم ، فانهم كانوا على الهدى المستقيم »

وقال رضي الله عنه - لقوم رأيهم قد تحقروا في مسجد الكوفة وواحد منهم يقول لهم سبحوا مائة فيسبحون جميعاً ، فاذا فرغوا قل كبروا مائة ، فاذا فرغوا قال هلاوا مائة . فجاءهم فلما رأى صنيعهم قال « والذي نفسي بيده لقد فضلتهم أصحاب محمد علماً ، أو لقد جئتم ببدعة ظالماً » قالوا والله ما جئنا ببدعة ظالماً ، ولا فضلتهم أصحاب محمد علماً . قل « لي ، والذي نفس ابن مسعود بيده لقد فضلتهم أصحاب محمد علماً ، أو لقد جئتم ببدعة ظالماً »

فانظر رحمك الله إلى كلام هذا الامام الذي هو من سادات الصحابة ونجبائهم وفضلائهم : كيف أخبر وأقسم على ذلك بان من فعل ما لم يفعله أصحاب محمد فقد جاء ببدعة . نسأل الله أن يرزقنا سلوك طريقةهم وسيرتهم وهدىهم

(الوجه الخامس) قوله وإما انه صلى الله عليه وسلم لم يتعرض للتفسير والتأويل فإنه لا يكفيك في تكفير المسلمين . فيقال هذا كذب ظاهر على المحيب من جنس ما تقدم من كذب هذا المعارض وفجوره ، فان المحيب لم يذكر في كلامه تكفير أحد من المسلمين خالفه في هذه المسألة ، لان ذلك مما تنازعت فيه الامة ، حتى ان طوائف من اتباع الأئمة الاربعة وغيرهم يذهبون إلى تأويل آيات الصفات وأحاديثها وهم من حلة اهل السنة والجماعة ، وأن كانوا عند المحيب مخضئين في ذلك لان مذهبه وعقيدته اتباع السلف الصالح في السكوت عنها وامرارها كما جاءت مع نفي السكينة والتشبيه عنها

(الوجه السادس) قوله مع انا قد ذكرنا ان قومك قد رووا عنه صلى الله عليه وسلم التفسير والتأويل والتجسيم - وهذا كذب ظاهر ، فانه لم يذكر فيما نقل عن اهل السنة شيئاً مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير الصفات فضلاً عن التأويل والتجسيم

وقد ذكرنا نص كلامه بحروفه ، وجميع ما نقله من لدن المشور عن الصحابة والتابعين من تفسير قوله (شديد الحال) أي شديد القوة أو السكر أو الحول - قد بينا أن ذلك ليس هو تفسير آيات الصفات وتأويلها الذي وقع النزاع فيه بين أهل الأثبات وأهل الزي ، بل ذلك من باب وصف الله سبحانه بأسائه الحسنی ، وصفاته وأفعاله اللازمة وانتمدية مع قطع النظار عن معرفة كيفية ذلك أو تأويله بالتأويلات المبتدعة (الوجه السابع) قوله : فاختار لنفسك ما يحلو ولا حول ولا قوة إلا بالله فتقول : قد اخترنا لانفسنا ما اختاره الله لنا في كتابه وهو الاقتداء والتأسي بما درج عليه رسول الله ﷺ وأصحابه في هذه المسألة وغيرها ، كوصانا الله بذلك في كتابه حيث قل (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة - وقال - اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون) وقال في آخر السورة (وان هذا صراطي مستقيما فتبوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وقال تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) والرد إلى الله هو الرد إلى كتابه بإجماع المفسرين ، والرد إلى الرسول هو الرد إلى سنته بعد وفاته .

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا إذ هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق . والله سبحانه وتعالى أعلم

فصل

وأما قوله (نم لا يخفى أن المحيب قد جعل أهل السنة والجماعة هم أهل الحديث الذين لم يتكلموا في القدر ، ولم يفسروا آيات الصفات ولا تأويلها ، فنطلب منه التحقيق والافادة ، بأن يبين لنا من روى من أهل العلم المحقق بأن هذا الاصطلاح مخصص بمن ذكره ، فإن العلماء مختلفة أقوالهم في ادلائهم أهل السنة والجماعة كما عرفت)

(فالجواب) ان يقال: المجيب انما ذكر كلاما عاما في ان اهل السنة والجماعة هم الذين اقتفوا ماعليه رسول الله ﷺ واصحابه والتابعون لهم باحسان ، ومعلوم ان اهل الحديث هم اعظم طوائف الامة بحثا ومعرفة بسنة رسول الله ﷺ، وذلك لانهم قد اشتغلوا بذلك وأفنوا أعمارهم في طلب ذلك ومعرفة ، واعتنوا بضبط ذلك وجمعه وتنقيته، حتى بينوا صحيح ذلك من ضعيفه من كذبه ، ولا ينازع في ذلك إلا عدو لله ولرسوله ﷺ ولعباده المؤمنين

(الوجه الثاني) ان ظاهر كلام المجيب (١) وكلامه يبين انه لم يخص بذلك طائفة معينين بل كل من سلك هذه الطريقة فهو منهم من جميع الطوائف، وهو داخل في قوله: وهم اهل السنة والحديث من هذه الامة

(الوجه الثالث) قوله الذين لم يتكلموا في القدر، وهذا كذب ظاهر على المجيب وعلى اهل الحديث، فان اهل السنة والحديث من هذه الامة يتكلمون في القدر، بمعنى انهم يؤمنون به ويثبتونه ويقولون ان الله قدر أفعال العباد خيرا وشرا، وهو من أصول الايمان عندهم ، كما ثبت ذلك في الصحيحين في حديث جبرائيل عليه السلام لما سأل النبي ﷺ عن الايمان فأخبره بانه « الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره » فهذا هو الذي عليه جماعة اهل السنة والجماعة والحديث ، وعليه يدل كتاب الله والاحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ ولولا خوف الاطالة لذكرنا من ذلك شيئا كثيرا ، وليس هذا موضع بسط ذلك وذكر الدلائل عليه

وأما المعتزلة الذين ينفون ان الله قدر أفعال العباد عليهم او شاءها منهم فهم الذين ينكرون ذلك ومن اتبعهم من الروافض والزيدية الذين ينكرون أن الله قدر أفعال العباد وشاءها منهم

(الوجه الرابع) ان الاصطلاح لا حجة فيه عند أهل العلم وغيرهم، فإذا سمى أحد طائفة من الناس بأنهم أهل السنة والجماعة لم يمنع من ذلك إلا إذا كانوا مخالفين لما عليه جماعة أهل السنة والجماعة، كأهل البدع الذين يسمون أنفسهم بذلك مع مبادئهم بطريقة الرسول ﷺ وأصحابه والتابعين لهم بإحسان (الوجه الخامس) أن كثيرا من علماء السنة ذكروا أن أهل الحديث هم الفرقة الناجية التي قل فيها رسول الله ﷺ « لا تزال طائفة من أمتي قائمة على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة » كما ثبت ذلك في الصحيحين وغيرهما. وذكر البخاري عن علي بن الديني أنهم أهل الحديث وكذلك قال أحمد ابن حنبل « ان لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم ؟ »

فصل

وأما قوله (وأنت خير ان الطائفة التي أشار إليها سيد المرسلين ﷺ هم أهل بيته، فإن الناس أذعنوا لأهل الشام ولم يقدرُوا على منازعتهم إلا أهل البيت وشيعتهم فكن أيها المجيب من تلك الطائفة الناطقة بالحق الخارجة عن حزب أهل الشام لتحشروا في الطائفة المخالفة لهم، ولا تكن في حزب أهل الشام محبا لهم، فإن المرء يحشروا مع من أحب)

(فالجواب) من وجوه (أحدها) ان الطائفة الناجية جاء في الحديث ان رسول الله ﷺ بينها لما سئل عنها فقال « من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي » فمن سلك سبيلهم واقتفى منهاجهم وتبعهم بإحسان فهو من هذه الطائفة سواء كان من أهل البيت رضي الله عنهم أو من غيرهم من جميع الطوائف . ومن خالف ما عليه رسول الله ﷺ وأصحابه فهو مع الهالكين سواء كان من أهل البيت أو من غيرهم . ولهذا قال تعالى في نساء النبي ﷺ، وهن من أهل البيت قطعا (يا نساء النبي من يأت منكن بقاحشة مينة يضاعف لها العذاب ضعفين -

الى قوله - لستن كأحد من النساء ان اتقين) الآية . وثبت في الصحيحين انه قال « ان آل ابي فلان ليسوا لي بأولياء وانما ولي الله وصالح المؤمنين » وفي الحديث الصحيح « من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » قال تعالى (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) وقال تعالى (ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين) وقال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) الآية (الوجه الثاني) قوله فان الناس اذعنوا لاهل الشام ولم يقدروا على منازعتهم إلا أهل البيت وشيعتهم . وهذا كذب ظاهر يعرفه من له ادنى معرفة بالأخبار والتواريخ ، وذلك لان بني أمية قد نازعهم في خلافتهم غير اهل البيت . فنازعهم ابن الزبير حتى تولى على الحجاز والعراق واليمن وغير ذلك من بلاد الاسلام ولم يخرج عن ولايته إلا طائفة قليلة من اهل الشام ، فارسل مروان بن الحكم اليهم ليأخذ بيته فخله واخذ البيعة لنفسه وبايعه كثير من اهل الشام ، كما ذكر ذلك أبو محمد بن حزم في سيرته . ثم خرج على مروان كثير من اهل الشام فنازعوه وقتلوه ، ثم جرت وقعة بمرج راهط بين الضحاك ومروان وقتل النعمان بن بشير رضي الله عنهما ، والاصح كما قل لذهبي وغيره من اهل العلم ، ان مروان لا يعد في امرة المؤمنين ، بل باغ خارج على ابن الزبير ، ولاعهده على ابنه عبد الملك صحيح ، وانما صحت خلافة عبد الملك - بين قتل ابن الزبير . وذلك ان عبد الملك جهز لقناله الحجاج في اربعة الفا ، فحصره بمكة اشهرًا ورعى عليه بالمزنجنيق وخذل ابن الزبير اصحابه فقتلوا الى الحجاج فظفر به وقتله وصاحبه . وفي أيام ابن الزبير خرج المختار بن ابي عبيد وتبعه طوائف من الناس وقتلوا عبد الله بن زياد فقتلوه وارسل المختار برأسه الى زين العابدين علي بن الحسين بالمدينة ، وتولى على العراق وطرد بني أمية عنه . ثم بعد ذلك ادعى النبوة فأرسل اليه عبد الله بن الزبير اخاه مصعبا معه جيش فخاربه حتى قتلوه وأخذوا منه العراق وفي أيام يزيد بن

معاوية خرج عليه أهل المدينة وخلعوه وأخرجوا أميره من المدينة فأرسل اليهم يزيد مسلم بن عقبة المري بجيش عظيم حتى قتل أهل المدينة وجرت فتنة عظيمة قتل فيها من الصحابة رضي الله عنهم معقل بن يسار الأشجعي وعبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصاري وعبد الله بن زيد بن عاصم المازني ، وقتل من أولاد المهاجرين والأنصار نحو ثلاثمائة وستة أنفس ،

وفي أيام ابن الزبير خرجت طوائف من الخوارج يسمون الأزارقة فتولى محاربتهم المهلب بن أبي صفرة وأباد منهم الوفا ، كما ذكره الذهبي وغيره . وفي أيام عبد الملك خرج عبد الرحمن بن الأشعث وتبعه خلق عظيم من القراء وغيرهم وقتلوا الحجاج وجرت بينهم وقائع عظيمة ، فغلب الحجاج حتى قتل ابن الأشعث وقتل معه خاق عظيم .

ولو ذهبنا نذكر كل من خرج على بني أمية وبني العباس لطال الكلام جداً ، وبعض من خرج عليهم يبغيضون علياً رضي الله عنه ويكفرونه . فتبين لكل ذي معرفة بالسير والأخبار بطلان قول هذا المعارض : ان الناس أذعنوا لأهل الشام ولم يقدرُوا على منازعتهم إلا أهل البيت وشيعتهم

(الوجه الثالث) ان يقال : ان هذا المعارض جعل الفرقة الناجية هم أهل البيت وشيعتهم ، وجعل الدليل على ذلك هو منازعتهم لأهل الشام ، فعلى كلامه ان كل من نازعهم وخرج عليهم هو الناجي . ومن الطائفة التي أشار إليها سيده المرسلين ﷺ ، مع ان أكثر الناس خرجوا عليهم هم الخوارج الذين يكفرون علياً رضي الله عنه ومعاوية وغيرهما من الصحابة ومن الأهل . فانظر رحمك الله إلى هذا الجبل والتخبيط الذي لا يصدر من له أدنى مسكة من علم وعقل

(الوجه الرابع) انه جعل أهل الشام كلهم قد والوا بني أمية وصاروا معهم المستقدمين منهم كالذين كانوا في زمانهم ، والمستأخرين من أهل الشام بعد

انقراض الدولة الاموية. وهذا معلوم البطلان بالضرورة لان كثيراً من اهل الشام من العلماء وغيرهم يبعضون أئمة الجور من بني أمية ويطلقون ألسنتهم بذهمهم والطمع عليهم. وقد تقدم كلام الذهبي في مروان وابنه عبد الملك قريباً ولو ذهبنا نذكر كلام علماء الشام من المتقدمين والمتأخرين في ذم بني أمية والطمع عليهم ل طال الكلام جداً. وليس هذا الجواب محل التطويل والبسط. فمن اراد ذلك فلينظر في كتب القوم حتى يتبين له جهل هذا المعترض وتخبيطه في كلامه بما تمجده الاسماع، وتذبو منه الطباع. والله اعلم

فصل

وأما قول المعترض (قولك: ونقر بها ونعلم أنها صفات فلما ان نجعل الواو عاطفة في قولك ونعلم او تكون جملة أخرى منفصلة، فاما معنى الاقرار بها؟ هل المراد الاقرار بمتونها او كتابتها او كونها من عند الله جل وعلا؟ فالمسلمون جميعاً مثلك، ولا يخالفك أحد من المسلمين، فما فائدة اخبارك بانك تقر بها؟ وإن أردت بالواو انها للحال اي تقر بها حال كونها صفات، فاما إن تريد بها قول الواصف فلا معنى لذلك، و تريد أنها تضمنت معنى خاصاً الموصوف او انها لفظ دل على ذات باعتبار معنى هو ان تصود كما ذكره ابن الحاجب؟ وهذان التعريفان قد ذكرهما العلماء اصطلاحاً وتعريفاً في محاورتهم. فان ترد انها تدل على معنى زائد على الذات لزمك ما لزم الاشاعرة وهو ان يكون مع الله قدماء وهي المعاني التي لحقت ذاته تعالى بالوصف، ونحن نبرأ من هذا نحن وأنت، وإن ترد ان الصفة دلت على معنى لذاته تعالى ونعمض عن كينيته وتصوره في الذهن باي كيفية، وهذا هو المفهوم من كلامك فلا تساعدك لغة العرب لان الصفات قوالب لمعاني مفهومة معتولة مبدئة للموصوف معينة له فقد جازمت بانها غير مكيفة كما يفهم من كلامك أيضاً مع

مخالفة لغة العرب ولزومك التجسيم. أما مخالفة لغة العرب فلا يجوز لك ان تخالفها وتفسر كتاب الله جل وعلا بغيرها لمخالفتك لما انزل الله فيه ، وقد قال تعالى (نزل به الروح الامين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين) وقال تعالى (حم * والكتاب المبين * انا جعلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون) إلى غير ذلك من الآيات، فهل يجوز لك ان تقول استوى بلا كيف بعد ان قال مبين وقل (لعلكم تعقلون) ما كأنتك إلا قلت : ماتبين لنا ولا عقلناه، فخطبنا ربنا بما لا نتيقنه ولا نعقله، وليس هو من جنس لغة العرب ولو كان عربياً لتبين لنا وعقلناه ؟ ووجه المخالفة على التحقيق ان كات كتاب الله تعالى على مقتضى لغة العرب، مبينة مفهومة ، فلا بد ان تدل الكلمة على معنى حقيقي أو مجازي على مقتضى استعماله، فنقول لك قد صرحت بان قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) دل على الاستواء على العرش كما فهمناه من كلامك وخطابك . ولغة العرب حاكمة بان حقيقة الاستواء على العرش الجلوس عليه، وهو القعود مع تعطف الرجلين ورجوع بعضها على بعض تعالى الله عن ذلك . فهذا حقيقة عند العرب فلما ان خشيت لزوم التجسيم في حق الباري ولجأت إلى التنزيه له تعالى فلم تجد مهرباً وتوحشت من هذا الامر الشنيع لفطرة التعظيم لربك جل وعلا فلم تجد إلى الهرب سبيلاً إلا بالبلكة التي قد تستر بها مشايخك ، فقلت : استوى بلا كيف، واستأنست بذلك الطيف، فلما ظننت انك قد حفظت نفسك من التجسيم قلنا لك: هل تقول العرب استوى أي جلس جلوساً غير مكيف بتعطيف الارجل ولا مستقر ونحو ذلك حيث يريدون حقيقة الاستواء والجلوس ؟ فان كان هذا من روايتك عن العرب وانهم يطلقون على ما أردت من عدم الكيف ما ذكرناه لك، وهيئات فلن تستطيع له طلباً، وإن لم يكر، قلنا لك يا هذا قد خالفت القرآن العربي المبين وفسرته بلسان قومك الذين تستروا بالبلكة ولم يستروا عوراتهم ولم تخرج عن شبهة

التجسيم، إذ قد أثبت لله تعالى الاستواء فوق العرش، وأقررت بذلك الحدث واعتقدته له تعالى وهو يستلزم التجسيم عقلا ولغة، فإن العقل أولا يحكم بالذات وبأن هذا الحدث وهو الاستواء لا يكون إلا من جسم قبل أن تلتفت إلى كيفيته، وكذلك اللغة فإن مفهوم الاستواء الحدث، وقد فسروا الحدث بالاثرا ومؤثره على خلاف بين اللغويين، وقد حكمت على الله ووصفته بالاستواء وجعلته تعالى محلا له كما هو قاعدة الصفة، ولم تقدر أن تخرجه عن الحدث وتجعله غير الحدث بعد أن أقررت بالاستواء الذي هو غير الحدث كما عرفناك، فلزمك أن يكون الله تعالى محلا للاستواء، والمحل لا يكون إلا جسما إلى قوله: وقد كان له مندوحة عن هذا وتخلص كما تخلص أهل بيت رسول الله ﷺ من حملها على المجاز، وإخراجها عن الحقائق، التي أوقعته في المضايق، ولم يسعه بعد ذلك إلا أضغاث أحلام ظن بها أنها أخرجته إلى التنزيه ولم تفده، فلو أخرجها إلى المجاز المأثوس المألوف في لغة العرب المنادي بفصاحة كتاب الله وأحاديث رسول الله ﷺ على الوجه الأكمل والتنزيه لله تعالى على الطريق اللائق بجلاله الأعدل، لكان مناسبا لكل إعجازه والرد إلى محكمه على وجه أبلغ من الحقيقة، وأسلم من التستر بالبلبلة التي كشفت ضعف كلامه وسخفه)

(فالجواب) ان يقال: الواو عاطفة، والمعنى نقر بها بالسنتنا ونعلم انها صفات لله عز وجل كما يليق بجلاله وعظمته وكبريائه، وان رغمت أنوف أهل البدع والضلال. فقوله: فما معنى الاقرار بها هل المراد الاقرار بمتونها وكلماتها؟ فذلك هو مراد المجيب، مع اعتقاد انها صفات لله تعالى لا تشبه صفات المخلوقين. فهذا معنى قول المجيب ونعلم انها صفات لله تبارك وتعالى. فالواو الاولى عاطفة، والثانية حالية. أي نقر بها حال كوننا نعلم انها صفات لله كما هو مذهب أهل السنة والجماعة (الوجه الثاني) قوله فالمسلمون جميعا مثلك ولا يخالفك أحد من المسلمين

فما فائدة إخبارك بأنك تقر به؟ فقول: هذا يدل على جهله فن المؤمن يخبر بإيمانه بالله ورسوله وإقراره بأصول الدين التي هي أشهر وأعظم من هذه المسئلة كالشهادتين وغيرهما من الاصول العظيمة ولا يقال ان ذلك يعرفه المسلمون كلهم ولهذا شرع الاذن دائماً وتكراره دائماً كل وقت. وشرع للرجل إذا فرغ من الوضوء ان يقول «اشهد ان لا إله الا الله وأشهد ان محمداً عبده ورسوله» وان يقول إذا صلى «لا إله الا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، لا إله الا الله ولا نعبد الا إياه، له النعمة وله الفضل وله الشئ الحسن» وأمثال ذلك كثير

(الوجه الثالث) قوله فما ان تريد ان تقول الوصف والصفة، فلامعنى لذلك، او تريد انها تضمنت معنى حاصل للموصوف، او انها لفظ دل على ذات باعتبار معنى هو المقصود كما ذكره ابن الحاجب؟ فمراد المجيب انها تدل على معنى حاصل للموصوف على ما اراده الله ورسوله كما قال الامام الشافعي رضي الله عنه «آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت بما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله». وذلك انه يجب على الخلق الاقرار بما جاء به النبي ﷺ من القرآن والسنة المعلومة جملة وتفصيلا، فلا يكون الرجل مؤمنا حتى يقر بما جابه النبي ﷺ جملة، وذلك هو تحقيق شهادة ان لا إله الا الله وان محمداً رسول الله. فمن شهد انه رسول الله شهد انه صادق فيما يخبر به عن الله عز وجل من أسمائه وصفاته وأفعاله، وما يجوز عليه وما يمتنع عليه، ووعدته ووعدته، وأمره ونهيته، وخبره عما كان وما يكون. فن هذا هو حقيقة الشهادة بالرسالة. وهذا معلوم بالاضطرار من دين الاسلام وهو متفق عليه بين الامة. اذا تقرر هذا فقد وجب على كل مسلم تصديقه فيما أخبر به عن الله من أسمائه وصفاته مما جاء في القرآن وفي السنة الثابتة عنه ﷺ كما كان عليه السابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه

(الوجه الرابع) قوله فان ترد انها تدل على صفات زائدة على الذات لزمك ما لزم الاشاعرة ، وهو ان يكون مع الله قدماء وهي المعاني التي لحقت ذاته تعالى بالوصف ، ونحن نبرأ من هذا نحن وانت ، فيقال : أهل السنة والجماعة يقولون ان الله تبارك وتعالى موجود كامل بجميع صفاته ، فإذا قل ان القائل دعوت الله او عبادت الله ، كان اسم الله متناولا للذات المتضمنة لصفاتها ، ليس اسم الله اسما للذات مجردة عن صفاتها اللازمة لها ، وحقيقة ذلك انه لا يكون نفسه إلا بنفسه ، ولا يكون ذاته إلا بصفاته ، ولا يكون نفسه إلا بما هو داخل في مسمى اسمها ، وهذا حق ولكن قول القائل انه يلزم ان يكون مع الله قدماء تلبس ، فان ذلك يشعر ان الله قدماء غيره منفصلة عنه . وهذا لا يةوله إلا من هو أكفر الناس وأجهلهم بالله كالفلاسفة ، لان لفظ الغير يراد به ما كن مفارقة له بوجود او زمان او مكان ، ويراد به ما أمكن العلم دونه ، فالصفة لا تسمى غيراً له فعلى المعنى الاول يمتنع ان يكون معه غيره . وأما على المعنى الثاني فلا يمتنع ان يكون وجوده مشروطا بصفات وان يكون مستلزما لصفات لازمة له ، واثبات المعاني القائمة التي توصف بها الذات لا بد منها لكل عاقل ، ولا خروج عن ذلك إلا بمجرد وجود الموجودات مطلقاً . وأما من جعل وجود العلم هو وجود القدرة ، ووجود القدرة هو وجود الازادة ، فطرد هذه المقالة يستلزم ان يكون وجود كل شيء هو عين وجود الخالق تعالى ، وهذا منتهى الاتحاد ، وهو مما يعلم بالحس والعقل والشرع انه في غاية الفساد ، ولا مخلص من هذا إلا باثبات الصفات ، مع نفي مماثلة المخلوقات ، وهو دين الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وذلك ان نفاة الصفات من المتفلسفة ونحوهم يقولون ان العاقل والمعقول ، والعاشق والمعشوق ، واللذة واللذيد والملتذ هو شيء واحد ، وانه موجود واجب له عناية ، ويفسرون عنايته بعلمه او عقله ، ثم يقولون وعلمه او عقله هو ذاته ، وقد يقولون انه حي عليم قدير مرید متكلم سميع بصير ويقولون ان

ذلك شيء واحد فزادته عين قدرته ، وقدرته عين علمه ، وعلمه عين ذاته
وذلك لان من أسلمهم انه ليس له صفة ثبوتية ، بل صفاته اما سلبية كقولهم
ليس بجسم ولا متحيز ولا جوهر ولا عرض ، واما اضافة كقولهم مبدأ وعلة ،
واما مؤلف منها كقولهم عاقل ومعقول وعقل . ويعبرون عن هذه المعاني بعبارات
هائلة كقولهم انه ليس فيه كثرة « كم » ولا كثرة « كيف » وانه ليس له اجزاء
« حد » ولا اجزاء « كم » او انه لا بد من اثبات واحد موحداً توحيداً منزها عن
المقولات العشر عن الكم والكيف والأين والوضع والاضافة ونحو ذلك
ومضمون هذه العبارات وأمثالها نفي صفاته التي جاء بها الرسول ﷺ
وهم يسمون نفي الصفات توحيداً

وكذلك المعتزلة ومن ضاهاهم من الجهمية يسمون ذلك توحيداً وهم ابتدؤا
هذا التعطيل الذي يسمونه توحيداً ، وجعلوا اسم التوحيد واقعاً على غير ماهو واقع
عليه في دين المسلمين . فن التوحيد الذي بعث الله به رسله ، وأنزل به كتبه هو أن
يعبد الله لا يشرك به شيء كما قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي
اليه انه لا إله إلا انا فاعبدون) ومن تمام التوحيد أن يوصف الله تعالى بما وصف
به نفسه وبما وصفه به رسوله ، فيصان ذلك عن التحريف والتعطيل والتكييف
والتثليل ، كما قال تعالى (قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له
كفوواً أحد) ومن هنا ابتدع من ابتدع لمن اتبعه على نفي الصفات اسم الموحدين ،
وهؤلاء منهم أن يقولوا هو الوجود بشرط الاطلاق ، كما قاله طائفة منهم ، او
بشرط نفي الامور اشبوتية كما قاله ابن سينا وأتباعه . او يقولون هو الوجود المطلق
لا بشرط ، كما يقوله القونوي وأمثله

ومعلوم بصريح العقل الذي لم يكذب قط ان هذه الاقوال متناقضة باطلة
من وجوه (أحدها) ان جعل عين العلم عين القدرة ، ونفس القدرة هي نفس الارادة ،

ونفس الحياة هي نفس العلم ، ونفس العلم نفس الفعل ، ونفس الحياة هي نفس العلم والابداع . ونحو ذلك معلوم النساد بالضرورة ، فمن هذه حقائق متنوعة ، فان جمعت هذه الحقيقة هي تلك كان بمنزلة من يقول : ان حقيقة السواد حقيقة البياض ، وحقيقة البياض حقيقة الطعم ، وحقيقة الضعم حقيقة اللون . ومثل ذلك . مما يجعل الحقائق المتنوعة حقيقة واحدة . فمن قال : ان العلم هو المعلوم ، والمعلوم هو العلم فضلاله بين التمييز بين مسعى المصدر ومسعى اسم الفاعل واسم المفعول والتفريق بين الصفة والموصوف مستقر في فطر الناس وعقولهم ، وفي لغات جميع الامم ، ومن جعل أحدهما هو الآخر كان قد أتى بما لا يخفى فساده على من تصور ما يقول . فمن قال ان ذاته تعرف بدون معرفة شيء من أسمائه وصفاته اثبوتية والسلبية فتعوله معلوم البطالان ، ممتنع وجود ذلك في الاعيان ، ولو قدر إمكان ذلك ، وفرض العبد في نفسه ذاتا مجردة عن جميع القيود السلبية والاثبوتية فليس ذلك معرفة بالله البتة ، وليس رب العالمين ذاتا مجردة عن كل أمر سلبي او ثبوتي ، ولهذا كان كثير من الملاحدة لا يصلون إلى هذا الحد بل يقولون كما يقول ابو يعقوب السجستاني وغيره من الملاحدة : نحن لا ننفي النقيضين ، بل نسكت عن اضافة واحد منهما اليه ، فلا نقول هو موجود ولا معدوم ولا حي ولا ميت ولا عالم ولا جاهل ، فيقال لهم : اعراض قلوبكم عن العلم به وكف أسنتكم عن ذكره لا يوجب أن يكون هو في نفسه مجردا عن النقيضين ، بل يفيد كفركم بالله وكرهتكم لمعرفته وذكره وعبادته ، وهذا حقيقة مذهبكم (الوجه الخامس) ان يقال مذهب اهل السنة والجماعة ومن تبعهم باحسان ان كل ما وصف به الرب نفسه من صفاته فهي صفات مختصة به غير مخلوقة بائنة منفصلة عنه ، بل يمتنع أن يكون له فيها مشارك او مماثل ، فان ذاته المقدسة لا تماثل شيئا من الذوات ، وكذلك صفاته المختصة به لا تماثل شيئا من الصفات ، لانه سبحانه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . فاسمه الاحد دل على نفي المشاركة والمماثلة ، واسمه الصمد دل على انه مستحق لصفات الكمال

والمقصود هنا ان صفات التنزيه يجمعها هذان المعنيان المذكوران في هذه السورة (أحدهما) نفي النقائص عنه ، وذلك من لوازم إثبات صفات الكمال فمن ثبت له الكمال التام انتفى عنه النقصان المضاد له ، والكمال من مدلول اسمه الصمد (والثاني) انه ليس كمثله شيء في صفات الكمال الثابتة ، وهذا من مدلول اسمه الاحد. فهذان الاسمان العظيمان الاحد الصمد يتضمنان تنزيهه عن كل نقص وعيب ، وتنزيهه في صفات الكمال أن يكون له مماثل في شيء منهما فالسورة تضمنت كل ما يجب نفيه عن الله ، وتضمنت كل ما يجب إثباته لله من وجهين من جهة اسمه الصمد ، ومن جهة أن ما نفي عنه من الاصول والفروع والنظير استلزم ثبوت صفات الكمال. فان كل ما يمدح به الرب تبارك وتعالى من النفي فلا بد أن يتضمن ثبوتاً ، بل وكذلك كل ما يمدح به شيء من الموجودات من النفي فلا بد أن يتضمن ثبوتاً ، وإلا فالنفي المحض معناه عدم محض ، والعدم المحض ليس بشيء ، فصلا عن أن يكون صفة كمال ، وهذا كما يذكر سبحانه في آية الكرسي (الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم) فنفي أخذ السنة والنوم له مستلزم لكمال حياته وقيوميته ، فان النوم أخو الموت ، ولهذا كان اهل الجنة لا ينامون ثم قال (له ما في السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده إلا بأذنه) فنفي الشفاعة بدون إذنه مستلزم لكمال ملكه ، إذ كل من يشفع اليه شافع بلا إذنه فقبل شفاعته كن منفعلا عن ذلك الشافع قد ثرت شفاعته فيه فصيرته فاعلا بعد ان لم يكن ، وكان ذلك الشافع شريك المشفوع اليه في ذلك الامر المطلوب بالشفاعة اذا كان بدون اذنه ، لاسيما والمخلوق اذا شفع اليه بغير اذنه فقبل الشفاعة فانما يقبلها لرغبة أو لرهبة ، اما من الشافع وإما من غيره ، وإلا فلو كانت داعيته من تلقاء نفسه تامة مع القدرة لم يحتج الى شفاعته. والله تعالى منزّه عن ذلك كما قال في الحديث الآلهي « انكم لن تبلغوا ضري فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني » ولهذا كان النبي ﷺ يأمر اصحابه بالشفاعة اليه اذا أتاه طالب حاجة يقول « اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على

لسان نبيه ماشاء» اخرجاه في الصحيحين. وهو انما يفعل ما أمر الله به، ثم قل (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) بين انهم لا يعلمون من علمه الا ما علمهم إياه، كما قالت الملائكة (لا علم لنا الا ما علمتنا) فكان في هذا النفي اثبات انه عالم وأن عباده لا يعملون الا ما علمهم إياه، فاثبت أنه الذي يعلمهم لا ينالون العلم الا منه، فانه الذي خلق الانسان من علق، ودلم بالقلم، علم الانسان ما لم يعلم. ثم قل (وسع كرسية السموات والارض ولا يؤده حفظهما) أي لا يتقله ولا يكربه، وهذا النفي يتضمن كمال قدرته فانه مع حفظه السموات والارض لا يتقل ذلك عليه كما يتقل على من في قوته ضعف، وهذا كقوله (ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب) فنزه نفسه عن اللغوب، قل أهل اللغة اللغوب هو الاعياء والتعب، وكذلك قوله (لا تدركه الابصار) والاحراك عند السلف والاكثرين هو الاحاطة، وقالت طائفة هو الرؤية، وهو ضعيف لان نفي الرؤية لا مدح فيه، فان العدم لا يرى، وكل وصف لا يشترك فيه الوجود والعدم لا يستلزم أمراً ثبوتياً ولا يكون فيه مدح، اذ هو عدم محض بخلاف ما اذا قيل لا يحاط به، فانه يدل على عظم الرب جل جلاله، وان العباد مع رؤيتهم له لا يحيطون به رؤية، كما انهم مع معرفتهم لا يحيطون به علماً، وكما انهم مع مدحهم له وثنائهم عليه لا يحصون ثناء عليه، بل هو كما اثبت على نفسه القدسة، كما قل أفضل الخلق ﷺ «لا أحصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك»

(الوجه السادس) ان يقال قد ثبت عن النبي ﷺ انه كان يقول «أعوذ برضائك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك» اخرجاه في الصحيحين. وهذا مما يدل على تغاير صفات الله، لانه استعاذ برضاه من سخطه وبمعافاته من عقوبته، فدل ذلك على أن الرضا غير السخط والمعافة غير العقوبة، ومن جعل نفس ارادته هي رحمته وهي غضبه يكون معنى قوله ﷺ «أعوذ برضائك من سخطك» عنده انه استعاذ بنفس الارادة منها، وهذا ممتنع، فانه ليس عنده الارادة صفة ثبوتية

يستعاذ بها من أحد الوجهين باعتبار ذلك الوجه منها باعتبار الوجه الآخر ، بل الارادة لها عنده مجرد تعلق بالخلق والتعلق أمر عديمي، وهذا بخلاف الاستعاذة به منه، لأن له صفات متنوعة فيسبغها بعبارة واحدة باعتبار ومنه باعتبار . ومن قال إنه ذات لاصفة لها أوجود مطلق لا يتصف بصفة ثبوتية فهذا يمتنع وجوده في الخارج، وإنما يمكن تقدير هذا في الذهن كما تقدر الممتنعات، فضلاً عن كونه يكون ربا خالقاً للمخلوقات ، وهؤلاء إنما الجأهم الى هذا مضايقات الجهمية والمعتزلة لهم في مسائل الصفات فانهم صاروا يقولون: كلام الله هو الله أو غير الله ؟ فان قلتم هو غيره فما كان غير الله فهو مخلوق، وان قلتم هو هو فهو مكابرة. وهذا أول ما احتجوا به على الامام احمد رحمه الله في المحنة فان المعتصم لما قل لهم ناظروه قل له عبد الرحمن ابن اسحاق: ما تقول في القرآن، أو قال في كلام الله، أهو الله أو غيره؟ فقال له أحمد: ما تقول في علم الله، أهو الله أو غيره؟ فعارض أحمد بالعلم فسكت. وهذا من حسن معرفة أبي عبد الله رحمه الله بالمناظرة، فان المبتدع بنى مذهبه على أصل فاسد متى ذكرت له الحق الذي عندك ابتداء أخذ يعارضك فيه لما قام بنفسه من الشبهة، فينبغي اذا كان المناظر مدعياً ان الحق معه أن يبدأ بهدم ما عنده فاذا انكسر وطلب الحق أعطيه والا فادام معتقداً نقيض الحق لم يدخل الحق اذن قلبه، كالالوح الذي كتب فيه كلام باطل فاحمى أولاً ثم اكتب فيه الحق، فهؤلاء كان قصدهم الاحتجاج لبدعهم، فذكر لهم احمد من المعارضة والنقض ما يبطلها

وقد تكلم احمد في رده على الجهمية في جواب هذا وبين أن لفظ الغير مجمل، يراد بالغير ما هو منفصل عن الشيء، ويراد بالغير ما ليس هو الشيء، فلهذا لا يطلق القول بأن كلام الله وعلمه ونحو ذلك هو هو، لأن هذا باطل، ولا يطلق انه غيره لئلا يفهم انه بائن عنه، منفصل عنه كما رواه الخلال رحمه الله قال: أخبرني الخضر ابن المثني الكندي قال حدثنا عبد الله بن احمد بن حنبل رحمه الله قال: هذا ما أخرجه أبي رحمه الله في الرد على الزنادقة والجهمية فيما شككت فيه من مثابه القرآن وتأويله غير تأويله . فقال احمد بن حنبل رضي الله عنه :

رد الامام احمد على الزنادقة والجهمية

«الحمد لله الذي جعل في كل زمن فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ، ويصبرون منهم على الاذى ، يحيون بكتاب الله الموتي ، ويصبرون بنور الله أهل العمى ، فكم من قتيل لا يابس قد أحيوه ، وكم من ضال تائه قد هدوه ، فما أحسن أثرهم على الناس ، وأقبح أثر الناس عليهم ، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، الذين عقدوا ألوية البدع ، وأطافوا مقال الفتنة ، فهم مختلفون في الكتاب ، يقولون على الله ، وفي الله وفي كتاب الله بغير علم ، يتكلمون بالمتشابه من الكلام ، ويخذعون جهال الناس بما يشبهون عليهم . فنعوذ بالله من فتن المضلين . وكذلك الجهم وشيعته دعوا الناس إلى لمتشابه من القرآن والحديث فضلوا ، وأضلوا بكلامهم بشراً كثيراً »

« فكان مما باغتنا من أمر الجهم عدو الله انه كان من أهل خراسان من أهل ترمذ ، وكان صاحب خصومات وكلام ، وكان أكثر كلامه في الله ، فاقى اناساً من المشركين يقل لهم السمنية ، فعرفوا الجهم فقلوا له : تكلمك فان ظهرت حجبتنا عليك دخلت في ديننا وان ظهرت حجبتك علمنا دخلنا في دينك ، فكان مما كملوا به الجهم ان قولوا ألسنت تزعم ان لك إلها ؟ قل الجهم نعم ، فقالوا له فهل رأيت إلهك ؟ قل لا . قولوا فهل سمعت كلامه ؟ قل لا . قولوا فشمت له رائحة ؟ قل لا قولوا : فوجدت له حساً ؟ قل : لا . قولوا : فوجدت له مجساً ؟ قل لا ، قالوا : فما يدريك انه إله ؟ قال فتجبر الجهم فلم يدر من يعبد اربعين يوماً ،

« ثم انه استدرك حجة مثل حجة زنادقة النصارى وذلك ان زنادقة النصارى يزعمون ان لروح الذي في عيسى هو روح الله من ذات الله . فاذا اراد ان يحدث امرأ دخل في بعض خاتمة فتكلم على لسان خاتمة ، فيأمر بما شاء ، وينهى عما شاء ، وهو روح

غائب عن الابصار . فاستدرك الجهنم حجة مثل هذه الحجة فقال للسمني ألسنت تزعم ان فيك روحا؟ قال نعم، قل فهل رأيت روحك؟ قال لا، قال فسمعت كلامه؟ قال لا قال فوجدت له حسا او مجسا؟ قال لا . قل فكذلك الله لا يرى له وجه ولا يسمع له صوت ولا يشم له رائحة وهو غائب عن الابصار ولا يكون في مكان دون مكان . ووجد ثلاث آيات في القرآن من المتشابه قوله عز وجل (ليس كمثله شيء) (وهو الله في السموات وفي الارض) و (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار) « فبنى اصل كلامه على هؤلاء الآيات، وتأول القرآن على غير تأويله، وكذب باحاديث رسول الله ﷺ وزعم ان من وصف الله بتيء مما وصف به نفسه او حدث عنه رسوله كان كافرا، وكان من المشبهة، وأضل بكلامه بشرا كثيرا، واتبعه على قوله رجال من اصحاب ابي حنيفة واصحاب عمرو بن عبيد بالبصرة ووضع دين الجهمية،

« فاذا سألم الناس عن قول الله (ليس كمثله شيء) يقولون ليس كمثله شيء من الاشياء، وهو تحت الارض السابعة، كما هو على العرش، لا يخلو منه مكان، ولا يكون في مكان دون مكان، ولا يتكلم ولا ينظر اليه احد في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يوصف ولا يعرف بصفة ولا بفعل، ولا له غاية ولا له منتهى، ولا يدرك بعقل . وهو وجه كاه وهو علم كاه وهو سمع كاه وهو بصر كاه وهو نور كاه وهو قدرة كاه، ولا يوصف بوصفين مختلفين . وايس له اعلى ولا اسفل، ولا نواحي ولا جوانب ولا يمين ولا شمال، ولا هو ثقيل ولا خفيف ولا له نور ولا جسم، وليس هو معلول^(١) وكل ما خطر على قلبك انه شيء تعرفه فهو على خلافه،

« فقلنا هو شيء فقلوا هو شيء لا كالأشياء، فقلنا ان الشيء الذي لا كالأشياء قد عرف اهل العقل انه لا شيء . فعند ذلك تبين للناس انهم لا يثبتون شيئا ولكنهم يدفعون عن أنفسهم الشنعة بما يقرون من العلانية

(١) اعلاه : معلوم ولا دعقول

« فذا قيل لهم من تعبدون ؟ قلوا نعبد من يدبر أمر هذا الخلق ، فقلنا هذا الذي يدبر أمر هذا الخلق هو مجهول لا يعرف بصفة ؟ قلوا نعم ، قلنا قد عرف المسلمون انكم لا تأتون بشيء وانما تدفعون عن أنفسكم الشنعة بما تظهرون ، فقلنا لهم هذا الذي يدبر هو الذي كلم موسى ؟ قلوا لم يتكلم ولا يتكلم لان الكلام لا يكون إلا بجارحة والجوارح عن الله منفية . فذا سمع الجاهل قولهم ظن أنهم من أشد الناس تعظيماً لله ، ولا يعلم أنهم انما يعود قولهم إلى ضلال وكفر . فما يستل عنه الجهمي يقال له تجدد في كتاب الله انه يخبر عن القرآن انه مخلوق ؟ فلا يجد ، فيقال له فتجد في سنة رسول الله انه قل إن القرآن مخلوق ؟ فلا يجد ، فيقال له فن أين قلت ؟ فيقول من قول الله (انا جعلناه قرآناً عربياً) وزعم أن جعل مخلوق مجهول هو مخلوق ^(١) فدعى كلمة من الكلام المتشابهة محتج بها من أراد ان يحدد في تنزيهاها ، وكما يبتغي الفتنة في تأويلها وذلك ان جعل في القرآن من المخلوقين على وجهين « على معنى تسمية وعلى معنى فعل من أفعالهم » فقوله (الذين جعلوا القرآن عضين) قلوا هو شعر وأساطير الاوابين وأضغاث أحلام فهذا على معنى تسمية ، وقال (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا) يعني انهم سموهم اناثا . ثم ذكر جعل على غير معنى تسمية فقال (يجعلون أصابعهم في آذانهم) فهذا على معنى فعل من أفعالهم ، وقال (حتى اذا جعله نارا) هذا على معنى عمل فهذا على جعل المخلوقين ، ثم جعل من أمر الله على معنى خالق لا يكون إلا خلق ، ولا يقوم إلا مقام خلق لا يزول عنه المعنى . واذا قل الله : جعل على غير معنى خلق لا يكون خلق ، ولا يقوم مقام خلق ، ولا يزول عنه المعنى ، فما قال الله جعل على معنى خلق قوله (الحمد لله الذي خالق السموات والارض وجعل الظلمات والنور) يعني وخلق الظلمات والنور . وقال (وجعل لكم السمع والابصار)

يقول: وخلق لكم ، وقال (وجعلنا الليل والنهار آيتين) يقول وخلقنا الليل والنهار آيتين ، وقال (وجعل الشمس سراجاً) وقال (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها) يقول وخلق منها زوجها ، يقول خالق من آدم وقال (وجعل لها رواسي) يقول وخلق لها رواسي ، ومثله في القرآن كثير ، فهذا وما كان على مثاله لا يكون إلا على معنى خالق

» ثم ذكر جعل على معنى غير خلق قوله (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة) لا يعني ما خلق الله من بحيرة ولا سائبة ، وقال الله لابراهيم (اني جاعلك للناس اماماً) لا يعني اني خالقتك للناس اماماً ، لان خلق ابراهيم كان متقدماً^(١) قال ابراهيم (رب اجعل هذا البلد آمناً) وقال ابراهيم (رب اجعلني مقيم الصلاة) لا يعني اخلقني مقيم الصلاة وقال (يريد الله أن لا يجعل لهم حظاً في الآخرة) وقال لام موسى (انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين) لا يعني وخالقوه من المرسلين ، لان الله وعد أم موسى ان يرده اليها ثم يجعله من بعده رسولاً ، وقال (ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركه جميعاً فيجعلهم في جهنم) وقال (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة) لا يعني ونخلقهم أئمة ، وقال (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) ومثله في القرآن كثير ،

» فهذا وما كان على مثاله لا يكون على معنى خلق ، فاذا قال الله « جعل » على معنى خالق وقال « جعل » على غير معنى خلق فبأي حجة قال الجهمي جعل على معنى خالق؟ فن رد الجهمي الجعل إلى المعنى الذي وصفه الله فيه ، وإن كان لا كان من الذين يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون . فلما قال الله (انا جعلناه قرآناً عربياً) يقول جعله عربياً جعله جعلاً على معنى فعل من أفعال على غير معنى خالق ، وقال في سورة الزخرف (انا جعلناه قرآناً عربياً لعالمكم تعقلون) وقال (لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين) وقال (فلما يسرناه بلسانك)

فلما جعل الله القرآن عربياً ويسره بأسان نبيه ﷺ كن ذلك فعلا من أفعال الله تبارك وتعالى جعل القرآن به عربياً بيناً يعني هذا بيان، لمن أراد الله هداه «ثم ان الجهمي ادعى أمراً آخر وهو من المحل فقال أخبرونا عن القرآن هو الله او غير الله ؟ فدعى في القرآن أمراً فوهم للناس. فإذا سئل الجاهل عن القرآن هو الله او غير الله ؟ فدعى في ال من ان (١) يقول أحد القولين فان قال هو الله قل له الجهمي كفرت ، وإن قال هو غير الله ، قال صدقت فلم لا يكون غير الله مخلوقا ؟ فيقع في نفس الجاهل من ذلك ما يميل به إلى قول الجهمي وهذه المسئلة من الجهمي هي من المغالطة

«(فالجواب) للجهمي إذا سأل فقال، أخبرونا عن القرآن: هو الله، او غير الله؟ قيل له ان الله جل ثناؤه لم يقل في القرآن إن القرآن أنا، ولم يقل هو غيري، وقال هو كلامي ، فسميناه باسم سماه الله به، فقلنا كلام الله ، فمن سمي القرآن باسم سماه الله به كان من المهتدين ، ومن سماه باسم غيره كن من الضالين ، وقد فصل الله بين قوله وبين خاتمه ، ولم يسمه قولا ، فقال (الاله الخلق والامر) فلما قال (ألا اله الخلق) لم يبق شيء مخلوق إلا كان داخلا في ذلك، ثم ذكر ما ليس بخلق فقال (والامر) فامر هو قوله (تبارك الله رب العالمين) أن يكون قوله خلقا «وقال (إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين * فيها يفرق كل أمر حكيم) ثم قال للقرآن (هو أمر من عندنا) وقال (لله الامر من قبل ومن بعد) يقول لله القول من قبل الخلق ومن بعد الخلق ، فالله يخلق ويأمر ، وقوله غير خلقه. وقال (ذلك أمر الله أنزله اليكم - وقل - حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور) ثم قال احمد رحمه الله :

(١) الظاهر ان العبارة هكذا : فلا بد أن يقول أحد القولين اه من الأصل

﴿ باب بيان مفصل الله به بين قوله وبين خلقه ﴾

وذلك ان الله جل ثناؤه إذا سمى الشيء الواحد باسمين او ثلاثة أسامي فهو مرسل غير مفصل ، وإذا سمى شيئين مختلفين لم يدعهما مرسلا حتى يفصل بينهما . من ذلك قوله (يا أيها العزيز إن له أبا شيئا كبيرا) فهذا شيء واحد سماه بثلاثة أسامي وهو مرسل ، ولم يقل له أبا شيئا وكبيرا . وقال (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا ممن كن مسلمات مؤمنات قانتات ثابتات - ثم قل - وأبكارا) فلما كانت البكر غير اثيب لم يدعه مرسلا حتى فصل بينهما ، وذلك قوله (وأبكارا) وقال (وما يستوي الا عى - ثم قل - والبصير) فلما كان البصير غير الا عى فصل بينهما ثم قل (ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور) فلما كان كل واحد من هذا غير الشيء الآخر فصل بينهما ، ثم (الملك القدوس السلام المؤمن ، المهيمن العزيز الجبار المتكبر - الخالق البارئ المصور) كله شيء واحد فهذا مرسل ليس بمفصل

فكذلك إذا قل الله (الاله الخلق والامر) لان الخلق غير الامر ، فهو مفصل ، انتهى ما ذكره احمد رحمه الله

وهذا الذي ذكره احمد رحمه الله هو الذي عليه الخذاق من أئمة السنة ، وهو قول ابن كلاب وغيره ، فهو لاء لا يطنقون القول بأن صفات الله هي الله ، ولا انها غيره ، وذلك لان هذا إثبات قسم ثالث وهو خطأ ، ففرق بين اطلاق اللفظين لما في ذلك من الاجماع ، وبين نفي مسمى اللفظين مطلقا وإثبات معنى ثالث خارج من مسمى اللفظين . فجاء بعد هؤلاء ابو الحسن الاشعري وكان أحذق ممن بعده فقال بنفي مفرد لا مجموعا فيقول مفردا : ليست الصفة هي الموصوف ؟ ويقول مفردا ليست غيره ؟ ولا يجمع بينهما فلا يقال لاهي هو ولا هي غيره لان الجمع بين النفي فيه من الابهام ما ليس في التفريق ، وجاء بعده

أقوام فقالوا بل ينفي مجموعا ، فيقال لا هي هو ، ولا هي غيره ، ثم كثير من هؤلاء ذا بحثوا يقولون: هذا المعنى إما أن يكون هذا وإما أن يكون غيره فيتناقضون. وسبب ذلك أن لفظ الغير مجمل يراد بالغير المباين المنفصل ، ويراد به ما ليس هو غير الشيء ، وقد يعبر عن الاول بان الغيرين ماجوز وجود أحدهما وعدمه ، او ماجاز مفارقة أحدهما للآخر بزمان او مكان او وجوداً ، ويعبر عن الثاني بانه ماجاز العلم باحدهما مع عدم العلم بالآخر. فبين هذا وهذا فرق ظاهر . فصفت الرب اللازمة لتفارقة ألبنة فلا يكون غيراً بالمعنى الاول ، ويجوز أن يعلم بعض الصفات دون بعض ، ويعلم الذات دون الصفة فيكون غيراً باعتبار الثاني . ولهذا أطلق كثير من مثبتة الصفات عليها انها أغيار للذات وقلوا انها غير الذات ولا يقولون انها غير الله ، فإن لفظ الذات لا يتضمن الصفات بخلاف اسم الله فانه يتناول الصفات ، ولهذا كان الصواب على قول اهل السنة هو أن لا يقال في الصفات انها زائدة على اسم الله بل من قال ذلك فقد غلط عليهم ، وإذا قيل هي زائدة على الذات ام لا ؟ كان الجواب ان لذات الموجودة في نفس الامر مستلزمة للصفات فلا يمكن وجود الذات مجردة عن الصفات بل ولا يوجد شيء من الذوات مجرداً عن جميع الصفات ، بل لفظ الذات تأنيث ذو . ولفظ ذو مستلزم للاضافة ، وهذا اللفظ مولد واصله أن يقال ذات علم وذات قدرة ، وذات سمع ، كما قل الله تعالى (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم) ويقال فلانة ذات مال وجمال

ثم لما علموا ان نفس الرب ذات علم وقدرة ، وسمع وبصر ، عرفوا لفظ الذات رداً على من نفي صفاتها ، وصار التعريف يقوم مقام الاضافة بحيث إذا قيل لفظ الذات فهو ذات كذا . فلذات لا يكون إلا ذات علم وقدرة ، ونحوه من الصفات لفظاً ومعنى . واتما يريد محققو أهل السنة بقولهم : الصفات زائدة على الذات انها زائدة على ما أثبتت نفاة الصفات من الذات ، فانهم أثبتوا ذاتا مجردة

لا صفات لها ، فأثبت أهل السنة الصفات زائدة على ما أثبتته هؤلاء ، فهي زيادة في العلم والاعتقاد والخبر ، لا زيادة على نفس الله جل جلاله ، بل نفسه المقدسة متصفة بهذه الصفات ، لا يمكن أن تفارقها ، ولا توجد الصفات بدون الصفات ، ولا الذات بدون الصفات

والمقصود هنا بيان بطلان كلام هذا المعارض وقوله : ان من اثبت الصفات لله تبارك تعالى لزمه ان يكون مع الله قدما ، فظهر بما ذكرنا عن أهل السنة والجماعة ان كلامه هذا تلبيس وجهل وضلال ، وان مذهب أهل السنة والجماعة في إثبات الصفات الثابتة في القرآن والسنة هو الصواب الموافق لصريح العقول ، كما انه هو الوارد في صحيح المنقول

(الوجه السابع) أن يقال الاقسام الممكنة في آيات الصفات وأحاديثها ستة اقسام كل قسم عليه طائفة من أهل القبلة : قسمان يقولان تجرى على ظواهرها ، وقسمان يقولان هي على خلاف ظواهرها ، وقسمان يسكتان . أما الاولون قسمان (احدهما) من يجريها على ظواهرها ويجعل ظواهرها من جنس صفات المخلوقين فهو هؤلاء المشبهة ومذهبهم باطل بالكتاب والسنة ، ولهذا انكره السلف عليهم واليه توجه الرد بالحق (والثاني) من يجريها على ظواهرها اللائق بجلال الله تعالى كما يجري اسم الله العليم والقدير والرب والاله والموجود والذات ونحو ذلك على ظواهرها اللائق بجلال الله تعالى ، فان ظواهر هذه الصفات في حق المخلوقين إما جوهر محدث وإما عرض قائم ، فالعلم والقدرة والمشيئة والرحمة والرضا والغضب ونحو ذلك في حق العبد اعراض . والوجه والبدان والأمين في حق المخلوق اجسام . فاذا كان الله موصوفا عند عامة أهل لاثبات بأن له علما وقدرة وكلاما ومشيئة وان لم تكن أعراضا يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين ، فلم لا يجوز ان

١٤٦ لوازم الصفات التي يدعيها المبتدعة أما تلزم على مذهبهم دون مذهب السلف

يكون وجه الله ويدها ليست اجساما لا يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين ؟ وهذا هو المذهب الذي حكيماؤه عن اهل السنة . وهو الذي نعتقده وندين الله به وهو الذي يدل عليه كلام علماء السنة ، وهذا امر واضح والله الحمد والمنة ، ولا يلزم عليه شيء من الوازم الباطلة ، وذلك لانه حق ولازم الحق حق فن الصفات كالذات . فكما ان ذاته ثابتة حقيقة من غير ان تكون من جنس ذوات المخلوقات ، فكذلك صفاته ثابتة حقيقة من غير ان تكون من جنس صفات المخلوقات ، فمن قال : لا عقل علما ويدا واستواء إلا من جنس العلم واليد والاستواء المعهود ، قيل له فكيف تعقل ذاتا من غير جنس ذوات المخلوقين ؟

(الوجه الثامن) ان يقول : صفات كل موصوف تناسب ذاته ، وتلائم حقيقته ، فمن لم يفهم من صفات الرب الذي ليس كمثل شيء الا ما يناسب المخلوقين فقد ضل في عقله ودينه ، وخالف لغة العرب وما فطر الله عليه عباده

فتبين بما ذكرنا ان هذه الوازم التي ذكرها هذا الممرض لا تلزم على قولنا الذي حكيماؤه عن اهل السنة والجماعة

(الوجه التاسع) ان يقول : الوازم الشيعة الفضيحة المخالفة لصحيح المعقول وصرح المنقول ، اما تلزم على قول هذا المعارض وسلفه المتكلمين من الجهمية والمعتزلة والقدرية ، ومن نحائهم من الشيعة والزيدية . وبيان ذلك انه اذا كان الكتاب والسنة مملوءان مما ظاهره عندهم تشبيه وتجسيم وتكييف كيف يجوز على الله تعالى ثم على رسوله ﷺ ثم على الصحابة انهم يتكلمون دائما بما هو نص او ظاهر في خلاف الحق ، ثم الحق الذي يجب اعتقاده لا يوحون به ، ولا يدلون عليه حتى يجيء انباط الفرس والروم والفلاسفة فيثبتون للامة العقيدة الصحيحة التي يجب على كل مكلف او كل فاضل اعتقادها ؛ لئن كان الحق فيما يقوله هؤلاء المتكلمون لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة اهدى لهم وأنعم على هذا التقدير ، بل

مقتضى مذهب المعتزلة والشيعة ان اقرآن والحديث لا يهديا الى معرفته تعالى ١٤٧

كان وجود الكتاب والسنة ضرراً محضاً في اصل الدين ، فان حقيقة الامر على مايقوله هؤلاء : انكم معاشر العباد لا تطالبوا معرفة الله ولا ما يستحقه من الصفات نفياً وإثباتاً لامن الكتب ولا من السنة ، ولا من طريق سلف الامة ، ولكن انظروا أتم فما وجدتموه مستحقاً له من الصفات فصصفوه به ، سواء كان موجوداً في الكتب والسنة او لم يكن وما لم تجدوه مستحقاً له في عقولكم فلا تصفوه به ، واليه عند التنازع فارجعوا فانه الحق الذي تعبدتم به . وما كان مذكوراً في الكتاب والسنة مما يخلف قياسكم هذا فاجتهدوا في تخريجه على شواذ اللغة ، ووحشي الالفاظ ، وغرائب الكلام ، او اسكتوا عنه مفوضين علمه إلى الله مع نفي دلالة على نفي من الصفات . هذا حقيقة الامر على رأي هؤلاء وهو لازم لهم لزم لا محيد عنه . ومضمونه ان كتاب الله لا يهتدى به في معرفة الله ، وأن الرسول ﷺ معزول عن التعليم والاخبار بصفات من أرسله ، وما أشبه حال هؤلاء بالذين قال الله فيهم (ألم تر إلى الذين يزعمون انهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكوا إلى الطاغوت وقد أمروا ان يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً *) واذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً — إلى قوله — إن أردنا إلا احساناً وتوفيقاً) فن الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه . والرد إلى الرسول هو إلى سنته بعد وفاته ، فان هؤلاء اذا دعوا إلى ذلك أعرضوا ورأيتهم يصدون عنه حدوداً ويقولون : يلزم منه كذا . وما قصدنا إلا احساناً وتوفيقاً بين هذه الطريقة التي سلكناها وبين الدلائل الثقيلة .

ثم عامة هذه الشبهات التي يسمونها دلائل انما قلدوا فيها طاغوتا من طواغيت المشركين والصائبين او بعض ورثته الذين أمروا ان يكفروا به ، وقد قال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكوك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في

أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) وقال تعالى (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه — إلى قوله — والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) (الوجه العاشر) قوله : أما مخالفة لغة العرب فلا يجوز لك أن تلحق لفها وتفسر كتاب الله جل وعلا بغيرها، لمخالفتك لما أنزل الله فيه فقد قال تعالى (نزل به الروح الأمين) الآية، وقال (قرآنا عربياً)

فهذا الكلام حق أريد به باطل كما قال أمير المؤمنين علي رضي الله للخوارج — لما قالوا له — أشركت لأنك حكمت الرجال في دين الله، وقد قال تعالى (لئن أشركت ليحبطن عملك) قال «كلمة حق أريد بها باطل» وهذا من أعظم حجج المشبهة القائلين بأننا لا نعقل من هذه الصفات إلا مثل صفاتنا لأنه نزل بلغة العرب، فهم أسعد منك بهذه الحجة لأن اللفظ يحمل على ظاهره عند العرب كما تزعم وأما السلف وأهل السنة والجماعة فلا تلزمهم هذه الحجة لأنهم يقولون أنها على ظاهرها في حق تبارك وتعالى لكنها كما يليق بجلاله وعظمته لأن الصفات تابعة للذات، كما تقدم تقريره قريباً

(الوجه الحادي عشر) قوله : هل يجوز لك أن تقول استوى بلا كيف بعد أن قل (مبين) وقال (لعلكم تعقلون)، ما كأنك إلا قلت ماتبين لنا ولا عقلناه فخطبنا ربنا بما لا نتبينه ولا نعقله وليس هو من جنس لغة العرب، ولو كان عربياً لتبين لنا وعقلناه — إلى آخر كلامه

فيقال : هذا مما يدل على جهلك وعدم معرفتك بالحجج التي تحتج بها، وذلك لأن المشبهة يردون عليك بكلامك هذا : نحن لا نعقل من لغة العرب إلا ما قلنا، والعرب يحملون الكلام على حقيقة، فما المانع من حمل هذه النصوص على ظواهرها في حقنا، والمجاز إنما يصار إليه عند الضرورة ولا ضرورة هنا، وأيضاً

يقولون: من قاعدة المجاز جواز نفيه، ولا يجوز لأحد أن ينفي تلك الصفات عن الله عز وجل فيقول ليس بسميع، ليس بحي، ليس ببصير، ليس بقادر، ليس بمتكلم، ليس بمستو على العرش، فكيف تقولون انهما من المجاز ومن قاعدة العرب انهم يجوزون نفي المجاز؟ فإذا قالوا للشجاع: هذا أسد إذا أرادوا وتشبيهه بالأسد في الشجاعة جوزوا أن ينفي ذلك عنه ويقال ليس بأسد، بل هذا إنسان ناطق متكلم عاقل، وكذلك إذا قالوا للبلبد حمار تشبها له بالحمار في الجهالة جوزوا أن ينفي ذلك عنه فيقال ليس هذا بحمار، وإنما هو شبه له بالجهل، واشباه ذلك كثير في كلامهم وأما إذا قال أهل السنة: إن الله أخبرنا أنه استوى على العرش ولم يخبرنا بكيفية ذلك فقلنا بما قل الله، وسكتنا عما سكت الله عنه، وحمأنا الاستواء على حقيقة في حق البارئ تعالى، فإذا قيل لنا: كيف استوى؟ قلنا لم يخبرنا الله بذلك، فهذا معنى قولنا بلا كيف، فإين في هذا ما يخالف لغة العرب

وما أحسن ما قل بعض هل السنة إذا قال لك المجيء كيف استوى، أو كيف ينزل إلى سماء الدنيا، أو كيف يده أو نحو ذلك، فقل له كيف هو في نفسه؟ فإذا قال لا يعلم ما هو إلا هو؟ وذات البارئ غير معلومة للبشر، فقل له فالعلم بكيفية الصفة مستلزم للعلم بكيفية الموصوف فكيف يمكن أن يعلم كيفيته وإنما تعلم الذات والصفات من حيث الجملة على الوجه الذي ينبغي لذلك الموصوف، بل هذه الخلوقات في الجنة قد ثبتت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه «ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الاسماء» وقد أخبر الله تعالى (نه لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) الآية وقال ﷺ «يقول الله أعدت لعبادي النصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» فإذا كان نعيم الجنة وهو خلق من خالق الله كذلك، فما الظن بالخالق سبحانه وتعالى؟ أفلا يعتبر العاقل بهذا عن الكلام في كيفية الله تعالى؟ وقد قال تعالى (ليس كمثل شيء وهو السميع البصير)

وبما ذكرنا يتبين للمنصف اللبيب أن أهل السنة والجماعة هم أسعد الناس بفهم كتاب الله وتعقله وتفهمه وتدبره ، وقد هداهم الله لما اختلف فيه من الحق والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

(الوجه الثاني عشر) قوله (قد صرحت بأن قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) دل على الاستواء على العرش كما فهمناه من كلامك وخطابك. ولغة العرب حاكمة بأن حقيقة الاستواء على العرش الجلوس عليه وهو ان يعود مع تعطف الرجلين ورجوع بعضها الى بعض تعالى الله عن ذلك فهذا حقيقة عند العرب)

فيقال هذا كذب ظاهر على اللغة العربية ، وليس هذا حقيقته عند العرب في حق الباري تعالى ، واذا كان علماء العربية قد بينوا ان الاستواء في حق الخلق يطلق على معاني كثيرة كالاتيلاء والاستقرار وغير ذلك فكيف يقول هذا الجاهل : ان لغة العرب حاكمة بأن حقيقة الاستواء على العرش الجلوس عليه وهو القعود مع تعطف الرجلين ورجوع بعضها على بعض ، تعالى الله عن ذلك ، فهذا حقيقته عند العرب. ولكن هذا المعترض وشيعته لظلمة قلوبهم وزيفها عن الحق لا يفهمون من صفات الله الا ما يفهمونه من صفات الخلق ، ولذلك زعموا أن ظاهر هذه النصوص الواردة في القرآن والسنة تشبيه وتجسيم وتكييف وكلامنا في هذا الوجه وما قبله من الوجوه شاف كاف في نقض كلامه وبيان بطلانه لمن أراد الله هدايته والله أعلم

فصل

و أما قوله (فان قلت قد ابنت خطأ المجيب وتخليطه وذكرت في كلامك أن المرجع عند الشبه الى قرناء كتاب الله تعالى أهل بيت رسول الله ﷺ فما تحقيق مذهبهم في الصفات ؟ وما أثبت الله تعالى لنفسه في صريح الآيات من اليد والاستواء وغيرها حتى تطمئن القلوب "يه ، ويكون المعول في الاعتقاد عليه) ثم نقل عن

محمد بن عز الدين المفتي في كتاب (البدر الساري شرح :واسطة الدراري ، في توحيد الباري) من نحو قادر وعالم وموجود وقديم وحي ، الى آخر كلامه ، وكذلك ما ذكره عن عقد النظام وغيره . ثم قال : ولواتسع المقام لذكرنا أقوال علماء الآل عليهم السلام قولاً قولاً ، والوجه على ما ذهبوا اليه هو أنهم اطلعوا على حقيقة ما هو قرينهم كتاب الله تعالى الذين هم تراجمته وفهموه بفهم جدهم ﷺ حيث قال « فهمهم فهمي »

(الجواب) أن يقال (اولاً) نطالبك بصحة هذا عن زين العابدين رضي الله عنه ، ويقال (ثانياً) من رواه من الأئمة المعروفين بالعالم ومعرفة الحديث كلاماً أحمد ومالك بن أنس والشافعي والزهرري والحسن بن أبي الحسن البصري وسعيد بن المسيب وقتادة وأمثال هؤلاء الذين اشتهر عند الأمة أنهم أهل صدق فيما نقلوه عن أهل البيت وغيرهم ، ومجرد نقل من ذكرت عنه لا يوجب صحة النقل عنه بذلك ، وهؤلاء الذين ذكرت أنهم نقلوا ذلك عنه لا يعرفون عند أهل العلم بصدق ولا أمانة ولا ديانة، كما يعرف أئمة أهل البيت مثل زين العابدين وابنه زيد بن علي وشباههم رضي الله عنهم

ويقال (ثالثاً) قد نقل عن أهل البيت ما يخالف ما نقلته عن ذكرت، فمن ذلك ما نقل البغوي في تفسيره المشهور قل فيه قال ابن عباس رضي الله عنه وأكثر المفسرين من السلف «استوى الى السماء ارتفع الى السماء» وكذلك قل الخليل ابن احمد، وهو من أئمة اللغة المشهورين

وروى البيهقي بإسناده قل الفراء «استوى الى السماء أي صعد» قاله ابن عباس والتفسير المأثورة عن النبي ﷺ والصحابه والتابعين مثل تفسير محمد بن جرير الطبري، وتفسير عبدالرحمن بن ابراهيم المعروف بدحيم، وتفسير عبدالرحمن بن ابي حاتم الرازي ، وتفسير ابن المنذر، وتفسير أبي بكر عبدالعزیز وتفسير أبي الشيخ

الاصبغاني، وتفسير أبي بكر بن مردويه ، وما قبل هؤلاء من التفاسير مثل تفسير الامام احمد بن حنبل واسحاق بن ابراهيم وبق بن مخلد ، ومن قبلهم مثل تفسير عبد بن حميد وتفسير سنيد وتفسير عبد الرزاق وو كيع بن الجراح فيها من هذا الباب الموافق لقول أهل السنة والجماعة ما لا يحصى ، فمن أراد ذلك فليطالع في تلك الكتب . وهؤلاء الاثمة هم الذين يعرفون مذهب أهل البيت ، ويعبزون بين صحيح القول من ذلك والمكذوب منه وهم المتبعون لأهل البيت حقاً ، وبهذا تبين بطلان قول المعارض

فصل

وأما قوله في الكلام على الاستواء (وقوله قال الامام الاعظم القاسم بن محمد في كتابه الاساس: جمهور أئمتنا ان العرش عبارة عن عز الله وملكوته الى آخره) قل في شرحه: اعلم ان تأويل الاستواء على العرش متفق عليه الا عند مثل ابن عربي والمجسمة . ثم ذكر الحامل له على التأويل

(فالجواب) أن يقال هذا يدل على جهل المعارض وانه لا يعرف المذاهب في هذه المسئلة وجهل من نقل عنه ذلك ، فان مذهب أهل السنة في هذه المسئلة من التابعين وأتباعهم والاثمة الاربعة وأصحابهم أمر مشهور معلوم عند من له أدنى معرفة بمذاهب الناس ، حتى المأولة من المعتزلة والاشعرية وغيرهم يقرون بذلك إذا ذكروا آيات الصفات وأحاديثها في تفاسيرهم وعقائدهم يقولون: فيها مذهبان مذهب السلف ، وهو إمرارها كما جاءت مع اعتقاد انها صفات لله لا تشبه صفات المخلوقين وقالوا ذلك أسلم ، (والثاني) مذهب الخلف وهو تأويلها وصرفها عن ظاهرها كتأويل الاستواء بالاستيلاء ، واليد بالقدرة والنعمة وأشياء ذلك وقد نقل مذهب السلف في هذه المسئلة كما ذكرنا غير واحد من الاثمة كحرب الكرمانى صاحب الامام

أحمد في مسائله ، والامام البخاري صاحب الصحيح في كتاب خاق أفعال العباد ،
والخلال في كتاب السنة ، وأبي عثمان اسماعيل الصابوني وعثمان بن سعيد الدارمي
الذي هو من أقران البخاري ومسلم وذكروا مذهب التأويل عن جهنم بن صفوان وبشر
المريسي وأشباههم ممن هو معروف بالبدعة والضلالة ، وهذا نص كلامهم بحروفه:
﴿ نقول مصنفى السلف في مذهب أهل السنة في صفات الله تعالى ﴾

قال ابو محمد حرب الكرماني في مسائله المعروفة التي نقلها عن الامام احمد وإسحاق
وغيرهما وذكر من الآثار عن النبي ﷺ وأصحابه وغيرهم ما ذكر وهو كتاب كبير
صنفه على طريقة الموطأ ونحوه من المصنفات. قال في آخره في الباب الجامع

قول الامام الكرماني في مذهب السلف

(باب القول في المذهب) هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الاثر وأهل
السنة المعروفين بها المتقدمين فيها ، وأدركت من أدركت من علماء أهل الشام
والعراق والحجاز وغيرهم عليها ، فن خالف شبة منها او طعن فيها او عاب قائلها
فهو مبتدع خارج من الجماعة ، وزائل عن منهج السنة وسبيل الحق . وهو مذهب
احمد وإسحاق بن ابراهيم وبقي ابن مخلد ، وعبدالله بن الزبير الحيدري وسعيد
ابن منصور وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا عنهم العلم ، وذكر الایمان في القدر والوعد
والوعيد والامامة ، وما أخبر به الرسول ﷺ من اشراط الساعة وغير ذلك إلى أن قال
« وهو سبحانه بأش عن خاقه لا يخلو من علمه مكان ، والله عرش ، وللعرش
حملة يحملونه ، وله حد والله أعلم بحده ، والله على عرشه عز ذكره وتعالى جده ،
ولا إله غيره ، والله سبحانه سميع لا يشك ، بصير لا يرتاب ، عليم لا يجهل ، جواد
لا يبخل ، حلیم لا يعجل ، حفيظ لا ينسى ، رقيب لا يغفل ، يتكلم ويتحرك ^(١) ويسمع

(١) يعني بالتحرك ما ورد في بحیثه واثباته وهو في القرآن ومن نزوله الى سماء
الدنيا في الحديث ولكن اللفظ التحرك لا يعرفه في الكتاب والسنة ولا آثار الصحابة

ويبصر وينظر، ويقبض ويبسط ويعرج، ويحب ويكره ويبغض ويرضى، ويسخط
ويغضب، ويرحم ويعفو ويعفر، ويعطي ويمنع، وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف
شاء وكما شاء (ليس كمثل شيء وهو السميع البصير) - إلى أن قال - ولم ينزل الله متكلماً
علماً، فتبارك الله أحسن الخالقين »

قول الامام الاثرم في مذهب السلف

وقال الفقيه الحافظ ابو بكر الاثرم صاحب الامام احمد في كتاب السنة، وقد
نقله عنه الحلال في السنة: حدثنا ابراهيم بن الحارث - يعني العبادي - حدثني الليث
ابن يحيى، سمعت ابراهيم بن الاشعث، قال ابو بكر صاحب الفضيل: سمعت الفضيل
ابن عياض يقول « ليس انما أن نتوهم في الله كيف وكيف، لان الله وصف نفسه فأبناخ
فقال (قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد * لم يولد * ولم يكن له كفواً أحد) فلا صفة
أبناخ مما وصف به نفسه ، وكل هذا النزول وهذه البهاة وهذا الاطلاع كما شاء أن
ينزل، وكما شاء أن يباهي، وكما شاء أن يطامع، وكما شاء أن يضحك، فليس لنا أن نتوهم
كيف وكيف ، وإذا قال لك الجهمي أنا كافر برب يتحرك او يزول عن مكانه.
فقل أنا مؤمن برب يفعل ما يشاء »

وقد ذكر هذا الكلام الاخير عن الفضيل بن عياض رحمه الله البخاري رحمه
الله في كتاب خلق أفعال العباد، هو وغيره من أئمة أهل السنة وتلقوه بالقول .
قال البخاري: وحدث يزيد بن هارون عن الجهمية فقال: « من زعم ان (الرحمن
على العرش استوى) على خلاف ما يقر في قلوب العامة فهو جهمي »

قول اسحق بن ابراهيم في كتاب السنة

وقال اسحاق بن ابراهيم في كتاب السنة أخبرني عبيد الله بن حنبل أخبرني
ابي حنبل بن اسحاق قال: قال عمي احمد بن حنبل « نحن نؤمن بأن الله على العرش
كيف شاء بلا حد ولا صفة يبلغها واصف او يحده أحد، فصفاة الله له ومنه، وهو

كما وصف نفسه لا تدركه الابصار بحد ولا غاية ، وهو يدرك الابصار ، وهو عالم الغيب والشهادة وعلام الغيوب ، ولا يدركه وصف واصف وهو كما وصف نفسه وليس من الله شيء محدود ، ولا يبلغ علم قدرته أحد . غلب الاشياء كلها بقدرته وسلطانه (ليس كمثل شيء وهو السميع البصير) وكان الله قبل أن يكون شيء . والله هو الاول والاخر لا يبلغ أحد حد صفاته »

قال وأخبرني علي بن عيسى أن حنبلا حدثهم قال سألت أبا عبد الله عن الاحاديث التي تروى « ان الله تبارك وتعالى ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا » « وان الله يرى » « وان الله يضع قدمه » وما أشبه هذه الاحاديث فقال ابو عبد الله « نؤمن بها ونصدق بها ولا كيف ولا معنى » أي لا نكفها ولا نحرفها بالتأويل فنقول معناها كذا ، ولا نرد منها شيئاً ، ونعلم أن ما جاء به الرسول حق ، إذا كان باسانيد صحاح ، ولا نرد على الله قوله ، ولا يوصف الله بأكثر مما وصف به نفسه بلا حد ولا غاية (ليس كمثل شيء وهو السميع البصير)

وقال حنبل في موضع آخر عن احمد قال « ليس كمثل شيء » في ذاته كما وصف به نفسه ، وقد أجهل تبارك وتعالى بالصفة لنفسه فحد لنفسه صفة ليس يشبهه شيء ، فصفاته غير محدودة ولا معلومة إلا بما وصف نفسه ، قال فهو سميع بصير بلا حد ، ونؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه ، ولا نزيل عنه صفات من صفاته لشناعة شنعت ، لا نتعدى القرآن والحديث ، والخبر « يضحك الله » ولا يعلم كيف ذلك إلا بتصديق الرسول ﷺ . لا يصفه الواصفون ، ولا يحده أحد . تعالى الله عما يقول الجهمية والمشبهة »

قات والمشبهة ما يقولون ؟ قال « من قال بصر كبصري ، ويد كيدي وقدم كقدمي ، فقد شبه الله بخلقه ، وهذا يحده ، وهذا كلام سوء وهذا محدود ، والكلام في هذا لا أحبه » انتهى

والكتب الموحدة فيها ألفاظهم الثابتة بأسانيدهم وغير أسانيدهم كثير مثل كتاب الرد على الجهمية لابن أبي حاتم والرد عليهم لمحمد بن عبد الله الجعفي شيخ البخاري والرد عليهم للحكم بن معبد الخزاعي وكتاب السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل والسنة لحنبل ابن عم الامام احمد والسنة لابي داود السجستاني ، والسنة للارتم ، والسنة لابي بكر الخلال والرد على الجهمية للدارمي ونقضه على الكاذب العنيد فيا اقترى على الله في التوحيد ، وكتاب التوحيد لابن خزيمة والسنة للطبراني ولابي الشيخ الاصمعياني ، وشرح السنة لالكائي والابانة لابن بطة وكتب ابن منده والسنة لابي ذر الهروي ، والاسماء والصفات للبيهقي ، والاصول لابي عمر الطلمنكي ، وكتاب الفاروق لابي اسماعيل الانصاري ، والحجة لابي القاسم التميمي وغير ذلك من الكتب التي يذكر مصنفوها مذاهب السلف بالنقول الثابتة بألفاظهم الكثيرة المتواترة في اثبات علو الله على خلقه واستوائه على عرشه تبارك وتعالى فكيف يقول هذا الخاهل ان تأويل الاستواء متفق عليه إلا عند ابن عربي والمجسمة؟ اللهم إلا ان يريد بالمجسمة أهل السنة والحديث كالصحابه والتابعين والائمة الاربعة واتباعهم من أهل الحديث وغيرهم كما يلقبهم بذلك الجهمية والمتمزلة فانهم يسمون كل من أثبت صفات الله مجسما .

وأما ابن عربي وأمثاله من أهل وحدة الوجود فهم من غلاة الجهمية ، وانما حملهم على ذلك المبالغة في انكار انصفات ، وذلك ان الجهمية لما أنكروا ان يكون الله تسكلم باقرآن ، قالوا ان الله خلقه وأحدثه في بعض الاجسام ، فنسبة ذلك إلى الله مجاز ، فلزم ان يكون كلام جميع الخلق كلام الله لانه خلق ذلك فيهم ولهذا قال ابن عربي :

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه

ومعلوم ان من خالف ما جاءت به الرسل عن الله بمجرد عقله فهو أولى بالكفر والجهل والتشبيه والتجسيم ممن لم يخاف ما جاءت به الرسل ، وانما خالف

ما علم بالعقل إن كان ذلك حتماً كما قال بعض نفاة الصفات لما تأمل أحوال أصحابه وحال مثبتيهما قال لا ريب ان حال هؤلاء عند الله خير من حالنا فانهم إن كانوا مصيبين نالوا الدرجات العالية والرضوان الاكبر ، وإن كانوا مخطئين ، فانهم يقولون : يا رب نحن صدقنا ما دل عليه كتابك وسنة رسولك إذ لم يتيين لنا بالكتاب والسنة نفي الصفات كما دل كلامك على اثباتها . فنحن أثبتنا ما دل عليه كلامك وكلام رسولك محمد ﷺ فان كان الحق بخلاف ذلك فلم يبين لنا الرسول ﷺ ما يخالف ذلك ، ولم يكن خلاف ذلك مما يعلم ببديانه العقول ، بل ان قدر انه حق فاما يعلمه الافراد فكيف والمخالفون في ذلك يقرون بالحيرة والارتباب . قال النافي فان كنا نحن المصيبين فانه يقال لنا أنتم قلم شيئا لم آمركم بقوله ، وطلبتم علما لم آمركم بطلبه فالثواب انما يكون لاهل الطاعة وأنتم لم تمتثلوا أمري ، قال وإن كنا مخطئين فقد خسرنا خسرا مبينا

فصل

وأما قوله في تأويل الاستواء بالاستيلاء ويساعده من كلام العرب ما نقله الغزالي من قول الشاعر :

قد استوى عمرو على العراق من غير سيف أو دم مهراق
(فالجواب) ان يقال أنت قد نقضت كلامك المتقدم ، وقولك ولغة العرب حكمة بأن حقيقة الاستواء على العرش الجلوس عليه وهو القعود مع تعطف الرجلين ورجوع بعضها على بعض وبيان ذلك ان الشاعر أخبر ان عمرا استوى على العراق أي ملكه فتقول ان معناه جلس على العراق كله وعطف رجله على جميعه فان قلت هذا فهذا مكابرة ، وإن قلت ان المعنى باستواء عمرو على العراق ملكه فقد نقضت ما أصلته ، وهدمت ما قررتة ، فاعجب لبان يخرب ما بنى ولم تعلم

بجهلك بلغة العرب ، وما يجوز على الله وما يتمتع عليه ان ذلك لا يجوز في حقه
تبارك وتعالى وذلك ان الله تعالى مستول على الكونين والجنة والنار وأهاها فأني
فائدة في تخصيص العرش ؟ وأيضا الاستيلاء يكون بعد قهر وغلبة والله تعالى
منزه عن ذلك

وقد أخرج اللالكائي في السنة عن ابن الاعرابي - وهو من أكابر أئمة اللغة -
انه سئل عن معنى (استوى على العرش) فقال: هو على عرشه كما أخبر ، فقيل يا أبا
عبد الله معناه استولى ؟ فقال اسكت لا يقال استولى على الشيء إلا إذا كان له
مضاد ، فاذا غلب أحدهما قيل استولى .

وقد ذكر غير واحد من أهل العلم ان الاستواء في لغة العرب يطلق على
معاني متعددة (أحدها) بمعنى الاستقرار كقوله (واستوت على اليهودي) .
(ثانيها) بمعنى الاستيلاء ومنه قول الشاعر

فلما علونا واستوينا عليهم تركناهم صرعى لنسر وكاسر

(وثالثها) القصد والاقبال على الشيء كقول القائل كان الأمير يدبر أمر
الشام ، ثم استوى إلى أهل الحجاز أي تحول فعله وتديره اليهم (رابعها) انه
. معنى التمام والكمال كقوله تعالى (فلما بلغ أشده واستوى) أي كمل عقله

فتبين بذلك كذب هذا المفتري وجهله بلغة العرب ، وما أحسن ما قال بعضهم
أكثر ما يفسد الناس نصف متكلم ونصف متفقه ونصف متطبب ونصف نحوي ،
هذا يفسد الأديان وهذا يفسد البلدان وهذا يفسد الأبدان وهذا يفسد اللسان

فصل

أما قوله (وقد ذكر القاضي العلامة إسحاق بن محمد العبدى رحمه الله في كتاب الاحتراس بعد أن طول بما يشفي الصدور في تقرير حجة التأويل للعرش بالعرش والملك والاستواء بالاستيلاء والقهر ولكنه كلام طويل تضيق عنه هذه الرسالة فقتصرنا على آخر كلامه قال مالفظه (إذا استبان لك ماأشرنا اليه فأمر الاختيار مفوض اليك فاما جمهور العدلية من المعتزلة وغيرهم فقد جنحوا إلى التأويل، ورأوا ان ذلك أوفق وأليق لمن يرد إلى سواء السبيل . وأما المحافظون على بقاء الظواهر وكذلك التاركون لتفصيل والتأويل ، فقد ظنوا أن في ذلك نوعا من التعطيل، وما افتتوا إلى التأويل ، وما يرفع الشبه لا بد منه عند الفريقين إما في نفس العرش أو الاستواء عليه ، واما ان يكون التأويل تفصيلى أو اجماليا ، وإذا كان لا بد من التأويل فالتأويل بما يرفع مطالبة الوهم بالكيف ، ويقطع مادة تعلقته إلى ادراك تلك الحقيقة أحق وأوفق وأليق ، وقد كشفت لك الغطاء في التبيين والتوقف والتأويل ، وانت بعد ذلك مخير على أي جانبك تميل ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)

(فالجواب) أن يقال : هذا الذي نقلته من هذا الكلام قد نقض عليك ما نقلته قبل ذلك باسطر يسيرة من ان تأويل الاستواء على العرش متفق عليه الا عند مثل ابن عربي والمجسمة ، وذلك انه ذكر في كلامه الاقوال في المسئلة فذكر أن جمهور العدلية من المعتزلة وغيرهم يميلون إلى التأويل فكلامه يدل على ان بعض المعتزلة يميل إلى القول المقابل لقول اهل التأويل . ولهذا قال : وأما المحافظون على بقاء الظواهر ، وكذا التاركون لتفصيل والتأويل ، فقد ظنوا ان في ذلك نوعا من التعطيل ثم انه خير الناظر في كلامه على أي وجه يميل اليه من تلك الاقوال وان كان القول الاول هو الاوفق والاليق والراجح عنده . فلو ان هذا المعارض

قال مثل مقالة هذا الرجل لكان أليق به وأوفق .

وأما ما ذكره من كلام الزمخشري وغيره من أئمة المعنزة فكلامهم في نفى الصفات والقول بخلق القرآن مشهور معروف ، وليسوا من أئمة العلم والدين المقتدى بهم بل هم من أئمة البدع والضلال ، ولهذا نقل عن بشر بن غياث المريسي حديثا عن ابن عباس رضى الله عنهما فإذا كان رجاله الذين ينقل عنهم كلام أهل البيت مثل بشر بن غياث المريسي واضرابه الذين كفرهم أهل العلم وبدعهم واشتهروا بينهم بالزندقة والكفر والكذب تبين لك أن عامة ما ينقله هذا وأشباهه عن أهل البيت كذب واقتراء عليهم نسأل الله أن ينتقم لأهل البيت ممن كذب عليهم وأبغضهم وقد قال البخاري رحمه الله في كتاب (خلق أفعال العباد) حدثني أبو جعفر حدثني أحمد بن خالد الخلال ، قال سمعت يزيد بن هارون ذكر أبا بكر الأصم وبشر المريسي فقال : هما والله زنديقان ، كافران بالرحمن ، حلالات الدم . وقال الخطيب في تاريخه المشهور : وبشر بن غياث من أصحاب الرأي ، أخذ الفقه من أبي يوسف القاضي إلا أنه اشتغل بالكلام وجرد القول بخلق القرآن وحكى عنه أقوالا شنيعة ومذاهب مستنكرة ، أساء أهل العلم قولهم فيه بسببها ، وكفره أكثرهم لاجلها . ثم ذكر الخطيب كلام أهل العلم في تكفيره والامر بقتله . وقد صنف علماء السنة مصنفات كثيرة في الرد على بشر المريسي ونحوه من أئمة الجهمية والمعتزلة . فمن ذلك ما صنفه أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي الإمام المشهور من طبقة البخاري ومسلم والترمذي وأبي داود وطبقته وسماه (نقض عثمان بن سعيد ، على المريسي الجهمي العنيد ، فيما اقترى على الله في التوحيد) قال فيه

وقد اتفقت السكامة من المسلمين والكافرين أن الله في السماء إلا المريسي الضال وأصحابه حتى الصبيان الذين لم يبلغوا الحنث قد عرفوه بذلك إذا ضرب الصبي رفع يده إلى السماء يدعو ربه ، وكلامه بالله وبمكانه أعلم من الجهمية حدثنا

أحمد بن منيع حدثنا معاوية عن شبيب بن شيبه عن عمران بن حصين ان النبي ﷺ قال لآبيه « يا حصين كم تعبد اليوم؟ — قال سبعة، ستة في الارض وواحدًا في السماء قال — فأيهم تعد لرغبة ورهبة؟ — قال الذي في السماء » فلم ينكر النبي ﷺ على الكافر اذ عرف ان اله العالمين في السماء

فخصين الخزاعي في كفره يومئذ كان اعلم بالله العليل من بشر المريسي وأصحابه مع ما ينتحلون من الاسلام، اذ ميز بين الاله الخالق الذي في السماء وبين الالهة والاصنام المخلوقة في الارض

(قل) وادعى المعارض أيضاً ان قول النبي ﷺ « ان الله ينزل الى سماء الدنيا حين يمضي ثلث الليل فيقول هل من مستغفر هل من داع هل من تائب؟ » فادعى ان الله لا ينزل بنفسه انما ينزل امره ورحمته وهو على العرش وبكل مكان من غير زوال، لانه الحي القيوم، والقيوم بزعمه لا يزول

(قال) فيقال لهذا المعارض: وهذا أيضاً من حجج النساء والصبيان، ومن ايس عنده بيان ولا لمذهبه برهان، لان امر الله ورحمته ينزلان في كل ساعة ووقت وأوان، فما بال النبي ﷺ يحذر نزوله الليل دون النهار؟ وبوقت من الليل شطره أو الاسحار، فأمره ورحمته يدعوان العباد الى الاستغفار؟ او يقدر الامر والرحمة أن يتكلما دونه فيقولان: هل من داع فأجيب؟ هل من مستغفر فأغفر؟ هل من سائل فأعطي؟ فان قررت مذهبك لمك أن تدعي أن الرحمة والامر هما اللذان يدعوان الى الاجابة والاستغفار بكلامهما دون الله. وهذا محال عند السفهاء، فكيف عند الفقهاء؟ وقد علمت ذلك، ولكن تكلمون. وما بال رحمته وأمره ينزلان من عنده شطراً من الليل، ثم لا يمكنان إلا الى طلوع الفجر، ثم يرفعان؟ لان رفاعة يرويه في حديثه حتى ينبجر الفجر، وقد علمت ان شاء الله ان هذا التأويل أبطل باطل، ولا يقبله الا كل جاهل،

وأما دعواك أن تفسير الحي القيوم: الذي لا يزول عن مكانه ولا يتحرك ، فلا يقبل هذا التفسير إلا بأثر صحيح ماثور عن رسول الله ﷺ أو عن بعض أصحابه أو تابعين ، لأن الحي القيوم يفعل ما يشاء ، ويتحرك إذا شاء ، ويهبط ويرتفع إذا شاء ، ويقبض ويبسط إذا شاء ، ويجلس إذا شاء ، لأن اشارة ما بين الحي والميت التحرك ، فكل حي متحرك لا محالة ، ومن يلتفت الى تفسيرك وتفسير صاحبك مع تفسير نبي الرحمة ورسول رب العزة ، اذ فسر نزوله مشروحا منصوصا ، ووقت نزوله وقتا مخصوصا ، لم يدع لك ولا لأصحابك فيه لبسا ؟

(قال) ثم اجمل المعارض جميع ما تنكره الجهمية من صفات الله تعالى وذاته المسماة في كتابه ، وفي آثار رسوله ﷺ فمد منها بضعة وثلاثين صفة نسقا ، وأخذ يحكم عليها ويفسرها بما حكم به الريسي وفسرها وتأولها حرفا حرفا معتمداً فيها على تفسير الزائغ الجهمي بشر بن غياث الريسي مستتراً عند الجهال بالتشنيع على قوم يؤمنون بها ويصدقون الله ورسوله فيها بغير تكييف ولا تمثيل فزعم أن هؤلاء مؤمنين بها يكيّفونها ويشبهونها بذوات أنفسهم ، وأن العلماء يزعمه قالوا ليس في شيء منها اجتهاد رأي ليدرك كيفية ذلك ، أو يشبه شيئاً منها بشيء مما هو للخلق موجود . قال وهنا خطأ كما أن الله ليس كمثل شيء فكذلك ليس ككيفية شيء . قال ابوسعيد: فقلنا لهذا المعارض المشنع اما كقولك ان كيفية هذه الصفات وتشبيهها بما هو في الخلق خطأ فانا لا نقول انه خطأ كما قلت ، بل هو عندنا كمن ونحن بكيفيةها وتشبيهها بما هو في الخلق موجود أشد اتقاء منكم غير انا كما انالانشبهها ولا نكيّفها لانكفر بها ولا نكذب بها ، ولا نبطلها بتأويل الضلال كما أبطلها امامك الريسي في أماكن من كتابك ، واما ما ذكرت من اجتهاد الرأي في تكييف صفات الله فانا لانجيز اجتهاد الرأي في كثير من الفرائض والاحكام التي نراها بأعيننا ونسمعها في آذاننا فكيف في صفات الله التي لم ترها العيون وقصرت عنها الظنون؟ غير انا

لا نقول فيها كـ هل امامك المريسي : ان هذه الصفات كلها كشيء واحد وليس
السمع منه غير البصر ، ولا الوجه منه غير اليد ، ولا اليد منه غير النفس ، وان
الرحمن ليس يعرف بزعمكم لنفسه سمعا من بصر ولا وجهها من يدين ولا بصراً
من سمع ، هو كله بزعمكم سمع وبصر ووجا ويد ونفس وعلم ومشية وارادة ، مثل
الارضين والسماء واجبال والتلال والهواء التي لا يعرف لشيء منها شيء من هذه
الصفات والذوات . والله تعالى عندنا معال أن يكون كذلك . فقد ميز الله في كتابه
السمع من البصر فقال (اني معكما أسمع وأرى - وقال - انا معكم مستمعون)
وقال (لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم) ففرق بين الكلام والنظر دون السمع
فقال عند السماع (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها - الى قوله - ان الله
سميع بصير) وقال تعالى (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء)
ولم يقل قد رأى الله ، وقال في موضع الرؤية (الذي يراك حين تقوم وتقلبك
في الساجدين - وقال - قل اعملوا فيدري الله عملكم ورسوله) ولم يقل سمع الله
تقلبك وسمع عملكم فلم يذكر الرؤية فيما يسمع ولا السماع فيما يرى ، كما انهما عنده
خلاف ما عندكم . وكذلك قال الله تعالى (تجري باعيننا - وقال - ولتصنع على
عيني) ولم يقل لشيء من ذلك على سمعي . فكما اننا لا نكيف هذه الصفات لانكذب
بها كتكذيبكم ، ولا نفسرها كباطل تفسيركم انتهى

فتأمل رحمك الله كلام هذا الامام بعين البصيرة يتبين لك بطلان كلام هذا
المعترض وكذبه على أهل البيت وأنه هو وشيعته من أبعد الناس عن اتباعهم وانما
يتبعون اعداء الملة الاسلامية والطريقة المحمدية ، كجهم والمريسي وأحزاهما من
أهل البدع والضلال والله أعلم

فصل

قال المعترض (فازقلت انت تروي اجماع أهل البيت في هذه المسائل، وقد عرفت تفرقهم في المذاهب فمنهم الاشعري والحنبلي وغير ذلك. قلت أجل ولكن لم يحدث التفرق إلا بعد انعقاد اجماع الآل في العصور المتقدمة، ولا يضر ذلك التفرق بعد وشب فروخ من ذكر عن منهج أهل البيت الاولين نشأتهم بين من لم يعرف أهل البيت ولا كتبهم فأخذوا عن العلماء إلى آخره)

(فالجواب) ان يقال قد نقضت بكلامك هذا الاصل الذي أصلته، وهوان جميع أهل البيت لا يخالفون كتاب الله وانهم العصمة وباب حطة وجميع دلائلك التي استدلت بها من الآيات والاحاديث ينازعك خصومك في دلالتها على ماأردت، وقد تقدم جواب ذلك مبيناً. وهذا على التقدير والتنزل والا فاكثر هذه الاحاديث التي رويتها عن رسول الله ﷺ قد طعن فيها أهل العلم بالاخبار، وبينوا انها من وضع الكذابين على رسول الله ﷺ

فذا كنت قد أقررت ان أهل البيت في هذا الزمان وقبله بازمنة متطاولة قد افترقوا وصار بعضهم مع خصومكم. فكذلك أهل البيت في العصر الاول ودعواك اجماعهم كذب ظاهر، وهذه نصوص أهل البيت قد نقلناها لك فيما تقدم من الرد عليك. وهذا ابن عباس رضي الله عنهما من أكابر علماء أهل البيت وقد فسر الاستواء في حقه تبارك وتعالى بالاستقرار كما حكى ذلك مقاتل والكاسبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قل «استوى بمعنى استقر»

وقد ذكر الطبرسي وهو من أئمة الشيعة في كتاب (مجمع البيان) بعلوم القرآن في تفسير قوله (وسع كرسيه السموات والارض) فقال مالفظة: اختلاف فيه على أقوال (أحدها) وسع علمه السموات والارض، عن ابن عباس وبجاهد

وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله ويقال للعلماء «كرسي» كما يقال لهم «الاولاد» لان بهم قوام الدين والدنيا ، (وثانيها) ان الكرسي ههنا هو العرش ، عن الحسن وانما سمي كرسيًا تركيب بعضه على بعض (وثالثها) ان المراد بالكرسي ههنا الملك والسلطان والقدرة (ورابعها) ان الكرسي سرير دون العرش . وقد روي ذلك عن أبي عبد الله . وقريب منه ما روي عن عطاء انه قال «ما السموات والارض عند الكرسي إلا كحلقة في فلاة» ومنهم من قال ان السموات والارض جميعا على الكرسي ، والكرسي تحت العرش والعرش فوق السموات . وروي الاصبغ بن نباتة ان عليا (رض) قال «السموات والارض وما فيها من مخلوق في جوف الكرسي وله أربعة أملاك يحملونه بأذن الله تعالى» انتهى .

وهذا يبين كذب هذا المعارض على اهل البيت في دعوى الاتفاق منهم في هذه المسائل

فصل

وما قوله في الاعتراض على قول المجيب في قوله (وإذ أسر النبي الى بعض أزواجه حديثا) ثم ذكر أن مراد السائل عن ذلك استظهار ما عند المسئول ، هل يقدم أبا بكر (رض) على علي (رض) في الخلافة أم العكس ؟ وان المجيب أتى بما يعهد من تفسير الآية ، فأعرض عن غرض السائل وقصده . ثم انه قد اطلع على روايات مسندة ان الحديث الذي أسره رسول الله ﷺ هي خلافة علي على الامة وتقديمه على أبي بكر رضي الله عنه

ثم قال المعارض (وأنا أقول ينظر في تصحيح هذه الروايات ، وإذا صحت فما فائدة الاسرار بولاية علي رضي الله عنه)

(فالجواب) أن يقال : هذا المعارض قد كفانا المؤنة في رد هذه الروايات الباطلة ، وذكر انها إذا صحت فما فائدة الاسرار بولاية علي رضي الله عنه . وذلك

ان الامر إذا صح عن رسول الله ﷺ انه فعله أو أمر به لا يقال فيه فيما فائدة الاسرار بذلك ، بل إذا صح أن رسول الله ﷺ فعل شيئاً أو أمر به فلا يفعله ولا يأمر به إلا لما فيه من الفائدة العظيمة ، والمصلحة الحميمة ، ولا يقول مثل هذا الكلام إلا من هو من أجمل الجاهلين ، وأبطل المبطلين ، كيف يجوز عند من له أدنى مسكة من العقل والدين ان يصح عنده أن رسول الله ﷺ فعل شيئاً أو أمر به ولا يكون في ذلك فائدة أصلاً ؟ ولكن هذا شأن أهل البدع والضلال لا يقدر على رسول الله ﷺ حق قدره ، نعوذ بالله من موجبات غضبه ، وأليم عقه به

فصل

وأما قوله (وقد علمنا بالتواتر المعنوي من السنة أن النبي ﷺ قد أعلن وأنذر وأفصح وأكثر في تقديم علي رضي الله عنه على غيره من الصحابة رضي الله عنهم في الولاية ، ولكن أهل البيت بعد عنهم بتقديم علي لم يخوضوا في جانب من تقدم إلا كخوضه رضي الله عنه ، من ابانة الحق للامة ، وانه الاقدم والتوجع فقط في موطن ، خروجاً منه عن التابيس والمداهنة في الدين ، إذ الحق لله تعالى ، فإذا هو رضي الله عنه قد فرض انه أسقط حقه وجب عليه ابانة ما هو لله إذ هو المولي له ، فلم يسكت بل أعلن رضي الله عنه بما يجب عليه ، وأهل البيت وصفوة شيعته لم يصنعوا الا كما صنع علي ، فلم يغلو الامامية ولا الباطنية نسأل الله السلامة) (فالجواب) من وجوه (أحدها) ان هذا من أظهر الكذب على الله وعلى رسوله ﷺ وعلى علي رضي الله عنه . وقد ثبت في صحيح البخاري وغيره بالاسانيد الثابتة قصة خروج علي والعباس من عند النبي ﷺ في مرضه الذي توفي فيه حين قال الناس لعلي ، يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله ﷺ ؟ فقال . « أصبح بحمد الله بارئاً » فقال له العباس رضي الله عنه « انت والله بعد ثلاث عبد العصى اني لا عرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت ، اذهب بنا الى رسول الله ﷺ نسأله :

فيمين هذا الامر فان كان فينا عرفنا ذلك ، وان كان في غيرنا علمناه فاقصى بنا
فقال علي رضي الله عنه « انا والله لئن سألتها رسول الله ﷺ فنعناها لايعطيناها
الناس بعده ، واني والله لاسألتها رسول الله ﷺ » أخرجه البخاري عن إسحاق ،
أخبرنا بشر بن شعيب بن أبي حمزة حدثني أبي عن الزهري أخبرني عبد الله بن
كعب بن مالك الانصاري ، وكان كعب أحد الثلاثة الذين تيب عليهم : ان ابن عباس
أخبره أن علي بن أبي طالب خرج من عند رسول الله ﷺ في وجهه الذي توفي منه
وذكر الحديث كنحو ما سقناه ، وكل هؤلاء الذين رووا هذا الحديث أئمة مشاهير

(الوجه الثاني) ما أخرجه احمد والبيهقي بسند حسن عن علي أنه قال لما ظهر
يوم الجمل « أبها الناس ان رسول الله ﷺ لم يعهد اليها في هذه الامارة شيئاً حتى
رأينا من الرأي أن نستخلف أبا بكر فاقام واستقام حتى مضى لسبيله ثم ان أبا بكر
رأى من الرأي أن يستخلف عمر فاقام واستقام ، ثم ضرب الدين بحجرانه ثم ان أقواما
طلبوا الدنيا فكانت أمور يقضي الله فيها »

(الوجه الثالث) ما روى جمع من اهل الحديث كالدارقطني وابن عساكر
والذهبي وغيرهم : ان علياً أقام بالبصرة حين بايعه الناس : فقام اليه رجلان فقالا له ،
أخبرنا عن مسيرك هذا الذي سرت فيه لتستولي على الامر وعلى الامة ، تضرب
بعضها ببعض ، أعهد من رسول الله ﷺ عهدك اليك ؟ فحدثنا فانت الموثوق به
والمأمون على ما سمعت . فقال « اما أن يكون عندي عهد من رسول الله ﷺ في
ذلك فلا والله ، لأن كنت أول من صدق به فلا أكون أول من كذب عليه ،
ولو كان عندي منه عهد في ذلك ما تركت أخا بني تميم بن مرة وعمر بن الخطاب
يثابان على منبره ولقاتلتهما بيدي ، ولو لم أجد الا بردي هذه ، ولكن رسول الله
ﷺ لم يقتل قتلاً ولم يمت فجأة ، ومكث في مرضه أياماً وليالي يأتيه المؤذن فيؤذنه
الصلاة ، فيأمر أبا بكر فيصلي بالناس ، وهو يرى مكاني ، ولقد أرادت امرأة من

نسائه تصریفه عن أبي بكر فأبى وغضب وقال « أنتن صواحب يوسف، مروا
أبا بكر فليصل بالناس » فلما قبض رسول الله ﷺ نظرنا في أمورنا فاخترنا
لدنيانا من رضى رسول الله ﷺ لديننا، وكانت الصلاة أعظم شعائر الإسلام،
وقوام الدين، فبايعنا أبا بكر رضى الله عنه فكان لذلك أهلاً، لم يختلف عليه منا اثنان -
وفي رواية - فاديت إلى أبي بكر حقه وعرفت له طاعته وغزوت معه في جنوده فكنت
أخذ إذا أعطاني، وأغزو إذا أغزاني، وأضرب بين يديه الحدود بسوطي. فلما قبض رضى
الله عنه بايعنا عمر، لم يختلف عليه منا اثنان، فأديت له حقه وغزوت معه وعرفت طاعته
وكنت أخذ إذا أعطاني، وأغزو إذا أغزاني، وأضرب بين يديه الحدود بسوطي.
فلما قبض رضى الله عنه تذكرت في نفسي قرابتي وسابقتي وفضلي وأنا أظن أن
لا يعدل بي ولكن خشي أن لا يعمل الخليفة بعده شيئاً إلا لحته في قبره فاخرج
منها نفسه وولده، ولو كانت محابة لآثر بها ولده وبرى منها لرهط أنا أحدهم
فظننت إلا يعد لو أبى فأخذ عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) موثيقنا على أن
نسمع ونطيع لمن ولاه الله أمرنا ثم بايع عثمان فنظرت فإذا طاعتي قد سبقت
بيعتي وإذا ميثاقي قد أخذ لغيري فبايعنا عثمان، فأديت له حقه وعرفت له طاعته
وغزوت معه، وكنت أخذ إذا أعطاني، وأغزو إذا أغزاني، وأضرب بين يديه
الحدود بسوطي. فلما أصيب فإذا الخليفتان اللذان أخذاهما بعهد من رسول الله
ﷺ إليهما بالصلاة قد مضيا. وهذا الذي أخذ له ميثاقي قد أصيب، فبايعني
أهل الحرمين وأهل هذين المصرين - السكوفة والبصرة - فوثب فيها من ليس مثلي،
ولا قرابته كقرابتي، ولا علمه كعلمي، ولا سابقته كسابقتي، وكنت أحق بها منه -
يعني معاوية - أخرجته هؤلاء الأئمة وأخرجته اسحاق بن راهويه من طرق أخرى. قال
الذهبي وهذه طرق يقوي بعضها بعضاً، قال وأصحها ما رواه اسماعيل بن علية فذكره،
وفيه لما قيل لعلي: أخبرنا عن مسيرك أعهد عهدك إليك النبي ﷺ أم رأى رأيتك

فهذه الطرق كلها عن علي رضي الله عنه متفقة على نفي النص بإمامته وواقفه على ذلك علماء أهل بيته فقد أخرج أبو نعيم عن النسي بن الحسن السبط أنه لما قيل له «من كنت مولاه فعلي مولاه» نص في إمامة علي فقال «أما والله لو أراد النبي ﷺ بذلك الأمانة والسلطان لأفصح لهم به فإن رسول الله ﷺ كان أفصح الناس ولقال لهم بأبيها الناس هذا ولي أمري. والقائم عليكم بعدي، فاسمعوا له واطيعوا ما كان من هذا شيء فوالله لئن كان الله ورسوله اختارا عليا لهذا الأمر والقيام به للمسلمين من بعده، ثم ترك علي أمر الله ورسوله أن يقوم به، أو يعذر فيه للمسلمين - إن كان أعظم الناس خطيئة لعلي إذ ترك أمر الله ورسوله - وحاشاه من ذلك»

وكلام علي وأهل بيته في الثنا على أبي بكر وعمر كثير جدا بعد ما فضلت إليه الخلافة وتواتر عنه أنه قال «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر» وروى البخاري في صحيحه عن سفیان الثوري عن منذر عن محمد بن الحنفية قلت لأبي: يا أبا من خير الناس بعد رسول الله ﷺ؟ قال «يا بني أبو بكر» قالت ثم من؟ قال «عمر» فخشيت أن يقول ثم عثمان، فقلت: ثم أنت؟ فقال «يا بني إنما أنا رجل من المسلمين» وصح هذا عنه من وجوه كثيرة وطرق متغايرة يصدق بعضها بعضا قال بعض أهل الحديث أنه رواه عن أكثر من ثمانين نفسا من خواص أصحابه وأهل بيته

فقد تبين بما ذكرنا بطلان دعوى المعارض أن رسول الله ﷺ نص على إمامته فإذا ادعوا أن هذا مكذوب على أهل البيت أمكن خصومهم أن يدعوا الكذب فيما رووه عن أهل البيت والدلائل الصحيحة التي احتجوا بها على النص على إمامة علي رضي الله عنه كقوله تعالى (إنما وإيكم الله ورسوله) وكحديث غدير خم وقوله «من كنت مولاه فعلي مولاه» فكل هذا ليس بصريح في

النص على إمامته والله تبارك وتعالى قد فرض على رسوله ﷺ البلاغ المبين الذي يفهمه عامة الناس وخاصتهم وتلك الدلائل معارضة بما هو أصح منها وأصح ، لكن هؤلاء لا يقبلون رواية أهل السنة ، فلا حاجة إلى الإطالة بذكرها (الوجه الرابع) ان دعواهم النص على إمامته رضي الله عنه قد عارضها أقوام ادعوا النص على العباس وعلى غيره ، فالدعوى الباطلة يمكن كل أحد . وقد قال الامام أبو محمد بن حزم في كتاب (الملل والنحل)

« اتفق جميع فرق أهل القبلة وجميع المعتزلة وجميع المرجئة وجميع الشيعة وجميع الخوارج — حاشا النجدات من الخوارج خاصة ^(١) — على وجوب الإمامة فرضاً ، وإن على الأمة الانقياد لإمام عدل يقيم فيهم أحكام الله عز وجل ، ويسوسهم بأحكام الشريعة . ثم اختلف القائلون بوجوب الإمامة على فرقتين : فذهب أهل السنة وجميع الشيعة وجمهور المرجئة وبعض المعتزلة إلى أن الإمامة لا تجوز إلا في قريش خاصة من كان من ولد فهر بن مالك . وذهبت الخوارج كلها وبعض المرجئة وبعض المعتزلة إلى أنها جائزة في كل من قام بالكتاب والسنة قرشياً كان أو عربياً أو عجمياً . قال أبو محمد : وبوجوب الإمامة في ولد فهر بن مالك نقول ، لنص رسول الله ﷺ على أن الأئمة من قريش . وهذه رواية جاءت مجيء التواتر ، رواها أنس بن مالك وعبد الله بن عمر بن الخطاب ومعاوية رضي الله عنهم ، وروى (جابر) ابن عبد الله وجابر بن سمرة وعبادة بن الصامت رضي الله عنهم معناها . ومما يدل على معناها اذعان الانصار يوم السقيفة وهم أهل الدار والمنعة والعدد والسابقة في الاسلام رضي الله عنهم ، ومن المحال الممتنع الباطل أن ينزكوا اجتهادهم لاجتهاد غيرهم لولا قيام الحجة عليهم بنص رسول الله ﷺ على أن الحق لغيرهم في ذلك ثم قال : ولا يخلو قول رسول الله ﷺ « الأئمة من قريش » من أحد

(١) وهم المنسوبون إلى نجد بن عمير الحنفي القائم بالجماعة

وجهين لا ثالث لهما : إما أن يكون أمراً وإما أن يكون خبراً ، فإن كان أمراً
فمخالف امر رسول الله ﷺ فاسق ، وعمله مردود ، وإن كان خبراً فمجهز
تكذيب رسول الله ﷺ كافر

« ثم اختلف القائلون بأن الامامة لا تكون إلا في صلبية قريش فقالت طائفة :

هي جائزة في جميع ولد فهر بن مالك فقط ، وهذا قول اهل السنة وجميع المرجئة
وبعض المعتزلة . وقالت طائفة لا تجوز الخلافة الا في ولد جعفر بن أبي طالب
رضي الله عنه ، ثم قصروها على عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر . وقال
بعض بني الحارث بن عبد المطلب : لا تجوز الخلافة الا لبني عبد المطلب خاصة
وهم أربعة فقط لم يعقب لعبد المطلب غيرهم وهم : العباس والحارث وأبو طالب
وأبو لهب . وبلغنا عن رجل من أهل طبرية الاردن : لا تجوز الخلافة الا في بني
امية بن عبد شمس وكان له في ذلك تأليف مجموع وروينا كتاباً مؤلفاً لرجل من
ولد عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحتاج فيه بأن الخلافة لا تجوز إلا في ولد
أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقط

قال أبو محمد « وهذه الفرق الاربعة لم نجد لهم شبهة تستحق ان يشتغل بها
الا دعاوي كاذبة لا وجه لها مع انقطاع القائلين بها ودثورهم

وقالت طائفة لا تجوز الخلافة الا في ولد العباس وهو قول الراوندية^(١) واحتجوا
بأن العباس كان عاصب رسول الله ﷺ ووارثه . قالوا فاذا كان كذلك فقد
ورث مكانه ، وهذا ايسر شيء لان الميراث لو صح له لما كان ذلك الا في المال خاصة ،
وأما المرتبة فما جاء قط في الديانة انها تورث فبطل هذا التمويه جملة والله الحمد ،
« وقد صح باجماع جميع أهل اقبلة — حاشا الروافض — ان رسول الله ﷺ

قال « إنا لانورث ، ماتر كنناه صدقة » فاعترضوا بقول الله عز وجل (وورث
سليمان داود) وقوله تعالى حاكماً عن زكريا (فهب لي من لدنك ولياً يرثه

(١) نسبة الى ابن الراوندي

ويرث من آل يعقوب) وهذا لا حجة لهم فيه لان الرواة وحالة الاخبار وجميع التواريخ القديمة وكواف بني اسرائيل ينقلون بلا خلاف نقلا يوجب العلم: ان داود عليه السلام كان له بنون ذكور جماعة غير سليمان فصيح أن سليمان ورث النبوة وهكذا القول في ميراث يحيى بن زكريا عليهما السلام وبرهان ذلك من نص الآية نفسها قول زكريا عليه السلام (يرثني ويرث من آل يعقوب) في شيء كان يرث من آل يعقوب؛ لكل سبط من أسباط يعقوب عصابات عظيمة وهم مئو ألوف فصيح انه انما يرغب في ولد يرث عنه وعن آل يعقوب النبوة فقط وأيضا فمن المحال أن يرغب زكريا في ولد يحجب عصبته عن ميراثه انما يرغب في هذا ذو الحرص على الدنيا وحطامها ، وقد كان العباس حيا قائما إذ مات رسول الله ﷺ فمادعى العباس لنفسه في ذلك حقا لا حينئذ ولا بعد ذلك فصيح انه رأي محدث فاسدلا وجهه للاشتغال به ومارضيه أحد قط من خلف ولده ولا من امثالهم ترفعا عن سقوط هذه الدعوى ووهنها وبالله التوفيق

«وأما القائلون بان الامامة لا تكون إلا في ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه فانهم انقسموا قسمين، فقالت طائفة: ان رسول الله ﷺ نص على علي رضي الله عنه بانه الخليفة بعده . وان الصحابة رضي الله عنهم بعد موته اتفقوا على ظلم علي رضي الله عنه وعلى كتمان ذلك النص وهؤلاء هم الروافض ، وطائفة قالت لم ينص النبي ﷺ على علي ، لكنه كان أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ وأحقهم بالخلافة، وهؤلاء هم الزيدية نسبوا الى زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم، ثم اختلفت الزيدية فرقا فقالت طائفة ان الصحابة ظلموه ، فكفروا كل من خالفه من الصحابة رضي الله عنهم، وهم الجارودية، وقالت طائفة لم يظلموه لكن طابت نفسه بتسليم حقه إلى ابي بكر وعمر رضي الله عنهما، واتهما اماماهدى ووقف بعضهم في عثمان رضي الله عنه وتولاه بعضهم وجميع الزيدية لا يختلفون في ان الامامة في جميع بني

علي بن أبي طالب رضي الله عنه من خرج منهم يدعو الى الكتاب والسنة وجب
سل السيف معه

«وقالت الروافض باجمعهم: الامامة في علي رضي الله عنه وحده بالنص عليه، ثم
في الحسن ثم في الحسين رضي الله عنهما، وادعوا نصا آخر من النبي ﷺ عليهم ما
بعد أبيهما، ثم علي بن الحسين لقول الله عز وجل (وأولو الارحام بعضهم أولى
ببعض في كتاب الله) قالوا فولد الحسين أحق من بني أخيه الحسن ، ثم محمد بن
علي بن الحسين، ثم في جعفر بن محمد، ثم افرقت الرافضة بعد موت هؤلاء المذكورين
وموت جعفر بن محمد فقالت طائفة بامامة ابنه اسماعيل ابن جعفر وادعوا انه حي
لم يمت، والذي لاشك فيه انه مات في حياة أبيه وهو كان أكبر بنيه . وقالت
طائفة بامامة ابنه محمد بن جعفر . وقالت طائفة جعفر بن محمد حي لم يمت

« وقال جمهور الروافض بامامة ابنه موسى بن جعفر ثم علي بن موسى ثم محمد
ابن علي بن موسى ثم علي بن محمد بن علي بن موسى ، ثم الحسن بن علي ثم مات
الحسن عن غير عقب فافترقوا فرقا وثبت جمهورهم على انه ولد للحسن ولدافأخفاء ،
وقيل بل ولد له بعد موته من جارية له اسمها صقيل

« وكانت طائفة قديمة رئيسهم المختار بن أبي عبيد الله كيسان المكنى
بإبي عمرة وغيرهم يذهبون إلى ان الامام بعد الحسين بن علي رضي الله عنه اخوه
محمد المعروف بابن الحنفية ، ومن هذه الطائفة السيد بن اسماعيل الحميري الشاعر ،
وكثير عزة الشاعر، وكانوا يقولون ان محمد بن الحنفية حي يجبل رضوى، ولهم من
التخليط ما تضيق عنه الصحف الكثيرة.

«وعدة هذه الطوائف كلها في الاحتجاج أحاديث مكذوبة موضوعة لا يعجز
عن توليد مثلها من لادين له ولاحياء

قال ابو محمد « لا معني لاحتجاجنا عليهم رواياتنا فهم لا يصدقونها وانما يجب أن

يحتاج الخصوم بعضهم على بعض بما يصدقه الذي تقام به عليه الحجة سواء صدقه المحتج به أو لم يصدقه لأن من صدق شيئاً لزمه القول به أو بما يوجب العلم الضروري فيصير الخصم حينئذ إن خالفه مكابراً بالباطل منقطعاً . إلا أن بعض ما يشعرون به أحاديث صحيحة منها قول رسول الله ﷺ لـعلي « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي »

قال أبو محمد « وهذا لا يوجب فضل علي من سواء ولا استحقاق الامامة بعده لأن هارون عليه السلام لم يل أمر بني اسرائيل بعد موسى عليهما السلام وإنما ولي الأمر بعد موسى عليه السلام فتاه يوشع بن نون وهو صاحبه الذي سافر معه في طلب الخضر عليهما السلام كما ولي الأمر بعد رسول الله ﷺ صاحبه في الغار الذي سافر معه إذ هاجر ﷺ إلى المدينة وإذا لم يكن علي نبياً كما كان هارون ولا كان هارون خليفة على بني اسرائيل بعد موسى عليهما السلام . فقد صح أن كونه من رسول الله ﷺ بمنزلة هارون من موسى عليهما السلام إنما هو في القرابة فقط . وأيضاً فأنما قال رسول الله ﷺ هذا القول إذ استخلفه على المدينة في غزوة تبوك فقال المناذقون استنقله فخلفه فلحق علي رضي الله عنه برسول الله ﷺ حينئذ فشكا إليه فقل ﷺ « أنت مني بمنزلة هارون من موسى » لاستخلافه إياه على المدينة مختاراً له . ثم قد استخلف ﷺ قبل تبوك وبعدها على المدينة في غزواته وعمره وحجه رجالاً سوى علي رضي الله عنه

فصح أن هذا الاستخلاف لا يوجب لـعلي فضلاً على غيره ممن استخلفه ، ولا يوجب أيضاً ولاية الأمر بعده ﷺ كما لم يوجب ذلك لغيره من المستخلفين قال أبو محمد « وعمدة ما احتجبت به الامامية أنه لا بد أن يكون إمام معصوم ، عنده جميع علم الشريعة يرجع الناس إليه في أحكام الدين ليكونوا مما تعبدوا به على يقين قال أبو محمد « هذا لا شك فيه وهو معروف بهراينه ان واضحة ، وأعلامه

المعجزة وآياته الباهرة ، وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رسول الله الينا ببيان دينه الذي ازمنا اياه ﷺ ، فكان كلامه وعهوده وما بين وبلغ من كلام الله عز وجل حجة باقية معصومة من كل آفة - الى كل من بحضرته وإلى من كان في حياته غائبا عن حضرته وإلى كل من يأتي بعد موته ﷺ الى يوم القيامة - من جن وانس قل عز وجل (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون)

فهذا نص ما قلنا وابطال اتباع أحد دون رسول الله ﷺ ، وانما الحاجة الى فرض الامامة لينفذ الامام عهود الله عز وجل الواردة الينا على من عند فقط لان يأتي الناس بما لا يشاؤون في معرفته من الدين الذي أتاهم به رسول الله ﷺ . ووجدنا عليا رضي الله عنه اذ ادعي الى التحاكم بالقرآن اجاب . واخبر ان التحاكم الى اقرآن حق ، فان كان على رضي الله عنه أصاب في ذلك فهو قولنا ، وان كان اجاب الى الباطل فهذه غير صفته رضي الله عنه ، ولو كان التحاكم الى القرآن لا يجب الا بحضرة الامام لقال على حينئذ كيف تطلبون تحكيم القرآن وأنا الامام المبلغ عن رسول الله ﷺ

فان قالوا اذ مات رسول الله ﷺ فلا بد من أمام يبلغ الدين . قلنا هذا باطل ودعوى بلا برهان وقول لا دليل على صحته ، وانما الذي يحتاج اليه أهل الارض من رسول الله ﷺ فهو بيانه ﷺ وتبليغه فقط سواء في ذلك من كان بحضرته ومن غاب عنه ومن جاء بعده اذ ليس في شخصه المقدس ﷺ اذا لم يتكلم أو يعمل بيان عن شيء من الدين فالمراد عنه ﷺ ق أبدا مبلغ الى كل من في الارض .

وأيا : فلو كان ما قالوا من الحاجة إلى أمام موجود ابدا لكان ذلك منتقضا عليهم بمن كان غائبا عن حضرة الامام في أقطار الارض ، اذ لا سبيل

الى مشاهدة الامام لجميع أهل الارض في المشرق والمغرب من فقير وضعيف وامرأة ومريض ومشغول بمعاشه لذي يهلك أن أغفله ، فلا بد من التبليغ عن الامام . فالتبليغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بالاتباع من التبليغ عن دونه . وهذا مالا انفكاك منه

قال أبو محمد « لا سيما وجميع أئمتهم الذين يدعون بعد علي ابن أبي طالب والحسن والحسين ابنيه رضي الله عنهم مأمروا قط في غير منازل سكنائهم ولا حكموا على قرية فما فوقها بحكم . فما الحاجة اليهم لاسيما منذ مائة ونيف وعشرين عاما فانهم ينتظرون اماما ضالة من الضوال لم يخلق كهؤلاء مغرب هم أولو فحش وقحة وبهتان ودعوى كاذبة لا يعجز عنها أحد

« ويقال لهم أيضا كون الدين كله عند امام واحد معصوم من حين موت النبي ﷺ الى انقضاء الدهر لا يخلو من أن يكون أحكام الدين عند ذلك الامام من أحد ثلاثة أوجه لا رابع لها إما عن وحي من الله عز وجل فهذه نبوة ومن قال بنبوة بعد رسول الله ﷺ غير المسيح فقد كفر وارتد وحل دمه أو عن إلهام وهذا وسواس من الشيطان وليس هو أولى بدعوى الإلهام من غيره أو بتعليم من رسول الله ﷺ فان كان رسول الله ﷺ أعلم سائر الناس بما أعلم به علي بن أبي طالب فعلي وغيره في ذلك سواء ولا فرق وان كان ﷺ كتم من سائر الناس ما علمه علي بن أبي طالب فلم يبلغ كما امر . قال تعالى (لتبين للناس ما نزل اليهم) فن قال انه ﷺ لم يبين للناس ما نزل الله اليه بل كتمهم إياه وخص به علي بن أبي طالب سرا فقد كفر اذ وصف النبي ﷺ بأنه عصي أمر به تعالى له بالبيان للناس جهاراً فبطل ما ادعوه يقينا من كل وجه والحمد لله رب العالمين .

« وايضا فنقول لهؤلاء المخاذيل وبالله التوفيق : هل بين هؤلاء ما ادعوه من

الذين أو لم يبينوا ولا بد من أحدهما فإن قلوا بينوا ما عندهم قلنا وتبيين أولهم
يكفى عن الآخر منهم لانه يصير ما بين عند الناس يقلونه جيلا عن جيل فبطلت الحاجة
اليهم فإن قلوا لم يبينوا وهو قولهم لانهم عندهم صامتون حتى يأتي الامام الناطق
(اثنا عشر) قلنا لم فهل حقت بهم اللعنة من الله تعالى بنص القرآن اذ
لم يبينوا ما عندهم من الهدى . وبالجملة فما أمة أحق من الروافض والنصارى جملة
قال ابو محمد « وبرهان آخر ضروري وهو أن رسول الله ﷺ مات وجمهور
الصحابة رضي الله عنهم حضور - حاشا من كان منهم في النواحي - فما منهم أحد
أشار إلى الناس في علي بكلمة يذكر فيها ان رسول الله ﷺ نص عليه ولا ادعى
ذلك علي رضي الله عنه قط، لا في ذلك الوقت ولا بعده، ولا ادعاء أحده ولا بعده
في ذلك الوقت. ومن المحال الممتنع الذي لا يمكن ألبته ولا يجوز اتفاق أكثر من
عشرين ألف انسان متباذلي الهمم والنيات والانساب أكثرهم موتور من صاحبه
في الدماء من الجاهلية على طي عهده ﷺ اليهم وما وجدنا قط رواية عن أحد
بهذا النص المدعى إلا رواية موضوعة واهية عن قوم مجهولين لا يعرفهم أحد عن
مجهول يكتفي أبا الحمراء لا يعرف من هو ، ووجدنا عليا رضي الله عنه قد توقف
عن بيعه أبي بكر رضي الله عنه ستة أشهر فما أكرهه أبو بكر على البيعة حتى بايع
طائعا مبادرا راجعا عن تأخره عنها مختارا غير مكره، فكيف حل لعلي عند هؤلاء
النوكي أن يبايع طائعا لرجل كافر أو فاسق جاحد لنص رسول الله ﷺ وأن يعينه
على أمره ، وأن يشاهد في مجلسه وأن يواليه إلى أن مات . ثم بايع بعده عمر بن
الخطاب رضي الله عنه مبادرا غير متردد ساعة فما فوقها غير مكره بل طائعا ،
وصحبه وأعانه على أمره ، وأنكحه ابنته من فاطمة رضي الله عنها، ثم قبل ادخاله في
الشورى أحا. ستة رجال؟ فكيف حل لعلي رضي الله عنه عند هؤلاء الجهال أن

يشارك بنفسه في شورى ضلالة أو كفر، وأن يغر الامة هذا الغرور؟ هذا الامر أدى أبا كامل - وهو من أثمة الروافض - إلى تمكفير علي لأنه زعم انه أعان الكفار على كفرهم، وأيدهم على كتمان الديانة، وعلى ستر مالا يتم الدين إلا به قال ابو محمد « ولا يجوز أن يظن بعلي رضي الله عنه انه أمسك عن ذكر النص عليه خوف الموت وهو الاسد شجاعة قد عرض نفسه للموت بين يدي رسول الله ﷺ مرات ثم يوم الجمل وصفين، فما الذي جنبه بين هاتين الحالتين؟ وما الذي ألف بين بصائر الناس على كتمان حق علي رضي الله عنه ومنعه حقه مذمات رسول الله ﷺ الى أن قتل عثمان رضي الله عنه؟ ثم ما الذي جلى بصائرهم في عونه إذ دعا لنفسه فقامت معه طوائف من المسلمين عظيمة وبدلوا دماءهم دونه، ورأوه حينئذ صاحب الامر والاولى بالحق ممن نازعه؟ فما الذي منعه ومنعهم من الكلام واظهار النص الذي يدعيه الكذابون إذ مات عمر رضي الله عنه وبقي الناس بلا رأس ثلاثة أيام، أو يوم السقيفة؟

وأظرف من هذا كله بقاؤه ممسكاً عن بيعة أبي بكر رضي الله عنه ستة أشهر فما سئلها، ولا أجبر عليها ولا كفها، وهو متصرف بينهم في أموره، فلولا أن رأى الحق فيها فاستدرك أمره فبايع طالباً حظ نفسه في دينه راجعاً عن الخطأ الى الحق لما بايع. فان قالت الروافض انه بعد ستة أشهر رأى الرجوع عن الحق الى الباطل، فقولهم هو الباطل حقاً، لا ما فعل علي رضي الله عنه سم ولي علي رضي الله فما غير حكماً من أحكام أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم. ولا أبطل عهداً من عهودهم، ولو كان ذلك عنده باطلاً لما كان في سعة من أن يمضي الباطل وينفذه وقد ارتفعت التهمة عنه. «وأيضاً فقد نازع الانصار رضي الله عنهم أبا بكر رضي الله عنه ودعوا الى بيعة سعد بن عباد. ودعا المهاجرون الى بيعة ابي بكر رضي الله عنه، وقعد علي رضي الله عنه في بيته لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء، ليس معه أحد غير الزبير بن العوام رضي الله عنه،

ثم استبان الحق للزبير فبايع سريعاً ، وبقي علي وحده لا يرقب عليه ولا يمنع من لقاء الناس ، ولا يمنع أحد من لقائه ، فلا يخلو رجوع الانصار كلهم الى بيعة أبي بكر رضي الله عنه من أن يكون عن أحد ثلاثة أوجه لارابع لها البتة : إما عن غلبة ، وإما عن ظهور حقه اليهم فأوجب عليهم الاتقياد لبيعته ، وإما فعلوا ذلك مطارفة لغير معنى . فإن قالوا بايعوه بغلبة ظهر فاحش كذبهم ، لانه لم يكن هناك قتال ولا تضارب ولا سباب ولا تهديد ، ولا وقت طويل يفسح للوعيد ولا سلاح مأخوذ ، ومن المحال الممتنع أن يترك أزيد من ألفي فارس انجاد أبطال كلهم عشيرة واحدة ، وقد ظهر من شجاعتهم مالا مرمى وراءه ، وهو أنهم بقوا ثمانية أعوام متصلة محاربين لجميع العرب في أقطار بلادهم ، موطنين على الموت متعرضين مع ذلك لحرب قيصر والروم بمؤتة وغيرها ، والحروب كسرى والفرس ببصرى ، من يخاطبهم يدعوه ويدعوهم الى اتباعه ، وأن يكونوا كأحد من بين يديه . هذه صفة الانصار التي لا ينكرها الا رقيق مجاهر بالكذب

«فن المحال الممتنع الذي لا يمكن البتة أن يرهبوا أباً بكر ورجلين أتيا إلى مجلسهم فقط ، رابو بكر رضي الله عنه لا يرجع الى عشيرة كثيرة ولا إلى موالي ، ولا الى عصابة ، ولا إلى مال ، فرجعوا اليه وهو عندهم مبطل - وبايعوه بلا تردد نصف يوم فأكثر

«وكذلك يبطل أن يرجعوا عن قولهم وما كانوا قد رأوه من أن الحق حقهم ، وعن بيعة ابن عمهم مطارفة بلا معنى ولا خوف ولا ظهور الحق اليهم . فن المحال اتفاق أهواء هذا العدد العظيم على ما يعرفون انه باطل دون خوف يضطرم إلى ذلك ، ودون طمع يتعجلونه من مال أو جاه ، بل فيما فيه ترك العز والرياسة والدنيا وتسليم كل ذلك لرجل أجنبي لا عشيرة له ولا منعة ولا حاجب ولا حراس على بابه ، ولا قصر يمنعه ولا موالي ولا مال ، فأين كان علي وهو الذي لا نظير له في

الشجاعة ومعه جماعة بني هاشم وبني المطلب من قتل هذا الشيخ الذي لا دافع
دونه لو كان عنده ظالما ، أو عن منعه وزجره إن لم يستحل قتله ، بل قد علم والله علي
أن أبا بكر رضي الله عنه على الحق ، وإن من خالفه على الباطل ، فأذعن للحق إذ
تبينه بعدما عرضت له فيه كبوة

« وكذلك الانصار رضي الله عنهم إنما رجعوا الى بيعته بلا شك ولا مرية
لبرهان حق صح عندهم عن النبي ﷺ لا لاجتهاد كاجتهادهم ، ولا لظن كظنهم ،
إذ لم يبق غير ذلك ، وبطل كل ما سواه يقيناً

« وإذ قد بطل أن يكون الامر في الانصار ، وزالت الرياسة عنهم فما الذي
حملهم كلهم أولهم عن آخرهم على أن يتفقوا على جحد نص النبي ﷺ على إمامة علي
رضي الله عنه ؟ ومن المحال الممتنع أن تتفق آراؤهم كلهم على معاونة من ظلمهم ،
وغضبهم حقهم بالباطل ، إلا أن يدعي الروافض انهم كلهم اتفق لهم نسيان ذلك
العهد . فهذه أعجوبة من المحال غير ممكنة ، ثم لو أمكنت لجاز لكل أحد أن يدعي
فيما شاء من المحال انه قد كان وإن الناس كلهم نسوه ، وهذا إبطال الحقائق كلها
« وأيضاً فن كان جميع أصحاب رسول الله ﷺ اتفقوا على جحد ذلك النص
وكتابته ، واتفقت طبائعهم كلهم على نسيانه ، فن أين وقع الى الروافض علمه ؟
ومن بانه اليهم ؟ وهذا هوس ومحال . فبطل الامر في دعوى النص على علي رضي
الله عنه بيقين لا يشك فيه ، والحمد لله رب العالمين

« فان قال قائل : ان علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان قد قتل الاقارب
بين يدي رسول الله ﷺ . فتولد له بذلك حقد في قلوب جماعة من الصحابة رضي
الله عنهم ، فلذلك انحرفوا عنه ، قلنا لهم هذا تمويه ضعيف كاذب لانه ان ساغ
لكم في بني عبد شمس وبني مخزوم وبني عبد الدار وبني عامر بن لؤي لانه قتل
من كل قبيلة من هذه القبائل رجلاً أو رجلاً ، فقتل من بني عامر بن لؤي رجلاً

واحداً فقط وهو عمرو بن عبدود ، وقتل من بني مخزوم وبني عبد الدار رجلاً وقتل من بني عبد شمس الوليد بن عتبة بن ربيعة ، وقيل انه قتل عتبة بن أبي معيط ، وقيل لم يقتله الا عاصم بن ثابت الانصاري رضي الله عنه ولا مزيد ، «فقد علم كل من له أقل علم بالاخبار انه لم يكن لهذه القبائل ولا لأحد منها يوم السقيفة عقد ولا حل ، ولا رأي ولا أمر ، اللهم الا أن أبا سفيان بن حرب بن أمية كان مائلاً الى علي رضي الله عنه في ذلك تعصباً للقرابة لا تديننا ، وكان ابنه يزيد وخالد بن سعيد بن العاص والحارث بن هشام المخزومي رضي الله عنهم مائلين مع الانصار تديننا ، والانصار رضي الله عنهم قتلوا أبا جهل أخا الحارث ، وكان محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة شديد الميل الى علي رضي الله عنه حين قصة عثمان رضي الله عنه وبعد ذلك ، ولذلك قتله معاوية رضي الله عنه صبراً على عثمان رضي الله عنه ، فعرفونا من قتل علي من بني تيم بن مرة أو من بني عدي بن كعب أو من بني الحارث بن فهر رهط أبي عبيدة رضي الله عنه حتى يظن أهل القمحة انهم حقدوا عليه ؟ ثم أخبرونا من قتل علي من الانصار رضي الله عنهم أو من جرح منهم أو من آذى منهم ؟ ألم يكونوا معه في تلك المشاهد كلها ، بعضهم متقدم ، وبعضهم مساو له ، وبعضهم متأخر عنه ؟ فأبي حقد له في قلوب الانصار حتى يطبقوا كلهم على جحد النص عليه وعلى ابطال حقه ، وعلى ترك ذكر اسمه جملة ، وعلى إثارة سعد بن عباد عليه ، وعلى إثارة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم عليه ، والمسارعة إلى بيعتهم دونه بالخلافة ، وهو بين أظهرهم ، يرونه غدواً وعشيا لا يحول أحد بينهم وبينه ؟

«ثم أخبرونا من قتل علي من أقارب المهاجرين من العرب من مضر وربيعة واليمن وقضاعة حتى يطبقوا كلهم على كراهة ولايته ويتفقوا كلهم على جحد النص عليه ؟ وان هذه العجائب لا يمكن اتفاق مثلها في العالم أصلاً

«واقعد كان لطاحقة والزبير وسعد بن أبي وقاص من القتل في المشر كين كالذي كان لعلي فما الذي خصه باعتقاد الاحقاد له لو كان الروافض حياء وعقل؟ ولقد كان لابي بكر رضي الله عنه في مضادة قريش في الدعا الى الاسلام ما لم يكن لعلي، فامنعهم ذلك من بيعته، وهو أسوأ الناس أثراً عندهم في حل كفرهم. ولقد كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في مغالبة كفار قريش واعلانه الاسلام على زعمهم ما لم يكن لعلي «فليت شعري ما الذي اذهب آثار هؤلاء وأوجب أن ينسى وأوجب أن يعادوا علياً من بينهم كلهم؟ لولا قلة حياء الروافض وصفاقة وجوههم، حتى بلغ الامر بهم الى أن عدوا على سعد واسامة وابن عمر رضي الله عنهم وعلى رافع بن خديج ومحمد بن مسلمة وزيد بن ثابت وأبي هريرة وأبي الدرداء وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم سواء هؤلاء من المهاجرين والانصار. انهم لم يبايعوا علياً إذ دعا الى نفسه، ثم بايعوا معاوية رضي الله عنه ويزيد ابنه. من أدركه منهم. وادعوا ان تلك الاحقاد حملتهم على ذلك.

قال ابو محمد «حق الروافض وشدة ظلمة جهاهم وقلة حياشهم هورهم في المدمار والبوار والمار والنار وقلة المبالاة بالفضائح

«وليت شعري أي خماشة وأي كلمة خشنة كانت بين علي وبين هؤلاء او واحد منهم؟ وإنما كان هؤلاء ومن جرى مجراهم لا يرون بيعة، في فرقة فلما أصفق المسلمون على من أصفقوا عليه كأننا ما كان دخلوا في الجماعة، وهكذا فعل من أدرك من هؤلاء ابن الزبير ومروان، فأنهم قعدوا عنهم فلما انفرد عبد الملك بن مروان دخلوا في الجماعة وبايعه من أدركه منهم لا رضا عنه ولا عداوة لابن الزبير ولا تفضيلاً لعبد الملك على ابن الزبير، لكن لما ذكرناه. وهكذا كان أمرهم في علي ومعاوية رضي الله عنهما،

«فلاحت نوكة هؤلاء المجانين والحمد لله رب العالمين.

« فصح ضرورة بكل ما ذكرنا أن القوم أنزلوه منزلته غير غالين فيه ، ولا مقصرين به رضي الله عنهم اجمعين ، وانهم قدموا الاحق فالاحق والافضل فالافضل ، وساووه بنظرانه منهم

» ثم أوضح برهان وأبين بيان في بطلان أكاذيب الروافض أن عليا رضي الله عنه اذ دعا لنفسه بعد قتل عثمان رضي الله عنه سارعت طوائف من المهاجرين والانصار الى بيعته، فهل ذكر أحد من الناس قط أن أحداً من الذين بايعوه اعتذر اليه مما سلف من بيعتهم لابي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ؟ أو هل تاب أحد منهم من جحدته للنص على امامته ؟ أو هل قال أحد منهم لقد تذكرت النص الذي كنت نسيته في أمر هذا الرجل ؟ ان عقولا خفي عليها هذا الظاهر اللامح لمقول مخذولة لم يرد الله أن يهديها

» ثم مات عمر رضي الله عنه وترك الامر شورى بين ستة من الصحابة رضي الله عنهم علي أحدهم ، ولم يكن في تلك الايام الثلاثة سلطان يخافه أحد ولا رئيس يتوقع، ولا مخافة من أحد، ولا جند معد للتغلب

» أفترى لو كان لعلي رضي الله عنه حق ظاهر يختص به من نص عليه من رسول الله ﷺ، او من فضل بائن على من معه ينفرد به عنهم . اما كان الواجب على علي رضي الله عنه أن يقول : أيها الناس كم هذا الظالم لي ؟ وكم هذا الكتمان لحقي ؟ وكم هذا الجحد لنص رسول الله ﷺ علي ؟ وكم هذا الاعراض عن فضلي البائن على هؤلاء القروين بي ؟ فاذا لم يفعل فلا أدري لماذا ؟ أما كان في بني هاشم على كثرتهم يومئذ أحد له دين يقول هذا الكلام ؟ إما العباس عمه - وجميع المسلمين على توقيره وتعظيمه، حتى ان عمر رضي الله عنه توسل به إلى الله عز وجل بحضرة المسلمين في الاستسقاء ، واما أحد بنيه ، واما عقیل ، واما أحد بني جعفر وبني الحارث او بني أبي لهب او مواليهم . فاذا لم يكن أحد منهم يتقي الله عز وجل ولا يأخذه في قول

الحق مداهنة، اما كان في جميع اهل الاسلام من المهاجرين والانصار وغيرهم واحد يقول : يامعشر المسلمين قد زالت الرقبة ، وهذا الرجل علي بن أبي طالب له حق واجب بالنص عليه، وله فضل بائن ظاهر لا يمتري فيه، فبايعوه ، فامر به بين اصفاق جميع الامة أولها عن آخرها من برقة إلى خراسان ومن اذربيجان وأرمينية إلى أقصى اليمن إذ بلغهم الخبر على السكوت عن حق هذا الرجل واتفاقهم على ظلمه ومنعه من حقه ، وليس هنالك شيء يخافونه - لأحدى عجائب المحال الممتنع ، وفيهم الذين بايعوه بعد ذلك إذ صار الحق حقه وقتلوا أنفسهم دونه ، فاین كانوا عن إظهار ماتنبت له الروافض الاندال بعد مائة وخمسين عاما ؟ ثم مع هذا السكتان والنسيان كيف بلغ الروافض علمه ؟ ومن بلغه اليهم ؟ ثم العجب اذا كان غيظهم عليه هذا الغيظ الذي تزعمه الروافض كذبا منهم ، واتفاقهم على جحد حقه هذا الاتفاق كيف تورعوا عن قتله ليستريحوا منه ؟ ام كيف أكرموه وبروه « انتهى ماذ كرته من كلام الامام أبي محمد بن حزم ملخصا وهو شاف كاف في الرد على هذا المعارض واهل مذهبه

فصل

﴿ في وصف العالم الزيدى الشيعة الامامية بالملوك الباطنية ، وإثبات غلو الزيدية دون ذلوهما ﴾

وأما قوله (واهل البيت وصفوة شيعتهم لم يصنعوا إلا كما صنع علي ، فلم يغلو غلو الامامية ولا الباطنية ، نسأل الله العافية)

(فالجواب) أن يقال : ماذ كره هذا المعارض كاف في غلوه في حق علي رضي الله عنه ، وفي الكذب على الله وعلى رسوله ﷺ وفي قلة الحياء ، ودعواه تشبه دعوى الامامية ، لان دعوى الفريقين من أبطل الباطل وأبين المحال ، وان كان

قول الامامية والباطنية أظهر بطلانا وأبين ضلالا ، وعندهم من الدلائل الباطلة والاحديث المكذوبة أكثر مما عندهذا وسافها ، حتى أنهم يستدلون بآيات كثيرة من القرآن كما رأيناه مسطوراً في كتبهم ، وفي هذا لك عبرة عظيمة تبين لك أن ليس كل من ادعى اتباع اهل البيت مصيب في دعواه . والله أعلم

وأما قوله: في المسئلة الرابعة - ما المراد بقوله تعالى (وان تظاهروا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين) ثم ذكر ما ذكره ابن مردويه عن أسماء بنت عميس سمعت رسول الله ﷺ يقول « وصالح المؤمنين: علي بن أبي طالب » فهذا أصل دعوى اهل البيت سلام الله عليهم وشيعتهم في تخصيص علي بالآية الكريمة - إلى قوله - وانظر بعين الانصاف في آية المباهلة - بين جعل علي عليه السلام مع أخيه المصطفى نفس الانفس ، وهل أخرج رسول الله ﷺ بيانا للانفس غير علي؟ بل ترك القريب والبعيد وأبرز عليا وفطمة والحسين سلام الله عليهم)

(فالجواب) من وجوه (الوجه الاول) أن يقال ذكر صاحب الدر المنثور في تفسير الآية أقوالا عن المفسرين ، فأول ما ذكر في ذلك قال: أخرج ابن عساكر من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: كان أبي يترؤها وصالح المؤمنين ابو بكر وعمر . وأخرج ابن عساكر عن ميمون بن مهران مثله ، وأخرج ابن عساكر عن الحسن البصري في قوله (وصالح المؤمنين) عمر بن الخطاب رضي الله . وأخرج ابن عساكر عن مقاتل بن سليمان قال: ابو بكر وعمر وعلي . وأخرج ابن عساكر من طريق مالك بن أنس عن زيد بن زيد في قوله (وصالح المؤمنين) قال الانبياء ، وأخرج ابن عساكر عن ابن مسعود عن النبي ﷺ في قوله (وصالح المؤمنين) ابو بكر وعمر . وأخرج الطبراني وابن مردويه وابو نعيم في فضائل الصحابة عن ابن مسعود عن النبي ﷺ في قوله (وصالح المؤمنين) قال صالح المؤمنين ابو بكر وعمر ، وأخرج في الاوسط وابن مردويه عن ابن عمر

ابن عباس في قوله (وصالح المؤمنين) قل نزلت في أبي بكر وعمر. وأخرج سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير في قوله (وصالح المؤمنين) قل نزلت في عمر بن الخطاب خاصة. وأخرج الحاكم عن أبي أمامة في قوله (وصالح المؤمنين) قال أبو بكر وعمر

فكل هذه الروايات نقلها السيوطي، ثم ذكر الروايات في أنها في علي، وذكر أن أسنادها ضعيف، فهو لاء أئمة التفسير قد نقضوا عليك ما ادعيت من الخصوص (الوجه الثاني) قوله (اللازم له في جميع الطرائق، المؤنس له في مدلهات المضايق) فيقال: تخصيص علي بذلك دون سائر الصحابة كذب ظاهر، ومكابرة عند أولي البصائر، كما يعرف ذلك من طالع كتب السير والتواريخ، وهو رضي الله عنه من صغار السابقين الأولين في السن

(الوجه الثالث) قوله (وعند ابتداء النبوة والتفرد عن الناس بدين الله لأئمة المستنكر عند أهله وقومه ﷺ استوحش غاية الوحشة، وكان علي هو الولي الأئمة، والفاضل الأقدم)

فيقال: تخصيص علي بذلك، دون خديجة وزيد بن حارثة وأبي بكر الصديق رضي الله عنهم اجمعين كذب ظاهر فاحش، وغلو لا يمتري فيه إلا كل جاهل غبي، ومعلوم أن خديجة عليها السلام ورضي الله عنها أعظم من آتسه عند ابتداء الوحي، كما ثبت في الصحيحين والمسانيد والسنن والسير وكتب التفاسير «أنه عليه السلام لما نزل عليه الوحي في غار حراء وغطه الملك ثلاث مرات حتى بلغ منه الجهد ثم أرسله وقال له (اقرأ باسم ربك الذي خلق - إلى قوله - ما لم يعلم) فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده حتى دخل على خديجة. وقال «زملوني زملوني» وأخبرها الخبر وقال «لقد خشيت على نفسي» فقالت له خديجة: ابشر فوالله لا يخرئك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتكسب المعدوم،

وتعين على نواب الحق . ثم ذهبت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل - وكان قد تنصر في الجاهلية وقرأ الكتب - فقالت : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك ، فأخبره رسول الله ﷺ بما رأى . فقال ورقة : هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى ، ليتني فيها جذع ، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك . فقال رسول الله ﷺ : « أو مخرجي هم ؟ » قال : نعم ، لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا — الحديث بطوله « ولهذا استحققت أن يرسل اليها ربها تبارك وتعالى بالسلام على لسان رسوله جبرائيل ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، كما ثبت ذلك بالاسانيد الصحيحة

(الوجه الرابع) انه من المعلوم المقرر عند اهل الاخبار والسير أن علي بن أبي طالب كان حال البعثة صغيرا قيل ابن ثمان سنين وقيل عشر . فهم متفقون على انه لم يبلغ الحلم حين البعثة . وأما أبو بكر الصديق وزيد بن حارثة وغيرهما من كبار الصحابة فلم يختلف احد من اهل العلم في انهم حال البعثة رجال بالغون ، وهم أعظم ملازمة ومؤانسة للنبي ﷺ إذ ذاك من علي . ولهذا ذكر أهل العلم أن زيد بن حارثة هو الذي كان معه حال خروجه الى الطائف يدعوهم الى الله ، وأن أهل الطائف لما ضربوه وأخرجوه وأمروا سفهاءهم وصبيانهم يرمونه بالحجارة حتى دميت قدماء جعل زيد بن حارثة يقيه بنفسه ، ولهذا ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله ﷺ : هل أتى عليك يوم أشد عليك من يوم أحد ؟ فقال « لقد أتى علي من قومك وكان أشد ما لقيت منهم إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن كلال ، فلم أستفق الا وأنا بقرن الثعالب » الحديث

وكذلك أبو بكر رضي الله عنه ثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قيل له : أخبرنا بأشد شيء صنعته المشركون برسول الله ﷺ ؟

قال « بينا النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديداً، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ وقال : أنقتلون رجلاً أن يقول ربي الله » الآية - الحديث، وكان رفيقه وأنيسه وصاحبه في الغار وسفر الهجرة . كما انفق عليه الموافق والمخالف

(الخامس) قوله : حتى أحجم أصحاب أخيه ﷺ - ثم ذكر قصة قتل علي رضي الله عنه عمرو بن عبدود .

(فيقال) قوله ان الصحابة أحجموا عن عمرو وكذب ظاهر ، وأما كون علي رضي الله عنه هو الذي قتله فأمر مشهور، وذلك لا يقتضي فضله على من سواه وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال يوم الخندق « من يأتينا بخبر القوم ؟ » فقال الزبير : انا ، ثم قال « من يأتينا بخبر القوم ؟ » فقال الزبير : انا ، فقال النبي ﷺ « ان لكل نبي حوارياً وإن حوارياً الزبير » وفي رواية : أن رسول الله ﷺ ندب الناس فانتدب الزبير، ثم ندبهم فانتدب الزبير، فقال النبي ﷺ « إن لكل نبي حوارياً وإن حوارياً الزبير »

فالسابقون الاولون قد ورد لهم من الفضائل والخصائص مثل ماورد لعلي (الوجه السادس) قوله : حتى ردت راية رسول الله ﷺ حتى قال « لا بعنن بالراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله »

فيقال قد ثبت ان رسول الله ﷺ قل هذا لغيره من الصحابة وليست من خصائصه ، بل هي فضيلة شاركة فيها غيره ، بخلاف ما ثبت من فضائل أبي بكر وعمر . فإن كثيراً منها خصائص لهما لا سيما فضائل أبي بكر . فإن عامتها خصائص لم يشركه فيها غيره كما ثبت في الصحيح عنه ﷺ انه قال « إن أمن الناس علي في صحبته وذات يده أبو بكر » وقال « مانفعي مال مانفعي مال أبي بكر »

(الوجه السابع) احتجاجة بحديث « أنت مني بمنزلة هارون من موسى » تقدم الجواب عليه في كلام ابن حزم بما يكفي

وأما احتجاجه بحديث المباهلة فنفس الحديث يدل على ان ذلك ليس من خصائص علي رضي الله عنه لانه قد شاركه فيه فاطمة وحسن وحسين كما شاركوه في حديث الكساء، فعلم أن ذلك لا يختص بالرجال ولا بالذكور ولا بالأئمة ، بل شركة فيه المرأة والصبي فان الحسنين كانا صغيرين عند المباهلة فان المباهلة كانت لما قدم وفد نجران بعد فتح مكة سنة تسع او سنة عشر والنبي ﷺ مات ولم يستكمل الحسين سبع سنين والحسن أكبر منه بنحو سنة، وانما دعا هؤلاء لان الله أمر أن يدعو كل واحد من المتباهلين الابناء والنساء والانفس ، فيدعو الواحد من أولئك أبناءه ، ونسائه ، وأخص الرجل به نسبا ، وهؤلاء أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ ، وإلا كان غيرهم أفضل منهم عنده، فلم يؤمر أن يدعو أفضل أتباعه لان المقصود ان يدعو كل كل واحد أخص الناس به، لما في جيلة الانسان من الخوف عليه وعلى ذوي رحمه الاقربين اليه. ولهذا خصهم في حديث الكساء لهم، والمباهلة مبناها على العدل فاولئك أيضاً يحتاجون ان يدعوا أقرب الناس اليهم نسباً، فهم يخافون عليهم مالا يخافون على الاجانب. والله سبحانه وتعالى أعلم

فصل

وأما قوله (حتى روى المحدثون من فضائله قول رسول الله ﷺ « أنت مني كراشي من جسدي »)

فالجواب أن يقال : هذا الحديث لا يعرف في شيء من الكتب المعتمدة كالصحيحين والسنن والمسانيد، ولم يصححه أحد من أهل الحديث المعروفين بنقد الحديث ، والتمييز بين صحيحه من موضوعه ، وبمجرد رواية بعض أهل الكتب لا توجب صحته، لان كثيرا من أهل الكتب يروون في كتبهم الصحيح والحسن والضعيف والموضوع . وذلك لانهم يميزون بين الحديث الذي تقوم به الحجة

مما لا تقوم به الحجة . ولهذا كانوا يخرجون في كتبهم جميع الاحاديث الصحيحة والضعيفة والحسنة والموضوعة ، وأهل الخبرة بالحديث وعلمه ورجاله يميزون الحديث الصحيح من غيره ، كما يميز الصيرف البصير الدراهم المغشوشة ، والله سبحانه وتعالى اعلم

فصل

ثم قال المعارض (فذ تقرر ذلك فقد قال كثير من العلماء المحققين إن المطلق اذا ورد صرف وخص بالأغلب المؤلف المعروف حل الورود مثل تحريم الميتة في قوله تعالى (حرمت عليكم الميتة) فانه ينصرف الى الاكل خاصة دون الانتفاع واطرط ، ولا يدخل تحريم غير الاكل بالآية بأدلة السنية ، فكذلك نصنع في قوله (وصالح المؤمنين) فانه مطلق فيصرف الى تخصيص الولاية بعلي رضي الله عنه . ويؤيد اختصاص الاضافة لتمام قنيتها وهو اختصاص ، اذ هو اولى من جعلها للعموم كما ذكره المجيب ، لان العموم يوجب المصير الى كون الاضافة بيانية وهو خلاف الغالب في الاضافة ، ولو جازت غلبت الولاية ، وحصلت لصحابي بملازمته لرسول الله ﷺ مثل علي عليه السلام لتلقيه بالقبول ووضعناه على الرأس ولا نحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله)

(فلجواب) من وجوه (احدها) أن يقال : امكنت والله الراعي من سواء الثغرة ، ونقضت الاصل الذي اصات ، والدلائل التي اوردت من الاحاديث التي سطرت ، كحديث زيد بن ارقم في قوله « فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين : كتاب الله وعترتي اهل بيتي » الخ . فيقول لك خصمك : هذا محمول على اهل بيته اليهوديين المعروفين في زمانه ولا يدخل فيهم من بعدهم من الذرية . وهذا عكس مراد المعارض ، لانه قرر في كلامه ان اهل البيت كلهم ، من كان منهم من الصحابة ومن جاء بعدهم من ذرياتهم - انهم كلهم داخلون في عموم هذه الآيات التي

أورد ، والاحاديث التي ذكر ، فكيف يقول هذا الجاهل بكلام الله ورسوله ، وكلام اهل العلم : ان المطاق اذا ورد صرف وخص بالاغلب المؤلف المعروف حال الورود . فيقول لك خصمك : دلائلك هذه انني اوردت محمولة على اهل بيته المهودين المعروفين في زمانه كالعباس واولاده وجمعهم واولاده وعقبه واولاده وأبي سفيان بن الحارث واولاده واولاد بني لمب ، وعلي واولاده منهم ، ولا يدخل فيهم من بعدهم من الذرية ، فاهذا الاعتراض البارد الذي كشف الله به عورتك وجهك لك به ضحكة عند من نظر في كلامك ؟ وهذا الوجه كاف في رد كلام هذا المعترض (الوجه الثاني) أن يقال قوله عن كثير من العلماء المحققين ، ان المعلق إذا ورد صرف وخص بالاغلب المؤلف المعروف حل الورود مثل تحريم الميتة في قوله (حرمت عليكم الميتة) فانه ينصرف الى الاكل خاصة دون الانتفاع والترطب الخ . فهذا يدل على جهل هذا المعترض بما ذكره علماء الاصول المحققون . فقد قل ابو زرعة أحمد بن الامام عبد الرحيم بن الحسين العراقي الشافعي في شرحه على جمع الجوامع لابن السبكي تقي الدين رحمه الله — وهذا لفظ المأثني والشارح : (العام لفظ يستغرق الصالح لغير حصر) [ش] فهم من تصدير تعريف العام باللفظ ١٩ من عوارض اللفاظ ، والمراد لفظ واحد للاحتراز عن اللفاظ المتعددة الدالة على أشياء متعددة ، وخرج بقوله (يستغرق) المطلق فانه لا يدل على شيء من الافراد اصلا ، والنكرة في سياق الاثبات مفردة كانت أو مثناة أو مجموعة أو عددا ، فانها انما تتناول الافراد على سبيل البديل ، واحتراز بقوله (الصالح له عما لا يصلح ، فعدم استغراق « ما » لمن يعقل انما هو لعدم صلاحيتها له أي عدم صدقها عليه لالكونها غير عام ، وخرج بقوله (من غير حصر) أسماء العدد فانها متناولة للصالح لها لكن مع الحصر ، وهذا مبني على انها ليست عامة ، وتبعه المصنف هناك ، وزاد البيضاوي وغيره في هذا التعريف « بوضع واحد » ليخرج المشترك اذا أريد به معناه ،

فانه مستغرق لما يصلح له ان يوضع واحد، فتناوله لها ليس من العموم (ص) والصحيح دخول النادرة وغير المقصودة تحته ، وانه قد يكون مجازاً ، وانه من عوارض الالفاظ ، قيل والمعاني وقيل به في الذهن ويقال للمعنى أعم ، واللفظ عام (ش) فيه مسائل (الاولى) الصحيح ان الصورة النادرة تدخل في العموم .
وقال الشارح: زعم المصنف ان الشيخ أبا اسحاق الشيرازي حكى فيه خلافاً ولم تجده في كتبه وانما يوجد في كلام الاصوليين اضطراب فيه يمكن أن يؤخذ منه الخلاف ، وكذا في كلام الفقهاء ولهذا اختلفوا في المسابقة على الفيل على وجهين (أصحهما) نعم لقوله عليه السلام « لاسق إلا في خف أو حافر » (والثاني) لا ، لأنه نادر عند المخاطبين في الحديث

(الثانية) الصحيح دخول الصور التي ليست مقصودة في العموم ، فان اللفظ متناول لها ولا انضباط للمقاصد ، ومن حكى الخلاف في ذلك القاضي عبد الوهاب ويوجد في كلام أصحابنا ، ولهذا قال في البسيط - بعد حكاية الخلاف في ذلك فيما لو وكله بشراء عبد فاشترى من يعتقه على الموكل . ومثار الخلاف التعاقب بالعموم والالتفات إلى المقصود

(الثالثة) الصحيح ان المجاز كالحقيقة في انه قد يكون عاماً ، فلم ينقل عن أحد من أئمة اللغة ان الالف واللام أو النكرة في سياق النفي أو غيرها من صيغ العموم - لاتفيد العموم إلا في الحقيقة ، وخالف فيه بعض الحنفية ، فزعم أن المجاز لا يعم بصيغته لانه على خلاف الاصل

(الرابعة) لا خلاف ان العموم من عوارض الالفاظ وليس المراد وصف للفظ به مجرداً عن المعنى ، بل باعتبار معناه الشامل للكثرة . وعطف المصنف ذلك على ما عر فيه بالاصح يقتضي خلافاً فيه . قال الشارح : وينبغي أن يجعل استثناء لا عطفاً على ما قبله ، قلت : يمكن انه أراد انه من عوارض الالفاظ فقط ، فيرجع

«لتصحيح إلى تضعيف القول بأنه من عوارض المعاني أيضاً لا إلى كونه من عوارض الالفاظ ، ولذلك عقبه بقوله : قيل والمعاني . والذاهبون اليه اختلفوا في ان عروضة المعاني هل هو حقيقة أو مجاز ، فقال بعضهم حقيقة ، فكما صح في الالفاظ شمول أمر لتعدد صرح في المعاني شمول معنى لمعاني متعددة بالحقيقة فيها . وقال القاضي عبد الوهاب : مراد قائله حمل الكلام على عموم الخطاب وان لم يكن هناك صيغة تعمها ، كقوله تعالى (حرمت عليكم الميتة) ان نفس الميتة وعينها لما لم يصح تناول التحريم لها عمماً بالتحریم جميع التصرف فيها ، من الأكل والبيع واللبس وسائر أنواع الانتفاع ، وإن لم يكن للاحكام ذكر في التحريم لا بعموم ولا بخصوص . انتهى ما ذكره ابن السبكي وابو زرعة احمد بن عبد الرحيم في الشرح المذكور ، وقال المقدسي من الحمايلة : قوله (حرمت عليكم الميتة) هي ظاهرة في جميع أنواع التصرف واستدل على ان المراد جميع أنواع التصرف فيها بأدلة ذكرها وكذلك قال ابن عقيل يحرم جميع الافعال فيها ، وقد ذكر انه قول الجبائي وابنه وعبد الجبار ، فظاهر هذا ، بل صريحه ان هذه الآية عامة في كل نوع من الانتفاع ولهذا احتج بها احمد في دباغ جلود الميتة ، قال في رواية صالح : إن الله قال (حرمت عليكم الميتة) فالجلد هو من الميتة وههنا احتج بها احمد على عدم الانتفاع بالجلد فظهر بما ذكر عن هؤلاء الأئمة بطلان ما ذكره هذا المعارض في عدم شمول الآية في أنواع الانتفاع ، ولهذا ثبت في الصحيح والسنن من حديث جابر أن رسول الله ﷺ قال - عام الفتح وهو بمكة - « إن الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام » فقيل بارسل الله : أرأيت شحوم الميتة ، فانه يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ، ويستصبح بها الناس ؟ فقال رسول الله ﷺ « لا ، هو حرام » قال رسول الله ﷺ عند ذلك « قاتل الله اليهود إن الله تعالى لما حرم عليهم شحوم الميتة جعلها ثم باعوها فأكلوا ثمنها »

وروى ابوداود في السنن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: رأيت رسول الله ﷺ جالسا عند الركن، قال فرفع بصره الى السماء فضحك فقال « لعن الله اليهود - ثلاثا - ان الله تعالى حرم عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها وان الله عز وجل إذا حرم على قوم أكل شيء حرم عليهم أكل نمته »

فصل

واما قوله (فلو جاءت غلبة الولاية وحصلت لصحابي لملازمته لرسول الله ﷺ مثل علي لتلقيناه بالقبول ووضعناه على الرأس ، ولا نخسد الناس على ما آتاهم الله من فضله)

(فالجواب) ان يقال : قد كذبت في هذه الدعوى ، فقد علمتم انه قد ورد لغيره من الفضائل ما هو مثل فضائل علي رضي الله عنه او أعظم ، ولم تضعونها على الرأس ، بل كذبتم به ورددتموه بمجرد الدعاوي الباطلة التي يمكن كل أحد أن يدعيها فيمن يحبه ويهواه . فان كنت صادقا كما زعمت فقل لنا ، حتى نكتب لك ذلك وننقله من الكتب الصحيحة والتفسير المأثورة .

فان قلتم لا تقبل رواية خصومنا قال لكم خصومكم : لا تقبل روايتكم لانكم خصومنا ، والروايات التي رويناها في فضائل اهل البيت قد روينا في فضائل الصحابة ما هو مثاها او اعظم منها ، ولم يمكنكم أن تحتجوا عليهم بحجة صحيحة لا معارض لها ، فاستحيوا من الله تعالى ومن خلقه من هذا الجنون والخبال ، الذي يفضحكم عند الرجال والنساء

فصل

واما قوله - في الاعتراض على كلام المجيب على حديث عمار رضي الله عنه - وذكر أن المجيب قد أقر على لسان اهل السنة والجماعة بان معاوية رضي الله عنه

قد أخطأ واذنب . وقد قل تعالى (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) ثم قال :
وقد نص تعالى على موجب الظلم وما يحكم به لصاحبه فقال عز من قائل (مالا ظالمين
من حميم ولا شفيع يطاع) ثم انك أقررت ببغى معاوية (رضي الله عنه) وأصحابه
ثم حكمت له بالمغفرة وبالجنة بعد ثبوت الفاحشة منه ، وهو البغى . وقد قال تعالى
(إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر
والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) ويقرنه بالفحشاء والمنكر ويدخل فاعله الذي لم يتب
منه ومات مصرا عليه الجنة ؟ ما هذا حكم بالعدل ؟)

(فالجواب) من وجوه (أحدها) ان يقال : انت قد نقضت كلامك هذا
كله في كلامك الذي قبل هذا بأسطر يسيرة ، بقولك قل كثير من العلماء المحققين
ان المطابق إذا ورد صرف وخص بالاغلب المؤلف المعروف حال الورود - إلى
آخره ، وذلك انه من المعلوم ان هذه الآيات التي جعلتها متناولة لأصحاب رسول
الله ﷺ ، وهو معاوية رضي الله عنه ومن معه ، يقول لك منازعوك : ان المعروف
المشهور عند اهل التفسير انها نزلت في اهل الشرك والكفر ، فكيف جعلتها في
أصحاب رسول الله ﷺ ولم تخص بها اهل الكفر المؤلف المعروف في حقهم ؟
(الوجه الثاني) ان المجيب ذكر ان الحديث على ظاهره ولم يغيره ولم يؤوله
ولكن ذكر ان اثبات البغى لهم لا يوجب فسقهم ولا كفرهم إذا كانوا متأولين
مخطئين في ذلك ، والمجيب لا ينزههم من الذنوب والخطأ ، لكنه ذكر ما دل عليه
كتاب الله من أن البغى لا ينفي الايمان عن فعله ، كما قال تعالى (وإن طائفتان
من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت إحداها على الاخرى فقاتلوا التي
تبغى حتى تفىء إلى أمر الله) فسماهم الله مقتتلين مع الايمان

(الوجه الثالث) قوله : فأين فائدة كلام الحكيم ﷺ؟ فيقال انما يعرف فائدة
كلام الرسول ﷺ أهل العلم والايمان ، فهم الذين يهتدون به ويعرفون معناه

ويعقلونه كعلي رضي الله عنه وأصحابه ومن شابههم من أهل الفهم والمعرفة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وأما أهل الجبل والضلال فهو عليهم عى وضلال كما قال تعالى (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عى ، أولئك ينادون من مكان بعيد) كهذا المعارض ومن شاكله الذي يتناقض في السطر الواحد ويرد كلامه بعضه بعضاً وهو لا يشعر ولا يدري . والفائدة في حديث عمار قد عقلمها أهل السنة والجماعة ، وهو انهم علموا أن قتلة عمار فئة باغية على الامام ، وان علياً رضي الله عنه وأصحابه أولى بالحق من معاوية رضي الله عنه وأصحابه وهذا هو الفائدة في الحديث ، ومن فهم منه غير ذلك فقد أبعد النجعة وتكاف ما لا علم له به

(الوجه الرابع) أن يقال حمل هذه الآيات التي ذكرها على معاوية وأصحابه مثل حمل الخوارج آيات الشرك والكفر والظلم على علي رضي الله عنه وأصحابه سواء بسواء ، فكما ان كلام الخوارج معلوم البطلان بضرورة العقل فكذلك حمل هذه الآيات على معاوية رضي الله عنه وأصحابه معلوم البطلان بالضرورة فما هذه الوقاحة وقلة الحياء وصفاقة الوجوه ؟

(الوجه الخامس) أن يقال قوله ماهذه السوابق والحسنات التي لهم؟ هل قتل عمار وخزيمة ذي الشهادتين وأبي الهيثم بن التيهان وغيرهم من المهاجرين والانصار؟ فيقال الحسنات العظيمة التي لا مطمع لأحد فيها هي صحبتهم لرسول الله ﷺ وجهادهم معه الذي لو أنفق الرجل مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه، كما ثبت أن رسول الله ﷺ قال لخالد بن الوليد — لما جرى بينه وبين عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما كلام ومنازعة ، فقال له النبي ﷺ « يا خالد ، دع عنك أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أنفقت مثل أحد ذهباً ما بلغت مد أحدهم ولا نصيفه » هذا كلامه في خالد وهو من جملة الصحابة . لكنه ليس من السابقين الاولين ، فكيف بمن لم يصحبه ؟

وأما قتل عمار وخزيمة وأبي الهيثم وغيرهم رضي الله عنهم فأنما فعلوا ذلك بتأويل واجتهاد وكل من الفريتين يظن أن الحق والصواب معه وعلي رضي الله عنه وأصحابه قتلوا الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وغيرهم من السابقين ومن الصحابة رضي الله عنهم فما ذكرت في معاوية وأصحابه ففي علي وأصحابه ما هو مثلهم فصح يقيناً أن مذهب أهل السنة والجماعة هو الحق والصواب وهو محبة جميع الصحابة رضي الله عنهم ، والترضي عنهم ، والدعاء لهم ، والكف عما شجر بينهم رضي الله عنهم أجمعين

فصل

وأما قوله (فهذا ابن رسول الله ﷺ محمد بن علي بن القاسم أبو طالب حفظه الله قد حكمتك وفوض اليك بسؤاله بأن تحكم بين جده علي بن أبي طالب ومن معه من المهاجرين والانصار وشيعة أهل العراق وأهل اليمن أهل الأيمان ، من حمير وهمدان ، وبين معاوية ومن معه من أهل الشام الطغام أعداء الرحمن ، فحكمت بما قاله خصماء علي بن أبي طالب ، وهم ممن رضي فوافر معاوية وصنيعه ، وهم الموالون له المحبون له ولاصحابه المتسمون بأهل السنة والجماعة. فكأن السائل عندكم لم يعرف كتاب الله ولا ما جاء به جده ﷺ - إلى قواه - وهيئات أن يطمع في ذلك طامع ، فقلوبهم قد نبت فيها حب آل محمد ﷺ ورسخ لما رأوا من حلاوته ، وقد سقاه حسن الوفاء باجر سيد المرسلين من المودة لذريته المباركة نجوم أهل الأرض ، وباب حطة وباب السلام ، وسفينة نوح ، وقرناء القرآن ، والله المستعان) (فالجواب) من وجوه (أحدها) أن يقلل قوله : فحكمت بما قاله خصماء علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ، وهم ممن رضي فوافر معاوية وصنيعه كذب ظاهر ، فإن المجيب قد بين أن قوله هو الذي يدل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ

وبما تواتر عن علي رضي الله عنه أنه كان يسمي اهل الشام اخوانه . وقل : « هؤلاء اخواننا قد بغوا علينا » كما ذكره غير واحد من علماء السير والتواريخ (الوجه الثاني) قوله في اهل الشام : الضغام اعداء الرحمن - كذب وغرور ، وقول بلا دليل ، ومخالفة لما عليه جماعة جميع اهل البيت ، ولازمه الطعن في أكابر اهل البيت كالحسن والحسين وابن عباس وابن جعفر لان هؤلاء كلهم قد باعوا معاوية رضي الله عنه وصاروا من جملة رعيته بلا إكراه كما تقدم تقريره وكما سيأتي في فصل كلام اهل البيت رضي الله عنهم في معاوية رضي الله عنه (الوجه الثالث) قواه في اهل السنة : وهم ممن رضي فوافق معاوية - وهذا ايضا كذب بين وهيتان فان المجيب وسلفه من اهل السنة لا يرضون بقتال معاوية واصحابه لعلي ، بل الصواب عندهم ان معاوية ومن معه في طاعة امير المؤمنين وبيعتهم ، ولا يرضون بسب علي وأهل بيته ، بل ينكرونه على من فعله اورضيه ، كما علمت كتبهم بذلك وهذا المعترض يعلم ولكنه ممن يجادل بالباطل (الوجه الرابع) قوله : وهم الموالون له المحبون له واصحابه فهذا صدق وصواب فان اهل السنة يتولون جميع الصحابة كلهم ، ويظهرون ألسنتهم من الخوض في تلك الحروب الواقعة بينهم ، بمعنى انهم يحملون ذلك على المحمل الحسن اللائق بهم لأن الله أثنى على جميع الصحابة في كتابه العزيز بقوله (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل . اولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ، وكلا وعد الله الحسنى) ويعرفون للسابقين الاولين حقهم على من بعدهم وينزلون كلا منزلته التي أنزله الله إياها فلم يفعلوا كفعل الروافض والزيدية والخوارج الذين يفرقون بينهم فيتولون بعضهم ويهضمون ويبتعدون من بعضهم ، وهذا هو الذي تدل عليه الدلائل الصحيحة من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الثابتة بالاسانيد المرضية

(الوجه الخامس) قوله: فوجدك قد قلت بمقالة أهل الانحراف عن الآل - وهذا أيضاً من نمط ما تقدم من كذبه وفجوره وقلة حياته من الناس فان الحبيب قد بين ان مقالته التي ذهب اليها هو وسلفه هي التي عليها آل محمد ﷺ. وقد نقل في كلامه لفظهم بحروفه ، وبين ان دعوى المعترض اتباع الآل كذب وجهل وخبال لا يعجز عنه أحد من الناس

(الوجه السادس) قوله عن أهل السنة: انهم أصلوا اصولهم وقعدوا قواعدهم على اساس أسسه لهم بنو أمية وبنو العباس - وهذا أيضاً من كذبه وفجوره ، وذلك ان أهل السنة انما أصلوا اصولهم على ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من وجوب طاعة أولي الامر كما تقدم ذكر الدلائل على ذلك من الكتاب والسنة اول هذا الجواب بما اغنى عن إعادته

فن قال: ان تلك الآيات والاحاديث لا تدل على ذلك، او انها مخالفة لكتاب الله ، او انها مكذوبة على رسول الله ﷺ أمكن خصمك ان يقول مثل ذلك في الاصول التي أصلت ، والدلائل التي قررت

(الوجه السابع) أن يقال : أنت قد تبرأت وتنصلت من الملوك الظالمة من بني العباس ، وهم من آل محمد بالاجماع ، وداخلون في مسمى عترته عند جميع فرق الامة ، فهذا يبطل جميع ماوردته من الدلائل التي معك في اتباع أهل البيت ، فاذا كان من أهل البيت من هو من الملوك الظالمة أمّة جور فكذلك يقال فيمن خالفوا الكتاب والسنة من آل علي سواء بسواء ، ولا يمكنك ان تأتي بحجة صحيحة لا معارض لها في دخول آل علي في تلك الدلائل وخروج غيرهم منها ، فأبطلت بكلامك ما أصلته ورددت على نفسك بنفسك ماقررته وأنت لا تشعر ، وهذا حال من يتكلم في مثل هذه الامور العظيمة بمثل هذه الجهالات والخبالات التي يأنف منها أهل العرفان، بل ينفر منها الصبيان، عياذاً بالله من الخزي والخذلان

(الوجه الثامن) ان يقال قوله عن السائل وشيعته وهم اهل اليمن من همدان وحمير وذرية من قاتل معاوية وأهل الشام في صفين مع وصي رسول الله ﷺ وأخيه القاتل في همدان ، حين شقت سيوفهم قلوب العدوان من اهل الشام الطغام في ذلك الاوان :

فلو كنت بوأبا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام
فهذا من اظهر الكذب وأنجر الفجور في انه قد مدحهم بما ليس فيهم ،
والدليل على ذلك ما ذكره اهل الاخبار والسير من ان عسكروا عليا اختلفوا عليه اختلافا
كثيراً وآذوه اذى عظيماً ، حتى مل منهم وتمنى الموت
وقد قال ابو عبيد القاسم بن سلام - وهو من أئمة الحديث والفقه واللغة - عن
حدثه عن ابي سنان العجلي قال قال ابن عباس لعلي رضي الله عنه « ابعثني إلى
معاوية فوالله لأقتلن له حبلاً لا ينقطع وسطه » فقال « لست من مكري ومكره في
شيء ، ولا اعطيه الا السيف حتى يغلب الحق الباطل » فقال ابن عباس رضي الله
عنه « او غير ذلك » قال « كيف ؟ » قل « انه يطاع ولا يعصى ، وأنت عن قريب
تعصى ولا تطاع » قال : فلما جمل اهل العراق يختلفون على علي رضي الله عنه قال
« لله ابن عباس انه لينظر الى الغيب من ستر رقيق »

وحدثني خلاد بن يزيد الجعفي حدثنا عمرو بن شمر عن جابر الجعفي عن
الشعبي أو أبي جعفر الباقر - شك خلاد - قال : لما ظهر أمر معاوية (رض) دعا
علي (رض) رجلاً وأمره أن يسير إلى دمشق ، فيعقل راحلته على باب المسجد ، ويدخل
بهيمة السفر ففعل الرجل وكان قد وصاد ، فسألوه : من أين جئت ؟ قال من العراق
قالوا ما وراءك ؟ قال تركت علياً قد حشد اليكم ونهد في اهل العراق ، فبلغ معاوية
رضي الله عنه فأمر أبا الاعور السلمي بحقق امره ، فأتاه فسأله فأخبره بالامر الذي
شاع ، فنودي الصلاة جامعة ، فامتلاً الناس في المسجد ، فصعد معاوية المنبر وتشهد

ثم قال : ان عليا قد نهى اليكم في اهل العراق فما الرأي ؟ فضرب الناس أذقانهم على صدورهم ، ولم يرفع اليه احد طرفه . فقام ذو السكلاع الحيري فقال : عليك الرأي وعلينا ام فعال - يعني الفعال - فنزل معاوية ونودي في الناس ، اخرجوا إلى معسكركم ، ومن تخلف بعد ثلاث أحل نفسه ، فخرج رسول علي حتى وافه وأخبره بذلك ، فأمر علي رضي الله عنه فنودي الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قل : ان رسولي الذي أرسلته إلى الشام قد قدم علي وأخبرني ان معاوية قد نهى اليكم في اهل الشام فما الرأي ؟ قال فأضرب اهل المسجد يقولون يا امير المؤمنين الرأي كذا الرأي كذا ، فلم يفهم علي كلامهم من كثرة كلامهم وكثرة اللفظ ، فنزل وهو يقول إنا لله وإنا اليه راجعون ، ذهب بها ابن أكلة الاكباد . يعني معاوية (رض)

وقال الاعمش حدثني من رأى عالياً يوم صفين يصفق يديه وبعض عليها ويقول « يا عجباً أعصى ويطاع معاوية ؟ »

وذكر ابن الانباري عن ابيه عن أحمد بن عبيد عن هشام بن محمد عن ابي مخنف لوط قال لما توجه بسر بن ابي ارطاة اخبر عبيد الله بن عباس بذلك وهو على اليمين عامل لعلي (رض) فدخل بسر بن ابي ارطاة اليمين فأتى بابني عبيد الله بن عباس فذبجها وهما صغيران ، فنال امهما عائشة بنت عبد الدان من ذلك امر عظيم

وذكر ابو عمرو الشيباني في خروج بسر انه اغار على همدان فقتل وسبي نساءهم ، وكن اول نساء سبين في الاسلام ، وبسر هذا له اخبار سوء بجانب علي (رض) ولا تصح له صحبة قاله الامام احمد ويحيى بن معين ، قال يحيى بن معين : كان رجل سوء ، وذكر ان عليا (رض) دعا عليه ان يطيل الله عمره ويذهب عقله ، فكان كذلك

قال ابن دحية : ولما ذبح الصغير بن وفقدت أمها علقها كانت تقف بالمواسم
تشد شعرا يبكي العميون ، ويهيج بلابل الاحزان والغبون

ها من أحس بني اللذين هما كالدرتين تشقى عنهما الصدف
ها من أحس بني اللذين هما سمعي وعقلي فقلبي اليوم مختطف
حدثت بسرّاً وما صدقت ما زعوا من قولهم ومن الافك الذي اقترفوا
أخنى على ودجبي ابني مرهفة مشحودة وكذلك الأثم يقترف
ومعلوم عند من له أدنى معرفة بالاخبار ماجرى من أهل الكوفة مع الحسين
ابن علي رضي الله عنهما حين كان به وأمره بالشخص والقدوم عليهم ووعدوه
أن يبايعوه فاغتر بهم وبموايديهم الكاذبة ، واما نهم الباطلة ، فخص اليهم باهله
وولده ، وكان قد أرسل اليهم قبل ذلك ابن عمه مسلم بن عقيل رضي الله عنهما ،
فلما قرب الحسين منهم خذلوه واسلموه لقتل ، وقتل معه اثنان وثمانون رجلاً من
اصحابه مبارزة ، ثم قتل جميع بنيه إلا علياً المسمى بعد ذلك بزين العابدين ، كان
مريضاً فاخذ أسيراً ، وقتل أ. ثم اخوة الحسين وبني اعمامه

فهؤلاء شيعة اهل البيت الذين أثنى عليهم هذا المعترض ، وهم اهل اليمن
من همدان وحير ، وقد كان مع معاوية رضي الله عنه جموع كثيرة من حير
وغيرها من قبائل اليمن منهم ذو الكلاع الحميري كان من اشراف اصحاب
معاوية وساداتهم وقتل يومئذ ومن اصحاب معاوية وأمرائه يومئذ كريب بن
الصباح الحميري أحد الابطال قتل يومئذ جماعة ثم بارزه علي فقتله

فصل

﴿ في اعتدال اهل السنة بين غلو الشيعة وجفوة النواصب ﴾

واما قوله (وانظر تواريخ الاسلام وما قل الناس ، هل أحدرى ان معاوية واصحابه ضمنوا ما فسدوا من حقوق المسلمين ، وانهم تابوا من تلك الطامة ، والفاحشة العامة ، والمعصية الكبيرة ، وهو البغي الذي اقررت به ، وهل ودوا عماراً وخزيمة وابا الهيثم وأويس القرني سيد التابعين وغيرهم وسلموا ديارهم إلى احليهم ، ام ماتوا متلطفين بدمائهم وبالفسق والعصيان ؟)

(فالجواب) ان يقال كل ما ذكر في معاوية واصحابه قد جرى مثله لعلي واصحابه وما هو أعظم من ذلك ، وهو قتل طلحة والزبير ومن معهم من المهاجرين والانصار ، واعظم من ذلك ان قتله عثمان امير المؤمنين رضي الله عنه كانوا مع علي وكانوا من رؤوس أسكركه ، فما قلت في معاوية يقال في علي رضي الله عنه . فكما تأول علي رضي الله عنه في الدماء كذلك تأول معاوية واصحابه فنصحت هذه الدعوى ففيها من القدح والعضاضة في علي والحسن والحسين وابن عباس رضي الله عنهم ما لا يخفى وهذه الحجة التي ذكرت مما يحتج بها معاوية رضي الله عنه واصحابه على علي رضي الله عنه واصحابه ، ولا يمكنك ان تأتي بحجة صحيحة تبريء بها عليا واصحابه دون معاوية واصحابه ، إلا بالمكابرة والمعاندة

فظهر بما ذكرناه ان مذهب اهل السنة والجماعة هو الصواب الذي لا يتناقض لأن الباغي قد يكون متأولا معتقدا انه على حق وقد يكون متعمدا يعلم انه باغ وقد يكون بغية مركبا من شهوة وشهوة وهو الغالب ، وعلى كل تقدير فهذا لا يقدح فيما عليه اهل السنة . فاصابهم مستقيم مطرد في هذا الباب واما انتم فتمنقضون ، وذلك ان النواصب من الخوارج وغيرهم الذين يكفرون عليا او يفسقونه او يشكون في عدلته من المعتزلة والمروانية وغيرهم لو قالوا لكم : ما الدليل على ايمان

علي وامامة وعدله ؟ لم يكن لكم حجة ، فاندكم ان احتججتكم بما تواتر من اسلامه وعبادته قالوا لكم : وهذا متواتر عن الصحابة والتابعين والخلفاء الثلاثة وغيرهم . فليس قد حنا في ايمان علي واصحابه الا مثل قد حكم في ايمان معاوية واصحابه . وان احتججتكم بما في القرآن من اشاء والمدح على الصحابة . قلوا : آيات القرآن عامة تتناول غير علي منهم مثل ما تناول عليا رضي الله عنه ، وإن أخرجتم هؤلاء من المدح والثناء فأخرجنا عليا أيسر وأهون . فإن احتججتكم عليهم بالنص الذي تدعونه . كان احتجاجهم بالمصوص التي يدعونها في أبي بكر بل في العباس معارضاً لذلك رضي الله عنهم ، ولا ريب عند كل من يعرف الحديث ان تلك أولى بالقبول والتصديق فإذا قال الرافضي ان معاوية رضي الله عنه كان باغياً ظالماً ، قل له النصبي : وعلي كان باغياً ظالماً ، قتل المسلمين على امارته وبدأهم بالقتال وصال عليهم ، وسفك دماء الامة بغير فائدة لهم لا في دينهم ولا في دنياهم ، وكان السيف في خلافته مسلوا على أهل الملة مكفوفاً عن الكفار

والقادحون في علي رضي الله عنه طوائف : طائفة تقدح فيه وفيمن قاتل جميعاً ، وطائفة تقول : فسق أحدهما لا بعينه ، كما يقول ذلك عمرو بن عبيد وغيره من شيوخ المعتزلة ، يقولون في أهل الجمل : فسقت إحدى الطائفتين لا بعينها : وهؤلاء يفسقون معاوية ، وطائفة تقول هو الظالم دون معاوية كما تقوله المروانية ، وطائفة تقول كان في أول الامر مصيباً فلما حكم الحكيم كفر وارتد ، وهؤلاء الخوارج وكلهم مخطئون في ذلك ضالون مبتدعون ، وخطأ الشيعة مثله او أظهر بطلانا منه فان قال الذاب عن علي رضي الله عنه هؤلاء الذين قاتلهم علي كانوا بغاة ، لما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال لعمار « تقتلك الفئة الباغية » ؟ فللناس في هذا الحديث أقوال منهم من قدح في حديث عمار ومنهم من تأوله على ان الباغي الطالب ، وهو ضعيف . ومنهم من تأوله على علي واصحابه - كما قال معاوية ، لما

قيل له . إن عماراً قتل ، وقد قال النبي ﷺ « تقتلك الفئة الباغية » فقال . أفنحن قتلناه ؟ إنما قتله علي وأصحابه . جؤا به حتى ألقوه بين أسيافا ورماحنا . وإنما ندفع عن أنفسنا . وهذا تأويل باطل ولهذا رده أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بما لا حيلة فيه فقال إذا فرسول الله ﷺ قتل حمزة رضي الله عنه حين جاء به يقاتل المشركين وأما أهل السنة والجماعة رحمهم الله فكلامهم مستقيم ولا مطعن فيه لأحد لأنهم اتفقوا على أنه لا تفسق واحدة من الطائفتين ، وإن قالوا في إحداهما إنهم كانوا بغاة ، لأنهم كانوا متأولين مجتهدين ، والمجتهد الخطي لا يكفر ولا يفسق ، وإن تعدد البغي فهو ذنب من الذنوب والذنوب يرفع عقابها بسباب متعددة كالنوبة والحسنات الماحية ، والمصائب المكفرة ، وشفاعة النبي ﷺ ودعاء المؤمنين وغير ذلك من الأسباب . ولهذا قال محمد بن شهاب الزهري - وهو من أئمة التابعين - « هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون فأجمع رأيهم على أن كل دم أو مال أصيب بناءً ويل القرآن فهو هدر » أو كلاماً هذا معناه . أخرج غير واحد من الأئمة

فصل

وأما قوله في تحقيق مذهب الزيدية في لعن معاوية (أنهم يظهرون — حيث يخشون التهمة — بمولاته المحرمة بنص الكتاب العزيز حيث قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) فلا يوجبونها مطلقاً ولا يستحبونها مطلقاً) إلى آخر كلامه

(فالجواب) ان يقال : انت قررت في اول اعتراضك انه لو جاء ملك بلاءن إبليس - لعنه الله - على المنابر لعد مبتدعاً فكيف أستجزم أيها المنتسبون إلى زيد رضي الله عنه لعن معاوية رضي الله عنه ؟ ما هذا التناقض العظيم والتهور فيما يوجب العذاب الاليم ؟

واما استدلاله بهذه الآية الكريمة (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء — وقوله — واذا رأيت الذي يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم) الآية — فهي دعوى باطلة ، كدعوى الخوارج والمبغضين لعلي رضي الله عنه واهل بيته بان هذه الآيات فيهم ، فكما ان دعواهم ظاهر البطلان فكذلك دعواكم واما دعواه ان اهل السنة قد رضوا بسب علي رضي الله عنه فكذب عليهم لا يمتري فيه أحد ، بل هم ينكرون سب علي رضي الله عنه اشد الانكار في قديم الزمان وحديثه ، وهم الذين عملوا بقوله تبارك وتعالى (يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء الله ولو على أنفسكم او الوالدين والاقرين) الآية

فصل

(اما قوله (قد حكمت بدخوله الجنة)

(فالجواب) ان يقال هذا كذب ظاهر على المجيب ، وذلك أنه هو وسلفه من اهل السنة والجماعة لا يشهدون لمعين بالجنة إلا لمن شهد له رسول الله ﷺ بانه من اهل الجنة ، كالعشرة وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم الذين ثبتت الاحاديث في تعيينهم انهم من اهل الجنة وامامن سواهم فلا يشهدون له بذلك ولكنهم يرجون لجميع المؤمنين دخول الجنة ويخافون على من أذنب من النار. ولا يقطعون لمعين بانه من اهل الجنة او من اهل النار إلا من ثبت له ذلك في القرآن كابي لهب والوايد بن المغيرة وقوم نوح وجميع المهلكين من الامم ، ومن ذكره رسول الله ﷺ

ويقال أيضا ان كان ما قلت حقا فاول من يدخل في هذه الآيات الحسن بن علي رضي الله عنهما وأخوه الحسين ومن معهما من اهل البيت وربيعه ومضر وهمدان ، حين انخلع الحسن لمعاوية رضي الله عنه من الخلافة وولى عليهما من هو عدو لله ورسوله ﷺ عندهم ، ووافقه على ذلك أخوه الحسين وكل من معه من

المسلمين ، ورضوا بذلك من غير اكرام ولا غلبة من معاوية واهل الشام ، بل بمجرد ما تقابل الجمعان جرت بينهما المفاوضة في الصلح قبل أن يقع بينهما قتال ، أفلا يستحي العاقل من هذه الخرافات ، التي تنادي على قاتلها بالارتكاس في الظلمات ؟ وهذا كاف في بطلان كلامك

فصل

واما قوله (وإذا كان معاوية في الجنة فليت شعري ، أين تضع الاحاديث الواردة في دواوين الاسلام ، كقوله عليه الصلاة والسلام « يؤتى رجال من أصحابي فيؤخذ بهم ذات الشمال » الى آخره فأفتنزه معاوية ومن معه مثل عمرو بن العاص وابنه عبد الله وتضعها في سعد بن معاذ وعمار وخزيمة ذي الشهادات ، ومن قاتل مع علي رضي الله عنه بصفين ؟ ام في العشرة المبشرة بالجنة رضي الله عنهم ؟ فأخبر نفسك أين تضعها على مقتضى شهواتك أنت وأهل السنة والجماعة) الى آخره (فالجواب) أن يقال قد بينا فيما تقدم أن أهل العلم الذين رووا هذه الاخبار حملوها على من ارتد من جفاة الاعراب بعد موت الرسول ﷺ وماتوا على الردة ، كالاسود العنسي وأصحابه الذي تنبأ بصنعاء وتبعه خلق من أهل اليمن حتى قتله الله . وكسيلة صاحب اليمامة وأصحابه ، وكأصحاب طليحة الاسدي الذين قتلهم خالد وأصحاب رسول الله ﷺ وكانوا خلقا عظيما ، ومنهم من قدم على النبي ﷺ وصحبه . أفنتكر انه لم يقع ردة بعد النبي ولا كفر أحد ممن أسلم في حياة النبي ﷺ حتى جرى قتال معاوية وعلي رضي الله عنهما ويقال أيضاً ، دعواك أن هذه الاحاديث محمولة على معاوية ومن معه من الصحابة من جنس دعوى الخوارج الذين يكفرون عالياً ومن والاه ويحملون هذه الاحاديث عليهم ، فما يمكنك أن تأتي بحجة إلا عارضوك بما هو من جنسها ، فاتق الله ولا تكن من الذين يجادلون بالباطل فتكون مع الهالكين

فصل

وأما قوله (إن المراد بقوله تعالى (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) أي أرادوا الاقتتال . وإنها كقوله تعالى (من يرد منكم دينه) وقول الرسول ﷺ «من بدل دينه فاقتلوه» إلى آخر كلامه)

(فالجواب) أن يقال هذا لو عارضناه بكلام أهل التفسير من أهل السنة والجماعة أو بما رووه من الأحاديث لم يقبل ذلك. فالواجب معارضته بما لا يقدر على إنكاره، وهو ما اتفقنا نحن وهم عليه وهو أن الحسن بن علي رضي الله عنهما اختلف من الخلافة لماوية مع حضور أهل البيت وجهور المسلمين معه، أفنقول أن الحسن لا يفهم كلام الله ولا كلام رسوله ﷺ وإنما عرفته أنت وشيعتك؟ فيلزم من كلامك أن الحسن ومن معه هم الذين سلطوا الكفار والفساق على فساد الدين، والكفر برب العالمين

(وجواب ثان) وهو أنه تواتر عن علي رضي الله عنه أنه لما قتل أهل الجمل لم يفعل فيهم كفعله في الكفار المرتدين من السبي وأخذ الأموال والأجهاز على الجريح كما احتج بهذه الحجة على الخوارج حبر الأمة، وترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما

(وجواب ثالث) وهو أن يقل الآية نفسها مصرحة بتقييد ما فسر بها به هذا المعترض لأن الله تبارك وتعالى قال في أولها (اقتتلوا) وهذا فعل ماض بإجماع النحويين ثم قال (فإن بغت إحداهما على الأخرى) أي بعد الاقتتال والإصلاح. ثم قال (فإن فاءت) أي رجعت عن البغي (فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) ثم قال (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين

أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) فالآية من أولها إلى آخرها تنادي بتكذيب هذا المعارض الذي يفسر كتاب الله برأيه

(وجواب رابع) وهو أن يقال: اذا جوزت أن يكون المراد بقوله تبارك وتعالى (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) ان يكون المعنى أي ارادوا الاقتتال او قوله (فان بغت إحداهما) أي أرادوا البغي - جاز ان يقال ذلك في قوله ﷺ « من بدل دينه فاقتلوه » فيكون معنى الحديث عندكم من أراد تبديل دينه وهم بذلك وإن لم يتكلم ويعمل فاقتلوه. وهذا لا يقوله من يفهم مايقول . وذلك لان ما في القلوب من الارادات والنيات لا يعلمه إلا الله ، وجاز أن يكون معنى قوله (ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم) أي يرد قتله وإن لم يقتله . وجازة أيضاً ذلك في جميع آيات الوعد والوعيد كقوله تعالى (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها) أي يرد أن يعصي الله ورسوله ويتعد حدوده وإن لم يفعل ذلك . فان طردت ماقلت لزمك ان تقول ذلك في جميع ماشاهها في آيات الوعد والوعيد والامر والنهي .

وأما الحكاية التي ذكرها ان معاوية رضي الله عنه اظهر لأهل الشام ان علياً لا يصلي، حتى حاج بذلك بعض اهل الشام هاشم بن عتبة رضي الله عنه - فهي من اظهر الكذب والبهتان عند من له ادنى معرفة بهذا الشأن ، وقد ذكرنا بالتقول المتواترة أن اهل الشام انما قاتلوا علياً ومن معه للطلب بدم عثمان رضي الله عنه لان قتلة عثمان كانوا رؤوس جيش علي، ولا يحكي مثل هذه الحكاية إلا من لا يستحي من الكذب

فصل

وأما ما ذكره من استدلاله بحديث غدیر خم، وأنه ورد من روايات جماعة من الصحابة فبعد قدمنا الجواب عنه . وقد بين أهل العلم أنه لا يدل على ما ذهب إليه الروافض والزيدية لأن المولى يطلق على معاني متعددة .

وأما قوله « اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، وأعن من أعانه » فهذا ليس في الاحاديث الصحيحة التي صححها أهل العلم بالحديث ، بل طعن كثير منهم في هذه الزيادة ، قالوا : والواقع يشهد بكذبها لأن النصر والغلبة والاعانة وقع لمن حاربه وقاتله ، ومعلوم أن دعاء الرسول ﷺ محاب ، فلو كان هذا حقاً وصداقاً لوقع الامر بخلاف ما وقع ، وأنت لا تنكر أن الغلبة والظفر والاعانة كان لمن قاتله وحاربه فبطل ما ذكرت والله الحمد والمدة وأكثر هذه الاحاديث التي ذكرها في أول هذا الاعتراض وآخره قد بين أهل العلم بالحديث أنها كذب موضوعة مفتراة على رسول الله ﷺ

ثم من العجب استدلاله بكلام عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه حين ذكروا عثمان وعلياً وطلحة والزبير رضي الله عنهم وما كان منهم فأكثروا وعمر ساكت . فقال القوم : ألا تتكلم يا أمير المؤمنين ؟ قال « لا أقول شيئاً . تلك دماء طهر الله منها كفي فلا أغمس فيها لساني » اهـ

وهذا هو الذي أراد المحيبي لأن الله أتى عليهم في كتابه جملة قال تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) ونفى على من جاء بعدهم فدعاهم بالمغفرة فقال تعالى (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا انك رؤوف رحيم)

فإن قلت : إن هؤلاء الآيات في السابقين الاولين من المهاجرين والانصار ،

قننا جاءتك قاصمة الظهر وهي قوله تبارك وتعالى (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ، وكلا وعد الله الحسنى)

ومعلوم باجماعنا وإجماعكم أن معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما ممن أسلم بعد الفتح . ولا حديث الواردة في فضل معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما قد رواها من روى تلك الأحاديث في فضل علي رضي الله عنه وأهل البيت . فإما أن تقبل الجميع وإما أن ترد الجميع ، وأما أن تقبل ما وافق هواك وترد ما خالفه بلا برهان ولا حجة يوافقك عليها أهل المعرفة فهذا تناقض . وقد قال السيوطي : أخرج الترمذي وحسنه عن عبد الرحمن بن أبي عمرة الصحابي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال لمعاوية « اللهم اجعله هادياً مهدياً »

وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن العرابض بن سارية سمعت رسول الله ﷺ يقول « اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب »

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف والطبراني في الكبير عن عبد الملك بن عمير قال قال لي معاوية (رض) ما زلت أطمع في الخلافة منذ قال لي رسول الله ﷺ « يا معاوية إذا ملكت فأحسن »

وأخرج الترمذي عن أبي إدريس الخولاني قال لما عزل عمر بن الخطاب (رض) عمير بن سعد عن حمص وولى معاوية (رض) فقال الناس : عزل عميرا وولى معاوية فقاتل عمير : لا تذكروا معاوية إلا بخير فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول « اللهم اهده »

وقال آدم عن حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال النبي ﷺ « أبناء العاص مؤمنات عمرو وهشام » وقال عبد الجبار ابن الورد عن ابن أبي مليكة قال طلحة أبا أحدثكم عن رسول الله ﷺ

بشيء إلا أني سمعته يقول « عمرو بن العاص من صالح قريش » وسمعته عليه السلام يقول « نعم أهل البيت أبو عبد الله وأم عبد الله وعبد الله » أه ما ذكره الحافظ أبو الحجاج المزني في تهذيبه

فصل

وأما ما ذكره من أحداث معاوية، منها إلحاقه زياد بن سمية بأبيه - فأهل العلم ينكرون ذلك على معاوية في قديم الزمان وحديثه ، وكذلك أخذ البيعة لابنه الظالم، ينكرون ذلك ولا يرضونه حتى أنكر من أنكر منهم ذلك عليه بنفسه في حياته . وأما قوله : أنه أمر علماء السوء بأن يضعوا أحاديث في فضائل الصحابة الذين تقدموا عليه وفي مثالب علي - فهذا من أظهر الكذب عند الخاصة والعامة من أهل العلم بالأخبار والسير . وأهل الوضع للحديث هم الشيعة كما تقدم ذكره عن أهل الحديث ، وأما لعن علي (رض) فهو من المنكرات وأهل السنة والجماعة ينكرون على من فعله كائنًا من كان

ومن العجب قوله : ولو لم يقطعه عمر بن عبد العزيز (رض) لبقني في الشام إلى اليوم . فيقال وما يدريك بذلك . أقرأت في اللوح المحفوظ فكيتبت هذا الكلام منه ؟ أم بلغك ذلك في حديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أخبر بذلك فهو الصادق فيما أخبر به ؟ وأيضاً أنت ذكرت عن ابن تيمية رحمه الله في أول كتابك وفي هذا الموضع أنه لم ينقطع إلا قبل وقته ، فهذا يرد قولك أنه لو لم يقطعه عمر لبقني إلى اليوم ، وأيضاً أنت كذبت على ابن تيمية فإنه لم يقل ذلك ، وابن تيمية رحمه الله أجلُّ من أن يقول مثل هذه الخرافات والجهالات في المنقولات وأيضاً من المعلوم المتواتر أن بني أمية بعد موت عمر بن عبد العزيز (رض) استمروا على سب علي ولم ينقطع من الشام ولا من غيره من بلاد الإسلام إلا بعد انقراض دولة بني أمية في ولاية بني العباس

وأما قوله: ومن احداثاته ترك الجهر بسم الله الرحمن الرحيم في أول السورة - فهذا كذب ظاهر ، وما ذكره عن الرازي دعوى مجردة لادليل عليها ، وأيضاً معارضة بما هو من اصح الاسانيد، وهو ما ثبت في الصحيحين عن انس رضي الله عنه انه قل: صليت مع النبي ﷺ ومع ابي بكر وعمر فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين ، لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في اول القراءة ولا في آخرها واما تشريعه الاقامة في صلاة العيدين - فكذب ظاهر، فان الذي احداثه بنو امية بعد معاوية في العيدين هو تقديم الخطبة على الصلاة كما في الصحيحين : ان اول من فعل ذلك مروان بن الحكم فانكر غليه ابو سعيد الخدرى وغيره من الصحابة رضي الله عنهم اجمعين

فصل

واما دعواه العصمة لعلي رضي الله عنه وقوله (قد حصل القطع بها ولا ينكرها الا مكابر - الى آخره

(الجواب) ان يقال (أولاً) هذه الدعوى من جنس دعوى الامامية بالنص والعصمة لعلي وأولاده ، ومن جنس دعوى الباطنية وجنس دعوى السبائية في محمد ابن علي المعروف بابن الحنفية ، وما أحسن ما قال بعضهم :

لي حيلة فيمن ينم وليس في المكذاب حيلة
من كان يخلق ما يقو ل فخيتي فيه قايمة

وقد تقدم الجواب عن أدلته التي ذكر مفصلاً مبيناً ولكن نذكر فصلاً نختم به كتابنا هذا ، ننقل فيه كلام اهل البيت في الرد على هذا المعترض وأشباهه ليتبين الحق لمن أراد الله هدايته . وأما من أراد الله به الشقاء والخذلان فذلك لا حيلة فيه كما قال تعالى (ومن يرد الله فتنه فلا قوة له من الله شيئاً اوائك الذين لم يرد الله أن يظهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي) الآية

فصل

﴿ في كلام بعض أهل البيت في الثناء على معاوية ﴾

في ذكر شيء من كلام أهل البيت رضي الله عنهم في الثناء على معاوية رضي الله عنه .

من ذلك ما أخرجه غير واحد من أهل العلم أن عليا رضي الله عنه قل « لانكروها إمارة معاوية فانكم لو فقدتموه لرأيتم الرؤس تندرج على كواهلها » وثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه أن رجلا قال له: هل لك في أمير المؤمنين معاوية، انه أوتر بركعة؟ فقال « أصاب انه فقيه » فهذه شهادة ابن عباس وهو من أكابر علماء أهل البيت

ومن ذلك انسلاخ الحسن رضي الله عنه عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنه . قال ابو عمر بن عبد البر في (كتاب الاستيعاب في معرفة الاصحاب) في ترجمة الحسن بن علي رضي الله عنه : كان رحمه الله حليما ورعا، دعاه ورعه وفضله إلى أن ترك الملك والدنيا رغبة فيما عند الله . وقال: والله ما أحب منذ عرفت ما ينفعني وما يضرني ان ألي امرأمة محمد ﷺ على ان يهراق في ذلك محجمة دم . وكان من المبادرين الى نصرة عثمان رضي الله عنه والذابين عنه ، ولما قتل ابوه علي رضي الله عنه بايعه أكثر من أربعين الفا كلهم قد بايعوا أباء عليا قبل موته على الموت، وكانوا أطوع للحسن واحب فيه منهم في أبيه ، فبقي نحو سبعة أشهر خليفة في العراق وما وراءها من خراسان، ثم سار إلى معاوية وسار معاوية اليه - وذكروا مجرى بينهما ، إلى أن قل - وكان كما قال رسول الله ﷺ « ان بني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » وكان أصحاب الحسن يقولون : يا عار المؤمنين فيقول [العار خير من النار] وذكر باسناده عن أبي روق الهمداني ان أبا العريف حدثه قل: كنا في مقدمة الحسن بن علي اثني عشر الفا مستميتين تقطر

أسيافنا من الجند والحرص على قتال اهل الشام . وعلينا ابو العمرطة ، فلما جاءنا صلح الحسن بن علي كأنما كسرت ظهورنا من الغيظ والحزن ، فلما جاء الحسن الكوفة أتاه شيخ منا يكنى أبا عامر فقال : السلام عليك يا مذل المؤمنين ، فقال لا تقل هكذا يا أبا عامر فاني لم أذل المؤمنين ، ولكني كرهت أن اقتلهم على طيب الملك قال ابو عمر : وروينا من وجوه ان الحسن بن علي رضي الله عنه لما حضرته الوفاة قال للحسين أخيه « يا أخي إن أناك رحمه الله لما قبض رسول الله ﷺ استشف لهذا الامر ورجا أن يكون صاحبه فصرف الله ذلك عنه ووليها ابو بكر ، فلما حضرت أبا بكر الوفاة تشوف اليها وصرفت عنه إلى عمر ، فلما احتضر عمر جعلها شورى بين ستة هو أحدهم فلم يشك أنها لا تعدوه فصرفت عنه إلى عثمان ، فلما هلك عثمان ببيع ثم نوزع حتى جرد السيف فطلبها وما صفاله شيء منها ، وأني والله ما أرى أن يجمع الله فينا - اهل البيت - النبوة والخلافة ، فلا عرفن ربما استخفك سفهاء الكوفة فأخرجوك » انتهى . فانظر رحمك الله إلى كلام هذا السيد وما فيه من الرد على هذا المعارض من دعواه النصر على علي رضي الله عنه وغير ذلك من الدعاوى الباطلة يتبين لك مخالفتها لأهل البيت وان دعواه محبة اهل البيت كذب واقتراء ودعوى لاحقية لها ومن العجب أن يدعي عصمة أهل البيت فيحتاج بالاحاديث والآيات على ذلك وانهم كسيفة نوح وباب حطة ، ثم يخالفهم ويرد كلامهم ولازم كلامه ان فعل الحسن رضي الله عنه من نزوله عن الخلافة ومصالحته معاوية هو سبب افتراق الامة وضلالتها ، وان كلام الحسن لأخيه الحسين رضي الله عنهما كلام باطل بل الواجب على الحسين وغيره من المسلمين الخروج على معاوية رضي الله عنه ومقاتلته وانتزاع الخلافة منه ، ونحن نقول بل الحسن مصيب بار راشد ممدوح وليس يجد في صدره مما صنع حرجا ولا تلوما ولا ندما بل هو راض بذلك مستبشر به ، وإن كان هذا قد ساء خلقتا من ذويه وشيعته ولا سيما بعد ذلك بمدد وهلم جرا

إلى يومنا هذا . والحق في ذلك اتباع السنة ، وقد مدحه جده ﷺ كما ثبت في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما بالإسناد الصحيحة عن الحسن البصري - وكان من سادات التابعين وأفاضلهم - قال : استقبل الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال ، فقال عمرو بن العاص لمعاوية أتاني لأرى كتائب لا تولى حتى تقتل أقرانها ، فقال له معاوية - وكان والله خير الرجلين - أي عمرو إن قتل هؤلاء هؤلاء ، وهؤلاء هؤلاء من لي بأمور المسلمين ، من لي بنسائهم ، من لي بضيعتهم . فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس فقال اذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه وقولا له واطلبا إليه ، فأتياه فدخلاه عليه وتكلما وقالاه وطلبا إليه ، فقال لهما الحسن رضي الله عنه « انا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال وإن هذه الأمة قد عاثت في دماها » قالاه فإنه يعرض عليك كذا وكذا ويطلب اليك ويسألك ، قال : من لي بهذا ، من لي بهذا ؟ قالاه نحن لك به ، فما سألمها شيئا إلا قالاه نحن لك به ، قال الحسن فصالحه . قال الحسن : ولقد سمعت أبا بكره رضي الله عنه يقول سمعت النبي ﷺ - والحسن بن علي رضي الله عنه إلى جنبه وهو ينظر إلى الناس مرة وإلى مرة ويقول « ان ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين »

ففي هذا الحديث الصحيح ان معاوية رضي الله عنه هو الذي طلب إليه الصالح والذي ذكره أهل السير والخبار ان الحسن هو الذي كتب إلى معاوية يخبره أنه يصير الأمر إليه على شروط اشترطها عليه

وقد أخرج الحاكم عن جبير بن نفير قال قلت للحسن ان الناس يقولون انك تريد الخلافة ؟ فقال « قد كانت جماجم العرب في يدي يحاربون من حاربتهم ويسالمون من سالمته ، تركتها ابتغاء وجه الله وحقن دماء أمة محمد ﷺ من أهل الحجاز » أو كما قال

ففي هذا من الرد على المعارض ما يعرفه كل منصف . وذلك أن هذا المعارض جعل هذا الصلح والاجتماع الذي فعله الحسن بن علي ووافقه عليه أهل بيته وجمهور المسلمين هو سبب فساد الامة واقتراقها فعلى كلاله يكون الحسن هو الذي تسبب في فساد الامة وظهور الفتن فيها

فإن قل: ألجأه إلى ذلك الخوف والضعف . قلنا: هذا باطل من وجوه كثيرة (منها) ما تقدم من كثرة جيش الحسن رضي الله عنه ومحبة الناس له وانقيادهم معه . وقد بين رضي الله عنه أن الذي حمّله على ذلك هو كف الفتنة وإيثار الآخرة على الدنيا ، ولهذا مدحه النبي ﷺ على فعله ذلك .

قال العلماء رحمّة الله عليهم: فدل هذا على أن قتال أهل الشام ليس بواجب قد أوجبه الله ورسوله ، ولو كان واجباً لم يمدح النبي ﷺ الحسن بتركه . فدل الحديث على أن ما فعله الحسن بن علي مما يحبه الله ورسوله ، وتواترت الاخبار عن علي رضي الله عنه بكرهه القتل في آخر الأمر ، لما رأى اختلاف الناس واختلاف شيعته عليه وتفرقهم وكثرة الشر الذي أوجب أنه لو استقبل من أمره ما استدبر ما فعل ما فعل . وكان يقول رضي الله عنه ليلي صفتين «لله در مقام قامه عبد الله بن عمر وسعد بن مالك: إن كان برّاً أن أجوء لعظيم ، وإن كان أنما أن خطره ليسير» وكان يقول لابنه الحسن رضي الله عنه : يا حسن يا حسن ما ظن أبوك أن الامر يبلغ إلى هذا ، ود أبوك لو مات قبل هذا بعشرين سنة»

حتى ذكر ابن كثير وغيره من أهل التواريخ أن في سنة أربعين بعد وقعة صفين جرت بين علي ومعاوية المهادنة على وضع الحرب وأن يكون ملك العراق لعلي ومعاوية ملك الشام ، ولا يدخل أحد على صاحبه في عمله بجيش ولا غارة ولا غيرها ، ذكر ذلك من رواية زياد عن ابن اسحاق . وذلك لأن معاوية رضي الله

عنه بعد أن رجع من صفين إلى الشام ورجع علي رضي الله عنه إلى الكوفة فرق معاوية رضي الله عنه جيوشاً كثيرة في أطراف معاملات علي رضي الله عنه، فمعت النعمان بن بشير في ألفي فارس على عين الترونها مالك بن كعب في ألف فارس مساحقة لعلي رضي الله عنه فلما سمعوا بقدوم الشاميين ارفضوا عنهم، فلم يبق مع مالك إلا مائة رجل، فكتب إلى علي يخبره بأمر النعمان، فندب علي الناس إلى غائته، فثأقوا عليه ونككوا ولم يحببوا إلى الخروج، فخطبهم علي رضي الله عنه فقال في خطبته «يا أهل الكوفة كما سمعتم بمسير لاهل الشام قد أنظركم انحجر كل امرئ منكم في بيته وغلق عليه بابه انحجار الضب في جحره والضبع في وجاره، للفرور من غررتوه، ومن فاز بكم فاز بالسهم الاخير، لا احرار عند النداء، ولا اخوان ثقة عند الالتجاء، انا لله وانا اليه راجعون، ما هذا ملئت به منكم، عمي لا تبصرون، وبكم لا تنطقون، وصم لا تسمعون، انا لله وانا اليه راجعون» قال أهل الاخبار حتى كره الحياة بينهم وتمنى الموت وكان يكثرون أن يقول «ماذا يحبس أشقاها؟» أي ما ينتظر؟ ماله لا يقتل؟ ثم يقول «والله لتخضبن هذه - ويشير إلى لحيته - من هذه - ويشير إلى هامته»

قال ابن كثير: في تاريخه وقد روى ذلك عن النبي ﷺ من طرق كثيرة ثم سرد تلك الطرق

وقال الاعمش عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث عن زهير بن لارقم قال: خطبنا علي رضي الله عنه قال «نبئت أن قراءكم قد خلعوا الامام، واني والله لاحسب هؤلاء اقوم سيظهم وبن عليكم، وما يظرون عليكم إلا بعصيانكم امامكم وطاعتهم امامهم، وخياناتكم اماناتكم، وأدائهم امانتهم، وافسادكم في أرضكم واصلاحهم في أرضهم، قد بعثت فلانا فخن وغدر وبعث فلانا فخان وغدر، وبعث بالمل إلى معاوية، لو انتمنت أحدكم على قدح لاخذ علاقته. اللهم سئمتهم وسئمتوني

وكرهتهم وكرهوني، اللهم فأرحني منهم وأرحهم مني. قال فما صلى الجمعة الاخرى حتى قتل . انتهى ما نقله من تاريخ ابن كثير الذي سماه البداية والنهاية وقد كان رآه عليا رضي الله عنه في دماء أهل القبلة لم يعهده اليه رسول الله ﷺ ولا أمره به ، كما في سنن أبي داود وغيره عن قيس بن عباد قال قلت لعلي اخبرنا عن مسيرك هذا، عهد عهده اليك رسول الله ﷺ أم رأى رأيته؟ قل « ماعهد إلي النبي ﷺ شيئا » وهذا أمر ثابت عنه، ولهذا لم يرو علي في قتال أهل الجمل وصفين عن النبي ﷺ كما روى في قتال الخوارج، فانه روى هو وغيره من الصحابة في قتال الخوارج أحاديث كثيرة أخرجا علماء أهل السنة كابن خاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه. قال الامام احمد صحيح الحديث في الخوارج عن النبي ﷺ من عشرة اوجه .

واما الحديث الذي يروى انه امر بقتل الناكثين والمارقين فقد قال أهل العلم بهذا الشأن انه حديث موضوع على النبي ﷺ

وقد روى البخاري وغيره عن سهل بن حنيف - وهو ممن قاتل مع علي بصفتين « أيها الناس أتهموا الرأي على الدين لقد رأيته يوم أبي جندل ، ولو أستطيع أن أرد أمر رسول الله ﷺ لرددته ، وما أردت بذلك إلا الخير ، وما رفعنا سيوفنا على عواتقنا الا اسلمنا بها الى امر نعرفه غير امركم هذا ، ماسددنا خصما إلا انفجر لنا خصم آخر » وذلك لان هذا القتال لم يحصل به مصلحة للمسلمين لافي دينهم ولا في دنياهم ، بل أريق به دماء الوف مؤلفة من المسلمين ، ونقص الخير عما كان ، وزاد الشر على ما كان . ولما تولى معاوية رضي الله عنه الخلافة واستتم له الامر اتفقت الكلمة ، وكان الناس في ولايته متفقين يغزون العدو ويجاهدون في سبيل الله فلما مات معاوية رحمه الله جرت قتل عظيمة منها قتل الحسين وأهل بيته ثم جرت فتنة الحرة بالمدينة ثم حصر بن الزبير بمكة ثم لمات

يزيد جرت فتنة بالشام بين مروان والضحاك بمخرج راهط، وجرت فتنة مصعب ابن الزبير وقتل مصعب، ثم حاصر الحجاج ابن الزبير وقتله، وجرت فتنة لما تولى الحجاج العراق وخرج عليه عبدالرحمن بن الاشعث معه خلق عظيم من القراء، وكانت فتنة كبيرة

وبالجملة فلم يكن ملك من ملوك الاسلام خيراً من معاوية، ولا كان الناس في زمن ملك من ملوك المسلمين خيراً منهم في زمن معاوية إذا نسبت أيامه الى أيام من بعده. وقد روى ابو بكر الاثرم حدثنا محمد بن عمرو حدثنا محمد بن مروان عن يونس عن قتادة قال «لو أصبحت في مثل عمل معاوية لقال أكثركم هذا المهدي» وكذلك رواه ابن بطة باسناده الثابت من وجهين عن الاعمش عن مجاهد قال، «لو أدركتم معاوية لقلتم هذا المهدي»

ومعلوم باجماع المسلمين انه ليس قريبا من عثمان وعلي رضي الله عنهما فضلا عن ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فكيف يشبه غير الصحابة بهم والله اعلم، وروى اسد بن موسى قال حدثنا محمد بن مسلم الطائفي عن ابراهيم بن ميسرة قال ما بلغني ان عمر بن عبدالعزيز جلد سوطا في خلافته إلا رجلا شتم معاوية عنده فجلده ثلاثة أسواط

وروى اسد أيضا قال حدثنا ابو هلال قال حدثنا قتادة قال قلت للحسن يا أبا سعيد ان ههنا أناسا يشهدون على معاوية انه من اهل النار. قال : لعنهم الله وما يدريهم من في النار

فقد تبين بما ذكرنا لكل منصف اريب، ولمن له قلب منيب، جهل هذا المعارض وأشباهه بما عليه اهل البيت، وان دعواه اتباعهم ومحبتهم كذب واقراء، ومجرد دعوى لاحقية لها، كما ان اليهود والنصارى يدعون اتباع أنبيائهم وهم قد خافوهم وسلكوا غير طريقهم، وكذلك الامامية والغالية من الرافضة يدعون اتباع علي

وأهل بيته وهم قد خالفوا طريقتهم وسلوكوا غير منهاجهم
فقد تقرر وظهر والله الحمد والمنة. ان أسعد الناس باتباع أهل البيت ومحبتهم هم
أهل السنة والجماعة ، القائلون بما دل عليه كتاب الله وسنة نبيه ﷺ . وقد قال
تعالى (ان أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه) الآية وقل تعالى (قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني) الآية .

ونسأل الله أن يوفقنا وسائر إخواننا المسلمين لما يحبه ويرضاه من القول
والعمل ، وأن يجنبنا ما يسخطه من الخطأ والزلل ، ويرينا الحق حقاً ويوفقنا الى
اتباعه ، ويرينا الباطل باطلاً ، ويوفقنا الى اجتنابه ، ولا يجعله ملتبساً علينا فنضل
ويذنبني للمؤمن عند الاشتباه أن يلجأ الى الله ويضرع اليه ويدعو بما دعا به
رسول الله ﷺ في صلاة الليل وهو « اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل
فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه
يختلفون اهديني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم »
وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً انتهى

تم الكتاب

طبع عن نسخة كتب في آخرها : —

وقع الفراغ من نسخه نهار الاربعاء عاشر رجب سنة ١٣٤٣ بقلم الفقير الى
رحمة ربه القدير ، المقر بالذنب والتقصير عبد الرحمن بن محمد بن براك غفر الله
له ولوالديه ولاخوانه المسلمين آمين



كِتَابُ
بَيَانِ الْمَحْجَةِ
فِي الرُّدْعِ عَلَى اللَّجَّةِ

تَأَلَّفَ

شَيْخَنَا وَإِمَامَنَا، نَاصِرُ السَّنَةِ وَقَامِعُ الْبِدْعَةِ
الْشَيْخَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الشَّيْخِ حَسَنِ بْنِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ
أَجْزَلَ اللَّهِ لَهُمُ الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ

بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخنا الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب
أجزل الله لهم الاجر والثواب ، وأدخلهم الجنة بغير حساب ولا عذاب :
اللهم لك الحمد أنت نور السموات والارض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت ملك السموات والارض
ومن فيهن ، وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له (الذي له ملك السموات
والارض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديراً *
واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يُخلقون ، ولا يملكون انفسهم ضرراً
ولا نفعاً ، ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً) وأشهد ان محمداً عبده ورسوله
الذي قال الله تعالى خطاباً له (يا أيها النبي انا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً *
وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً) . اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأصحابه
من أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً

أما بعد : فاني وقفت على جواب للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن ابي بطين
وقد سئل عن أبيات من البردة وما فيها من الغلو والشرك العظيم المضاهي لشرك
النصارى ونحوهم ممن صرف خصائص الربوبية والالهية لغير الله تعالى ، كما هو
صريح الابيات المذكورة في البردة، لا يخفى على من عرف دين الاسلام انه الشرك
الاكبر الذي بعث الله رسوله وأنزل كتبه بالنهي عنه، وبين انه لا يغفره لمن لم يتب
منه ، وان الجنة عليه حرام

وذكر الشيخ رحمه الله في جوابه : أن الايات المذكورة تضمنت الشرك وحصر خصائص الربوبية والالهية لغير الله . فاعترض عليه جاهل ضال فقال مبرئنا لصاحب الايات من ذلك الشرك بقوله : حماء الله من ذلك ، ويكفيه في نفي هذه الشناعة قوله أول المنظومة :

* دع مادعته النصارى في نبيهم *

البيت المطابق لقول النبي ﷺ « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم (الجواب) ان هذه التبرئة انما نشأت عن الجهل وفساد التصور ، فلو عرف الناظم وهذا المعترض ومن سلك سبيلهما حق الله على عباده وما اختص به من ربوبيته وإلهيته ، وعرفوا معنى كلام الله وكلام رسوله ﷺ لما قالوا ما قالوا هم وأمثالهم ممن جهل التوحيد ، كما قال تعالى في حق من هذا وصفه (وان كثيراً ليضلون باهواهم بغير علم إن ربك هو أعلم بالاعتدين)

فالجهل بما بعث الله به رسله قد عم كثيراً من هذه الامة وظهر فيها ما أخبر به النبي ﷺ بقوله « لتنبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه » قالوا : يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال « فمن ؟ » ونحو هذا من الاحاديث

وقوله : ويكفيه في نفي هذه الشناعة قوله أول المنظومة :

* دع مادعته النصارى في نبيهم *

البيت

(الجواب) ان هذا يزيد شناعة ومقتا ، لان هذا تناقض منه بين ، وبرهان على انه لا يعلم ما يقول ، فلقد وقع فيما وقعت فيه النصارى من الغلو العظيم الذي نهى الله عنه ورسوله ، ولعن النبي ﷺ من فعله أو فعل ماوصل اليه بقوله « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ما صنعوا . وقال

« لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله » وقوله لما قال له رجل: ماشاء الله وشئت؟ قال « أجعلتني لله نداً؟ بل ماشاء الله وحده » وقال « انه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله عز وجل » فلقد حذر أمته ﷺ وأنذرهم عن الشرك ووسائله ومادق منه وجل، ودعا الناس إلى التوحيد ونهاهم عن الشرك، وجاهدكم على ذلك، حتى أزال الله به الشرك والاثان من جميع الجزيرة وما حولها من نواحي الشام واليمن وغير ذلك، وقد بعث السرايا في هدم الاوثان وإزالتها، كما هو مذكور في كتب الحديث والتفسير والسيرة، كافي حديث أبي الهياج الاسدي الذي في الصحيح، قال قال علي بن أبي طالب رضي عنه « ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ أن لا أدع قبراً مشرفاً إلا سويته ولا تمثالاً إلا طمسته » وقد بعثه النبي ﷺ يوم الفتح لهدم (مناة) وبعث خالد ابن الوليد يومئذ لهدم بيت العزى، وقطع السمرات التي كانت تعبد بها قريش وهذيل، وبعث المغيرة بن شعبة لهدم اللات، فهدمها. وأزال عن جزيرة العرب وما حولها جميع الاصنام والاثان التي كانت تعبد من دون الله

والصحابة رضي الله عنهم تعاقدوا هذا الامر واعتنوا بإزالته أعظم الاعتناء بعد وفاة رسول الله ﷺ. وقد أخبر النبي ﷺ بما يقع في أمته من الاختلاف، كما في حديث العرابض بن سارية قال « فانه من يعش منكم فسيرى اختلافاً، كثيراً » الحديث. فوقع ما أخبر به ﷺ وعظم الاختلاف في أصل الدين بعد القرون المفضلة كما هو معلوم عند العلماء ولو أخذنا نذكر ذلك أو بعضه لخرج بنا عن المقصود من الاختصار

فانظر إلى ما وقع اليوم من البناء على القبور والمشاهد وعبادتها، فلقد عمت هذه البلية كثيراً من البلاد ووقع ما وقع من الشرك وسوء الاعتقاد في أناس

ينسبون إلى العلم . قال سليمان التيمي : لو أخذت بركة كل عالم لاجتمع فيك الشرك كله . فانا لله وانا اليه راجعون

وقوله المطابق لقول النبي « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم »
(أقول) لا ريب ان المطابقة وقعت منه ولا بد ، لكنها في المنهي عنه لا في
المنهي فالذي نهى عنه النبي ﷺ من الاطراء طابقته الايات من قوله :

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك... إلى آخرها

فقد تضمنت غاية الاطراء والغلو الذي وقعت فيه النصارى وأمثالهم فانه قصر
خصائص الالهية والربوبية التي قصرها الله على نفسه وقصرها عليه رسوله ﷺ
فصرها لغير الله فان الدعاء مخ العبادة ، واللياذ من أنواع العبادة

وقد جمع في آياته الاستعانة والاستغاثة بغير الله ، والالتجاء والرغبة الى
غير الله ، فان غاية مايقع من المستغيث والمستعين والراغب انما هو الدعاء واللياذ
بالقلب واللسان ، وهذه هي أنواع العبادة ، ذكرها الله تعالى في مواضع كثيرة من
كتابه وشكرها لمن قصرها على الله ، ووعد على ذلك الاجابة والاثابة ، كقوله
تعالى (هو الحي لا إله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين)
وقوله (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) الآية . وقوله (وانه لما قام عبد الله
يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً * قل انما أدعو ربي ولا أشرك به أحداً * قل
اني لا أملك لكم ضرا ولا رشداً * قل اني لن ينجيني من الله أحد ولن أجد
من دونه ملتحداً) الآيات

فهذا هو الدين الذي بعث الله به نبيه محمداً ﷺ وأمره أن يقول لهم (انما
أدعو ربي ولا أشرك به أحداً) فقصر الدعاء على ربه الذي هو توحيد الالهية .
وقال (قل اني لا أملك لكم ضرا ولا رشداً) الى آخر الآيات . وهذا هو
توحيد الربوبية ، فوحد الله في إلهيته وربوبيته ، وبين اللامة ذلك كما أمر الله تعالى

وقال تعالى (فاذا فرغت فانصب * وإلى ربك فارغب) أمره بقصر الرغبة على ربه تعالى ، وقال (انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً ، وكانوا لنا خاشعين) ونهى عن الاستعاذة بغيره بقوله تعالى عن مؤمني الجن (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادهم رهقا)

واحتج الامام احمد رحمه الله تعالى وغيره على القائلين بخلق القرآن بحديث خولة بنت حكيم مرفوعاً « من نزل منزلاً فقال أعوذ بكلمات الله التامات » الحديث — على أن القرآن غير مخلوق إذ لو كان مخلوقاً لما جاز أن يستعاذ بمخلوق لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك . وأمثال ذلك في القرآن والحديث كثير يظهر بالتدبر وأما قول المعارض : ان النصارى يقولون ان المسيح ابن الله . نعم قاله طائفة منهم ، وطائفة قالوا هو الله ، والطائفة الثالثة قالوا هو ثالث ثلاثة . وبهذه الطرق الثلاث عبدوا المسيح عليه السلام ، فأنكر الله عليهم تلك الاقوال في المسيح ، وأنكر عليهم ما فعلوه من الشرك كما قال تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم ، وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً ، لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون)

فأنكر عليهم عبادتهم للمسيح والأحبار والرهبان ، أما المسيح فعبادتهم له بالتأله وصرف خصائص الالهية له من دون الله كما قال تعالى (وإذا قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ؟ قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق) فأخبر أن الالهية وهي العبادة حق لله لا يشركه فيها أولو العزم ولا غيرهم ، يبين ذلك قوله (ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم)

وأما عبادتهم للأحبار والرهبان فأنهم اطاعوهم في تحليل ما أحلوه لهم من الحرام ، وتحريم ما حرموه من الحلال عليهم

ولما قدم عدي بن حاتم على النبي ﷺ بعد فراره الى الشام - وكان قبل مقدمه على النبي ﷺ نصرانياً - فلما قدم على النبي ﷺ مسلماً تلا عليه هذه الآية (اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله) قال: يا رسول الله ، لسنا نعبدهم فقال النبي ﷺ « أليسو يحلون لكم ما حرم الله فتحلونوه ، ويحرمون عليكم ما احل الله فتحرمونه؟ » قال: بلى، قال «فتلك عبادتهم»

ففيه بيان ان من أشرك مع الله غيره في عبادته او أطاع غير الله في معصيته فقد اتخذ رباً ومعبوداً وهذا بين بحمد الله

فلو تأمل هذا الجاهل قول الله تعالى (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله) اعلم ان الله قد انكر على النصارى قولهم وفعلهم . وعلى كل من عبد مع الله غيره بأي نوع من انواع العباداة . لكن هذا وأمثاله كرهوا التوحيد وألفوا الشرك وأحبوه وأحبوا اهلّه ، فترامى بهم هذا الداء العضال الى ماترى من التخليط والضلال والاستغناء بالجهل ووساوس الشيطان ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ، ولا شفاء لهذا الداء العظيم إلا بالتجرد عن الهوى والعصية والاقبال على تدبر الآيات المحسكات في بيان التوحيد الذي بعث الله به المرسلين كما قال تعالى (يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) ومثل قوله تعالى (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله) أمره تعالى ان يدعو أهل الكتاب إلى ان يخلصوا العباداة لله وحده ولا يشركوا فيها أحداً من خلقه فانهم كانوا يعبدون أنبياءهم كالسيح بن مريم ويعبدون أحبارهم ورهبانهم وتأمل قوله (كلمة سواء بيننا وبينكم) وهذا هو التوحيد الذي بعث الله به رسوله ﷺ إلى جميع من أرسل اليه كما قال تعالى (قل إني أمرت أن أعبد

الله ولا أشرك به ، اليه أَدْعُو واليه مَأْب) وقوله (ولا نشرك به شيئاً) يعم كل شرك دق أو جل ، كثر أو قل

قال العماد ابن كثير في تفسيره : هذا الخطاب مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن جرى مجراهم وقوله (سواء بيننا وبينكم) أي عدل ونصف نستوي نحن وأنتم فيها ، ثم فسرها بقوله (أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً) لا وثناً ولا صنماً ولا صليباً ولا طاغوتاً ولا ناراً ولا شيئاً ، بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له (قات) وهذا هو معنى لا إله إلا الله - ثم قال : وهذه دعوة جميع الرسل قال الله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وقال (ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) انتهى المقصود منه

وقال رحمه الله تعالى في تفسير قوله (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله) الآية - قال محمد بن اسحاق : حدثنا محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال : قال أبو رافع القرظي - حين اجتمعت الاحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله ﷺ ، ودعاهم إلى الإسلام - : أنريد يا محمد أن نعبدك كما عبدت النصارى عيسى بن مريم ؟ فقال رجل من أهل نجران يقال له الرئيس أو ذاك تريد منا يا محمد ، واليه تدعوننا ؟ أو كما قال . فقال رسول الله ﷺ « معاذ الله أن نعبد غير الله أو نأمر بعبادة غير الله ، ما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني » أو كما قال ﷺ فأنزل الله عز وجل في ذلك (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله - إلى قوله - بعد إذ أنتم مسلمون) قوله (ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله) أي ما ينبغي لبشر آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة أن يقول للناس

اعبدوني من دون الله أي مع الله ، وإذا كان هذا لا يصلح لني ولا المرسل فلأن لا يصلح لاحد من الناس بطريق الاولى والاخرى. ولهذا قال الحسن البصري: لا ينبغي هذا المؤمن أن يأمر الناس بعبادته وذلك ان القوم كان يعبد بعضهم بعضا ، يعني أهل الكتاب وقوله (أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا) أي لا يأمركم بعبادة أحد غير الله لا ملك مقرب ، ولا نبي مرسل (أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) أي لا يفعل ذلك لان من دعا إلى عبادة غير الله فقد دعا إلى الكفر ، والانبياء انما يأمرون بالايمان وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، كما قال تعالى (وما رسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه انه لا إله إلا أنا فاعبدون) وقال (واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ؟) وقال في حق الملائكة (ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) انتهى. وهو في غاية الوضوح . وبيان التوحيد ، وخصائص الربوبية والالهية ، ونظائر هذه الآيات كثير في القرآن ، وفي السنة من الاحاديث كذلك فاذا كان من المستحيل عقلا وشرعا على رسول الله ﷺ هو وجميع الانبياء والمرسلين أن يأمروا أحداً بعبادتهم فكيف جاز في عقول هؤلاء الجهلة أن يقبلوا قول صاحب البردة :

يا أكرم الخلق مالي من ألؤذ به سواك عند حلول الحادث العمم
وقد أخلص الدعاء الذي هو مخ العبادة واللباذ الذي هو من أنواع العبادة
لغير الله وتضمن اخلاص الرغبة والاستكانة والاستغاثة والالتجاء الى غير الله ؟
وهذه هي معظم أنواع العبادة كما أشير الى ذلك في قوله تعالى (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء) الآية . وقوله (قل أندعوا من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هداانا الله كالذي

استهوته الشياطين في الارض حيران له أصحاب يدعونه الى الهدى انتننا - الى
 قوله - قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم
 الخبير) وعن أنس مرفوعا « الدعاء مخ العبادة » رواه الترمذي
 وقوله :

ان لم تكن في معادي آخذا بيدي فضلا ، والا فقل يا زلة القدم
 المنافي لقوله تعالى (وما أدراك ما يوم الدين * ثم ما أدراك ما يوم الدين *
 يوم لا تملك نفس لنفس شيئا * والامر يومئذ لله) وقوله (قل اني لا أملك لكم
 ضرا ولا رشدا) وقوله (قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا) الآية
 وفي الحديث الصحيح ان النبي ﷺ قال لابنته فاطمة وأحب الناس اليه
 « يا فاطمة بنت محمد ، سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئا »
 فتأمل ما بين هذا وبين قول الناظم من التضاد والتباين ثم المصادمة منه لما
 ذكره الله تعالى وذكروه رسوله ﷺ كقوله (ليس لك من الامر شيء أو يتوب
 عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون) وتأمل ما ذكره العلماء في سبب نزول هذه الآية
 وأمثال هذه الآية كثير لم ينسخ حكمها ولم يغير . ومن ادعى ذلك فقد افترى
 على الله كذبا وأضل الناس بغير علم كقوله تعالى (ولله غيب السموات والارض
 واليه يرجع الامر كله فاعبدوه وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون)
 وبهذا يعلم ان الناظم قد زلت قدمه ، اللهم الا ان يكون قد تاب قبل الوفاة والله أعلم
 وأما قوله :

فان من جودك الدنيا وضرتها

فن المعلوم ان الجواد لا يجود الا بما يملكه ، فمقتضي ذلك الدنيا والآخرة
 ليست لله بل لغيره ، وان أهل الجنة من الاولين والآخرين لم يدخلهم الجنة
 الرب الذي خلقهم وخلقها لهم ، بل ادخلهموها غيره (سبحان ربك رب العزة

عما يصفون). وفي الحديث الصحيح « لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله » قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قل « ولا أنا إلا أن يتغمدي الله برحمته » وقد قال تعالى (من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) وقوله تبارك وتعالى (تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير) وقوله (قل لمن ما في السموات والارض؟ قل لله) وقوله (وان لنا الآخرة والاولى) فلا شريك لله في ملكه كما لا شريك له في الهيته وربوبيته. والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً وقوله * ومن علومك علم اللوح والقلم * وهذا أيضاً كالذي قبله لا يجوز ان يقال الا في حق الله تعالى الذي أحاط علمه بكل شيء، كما قال تعالى (عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير) وقل (وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين) وقوله (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب) وقال تعالى (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو، ويعلم ما في البر والبحر، وما تسقط من ورقة الا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين) وقال تعالى (قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله) والآيات في هذا المعنى كثيرة تفوت الحصر

وكل هذه الامور من خصائص الربوبية والالهية التي بعث الله رسله وانزل كتبه لبيانها واختصاصها بالله سبحانه وتعالى دون كل من سواه. وقال تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً الا من ارتضى من رسول) كقوله في آية الكرسي (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) الآية. فقد أطلع الله من شاء من من انبيائه ورسله على ما شاء من الغيب بوحيه اليهم

فمن ذلك ما جرى من الامم السالفة وما جرى عليهم كما قال تعالى (تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) وكذلك

ما تضمنه الكتاب والسنة من أخبار العباد والجنة والنار ونحو ذلك أطاع الله عليه رسوله والمؤمنين عرفوه من كتاب الله وسنة رسوله وآمنوا به وأما إحاطة العلم بالمعلومات كلياتها وجزئياتها ، وما كان منها وما لم يكن ، فذاك الى الله وحده لا يضاف إلى غيره من خلقه . فمن ادعى ذلك لغير الله فقد أعظم الفرية على الله وعلى رسوله ﷺ

فما أجزأ هذا القائل على الله في سلب حقه وما أعداه لرسوله ﷺ ولن تولاة من المؤمنين والموحدين

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى - وذكر قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه « إنما تنقض عرى الاسلام عروة عروة إذا نشأ في الاسلام من لا يعرف الجاهلية » وهذا لانه إذا لم يعرف الجاهلية والشرك وما عابه القرآن وذمه وقع فيه وأقره ، ودعا اليه وصوبه وحسنه ، وهو لا يعرف أنه الذي كان عليه أهل الجاهلية أو نظيره أو شر منه أو دونه ، فننتقض بذلك عرى الاسلام ويعود المعروف منكراً والمنكر معروفاً ، والبدعة سنة والسنة بدعة ، ويكفر الرجل بمحض الايمان وتجريد التوحيد ، ويبعد بتجريد متابعة الرسول ﷺ ومفارقة الاهواء والبدع ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عياناً والله المستعان انتهى .

(قلت) وقد رأينا ذلك والله عياناً من هؤلاء الجهلة الذين ابتلينا بهم في هذه الازمنة ، أشربت قلوبهم الشرك والبدع ، واستحسنوا ذلك ، وأنكروا التوحيد والسنة وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فضلوا وأضلوا وأما قول الناظم :

* فان لي ذمة منه بتسميتي محمداً * البيت

فهذا من جهله إذ من المعلوم عند كل من له أدنى مسكة من عقل ان الموافقة في الاسم لا تنفع إلا بالموافقة في الدين واتباع السنة . فأولياء الرسول ﷺ أتباعه

على دينه والعمل بسنته ، كما دل على ذلك الكتاب والسنة ، قال تعالى (ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون * الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل - إلى قوله - فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون)

وتأمل قصة أبي طالب عم النبي ﷺ وقد كان يحوطه ويحميه وينصره ويجمع القبائل على نصرته ﷺ وحمايته من أعدائه وقد قال في حق النبي ﷺ :

لقد علموا ان ابننا لا مكذب لدينا ولا يعنى بقول الا باطل
حدثت بنفسي دونه وحميته ودافعت عنه بالذرى والكلال

ولما لم يتبرأ من دين أبيه عبد المطلب ومات على ذلك ، وقال النبي ﷺ « لا تستغفرون لك ما لم أنه عنه » أنزل الله سبحانه (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كان أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) فلا وسيلة للعبد إلى نيل شفاعة النبي ﷺ إلا بالإيمان به وبما جاء به من توحيد الله وإخلاص العبادة له وحده لا شريك له ومحبة واتباعه وتعظيم أمره ونهيه والدعوة إلى ما بعث به من دين الله والنهي عما نهى عنه من الشرك بالله والبدع ومالا فلا . فمكس الملحدون الامر وطلبوا الشفاعة التي بعث الله رسوله ﷺ بالنهي عنها وإنكارها ، وقتل أهلها بالشرك ، وإحلال دماءهم وأموالهم . وأضافوا إلى ذلك إنكار التوحيد وعداوة من قام به واقتنى أثر النبي ﷺ كما تقدم في كلام شيخ الاسلام رحمه الله تعالى من قوله : ويكفر الرجل بمحض الإيمان وتجريد التوحيد . إلى آخر كلامه

وأما قول الناظم :

* ولن يضيق رسول الله جاهك بي * الديت

فهذا هو الذي ذكر الله عن المشركين من اتخاذهم الشفعاء ليشفعوا لهم ويقربوهم إلى الله زلفى . قال الله تعالى (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص) فهذا هو دين الله الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه . ثم ذكر بعد ذلك دين المشركين فقال (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما فيه يختلفون * ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار)

فتأمل كون الله تعالى كفرهم بقولهم (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) وقال في آخر هذه السورة (أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون * قل لله الشفاعة جميعا) الآية

(قلت) وقد وقع من هؤلاء من اتخذهم شفعاء بدعائهم وطلبهم ورغبتهم والالتجاء اليهم وهم اموات غافلون عنهم لا يقدرول ولا يسمعون لما طلبوا منهم وأرادوه . وقد اخبر تعالى ان الشفاعة ملكه لا ينالها من اشرك به غيره وهو الذي له ملك السموات والارض كما قال تعالى (ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) فعاملهم الله بنقيض قصدهم من جميع الوجوه ، وسجل عليهم بالضلال ، ولهذه الآية نظائر كثيرة كقوله (ذاكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير * ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ، ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير)

فبين ان دعوتهم غير الله شرك بالله وان المدعو من غيره لا يملك شيئاً ، وانه

لا يسمع دعاء الداعي ولا يستجيب له، وإن المدعو ينكر ذلك الشرك ويتبرأ منه ومن صاحبه يوم القيامة

فمن تأمل هذه الآيات، انزاحت عنه بتوفيق الله وفتح جميع الشبهات، ومما يشبه هذه الآية — في حرمان من أنزل حوائجه بغير الله واتخذ شافعاً من دون الله بتوجيه قلبه وقلبه إليه، واعتماده في حصول الشفاعة عليه، كما قد تضمنه بيت الناظم — قول الله تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله، قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون)

فانظر كيف حرّمهم الله الشفاعة لما طلبوها من غيره، وأخبر أن حصولها مستحيل في حقهم بطلبها في دار العمل من غيره، وهذه هي الشفاعة التي نفاها القرآن كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة) وقال (وانذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع)

فهذه الشفاعة المنفية هي التي فيها شرك. وأما الشفاعة التي أثبتها القرآن فانما ثبتت بقيدتين عظيمين: إذن الرب تعالى للشفيع، ورضاه عن المشفوع له. وهو لا يرضى من الأديان الستة المذكورة في قوله (أن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا) الآية — إلا الإيمان الذي أصله وأساسه التوحيد والاخلاص كما قال تعالى (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) وقال (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون) وقال (وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وقال تعالى (أن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض — إلى قوله — ما من شفيع إلا من بعد إذنه)

وفي الحديث الصحيح ان النبي ﷺ لما ذكر شفاعته قال « وهي نائلة من شاء الله ممن مات لا يشرك بالله شيئاً » وقال له ابو هريرة رضي الله عنه : من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال « من قال لا اله الا الله خالصاً من قلبه » قال شيخ الاسلام في هذا الحديث : فتلك الشفاعة لأهل الاخلاص باذن الله ولا تكون لمن أشرك بالله

وقد كشفنا بحمد الله بهذه الآيات المحكمات تلييس هذا المعارض الملبس. ولجأه وافتراده على الله ورسوله ، فان دعوة غير الله ضلال وشرك ينافي التوحيد، وان اتخاذ الشفعاء انما هو بدعائهم، والالتجاء اليهم ، وسؤالهم أن يشفعوا الداعي وقد نهى الله عن ذلك ، وبين أن الشفاعة له ، فاذا كانت له وحده فلا تطلب إلا ممن هي ملكه ، فيقول : اللهم شفّع نبيك في. لانه تعالى هو الذي يأذن للشفيع أن يشفع فيمن يرضى دينه وهو الاخلاص كما تقدم بيانه

وأما قول المعارض : ان المعتزلة احتجوا بالآيات التي فيها نفي الشفاعة على انها لا تقع لأهل الكبائر من الموحدين

فأقول : لا ريب ان قولهم هذا بدعة وضلالة ، وأنت ايها المجادل في آيات الله بغير سلطان مع المعتزلة في طرفي تقيض . تقول : ان الشفاعة تثبت لمن طلبها وسألها من الشفيع ، فجعلت طلبها منه موجباً لحصولها ، والقرآن قد نفى ذلك وأبطله في مواضع كثيرة بحمد الله . والحق انها لا تقع إلا لمن طلبها من الله وحده ورغب اليه فيها وأخلص له العبادة بجميع أنواعها

وهذا هو الذي تقع له الشفاعة قبل دخول النار أو بعده إن دخلها بذنوبه ، فهذا هو الذي يأذن الله للشفعاء أن يشفعوا له بما معه من الاخلاص كما صرحت بذلك الاحاديث والله أعلم

وقد قدمنا ما دل عليه الكتاب والسنة أن مافي القرآن من ذكر الشفاعة نفياً

وأثباتا فحق لا اختلاف فيه بين أهل الحق، فالشفاعة المنفية إنما هي في حق المشرك الذي اتخذ له شفيعا يطلب الشفاعة منه فيرغب اليه في حصولها، كما في البيت المتقدم وهو كفر كما صرح به القرآن

وأما الشفاعة التي أثبتها الكتاب والسنة فقد ثبتت للمذنبين الموحدين المخلصين، وهذا هو الذي تظاهرت عليه النصوص واعتمده أهل السنة والجماعة ودانوا به والحديث الذي أشار اليه المعارض من قوله «أنا لها أنا لها» لا ينافي ما تقرر. وذلك أن الناس في موقف القيامة إذا فزعوا إلى الرسل ليشفعوا لهم إلى الله في أراحتهم من كرب ذلك المقام بالحساب، وكل ذكر عذره - قال النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث «فيأتوني فأخبر بين يدي الله ما جدد» - أو كما قال - فاحده بمحامد يفتحها علي، ثم يقال: أرفع رأسك وقل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، قال: فيحذلي حداً فأدخلهم الجنة»

فتأمل كون هذه الشفاعة لم تقع إلا بعد السجود لله ودعائه وحمده والثناء عليه. وقوله «فيحذلي حداً» فيه بيان أن الله هو الذي يحذله

وهذا الذي يقع من الناس يوم القيامة مع الرسل هو من باب سؤال إلحي الحاضر، والتوسل إلى الله بدعائه كما كان الصحابة رضي الله عنهم يسألون رسول الله ﷺ في حياته أن يدعو لهم إذا نابه شيء، كما في حديث الاستسقاء وغيره ولما توفي الله رسوله ﷺ لم يكونوا يفعلون عند قبره شيئاً من ذلك البتة. ففرق أصحاب رسول الله ﷺ وهم أعلم الأمة وأفضلها بين حالتي الحياة والمات وكانوا يصلون على النبي ﷺ عند دخول المسجد والخروج منه، وفي الصلاة والخطب وعند ذكره، أمثالاً لقوله ﷺ «لا تجعلوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً»، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني أينما كنتم»

ولما أراد عمر رضي الله عنه أن يستسقي بالناس أخرج معه العباس بن

عبد المطلب رضي الله عنه فقال « اللهم انا كنا اذا أجدنا توسلنا اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا » فيدعو ، فلو جاز أن يتوسل عمر والصحابة بذات رسول الله ﷺ بعد وفاته لما صالح منهم ان يعدلوا عن النبي ﷺ إلى عمه العباس فلما عدلوا عنه إلى العباس علم ان التوسل بالنبي ﷺ بعد وفاته لا يجوز في دينهم وصار هذا اجماعا منهم

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: وقد أنكر أئمة الاسلام ذلك، فقال ابو الحسن القدوري في شرح كتاب الكرخي قال بشر بن الوليد سمعت أبا يوسف يقول قال ابو حنيفة لا ينبغي لاحد أن يدعو الله إلا به، وأكره ان يقول بحق فلان او بحق أنبيائك ورسلك أو بحق البيت الحرام . قال ابو الحسن : أما المسئلة بغير الله فتكره في قولهم لانه لاحق لغير الله عليه وانما الحق لله على خلقه

وقال ابن بلدي في شرح المختار: ويكره أن يدعو الله إلا به فلا يقول أسئلك بفلان او بملائكتك او بانبيائك ونحو ذلك، لأنه لاحق للمخلوق على خالقه ، وما يقول فيه ابو حنيفة وأصحابه أكره كذا - هو عند محمد حرام ، وعند ابي حنيفة وابي يوسف هو إلى الحرام أقرب، وجانب التحريم عليه أغلب^(١) فاذا قرر الشيطان عنده ان الاقسام على الله به والدعاء به ابلغ في تعظيمه واحترامه وانجح لقضاء حاجته نقله درجة أخرى إلى أن يتخذ قبره وثنا يكف عليه ويوقد عليه القنديل ويلقى عليه الستور ويذني عليه المسجد ، ويعبده بالسجود له والطواف وتقبيله

(١) لكن نقل الشافعي في الأم عن أبي يوسف أن الحرام ما كان يطلق عند السلف إلا على ما كان بينا في كتاب الله بلا تفسير ، وقال شيخ الاسلام ابن تيمية: ان السلف ما كانوا يحرمون شيئاً الا بدليل قطعي . نقله عنه ابن مفلح في الآداب الشرعية، وذكر ان في مذهب أحمد روايتين في المسألة الثانية ان التحريم يثبت بالدليل الظني، أيضا اه بالمعنى ونحن تتبع السلف رضي الله عنهم

واستلامه والحيج اليه والذبح عنده، ثم ينقله درجة اخرى الى دعاء الناس لعبادته واتخاذهم عيداً ومنسكاً، وان ذلك أنفع لهم في دنياهم وأخراهم،

قال شيخنا قدس الله روحه : وهذه الامور المبتدعة عند القبور مراتب، أبعدھا عن الشرع أن يسأل الميت حاجته ويستغيث به فيها كما يفعله كثير من الناس . قال : وهؤلاء من جنس عباد الاصنام، وهذا يحصل للكفار من المشركين وأهل الكتاب، يدعوا أحدهم من يعظمه، ويتمثل لهم الشيطان أحياناً وقد يخاطبهم ببعض الامور الغائبة ثم ذكر المرتبة الثانية وهي أن يسأل الله به. قال وهو بدعة باتفاق المسلمين (والثالثة) أن يظن ان الدعاء عند قبره مستجاب ، أو انه أفضل من

الدعاء في المسجد، فهذا أيضاً من المنكرات المبتدعة باتفاق المسلمين وهي محرمة . وما علمت في ذلك نزاعاً بين أئمة الدين، وان كان كثير من الناس يفعل ذلك انتهى ففرض على كل أحد أن يعلم ما أمر الله ورسوله به من اخلاص العبادة لله وحده، فانه الدين الذي بعثه الله به، وأن يترك ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ من الشرك فما دونه كما قال تعالى (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك إذاً من الظالمين) الآية . وأن لا يدين الله تعالى إلا بما دل الدليل على انه من دين الله ، ولا يكون امعة يطير مع كل ريح

فان الناس من أمة محمد ﷺ والامم قبلها قد تنازعوا في ربهم وأسماؤه وصفاته وما يجب له على عباده وقد قال تعالى (فان تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً)

فيا سعادة من تجرد عن العصبية والهوى والتجأ إلى حصن الكتاب والسنة ، فان العلم معرفة الهدى بدليله ، وما ليس كذلك لجهل وضلال

وأما قول المعترض : فانظر إلى (الشفاء) تجده حكى كفر من قال مثل هذه الكلمة

أي الكلمة التي ذكرها المحيبي في معنى قوله (قل إني لا أملك لكم ضراً ورفداً) الآيات ذكر عبارة النسفي في معناها وهي قوله : هو اظهار للعبودية وبراءة عما يختص بالربوبية من علم الغيب ، أي انا عبد ضعيف لا أملك لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضرر - الى آخر كلامه : اذ من عادة هذا المعارض الجاهل رد الحق والمكابرة في دفعه والغلو المتناهي ، والا فمن المعلوم عند من له معرفة بدين الاسلام ان المحيبي انما أتى في جوابه بتحقيق التوحيد ونفي الشرك بالله ، وذلك تعظيم لجانب الرسالة وكان النبي ﷺ ينهى أمته عن كل ما يؤل بهم الى الغلو . ولما قيل له ﷺ : انت سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا قال « يا أيها الناس قولوا بقولكم او بعض قولكم ، ولا يستهوينكم الشيطان أنا عبد الله ورسوله ، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله تعالى » والنبي ﷺ هو أحق الخلق بالتواضع لله وحده سبحانه . وفي الحديث « فانك ان تكلفني الى نفسي تكلفي الى ضيعة وعورة وذنب وخطيئة ، واني لأثق الابرحتك » الحديث . والاحاديث في هذا المعنى كثيرة يخبر بذلك عن نفسه ، ويعترف بذلك لربه ، وهو الصادق المصدوق ، فاذا قال المسلم مثل هذا في حقه ﷺ وأخبر عنه بما أخبر به عن نفسه لم يكن منتقصا له بل هذا من تصديقه والايمان به

قال شيخ الاسلام رحمة الله تعالى : اذا كان الكلام في سياق توحيد الرب ونفي خصائصه عما سواه لم يجز أن يقال هذا سوء عبارة في حق من دون الله من الانبياء والملائكة . فان المقام أجل من ذلك وكل ماسوى الله يتلاشى عند تجريد توحيده ، والنبي ﷺ كان أعظم الناس تقريرا لما يقال على هذا الوجه ، وان كان نفسه السلوب ، كما في الصحيحين في حديث الافك لما نزلت براءة عائشة من السماء وأخبرها النبي ﷺ بذلك قالت لها أمها : قومي الى رسول الله ﷺ قالت « والله لا أقوم اليه ولا أحمده ولا اياك ، ولا احمد الا الله الذي أنزل براءتي »

فأقرها النبي ﷺ وأبوها على هذا الكلام الذي نفت فيه أن يحمد رسول الله ﷺ . وفي رواية « بحمد الله لا بحمدك » ولم يقل أحد هذا سوء أدب عليه ﷺ وأخرج البيهقي بسنده إلى محمد بن مسلم سمعت حبان صاحب ابن المبارك يقول: قلت لعبد الله بن المبارك: قول عائشة للنبي ﷺ « بحمد الله لا بحمدك » أي لاستعظم هذا ؟ فقال عبد الله : ولت الحمد أهله

وكذلك الحديث الذي رراه الامام احمد بسنده عن الاسود بن سريع ان النبي ﷺ أتى بأسير فقال : اللهم أني أتوب اليك ولا أتوب إلى محمد . فقال النبي ﷺ « عرف الحق لأهله »

وهذا المعترض وأمثاله ادعوا تعظيم أمر رسول الله ﷺ بما قد نهى عنه من الغلو والاطراء ، وهضموا ربوبية الله وتنقصوا إلهيته ، وأنوا بزخارف شيطانية ، وحاولوا أن يكون حق الله تعالى من العبادة التي خلق لها عباده نهى بين الاحياء والاموات : هذا يصرفه لنبي ، وهذا لملك ، وهذا لصالح ، أو غير هؤلاء ممن اتخذوهم أنداداً لله وعبدوا الشياطين بما أمرهم به من ذلك الشرك بالله ، فان عبادتهم للملائكة والانبياء والصالحين انما تقع في الحقيقة على من زينها لهم من الشياطين وأمرهم بها كما قال تعالى (ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون؟ * قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) ونحو هذه الآية كثير في القرآن

ولما ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى ما وقع في زمانه من الشرك بالله قال : وهذا هضم للربوبية وتنقص اللاهية وسوء ظن برب العالمين ، وذكر انهم إنما ساووه بالله في العبادة كما قال تعالى عنهم وهم في النار (تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين)

وأما ما ذكره عن خالد الأزهرى ، فخالد وما خالد؟ أغرك منه كونه شرح

التوضيح والآجرومية في النحو؟ وهذا لا يمنع كونه جاهلاً في التوحيد الذي بهت الله به رسوله ﷺ كما جهله من هو أعلم منه وأقدم منه ممن لهم تصانيف في العقول كالغفر الرازي وأبي معشر البلخي ونحوهما ممن غلط في التوحيد

وقد كان خالد هذا يشاهد أهل مصر يعبدون البدوي وغيره فما أنكر ذلك في شيء من كتبه ، ولا نقل عنه أحد إنكاره ، فلو صح ما ذكره خالد من حال الناظم لم يكن جسراً تزداد عنه النصوص من الآيات المحكمات القواطع ، والاحاديث الواضحات البينات كقوله تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً) وقوله (ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون) وقول النبي ﷺ « من مات وهو يدعو لله نداً دخل النار »

وقد يستدرج الله أهل الشرك بأمور تقع لهم يظنونها كرامات - عقوبة لهم وكثير منها احوال شيطانية أعانوا بها اولياءهم من الانس كما قد يقع كثيراً لعباد الاصنام . وما احسن ما قال بعضهم:

تخالف الناس فيما قد رأوا ورووا وكلهم يدعون الفوز بالظفر
فخذ بقول يكون النص ينصره إما عن الله أو عن سيد البشر

وقد حاول هذا الجاهل المعترض صرف آيات البردة عما هو صريح فيها نص فيما دلت عليه من الشرك في الربوبية والالهية ومشاركة الله في علمه وملكه ، وهي لا تحتمل أن تصرف عما هي فيه من ذلك الشرك والغلو . فما ظفر هذا المعترض من ذلك بطائل ، غير انه وسم نفسه بالجهل والضلال والزور والمحال ، ولو سكت لسلم من الانتصار لهذا الشرك العظيم الذي وقع فيه

وأما قول المعترض : «ورد في الحديث «لولا حبيبي محمد ما خلقت سمائي ولا ارضي ولا جنتي ولا ناري» فهذا من الموضوعات لا أصل له ، ومن ادعى خلاف ذلك فليذكر من رواه من اهل الكتب المعتمدة في الحديث وأنى له ذلك؟ بل هو

من اكاذيب الغلاة الوضاعين ، وقد بين الله تعالى حكمته في خلق السموات والارض في كثير من سور القرآن كما في الآية التي تأتي بعد وهي قول الله تعالى (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهما ، لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما) ولها نظائر تبين حكمة الرب في خالق السموات والارض وقوله : وكيف يذكر تصرفه في اعطاء احد باذن الله من الدنيا في حياته ، او في الآخرة بعد وفاته؟

(اقول) هذا كلام من اجترأ وافترى وأساء الادب مع الله ، وكذب على رسوله ﷺ ولم يعرف حقيقة الشفاعة ، ولا عرف تفرد الله بالملك يوم القيامة ، وهل قال رسول الله ﷺ او أحد من اصحابه او من بعدهم من أئمة الاسلام : ان احداً يتصرف يوم القيامة مع الله في ملكه؟ ولو اطلقت هذه العبارة في حق رسول الله ﷺ لا دعاها كل لمعبوده من نبي أو ملك أو صالح انه يشفع له اذا دعاه (سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء) وقال تعالى (يوم يأتي لا تكلم نفس إلا بأذنه) الآية وقال (لا يتكلمون إلا من اذن له الرحمن وقال صوابا) وهذا القول الذي قاله هذا الجاهل قد شافهنا به جاهل مثله بمصر ، يقول : الذي يتصرف في الكون سبعة : البدوي والامام الشافعي والشيخ الدسوقي ، حتى أكل السبعة من الاموات ، هذا يقول : هذا ولي له شفاعته وهذا صالح كذلك ، وقد قال الله تعالى (لينذر يوم التلاق * يومهم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) الى قوله (ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) وأي ظلم أعظم من الشرك بالله ودعوى الشريك له في الملك والتصرف؟ وهذا غاية الظلم . قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى في معنى قوله تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم

فيهما من شرك وما له منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له (نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون ، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه ، أو يكون عوناً لله ، ولم يبق إلا الشفاعة ، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب ، فالشفاعة التي يضمنها المشركون منتفية كما نفاها القرآن ، وأخبر النبي ﷺ أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده ، لا يبدأ بالشفاعة أولاً ، ثم يقول له « ارفع رأسك ، وقل يسمع ، وسل تعطه ، واشفع تشفع » وقل له أبو هريرة رضي الله عنه ، من أسعد الناس بشفاعتك ؟ قال « من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه » فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بأذن الله ولا تكون لمن ائتمرك بالله

وحقيقته أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود . فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك ، ولهذا أثبت الشفاعة بأذنه في مواضع . وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل الإخلاص والتوحيد . انتهى

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في مدارج السالكين : وقد قطع الله الأسباب التي يتعلق بها المشركون جميعها ، فقال الله تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما له فيهما من شرك وما له منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له به من النفع - والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الأربع ، أما مالك لما يريد عابده منه ، فإن لم يكن مالكا كان شريكاً للمالك ، فإن لم يكن شريكاً له كان معيناً له وظهيراً ، فإن لم يكن معيناً ولا ظهيراً كان شقيقاً عنده . فنفى سبحانه المراتب الأربع نفياً مرتباً منتقلاً من الأعلى إلى الأدنى ، فنفى الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التي يطلبها المشرك وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك وهي الشفاعة بأذنه . فكفى بهذه الآية نوراً

وبرهاناً وتجريداً للتوحيد وقطعاً لأصول الشرك ومواده لمن عقلها ، والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها، ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحتها وتضمنه له ، ويظنه في نوع وقوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثاً، فهذا هو الذي يحول بين القلب وفهم القرآن . ولعمر الله ان كان أولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم أودونهم وتناول القرآن لهم كتناولهم له لا وراثته إلى ان قال : ومن أنواعه أي الشرك طلب الخوارج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالم ، فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً فضلاً عن ان يملك لمن استغاث به وسأله قضاء حاجته أو سأله ان يشفع له الى الله ، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده ، فانه لا يقدر أن يشفع له عند الله إلا بأذنه، والله لم يجعل استغاثته وسؤاله سبباً لأذنه، وإنما السبب لأذنه كمال التوحيد . فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الاذن وهو بمنزلة من استعان في حاجته بما يمنع حصولها، وهذه حالة كل مشرك، فجمعوا بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه ومعاداة أهل التوحيد ونسبة أهله الى النقص بالاموات، وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك به، وأولياؤه الموحدين له بدمهم وعيبيهم ومعاداتهم، وتنقصوا من أمر كوا به غاية التنقص إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا وأنهم يوالونهم عليه ، وهؤلاء هم أعداء الرسل في كل زمان ومكان وما أكثر المستجيبين لهم - قال - وما نجا من شرك هذا الشرك الا كبر إلا من جرد توحيده لله، وعادى المشركين في الله ، وتقرب بمقتهم إلى الله ، واتخذ الله وحده وليه والهه ومعبوده، فجرد حبه لله وخوفه لله ورجاءه لله وذله لله وتوكله على الله واستعانت به بالله ، والتجاء به إلى الله ، وأخلص قصده لله متبعاً لأمره متطلباً لمرضاته ، اذا سأل سأل الله ، واذا استعان استعان بالله ، واذا عمل عمل لله وبالله ومع الله . انتهى

فرحم الله هذا الامام وشيخه فالقد بينا حقيقة الشرك وطرقه وما يبطله

وفي حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال له « إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله » ولم يقل فاسألني أو استعن بي . فقصر السؤال والاستعانة على الله الذي لا يستحقه سواه ، كما في قوله (إياك نعبد وإياك نستعين) فمن صرف ذلك لغير الله فقد عصى الله ورسوله وأشرك بالله .
وللمعترض كلام ركيك لاجابة لنا إلى ذكر ما فيه ، وإنما نتبع من كلامه ما يحتاج إلى رده وابطاله كجنس ما تقدم

* * *

واعلم أنه قال — لما ذكر قول الحبيب — : انه لا يجتمع الايمان بالآيات المحكمات ، وتلك الايات لما بينهما من التناقى والتضاد
قال المعترض أقول : يجتمعان بان يفرد الله بالعبادة ولا يقدر فيه تشفعه باحبابه اليه ، وكيف يحكم عليه بالضلال بمجرد طلبه الشفاعة ممن هو أهل لها كما في الحديث « انا لها انا لها » ومعلوم أن الضلال ضد الحق ؟
(فالجواب) لا يخفى ما في كلامه من التخليط والتليس والعصبية المشوبة بالجهل المركب ، لا يدري ولا يدري انه لا يدري

وقد بينا فيما تقدم أن دعوة غير الله ضلال ، وأن اتخاذ الشفعاء الذي أنكره الله تعالى إنما هو بدعائهم والالتجاء اليهم والرغبة اليهم فيما أراداه الراغب منهم من الشفاعة التي لا يقدر عليها إلا الله ، وذلك يناقض الاسلام والايمان بلا ريب ، فان طلبها من الاموات والغائبين طلب لما لا يقدر عليه إلا الله وهو خلاف لما أمر الله به تعالى وارتكب لما نهى عنه كما تقدم بيانه في معنى قوله تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) الآية وقواه (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) الآية . وقوله (مانع-بدهم إلا ليقربونا إلى الله زانق) فطلب الشفاعة من النبي

ﷺ أو غيره بعد وفاته وبعده عن الداعي لا يحبه الله تعالى ولا يرضاه ولا رسوله ﷺ وهو التوسل الذي ذكره العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى وشيخه رحمه الله تعالى وصرحاً بأنه شرك ، وللعامة من أبيات في المعنى وهي قوله :

والشرك فهو توسل مقصوده الز	لنى من الرب العظيم الشأن
بعبادة المخلوق من حجر ومن	بشر ومن قبر ومن أوثان
والناس في هذا ثلاث طوائف	مارابع أبداً بذى امكان
احدى الطوائف مشرك بالله	فاذا دعاه دعا إلها ثاني
هذا وثاني هذه الاقسام ذ	لك جاحد يدعو سوى الرحمان
هو جاحد الرب يدعو غيره	شركاً وتعطيلاً له قدمان
هذا وثالث هذه الاقسام خير	الخلق ذاك خلاصة الانسان
يدعوا له الحق لا يدعوا ولا	أحدًا سواء قط في الاكوان
يدعوه في الرغبات والرهبات وال	حالات من سر ومن اعلان

وقد أنكر الله ذلك الدعاء على من زعم في الرسل والملائكة ذلك كما قال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً) قال طائفة من السلف: كان أقوام يدعون المسيح وأمه وعزيراً والملائكة فأنكر الله ذلك وقال هؤلاء عبیدی كما أنتم عبیدی ، يرجون رحمتي كما أرجون رحمتي ، ويخافون عذابي كما تخافون عذابي ، وهؤلاء الذين نزلت هذه الآية في انكار دعوتهم هم من أوليائه وأحبابه . وقد تقدم ان الدعاء بجميع أنواع العبادة حق لله مختص به كما تقدم في الآيات

والحاصل ان الله تعالى لم يأذن لاحد أن يتخذ شفيعاً من دونه يسأله ويرغب اليه ويلتجئ اليه ، وهذا هو العبادة ، ومن صرف من ذلك شيئاً لغير الله فقد أشرك مع الله غيره كما دلت عليه الآيات المحكمات ، وهذا ضد افراد الله بالعبادة

وكيف يتصور افراده بالعبادة وقد جعل له العبد ملاذاً ومفرزاً سواه؟ فان هذا ينافي الافراد، فابن ذهب عقل هذا وفهمه؟

قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى: العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الاقوال والاعمال الباطنة والظاهرة. انتهى

وقد تبين أن الدعاء مخ العبادة وهو مما يحبه ويأمر به عباده، وإن يخلصوه له، وقد تقدم من الآيات ما يدل على ضلال من فعل ذلك وكفره

وبهذا يحصل الجواب عن قول المعارض: أن الشفاعة المنفية إنما هي في حق الكفار (فنقول) فمن اتخذ معبوداً سوى الله يزوجوه أو يخافه فقد كفر. وتأمل قول الله تعالى (والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون * أموات غير أحياء وما يشعرون بأنيابهم * أهكم إله واحد) فبين تعالى أن المخلوق لا يصلح أن يدعى من دون الله، وإن من دعاه فقد أشرك مع الله غيره في الإلهية، والقرآن من أوله إلى آخره يدل على ذلك، وكذلك سنة رسول الله ﷺ، ولكن الملحدين محجوبون عن فهم القرآن كما حججوا عن الإيمان بحججهم وضلالهم وأعراضهم عما أنزل الله في كتابه من بيان دينه الذي رضي له نفسه ورضيه لعباده

قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى: وحقيقة التوحيد أن يعبد الله وحده ولا يدعى إلا هو، ولا يخفى ولا يتقي إلا هو، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يكون الدين إلا له، وأن لا تتخذ الملائكة والنبيون أرباباً فكيف بالأنمة والشيوخ؟ فإذا جعل الإمام والشيخ كأنه إله يدعى مع غيبته وموته، ويستغاث به ويطلب منه الحوائج كان مشبهاً بالله، فيخرجون عن حقيقة الاسلام الذي أصله شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. انتهى

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال لابن عباس رضي الله عنهما «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله» فلو جاز أن يسئل ﷺ لما قصر سؤاله

واستعانته على الله وحده ، وابن عباس من أحق الناس بأن يعلمه النبي ﷺ ما فيه له منفعة ، فلو جاز صرف ذلك لغير الله لقال : واسألني واستعن بي ، بل أتى ﷺ في مقام الارشاد والابلاغ والنصح لابن عمه بتجريد إخلاص السؤال والاستعانة على الله تعالى ، فأين ذهبت عقول هؤلاء الضلال عن هذه النصوص ؟ والله المستعان وقال الشيخ رحمه الله تعالى : واعلم ان لفظ الدعاء والدعوة في القرآن يتناول معنيين : دعاء العبادة ودعاء المسئلة ، وكل عابد سائل ، فكل سائل عابد ، وأحد الاسمين يتناول الآخر عند تجرده عنه ، واذا جمع بينهما فنه براد بالسائل الذي يطلب لجلب المنفعة ودفع المضرة بصيغ السؤال والطلب ، ويراد بالعابد من يطلب ذلك بامثال الامر ، وان لم يكن هناك صيغة سؤال ، ولا يتصور أن يخلو داع لله دعاء عبادة او دعاء مسئلة من الرغب والرهب والخوف والطمع . انتهى فتبين ان آيات البردة التي قدمنا الكلام عليها تنافي الحق وتناقضه . وماذا بعد الحق إلا الضلال ؟

وقول المعترض : لاسيما ، والناظم على جانب عظيم من الزهد والورع والصلاح بل وله يد في العلوم كما حكى ذلك مترجموه . وهذا صار كله هباء منشوراً حيث لم يرضوا عنه

(أقول) هذه دعوى تحتمل الصدق والكذب . والظاهر انه لاحقيقة لذلك فانه لا يعرف إلا بهذه المنظومة فلو قدر ان لذلك أصلاً فلا ينفعه ذلك مع تلك الايات ، لان الشرك يحبط الاعمال كما قال تعالى (ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) وقد صار العمل مع الشرك هباء منشوراً . قال سفیان بن عیینة «احذروا فتنة العالم الفاجر ، والعابد الجاهل ، فان فتنتهما فتنة لكل مفتون »

فان كان في الرجل عبادة فقد فن بابياته كثيراً من الجهال ، وعبادته ان كانت فلا تمنع كونه ضالاً كما يرشد إلى ذلك آخر الفاتحة . قال سفیان ابن عیینة « من فسد

من علمائنا ففيه شبه من اليهود ، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى »
 قالوا جب عاينا أن نبين ما في كلامه مما يسخط الله ورسوله من الشرك والغلو
 وأما هذا الشخص وأمثاله ممن قدمنا فيسعدنا السكوت عنه لأننا لا ندرى ما آل
 أمره اليه ، وما مات عليه ، وقد عرفت أن كلام خالد الازهري لا حجة فيه ،
 وأهل الغلو والشرك ليس عندهم إلا المنامات والاحوال الشيطانية التي يحكيها
 بعضهم عن بعض كما قال لي بعض علماء مصر: ان شيخاً مشى بأصحابه على البحر
 وقال: لا تذكروا غيري، وفيهم رجل ذكر الله، فسقط في البحر، فأخذ بيده الشيخ
 فقال: ألم أقل لكم لا تذكروا غيري؟ فقلت: هذه الحكاية تحتل أحد أمرين
 لا ثالث لهما، أحدهما أن تكون مكدوبة مثل أكاذيب سدنة الاوثان . أو أنها
 حال شيطانية . وأسألك أيها الخاكي لذلك: أيكون فيها حجة على جواز دعوة غير
 الله؟ فأقر وقال: لا حجة فيها على ذلك

والمقصود انه ليس عند الغلاة من الحجة إلا ما زخرفوه أو حرفوه أو كذبوه
 وأما قل الله قل رسوله فهذا بحمد الله كله عليهم لا لهم وما حرفوه من ذلك رد
 إلى صحيح معناه الذي دل عليه لفظه مطابقة وتضمناً والتزاماً ، قال الله تعالى
 (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض
 زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون)

وذكر المعترض حكاية يقول: عن غير واحد من العلماء العظام - أنهم رأوا النبي
 ﷺ والمنظومة تنشد بين يديه - الى قوله - لكن للخصم منع ذلك كله بقوله أنهم كفار
 (فالجواب) أن يقال : ليس هذا وجه المنع ، وإنما وجهه انها حكاية مجهولة عن
 مجهول ، وهذا من جنس اسناد الاكاذيب . فلو قيل من هؤلاء العظام؟ وما أسماؤهم
 وما زمنهم؟ وما طبقهم؟ لم يدر عنهم، وأخبار المجهولين لا تقبل شهادة ولا رواية يقظة
 فكيف إذا كانت أحلاماً؟ والمعترض كثيراً ما يحكي عن هيان بن بيان

ثم قال المعارض- على قول المجيب: وطلب الشفاعة من النبي ﷺ ممنوع شرعا وعقلا، قال المعارض- من أين هذا الامتناع؟ وما دليله من العقل والسمع؟
(فالجواب) أن يقال: معلوم أن دليله من الجهتين لا تعرفه أنت ومن كان مثلك وإنما معرفتك في اللجاج، الذي هو كالعجاج الذي يحوم في الفجاج، أما دليله من السمع فقد تقدم في آيات الزمر ويونس وغيرها، وقد بسطنا القول في ذلك بما يعني عن إعادته فليرجع اليه

وأما دليله من العقل فالعقل الصحيح يقضي ويحكم بما يوافق النقل بأن النجاة والسعادة والفلاح وأسباب ذلك كله لا تحصل إلا بالتوجه الى الله تعالى وحده، وإخلاص الدعاء والالتجاء له واليه، لأن الخير كله بيديه، وهو القادر عليه، وأما الخلق فليس في يده من هذا شيء كما قال تعالى (ما يملكون من قطمير) فتسوية الخلق بالخلق خلاف العقل كما قال تعالى (أفمن يخلق كمن لا يخلق؟ أفلا تذكرون؟) فالذي له الخلق والأمر والنعم كلها منه، وكل مخلوق فقير اليه لا يستغنى عنه طرفه عين هو الذي يستحق أن يدعى ويرجى ويرغب اليه ويرهب منه، ويتخذ معاذا وملاذا ويتوكل عليه، وقد قال تعالى (يا أيها الناس أتمموا الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد)

وقال المفسرون المحققون السلفيون المتبعون في قول الله تعالى (وعلى ربهم يتوكلون) أي لا يرجون سواه، ولا يقصدون إلا إياه، ولا يلوذون إلا بجنابه ولا يطلبون الخواارج إلا منه، ولا يرغبون إلا اليه، ويعلمون أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه المتصرف في الملك وحده لا شريك له لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب ولهذا قال سعيد بن جبير: التوكل جماع الايمان. ذكره العماد ابن كثير في تفسيره

وليتأمل ما ذكره الله تعالى عن صاحب يس من قوله (أنأخذ من دونه

آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغني عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون * اني اذًا لفي ضلال مبين) فهذا دليل فطري عقلي سمعي

وأما قول المعترض — : ان قول الناظم : ومن علومك علم اللوح والقلم — :

ان « من » بيانية

(فالجواب) انه ليس كما قال بل هي تبعية ، ثم لو كانت بيانية فما ينفعه والمحذور بحاله وهو انه يعلم ما في اللوح المحفوظ ، وقد صرح المعترض بذلك فقال : ولا شك انه أوتي علم الاولين والآخرين ، وعلم ما كان وما يكون

(فالجواب) هذه مصادمة لما هو صريح في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بان الاحاطة بما في اللوح المحفوظ علما ليس إلا لله تعالى وحده ، كذلك علم الاولين والآخرين ليس إلا لله وحده ، إلا ما أطلع الله عليه نبيه في كتابه كما قال تعالى (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) فلرجل في عى عن قول الله تعالى (بشيء من علمه) وقال تعالى (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلن ينزل الامر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير * وأن الله قد أحاط بكل شيء علما) وقد تقدم لهذه الآيات نظائر

فاحاطة العلم بالموجودات والمعدومات التي وجدت أو ستوجد لله وحده لم يجمع ذلك لاحد سواه ، وقال تعالى (يستلونك عن الساعة أيان مرساها ، قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو) فأسند علم وقت الساعة الى ربه بامرهم كقوله تعالى (يستلونك عن الساعة أيان مرساها * فم أنت من ذكرها * الى ربك منتهاها) وأمثال هذه الآيات مما يدل على أن الله تعالى اختص بعلم الغيب كله إلا ما استثناه بقوله (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) ومن تبعية ههنا بلا نزاع

وقد قال الخضر لموسى عليهما السلام « ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا

كما نقص هذا العصفور من هذا البحر» فتأمل هذا وتدبر
وأما قول المعارض وتأويله أنول الله تعالى (قل لا يعلم من في السموات
والارض الغيب إلا الله) فتأويل فاسد ، ما قاله أحد غيره ولا يقوله مسلم من أنه يعلم
الغيب بتعليم الله له ، والمنفي في الآية أن يعلمه بنفسه بدون أن يعلمه الله ذلك ، فما
أجر هذا الجاهل على هذا التأويل وما أجعله بالله وبكتابه
(فيقال في الجواب) لا ينفعك هذا التأويل الفاسد إذ لو كان يعلم أحد جميع
الغيب بتعليم الله لصدق عليه أن يقال : هذا يعلم الغيب كله الذي يعلمه الله ، فما بقي
على هذا لقصر علم الغيب على الله في هذه الآية معنى ، وحصل الاشتراك ، نعوذ بالله
من الافتراء على الله وعلى كتابه وخرق ما لم ينزل الله به سلطانا
وأما قوله في قول الناظم :

* إن لم تكن في معادي أخذاً بيدي * — : ان الاخذ باليد بالشفاعة
(فالجواب) أن حقيقة هذا القول وصريحه طلب ذلك من غير الله فلو صح
هذا الحمل فالمحذور بحاله ، لما قد عرفت من أن الاستغاثة بالأموات والغائبين
والاستشفاع بهم في أمر هو في يد الله ممتنع حصوله لكونه تأليفاً وعبادة . وقد
أبطله القرآن ، فهذا المعارض الجاهل يدور على منازعة الله في حقه وملكوته وشمول
علمه والله يجزيه بعمله

وأما قوله (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو) فقيل المراد بها الخمس
المذكورة في سورة لقمان . وهذا قبل أن يطاع الله نبيه عليها ، وإلا فقد ذكر عامة أهل
العلم أنه لم يتوفاه الله تعالى حتى علمه كل شيء حتى الخمس

(فالجواب) أنظر إلى هذا المغتري الجاهل البليد ، كيف اقتفى أثر صاحب
الايات في جميع ما اختلقه وافتراه وأكثر من الا كاذيب على أهل العلم ؟ في قوله
ذكر عامة أهل العلم أنه لم يتوفاه الله حتى علمه كل شيء حتى الخمس مخاضاً أهل

العلم الذين يعرفون بانهم أهل العلم من هذه المقالة وعامة أهل العلم بل كلهم على خلاف ما ادعاه سلفا وخلفا

قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى — في تفسيره الكبير الذي فاق على أكثر التفاسير: ابتدأ تعالى ذكر الخبر عن علمه بمجيء الساعة فقال (إن الله عنده علم الساعة) التي تقوم فيها القيامة لا يعلم ذلك أحد غيره (وينزل الغيث) من السماء لا يقدر على ذلك أحد غيره (ويعلم ما في الأرحام) أرحام الاناث (وما تدري نفس ماذا تكسب غداً) يقول وما تعلم نفس حي ماذا تعمل في غد (وما تدري نفس بأي أرض تموت) يقول وما تعلم نفس حي بأي أرض تكون ميتتها (إن الله عليم خبير) يقول إن الذي يعلم ذلك كله هو الله دون كل أحد سواه. وذكر بسنده عن مجاهد (إن الله عنده علم الساعة) قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال امرأتي حبلى: فأخبرني ماذا تلد؟ وبلا دنا تحل جذبة فأخبرني متى ينزل الغيث؟ وقد علمت متى ولدت فمتى أموت؟ فأ نزل الله تعالى (إن الله عنده علم الساعة) إلى آخر السورة. قال فكان مجاهد يقول هن مفاتيح الغيب التي قال الله تعالى (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو)

وأخرج بسنده عن قتادة (إن الله عنده علم الساعة) الآية: خمس من الغيب استأثر الله بهن فلم يطلع عليهن ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلًا وبسنده عن عائشة رضي الله عنها «من قال إن أحداً يعلم الغيب إلا الله فقد كذب» وأعظم الغيبة على الله، قال الله تعالى (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله)

وبالسند عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله» (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي

أرض تموت ان الله عليم خبير) ثم قال «لا يعلم أحد ما في غد إلا الله، ولا يعلم أحد متى ينزل الغيث إلا الله، ولا يعلم أحد متى قيام الساعة إلا الله، ولا يعلم أحد ما في الارحام إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله»

وبسنده عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت «من حدثك انه يعلم ما في غد فقد كذب» ثم قرأت (وما تدري نفس ماذا تكسب غداً)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «خمس لا يعلمهن إلا الله» (ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت ان الله عليم خبير) انتهى ما ذكره ابن جرير رحمه الله تعالى

وذكر البغوي في تفسيره حديث ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما المتقدم ثم قال - وقال الضحاك ومقاتل : مفاتيح الغيب خزائن الارض ، وقال عطاء ما غاب عنكم من اثواب ، وقيل انقضاء الاجل ، وقيل أحوال العباد من السعادة والشقاوة وخواتيم أعمالهم ، وقيل ما لم يكن بعد أنه يكون أم لا يكون ، وما لا يكون كيف يكون ، وما لا يكون ان لو كان كيف يكون. انتهى

(قلت) ولا يعرف عن أحد من أهل العلم خلاف ما دلت عليه هذه الآيات المحكمات ، ونعوذ بالله من مخالفة ما أنزله الله في كتابه وما أخبر به عن نفسه أو أخبر به رسوله ﷺ واجمع العلماء عليه ، فان الله استأثر بعلمه عن خلقه ووصف نفسه بأنه علام الغيوب، ونعوذ بالله من حال أهل الافتراء والتكذيب . وأما قوله : ولو ان عبارات أهل العلم مثل البيضاوي وأبي السعود والقسطلاني وأمثالهم تجدي لديكم شيئاً لذكرناها ، لكنها تمحى بلفظة واحدة وهي انهم كلهم كفار . أنظر كيف خرج به البغض وانتعصب لمذهبه وهو اه الى البهت البحث فلا يقبل منهم أحداً ومن هذا حاله فلا حيلة به

(فالجواب) انه ليس للبيضاوي ومن ذكر عبارة تخالف ما قاله السلف والعلماء في معنى الآيات ، ومعاذ الله أن يقول المحيب: ان هؤلاء كفار ، ولا يوجد عن أحد من علماء المسلمين انه كفر أحداً قد مات من هذه الامة من ظاهره الاسلام، فلو وجد في كلامه زلة من شرك او بدعة فالواجب التنبيه على ذلك والسكوت عن الشخص، لما تقدم من انا لا ندري ما خاتمته ، واما هؤلاء الذين ذكروهم من المفسرين فانهم من المتأخرين الذين نشئوا في اغتراب من الدين، والمتأخرون يغلب عليهم الاعتماد على عبارات أهل الكلام المخالفة لما عليه السلف وائمة الاسلام من الارزاء ونفي حكمة الله وتأويل صفات الله تعالى وسلب معانيها ما يقارب ما في كشاف الزمخشري، والارزاء والجبر يقابل ما فيه من نفي القدر، وكلاهما في طرفي تقيض ، وكل خالف ما عليه أهل السنة والجماعة في ذلك ، ومعلوم ان صاحب الكشاف اقدم من هؤلاء الثلاثة وارسخ قدمهم في فنون من العلم، ومع هذا فقد قال شيخ الاسلام البلقيني : استخرجت ما في الكشاف من دسائس الاعتزال بالمناقيش ، وقال ابو حيان وقد مدح الكشاف وما فيه من لطيف المعنى ثم قال:

ولكنه فيه مجال لناقد	وزلات سوء قد اخذن الخائفا
فثبت موضوع الاحاديث جاهلا	ويعز الى المعصوم ما ليس لائقا
وينسب ابداء المعاني لنفسه	ليوهم اغماراً وان كان سارقا
ويسهب في المعنى الوجيز دلالة	بتكثير ألفاظ تسمى الشقاشقا
يقول فيها الله ما ليس قائلها	وكان محبا في مخاطب وامقا
ويشتم اعلام الائمة ضلة	ولا سيما ان اولجوه المضايقا
الى ان قل — :	

لئن لم تداركه من الله رحمة لسوف يرى للكافرين مرافقا

فاذا كان هذا في تفسير مشهور وصاحبه معروف بالذكاء والفهم فمن دونه من المتأخرين أولى بان لا يتلقى من كلامه بالقبول إلا ماوافق تفسير السلف وقام عليه الدليل ؟

وهذا المعترض من جهله يحسب أن كل بيضاء شحمة ، يعظم المفضول من الاثخاص والتصانيف ولا يعرف ماهو الافضل . ولو كان له أدنى مسكة من فهم ومعرفة للعلماء ومصنفاتهم لعلم ان أفضل ما في أيدي الناس من التفاسير هذه الثلاثة التي نقلنا منها: تفسير ابي جعفر محمد بن جرير الطبري، وتفسير الحسين بن مسعود البغوي ، وتفسير العماد اسماعيل بن كثير . فهذه أجل التفاسير ومصنفوها أئمة مشهورون أهل سنة ليسوا بجهمية ولا معتزلة ولا قدرية ولا مجبرة ولا مرجئة بحمد الله وأكثر ما في هذه التفاسير الاحاديث الصحيحة وآثار الصحابة وأقوال التابعين وأتباعهم ، فلا يرغب عنها إلا الجاهلون الناقصون المنقوصون والله المستعان

والمصنفون في التفسير وغيره - غير ما ذكر المعترض - كثيرون ، وأحسن من البيضاوي وابي السعود البحر لابي حيان لأنه كثيراً ما ينقل في تفسيره عن السلف والائمة ، وكذلك تفسير الخازن

وبالجملة فمن كان من المصنفين ابعد عن تقليد المتكلمين وذكر عباراتهم ويعتمد أقوال السلف فهو الذي ينبغي النظر اليه والرغبة فيه ، وعلى كل حال فليس في تفسير البيضاوي وابي السعود وشرح القسطلاني ومواهبه ما ينفع هذا الجاهل المفتري ، وكل يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ

وقول المعترض على قول المجيب: علماؤهم شر من تحت اديم السماء - فيقال قد ورد هذا الحديث في اهل العراق ، فهم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كفار مجوس او فيما يأتي فهذه شناعة على غالب علماء الامة ، ومنهم الامام ابو حنيفة والامام احمد وامثالهم

(فالجواب) ان هذا كلام من لا يعقل ولا يفهم شيئاً ولا يفرق بين أهل السنة والجماعة ، وأهل البدعة والضلالة

ففي الحديث الصحيح ان النبي ﷺ قال « لا تقوم الساعة حتى يعبد فئام من أمتي الاوثان ، ولا تزال طائفة من امتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك » رواه البرقاني في صحيحه وقد أخبر النبي ﷺ « ان أمته ستفترق كما افترقت اليهود والنصارى ، فاليهود افترقت على إحدى وسبعين ، والنصارى على ثنتين وسبعين وهذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة » واول من فارق الجماعة في عهد الصحابة رضي الله عنهم الخوارج قاتلهم علي رضي الله عنه بالنهر وان ، والقدرية في أيام ابن عمر وابن عباس وأكثر الصحابة . وجودون ، ومن دعاهم معبد الجهنني وغيلان القدري الذي قتله هشام بن عبد الملك . كذلك الغلاة في علي الذين خذلهم علي الاخايد وحرقهم بالنار ، منهم المختار بن ابي عبيد الذي قتله مصعب بن الزبير ادعى النبوة وتبعه خلق كثير

ثم ظهرت فتنة الجهمية واول من أظهرها الجعد بن درهم قتله خالد بن عبد الله القسري ، والصحابة رضي الله عنهم واتباعون والائمة متوافرون وقت ظهور مبادئ هذه البدع ، لم يلحقهم من ضلال هذه الفرق شناعة ولا غضاضة ، لانهم متمسكون بالكتاب والسنة ، منكرون لما خالف الحق

وصح من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « لا يأتي على الناس زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم » سمعته من نبيكم ﷺ وظهرت بدعة جهم بن صفوان في زمن أبي حنيفة وأفكرها وناظرهم ، وانتشرت في زمان الامام احمد رحمه الله تعالى والفقهاء وأهل الحديث . وامتنح الامام أحمد فتمسك بالحق وصبر ، وصنف العلماء رحمهم الله تعالى المصنفات الكبار في

الرد على الجهمية القائلين بخلق القرآن ، المعطلين لصفات الملك الديان ، كلاما
 احمدا في رده المعروف ، وابنه عبد الله وعبد العزيز الكنتاني في كتابه (الحيدة)
 ونبي بكر الاثرم والحلال وعثمان بن سعيد الدارمي ، وإمام الأئمة محمد بن خزيمة ،
 واللالكاثي وأبي عثمان الصابوني وقبلهم وبعدهم ممن لا يحصى ، وهذا كله انما هو
 في القرون الثلاثة المفضلة

ثم بعدها ظهرت كل بدعة : بدعة الفلاسفة وبدعة الرافضة وبدعة المعتزلة
 وبدعة المجبرة وبدعة اهل الحلول وبدعة اهل الاتحاد وبدعة الباطنية الاسماعيلية
 وبدعة النصيرية والقرامطة ونحوهم

وأما اهل السنة والجماعة فيردون بدعة كل طائفة من هؤلاء الطوائف بمحمد
 الله . فالأئمة متمسكون بالحق في كل زمان ومكان ، والبلد الواحد من هذه
 الاوصار يجتمع فيها اهل السنة واهل البدعة ، وهؤلاء يناظرون هؤلاء . ويناضلونهم
 بالمحجج والبراهين . وظهر معنى قول النبي ﷺ « خير القرون قري ثم الذين
 يلونهم ثم الذين يلونهم ، ثم انها تخاف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ،
 ويفعلون مالا يؤمرون ، فمن جاهدكم بیده فهو مؤمن ، ومن جاهدكم بلسانه فهو
 مؤمن ، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل »
 وقال ﷺ « بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء الذين
 يصلحون إذا فسد الناس » وفي رواية « يصلحون ما أفسد الناس »

وقد صنف العلماء رحمهم الله تعالى في بيان اثنتين والسبعين الفرقة عدة مصنفات
 وبينوا ما انتهكتها كل فرقة من بدعتها المخالفة لما عليه الفرقة الناجية ، وايس على
 الفرقة الناجية شناعة ولا نقص في مخالفة هذه الفرق لها . وانما ظهر فضل هذه الفرقة
 بتمسكها بالحق وصبرها على مخالفة هذه الفرق الكثيرة والاحتجاج بالحق ونصرتها
 وما ظهر فضل الامام أبي حنيفة والامام أحمد ومن قبلهما من الأئمة

ومن بعدها إلا بتمسكهم بالحق ونصرته وردهم الباطل . وما ضر شيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى وأصحابه حين أجلب عليهم أهل البدع وآذوهم بل أظهر الله بهم السنة وجعل لهم لسان صدق في الامة . وكذلك من قبلهم ومن بعدهم ، كشيخنا شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى لما دعا إلى التوحيد وبين أدلته وبين الشرك وما يبطله . وفيه قل الامام العلامة الاديب أبو بكر حسين بن غنام رحمه الله تعالى :

وعاد به نهج الغواية ظامسا وقد كان مسلوكا به الناس ترتع
وجرت به نجد ذبول افتخارها وحق لها بالالهي ترفع
فآثاره فيها سوام سوافر وأنواره فيها تضيء وتسطم
فهذا المعترض لو تصور وعقل لتبين له أن ما احتج به ينقلب حجة عليه

وقول المعترض « وإن كان قد ورد في حق أهل الحرمين فهذا ظاهر البطلان ، إذ هي مهبط الوحي ومنبع الايمان ، ولو قيل ان هذا الحديث وأمثاله ورد في ذم نجد وأهلها فقد ورد في ذمهم أحاديث كثيرة شهيرة منها قوله ﷺ « لا يزالون في شر من كتابهم إلى يوم القيامة »

(فالجواب) أن نقول : الاحاديث التي وردت في غربة الدين وحدوث البدع وظهورها لا تختص بمكة والمدينة ولا غيرها من البلاد ، والغالب ان كل بلد لا يخلو من بقايا متمسكين بالسنة فلا معنى لقوله : وان كان قد ورد في حق أهل الحرمين . والواقع يشهد لما قلنا

وقد حدث في الحرمين في أواخر عهد الصحابة رضي الله عنهم ، بل وفي وقت الخلفاء الراشدين ما هو معروف عند أهل العلم مشهور في السير والتاريخ ، وأول ذلك مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ثم وقعة الحرة

المشهوره، ومقتل ابن الزبير في مكة ، وما جرى في خلال ذلك من الفتن، وصارت الغلبة في الحرمين وغيرها لأهل الاهواء، فاذا كان هذا وقع في خير القرون، فما ظنك فيما بعد حين اشتدت غربة الاسلام وعاد المعروف منكراً والمذكر معروفاً؟
نشأ على هذا الصغير، وهرم عليه الكبير؟

وأما قوله : اذهي مهبط الوحي ومنبع الايمان

(فالجواب) ان نقول مهبط الوحي في الحقيقة قلب رسول الله ﷺ كما قال تعالى (نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين) وقال تعالى (بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) فهذا محل الوحي ومستقره وقوله : ومنبع الايمان

الايمان ينزل به الوحي من السماء لا ينبع من الارض ، ومحله قلوب المؤمنين، وهذه السور المسكية في القرآن معلومة التي نزلت على النبي ﷺ وأكثر من في مكة المشركون وفيها ذمهم والرد عليهم كقوله (وكذب به قومك وهو الحق) وقوله (وهم ينهون عنه وينؤنون عنه) وقوله (فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) ونحو هذه الآيات كما في فصلت والذثر وغيرها ثم هاجر النبي ﷺ وأصحابه الى المدينة وأهل الشرك لم يزالوا بها ومنعوا رسول الله ﷺ وأصحابه من دخولها - بالوحي ، وقتلوهم بيد واحد والخندق، وهم كانوا آخر العرب دخولا في الاسلام، حاشا من هاجر . وكل هذا بعد نزول الوحي ونحن بحمد الله لانكر فضل الحرمين بل ننكر على من أنكره ، ولكن، نقول الارض لا تقديس أحدا وانما يقديس المرء عمله ، فالمحل الفاضل قد يجتمع فيه المسلم والكافر وأهل الحق وأهل الباطل كما تقدم . فأهل الحق يزدادون بالعمل الصالح في المحل الفاضل لكثرة ثوابه ، وأهل الباطل لا يزيدهم ذل الا شرا ، تعظم فيه

سيئاتهم كما قال تعالى في حرم مكة (ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) فإذا كان هذا الوعيد في الارادة فعمل السوء أعظم، فالمعول عليه هو الايمان والعمل الصالح ومحله قلب المؤمن، والناس مجزيون بأعمالهم إن خير آخيره، وإن شرافشر

وقوله: ولو قيل ان هذا الحديث ورد في ذم نجد وأهلها الى آخره

(فأقول) الذم أنما يقع في الحقيقة على الحال لاعلى المحل، والا حادith التي وردت في ذم نجد كقوله ﷺ « اللهم بارك لنا في يمننا، اللهم بارك لنا في شامنا » قالوا وفي نجدنا قال « هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان » قيل انه أراد نجد العراق لان في بعض ألفاظه ذكر المشرق، والعراق شرقي المدينة، والواقع يشهد له لان نجد الحجاز، ذكره العلماء في شرح هذا الحديث، فقد جرى في العراق من الملاحم والفتن ما لم يجر في نجد الحجاز، يعرف ذلك من له اطلاع على السير والتاريخ كخروج الخوارج بها الذين قاتلهم امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقتل الحسين وفتنة ابن الاشعث وفتنة المختار وقد ادعى النبوة، وقتال بني أمية لمصعب بن الزبير وقتله، وما جرى في ولاية الحجاج بن يوسف من القتال وسفك الدماء وغير ذلك مما يطول عده

وعلى كل حال فالذم يكون في حال دون حال، ووقت دون وقت بحسب حال الساكن، لان الذم انما يكون للحال دون المحل وإن كانت الاماكن تفاضل، وقد تقع المداولة فيها فان الله يداول بين خلقه حتى في البقاع، فمحل معصية في زمن قد يكون محل طاعة في زمن آخر وبالعكس

وأما قول المعارض منها قوله ﷺ « لا يزالون في شر من كذابهم » (فالجواب) هذا من جملة كذبه على رسول الله ﷺ وجهله بالعالم لا يميز

بين الحديث وغيره ، وهذا الكلام ورد عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في نفر من بني حنيفة سكنوا الكوفة في ولاية ابن مسعود عليها ، وكانوا في مسجد من مساجدها ، فسمع منهم كفة تشعر بتصدق مسيلة ، فأخذهم عبدالله بن مسعود وقتل كبيرهم ابن النواحة وقال في الباقيين « لا يزالون في بلية من كذابهم » يعني ذلك النفر فلا يذم نجد بنفر أحدثوا حدثا في العراق ، وقد أفنى الله كل من حضر مسيلة في القرن الاول ولم يبق نجد من يصدق مسيلة الكذاب ، بل من كان في اواخر عهد الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم بنجد يكفرون مسيلة ويكذبونه فلم يبق بنجد من فتنه مسيلة لآعين ولا اثر . فلو ذم نجد بمسيلة بعد زواله وزوال من يصدقه لزم المن يخرج الاسود العنسي ودعواه النبوة

وما ضر المدينة سكنى اليهود فيها ، وقد صارت مهاجر رسول الله ﷺ وأصحابه ومقل الاسلام ، وما ذمت مكة بتكذيب أهلها الرسول ﷺ وشدة عدائهم له ، بل هي أحب أرض الله اليه ، فاذا كان الامر كذلك فافرض الليمامة لم تعص الله وانما ضرت المعصية ساكنيها بتصدقهم كذابهم ، وما طالت مدتهم على ذلك الكفر بحمد الله ، فظهر الله تلك البلاد منهم ، ومن سلم منهم من القتل دخل في الاسلام ، فصارت بلادهم بلاد اسلام ، بنيت فيها المساجد ، وأقيمت فيها الشرائع ، وعبد الله فيها في عهد الصحابة رضي الله عنهم وبعدهم ، ونفر كثير منهم مع خالد بن الوليد لقتل العجم ، فقاتلوا مع المسلمين ، فنال تلك البلاد من الفضل ما نال غيرها من بلاد اهل الاسلام ، على انها تفضل على كثير من البلاد بالحديث الذي رواه البخاري في صحيحه ان النبي ﷺ قال وهو بمكة لاصحابه « أريت دار هجرتكم » فوصفها ثم قال « فذهب وهي الى انها الليمامة او يئرب » ورؤيا النبي ﷺ وحي حق ، وكفى بهذا فضلا للليمامة وشرفا لها على غيرها ، فن ذهب وهله ﷺ في رؤياه اليها لا بد أن يكون له أثر في الخير يظهر ، فظهر ذلك

الفضل بحمد الله في القرن الثاني عشر ، فقام الداعي بها يدعو الناس الى مادعت اليه الرسل من افراد الله بالعبادة وترك عبادة ماسواه ، واقامة الفرائض والعمل بالواجبات ، والنهي عن مواقعة المحرمات ، وظهر فيها الاسلام اعظم من ظهوره في غيرها في هذه الازمان ، ولولا ذلك ماسب هؤلاء نجداً والليمة بمسيلة

إذا عرف ذلك فليعلم ان مسيلة ونبي حنيفة انما كنزوا ببحودهم بعض آية من كتاب الله جهلاً او عناداً ، وهذا المترض وأمثله جحدوا حقيقة ما بعث الله به رسله من التوحيد الذي دلت عليه الآيات المحكمات التي تفوت الحصر ، وعصوا رسول الله ﷺ بارتكاب ما نهى عنه من الغلو والشرك ، فجوزوا أن يدعى مع الله غيره . وقد نهى الله ورسوله عن ذلك في أكثر سور القرآن ، وجوزوا ان يستعان بغير الله . وقد نهى الله ورسوله عن ذلك وجوزوا الانجاء إلى الغائبين والاموات والرغبة اليهم ، وقد نهى الله ورسوله عن ذلك أشد النهي وجعلوا له شريكاً في ملكه وربوبيته كما جعلوا له شريكاً في الهيته ، وجعلوا له شريكاً في احاطة العلم بالمعلومات كليتها وجزئياتها . وقد قل تعالى مبيناً لما اختص به من شمول علمه (الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار * عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال - إلى قوله - له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه) الآيات . وهذه الاصول كلها في الفاتحة

يبين تعالى انه هو المختص بذلك دون كل من سواه في قوله (الحمد لله رب العالمين) اختصاص الله بالحمد لكمالته في ربوبيته وهيته وملكه وشمول علمه وقدرته وكمالته في ذاته وصفاته (رب العالمين) هو ربهم وخالقهم ورازقهم ومليكهم والمتصرف فيهم بحكمته ومشيتته ليس ذلك إلا له (مالك يوم الدين) فيه تفردة بالملك كقوله (يوم لا تأملك نفس انفس شيء * والامر يومئذ لله) وقوله (إياك نعبد

ويايك نستعين) فيه قصر العبادة عليه تعالى بجميع أفرادها وكذلك الاستعانة .
وفي (إياك نستعين) أيضا توحيد الربوبية .

وهذه الاصول أيضا في (قل أعوذ برب الناس) فهو ربهم ورازقهم والمتصرف فيهم والمدير لهم (ملك الناس) هو الذي له الملك كما في الحديث الوارد في الاذكار « لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » وقوله (إله الناس) هو مألوههم ومعبودهم لا معبود لهم سواه فأهل الايمان خصوه بالالهية ، وأهل الشرك جعلوا له شريكا لأنه بالعبادة كاللواء والاستعانة والاستغاثة والاتجاء والرغبة والتعاق عليه ونحو ذلك

وفي (قل يا أيها الكافرون) براءة النبي ﷺ من الشرك والمشركين (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون - إلى قوله - لكم دينكم ولي دين) فهذا هو التوحيد العملي وأساسه البراءة من الشرك والمشركين باطنا وظاهرا وفي (قل هو الله أحد) توحيد العلم والعمل

(قل هو الله أحد) يعني هو الواحد الاحد الذي لا نظير له ولا وزير ، ولا ند ولا شبهة ولا عدل ، ولا يطلق هذا اللفظ في الاثبات إلا على الله عز وجل لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله . وقواه (الله الصمد) قل عكرمة عن ابن عباس : يعني الذي يصمد الخلائق اليه في حوائجهم ومسائلهم

(قلت) وفيه توحيد الربوبية وتوحيد الالهية . وقال لاعش عن شقيق ابني وائل (الصمد) السيد الذي قد انتهى سؤدده ، وقال الحسن أيضا (الصمد) الحي القيوم الذي لا زوال له ، وقال الربيع بن أنس : هو الذي لم يلد ولم يولد ، كأنه جعل ما بعده تفسيرا له ، وقال سفيان عن منصور عن مجاهد (الصمد) المصمت الذي لا جوف له ، قال ابو القاسم الطبراني في كتاب السنة : وكل هذه صحيحة وهي صفات ربنا عز وجل

وقال مجاهد (ولم يكن له كفواً أحد) يعني لاصحابه له ؛ وهذا كما قال تعالى (بديع السموات والارض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم) أي هو مالك كل شيء وخالقه فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه، أو قريب يدانيه؟ تعالى وتقدس وتنزه

(قلت) فتدبر هذه السورة وما فيها من توحيد الالهية والربوبية وتنزيه الله عن الشريك والشبيه والنظير وما فيها من مجامع صفات كماله ونعوت جلاله ومن له بعض تصور يدرك هذا بتوفيق الله (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور)

* *

وأما قول المعارض على قول المجيب : ونوع الشرك جرى في زمن شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى « أقول : هذه البردة متقدمة على زمن شيخ الاسلام ولم ينقل عنه فيها كلمة واحدة

(فالجواب) تقدم البردة على زمن شيخ الاسلام إن كان كذلك فماذا يجدي عليه ؟ وما الحجة منه على جواز الشرك ؟

وأيضاً فشهادته هذه على شيخ الاسلام غير محصورة فلا تقبل ، وهو لم يطالع إلا على النزر اليسير من كلام شيخ الاسلام ولم يفهم معنى ما اطلع عليه ، وهو في شق وشيخ الاسلام في شق ، وليس في كلام شيخ الاسلام إلا ما هو حجة على هذا المعارض لكنه يتعلق في باطله بمثل خيط العنكبوت ، فان كان يقنعه كلام شيخ الاسلام رحمه الله تعالى المؤيد بالبرهان فقد تقدم من كلامه ما يكفي ويشفي في تمييز الحق من الباطل . وكلامه رحمه الله تعالى في أكثر كتبه يبين هذا الشرك وينكره ويرده ، كما قد رد على البكري حين جوز الاستغاثة بغير الله . ولا يشك من له أدنى مسكة من عقل وفهم أن كلام صاحب البردة داخل تحت كلام شيخ الاسلام في الرد عليه والانكار

وأنا أورد هنا جوابا لشيخ الاسلام عن سؤال من سأله عن نوع هذا الشرك وبعض أفراده ، فأتى بجواب عام شامل كلف وافي

قال السائل : ما قول علماء المسلمين فيمن يستنجد بأهل القبور ويطلب منهم إزالة الألم ، ويقول ياسيدي انا في حسيك ، وفيمن يستلم القبر ويمرغ وجهه عليه ، ويقول قضيت حاجتي ببركة الله وبركة الشيخ ونحو ذلك ؟

(الجواب) الحمد لله رب العالمين ، الدين الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه هو عبادة الله وحده لا شريك له واستعانت به والتوكل عليه ودعاؤه لحلب المنافع ودفع المضار كما قال تعالى (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص) الآيات . وقال (وان المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً) وقال (فادعوه مخلصين له الدين) وقوله (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً) الآيات

قال طائفة من السلف : كان أقوام بدعون المسيح وعزيراً والملائكة قال الله تعالى هؤلاء الذين تدعونهم عبادي يرجون رحمتي كما ترجون رحمتي ، ويخافون عذابي كما يخافون عذابي (فاذا كان هذا حال من يدعو الانبياء والملائكة فكيف بمن دونهم ؟ قال تعالى (ألحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء) الآية . وقال (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيها من شرك وما له منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له)

فبين سبحانه أن من دعي من دون الله من جميع المخلوقات الملائكة والبشر وغيرهم أنهم لا يملكون مثقال ذرة في ملكه وانه ليس له شريك في ملكه (له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) وانه ليس له عون كما يكون للملك أعوان وظهراء ، وأن الشفعاء لا يشفعون عنده إلا لمن ارتضى فنفى بذلك وجوه الشرك

وذلك ان من دعي من دونه إما ان يكون مالكا وإما أن لا يكون مالكا، وإذا لم يكن مالكا فاما أن يكون شريكاً، وإما أن لا يكون شريكاً، وإذا لم يكن شريكاً فاما ان يكون معاوناً، وإما ان يكون سائلاً طالباً

فاما الرابع فلا يكون إلا من بعد اذنه، كما قال تعالى (من ذا الذي يشفع عنده إلا بأذنه) وكما قال تعالى (وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وقال (ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون * قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون) وقال (ايس لهم من دونه ولي ولا شفيع) وقال (ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع) وقال (ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله — الى قوله — ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيا أمركم بالكفر بعد إذ انتم مسلمون)

فبين سبحانه ان من اتخذ الملائكة والنبيين أرباباً كان كافراً فكيف بمن اتخذ من دونهم من المشايخ وغيرهم أرباباً؟ فلا يجوز ان يقول الملك والنبى ولا لشيخ سواء كان حياً أو ميتاً : اغفر ذنبي وانصرني على عدوي أو اشف مريضى أو ما أشبه ذلك، ومن سأل ذلك مخلوقاً كائناً من كان فهو مشرك بربه من جنس المشركين الذين يعبدون الملائكة والانبيا والتمائيل التي يصورونها على صورهم ومن جنس دعاء النصرارى للمسيح وأمه، قال الله تعالى (واذا قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي آلهين من دون الله ؟ قال سبحانه ما يكون لي ان أقول ما ايس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب * ما قلت لهم الا ما أمرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم) الآية، وقال (اتخذوا احبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح

ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا الله واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) وان قل انا أسأله لانه أقرب الى الله مني ليشفع لي لاني اتوسل الى الله به كما يتوسل الى السلطان بخوصه واعوانه ، فهذا من افعال المشركين والنصارى فانهم يزعمون انهم يتخذون احبارهم ورهبانهم شفعاء يستشفعون بهم في مطالبهم ولذلك اخبر الله عن المشركين انهم قالوا (ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى) وقد قل سبحانه (ام اتخذوا من دون الله شفعاء — الى قوله — ترجعون) وقال (ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع افلا تذكرون) وقال (من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه)

فبين الفرق بينه وبين خلقه فان من عادات الناس ان يستشفعوا الى الكبير بمن يكرم عليه ، فيسأله ذلك الشفيع فيقضي حاجته إما رغبة وإما رهبة وإما حياء وإما غير ذلك ، فالله سبحانه لا يشفع عنده أحد حتى يأذن هو للشافع ، فلا يفعل إلا ما يشاء ، وشفاعة الشافع عن اذنه والامر كله له ، فالرغبة يجب أن تكون اليه كما قال تعالى (فاذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب) والرهبة تكون منه ، قال تعالى (فاي اي فارهبون) وقال (فلا تخشوا الناس واخشون) وقد امرنا ان نصلي على النبي ﷺ في الدعاء وجعل ذلك من أسباب اجابة دعائنا ،

وقول كثير من الضلال : هذا اقرب الى الله مني وانا بعيد منه لا يمكن ان ندعوه الا بهذه الوساطة ومحو ذلك هو من قول المشركين ، فان الله تعالى يقول (واذا سألك عبادي غني فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعاني) . وقد روي ان الصحابة رضي الله عنهم قالوا : يا رسول الله ، ربنا قريب فنناجيه ، أم بعيد فنناديه ؟ فنزلت الآية . وقد أمر الله تعالى العباد كلهم بالصلاة له ومناجاته وأمر كلا منهم أن يقول (اياك نعبد واياك نستعين)



ثم يقال لهذا المشرك : أنت اذا دعوت هذا فان كنت تظن انه أعلم بحالك

أو يقدر على اجابة سؤالك أو أرحم بك من ربك - فهذا جهل وضلال وكفر .
وان كنت تعلم ان الله تعالى أعلم وأقدر وأرحم فلماذا عدلت عن سؤاله الى سؤال غيره ؟ وان كنت تعلم انه أقرب الى الله منك وأعلى منزلة عند الله منك فهذا حق أريد به باطل ، فانه اذا كان أقرب منك وأعلى درجة فان معناه أن يثيبه ، ويعطيه ليس معناه إنك اذا دعوته كان الله يقضي حاجتك أعظم مما يقضيها اذا دعوته أنت ، فانك ان كنت مستحقاً للعقاب ورد الدعاء فالنبي والصالح لا يعين على ما يكرهه الله ولا يسعى فيما يبغضك اليه ، وان لم يكن كذلك فالله أولى بالرحمة والقبول منه .

فان قلت : هذا اذا دعا الله أجاب دعاءه أعظم مما يجيب اذا دعوته أنا ، فهذا هو القسم الثاني ، وهو ان يطلب منه الفعل ولا يدعوه ، ولكن يطلب أن يدعوله ، كما يقال للحي : ادع لي وكما كان الصحابة يطالبون من النبي ﷺ الدعاء فهذا مشروع في الحي . وأما الميت من الانبياء والصالحين وغيرهم فلم يشرع لنا أن نقول : ادع لنا ولا اسئلكم ربك ونحو ذلك ، ولم يفعل ذلك احد من الصحابة والتابعين ولا امر به احد من الائمة ولا ورد في ذلك حديث ، بل الذي ثبت في الصحيح انهم لما أجذبوا زمن عمر استسقى بالعباس رضي الله عنهما فقال : اللهم إنا كنا اذا أجذبنا نتوسل اليك بنبيينا فتسقينا ، وإنا نتوسل اليك بعم نبيينا فاسقنا فيسقون ، فلم يجيبوا الى قبر النبي ﷺ قائلين : يا رسول الله ادع الله أو استسق لنا ونحن نشكو اليك ما أصابنا ونحو هذا ، ولم يقله احد من الصحابة قط ، بل هو بدعة ما أنزل الله بها من سلطان ، بل كانوا اذا جاءوا عند قبر النبي ﷺ يسألون عليه ثم اذا ارادوا الدعاء لم يدعوا الله مستقبلي القبر بل ينحرفون فيستقبلون القبلة ويدعون الله وحده لا شريك له كما كانوا يدعونه في سائر البقاع .
وفي الموطأ وغيره ان النبي ﷺ قال « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد ،

اشدد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد « وفي السنن أيضاً انه قال
« لاتتخذوا قبوري عيداً ، وصلوا عليّ حينما كنتم ، فان صلاتكم تبلغني »

وفي الصحيح انه قال في مرضه الذي لم يقم منه « لعن الله اليهود والنصارى
اتخذوا قبور انبيائهم مساجد » يحذر مافعلوا . قالت عائشة رضي الله عنها : ولولا
ذلك لأبرز قبره لكن خشيت أن يتخذ مسجداً ، وفي سنن أبي داود عنه انه قال
« لعن الله زوارات القبور واتخذن عليها المساجد والسرج » ولهذا قال العلماء
لا يجوز بناء المساجد على القبور ، وقالوا: انه لا يجوز ان ينذر لقبر ولا للجوارين
عند القبر شيئاً ، لا من دراهم ولا زيت ولا شمع ولا حيوان ولا غير ذلك ، كله
نذر معصية . ولم يقل احد من أئمة المسلمين ان الصلاة عند القبور وفي المشاهد
مستحبة ، ولا أن الدعاء هناك افضل ، بل اتفقوا كلهم على ان الصلاة في المساجد
وفي البيوت افضل من الصلاة عند قبر لا قبر نبي ولا صالح سواء سميت مشاهد
ام لا . وقد شرع الله ذلك في المساجد دون المشاهد ، وقل (ومن اظلم ممن منع
مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها) ولم يقل في المشاهد ، وقال تعالى
(قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) وقال (انما يعمر مساجد
الله من آمن بالله واليوم الآخر) الآية

وذكر البخاري في صحيحه والطبري وغيره في تفاسيرهم في قوله تعالى (وقالوا
لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا وداً ولا سواها ولا يعوث ويعوق ونسرا) قالوا : هذه
اسماء قوم صالحين في قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم طال عليهم الامل
فاتخذوا تماثيلهم اصناماً . فاعكفوا على القبور والتمسح بها وتقبيلها والدعاء عندها
هو أصل الشرك وعبادة الاوثان ، ولهذا اتفق العلماء على أن من زار قبر النبي ﷺ
او قبر غيره من الانبياء والصالحين فانه لا يتمسح به ولا يقبله . وليس في الدين
ما شرع تقبيله الا الحجر الاسود

وقد ثبت في الصحيحين ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : والله اني لأعلم انك حجر لا تنصر ولا تنفع ، ولولا اني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك . ولهذا لا يسن أن يقبل الرجل ويستلم ركني البيت اللذين يليان الحجر ولا جدران البيت ولا مقام ابراهيم ولا صخرة بيت المقدس ، ولا قبر أحد من الانبياء والصالحين اهـ

وقال رحمه الله تعالى في الرد على البكري — بعد كلام له سبق : لكن من هو الذي جعل الاستغاثة بالخلق ودعائه سببا في الامور التي لا يقدر عليها الا الله ؟ ومن الذي قال انك اذا استغثت بميت او غائب من البشر ، نبياً كان أو غير نبي ، كان ذلك سبباً في حصول الرزق والنصر والهدى وغير ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله ؟ ومن الذي شرع ذلك وأمر به ؟ ومن الذي فعل ذلك من الانبياء والصحابة والتابعين لهم باحسان ؟ فان هذا المقام يحتاج الى مقدمتين : (احدهما) ان هذه اسباب لحصول المطالب التي لا يقدر عليها الا الله (والثانية) ان هذه الاسباب مشروعة لا يحرم فعلها ، فانه ليس كل ما كان سبباً كونياً يجوز تعاطيه — إلى أن قال — وهذا المقام مما يظهر به ضلال هؤلاء المشركين خلقاً وأمرأ ، فانهم مطالبون بالدلة الشرعية على أن الله شرع لخلقهم ان يسألوا ميتاً او غائباً وأن يستغثوا به ، سواء كان ذلك عند قبره أو لم يكن عند قبره ، بل نقول : سؤال الميت والغائب نبياً كان او غير نبي من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين ، لم يأمر الله به ولا رسوله ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم باحسان ولا استجبه احد من أئمة المسلمين ، وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين المسلمين ، فان أحدا منهم ما كان يقول إذا نزلت به شدة ، أو عرضت له حاجة لميت يا سيدي فلان أنا في حسبك ، او اقض حاجتي ، كما يقوله بعض هؤلاء المشركين لمن يدعوهم من الموتى والغائبين ولا أحد من الصحابة استغاث بالنبي

ﷺ بعد موته ولا بغيره من الانبياء، لا عند قبورهم ولا إذا بعدوا عنها، بل ولا أقسم بمخلوق على الله أصلاً، ولا كانوا يقصدون الدعاء عند قبور الانبياء ولا قبور غير الانبياء ولا الصلاة عندها. وقد كره العلماء كمالك وغيره ان يقوم الرجل عند قبر النبي ﷺ يدعول نفسه وذكروا ان هذا من البدع التي لم يفعلها السلف وأما ما يروى عن بعضهم انه قال: قبر معروف الترياق المحرب، وقول بعضهم: فلان يدعى عند قبره. وقول بعض الشيوخ: اذا كانت لك حاجة فاستغث بي، او قال استغث عند قبري، ونحو ذلك، فان هذا قد وقع فيه كثير من المتأخرين وأتباعهم: ولكن هذه الامور كلها بدع محدثة في الاسلام بعد القرون الثلاثة المفضلة وكذلك المساجد المبنية على القبور التي تسمى المشاهد محدثة في الاسلام، والسفر اليها محدث في الاسلام لم يكن شيء من ذلك في القرون الثلاثة المفضلة، بل ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ انه قال « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد » يحذر ما فعلوا — قالت عائشة رضي الله عنها: ولولا ذلك لأبرز قبره ولكن كره ان يتخذ مسجداً. وثبت في الصحيح عنه انه قال: ان يموت بخمس « ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك » وقد تقدم أن عمر لما أجذبوا استسقى بالعباس فقال: اللهم انا كنا اذا أجذبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا، فيسقون. فلم يذهبوا إلى القبور ولا توسلوا بميت ولا غائب، بل توسلوا بالعباس وكان توسلهم به توسلاً بدعاً كالاتمام مع الامام ومعه وهذا تعذر بموته

فأما قول القائل: عن ميت من الانبياء والصالحين اللهم اني أسئلك بفلان او بجاه فلان او بجرمة فلان، فهذا لم ينقل لا عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة ولا التابعين وقد نص غير واحد من العلماء انه لا يجوز، فكيف يقول القائل لميت انا استغث بك وأستجير بك وانا في حسبك، او سألني الله ونحو ذلك؟

٢٧٦ الانبياء والصالحون لم يعبدوا الا بعد موتهم لمنعمهم ذلك في حياتهم

فتبين ان هذا ليس من الاسباب المشروعة لو قدر ان له تأثيراً فكيف اذا لم يكن له تأثير صالح؟ وذلك ان من الناس الذين يستغيثون بغائب او ميت من تتمثل له الشياطين وربما كانت على صورة ذلك الغائب ، وربما كلمته ، وربما قضت له أحياناً بعض حوائجه ، كما تفعل شياطين الاصنام ، فان أحداً من الانبياء والصالحين لم يعبد في حياته إذ هو ينهي عن ذلك . وأما بعد الموت فهو لا يقدر ان ينهي فيفضي ذلك إلى اتخاذ قبره وثناً يعبد . ولهذا قال النبي ﷺ « لا تتخذوا قبوري عيداً الخ » وقال « اللهم لا تجعل قبوري وثناً يعبد »

وقال غير واحد من السلف في قوله تعالى (وقلوا لا نذرنا آلهتكم) الآية ان هؤلاء كانوا قوماً صالحين في قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الاملد فعبدوهم . ولهذا المعنى لعن النبي ﷺ الذين اتخذوا قبور الانبياء والصالحين مساجد . انتهى ملخصاً

وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن الزبير انه رأى قوماً يمسحون المقام فقال: لم تؤمروا بهذا ، انما أمرتم بالصلاة عنده

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة في قول الله تعالى (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) قال : انما أمروا ان يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه ، ولقد تكلفت هذه الامة أشياء ما تكلفته الامم قبها

فاذا كان المعترض يستدل بكلام شيخ الاسلام فهذا صريح كلامه المؤيد بالادلة والبراهين ، وكلام العلماء كمثل كلام شيخ الاسلام في هذا المعنى كثير جداً لو ذكرناه لطلال الجواب

واما قول المعترض : بل مدح الصرصري واثني عليه بقوله : قال الفقيه الصالح يحيى بن يوسف الصرصري في نظمه المشهور

(فالجواب) ان هذا من جملة أكاذيب المعترض على شيخ الاسلام وغيره

وقد كذب على الافئدة والشقاء، وليس في الكتابين إلا ما يبطل قوله . وفي الحديث « ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ما شئت » وإلا فكلام شيخ الاسلام في رد ما يقوله الصرصري وانكاره موجود بحمد الله
قال رحمه الله تعالى في رده على البكري بعد وجهين ذكرهما :

(الثالث) انه أدرج سؤاله أيضاً في الاستغاثة به وهذا جائز في حياته ولكنه خطأ في التسوية بين الحيا والمات، وهذا ما علمته ينقل عن أحد من العلماء ولكنه موجود في كلام بعض الناس مثل الشيخ يحيى الصرصري ففي شعره قطعة، وكحمد ابن النعمان وهؤلاء لهم صلاح ودين ولكنهم ليسوا من أهل العلم العالمين بمدارك الاحكام الذين يؤخذ بقولهم في شرائع الاسلام وليس معهم دلائل شرعية ولا نقل عن عالم مرضي، بل عادة جروا عليها كما جرت عادة كثير من الناس بانه يستغاث بشيخه في الشدائد ويدعوه، وأكثر منه من يأتي إلى قبر الشيخ يدعوه ويدعو به ويدعو عنده وهؤلاء ليس لهم مستند شرعي من كتب أو سنة أو قول عن الصحابة والائمة وليس عندهم إلا قول طائفة أخرى: قبر معروف تريق بحرب والدعاء عند قبر الشيخ محباب ونحو ذلك، ومعهم: أن طائفة استغاثوا بحبي أو ميت فرأوه قد أتى في الهواء وقضى بعض تلك الحوائج. وهذا كثير واقع في المشركين الذين يدعون للملائكة والانبياء والصالحين أو الكواكب والاثان فان الشياطين كثيراً ما تمثل لهم فيرونها وقد تخاطب أحدهم ولا يراها، ولو ذكرت ما علم من الوقائع الموجودة في زماننا لطال المقال، وكما كان يقوم أعظم جهلا وضلالا كانت هذه الاحوال الشيطانية عندهم أكثر، وقد يأتي الشيطان أحدهم بمال أو طعام أو لباس أو غير ذلك. وهو لا يرى أحداً أتاه به فيحسب ذلك كرامة وانما هو من الشيطان وسببه شركه بالله وخروجه عن طاعة الله ورسوله إلى طاعة الشيطان فأضاتهم الشياطين بذلك كما كانت تضل عباد الاصنام . انتهى ما ذكره شيخ

الاسلام رحمه الله تعالى من انكاره ما في شعر الصرصري وغيره من هذه الامور
الشركية وبيان اسبابها



وأما قول المعترض : وفيه توسل عظيم ان لم يزد على قول صاحب البردة
لم ينقص عنه .

(فالجواب) ان هذا من عدم بصيرته وكبير جهله ، فان من له أدنى معرفة
وفهم يعلم ان بين قول صاحب البردة وقول الصرصري في أبياته تفاوتاً بعيداً
فقد نبهنا على ما يتضمنه كلام صاحب البردة من قصر الآهية والربوبية والملك
وشمول العلم على عبد شرفه الله بعبوديته ورسالاته ودعوة الخلق الى عبادته وحده
وجهاد الناس على ذلك وبلغ الأمة ما أنزله الله تعالى عليه في الآيات المحكمات من
تجريد التوحيد والنهي عن الشرك ووسائله كما قدمنا الاشارة اليه

وأما الصرصري ففي كلامه التوسل بالنبي ﷺ والاستغاثة به، لكن لا قصر
ولا حصر الاستغاثة والاستغاثة في جانب المخلوق ، وقد أنكره شيخ الاسلام
رحمه الله تعالى وذكر انه لا دليل من كتاب ولا سنة عليه ولا قل به أحد من
الصحابة والتابعين والائمة ، وقد بين رحمه الله تعالى ان استغاثة الحي بالحي انما
هو بدعته وشفاعته . وأما الميت والغائب فلا يجوز ان يستغاث به ، وكذلك الحي
فما لا يقدر عليه إلا الله ، وان اهل الاشرار ليس معهم إلا الجهل والهوى وعوائد
نشؤا عليها بلا برهان ، وقد عرفت ان هذا المعترض لم يأت إلا بشبهات واهية
وحكايات سوفسطائية أو منمات تضليلية كما قل كعب ابن زهير :

فلا يفرنك مامنت وما وعدت ان الاماني والاحلام تضليل

وليس مع هؤلاء المشركين إلا دعوى مجردة محشوة بالكاذب ، وليس
معهم بحمد الله دليل من كتاب أو سنة أو قول واحد من سلف الأمة وأئمتها

وقد جئناهم بأدلة الكتاب والسنة وما عليه الصحابة والأئمة ولو استقصينا ذكر الأدلة وبسط القول لا احتمال مجلدًا ضخمًا

وسبب الفتنة بقصائد هؤلاء المتأخرين كقصائد البوصيري والبرعي واختيارها على قصائد شعراء الصحابة كحسان بن ثابت وكعب بن مالك وكعب بن زهير وغيرهم من شعراء الصحابة رضي الله عنهم ، وفيها من شواهد اللغة والبلاغة ما لم يدرك هؤلاء المتأخرون منه عشر العشار ، وما ذاك إلا لأن قصائد هؤلاء المتأخرين تجاوزوا فيها الحد إلى ما يكرهه الله ورسوله ، فزينها الشيطان في نفوس الجهال والضلال فمالت إليها نفوسهم عن قصائد الصحابة التي ليس فيها إلا الحق والصدق وما قصرُوا فيها جهدهم عما يصلح أن يمدح به رسول الله ﷺ وتحروا فيها ما يرضيه وتجنبوا ما يسخطه ﷺ وما نهى عنه من الغلو . فما أشبه هؤلاء بقول أبي الوفاء بن عقيل - وهو في القرن الخامس : لما صعبت التكليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم . قال : وهم عندي كفار بهذه الأوضاع - إلى آخره

ومما يتعين أن نختم به هذا الجواب فصل ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى ونفعنا بعلمه ، قال - بعد أن ذكر زيارة الموحدين للقبور وإن مقصودها ثلاثة أشياء :

(أحدها) تذكير الآخرة والاعتبار والانعاظ (الثاني) الإحسان إلى الميت وأن لا يطول عهده به فيتناساه ، فإذا زاره وأهدى إليه هدية من دعاء أو صدقة ازداد بذلك سروره وفرحه ، ولهذا شرع النبي ﷺ للزائر أن يدعو لأهل القبور بالمغفرة والرحمة ويسأل لهم العافية فقط ، ولم يشرع أن يدعوهم ولا يدعوهم ولا يصلي عندهم (الثالث) إحسان الزائر إلى نفسه باتباع السنة والوقوف عند ما شرعه الرسول ﷺ

وأما الزيارة الشركية فأصلها مأخوذ عن عباد الاصنام ، قالوا: الميت العظيم الذي لروحه قرب ومزية عند الله تعالى لا يزال تأتيه الالطاف من الله تعالى وتفيض على روحه الخيرات ، فاذا علق الزائر روحه به وأدناها منه فاض من روح المزور على روح الزائر من تلك الالطاف بواسطتها كما ينعكس الشعاع من المرآة الصافية والماء على الجسم المقابل له، قالوا: فتمام الزيارة أن يتوجه الزائر بروحه وقلبه الى الميت ويعكف بهيمته عليه ويوجه قصده كله واقباله عليه بحيث لا يبقى فيه التفات الى غيره . وكما كان جمع القلب والهمة عليه أعظم كان أقرب الى الانتفاع به . وقد ذكر هذه الزيارة ابن سينا والفارابي وغيرهما وصرح بها عباد الكواكب في عبادتها ، وهذا بعينه هو الذي أوجب لعباد القبور اتخاذها أعيادا وتعليق الستور عليها وإيقاد السرج وبناء المساجد عليها، وهو الذي قصد رسول الله ﷺ إبطاله ومحوه بالكلمة وسد الذرائع المفضية اليه ، فوقف المشركون في طريقه وناقضوه في قصده . وكان رسول الله ﷺ في شق وهؤلاء في شق ، وهذا الذي ذكره هؤلاء في زيارة القبور والشفاعة التي ظنوا ان آلهتهم تنفعهم بها وتشفع لهم عند الله ، قالوا فان العبد اذا تعلقت روحه بروح الوجيه المقرب عند الله وتوجه بهيمته اليه وعكف بقلبه عليه صار بينه وبينه اتصال يفيض عليه نصيب مما يحصل له من الله ، وشبهوا ذلك بمن يخدم ذا جاه وحظوة وقرب من السلطان وهو شديد التعلق به فما يحصل لذلك من السلطان من الانعام والافضال ينال ذلك التعلق به بحسب تعلقه به ، فهذا سر عبادة الاصنام ، وهو الذي بعث الله رسله وأنزل كتبه بإبطاله وتكفير أحبابه واعينهم وأباح دماءهم وأموالهم وسبي ذراريهم وأوجب لهم النار .

والقرآن من أوله الى آخره مملوء من الرد على أهله وابطال مذهبهم، قال الله تعالى (أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون *

قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون) فأخبر ان الشفاعة لمن له ملك السموات والارض وهو الله وحده وهو الذي يشفع بنفسه الى نفسه ليرحم عبده فيأذن هو لمن يشاء أن يشفع فيه

فصارت الشفاعة في الحقيقة انما هي له ، والذي يشفع عنده انما يشفع باذنه وأمره بعد شفاعته سبحانه الى نفسه وهي ارادته من نفسه أن يرحم عبده ، وهذا ضد الشفاعة الشريكية التي أثبتناهؤلاء المشركون ومن وافقهم ، وهي التي أبطلها الله سبحانه وتعالى بقوله (واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة) وقوله (من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة) وقال (وأنبذ به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع)

وأخبر سبحانه أنه ليس للعباد شفيع من دونه بل اذا أراد سبحانه رحمة لعبده أذن هو لمن يشفع فيه كما قل تعالى (ما من شفيع الا من بعد اذنه) وقال (من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه) فالشفاعة باذنه ليست شفاعة من دونه ولا الشافع شفيع من دونه بل يشفع باذنه ، والفرق بين الشفيعين كالفرق بين الشريك والعبد المأمور ، فالشفاعة التي أبطلها شفاعة الشريك فانه لا شريك له والتي أثبتها شفاعة العبد المأمور الذي يشفع ولا يتقدم بين يدي مالكة حتى يأذن له ويقول أشفع في فلان

ولهذا كان أسعد الناس بشفاعة سيد الشفعاء يوم القيامة اهل التوحيد الذين جردوا التوحيد وخلصوه من تعلقات الشرك وشوائبه ، وهم الذين ارتضى الله سبحانه . قال تعالى (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) وقال تعالى (يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضي له قولا) فأخبر انه لا تحصل يومئذ شفاعة تنفع إلا بعد رضا قول المشفوع له واذنه للشافع ، فاما المشرك فانه لا يرضاه ولا

يرضى قوله ، فلا يأذن للشفعاء أن يشفعوا فيه فانه سبحانه علقها بامر من رضاه عن المشفوع له واذنه للشافع . فلم يوجد مجموع الامرين لم توجد الشفاعة
وسر ذلك ان الامر كله لله وحده ، فليس لاحد معه من الامر شي ، واعلى الخلق وأفضلهم وأكرمهم عنده هم لرسول والملائكة القربون وهم عبيد محض لا يسبقونه بالقول ، ولا يتقدمون بين يديه ، ولا يفعلون شيئا إلا من بعد إذنه لهم ، ولا سيما يوم لا تملك نفس لنفس شيئا فهم مملوكون مردوبون ، أفعالهم مقبدة بأمره واذنه ، فاذا أشر بهم به المترك واتخذهم شفعاء من دونه ظنا منه انه إذا فعل ذلك تقدموا وشفعوا له عند الله فهو من اجهل الناس بحق الرب سبحانه وما يجب له ويمتنع عليه . فان هذا محال ممنوع يشبه قياس الرب سبحانه على المملوك والكبراء ، حيث يتخذ الرجل من خواصهم وأولياهم من يشفع له عندهم في الخواص . وبهذا القياس الفاسد عبدت لاصنام ، واتخذ المشركون من دون الله الشفعين والولي . والفرق بينهما هو الفرق بين الخلق والمخلوق ، والرب والمردوب ، والسيد والعبد والمالك والمملوك والغني والفقير ، ولذي لاحتاج به إلى أحد قط ، والمحتاج من كل وجه إلى غيره

فالشفعاء عند المخلوقين هم شركاؤهم فان قيام مصالحهم بهم وهم أعوانهم وأنصارهم الذين قيام أمر الملوك والكبراء بهم ، ولولا هم لما انبسطت أيديهم وألسنتهم في الناس فلحاجتهم اليهم يحتاجون إلى قبول شفاعتهم ، وان لم يأذنوا فيها ولم يرضوا عن الشافع لانهم يخافون أن يردوا شفعتهم فتقص طاعتهم لهم ويذهبون إلى غيرهم فلا يجدون بدا من قبول شفاعتهم على الكره والرضا

فاما الذي غناه من لوازم ذاته وكل ماسواه فقير اليه لذاته ، وكل من في السموات والارض عبيد له مقهورون لقهره ، مصرفون بمشيئته ، لو أهلكهم جميعا لم ينقص من عزه وسلطانه وملكوته وربوبيته والهيته مثقل ذرة . قال تعالى

(لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم ، قل فمن يملك من الله شيئا إن اراد أن يهلك المسيح بن مريم وامه ومن في الارض جميعا والله ملك السموات والارض) وقل في سيدة آي القرآن آية الكرسي (له مافي السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه) وقال (قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض) فأخبر ان ملكه السموات والارض يوجب أن تكون الشفاعة كلها له وحده ، وان أحداً لا يشفع عنده إلا باذنه ، فانه ليس بشريك بل مملوك محض بخلاف شفاعة اهل الدنيا بعضهم عند بعض

فتبين ان الشفاعة التي نفاها الله سبحانه في القرآن هي هذه الشفاعة الشريكة التي يفعلها بعضهم مع بعض . ولهذا يطلق نفيها تارة بناء على أنها هي المعروفة عند الناس ، ويقيدھا تارة بأنها لا تنفع إلا باذنه . وهذه الشفاعة في الحقيقة هي منه فانه الذي أذن والذي قبل والذي رضي عن المشفوع ، والذي وفقه لفعل ما يستحق به الشفاعة وقوله

فمتخذ الشفيع لا تنفعه شفاعته ولا يشفع فيه ، ومتخذ الرب وحده الهه ومعبوده ومحبوه ومرجوه وخوفه الذي يتقرب اليه وحده ويطلب رضاه ، ويتباعد من سيخطه هو الذي يأذن الله سبحانه للشفيع أن يشفع له ، قل تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله * قل اتنبثون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون) فبين سبحانه وتعالى ان متخذي الشفعاء مشركون ، وان الشفاعة لا تحصل باتخاذهم ، وسر الفرق بين الشفاعتين ان شفاعة المخلوق للمخلوق وسؤاله للمشفوع عنده لا يفتقر فيها إلى المشفوع عنده لخلقاً ولا أمراً ولا اذناً ، بل هو سبب محرك له من خارج كسائر الاسباب ، وهذا السبب المحرك قد يكون عند المحرك لاجله ما يوافقه كمن يشفع عنده في أمر يحبه ويرضاه ، وقد يكون

عنده ما يخالفه كمن يشفع اليه في أمر يكرهه ، ثم قد يكون سؤاله وشفاعته أقوى من المعارض فيقبل شفاعته الشافع ، وقد يكون المعارض الذي عنده أقوى من شفاعته الشافع فيردها ، وقد يتعارض عنده الامران فيبقى متردداً بين ذلك المعارض الذي يوجب الرد ، وبين الشفاعه التي تقتضي انقبول فيتوقف الى ان يرجح عنده أحد الامرين يرجح وهذا بخلاف الشفاعه عند الرب سبحانه وتعالى ، فانه ما لم يخلق شفاعه الشافع ويأذن له فيها ويحبها منه ويرضى عن الشافع لم يمكن ان توجد ، والشافع لا يشفع عنده بمجرد امثال أمره وطاعته له . فهو مأمور بالشفاعة مطيع بامثال الامر ، فان أحداً من الانبياء والملائكة وجميع المخلوقات لا يتحرك بشفاعة ولا غيرها إلا بمشيئة الله وخالقه

فالرب تعالى هو الذي يحرك الشفيع حتى يشفع ، والشفيع عند المخلوق هو الذي يحرك المشفوع اليه حتى يقبل ، والشافع عند المخلوق مستغن عنه في أكثر أموره ، وهو في الحقيقة شريكه ولو كان مملوكه وعبد ، فالمشفوع عنده محتاج اليه فيما يناله من النفع والضرر والمعاونة وغير ذلك . كما ان الشافع محتاج اليه فيما يناله من رزق أو نصر أو غيره فكل منهما محتاج الى الآخر

ومن وفقه الله نفهم هذا الموضوع تبين له حقيقة التوحيد والشرك والفرق بين ما اثبتته الله من الشفاعه وما نفاه وأبطله . ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ، ومن له خبره بما بعث الله به رسوله وبما عليه أهل الشرك والبدع اليوم علم ان بين السلف وبين هؤلاء الخلف من البعد أبعد مما بين المشرق والمغرب ، وانهم على شيء والسلف على شيء كما قيل :

سارت مشرقه وسرت مغربا شتان بين مشرق ومغرب

والامر والله أعظم مما ذكرناه انتهى .

وبه كل الجواب ، والحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لعبادته ، وما كنا

لننهتدي لولا ان هداانا الله ، وصلى الله على سيد المرسلين ، وامام المتقين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وسلم تسليماً كثيراً .

تم نسخ ذلك في ٥ رمضان سنة ١٣٤٦ ، بقلم الفقير الى الله
عبد الله بن ابراهيم الربيعي ، ذفر الله له ولوالديه ولجميع
المسلمين خصوصاً أهل هذه الدعوة النجدية ، والطريقة
المحمدية ، أئمتنا ومشائخنا ، عليهم الرضوان
والرحمة ماتعاقب الملوان ، ونطقت
شفة ولسان
آمين



كِتَابُ
المُورِدِ الْعَذِيبِ الزَّلَالِ
فِي كَشْفِ شِبَاهِ الضَّلَالِ

تَأْلِيفُ

شَيْخَنَا وَإِمَامَنَا، نَاصِرِ السَّنَةِ وَقَامِعِ الْبِدْعَةِ
الْشَيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الشَّيْخِ حَسَنِ بْنِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ
أَجْزَلَ اللَّهِ لَهُمُ الْأَجْرَ وَالْثَوَابَ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله معز الاسلام بنصره ، ومنزل الشرك بقهره ، ومصرف الامور
بأمره ، ومستدرج العاصين بكمكره ، الذي أظهر دينه على الدين كله ، انقاهر فوق
عباده فلا يمانع ، الظاهر على خلقه فلا ينازع ، الحكيم فيما يريد فلا يدافع
أحمده على إعزازه لأوليائه ، ونصرته لأفصاره وخفضه لأعدائه ، حمد من
استشعر الحمد باطن سره وظاهر جهاره . وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك
له الا أحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد شهادة من طهر بالتوحيد
قلبه ، وأرضى بالمعاداة فيه والموا لا ذر به ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله رافع الشك
وخافض الشرك ، وقامع الكذب والافك ، اللهم صل على محمد وآله وصحبه
وسلم تسليماً كثيراً

(وبعد) فاعلم أيها الطالب للسلامة ، الساعي في أسباب تحصيل الفوز والكرامة ،
أنني وقفت على رسالة لمن لم يسم نفسه ، مشعرة بأنه من بلاد الخرج^(١) متضمنة لأنواع
من الكذب والمرج ، جامعة لأموار من الباطل لا يسع مسلماً السكوت عليها خشية
أن يفتن بها بعض الجاهلين فيعتمد عليها ، فان كل عصر لا يخلو من قائل بلا علم ،
ومتكلم بغير إصابة ولا فهم

وقد جعل الله في كل زمان فترة ، بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ،
ويبصرون بدين الله أهل العمى ، ويحيون بكتاب الله الموتى ، فكم من قتيل
لا بليس قد أحيوه ، وتائه ضال قد هدوه ، فما احسن أثرهم على الناس وما اقبح
أثر الناس عليهم

وقد عنّ لي الجواب ، لتمييز الخطأ من الصواب ، فلا بد من ذكر مقدمة نافعة لتكون هي المقصودة بالذات رجاء أن تكون سبباً موصلاً إلى رضوان الله ، يستبصر بها طالب الهدى من عباد الله ، وذلك بتوفيق الله الذي لا إله سواه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله

اعلم أيها المنصف أن دين الله القويم ، وصراطه المستقيم ، إنما يتبين بمعرفة أمور ثلاثة هي مدار دين الاسلام ، وبها يتم العمل بأدلة الشريعة والاحكام ، ومتى اختلت وتلاشت وقع الخلل في ذلك النظام

(الامر الاول) أن تعلم أن أصل دين الاسلام وأساسه ، وعماد الايمان ورأسه ، هو توحيد الله تعالى الذي بعث به المرسلين ، وأنزل به كتابه المحكم المبين ، قال تعالى (الر * كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير * أن لا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير) وهذا هو مضمون شهادة ان لا اله الا الله . فان أصل دين الاسلام ان لا يعبد الا الله وان لا يعبد الله إلا بما شرع ، لا بالالهواء والبدع وقد قال شيخنا رحمه الله تعالى إمام الدعوة الاسلامية ، والداعي الى الملة الحنيفية : اصل دين الاسلام وقاعدته امران : الامر بعبادة الله وحده والتحريض على ذلك والموالاته فيه ، وتكفير من تركه . والنهي عن الشرك بالله في عبادته والتغليظ فيه والمعاداة فيه وتكفير من فعله . والمخالف في ذلك انواع ذكرها رحمه الله تعالى وهذا التوحيد له اركان وفروع ومقتضيات وفرائض ولوازم لا يحصل الاسلام الحقيقي على السكال والتمام الا بالقيام بها علماً وعملاً . وله نواقض وبطلات تنافي ذلك التوحيد

فن اعظمها امور ثلاثة (الاول) الشرك بالله في عبادته كدعوة غير الله ، ورجائه والاستعانة به والاستغاثة به والتوكل عليه ونحو ذلك من انواع العبادة ، فن صرف منها شيئاً لعبر الله كفر ولم يصح له عمل . وهذا الشرك هو أعظم

محبطات الاعمال كما قال تعالى (ولو اشركوا لحبطين منكم ما كانوا يعملون) وقوله (ولقد اوحى اليك والى الذين من قبلك انن اشركت ليحبطن عملك واتيكونن من الخاسرين * بل الله فاعبد وكن من الشاكرين)

ففي هذه الآية نفي الشرك وتغليظه والامر بعبادة الله وحده . ومعنى قوله (بل الله فاعبد) اي لا غيره ، فان تقديم المعمول يفيد الحصر عند العلماء قديماً وحديثاً (الامر الثاني من النواقض) انشر اح الصدر لمن اشرك بالله ومواد اعداء الله (١) كما قال تعالى (وانكن من شرر بالكفر صدرأ فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) الآية الى قوله (ان الله لا يهدي القوم الكافرين) فن فعل ذلك فقد ابطال توحيدده ولو لم يفعل الشرك بنفسه . قال الله تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) الآية

قال شيخ الاسلام : اخبر سبحانه انه لا يوجد مؤمن يواد كافراً فمن واده فليس بمؤمن . قال : والمشابهة مظنة الموادة فتكون محرمة

قال العمد ابن كثير في تفسيره : قيل نزلت في ابي عبيدة حين قتل اياه يوم بدر (أو ابناءهم) في الصديق يومئذ هم بقتل ابنه عبدالرحمن (أو اخوانهم) في مصعب بن عمير قتل اخاه عبيد بن عمير (او عشيرتهم) في عمر قتل قريباً له يومئذ ايضاً ، وحمزة وعلي وعبيدة بن الحارث قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ قال : وفي قوله (رضي الله عنهم ورضوا عنه) سر بديع وهو انهم لما

(١) أي موادتهم وانشر اح الصدر لهم لاجل شركهم وعداوتهم لان تعليق الحكم على المشتق يدل على انه علة له كما قالوه في آية حد السارق ، ولذلك استدل هنا بآية (وانكن من شرر بالكفر صدرأ) الخ ولا بدخل في ذلك الصحبة بالمعروف لاجل القرابة ونحوها مع كراهة الكفر نفسه لقوله تعالى في الوالدين المشركين (وان جاهدك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا) الآية

سخطوا على القرائب والعشائر في الله عوضهم الله بالرضا عنهم ورضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم ، والفوز العظيم ، والفضل العميم ، ونوه بفلاحهم وسعادتهم ونصرتهم في الدنيا والآخرة في مقابلة ما ذكر عن أولئك من انهم حزب الشيطان (ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون)

(الامر الثالث) موالاته المشرک والركون اليه ونصرته واعانته باليد او اللسان او المال كما قل تعالى (ولا تكون ظهيراً للمكافرين) وقل (رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين) وقال (إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) وهذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين في هذه الامة . فانظر ايها السامع أين تقع من هذا الخطاب وحكم هذه الآيات

ولما أغانت قريش بني بكر على خزاعة سرّاً وقد دخلوا في صلح رسول الله ﷺ انتقض عهدهم وغضب رسول الله ﷺ لذلك غضباً شديداً ، وتجهز لحربهم . ولم ينبذ اليهم لما كتب لهم حاطب كتاباً يخبرهم بذلك إخباراً أنزل الله تعالى في ذلك هذه السورة بكاملها ، ابتدأها بقوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالموودة - الى قوله - ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل)

ثم أمر تعالى بالتأسي بخليته عليه السلام واخوانه من الرساين بالعمل بدينه الذي بعثهم به فقال (قد كان لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه) اي من اخوانه المرسلين (اذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كافرينا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده)

فذكر اموراً خمسة لا يقوم التوحيد إلا بها علموا وعملوا ، وعند القيام بهذه الخمسة ميز الله الناس لما ابتلاهم بعدوهم كما قل تعالى (ألم * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا

وليعلم الكاذبين) وحذر تعالى عباده عن توليهم عدوهم . قال تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين)

وقال تعالى (بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما * الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين أيتبعون عندهم العزة فان العزة لله جميعا) الآية

وقال تعالى (ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون * ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون)

فتأمل في هذه الآيات وما رتب الله سبحانه وتعالى على هذا العمل من سخطه والخلود في عذابه ، وسلب الايمان وغير ذلك

وذكر ابن جرير رحمه الله تعالى في تفسير سورة آل عمران عند قوله تعالى (ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء) انه ردة عن الاسلام . وفي سورة محمد ﷺ ما يدل على ذلك قال الله تعالى (ان الذين ارتدوا على أديبارهم — الى قوله — ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الامر) والسين حرف تنفيس تفيد استقبال الفعل فدل على انهم وعدوهم ذلك سرّاً بدليل قوله تعالى (والله يعلم اسرارهم * فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأديبارهم * ذلك بأنهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه) والآيات في هذا المعنى كثيرة والمقصود بيان عظم هذا الذنب عند الله وما رتب عليه من العقوبات عاجلا وآجلا . نسأل الله الثبات على الاسلام والايمان ، ونعوذ بالله من الخيبة والخذلان .

وقد ذكر شيخنا رحمه الله تعالى في مختصر السيرة له : ذكر الواقدي ان خالد بن الوليد لما قدم العارض قدم مائتي فارس فأخذوا بمجاعة بن مرارة في ثلاثة عشر رجلا من قومه بني حنيفة ، فقال لهم خالد بن الوليد : ماتقولون في صاحبكم ؟ فشهدوا انه رسول الله ، فضرب أعناقهم حتى اذا بقي سارية بن عامر قال :

يا خالد إن كنت تريد بأهل اليمامة خيراً أو شراً فستبق مجاعة وكان شريعاً فلم يقتله وترك سارية أيضاً ، فأمر بهما فاوثقا في مجامع من حديد ، فكان يدعوا مجاعة وهو كذلك فيتحدث معه وهو يظن أن خالداً يقتله ، فقال يا ابن المغيرة إن لي اسلاماً والله ما كفرت ، فقال خالد: ان بين القتل والترك منزلة وهي الحبس حتى يقضي الله في أمرنا ما هو قاض ، ودفعه إلى أم متمع زوجته وأمرها ان تحسن اسارده ، فظان مجاعة ان خالداً يريد حبسه ليخبره عن عدوه ، وقال: يا خالد قد علمت أني قدمت على رسول الله ﷺ فبايعته على الاسلام وانا اليوم على ما كنت عليه بالامس ، فان يك كذاب قد خرج فينا فن الله يقول (ولا تزر وازرة وزر أخرى) فقال: يا مجاعة تركت اليوم ما كنت عليه أمس ، وكان رضاك بأمر هذا الكذاب وسكوتك عنه وانت من أعز أهل اليمامة اقراراً له ورضاء بما جاء به ، فهل أبدبت عذراً فتكلمت فيمن تكلم ؟ فقد تكلم ثمانية فرد وأنكر ، وتكلم الإشكري ، فان قلت أخاف قومي فهلا عمدت إلي أو بعثت إلي رسولا ؟

فتأمل كيف جعل خالد سكوت مجاعة رضى بما جاء به مسيئمة واققراراً ، فإين هذا من أظهر الرضاء وظاهر وأعان وجدد وشمر مع أولئك الذين أشركوا مع الله في عبادته وأفسدوا في أرضه ؟ فلهذا المستعان

(الامر الثاني) من الامور التي لا يصلح الاسلام إلا بها العمل بشرائعه وأحكامه ، وبالقيام بذلك يتوهم الدين وتسقيم الاعمال كما قال تعالى (ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأنشد نثيبتاً) الآية ، وقال تعالى (إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها ، واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعماء يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً * يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم ، فان تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلاً) وقال تعالى (وما اخلقكم فيه من شئ فحكمه الى الله) الآية ، وقال تعالى (وما كان لمؤمن ولا

مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً ان يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً (وقل تعالى) واذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون * وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مدعين * في قلوبهم ام ارتابوا ؟ أم يخفون أن يحيف الله عليهم ورسوله ؟ بل أولئك هم الظالمون (وقل تعالى) فإن لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم (الآية) وقل تعالى (أرأيتم من اتخذ إلهه هواه فأنف تكون عليه وكيلاً * أم تحسب ان أكثرهم يسمعون أو يعقلون ؟ إن هم إلا كلاب نعام بل هم أضل سبيلاً) وفي هذا المعنى قل أبو تمام :

وعبادة الاهواء في تطويحها بالدين مثل عبادة الاوثان

هذا هو الغالب على كثير من الناس : رد الحق لمخالفة الهوى ومعارضته بالأراء وهذا من نقص الدين وضعف الايمان واليقين

(الامر الثالث) أداء الامانات واجتناب المحرمات والشهوات ، والجد في أداء الفرائض والعبادات الواجبات ، والقيام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكرات . وقد وقع الخلل العظيم في ذلك كما قال تعالى (خائف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً) الآية ، وبذلك وقعت الغفلة والاعراض عن كتب الله تعالى ، واشتغل أكثر الناس بدنياهم عن طاعة مولاهم ، وزهدوا في كل ما يعود نفعه اليهم في دنياهم وأخراهم مما يوجب رضا ربهم ومولاهم فيجب على من نصحه نفسه ممن جعل الله له القدرة والسلطان ونفوذ الكلمة أن يهتم بحفظ هذه الثغور الثلاثة . فان ثغور الاسلام ، وقدسعى في خرابها ، من ليس من أهلها ومن أسباب حفظها الاخلاص لله والصدق والرجاء اليه وتعظيم امره ونهيه والتوكل عليه وتمييز الحديث من الطيب . فان الله تعالى ميزهم لعباده لما ابتلاهم فملك ببعض اعداء الله والاهتمام بما يرضيه ومحبة ما يحبه وكره ما يكرهه ، وخشيته ومراقبته ، والله المستعان

فصل

في الإشارة الى ما تضمنته لا إله الا الله من نفي الشرك وإبطاله ، وتجريد التوحيد لله تعالى ، والانتارة الى بعض ما تنقض به عرى الدين الذي بعث الله به المرسلين والباعث لذلك ما بلغني عن رجل كان قبل طروق الفتن يغلو في التكفير ويكفر بأشياء لم يكفر بها احد من اهل العلم ثم انه بعد ذلك قال : من قال لا إله الا الله فهو المسلم المعصوم ، وإن قل ما قال

فأقول وبالله التوفيق : اعلم ان لا إله الا الله كلمة الاسلام ، ومفتاح دار السلام . وقد سماها الله تعالى كلمة التقوى والعروة الوثقى وهي كلمة الاخلاص التي جعلها ابراهيم الخليل عليه السلام كلمة باقية في عقبه . ومضمونها نفي الالهية عما سوى الله واخلاص العبادة بجميع أفرادها لله وحده كما قال تعالى (واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه انني براء مما تعبدون * الا الذي فطرنى فانه سيهدين) وقل عن يوسف عليه السلام (واتبعن ملة آباي ابراهيم واسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء) وقال بعدها (إن الحكم الا لله أمر أن لا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون) وقال تعالى لخاتم رسله (قل انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به) الآية وقل (ان لا تعبدوا الا الله) وقال (ان إلهكم لو احد * رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق)

وقد تفاوت الناس في هذه الكلمة بحسب حالهم علماً وعملاً ، فذهب من يقولها وهو يجهل مدلولها ومقتضاها ، فلا يعرف الاله المنفي بأداة النفي ، ولا الالهية المثبتة لله تعالى ، فهذا لا تنفعه بالارباب . تجده يأتي بما يناقضها وهو لا يدري

واعلم أن لها شروطاً ثلثاً (منها) العلم بمدلولها ومقتضاها وحقوقها ولوازمها ومكالاتها . ومن شروطها الصدق واليقين وإرادة وجه الله والكفر بما يعبد من

دون الله كما قال تعالى (إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) قال ابن جرير: يعلمون حقيقة ما شهدوا به . وقال (فاعلم أنه لا إله إلا الله) وصحت الأحاديث عن النبي ﷺ بذكر هذه الشروط كلها ، ومن لم يكن كذلك لم تنفعه لا إله إلا الله ، لان القول بلا علم هباء

قال شيخ الاسلام : ومن فقد الدليل ، ضل السبيل

وكذلك من يقولها وهو لا يبجل مضمونها ومقتضاها ، لكن يمنع من قصد ذلك واتباع الحق والعمل به موانع من آفات النفوس ، فتجده ينكر التوحيد تارة ويبغض أهله ويحب الشرك وأهله ، كحال الذين قالوا (نشهد انك لرسول الله) قال الله تعالى (والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) فلو ان مجرد القول ينفع بدون الاخلاص والصدق واليقين القلبي لنفع هؤلاء ، فكذلك من يقول ظاناً انه أتى بمضمونها ومقتضاها ، يأتي بما يناقضها من موالاته المشركين ومظاهرتهم على المسلمين والاستبشار بنصرهم وظهورهم وغير ذلك من الامور التي عداها العلماء من نواقض الاسلام ، قال الله تعالى (وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيمهم) الآية ، وقال تعالى (وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب إلا رحمة من ربك فلا تكون ظهيرا للكافرين * ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت اليك وادع الى ربك ولا تكون من المشركين) ومعنى : وادع الى ربك اي الى توحيده واتباع امره وترك نهيه ثم قال (ولا تدع مع الله الهاً آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه)

فذكر اموراً اربعة كلها تنافي قول لا إله إلا الله . يحقق ذلك نهى الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن موالاته أعدائه في أول سورة الممتحنة وفي غيرها وقال (ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل)

وتدبر تلك الآيات وما رتب الله تعالى من الوعيد الاكيد والعذاب الشديد

ونفي الإيمان وحبوط الأعمال على هذه الأمور التي لا يعدها من وقعت منه كبير ذنب فانا لله وإنا اليه راجعون .

وبالجملة فلو بقي هؤلاء دين مع ذلك لسلموا من العقوبات لان الإيمان أمن والاسلام سلامة كما قال تعالى (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أوائك لهم الأمن وهم مهتدون) فان تدارك الله من شاء منهم بتوبة نصوح فهو فضله سبحانه وإلا فيا خسروهم .

وقد بين الله تعالى في كتابه كثيرا من نواقض الاسلام والايمان فان سبب نزول قوله تعالى (لا تعذبوا من كفرتم بعد إيمانكم) أن أناسا كانوا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك يجاهدون عدوه فقال رجل منهم: مارأينا مثل قرأنا هؤلاء، ارحب بطونا وأكذب أسنة، وأجبن عند اللقاء . فأنزل الله هذه الآية، والقصة مشهورة في التفسير وكتب الحديث

فانظر كيف أبطلوا إيمانهم وكفروا بربههم، فلم يذنبهم قول لا إله إلا الله ولا صلاتهم ولا جهادهم مع رسول الله ﷺ

وقال تعالى (يخافون بالله مكالوا ولمد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم) نزلت على ما ذكره المفسرون في الجلاس بن عمرو، قال : إن كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحمير، ولو يقولها أحد في زماننا هذا لم يعد كافرا ولا عاصيا . ولا ريب أن هؤلاء كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويصلون ويذكرون ويجاهدون ولم يظاهروا على المسلمين عدواً .

وكذلك أهل مسجد الضرار كانوا من جملة الانصار وفعولاهو في الظاهر قرابة، فلما أضمرؤا خلاف ما أظهرؤا أنزل الله في شأنهم (والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل) وهو أبو عامر الفاسق قال الله تعالى (وليحلفن ان اردنا إلا الحسنى

والله يشهد أنهم الكاذبون — إلى قوله تعالى — لا يزال بنياهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم (أي بالموت).

أيظن من عرف موقع كتاب الله وآياته أنه ينزع من أحب المشركين قول يقوله أو عمل يعمل؟ وهو يعلم ما وقع بهؤلاء من عقوب الله على ما أسروه؟ هذا لا يظنه من له مسكة من عقل لأن ما كاف به عوقب به من بعدهم على مثل ما عوقبوا به بلا ريب اللهم، إلا أن يندرك الله تعالى من شاء بتوبة ما حية وإلا فالخطر عظيم. وكذلك قوله تعالى (فاعقههم نفاق في قلوبهم إلى يوم يلقونه) وسبب نزولها ومن نزلت فيه معروف في كتب التفسير

ومن زعم أن المراد من لا إله إلا الله مجرد القول فقد خالف ما جاءت به الرسل والانباء من دين الله واتباع غير سبيل المؤمنين، قال الله تعالى عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه (أي لكم نذير بين* أن اعبدوا الله واتقوه واطيعون) فاجابوه بقولهم (لا تذرنا الهتك ونذرتنا ودا ولا سواها) الآية. علموا على كفرهم وضلالهم — أنه لم يرد منهم مجرد الاقرار، وإنما أراد منهم الاتباع والعمل وترك عبادة الاصنام، وأخبر تعالى عن هود عليه السلام أنه قال لقومه (ان اعبدوا الله ما لكم من الله غيره أفلا تتقون) وذكر تعالى عنهم في جوابهم له (اجئتنا نعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا) علموا أنه أراد منهم قصر العبادة على الله وترك عبادة من سواه، وهذا هو مضمون لا إله إلا الله ومعناها.

ولما دعا الخليل عليه السلام أباه إلى التوحيد بقوله (يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيء) أجابه بقوله (أراغب أنت عن الهتي يا إبراهيم؟) عرف أنه أراد ترك عبادة ما سوى الله والرغبة عن ذلك إلى اخلاص العبادة لله وحده، ثم قال الخليل عليه السلام (وأعتزلكم وما تدعون من دون

الله واعو ربى) فذكر مضمون لا إله إلا الله ولا زمها ، كما ذكر تعالى مثل ذلك عن أهل الكهف في قولهم (واذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله * فأووا إلى الكهف ينشر إليكم ربكم من رحمة وبهيء لكم من أمركم مرفقا) وقال تعالى عن صاحب ياسين (يا قوم اتبعوا المرسلين * اتبعوا من لا يستأجركم أجراً وهم مهتدون * ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون * ألتخذ من دونه الهة ان يردني الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتكم شيئا ولا ينقذون * أنى إذا لفي ضلال مبين)

وتأمل أيضاً قوله تعالى (انهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون * ويقولون إنا لنأركوا آلننا لشاعر مجنون) عرفوا - وهم كعار - أن مطلوب النبي ﷺ من قولهم لا إله إلا الله انه ترك عبادة الاوثان ، فيما له من بيان ما أوضحه والمقصود ان القرآن من أوله الى آخره يحقق معنى لا إله إلا الله بنفي الشرك وتوابعه ويقرر الاخلاص وشرائعه . لكن لما اشتدت غربة الدين بهجوم المفسدين ، وقع الريب والشك بعد اليقين ، وانتقض أكثر عرى الاسلام ، كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه « أما تنقض عرى الاسلام عروة عروة اذا نشأ في الاسلام من لا يعرف الجاهلية » ومما انتقض من عراه الحب في الله والبغض في الله والمعاداة والمؤالاة لله ، كما في الحديث الصحيح « أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله » وانت ترى حال الكثير حبه لهواه وبغضه لهواه ، فلا يسكن الا إلى ما يلائم طبعه ويوافق هواه ، ولو غره واغواه . فتأمل تجدد هذا هو الواقع ، فلا حول ولا قوة إلا بالله

والحاصل ان كل قول وعمل صالح يحبه الله ويرضاه فهو من مدلول كلمة الاخلاص ، فدلتها على الدين كله اما مطابقة واما تضمنا واما التزاما ، يقرر ذلك ان الله سماها كلمة التقوى ، والتقوى ان يتقى سخط الله وعقابه بترك الشرك والمناهي وإخلاص العبادة لله واتباع أمره على ما شرعه ، وقد فسرها ابن مسعود

رضي الله عنه « أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ، ترجو ثواب الله ، وإن ترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله »

وقد أخرج الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الله بن زيد عن النبي ﷺ قال « لا يبايع العبد أن يكون من المتقين حتى يدع مالا بأس به حذرا مما به بأس »

وقال شيخ الاسلام احمد بن عبد السلام بن تيمية رحمه الله تعالى في قوله تعالى (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) قال ابو بكر الصديق: فلم يلتفتوا عنه يمنة ولا يسرة، اي لم يلتفتوا بقلوبهم إلى ما سواه، لا بالحب ولا بالخوف ولا بالرجاء ولا بالتوكل عليه ، بل لا يحبون إلا الله ولا يهابون إلا الله. اهـ

وقال شيخنا شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: سألتني الشريف عما نقاتل عليه وما تكفر به ؟ فقلت في الجواب: انا لانقاتل إلا على ما أجمع عليه العلماء كلهم، وهو الشهادتان بعد التبريف، اذا عرف ثم نكر، فنقول أعداؤنا معنا على أنواع :

الاول : من عرف ان التوحيد دين الله ورسوله وان هذه الاعتقادات في الحجر والشجر والبشر الذي هو دين غالب الناس اليوم انه الشرك الذي بعث الله رسوله بالنهاي عنه وقتل أهله ليكون الدين كله لله ، ولم يلتفت إلى التوحيد ولا تعلمه ولا دخل فيه ولا ترك فيه الشرك ، فهذا كافر نقاتله لانه عرف دين الرسول فلم يتبعه ، وعرف دين المشركين فلم يتركه ، مع انه لم يبغض دين الرسول ولا من دخل فيه ، ولا يمدح الشرك ولا يزينه

النوع الثاني : من عرف ذلك ولكن تبين في سب دين الرسول مع ادعائه انه عامل به وتبين في مدح من عبد يوسف والاشقر وابي علي والخضر وفضلهم على من وحد الله وترك الشرك- فهذا أعظم كفراً من الاول وفيه قوله تعالى (فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به) الآية . ومن قال الله فيهم (وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر) الآية

النوع الثالث : من عرف التوحيد وأحبه واتبعه وعرف الشرك وتركه، ولكن يكره من دخل في التوحيد ويحب من بقي على الشرك، فهذا أيضاً كافر وفيه قوله تعالى (ذلك بانهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم)

النوع الرابع : من سلم من هذا كله لكن أهل بلده يصرحون بعداوة التوحيد واتباع أهل الشرك ويسعون في قتالهم ، وعنده ان ترك وطنه يشق عليه فيقاتل أهل التوحيد مع أهل بلده ويجاهد بماله ونفسه، فهذا أيضاً كافر لانهم لو أمروه بترك صيام رمضان ولا يمكنه ذلك إلا بفراق وطنه فعل، ولو أمروه ان يتزوج امرأة أبيه ولا يمكنه مخالفتهم إلا بذلك فعل. وأما موافقته على الجهاد معهم بماله ونفسه مع انهم يريدون قطع دين الله ورسوله ﷺ فأكبر مما ذكرنا بكثير ، فهذا أيضاً كافر ممن قال الله فيهم (ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا إلى الفتنة اركسوا فيها فان لم يعزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم) الآية

والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

فصل

وهذا شروع في الجواب المشار اليه سابقاً، وقد كنت عازمة أن أتتبع كلامه وأجيب عنه تفصيلاً، ثم أنه عرض لي ما يجب أن يكون هو المقصود بالذات مما قدمته حماية لجانب التوحيد والشرعية، ثم بدا لي أن أقتصر في جواب ارجل لما في الاقتصار من رعاية الصبر والاصطبار، لانا لو أجبناه بكل ما ياتي في الجواب لم نسلم من أمثاله ممن ينسج على منواله، كما هو الواقع من أكثر البشر قديماً وحديثاً مع كل من قام بالحق أو نطق بالصدق، فكل من كان أقوم في دين الله كان أذى الناس اليه أسرع والعداوة له أشد وأفظع، وأفضل خلق الله رسلاً وقد عالجوا من الناس أشد الأذى، حكمة بالغة قل لله تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين وكفى بربك هادياً ونصيراً) والآيات والاحاديث في ذلك كثيرة جداً. ينبثق عن تفصيل هذا ما ذكره الله تعالى في كتابه عن أنبيائه لما دعوا منهم إلى التوحيد كيف قيل لهم وما خاطبوا به

وتأمل ما جرى لخيار هذه الامة كالأخفاء الراشدين وسادات أصحاب سيد المرسلين من أعدائهم كالرافضة والخوارج ونحوهم، وما جرى لأعيان التابعين ومن بعدهم من أعيان الأئمة كالامام احمد بن حنبل ومحمد بن نوح واحمد بن نصر الخزاعي وأمثلة هؤلاء ممن لا يمكن حصرهم، ولو ذكرنا جنس ما جرى لهم من الأذى لطال الجواب. والقصد هو الاقتصار، ومن أراد الوقوف على ذلك فعليه بالسير والتاريخ. والله در ابي تمام حيث يقول:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت إتاح لها لسان حسود

وقل أبو الطيب:

وشأن مدحك عند الناس كذبيهم وهل يطابق معوج بمعتدل

إذا علمت ذلك فإن هذا الرجل ذكر عن الشيخ عبد الرحمن بن حسين أنه لا يصلي بهم ، ولا يقدم من يهوونه ، ولا يقطع خصومة ، وعدوه من نظري كتاب او نطق بصواب . هذا كلامه فيه . عد هذه الامور من المثالب . والبصير إذا تأمل رآها من المناقب ، لان المسلم لا يجوز ان يحمل إلا على الخير فيما خفي عذره فيه حتى يتبين ما يرفع الاحتمال . وهذه العيوب الخمسة محتملة لامور :

(الاول) منها يحتمل انه فعله تأثما من الصلاة بالناس لعذر خفي يوجب ذلك فان الاعذار عن الامامة كثيرة

(الثاني) يحتمل نصحه لهم فيختار لهم من يصالح لذلك المقام ، ونظره لهم خير من نظرهم لانفسهم

(واثالث) فيه التثبت في الفتيا بالنظر والتأمل والمراجعة في كتب الاحكام وهذا مطلوب ، من كل مفت لاسيا في هذا الوقت

(والرابع والخامس) فيه حماية جانب العلم عن الجهل ، ولا يدري انه يجمل ، والمطلوب سد ابواب الاختلاف في احكام الدين ، فان الله ذمه في كتابه ، وذا حل مثله على غير ذلك اوقع في اغتياب المسلم ، وقد حرمه الله في كتابه ، فان عده المغتاب له نصيحة فقد أحل ما حرمه الله ورسوله ، وهو أمر عظيم ، وفيه تشييب المسلم بما يحتمل ضد ذلك .

وأما تحذير هذا الرجل للامام من اولاد الشيخ كاهم وانه لا يجوز له أن يصفى اليهم ولا يدين لهم جانبا

(فالجواب) نعم هذا رأيه للامام وهو الذي يحبه له ويرضاه لكن رأى للمسلمين خصوصا من ينسب منهم إلى الدين ، والحب في الله والبغض فيه ، وكذلك العقلاء يخالفونه في ذلك ، وفي نصيحة المسلمين للامام الحث على طاعة اوائل

والاخذ منهم ، وقبول نصيحتهم ورأيهم كما هو الواقع من الامام ، فلا يخلو إما أن يكون الصواب مع هذا الرجل ، واما أن يكون مع أعيان المسلمين واهل الدين الذين لهم لسان صدق ومحبة في الناس والله يعلم المفسد من المصلح

وأما قوله ان ابن ثنيان ياقمهم الحرام (فالجواب) ان يقال : وهل شاهدت ذلك وعرفت ان ما أعطاهم حرام بعينه او رأى ذلك من يوثق بخبره ، هذا امر لا يقدر هو ولا غيره ان يثبت ذلك لكنه كما قيل :

يقولون اقوالا ولا يعملونها وان قيل هاتوا حقا لم يحققوا والذي يأخذون منه ومن غيره من الائمة هو مما أفاء الله على المسلمين المسمى بيت المال او من الزكاة ونحوها ، وهذا لا يقول احد من العلماء انه حرام ، والذي نص عليه الفقهاء من اهل الحديث وغيرهم انه يجوز الاخذ لمن يستحقه مالم يعلم انه حرام بعينه ، ذكره ابن رجب عن الزهري ومكحول ، قال : ورخص قوم من السلف في الاكل ممن يعلم في ماله حرام مالم يعلم انه حرام بعينه . قال : وروي في ذلك آثار كثيرة عن السلف ، وكان النبي ﷺ واصحابه يعاملون المشركين واهل الكتاب مع علمهم انهم لا يجتنبون الحرام كله

قال : وروى الحارث عن علي رضي الله عنه انه قال - في جوائز السلطان : لا بأس بهاء ما يعطيكم من الحلال أكثر مما يعطيكم من الحرام ، وقال ابن مسعود : إنما الهناء لكم والوزر عليهم

وذكر في المعني ان الحسن البصري أخذ جائزة عمرو بن هبيرة وردها ابن سيرين فعتب الحسن عليه ذلك . ونقل عن الامام احمد انه قال : جوائز السلطان

أحب إلي من الصدقة. يعني ان الصدقة اوساخ الناس صين عنها آل رسول الله ﷺ ولم يصانوا عن جوائز السلطان

وذكر عنه أيضا انه احتج بان جماعة من الصحابة تنزهوا عن مال السلطان منهم حذيفة وابو عبيدة ومعاذ وابو هريرة وابن عمر ، قال ولم ير ابو عبد الله ذلك حراما ، فانه سئل فقليل له مل السلطان حرام ؟ قال لا . وفي رواية قل : ليس أحد من المسلمين إلا وله في هذه الدراهم حق ، فكيف أقول سحت ؟ وقد كان الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وكثير من الصحابة يقبلون جوائز معاوية . قال : ولان جوائز السلطان لها وجه في الاباحة والتحليل فان لها جهات كثيرة من الفئ والصدقة وغيرهما اهـ

(قلت) وما زال العلماء في كل عصر يأخذون أرزاقهم من بيت المال ولم ينكر ذلك أحد من اهل الورع ولا غيرهم ويرونه حلالا . أما اولئك الظلمة الذين جاروا على اهل نجد بغيا وعدوانا فلا ريب أن ما أخذوه كله ظلم ، لانهم انما جأوا بالباطل والظلم والعدوان فلا يسوغ لهم أخذ شيء مما أباح الله لولاة اهل الاسلام أخذه من زكاة وفيء أو غير ذلك ، فإا أخذه اولئك ظلم بحت ،

فلينظر في حال هذا الطاعن على اهل العلم وأمثاله ، فإن كانوا قد كرهوا ما أخذه هؤلاء السرفون المعتدون ولم يقبلوا شيئا منه ولم يبق إلا انهم جهلوا حكم اموال الفئ فالمصيبة أهون . وأما إذا كانوا أخذوا من أولئك من تلك الاموال على الوجه الذي ذكرناه فالمصيبة أعظم ، وذلك انهم حرموا على علماء المسلمين أن يأخذوا ما حل لهم ، يأخذونه من أولئك ويأكلونه حراما صرفا من غير تأويل ، وعلى كل حال فانهم لما رأوا هؤلاء الاشياخ من أقرب الناس دعوة إلى التوحيد وإرشادا إلى طاعة ربهم واتباع نبيهم فتوصل شرار اهل نجد بمسبتهم إلى مسبة

الدين لخالفته أهواءهم ، ولا ريب أن هذا تحته كل عيب، ويستدل به العارف على انه
انما صدر منهم عن شك في حقيقة الاسلام وريب

ثم إن هذا المعارض قال في سبابه لأهل العلم المشار اليهم سابقا : انهم نظروا
إلى سد باب القبلة ومصر ولم ينظروا إلى أبواب السماء . يشير إلى انهم وسعوا
للمتولي أمرهم في مداهنة تلك الجهات

(فالجواب) انه لا يخلو إما أن يكون هذا الرجل من أشد الناس غباوة
وأجهلهم بأحوال الناس ، ولا معرفة له بالواقع أصلا ، وإما انه تعمد الكذب
والتشيين لأولئك الائمة وهو يعرف انه قد كذب عليهم وافترى ، فان من
المعلوم من طريقتهم ورأيهم ونصحهم انهم لا يجوزون المداهنة في الدين ، ولا
يرضون ذلك من كبير ولا صغير ، ولهذا صار الاعداء يطعنون عليهم بذلك عند
مبغضيتهم ويقولون انهم يكفرونكم ، وحقيقة أمرهم انهم لا يكفرون أحدا الا
بعمل صرح القرآن بتكفير فاعله ، ولا يقولون على شخص بعينه انه كافر ولا
على جماعة انهم كفار الا اذا ارتكبوا أعمالا من المكفرات وثبت ذلك بطريق
من طرق العلم إما مشاهدة أو سماعا او تواترا .

وقد تقدم عن شيخنا إمام الدعوة الاسلامية انه قل في جوابه للشریف إننا
لا نكفر الا بما اجمع العلماء عليه انه كفر

وعلى هذا فيقال لهذا الرجل : اذا كان هذا الذي تنسبه اليهم من مداهنة اهل
القبلة ومصر عيبا يعاب به من فعله فأنت ممن داهنهم وأطاعهم وتابعهم وخدمهم ،
فهلا عبت على نفسك هذا الذي اعترفت بأنه عيب كبير ؟ وما مثلك الا كما قيل
في المثل « رميتي بدائها وانسلت »

فيقال لامام المسلمين ، أعزه الله بالدين ، تأمل ما ذكره الله في كتابه المبين ،
واتبعه ، فان هذا هو الواجب على كل أحد ، لاسيما من ولاء الله امر الناس ، فان الله

افترض عليه أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فانه لا صلاح لهم بدون ذلك اصلا ، علما وعلا ، وعليه ان يصلح نفسه بما يرضي الله من إقامة دينه وأن لا يخف في الله لومة لائم ، وان يحب في الله ويبغض فيه ويوالي الله ويبادي فيه ، وان يميز الناس بتمييز الله فان الله ميز اولياءه من اعدائه ، ولا شك أن هذا من فرائض التوحيد ، وليكن على حذر من الناس وأهوائهم فانهم لا يرضون إلا بمتابعة أهوائهم ، وقد قال تعالى (ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون * انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين)

واعتبر بما جرى من أكثر الناس من أنواع الشرك والظلم والفساد كما قد جرى فيامضى ، كما ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى حيث يقول :

ولقد رأينا من فريق يدعي الاسلام شركا ظاهرا التبيان
جعلوا له شركاء والوهم وسا ووهم به في الحب لا السلطان
والله ما ساووهو بالله بل زادوا لهم حبا بلا كتمان
وهذا وأمثاله هو الواقع في هذه الازمنة يعرفه من تدبر القرآن وفهم أدلة التوحيد ، فلقد كثرت هذا الشرك بنوعيه من دعوة غير الله والاستغاثة به وتعظيمه والحلف به ، حتى إن بعض الجهال يستنكفون من قول القائل : محمد عبد الله ورسوله فينكرون قوله : عبد الله . ولا ريب أن الله تبارك وتعالى شرفه بعبوديته له الخاصة والرسالة

وأما أهل الاسلام على الحقيقة والايان فيخلصون إرادتهم وأعمالهم لله تعالى وحده دون من سواه فلا يدعون ولا يرجون ولا يستغيثون ولا يتوكلون ولا يقرّبون بنوع من أنواع العبادة إلا الى ربهم ومليكهم وخالقهم والقائم عليهم والمتصرف فيهم بمشيئته وإرادته . ويعملون بشارعه لهم في كتابه ، وسنه لهم نبيهم ﷺ من شريعته ، معتمضون

بجبل الله متعاونون على طاعة الله. فاعرف كلا من الفريقين بشواهد الاحوال والاعمال، واستشهد على كل من الفريقين بصريح القرآن وصحيح الاخبار، واستدع بكتب العلماء المحققين العدول الاخبار فان البهرج لا يميزه الا اولو البصائر والاستبصار. ومن لم يميز الناس بتمييز الله لهم عظمت مصيبته ودامت حسرته، فان الله - وله الحمد - اجري العادة بمقتضى الحكمة البالغة ان يبتلي عباده بوقوع الفتن ليميز الصادق من الكاذب والمؤمن من المنافق، بما يضررونه ويظهرونه من ترك طاعته والعمل بمعصيته، ومن هو بخلاف ذلك (ليجزى الذين اساؤا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسن) قال الله تعالى (ألم * أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين - الى قوله - ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله) - الى آخر السياق - وقال تعالى (ما كان الله ليزر المؤمنين على ما أمتهم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) وقال تعالى (أم حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وايجة والله خبير بما تعملون)

وقد بلا الله أخبار الناس بما جرى في هذه الاعوام ويميز بها من قاتل أهل الاسلام وسبهم، ممن ولاهم وأحبهم، والله يعلم اننا لم نرد بهذا تشيين أحد أو عداوته، ولكننا تأمننا من كتمان العلم، ورغبنا في إرشاد العباد الى طاعة ربهم ومعبودهم، لما ابتلينا بالناس من أهل نجد يقولون على الله بلا علم، ويتكلمون في أشياء من غير رواية ولا فهم، فكان الواجب على من منحه الله علما ان يذشر منه ما تيسر وقت الاحتياج اليه، وخصوصاً في هذه الازمنة لما قل العلم وكثر الجهل وغلبت الاهواء. اشتغل الناس فيه بمحبة دنياهم، وإثارتها على طاعة مولاهم والعمل لآخرهم

والله تعالى هو المرجو المسؤل أن يرفع عنا وعن المسلمين العقوبة وإن يكتب لنا اثوبة بتحري رضا ، وإن يوقفنا للاستقامة على طاعته وتقواه ، وإن يحقق لنا وإخواننا ما طلبناه ورجوانه ، إنه هو البر الرحيم . وحسبنا الله ونعم الوكيل

*
* *

واعلم أن هذا الرجل وأمثاله لما امتلأت قلوبهم بالممدواة والبغض وظهرت على صفحات وجوههم وقلبات ألسنتهم ، وأنوا بكل بلية ورمية - كما تقدم - طمعوا فيما هو أعظم من ذلك ، وأكبر ضرراً مما هنالك . فاوردوا على الجهال شبهات تحسیناً لما قد فعلوه ، وتزييناً لسبيلهم الذي سلكوه . والعارف إذا نظر إليها علم أنهم قد أقروا على أنفسهم وعلى الذين والوهم وآوؤهم بما قد لا يصرح به غيرهم فيهم ابتداء فمن ذلك قول بعضهم : إن الله تعالى يقول (فلولا رجل مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم) الآية .

يشير إلى أنه معذور بأقامته مع هؤلاء ، كما عذر من أقام من المؤمنين بمكة مع المشركين فيقال له (أولاً) إن هؤلاء الذين سماهم الله مؤمنين لم يظاهروا على المؤمنين مشركاً ولا منافقاً ولا باغياً ولا ظالماً ولا سبوا مؤمناً ولا عادوه ، ومنهم من قيده أهله بمكة ومنعوه من الهجرة كأبي جنسديل بن سهيل . فانه خرج يوم الحديبية من مكة يرسف بقيوده ، فلو أن أحداً منهم سب المسلمين أو عابهم أو أعان عدوهم انتقض إسلامه بلا ريب ، لكن الله تعالى حفظهم من هذه الأمور وعذرهم باستضعافهم وعجزهم . ولهذا ثبت في الصحيح وغيره أن رسول الله ﷺ كان يدعو لهم في الفريضة ، كما أخرج البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يدعو على أحد أو يدعو لأحد قنت بعد الركوع ، وربما قل إذا قل « سمع الله لمن حمده ربنا وإك الحمد اللهم أنج الوائد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش

ابن ابي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين » وقوله والمستضعفين من المؤمنين هو من عطف العام على الخاص بلا ريب

ومن الحال أن يسميهم الله ورسوله مؤمنين وقد وقع منهم ما ينافي الايمان قال الله تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) فلم من هذه الآية ان أولئك المستضعفين من المؤمنين لما كانوا بمكة مع قريش أنهم لم يتخذوهم أولياء من دون المؤمنين ولم يطمعوا منهم بموادة ولا ركون، وحاشاهم من ذلك. فلماذا وصفهم الله بالايمان . وقد أخبر تعالى ان الايمان ينتهي بموالاته أعدائه كما قال تعالى (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون)

قال بعض المفسرين- في الآية الاولى- من الممتنع ان تجد قوما من المؤمنين يوادون من حاد الله ورسوله . ويقال أيضاً: ان الله تعالى بين حال الذين عذرهم عن الهجرة وميزهم بالوصف ممن لم يعذرهم فقال تعالى (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم) قال في شرح البخاري والسؤال للتوبيخ ، أي لم تركتم الجهاد والهجرة والنصرة ؟ (قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً)

وروى البخاري في صحيحه عن عبد الرحمن بن الاسود قال « قطع على أهل المدينة بحث فاكتبت فيه ، فلقيني عكرمة فأخبرته فنهاني أشد انهي وقال : أخبرني ابن عباس ان أناسا من المسلمين كانوا مع المشركين يكثر سواد المشركين يأتي السهم فيصيب أحدهم فيقتله او يضربه فيقتله ، فأمر الله تعالى (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ، قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة) الآيتين

فتأمل كيف ترتب عليهم هذا الوعيد وأوجب لهم النار وقد ورد أنهم كانوا مكرهين على تكثير سواد المشركين فقط، فكيف بمن كثر سوادهم بغير إكراه وإعان وظاهر، وقال وفعل من غير استضعاف ولا إكراه؟ أتري بقي مع هذا شيء من الإيمان والحالة هذه؟

ثم إن الله تعالى بين في هذه الآية من خرج من هذا الوعيد بأوصاف لا تخفى على البليد فقل (إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً * فاولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً) فذكر أنهم الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً وهم المأجرون عن الهجرة من كل وجه، وهؤلاء هم الذين دعا لهم رسول الله ﷺ في حديث أبي هريرة المتقدم، بخلاف من لم يعجز عن الهجرة، بل اختارهم ورغب اليهم وسكن اليهم ووافقهم وتأيد بهم واستنصر مثل عبد الله بن أبي سرح ومقيس بن صبابه الليثي وأمثالهما مما تزين له الباطل، كجيلة بن الإيهم الفسائي وأمثال هؤلاء كثيرون. نسأل الله اثباتاً على الاسلام والعفو والعافية في الدنيا والآخرة والامر الثاني: استدلالهم على جواز الإقامة مع المشركين أو تركهم الهجرة لأن الصحابة هاجروا إلى الحبشة وفيها نصارى

فيقال (أولاً) لا يجوز عند من له أدنى معرفة أن يستدل على ترك الهجرة بأن الصحابة هاجروا، وكيف يجوز في عقل من له أدنى مسكة من عقل أن يستدل بترك شيء بأن ذلك الشيء الذي تركه قد فعله غيره

وقد عرفت أن الله سجل على من ترك الهجرة بالوعيد الشديد وبريء منه رسول الله ﷺ وأنتى على من هاجر، ووعدهم على الهجرة بخيري الدنيا والآخرة كما قال تعالى (والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبؤنهم في الدنيا حسنة ولاجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) وقال (فالذين هاجروا وأخرجوا من

ديارهم وأوذوا في سبيلي وقتلوا وكفروا لا كفر عنهم سيئاتهم ولا دخلتهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب (واي جهل أعظم من جهل من يسوي بين حسنات المقرين الأبرار، وسيئات العصاة الأشرار؟) (أفمن كان مؤمناً مكن كان فاسقاً؟ لا يستوون)

وهذا سياق قصة مهاجرة الحبشة . قال أبو نعيم في منتقاه من سيرة ابن هشام، قال ابن اسحاق : حدثنا محمد بن مسلم الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت « لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار - النجاشي - آمننا على ديننا وعبدنا الله ، لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه . فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلاً من جلد بن ، وإن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة ، وكان من أعجب ما يأتونه منها الأدم ، فجمعوا له ادماً كثيراً ولم يتركوا من بطارقه بطريقاً إلا أهدوا له هدية ، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص وأمرؤهما بامرهم ، وقالوا لهما ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تسكما النجاشي فيهم ، ثم قدما إلى النجاشي هداياه ، ثم أسألاه أن يسلمهم اليكما قبل أن يكلمهم - قالت : فخرجا حتى قدما على النجاشي ونحن عنده بخير دار عند خير جار - إلى أن قالت - وكان الذي كبه جعفر بن أبي طالب وقال له : أيها الملك كنا قوم أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل كل القوى الضعيف ، وكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا عرف نسبه وصدقته وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخضع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله لا نشرك

به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام - قالت: فمدد عليه أمور لاسلام - فصدقناه وآمننا به واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبداً لله، فعبداً لله وحده فلم نشرك به شيئاً، وحرماً ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا وعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وإن نستحل من الحباث ما حرم الله علينا، فلما قهرونا وظلمونا وحاولوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من

سواك، ورجعنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك
قالت: فقال له النجاشي هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قالت:

فقال جعفر نعم، فقال له النجاشي: اقرأه عليّ، فقرأ عليه صدرّاً من (كهيعص) قالت فبكى النجاشي حتى اخضل لحيته، وبكت اساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما نلي عليهم، ثم قل النجاشي: ان هذا والله والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا فلا والله لا اسلمهم اليكم ولا اكاد» ثم ساق القصة قال ابن اسحاق وحدثني يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة قالت: لما

مات النجاشي كان يتحدث: انه لا يزال على قبره نور. انتهى

(قلت) وقد أنزل الله في النجاشي وأصحابه آيات في سورة المائدة من قوله (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قلوا انا نصارى - إلى قوله - وانهم لا يستكبرون) (١)

وكل من له أدنى معرفة لا يفهم من هذه القصة إلا انها حجة عظيمة على الهجرة الواجبة من وجوه لا تخفى على البليد، اللهم الا من ابتلى بسوء الفهم وفساد التصور وكابر العقل والشرع فلا حيلة فيه. ياربنا نسألك الثبات على الاسلام. وأورد أيضاً حديث «انا بريء من مسلم بين أظهر المشركين، لا تراءى ناراهما» والحجة منه ان النبي ﷺ سماه مسلماً فيفيدان اقامته بين أظهر المشركين لا تخرجه عن الاسلام

(١) اغاية التي ذكرها - هو فان الآيات الثلاث التي بعدها فيها أيضاً

(فالجواب) أن براءة النبي ﷺ من جالس بين ظهرانيهم إنما كان عقوبة له على مجرد الإقامة بين أظهرهم . وإنما إبواؤهم ونقض العهد لهم ومظاهرتهم ومعاونتهم والاستبشار بنصرهم وموالاة وإيهم ومعاذة عدوهم من أهل الإسلام ، فكل هذه الأمور زائدة على مجرد الإقامة بين أظهرهم ، وكل عمل من هذه الأعمال قد توعد الله عليه بالعذاب والخلود فيه وسلب الإيمان ، وحلول السخط به وغير ذلك مما هو مضمن الآيات المحكمات التي قد تقدمت ، وكل ذنب من هذه الذنوب له عقوبة تخصه ، وكلما ازداد منه زاد الله له في العقوبة ، فإن لم يؤمن بتلك الآيات المحكمات ويعترف بصدور تلك الأعمال منه فما أشبه حاله بحال من قال الله فيهم (أفقتون من بعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون * أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون) وأعلم أن هؤلاء المشركين لا يرضون من هذا وأمثاله بمجرد الموالاة والنصرة دون عبادتهم وتسويتهم لهم بالله في التعظيم والجلال والتودد إليهم . فمن ذلك الانحناء لهم والاشارة باليد إلى أشرف أعضاء السجود وهو الجبهة والأنف ، وكل ذلك من خصائص الألهية ، وذلك أمر لا محيد لهم عنه ، كما قل تعالى عن أهل الكهف (فانهم إن يظهروا عليكم يرجوكم أو يعيدوكم في ملتهم وإن تفلحوا إذاً أبدا) ولهذا لم يجدوا من مفارقتهم بداً ، حتى ذهبوا إلى غار في رأس جبل خوفاً من ذهاب دينهم فأثروا الله على كل ماسواه

قال شيخنا : في هذه القصة - فيه اعتزال أهل الشرك واعتزال معبوداتهم وقوله (فأووا إلى الكهف) فيه شدة صلابتهم في دينهم حيث عزموا على ترك الرياسة الكبرى والنعمة العظيمة واستبدلوا بها كهفاً في رأس جبل قلت (ومثل ذلك ما ذكره الله عن سحرة فرعون لما استنارت قلوبهم

بالإيمان قلوا لفرعون لعنه الله (لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا)
واعلم ان حقيقة حل هؤلاء المشبهة ان الله تعالى أمر بقتال المشركين فقاتلوا معهم ، وأمرهم بالبعد عنهم فأوهم وقربوا منهم ، وأمر بمعاداتهم فوالوهم ، وأمرهم ببغضهم فوادوهم ، وأمرهم بان ينصروا اهل الاسلام فاستنصروا بالكفرة عليهم ، وشهوا عن مدهانتهم فداهنوهم ، ونهاهم عن كتمان ما أنزل الله من هذا وغيره فكتموه وشبهوا كما قال تعالى (ان الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا اولئك ما ياكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم) وقال (ان الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب) الآية . فجمعوا بين الكتمان والرد على من بين ولم يكتم ، والتشبيه والجدال بالباطل ، فتركوا ما أوجب الله عليهم وارتكبوا ما حرم عليهم ، وهذا ظاهر جداً لا يرتاب فيه من له ادنى معرفة بالناس وما وقع منهم فلا يأمنهم ويقربهم بعد هذه العظام إلا من سفه نفسه

ولهم شبهة أخرى وهي ان أبابكر استأجر عبد الله بن اريقط في طريق الهجرة إلى المدينة وكان هاديا خريتا يدلهم على الطريق فاحسن رسول الله ﷺ صحبته فتكون صحبة العسكر واعانتهم على المسلمين ونصرتهم لا بأس بها
فيقال (أولا) قد ذكرت في الشبهة التي قبل هذه ان رسول الله ﷺ قال « أنا بريء من مسلم بين أظهر المشركين » وهذا يناقض ما استدلت به هنا وحاشا رسول الله ﷺ أن يتبرأ من صاحب عمل وهو يفعله ، ومثل هذا قوله « من جامع المشرك او ساكنه فهو مثله » والآيات المحكمات صريحة في التحذير من موالاتهم ناطقة بالوعيد الشديد على موادتهم ونصرتهم
إذا عرف هذا فالفرق بين الدليل والمدعى ابعدهما بين المشرق والمغرب

وذلك ان ابن اريقط أعان رسول الله ﷺ على أبر الير بعد الاسلام ، وافرص الفرائض بعد الايمان ، وسعى لرسول الله ﷺ في مصالحه التي يتوصل بها إلى رضاء مولاه ، ومراغمة أعدائه . ولا ريب ان هذا لو صدر من ابن اريقط بنية لكان من افضل الاعمال ، فاذا أسلم كتب له ذلك من افضل حسناته على حديث حكيم « أسلمت على ما أسلفت من خير » بخلاف من آوى المشركين ورضي بهم بدلا من المسلمين وأعطاهم واستنصر بهم وفرح بنصرهم وظهورهم ، ودعا الناس إلى متابعتهم .

فالفرق بين الفاعلين كالفرق بين فعل ابي طالب من النصرة والحياطة والحماية ، وفعل ابي جهل وعقبة بن ابي معيط والنضر بن الحارث ، فلو أسلم ابوطالب لكان فعله من اعظم القربات ، وفعل ابي جهل وأمثاله من اعظم الكفر الموصول إلى الدركات في العذاب وحلول المثالات ، فأين من أعان الباطل وواد أهله ونصرهم وظاهرهم من أعان المسلمين وسعى في مصالحهم وراغم عدوهم ؟

سارت مشرقة وسرت مغربا شتان بين مشرق ومغرب

فابن اريقط فعل خيرا جره إلى الاسلام كما جر سراقه بن مالك وقد فعل من النصيحة في حال كفره ما يحمد به باطنا وظاهرا بخلاف من والى المشركين ونصح لهم فانه قد وقع في الوعيد والسخط والمقت وفساد الدين ، ومفارقة المؤمنين ، والله أعلم بما يؤول اليه حال أعيان اولئك الضلال ، لكنه يخشى عليهم أن يصيبهم مثل ما قصه الله في شأن بلعام ، وكذلك اهل مسجد الضرار ، وقد كانوا قبل ذلك في عداد الانصار . فيا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على الايمان

ولا ريب ان عدول هذا المستدل عن الآيات المحكمات وصحيح الاخبار ترك المحكم واتباع المتشابه وقد قال تعالى (فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون

ما تشابه منه ابتغاء الفتنة (الآية . وعن عائشة رضي الله عنها مرفوعا « إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سعى الله فاحذروهم »

وحاصل ما قدمنا من الجواب على ما أورده المشبه هنا يتضمن خمسة أوجه (الاول) ان ابن أريقط أجبر ومن شأن الاجبر أن يخدم المستأجر لأنه ملك منافعه بعقد الاجارة ، والاجبر تحت المستأجر

(الوجه الثاني) ان ذلك مستأجر في مصلحة دينية هي من أكبر مصالح الدين ، فأعانتة المسلم وقت الحاجة اليه لاحتدور فيها لكونها مصلحة محض ، فكيف يجوز أن يستدل بذلك على ما هو أعظم المفسد في الدين من موالاته المشركين وأعانتهم على باطلهم والصد عن سبيل الله ؟

شتان بين الحالتين فن يرد جمعا فما الضدان يجتمعان

(الوجه الثالث) ان استئجار الكافر للمصلحة نظير استرقاق الكافر وذلك جائز بخلاف العكس ، فانه لا يجوز ، لان الاسلام يعلو ولا يعلى عليه . وهذا المشبه كأمثاله صاروا لأهل مصر^(١) كالماليك في طاعتهم ، ومتابعتهم ، وأعانتهم اختياراً منهم لا اضطراراً

(الوجه الرابع) ان ما فعله ابن أريقط لا يعاب عليه عقلا ولا شرعا بل قد يثاب عليه في حال كفره في الدنيا ، وربما صار سببا لاسلامه لقربه من الاسلام باعانة أهله على طاعة ربهم ، بخلاف من أعان على معصية الله والصد عن سبيله ، فأين من كان مع أهل الحق ممن كان مع عدوهم ، وهل سمعت بتفاوت أعظم من هذا التفاوت ؟

والله ما اجتمعما ولن يتلاقيا حتى تشيب مفارق الغربان

(١) المراد من أهل مصر الجنود الذين قاتلوا جماعة المؤايف وكانوا من شعوب مختلفة . وأصل الكلام في الذين ساعدوهم من أهل الحجاز وغيرهم

(الوجه الخامس) ان مافعله ابن اريقط يغيظ كفار قريش، واغاظه الكفار
يحبها الله تعالى، بخلاف من يفعل معهم مايسرهم ويغيظ عدوهم من المؤمنين فأين
هذا من هذا لو كانوا يعلمون؟

والبصير يعلم أن هذا التشبيه من هؤلاء على العوام صدق لهم عن سبيل الله
وانه من آثار عقوبة تلك الاعمال

اللهم انا نعوذ بك أن نفتن عن ديننا ، وأن نرد على أعقابنا ، وحسبنا الله
ونعم الوكيل ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيد المرسلين، وعلى آله
وصحبه أجمعين وسلم تسليما

وهذا آخر ما تيسر جمعه والله أسئل ان يعم بنفعه
أملاد وجهه الفقير إلى الله تعالى عبده عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب
وكتبه الفقير إلى الله عبده علي بن عبد الله البواردي
وذلك في سنة ١٢٦١ من هجرته صلى الله عليه وسلم
وكتبه من قلم كاتبه حرفا بحرف عبده الفقير اليه عبد الله بن ابراهيم الربيعي
وذلك في ٢٥ صفر سنة ١٢٤٦ وصلى الله على محمد
وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا
آمين



كتاب
بيان كلمات التوحيد
والرد على الكشيري عبد المحمود

تأليف

شيخنا وإمامنا، ناصر السنة وقامع البدعة
الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب
أعجل الله لهم الأجر والثواب

قال الشيخ الامام شيخ الاسلام عبد الرحمن بن حسن بن شيخ الاسلام
محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى آمين ورضي عنهم

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين ، واشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له ولا مثل ولا معين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله
سيد الاولين والاخرين ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ،
ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين ، وسلم تسليماً ، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ،
والمسلمين والمسلمات ، وألف بين قلوبهم ، واصلح ذات بينهم ، وانصرهم على
عدوك وعدوهم ، واهد سبيل السلام ، واخرجهم من الظلمات إلى النور ،
وجنبهم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، واجعلهم شاكرين لنعمتك ، مثنين
بها عليك ، فقبلها منهم وأتمها عليهم ، اللهم انصر دينك وكتابك ورسولك
وعبادك المؤمنين ، اللهم اظهر دينك دين الهدى ، ودين الحق الذي بعثت به نبيك
محمد ﷺ على الدين كله ، اللهم عذب الكفار والمنافقين الذين يصدون عن
سبيلك ، ويبدلون دينك ، ويعادون عبادك المؤمنين ، اللهم خالف بين كلمتهم ، وشدت
بين قلوبهم ، واجعل تدميرهم في تدبيرهم ، وادر عليهم دائرة السوء ، اللهم انزل
بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين ، اللهم منزل الكتاب ، ومجري السحاب ،
وهازم الاحزاب ، اهزمهم وزلمهم وانصرنا عليهم ، اللهم اغنا ولا تعن علينا ،
واهدنا ويسر الهدى لنا ، وانصرنا على من بغى علينا ، اللهم اجعلنا شاكرين

ذا كرين مطاوع اليك محبتين، واهين منيين ، اللهم تقبل توبتنا واغسل حوبتنا
واهد قلوبنا وثبت حجتنا ، واسلل سخيمة صدورنا يارب العالمين

(أما بعد) فاعلموا معشر الاخوان ان الله تعالى أرسل رسوله محمداً ﷺ
بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وعرفهم ما خلقوا له
من اخلاص العبادة لله وحده لا شريك له ، وترك عبادة ما كانوا يعبدونه من
دون الله ، والرغبة عن عبادة غيره وانبراء منها والكفر بالطاغوت وهو الشيطان
وممازينه من عبادة الاوثان ، فدعا قريشا والعرب إلى أن يقولوا لا إله إلا الله لما
دلت عليه من بطلان عبادة كل ما يعبد من دون الله ، واخلاص العبادة لله وحده
دون كل ماسواه . وهذا هو التوحيد الذي خلق الله الخلق لاجله ، وأرسل
الرسول لاجله ، وأنزل الكتب لاجله . وهو أساس الايمان والاسلام ورأسه
وهو الدين الذي الحق لا يقبل الله من عبد ديناً سواه . قال الله تعالى (وما خلقت
الجن والانس إلا ليعبدون) اي يوحدون ، وقال تعالى (وقضى ربك أن لا تعبدوا
إلا إياه وبالوالدين احساناً) وهذه الآية تفسر الآية قبلها وتبين أن المراد بالعبادة
التوحيد وأن يكون سبحانه وتعالى هو المعبود وحده دون كل ماسواه ، والقرآن
كله في تقرير هذا التوحيد وبيانه ، وبين ذلك قوله تعالى (إن الحكم إلا لله أمر
أن لا تعبدوا إلا إياه)

والرسول عليهم الصلاة والسلام افتتحوا دعوتهم لقومهم بهذا التوحيد (أن
اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) وقال تعالى (وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا
الله واتقوه وأطيعون ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * إنما تعبدون من دون الله
أوثاناً وتخلقون افكاً ، ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً
فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون * وإن تكذبوا فقد

كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين (وقوله (فقد كذب أمم من قبلكم) يعني قوم نوح وعاد وثمود وأصحاب مدين والثؤتفكت، وهم قوم لوط ، وقد قال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ، فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة)

وكل رسول يدعو قومه الى ان يخلعوا عبادة ما كانوا يعبدونه من دون الله ويخلصوا أعمالهم كلها عن الاصنام والاوثان التي اتخذوها وجعلوها أنداداً لله بعبادتهم ، كما قال تعالى (واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون)

وهذا هو معنى لا إله إلا الله لا يشك في هذا مسلم كما قال تعالى (والى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) فأجابه بقولهم (يا هود ما جئتنا ببينة ، وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك ، وما نحن لك بمؤمنين * إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ، آل اني أشهد الله ، واشهدوا ، اني بريء مما تشركون * من دونه فكيديني جميعاً ثم لا تنظرون) وهذا هو المنفي في كلمة الاخلاص (اني بريء مما تشركون من دونه) كما قال تعالى مخبراً عن جميع رسله أنهم قالوا لقومهم (انا برآء منكم وما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده)

والايمان بالله وحده هو البراءة مما كانوا يعبدونه من الاصنام والاوثان واخلاص العبادة لله وحده ، لا يرتاب في هذا مسلم

فمن شك في أن هذا هو معنى لا إله إلا الله فليس معه من الاسلام ما يزن حبة خردل .

والقرآن أفصح عن معنى لا إله إلا الله في آيات كثيرة يطول الكتاب بذكرها ويأتي بعضها ان شاء الله في هذا الجواب .

وأنتم معشر المخاطبين بهذا قد تقرر عند من له علم فيكم حتى العامة من أكثر

من مائة وثلاثين سنة أن هذا هو التوحيد الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه، فما بال أناس يرغبون عما عرفوه وعُرفوه من كتاب الله وسنة رسوله إلى طلب العلم ممن لم يعرف هذا التوحيد ولا نشأ في تعلمه ولا عرفه، كما هو ظاهر في كلامه؟ يعرف من له عقل وبصيرة أنه لا يتكلم به إلا من لم يعرف ما بعث الله به المرسلين من توحيد رب العالمين

وقد علمتم معشر الموحدين ما حل بين كثير من الناس وبين معرفة التوحيد من العوائد الشركية، والشبهات الخيالية لما اترقت الامة إلى ثلاث وسبعين فرقة، فلقد عظمت نعمة الاسلام على من عرفها وقبلها وأحبها وصار مستيقناً بها قلبه، مخلصاً صادقاً، ورزق اثبات والاستقامة على ذلك، فيا لها من نعمة ما أعظمها وموهبة ما أجملها، نعوذ بالله أن يصدف عنها صادف أو يصرف عنها صارف، ونعوذ بالله من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن،

فاتقوا الله عباد الله وارغبوا فيما كنتم فيه من نعمة الاسلام والايمان، وجددوا وجدوا واجتهدوا في معرفته على الحقيقة بأدلة وبراهينه التي نصبها عليه رب العالمين في كتابه المبين، وبينها لكم نبيه الصادق المصدوق الامين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى من اتبعه إلى يوم الدين.

ثم انه قد تكلم غريب في معنى لا إله إلا الله لا يعرف ما هو ولا ممن هو؟ وكتب في ذلك ورقة تبين فيها من الجهل والضلال ما سنذكره لكم حذراً وتحذيراً واعذاراً وتعذيراً، والقلوب بين أصابع الرحمن، نسأل الله الثبات على الاسلام والايمان ذكر ما في الورقة. قال (الحمد لله المتوحد بجميع الجهات)

(الجواب وبالله التوفيق) لا يخفى على من له ذوق وممارسة ومعرفة بمذاهب المبتدعة أن هذا لفظ لا معنى له إلا على قول أهل الحلول من الجهمية ومن تابعهم فانهم يقولون: ان الله تعالى حال في جميع الجهات وفي كل مكان، ويجحدون ما تقرروا

في القرآن من علو الله على جميع خلقه واستوائه على عرشه (تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً)

وهذا الرجل انما تكلم بالسنتهم، فهذا محصوله من العلم الذي ادعاه قد ظهر واستبان على صفحات وجهه ، وفلتات اللسان . وأهل السنة ينكرون هذه الالفاظ ، ويشيرون إلى ما فيها من دسائس أهل البدع أسوةً أمثال هذا من الفلاسفة وأهل الوحدة وغيرهم ممن لم يستضيء بنور العلم ، ولم يلجأ إلى ركن وثيق ، فلا تنظر الى منظر الرجل وانظر إلى مخبره

وقد غلط أكثر الفرق الثلاث والسبعين في مسمى التوحيد ، وكل فرقة لها توحيد تعتقد أنه هو الصواب حتى الاشاعرة القائلين بأن معنى الاله : الغني عما سواه، المفتقر اليه ما عداه^(١) ويقولون انهم أهل السنة وهيبات هيبات، ولم يصبر منها على الحق إلا فرقة واحدة وهم الذين عرفوا التوحيد على الحقيقة من الآيات المحكمات وصحيح السنة . جعلنا الله وإياكم من الفرق الناجية

وقد أشار شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى إلى هذا المعنى فقال: وقد غلط في مسمى التوحيد طوائف من أهل النظر والكلام ، ومن أهل الارادة والعبادة وهذا يفيد الحذر من مخالطة كل من لا يعرف دينه وقد كان بعض العلماء اذا دخل عليه مبتدع جعل أصبعيه في أذنيه حتى يفارقه حذراً من أن يلقي اليه كلمة تفتنه .

فارجعوا رحمكم الله الى صريح القرآن فانه حبل الله المتين والذكر الحكيم والصراط المستقيم وهو النور كما قال تعالى (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين* يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم)

(١) هذه العبارة هي التي بنى عليها السنوسي عقيدته الصغرى المشهورة وزعم انها معنى كلمة التوحيد واستنبط الصفات السلبية والثبوتية منها وماهي الامن لوازمها، وماكل الاشعرية يقول بأنها معناها

ثم إن هذا قال في ورقته (اعلم ان الاله هو المعبود فقط غير مقيد بقيد الحقيقة والبطالان ، إذ اشتقاقه من ألله ، اذا عبده - يوجب اتحاده معه في المعنى لعدم وجوده بدونه ، إذ الاشتقاق وجود التناسب في اللفظ والمعنى)

(فالجواب) أن نقول : سبحانه الله ، كيف يشكل على من له أدنى مسكة من عقل ما في هذا القول من الكذب والضلال والاحاد والمحال ؟ فلقد صادم الكتاب والسنة والفطر والعقول واللغة والعرف ،

أما مصادمته الكتاب والسنة فان الله تعالى يقول (ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل) في عدة مواضع من الكتاب والسنة ، فالله تعالى الحق وعبادته وحده هي الحق أزلا وأبدًا ، وما يدعى من دونه هو الباطل ، قبل وضع اللغات وبعدها . وهذا لا يمتري فيه مسلم أصلا .

وأما مصادمته للعقل فان كل مألوه معبود ، ولا بد أن يكون حقا أو باطلا ، فان كان هو الله فهو الحق سبحانه كما في حديث الاستفتاح الذي رواه البخاري وغيره « ولك الحمد أنت الحق ووعدك حق » وان كان المعبود غيره فهو باطل بنص القرآن ، والقرآن كله يدل على ان الله هو الحق وان ما يدعى من دونه فهو باطل .

وأما مخالفته للفطر فبإتفاق الناس على ما دل عليه الكتاب والسنة والمعقول ، حتى أهل البدع من كل طائفة لا يقول بهذا القول الذي قاله هذا أحد منهم ، لكن كل طائفة تدعي انها أسعد من غيرها بالدليل ، على ما في أدلة كل طائفة من التحريف والتأويل .

وأما مخالفته للغة فلا ريب ان الواضع وضع الالفاظ بأزاء معانيها . فكل لفظ وضع لمدلوله الذي وضع له لاجل الدلالة عليه ، والواضع وضع الالفاظ دالة على معانيها ، فاللفظ دال والمعنى مدلوله . يعرف هذا كل من له أدنى مسكة من عقل وكل ما ذكرناه لا نزاع فيه ولا يعرف ان أحدا قال بخلاف ما ذكرنا .

وواضح اللغة قال بعض العلماء : هو الله تعالى ، وقال بعضهم وضعها غيره من بني آدم المتقدمين بالهام منه تعالى وجيلة جبلهم عليها . واللغات وان تعددت فهي بالهام من الله وبها يعرف مراد المتكلم ومقصوده .

إذا عرفت ذلك فيلزم على قول هذا الجاهل ان الملائكة قبل خلق آدم وذريته كانت عبادتهم لله تعالى غير مقيدة بحق ولا باطل ، وهذا اللازم باطل فبطل المزوم وكذلك عبادة آدم وذريته قبل حدوث الشرك في قوم نوح لا توصف بعبادتهم لله بأنها حق أو باطل ، وهذا اللازم باطل فبطل المزوم ، وكذلك قوم نوح لما عبدوا آلهتهم وقالوا لما دعاهم نوح عليه السلام (لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا دأباً ولا سواعاً ولا يغوث ويغوث ونسرا) فيلزم على قول هذا ان عبادتهم لتلك الاصنام ليست باطلة ، وهذه اللوازم الباطلة تلزمه ويبطلانها يبطل مزومها الذي ذكرناه عنه ،

وأبضا في قوله هذا مضاهاة لقول ابن عربي امام أهل الوحدة :

وعباد عجل السامري على هدى ولا ثمهم في اللوم ليس على رشد
فن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه . فلا تعجب فكل صاحب بدعة لابد أن يجادل عن بدعته ، والعلم نوريه الله لمن يشاء من عباده وهو معرفة الهدى بدليله ، والناس ليسوا كلهم كذلك إلا أقل القليل الذين تمسكوا بالكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة وأئمتها علما وعملا ، ومن تدبر القرآن رأى العجب فيما قصه الله تعالى عن الرسل مع أممهم قديما وحديثا كما قال تعالى (ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغرك تغلبهم في البلاد *) كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عتاب)

فاذا كان الكلام في بيان معنى لا إله إلا الله فإن الله تعالى هو الذي تولى بيانه في مواضع

من كتابه وأجمعت عليه الرسل من أولهم الى آخرهم، كما قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) بل القرآن كله في بيان معناها، كما قال تعالى (وإذ قل إبراهيم لا ييه وقومه انني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين) وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون) أي اليها من البراءة من عبادة كل معبود سوى الله، واخلص العبادة له تعالى كقول امام الخفاء عليه الصلاة والسلام في هذه الآية (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها) وهي لا إله إلا الله، وقال تعالى (والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنا بوا الى الله) والطاغوت الشيطان وما زينه المشركين من عبادة معبوداتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله تعالى كاصنام قوم نوح وأصنام قوم ابراهيم واللات والعزى ومناة، وما لا يحصى كثرة في العرب والعجم وغيرهم وهي موجودة في الخارج معينة معلومة الوجود كاصنام قوم نوح وغيرها مما لا يحصى كثرة. فمن قال لا إله إلا الله بصدق واخلص وتعين فقد بريء من كل معبود يعبد من دون الله ممن كان يعبد اهل الارض ، وهذه الكلمة دلت على البراءة من الشرك والكفر به تضامنا ، ودلت عليه وعلى اخلاص العبادة لله تعالى مطابقة ، قال تعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) بين تعالى ان الحكمة في خلق الجن والانس أن يعبدوه وحده لا شريك له ومن المعلوم انه خلق الجن قبل الانس فيلزم على هذا القول الفاسد الذي أبداه هذا الجاهل ان العبادة التي خلق تعالى لها الثقلين لا توصف بحق ولا باطل حين خلقهم لها. واللازم باطل فبطل المزوم وهذا الموضع الذي بينا بطلانه بالمعقول والمنقول هو ثاني موضع زلت فيه قدم هذا الذي يدعي انه على شيء وليس معه شيء يلتفت اليه بما يوجب إنكاره عليه، وقد قال تعالى (اولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ؟ ان في ذلك لرحمة وذكري لقوم يؤمنون) وقال تعالى (ثم جعلناك على شريعة من الامر

فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون * انهم لن يغفوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين) وقال تعالى (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون) وعن زياد بن حدير قل : قال لي عمر : هل تعرف ما يهدم الاسلام ؟ قلت : لا . قال « يهدمه زلة العالم ، وجدال المنافق بالكتاب ، وحكم الأئمة المضلين » رواه الدارمي

فرضي الله تعالى عن امير المؤمنين عمر كانه ينظر إلى ما وقع في هذه الامة من جدال اهل الاهواء بالكتاب ، وكثرة الآراء المخالفة للحق التي بهاكثر أهل الضلال ، وكثرت بها البدع ، وتفرقت الامة واشتدت غربة الاسلام ، حتى عاد المعروف منكرا والمنكر معروفا ، والسنة بدعة والبدعة سنة ، نشأ على هذا الصغير ، وهرم عليه الكبير ، وما أحسن ما قال بعض السلف : « لا تستوحش من الحق لقلّة السالكين ، ولا تغترّ بالباطل لكثرة الهالكين » وقال بعضهم « ليس العجب ممن هلك كيف هلك ، انما العجب ممن نجا كيف نجا » فالناصح لنفسه يتهم رأيه وهواه ، ويرجع إلى تدبر كتاب الله سبحانه لا إله غيره ولا رب سواه ، وإلى ماسنه الرسول ﷺ وما عليه سلف الامة وأئمتها قبل حدوث الاهواء وتفرق الآراء ، وليكن من الشيطان وجنده على حذر

اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين ، سلماً لا ولياً لك . حرباً لا عدائك ، نحب بحبك من أحبك ، ونعادي بعداوتك من خالفك . اللهم هذا الدعاء وعليك الاجابة ، اللهم هذا الجهد وعليك التكلان .

وأما قول هذا في ورقته (إذ اشتقاقه من الهه يوجب اتحاده معه في المعنى)

(أقول) قد عرفتم ما ذكرناه من تناقضه في هذه العبارة وما قبلها ، وقد أخطأ

أيضا فيما عبر به عن الاشتقاق من وجهين :

(الاول) انه جعل الهه مشتقا منه وهو فعل يشتق ولا يشتق منه ، والمصدر

هو الذي يشتق منه الفعل كما قال في الخلاصة^(١) * وكونه أصلاً لهذين انتخاب* ومصدره إله الإلهة قال في قاموس: إله إلهة وألوهة والوهية: عبادة. ومنه لفظ الجلالة وأصله إله كفعال بمعنى مألوه وكل ما اتخذ معبوداً إله عند متخذه. انتهى (الوجه الثاني) قوله إله إذا عبده فجعل عبده مشتقاً من إله وهو من غير مادته وهو فعل أيضاً فإن عبده مشتق من عبادة يقال: عبده عبادة فمادته عبد لكن عبد تفسير لاله فاتفقا في المعنى لا في اللفظ. وأيضاً فقوله إله إذا عبده يناقض ما سلف من كلامه

وأما قوله (يوجب اتحاداه معه في المعنى لعدم وجوده بدونه)

(فالجواب) إن قوله يوجب اتحاداه معه في المعنى ليس كذلك بل لا بد أن يتضمن أحدهما وهو الفعل معنى المصدر وزيادة دلالة على الحدث والزمان. والمصدر إنما يدل على الحدث فقط، وهذا أمر معروف عند النحاة وغيرهم محسوس فعبارة تدل على أنه لا يعرف معنى الاشتقاق الذي ذكره العلماء، ولو سئل عن معناه لما أجاب، ولكنه خلا باناس عظموه في نفسه فأراد أن يأخذ العلوم بمجرد الدعوى ومن نظر في كلامه عرف أنه لا شيء هناك فتجده يأتي بعبارات متضمنة للجملات لم يسبقه إليها سابق كما قد عرفت وتعرفونه فيما يأتي من كلامه وما فيه من التناقض، فما أقبح جهل من يدعي العلم، وما أخف خطأ من يدعي الفهم

والله أسأل أن يوزعنا شكر ما أنعم به علينا مما علمناه وفهمناه فله الحمد لأنحصى ثناء عليه، ونسأله الثبات والاستقامة، والعفو والعافية في الدنيا والآخرة ولكل من عرف الإسلام وقبلة ودان به ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وأما قوله (ثم استعمل في العرف على الأغلب والاكثر على المعبود بحق لعدم تحقق العبادة إلا بعد اعتقاد العابد استحقاق المعبود لها. والا فلا تسمى عبادة

(١) المعروف بألفية ابن مالك

(فالجواب) أن قوله ثم استعمل في العرف أي بعد ان كان الاله المعبود لغة غير مقيد بقيد الحقيقة والبطالان كما تقدم صريحاً في كل أمة ، فليت شعري متى هذا العرف الذي وضع الالفاظ اللغوية معناها ؟ ومن هم أهل هذا العرف ؟ هل كانوا في قوم نوح أو قوم هود ، فيسأل هذا متى كانوا ؟ فما أفصح هذه الاقوال المختلفة التي غايتها التمجيد والتبليس ، فلا منقول ولا معقول ولم يسبقه إليها أحد . وقدم تقدم ما يلزم على هذا القول من اللوازم الباطلة

فتبين أن قوله هذا كذب على اللغة لا يعرف عن أحد لغوي ولا عن عربي والعرف لا يغير اللغة عن أصلها لفظاً ومعنى . وهذه كتب اللغة كالقاموس وصحاح الجوهري وغيره ليس فيها ما يدل على هذا القول الباطل فيكون قد كذب على اللغة والعربية وعلى غيرها من اللغات وعلى كتاب الله وسنة رسوله وقال شيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى : الاله هو الذي تأله القلوب محبة ورجاء وتوكلاً وغير ذلك من أنواع العبادة . وهذا قول أهل السنة قاطبة لا يختلف فيه اثنان

وأما قوله (على الاغلب والاكثر على المعبود بحق) فمفهومه أنه يستعمل في غير الاغلب والاكثر على غير المعبود بحق . فهذا صحيح لكنه لا يختص بالعرف بل هو في اللغة كذلك ، فاذا كان يطلق على غير المعبود بحق كما تفهمه كل أمة فهذا حجة عليه فان جميع الاصنام والوثان وما يعبد من دون الله كلها آلهة معبودة بغير حق باطلة بكلمة الاخلاص لا إله الا الله . ففيها النفي والاثبات ، كما سيأتي بيان ذلك وكل ما نفته لا إله الا الله من الاصنام والانداد فليس كايا لا يوجد إلا ذهناً كما يقوله المفترى افلاطون الفيلسوف وشيعته ، وانما كانت أشخاصاً متعددة يباشرها عبادها بالعبادة بالدعاء ، والاستغاثة والاستشفاع بها ، والعكوف عندها ، والتبرك بها كأصنام قوم نوح ، وأصنام قوم عاد القائلين (إن نقول إلا اعتراك بعض

ألهتنا بسوء) وأصنام نمرود التي تبرأ منها خليل الرحمن بقوله (انني برء مما تعبّدون إلا الذي فطرني فانه سبيدي وجمالها كلمة باقية في عقبه) أي هذه الكلمة وهي عبادة الله وحده لا شريك له وخلع ماسواه من الاوثان، وهي لا إله الا الله، وجمالها في ذريته باقية (لعلمهم يرجعون) أي اليها .

فالخليل عليه السلام فسر لا إله إلا الله بمدلولها من النفي والاثبات فالنفي في قوله (انني برء مما تعبّدون) فالبراءة منها وإبطالها نفياً ، وقوله (إلا الذي فطرني) استثنى الإله الحق الذي لا تصلح العبادة إلا له ، وهو الذي فطره أي خلقه ، وخلق جميع المخلوقات (رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق) وقد قال تعالى (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون) فان تولوا أي عمادعوهم اليه من عبادة الله وحده لا شريك له ، والرغبة عما كانوا يعبدونه من دون الله كالسبح وأمه عليهما السلام .

فان سبب نزول الآية في نصارى نجران وكانوا يعبدون آلهة أخرى ، فقوله (أن لا نعبد الا الله) ينفي كل معبود سوى الله ويثبت العبادة لله وحده التي لا يستحقها غيره . وهذا ظاهر جلي لا يخفى على من له أدنى بصيرة ، وسبب النزول لا يمنع عموم النهي لجميع الامة كما هو ظاهر في قوله (أنس لا تعبّدوا الا الله) فلم يستثن أحدًا سواء لا مائكا ولا نبيا ولا من دونهما كما قال تعالى (وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو إله واحد فإياي فارهبون) وقوله (ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله) أي من جميع المخلوقات من بشر وحجر وغير ذلك، لكن قوله (ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً) يختص بالبتسر لما تقدم من أنهم كانوا يعبدون المسيح وأمه وذييرهما من الانبياء والصالحين، ويشمل غيرهم من باب أولى، وقد قال تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً)

وأحدًا نكرة في سياق النفي وهي تعم كل مدعو من دون الله من اهل السموات والارض . وتأمل قوله (مع الله)

وخبر « لا » التي لنفي الجنس محذوف تقديره حق كما دل عليه القرآن قال تعالى (ذلك بأن الله هو الحق وان ما يدعون من دونه هو الباطل) وهذا قول اهل السنة والجماعة اتباعا لما دل عليه القرآن . ومن قدر الخبر المحذوف غير ذلك كقول بعضهم ان المحذوف « أحد » فلا حجة له ولا برهان

ينبئك عن هذا المعنى العظيم ما قرره ابن القيم رحمه الله تعالى قال : فان قوام السموات والارض والخلقة بأن تأله الإله الحق ، فلو كان فيهما آلهة أخرى غير الله لم يكن إلهاً حقاً ، إذ الإله الحق لا شريك له ولا سمي له ولا مثل له ، فلو تأهلت غيره لفسدت كل الفساد بانتفاء ما فيه صلاحها إذ صلاحها بتأله الإله الحق كما انها لا توجد إلا باستنادها الى الرب الواحد القهار ، ويستحيل أن تستند في وجودها الى ربين متكافئين فكذلك يستحيل أن تستند في تألهها الى إلهين متساويين ، وقد قال رحمه الله في قوله تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله) الآية ، قال فالمؤمنون أشد حباً لربهم ومعبودهم من كل محب لكل محبوب ، وليست هذه المسألة من المسائل التي للعبد عنها غنى أو منها بد . بل هذه افرض مسألة على العبد وهي أصل عقد الايمان الذي لا يدخل فيه الداخل الابهيا ولا فلاح للعبد ولا نجاة له من عذاب الله الابهيا . فليشتغل العبد بها أو ليعرض عنها ، ومن لم يتحقق بها علماً وعملاً وحالاً لم يتحقق شهادة أن لا إله إلا الله فانها سرها وحقيقتها ومعناها ، وان أبى ذلك الجاحدون وقصر عن علمه الجاهلون ، فان الإله هو المحبوب المعبود الذي تأله القلوب بحبها وتخضع له وتذل له وتخافه ، وترجوه وتنبأ اليه في شدائدها وتدعوه في مهماتها ، وتتوكل عليه في مصالحها ، وتلجأ اليه وتطمئن بذكره وتسكن الى

حبه . وليس ذلك الا لله وحده . ولهذا كانت أصدق الكلام وكان اهلها اهل الله وحزبه ، والمنكرون لها اعداؤه وأهل غضبه ونقمته .

فهذه المسألة قطب رحا الدين الذي عليه مداره واذا صحت صح بها كل مسألة وحال وذوق ، واذا لم يصححها العبد فالفساد لازم له في علومه واعماله واحواله واقواله ولا حول ولا قوة الا بالله ، انتهى فما أحسن هذا من بيان .

وأما قول الملحد في ورقته (لعدم تحقق العبادة الا بعد اعتقاد استحقاق المعبود لها) (فالجواب) هذا القيد ممنوع وهو من جملة اختلاقاته وأكاذيبه لانه فاسد شرعا ولغة وعرفا ، ومما يبين فساد ما في الحديث من قصة الرجلين اللذين مرا على صنم قوم لا يجاوزه احد الا قرب به شيئا فقالوا لا أحد الرجلين قرب فقال : ما عندي شيء اقرب . قالوا : قرب ولو ذبابا ، فقرب ذبابا فخلوا سبيله فدخل النار . اي بتقريبه الذباب لصنمهم . وهو انما قربه للتخلص من شرهم من غير اعتقاد استحقاقه لذلك ، فصار عبادة للصنم دخل بها النار ، وهذا يدل على ان هذا الفعل منه هو الذي اوجب له دخول النار لانه عبد مع الله غيره بهذا الفعل . وقالوا للآخر : قرب فقال : ما كنت لا قرب لاحد شيئا دون الله عز وجل ، فضربوا عنقه فدخل الجنة .

وايضاً فقد قال ابو طالب :

لقد علموا ان ابننا لا مكذب لدينا ولا يعنى بقول الا باطل
وقوله يخاطب النبي ﷺ :

ودعوتني وعرفت انك ناصحي ولقد صدقت وكنت ثم امينا
وعرضت ديننا قد عرفت بأنه من خير اديان البرية دينا
لولا اللامة او حذار مسبة لوجدتني سمحا بذلك مبينا

فثبت بهذا ان ابا طالب لم يعتقد ان ما كان قومه عليه من الشرك حقاً ولم ينمعه من الدخول في الاسلام الا خوف أن يسب أسلافه فقط ، ومع هذا مات مشركاً كما ثبت في الصحيح ، وهذا يبين فساد هذا القيد .

فاذا عرف ذلك تبين ان هذا الرجل يخلق أقوالاً لا برهان عليها ولا حجة ثم ان من المعلوم ان كل من عبد معبوداً غير الله وأصر على عبادته له انه يعتقد استحقاقه للعبادة ، وهذا هو الغالب على المشركين في حق معبوداتهم ، ولهذا تجدهم يجادلون عنها ويناضلون مجادلة من يعتقد انها تستحق ما كانوا يفعلونه لها من العبادة .

وقوله (في كل أمة أيضاً) اعتراف منه بأن الاله يطلق على كل معبود يعتقد عابده انه يستحق العبادة كما هو حال أكثر المشركين ، فاحفظ هذا الاعتراف منه فسيأتي في كل أمة ما يناقضه .

وأما قوله (ولهذا ذهب كثير من المتبحرين الى انه عبارة عن المعبود بحق وما قيل من ان كثيراً ما يطلق على الآلهة الباطلة كما ورد في أكثر موارد القرآن وهو يوجب عدم صحة المدعى - فمدفوع بأن اطلاقه عليها بالنظر الى اعتقاد عبادها لا باعتبار نفس الامر)

(فالجواب أن يقال) هذا يناقض ما تقدم له من أن العابد اذا اعتقد استحقاق معبوده للعبادة صار إلهاً ، ولا يخفى ما قضة هذا له ، فانه أقر فيما تقدم قريباً ان المعبود يكون إلهاً باعتقاد عابده استحقاقه للعبادة في نفس الامر ، وقد عرفت ان القيد ممنوع ، فأخطأ في الموضعين أي في هذا والذي قبله وتناقض

وأما قوله : ولهذا ذهب كثير من المتبحرين الخ فهذا القول مجهول قائله لا يعرف ان أحداً من المسلمين قاله ، والقائل به مجهول لا يقبل له قول وقد أجمع العلماء قديماً وحديثاً على ان المجهول لا يقبل له قول ولا خبر ، ولا

تقوم به حجة في شيء من أبواب العلم، فكيف اذا كان إلحاداً وطعننا في أصل الدين؟ وقد أجمع المحدثون على ان رواية الجاهل لا تقبل كذلك، فسقط هذا القول من أصله وفسد

وقوله (كما ورد في أكثر موارد القرآن) انظر إلى هذا الجبل العظيم في محاولته رد ماورد في أكثر موارد القرآن ، بقول الجاهلين الذين لا يعتد بقولهم عند أحد من طوائف العلماء ، وموارد القرآن يحتاج بها لا يحتاج عليها بقول أحد ، وهي الحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه كما قل تعالى (فان تذازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) الآية ، فما وافق القرآن سواء كان نصاً أو ظاهراً قبل ، وما خالفه رد على من قاله كأننا من كان ، فقد ارتقى هذا مرتقى صعباً بتمجيته القرآن وابطال دلالاته عنه بما زخرفه ونسبه إلى جاهلين ، فسبحان الله كيف يخفى هذا على أحد ؟ فن تدبر هذا المحل تبين له ضلاله .

وأما قوله (فدفع بان اطلاقه عليها بالنظر إلى اعتقاد عبادها)

(فالجواب) ان هذا يبطله القرآن كما قال تعالى (وإذ قال ابراهيم لأبيه أزر أتخذ أصناماً آلهة؟ إني أراك وقومك في ضلال مبين) وقال (انفسكا آلهة دون الله تريدون ؟) فسماها الخليل آلهة مع كونها باطلة ، و كونها باطلة لا ينافي تسميتها آلهة ، كما قال موسى عليه الصلاة والسلام ، لما قال له بنو اسرائيل (اجعل لنا إلهة كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون * إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون) وقال (أفغير الله أبغىكم إلهة) فسماه الكليم إلهة مع انكاره عليهم ما طلبوا وهو قد أقر فيما تقدم ان يطلق على غير الاله الحق ، فتناقض والاهية المنفية في كلمة الاخلاص بدخول ادلة النفي عليها ، وهي لا النافية . فالمراد بنفيها ابطالها والبراءة منها والكفر بها واعتزالها وغير ذلك مما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى ، فكما تسمى آلهة وأنداداً وأرباباً وشركاء وأولياء ، لان من عبدها فقد جعلها مألوهة له وجعل

لها شركة في العبادة التي هي حقه ومثلها بالله في عبادته لها واتخذها أربابا وأولياء وكل هذا في القرآن كما قال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله)

وقد تقدم كلام العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى على هذه الآية العظيمة . وقال تعالى (وقيل ادعوا شركاءكم فدعواهم فلم يستجيبوا لهم) وقال تعالى (اتخذوا أبحارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) وقال (أغضب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني أولياء) وهذا في القرآن كثير ، فصارت تطاق عليها هذه الاوصاف بجعل عابديها واتخاذهم لها كذلك بعبادتهم وارادتهم كما تقدم بيانه في هذه الآيات ، كما في قوله تعالى (واتخذوا من دون الله آلهة لعالمهم ينصرون) (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً) فصارت آلهة بالفعل والاتخاذ والارادة والقصد ، واستشهد العلماء على ذلك بقول رؤبة بن العجاج :

لله در الغانيات المداه سبجن واسترجعن من تألهي

أي من تعبدني ، وتقدم كلام صاحب القاموس على هذا المعنى . وقرأ ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (ويذكرك وإلهتك) أي عبادتك قال لأنه كان يعبد . وتقدم تقرير هذا في كلام العلماء . وهذا يبين ان كل معبود إله ، حقا كان أو باطلا لأنه قد الهه العابد بالعبادة ، وتبين بهذا ان هذا الرجل يتكلم في هذه الامور بلا علم ويأتي بما يخالف القرآن واللغة والسلف والعلماء ويتناقض

ومن فرط جهله قوله (وبهذا تعين فساد ماتوهم من ان الاله المنفي بلا ، في الكلمة الطيبة هو المطلق غير المقيد بالحق أو الباطل) وهذا القول الذي أقر بفساده هو الذي قاله آتفا وبيننا فساده في محله

فتأمل ما في هذا الكلام من الفساد والضلال ، فنه جعل المنفي في كلمة الاخلاص قابلا للوصفين اي الحق والباطل ، فنه لاشك أن الاله المنفي باطل . ولا بد من

تقييده بالبطلان لان المنفي في كلمة الاخلاص هي الطواغيت والاصنام وكل ما عبد من دون الله ، وكلها باطلة بلا ريب: كما قال لبيد في شعره الذي سمعه منه النبي ﷺ
 * ألا كل شيء ما خلا الله باطل *

ومن لم يعتقد هذا فليس من الاسلام في شيء ، وتقدم في الآيات أن المستثنى في كلمة الاخلاص «بلا» هو الله الحق كما قال تعالى (ذلك بان الله هو الحق وانما يدعون من دونه هو الباطل)

وهذا الرجل قد افترى على الامة وكذب عليها بقوله المتقدم : ان الاله هو المعبود لا بقيد الحقيقة ولا البطلان ، فهو دائماً يتناقض ، يذكر قولاً وينفيه ثم يذكره بعده ويثبتته ثم ينفيه ، ومن وقف على ما كتبت في هذا المعنى عرف ذلك من حاله ومقاله ، ومحط رحله هو قول الفلاسفة كابن سينا والفارابي وابن العلقمي القائلين بان مدلول لا إله إلا الله نفياً وإثباتاً فرد هو الوجود المطلق ، او قول الاتحادية انه الوجود بعينه

وكلام هذا وعبارته المتقدم منها والآتي يدل على انه يقول بقولهم ، ويحمل معنى كلمة الاخلاص « لا إله إلا الله » على إلحادهم ، يعرف هذا من له فهم وإطلاع على ما ذكره العلماء في بيان حقيقة قول هاتين الطائفتين الكفريتين كما سيأتي في كلام شيخ الاسلام وابن القيم وغيرهم

وهذا اعراب كلمة الاخلاص الذي يعرفه اهل العربية وغيرهم من العلماء في اعرابها فيقولون :

لانافية للجنس ، واسمها اله ، بمعنى معها على الفتح ، منفي بلا ، والاله جنس يتناول كل معبود من بشر او حجر او شجر أو مدر أو غير ذلك ، فهذا الجنس على تعدد افراده منفي بلا ، وخبر لا محذوف على الصحيح كما في الآيات ، وتقدم ذكره ،

والاستثناء من الخبر ، وإلا أداة الاستثناء ، والله هو المستثنى بالا ، وهو الاله الحق وعبادته حق وقوله الحق . والصحيح انه مخرج من اسم لا وحكمه كإقراره العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى ، والدلة على هذا في القرآن أكثر من أن تحصر ، وقد صرحت بذلك الآيات المحكمات بقوله تعالى (قل يأيتها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم) وهذا هو المنفي بلا في كلمة الاخلاص . وقوله (ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم) هو معنى إلا الله ، وهذا هو الذي أمر الله نبيه ﷺ أن يدعو أمته اليه ، وما خالف هذا فهو تليس وتشبيه وبهرج وباطل . نعوذ بالله من كل قول يؤخذ عن غير القرآن ، وعن غير ما دان به اهل الاسلام والايمان

ثم ان هذا الرجل انتهى امره فيما كتبه الى ان زعم ان المنفي بلا كلي وهذا الكلي منوي ذهننا لا يوجد منه في الخارج إلا فرد ، وذلك الفرد المنفي بلا هو المستثنى بعينه وهذا صريح كلامه وآتى فيه بثلاث عظام هي إلى الكفر اقرب منها إلى الايمان :

(الاولى) انه زعم ان المنفي بلا كلي لا يوجد إلا ذهننا فعنده انها لم تنف طاغوتا ولا وثنا ولا صنما ولا غيرها مما يعبد من دون الله . فخالفوا أيضا أهل النطق . فان الكلي عندهم مقول على كثيرين مختلفين بالعدد دون الحقيقة ، ولم يقولوا انه منوي لا يوجد منه في الخارج إلا فرد

(الثانية) انه زعم أن ذلك الفرد الذي لا يوجد غيره لما كان منفيا بلا صار ثابتاً بالا وهو فرد واحد ، فصار الاله عنده متصفا بالنفي والاثبات ، والنفي والاثبات في فرد تقيضان ، ومقتضاه ان هذا الفرد صار اولاً باطلاً لانه منفي ثم صار حقا لانه استثنى بالا ، فاجتمع فيه الوصفان . نعوذ بالله من هذا التهاافت والاحاد والتناقض والعناد

وقد عرفت ان النحاة واهل الكلام كلرازي وغيره ومن قبلهم يعلمون ان المنفي غير المثبت كما سنذكر عنهم اتفاقهم على ذلك ، وانه لا يحصل التوحيد إلا بذلك ، وهذا امر يعرفه كل أحد حتى مشركو العرب ومن ضاهاهم من الامم أعداء الرسل يعلمون انها نفت الالهة التي كانت تعبد من دون الله واثبتت الهية الحق الذي اقروا انه رب كل شيء ومليكه ، وخالق كل شيء ورزق كل حي ، وذلك هو الله العلي الاعلى القاهر فوق عباده

(والثالثة) انه صرح ان المنفي كلي . والفرد الموجود في الخارج جزئي (تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا) وهذا هو حقيقة قول هذا ولهذا مثله بقوله : لا شمس إلا الشمس

ومن أشكل عليه فساد قول هذا وضلاله فليتدبر القرآن وليراجع كلام المفسرين في معنى كلمة الاخلاص وما وضعت له ومادات عليه هذه الكلمة العظيمة ، فقد قال تعالى (فن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم) فدل الآية على أنه لا يكون مستمسكا بلا إله إلا الله إلا إذا كفر بالطاغوت وهي العروة الوثقى التي لا انفصام لها ، ومن لم يعتقد هذا فليس بمسلم لانه لم يتمسك بلا إله إلا الله

فتدبر واعتقد ما ينجيك من عذاب الله وهو تحقيق معنى لا إله إلا الله نفياً وإثباتاً ، وتدبر قوله تعالى عن خليله عليه السلام (وإذا قال إبراهيم لأبيه وقومه انني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين ، وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون) والكلمة هي لا إله إلا الله باجماع المفسرين . فلا احسن من هذا التفسير ولا أبين منه ، وليس للجنة طريق الا بمعرفة وقبوله واعتقاده والعمل به

نسأل الله أن يوزعنا شكر ما أنعم به علينا من هذا التوحيد والبصيرة فيه

ولا حول ولا قوة الا بالله

فتأمل كيف عبر الخليل عليه السلام عن هذه الكلمة بمدلولها الذي وضعت له من البراءة من عبادة كل معبود سوى الله من وثن وصنم وغير ذلك وقصر العبادة على الله وحده بقوله (الا الذي فطرني) ودلت على ان النفي جنس تحته افراد موجودة في الخارج يعبدها المشركون وليست آلهة الا في حق من يعبدها ويتألفها دون من يكفر بها ويتبرأ منها ويعاديها ويعادي من عبدها

اذا ثبت ذلك وعرفت ان الحق فيما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله في بيان معنى هذه الكلمة فاعلم ان النحاة والمتكلمين اختلفوا: هل تحتاج لا النافية لخبر مضمر أم لا؟ فمنعه الرازي والزمخشري وابو حيان، وقالوا: انه يكفي في الدلالة على التوحيد ما تضمنته من النفي والاثبات. بناء على ان اصلها مبتدأ وخبر ثم قدم الخبر على المبتدأ، ثم دخل حرف النفي على الخبر المقدم، ودخل حرف الاستثني على المبتدأ فانتفت الالهية عن كل ماسوى لله من كل ما يعبد من دونه من صنم ووثن وطاغوت وغير ذلك. هذا مضمون ما ذهب اليه هؤلاء، وغيرهم وافقهم في المعنى فاتفقوا ان المستثنى مخرج بالا ولولا الاستثناء لدخل، قال الكسائي: هو مخرج من اسم لا، وقال الفراء: مخرج من حكم اسمها وهو النفي. والصحيح انه مخرج منهما كما قرره العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى

اذا عرفت ذلك فاكثر النحاة وغيرهم يقولون لا بد لها من خبر مضمر قال بعض من صنف في أعراب هذه الكلمة ومعناها - بعد كلام له سبق أقول: قد عرفت أن المضمر على تقدير ان يكون في الكلام اضمار اما الخبر او المرفوع بالا المكتفى به عن الخبر، وقد عرفت ايضا ان المعنى المقصود في لا اله الا الله هو قصر الالهية على الله تعالى

والعلامة الدواني قائل بهذا كما يشير اليه في البحث الخامس من رسالته وصرح به في شرحه للعقائد العنصرية حيث قال: واعلم ان التوحيد اما بحصر وجوب

الوجود او بحصر الخلقية او بحصر العبودية - ثم قل : الاول كذا والثاني كذا -
وساق الكلام وحقق المقام ، أي في رده الى ان قل - والثالث وهو حصر العبودية ،
وهو ان لا يشرك بعبادة ربه أحدا فقد دلت عليه الدلائل السمعية ، وانعقد عليه
اجماع الانبياء عليهم السلام ، وكلهم دعوا المكلفين أولا إلى هذا التوحيد ،
ونهبهم عن الاشرار في العبادة قال تعالى (وتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما
تعلمون) انتهى

ثم قال النقل : ومصادق اجماع الانبياء قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك
من رسول الا نوحى اليه انه لا إله الا أنا فعبدون) بعد قوله تعالى (أم اتخذوا
من دونه آلهة ، قل هاتوا برهانكم ؟ هذا ذكر من معي وذكر من قبلي ، بل أكثرهم
لا يعلمون * الحق فهم معرضون) وقوله تعالى (ينزل الملائكة بالروح من أمره
على من يشاء من عباده ان أنذروا انه لا إله الا أنا فاتقون) وقوله تعالى (ولقد
بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال تعالى (واسأل
من قبلك من أرسلنا أجمعنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ؟)

الى أن قال : فاثبات الالهية له تعالى على وجه الانحصار فرع على أصل
ثبوتها له تعالى ، وأصل ثبوتها له تعالى فرع على ثبوته تعالى في نفسه بل اصل
ثبوت الالهية له تعالى أيضاً على ما يقتضيه دلالة هذا الكلام لغة أمر مسلم الثبوت
مفروغ منه لانزاع فيه . وانما النزاع - أي مع المشركين - في قصر الالهية عليه
تعالى فالموحد يخصها به فيقول لا إله الا الله ، والمشرک ينكر ذلك استكباراً ، فيقول
(اجعل الآلهة الها واحداً ان هذا شيء عجاب) قال تعالى (انهم كانوا اذا قيل لهم لا
إله الا الله يستكبرون * ويقولون أننا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون ؟)

الى ان قال : فاذا تمهد هذا فنقول : لما كان في لا إله الا الله نفى واثبات
فهي في الحقيقة جملتان اسميتان ، لان كلا من النفي والاثبات يقتضي طرفين

ينعقد الحكم بينهما، فطرف الإثبات هو الاسم الجليل مع صحة الإيجاب من
الله فصح ان يقصر بالاولى استمرار الثبوت المتمتع الانفكاك، وبالثانية استمرار
النفي المتمتع الانفكاك، ومقام الدعوة الى كلمة التوحيد قرينة على ان المعنى المراد
من لا إله الا الله نفياً وإثباتاً هو هذا الاستمرار المتمتع الانفكاك ضرورة ان
الشارع لا يقول الا صدقاً

واستمرار ثبوت الالهية له تعالى على سبيل امتناع الانفكاك واستمرار
انتفاء الالهية عن غيره تعالى هو المطابق لما في نفس الامر، فهو المقصود للشارع
فلم يبق الا ان أهل اللسان: هل فهموا ذلك منه حتى يكون دلالة لقوية أم لا ؟
فنقول: انهم قد فهموا منه ذلك بدليل قوله تعالى (انهم كانوا اذا قيل لهم لا إله
الا الله يستكبرون ويقولون: أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون؟)

ووجه دلالة على ما ذكرناه هو ان الصادق أخبر بان انكارهم لما يلزم من
الاعتراف بلا إله الا الله من تركهم آلهتهم واختصاصه تعالى بالالهية - انكار
بمحض استكبار لا لتسك عقلي. انتهى ما نقلته وهو تقرير حسي موافق لما دل عليه
الكتاب والسنة كما عرفت من صريح الآيات والاحاديث

لكن قوله وأصل ثبوتها له تعالى فرع على ثبوته تعالى في نفسه أمر فطري
مسلم حتى عند أعداء الرسل فانهم يعرفونه ويعبدونه لكن عبدوا معه غيره. فدلالة على
وجوده تعالى دلالة التزام، فيلزم من اختصاصه بالالهية وجوده وكالاه في ذاته وصفاته
ومباينته للمخلوقين وانه أحد صمد لا كفء له ولا مثل له ولا شريك له، ولا يظهر
به ولا ند له تعالى وتقدس كما قال تعالى (قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم
يولد ولم يكن له كفواً أحد) وقال تعالى (ليس كمثل شيء وهو السميع البصير)
إلى أمثال هذه الآيات

رجعنا الى تقرير معنى هذه الكلمة العظيمة قال الله تعالى (ذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال ؟)

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في هذه الآية (فماذا بعد الحق الا الضلال) فلا آية انما سيقّت فيمن يعبد غير الله ، فما عبد إلا الضلال المحض والباطل البحت . انتهى

وقد فسر العلماء من المفسرين وغيرهم سلفا وخلفا معنى قوله تعالى (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى) ان الطاغوت هو الشيطان وما زينه من عبادة الاوثان كما تقدم .

ولا ريب أن الكفر بالشيطان يحصل بالبراءة منه ومعصيته في كل ما أمر به ونهى عنه . وكان موجوداً اعدنا الله من عبادته ، وكذلك الاوثان يكفر بها المؤمنون ويتبرءون من عبادتها مع وجودها ومن عبادة المشركين لها

والمقصود ان نفي الاوثان الذي دلت عليه كلمة الاخلاص يحصل بتركها والرغبة عنها والبراءة منها ، والكفر بها وعين يعبدها واعتزالها واعتزال عابديها وبعضها وعداوتها . وكل هذا في القرآن مبيناً ، وقد انتفت عبادة كل ماعبد من دون الله مما هو موجود في الخارج مما يعبده المشركون سلفا وخلفا بهذه الكلمة كما تقدم

وقد ذكر تعالى عن خليله عليه السلام انه قال (فانهم عدو لي إلا رب العالمين * الذي خلقني فهو يهدين) الآيات وبالله التوفيق

وصح عن أهل السير والغازي وغيرهم من العلماء : ان الله تعالى لما أرسل محمداً ﷺ يدعو الناس الى ان يشهدوا ان لا إله الا الله وانه رسول الله ، وكان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً تعبدونها قريش ، وكانوا يعبدون اللات والعزى ومناة — وهي أكبر الطواغيت التي يعبدونها أهل مكة والطائف ومن حولهم —

فاستجاب للنبي ﷺ من استجاب من السابقين الاولين، وهاجر من هاجر منهم الى الحبشة، وكل من آمن منهم يشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله رغبة عن الشرك وعبادة الاوثان وكفراً بها، وبرائة منها، ومسبة لها، فصح اسلامهم وایمانهم بذلك مع كونها موجودة يعبدونها من بعد ما لم يرغب عنها وعن عبادتها فهذا يتبين انه ليس المراد من نفي الاوثان والاصنام وغيرها في كلمة الاخلاص زوال ماهية الاصنام ونفي وجودها، وانما المراد انكار عبادتها والكفر بها وعداوتها كما تقدم بيانه، وكل من تبرأ منها ورغب عنها فقد نفاها بقول لا اله الا الله، وأثبت الألوهية لله تعالى دون كل ما يعبد من دونه. فلما تمكن ﷺ من إزالة هذه الاصنام كسرها وبعث من يزيل ما بعد عنه منها، فخلت الجزيرة من أعيانها، وهذا معنى قوله تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) وفيه الرد على الفلاسفة واهل الاتحاد القائلين بان المنفي كلي يوجد ذهناً ولا يوجد منه في الخارج إلا فرد بناء على ما اعتقدوه في الله تعالى من الكفر به وبكتابه وبرسوله، وقد عرفت ان المنفي بها أفراد متعددة من الاصنام والانداد والشركاء والاولياء من حين حدث الشرك بعبادة الاصنام في قوم نوح إلى أن تقوم الساعة. فيجب بلا اله الا الله البراءة من كل ما يعبد المشركون من دون الله. فلا بد من نفي هذا كله بالبراءة من عبادته ومن عابديه فمن تبرأ من عبادتها كلها وأنكرها وكفر بها فقد قال لا اله الا الله وأخلص العبادة لله وحده، وصار بهذا التوحيد مسلماً مؤمناً

وتأمل ما ذكره المفسرون في قول الله تعالى (وعجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا ساحر كذاب) أجعل الالهة إلها واحداً؛ إن هذا لشيء عجاب قال ابو جعفر ابن جرير رحمه الله تعالى: أنبأ ابو كريب وابن وكيع قال ثنا ابو اسامة أنبأ الاعمش ثنا عباد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما مرض

أبو طالب دخل عليه رهط من قريش فيهم ابو جهل، فقالوا ان ابن أخيك يشتم آلهتنا ويفعل ويفعل ويقول ويقول، فلو بعثت اليه فتهبته، فبعث اليه ، فجاء النبي ﷺ فدخل البيت وبينهم وبين ابي طالب قدر مجلس رجل، قال فخشي ابو جهل ان جلس النبي ﷺ الى جنب ابي طالب ان يكون ارق عليه فوثب فجلس في ذلك المجلس، ولم يجد رسول الله ﷺ مجلسا قرب عمه فجلس عند الباب فقال له ابو طالب اي ابن اخي، ما بال قومك يشكونك يزعمون انك تشتم آلهتهم وتقول وتقول؟ قال واكثروا عليه القول وتكلم رسول الله ﷺ فقال «يا عم اني أريدكم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب ، وتؤذي الهمم بها المعجم الجزية» ففزعوا لكلمته ونقلوه، فقال القوم كلمة واحدة؟ نعم وأبيك عشرين، فقالوا وما هي؟ وقال ابو طالب: واي كلمة هي يا ابن أخي؟ قال «لا إله الا الله» فقاموا فرعين ينفضون التراب عنهم (ويقولون اجعل الآلهة إلها واحداً ان هذا شيء عجاب - الى قوله - لما يذوقوا عذاب) لفظ أبي كريب . وهكذا رواه الامام احمد والنسائي من حديث محمد بن عبد الله بن نمير كلاهما عن أبي اسامة عن الاعمش عن عباد منسوباً به نحوه ، ورواه الترمذي والنسائي وابن أبي حاتم وابن جرير كلهم من تفاسيرهم من حديث سفیان الثوري عن الاعمش عن يحيى بن عمار عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس . وقال الترمذي حسن

ففي هذا من البيان والعلم ، ان لا إله إلا الله تبطل عبادة كل ما يعبد به المشركون من دون الله ، وتنفي ما كان بينهم من معبوداتهم الموجودة في الخارج باعيانها وفيه ان المشركين عرفوا معناها الذي وضعت له ودلت عليه من ابطال عبادة كل معبود سوى الله .

فاذا كان معناها هذا يعرفه كل أحد حتى المشركون يعرفون ما نفتته وما أثبتته ، فاذا جاء ملحد لا يعرف معناها من كتاب الله ولا سنة رسوله ولا لغة

ولا عرف ولا عرف من معناها ما عرفه المشركون . وقال ان لا اله الا الله لم تنف الا كلياً منوياً لا يوجد منه في الخارج الا فرد وهذا الفرد المنفي هو المثبت ، فابن هذا من معناها الذي يعرفه المسلمون وبه يدينون ، ويعرفه المشركون أيضاً ويشمزون منه وينفرون ، كما قال تعالى (انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون ائنا لنتاركو آلهتنا لشاعر مجنون)

فالمشركون عرفوا وأنكروا مدلولها ، وهذا الملحد أنكر مدلولها مع الجهل بمعناها الذي يعرفه كل أحد حتى أعداء الرسل القائلون (أجنثنا لنعبد الله وحده؟) فسبحان الله ما بين ضلال هذا الملحد عند أهل البصيرة من أهل التوحيد ، وعند أهل الفطر والمقول قاطبة ، فكل ذي عقل ينكر هذا القول ويعرف بطلانه ، ونذكر وجوها تبين بطلان هذا القول مع ما تقدم (الاول) ان هذا يناقض ما شهد الله به وشهدت به ملائكته وألو العلم من عباده قل تعالى (شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم) فلم يبق معبود يعبد الا اولون والآخرون من دون الله الا بطلت عبادته والهيته بشهادة الله عز وجل وملائكته وأولو العلم قاطبة ، وأن المعبودات التي بطلت بشهادة الله ليست كلياً لا يوجد منه في الخارج إلا فرد كما يقوله الملحد بل كل ما يوجد في الامم وفي العرب من الاوثان والاصنام التي لا تحصى كثرة كاصنام قوم نوح وغيرها . ومن لم يمتقدان هذا هو الذي شهد الله به وملائكته وأنبياءه بنفيه عن هذه الاصنام ، وكل ما عبد من دون الله فما قل لا اله الا الله ، وما عرف من الاسلام ما يعصم دمه وماله ، وصار عما شهد الله به في معزل

(الوجه الثاني) ان هذا القول ينافي ما بينه الله تعالى في كتابه من ملة الخليلين لقوله تعالى (واذ قال ابراهيم لآبيه وقومه انني براء مما تعبدون) الآية وقد تقدمت . وقال تعالى (وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه وأطيعون ذلكم

خير لكم ان كنتم تعلمون * انما تعبدون من دون الله اوثاناً وتخلقون افكان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً (فذكرها عليه السلام بصيغة الجمع . أيجوز في عقل عاقل ان ماذ كره تعالى عن خليله من انكاره لعبادة هذه الاوثان واخباره انهم لا يملكون لعبادتهم رزقاً انها لا توجد في الخارج ؟ ولا ريب انه لا يجحد هذا الامكار معانداً مخالف لما جاءت به الرسل من التوحيد . وقوله تعالى عن خليله وقال (انما اتخذتم من دون اوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا) الآية . أيشك من له عقل ان تلك الاوثان موجودة عند عابديها يباشرونها بالعبادة ؟ وهل يعرف أحد من هذا السياق إلا انها موجودة معبودة منتفية بلاإله إلا الله وكذلك قول الله تعالى (واذا قال ابراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة ؟ اني أراك وقومك في ضلال مبين)

ولا خلاف ان الصنم شيء مصور على صورة شخص يعبد من دون الله ، وذلك لا يكون إلا موجوداً في الخارج فسماه الخليل اوثاناً وآلهة وأنكرها وتبرأ منها ومن عبدها . (الوجه الثالث) ان الله بعث محمداً ينهى قريشاً والعرب وغيرهم من المشركين عن أن يعبدوا مع الله غيره كاللات والعزى ومناة والاصنام التي كانت حول الكعبة كما تقدم ، وقد قال تعالى (أفرأيتم اللات والعزى — الى قوله — إن هي إلا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان) أيشك أحد بعد هذا انها موجودة تعبد من دون الله ؟ بل لا يشك مسلم ولا مشرك في وجودها وان قريشاً وغيرهم يعبدونها .

(الوجه الرابع) ان الله تعالى قال (إنا أرسلنا نوحاً الى قومه أن أنذر قومك من قبل أن ياتبهم عذاب أليم * قال يا قوم اني لكم نذير مبين * أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون) فأجابوا رداً عليه فيما دعاهم اليه وقالوا (لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا وداً ولا سواعاً ، ولا يغوث ويعوق ونسراً)

ومعلوم عند العلماء قاطبة بل وعند العامة انها اسماء رجال صالحين صورها قومهم أصناما على صورهم وسموها بأسمائهم ، قال بهم الامر الى أن عبدوها وهي موجودة في الخارج لا يشك في وجودها أحد ، ولا ريب انها منتفية بكلمة الاخلاص لا إله إلا الله . وهذه الاصنام استخرجها عمرو بن لحي الخزاعي الكاهن لما كان والياً على مكة قبل قريش وفرقها في العرب فعبدوها كما عبدها قوم نوح كما ذكره البخاري في صحيحه .

(الوجه الخامس) ما ذكره الله عن قوم هود لما دعاهم هود عليه السلام الى أن يعبدوا الله وحده ويتقوا قال لهم (ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان)^(١) فأجابوا بقولهم (أجبنا الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا) فظهر ان لهم ولا بائتهم معبودات في الخارج يعبدونها من دون الله ، ودعوة الرسل تبطل عبادتها . وتقدم ما ذكره الله تعالى في سورة هود من قولهم لهود عليه السلام (إن نقول إلا اعتراك بعض آلنا بسوء) وهذا لا يقال إلا على آلهة موجودة تعبد ، ودلت هذه الآيات على ان الالهية هي العبادة وان المنشركين وضعوها فيمن لا يستحقها من صنم ووثن وطاقوت وغير ذلك .

(الوجه السادس) قول يوسف عليه السلام (يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ؟ * ما تعبدون من دونه إلا اسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان) فسبحان الله أين ذهب عقل الفيلسوف حين اعتقد ان المنفي كلى لا يوجد إلا ذهنا . ومعلوم انه لا يكون له اعداد على هذا الاعتقاد الباطل

وتبين ان كلمة الاخلاص نفت أربابا متفرقين وضعت عليها أسماء ما أنزل

(١) هذه الآية في قول يوسف عليه السلام . أما قول هود عليه السلام فهو (أتجادلوني في أسماء الخ) من سورة الاعراف

الله بها من سلطان كما كان اهل الاوثان يسمون آلهتهم ، وفيما ذكرنا في هذه الوجوه كفاية . فلو ذكرنا ما يبطل قوله من الوجوه لبلغ مائة أو أكثر

وقد قدمنا عن أئمة اللغة في معنى الاله موافقتهم في لغتهم لما دل عليه الكتاب والسنة من معنى كلمة الاخلاص وما دلت عليه مطابقة وتضمننا والتزاما ، وكذلك النحاة وجميع العلماء من المفسرين وغيرهم أجمعوا قاطبة على ان الاله هو المعبود وان العبادة حق لله لا يجوز أن يصرف منها شيء لغير الله كأننا ما كان وان المنفي في كلمة الاخلاص كل ما كان يعبد من دون الله من بشر أو ملك أو شجر أو حجر أو غير ذلك ، ولولا قصد الاختصار لبسطت القول في هذا المعنى العظيم الذي لا يصلح لاحد دين إلا اذا عرفه على الحقيقة وقبل ما دل عليه الكتاب والسنة من بيان توحيد الله وقصر العبادة عليه دون كل ما سواه

واعلم انني لما كتبت قبل هذا في رد قول هذا الملحد ان المنفى بلا إله إلا الله كلي منوي لا يوجد منه في الخارج الا فرد وهو المستثنى ، فأجبت بما حاصله : اذا كانت لا إله إلا الله لم تنف إلا كلياً منوياً ، فعلى هذا القول الباطل لم تنف لا إله إلا الله صنماً ولا وثناً ولا طاغوتاً وصار المنفى منصباً على الفرد ، فهو المنفى وهو المستثنى ، وتناقض هذا لا يخفى على من له عقل وفهم ، وقد عرفت ان هذه دعوى منه مخالفة لما بعث الله به رسوله من توحيده ، وعلى قول هذا لم يكن للإله إلا الله مدخل في الكفر بالطاغوت والبراءة من الاوثان التي صرح القرآن بنفيها بكلمة الاخلاص - لا إله إلا الله - كما في آية البقرة وغيرها وقد تقدم بيان ذلك ، وبهذا يتبين لمن له فهم ان قول هذا الرجل من أبطل الباطل وأبين الضلال وأحمل المحال .

والمسلم الموحد يعلم من الكتاب والسنة ومن قول أهل العقول الصحيحة والفطر السليمة أن إلهه إلا الله لها موضوع عظيم ومدلولها هو حقيقة الإسلام والايان فأنها إنما وضعت للرغبة عن عبادة كل ما يعبد من دون الله والبراءة منه والكفر به وانكار ذلك وبفضه وعداوته وعداوة من اتخذ الشرك في العبادة ديناً ، وهذا هو أظهر ما في القرآن، وأبينه ايضاحاً وتقريراً

وجواب ثان وهو قولي : كيف يجوز أن يكون الفرد الذي وجد من الكلبي المنفي داخلاً في المنفي بالاً خارجاً بالاستثناء فيكون متصفاً بالنفي والاثبات وأحدكما نقيض الآخر ، وأن لا إله إلا الله لا تدل إلا على هذا الفرد خاصة نفيًا وإثباتًا ؟ هذا لا يقبله إلا من كان عقله فاسداً لا يعرف حقاً من باطل ولا هدى من ضلال ، كيف يصح استثناء فرد منفي ويكون هو المستثنى فأين المستثنى والمستثنى منه الذي يعرفه العرب من لغتهم المستعمل في الكتاب والسنة وأقوال سلف الامة وأئمتها وأهل العربية وغيرهم ويعرفه أهل اللغات ؟ فما أبعد ضلال هذا وأجهل وأبعد عن العلم واهله

ثم ان هذا الرجل سمع بما كتبت على قوله من الرد والابطال . فأجاب بقوله : قلنا إنما يلزم هذا لو أريد بالمستثنى منه فرد خاص جزئي وإنما أريد منه المفهوم العام المتناول لافراد المعبود بحق سواء كانت في الذهن أو في الخارج (فالجواب) انه عدل عن قوله الاول الى ما هو أفضح منه وأشنع فزعم ان المستثنى منه إنما أريد منه المفهوم العام المتناول لافراد المعبود بحق ، فصرح بأن المستثنى منه إنما أريد منه المفهوم العام المنفي مراداً ، فصار المفهوم العام المنفي له افراد ومعلوم ان الافراد لا توجد في الذهن وإنما توجد في الخارج فتراه يحوم حول الباطل ويتهافت . وأعظم من هذا قوله ان المفهوم العام المنفي متناول لافرداً

المعبود بحق فحمل للمعبود بحق افراداً منفية بلا، وكلها حق، فكيف يجوز أن ينفي ما هو حق؟ وكيف تكون الافراد كلها حقة؟

فتدبر يتضح لك الخال. فهذه فنون من الضلال والالحاد يديها تارة ثم يأتي بما هو أعظم منها وأبين في الضلال والحال، والمنفي بلا في كلمة الاخلاص لا يكون حقاً بل هو الباطل كدال عليه الكتاب والسنة وما عليه المسلمون، والحق في كلمة الاخلاص هو المستثنى وهو الله تعالى (الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن فاستل به خبيراً) لاشريك له في الهيئته ولا في ربوبيته ولا في أفعاله ولا مثل له ولا كفء له ولا ند له، وكل معبود سواه فباطل، ومن لم يعتقد هذا فليس بمسلم.

ولا يخفى انه يلزم على قول هذا ان للسكلي افراداً معبودة فإذا كانت كلها معبودة بحق جاز أن تقصد بالعبادة وهذا دين المشركين الذي بعث الله رسله بانكاره وابطاله كما قال تعالى (وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين انما هو إله واحد) وقال تعالى (ولا تدع مع الله إلهاً آخر) والآيات في المعنى كثيرة جداً، فن عبد مع الله غيره فقد ألحد وأشرك. وكل هذه العبارات التي ذكرها هذا في ورقته ينكرها كل من له عقل.

وأصل هذا الرجل الذي اعتمده وعبر عنه هو بعينه الذي ذكره شيخ الاسلام رحمه الله عن افلاطون الفيلسوف واتباعه بنساء منهم على كفرهم فانهم يقولون: ان الله هو الوجود المطلق.

ومعلوم ان هذا لا يكون له وجود متميز بنفسه مبين المخلوقات إذ السكلي كالجنس والفصل والخاصة والعرض العام لا يوجد في الخارج منفصلاً عن الاعيان الموجودة وهذا معلوم بالضرورة متفق عليه بين العقلاء.

قال شيخ الاسلام : وانما يحكى الخلاف في ذلك عن شيعة افلاطون ونحوه الذين يقولون باثبات المثل الافلاطونية وهي الكليات المجردة عن الاعيان خارج الذهن (قلت) وهذا قول هذا الرجل في ورقته تبع فيه افلاطون وهو قوله : إن المنفي في لاإله إلا الله كلي لا يوجد منه في الخارج الا فرد واحد وهو المستثنى وقد عرفت بطلان هذا القول من الكتاب والسنة وان العلماء أنكروا هذا القول غاية الانكار كما سيأتي في كلام شيخ الاسلام، لان المنفي بلاإله إلا الله كل ما يعبد من دون الله وهي أجناس موجودة في الخارج ، كما قال الخليل عليه السلام (انني براء مما تعبدون* إلا الذي فطرني فانه سميع عليم) وقال تعالى عن اهل الكهف (واذا اعتزلتموه وما يعبدون إلا الله) ولا ريب ان المنفي ما كان اهل الشرك يباشرونه بعباداتهم وهي أعداد موجودة في الخارج .

قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى - في رده قول افلاطون ومن تبعه : والمعلم الاول ارسطو واتباعه متفقون على بطلان قول هؤلاء ، فلو ظنوا ان الباري هو الوجود المطلق بهذا الاعتبار لوقعوا فيما منه فروا ، فان هذا يستلزم مباينته لجميع المخلوقات وانفصاله عنها مع ان عقلا لا يقول ان الكليات هي المبدعة لمعيناتها ، بل هم يقولون : ان العلم بالفضية المعينة المطلوب اثباتها - وهو علو الله على العالم - معلوم بالضرورة والفطرة ، ويعلمون بطلان نقيضها بالفطرة والضرورة ، ويعلمون انه اذا لم يكن مبايننا كان داخلا محايذا فيلزم الحلول والاتحاد .

وذكر رحمه الله تعالى في موضع آخر : ان قدماء الفلاسفة خالفوا افلاطون واتباعه في الكلي والجزئي لانه قول غير معقول (قلت) وبهذا يعلم ان قول هذا الرجل ان المنفي كلي لا يوجد في الخارج قول غير معقول .

وذكر شيخ الاسلام رحمه الله تعالى ان جميع الطوائف من المسلمين وغيرهم

خالفوا هذا القول وذكروا انه لا يعقل ، وذكر رحمه الله تعالى ان الفلاسفة واهل الاتحاد لم يفرقوا بين القديم والحديث ولا بين المأمور والمحظور ، وقد وقع كثير من الصوفية في هذا الضلال ، وكلتا الطائفتين ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل .
وقال رحمه الله تعالى : ان ابن سينا ومن تبعه أخذوا اسماء جاء بها الشرع ووضعوا لها مسميات مخالفة لمسميات صاحب الشرع ، فأخذوا من الفلسفة وكسوه ثوب الشريعة ، وهذا كلفظ الملك والملكوت والجبروت والروح المحفوظ كما يوجد في كلام أبي حامد يعني الغزالي ونحوه من أصول هؤلاء الفلاسفة الملاحدة الذين يحرفون كلام الله ورسوله

(قلت) ومن ذلك ما ذكره العلامة ابن القيم عنهم من أنهم يقولون عناية الهية ونحت هذه الكلمة نفي القدر والحكمة .



ثم ان هذا في ورقته صرح بأن معنى لا إله لا الله ، مثل لا شمس الا الشمس ، استثناء للشيء من نفسه وهذا قول في غاية الضلال والجهل باطل بأدلة الكتاب والسنة لا يقوله أحد من الأولين والآخرين ولا في لغة أحد ، وليس في المعقول والمنقول الا رده وإبطاله ، ومن لم يعرف بطلان هذا القول فلا حيلة فيه وتأمل قول هذا أيضا : وخلاصة المعنى سلب مفهوم الآله لما سوى الله وإيجابه له وانحصاره فيه وصرح بهذا المراد بالا الله

(قلت) من يسمع كلامه هذا ظن انه حق وقد بناه على ما مثل به لاشمس الا الشمس وحقيقة هذا القول ان الاله واحد يبينه قوله سلب مفهوم الاله على ما تقدم له من ان المنفي كلي لا يوجد منه في الخارج الا فرد ، وقد عرفت مما قدمناه ان توحيد الانبياء والمرسلين البراءة من عبادة الاصنام والاثوان والطواغيت وكلها موجودة في الخارج بأعيانها كما قال تعالى عن قوم نوح (وقولوا لا تدرن آلهتكم

ولا تذرنا ودّاً ولا سواعاً، ولا يفوث ويعوق ونسراً) فتبين ان نوحاً عليه السلام دعا قومه الى ترك عبادة هذه الاصنام والبراءة منها والكفر بها وكذلك هود عليه السلام دعا قومه الى عبادة الله وحده وترك ما كان يعبد آباؤهم كما أخبر تعالى عنهم انهم قالوا له (أجئتنا لعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا) ومعلوم ان آباءهم لم يكونوا يعبدون كلياً ذهنياً لا يوجد الا في الذهن، بل يعبدون اشخاصاً موجودة في الخارج وقد قالوا لهود عليه السلام (إن نقول الا اعتراك بعض آهتنا بسوء) وقد تقدم من الأدلة ما يدل على ان المنفي والمنهي عنه هو عبادة الاصنام والاوثان والطواغيت التي تعبد من دون الله كما قال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسلاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطواغوت) (والذين اجتنبوا الطواغوت أن يعبدوها وأناثوا إلى الله) فلا يشك مسلم بل كل من له عقل ان الطواغيت التي يعبدها المشركون موجودة في الخارج، والقرآن من اوله إلى آخره يدل على هذا

فيا من لا يعرف من كلمة الاخلاص ما عرفه عوام المسلمين، ارجع إلى نفسك وتأمل ما وقعت فيه، أما علمت ان لا التافية انما وضعت لفظة لنفي الجنس تنصبصاً؟ والجنس الذي وضعت له لا بد له من أشخاص متعددة في الخارج قديمة وحديثة يعبدونها كل مشرك؟ وليست كلياً لا يوجد إلا في الذهن، فان هذه الدعوى الباطلة لم يقل بها مسلم في معنى كلمة الاخلاص حتى المشركين في لغاتهم لا يعرفون أن هذا معناها ولا انها سلبت مفهوم الاله، بل عرفوا كلهم أن من دعاهم إلى أن يقولوا لا إله إلا الله فأنما أراد منهم ترك ما كانوا يعبدونه من أصنامهم وأوثانهم وطواغيتهم التي كانت عندهم يعبدونها من دون الله

أما قريش والعرب فأخبر الله تعالى عنهم انهم لما قال لهم رسول الله ﷺ «قولوا لا إله الا الله» (قالوا اجعل الآلهة لها واحداً - الى قوله - وانطلق الملائكة منهم ان امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشيء يراد) وآلهتهم اللات والعزى ومناة التي

كانت حول السكعة، فهذا هو المراد من هذه الكلمة من لغتهم لا يعرفون غير ذلك. فعنى النفي في هذه الكلمة ترك عبادة الاوثان والبراءة منها، والكفر بها وعبادتها وعبادة من عبدها، وقد كان العرب يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك، والشريك انما هو اوثانهم، أشركوا مع الله في العبادة واتخذوها أنداداً كما قال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله) ومفهوم الاله الذي لا يوجد إلا ذهناً لا يوصف بالاتخاذ ولا بالمحبة بل ولا له ثبوت.

وتأمل ما فهمه أعداء الرسل لما دعيتهم الرسل الى أن يعبدوا الله وحده. قال تعالى عن قوم هود (اب نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) وقالوا (أجئتنا لنفكنا عن آلهتنا) عرفوا انه دعاهم الى ترك عبادتها والبراءة منها قال تعالى (فما أنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء)

والفهم الكلبي الذي لا يوجد في الخارج لا يوصف بهذه الصفات ولا يجمع بهذا الجمع بل ولا يتصور أن يدعى من دون الله. وقال تعالى عن قوم صالح (يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا * أتئمانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا) عرفوا أنه أراد منهم ونهاهم أن يعبدوا ما يعبد آباؤهم من الاوثان. وقال تعالى عن قوم شعيب (أتئمانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا) عرفوا في لغاتهم انه نهاهم عن عبادة ما كان يعبد آباؤهم من الاوثان الموجودة في الخارج

وتأمل قول الله تعالى (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا) وقال (واتخذوا من دون الله آلهة قل هاتوا برهانكم) وقال (أم اتخذوا من دون الله شفعاء) وقال (أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء انا أعبدنا جهنم للكافرين نزلاً) وقال (والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل) ولا شك عند من له أدنى مسكة من عقل ان

الذي اتخذ المشركون يعبدونه من دون الله أشخاصاً متعددة في القرآن من هذا النمط لانهصى . والمقصود أن الرسل من أولهم إلى آخرهم دعوا أممهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما كانوا يعبدونه من دونه ، والكفر به والبراءة منه كما أفصح عن ذلك خليل الرحمن إبراهيم كما قال تعالى (واذ قل إبراهيم لانيه آزر أنتخذ أصناما آلهة اني أراك وقومك في ضلال مبين) وقال (انما تعبدون من دون الله آوثانا وتخلقون افكا) وقال (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدنا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده)

فانهي عن عبادة الأصنام والطواغيت والبراءة منها والكفر بها واخلص العبادة لله وحده هو التوحيد الذي دعت اليه الرسل ، وأفصح القرآن عنه ، وجرى بسبب جحوده على الأمم والمشركين ما جرى من العذاب والذهاب والعقاب فان هذا من سلب مفهوم ذهني لا يفيد شركاً ولا براءة ولا عداوة

فسبحان من طمع من شاء من عباده عن فهم ما بعث الله به رسله من توحيده في العبادة ، وصرفهم عن فهم الأدلة التي أظهر فيها لعباده مراده ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

وبهذا يتبين فساد ما لبس به هذا المفترى في معنى كلمة التوحيد ، وانه مصادم لما في كتاب الله من تفسير هذه الكلمة العظيمة ومناقض لما بعث الله به رسله من اخلاص العبادة له وترك عبادة ما سواه والبراءة منها ، وهذا أظهر شيء في القرآن وأبينه ، لا يمتري فيه مسلم

ونشير الى ما ذكره بعض العلماء في أصل هذه المقالة وبطلانها .

قال إبراهيم بن سعد الكوراني في مصنفه في بيان معنى لا اله الا الله واعرابها،

وانها دلت على توحيد الالهية مطابقة وتضمنا وماديات عليه التزاما، وذكر كلامي في تقرير هذا المعنى، وذكر أن بعضهم اشترط في لا النافية للجنس في هذه الكلمة الوحدة الذهنية فجعلوا الجنس المنفي واحدا لا يوجد الا ذهنا - قل : وبما ذكرناه يتضح انه لا يصح أن يقال نأخذ الجنس بشرط الوحدة الذهنية فتكون القضية طبيعية (اما أولا) فلما راد بالجنس - بلا شرط - الصالح للصدق على الافراد كما هو الشأن في موضوع القضايا (واما ثانيا) فلان الكلام يخرج عن افادة التوحيد بالكلية لان حاصله حينئذ هذا الجنس المأخوذ بشرط الوحدة الذهنية المغايرة لله تعالى منتف و ليس هذا من التوحيد في شيء، ولا شئ من رائحة الدلالة عليه

ويقال ثانيا ان أريد ان هذا الجنس منتف في الذهن فهو قطعي البطلان اذ كل من ينطق بهذا التوحيد مستحضرا لمعناه قد تحقق هذا الجنس في ذهنه فكيف يصاح نفيه، وعلى كل حل فلا يصح تفسير هذه الكلمة، لان المراد من لا إله إلا الله هو الدلالة على توحيد الالهية وهذا معلوم بالضرورة. وعلى تفسيرهم يكون بينه وبين الدلالة على التوحيد بعد المشرقين

(قلت) وهذا الذي ذكره ابراهيم ابن سعد من اشتراطهم أن يكون الجنس فردا لا يؤخذ الا ذهنا، هو الذي صرح به هذا المحدث في ورقته وهو ان لا في كلمة التوحيد سلبت مفهوم الاله الذي لا يوجد إلا ذهنا، وقد عرفت بعد هذا عن التوحيد الذي دلت عليه كلمة الاخلاص

واقصد صرفوا هذه الكلمة العظيمة عما وضعت له وأريد بها لغة وشرعا وعقلا وفطرة فانها وضعت للبراءة من كل ما يعبد من دون الله وابطال عبادته والكفر به وقد عرف هذا كل أحد حتى مشركو الامم ومشركو العرب كما تقدم بيانه.

وأما قوله : وخلاصة المعنى سلب مفهوم الاله لما سوى الله وإيجابه له وانحصاره

فيه ، وصرح بهذا المراد بالا لله ، فراده بقوله وإيجابه له وأنحصاره فيه ، هذا هو توحيد الفلاسفة وأهل الوحدة ، فإن الله عندهم مسماه الكون المطلق ، فكل ما كان خارجا عن الذهن من الاشخاص فقد دخل في مسمى الله ، فكل ما في الكون من خبيث وطيب فهو الله ، كما ذكره شيخ الاسلام وابن القيم وغيره عنهم فواجب الوجود والممكن كله داخل في هذا المسمى عندهم ، وقد صرحوا بهذا في كتبهم فلم يفرقوا بين الخالق والمخلوق ، وقد قدمنا التنبيه في كلام شيخ الاسلام وابن القيم رحمهما تعالى كما ذكر إبراهيم بن سعد ذلك عنهم وكما قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى :

يا أمة معبودها موطوءها أين الاله وثغرة الطعان؟

والناصح لنفسه يكون من هؤلاء الملبسة على حذر ، ولا يهمل السؤال عنهم وعن مذاهبهم وما يخذعون به العامة من زخرف القول الذي ربما يظن الجاهل انه حق وهو عبارة هؤلاء عن باطلهم كما نبه على ذلك شيخ الاسلام من وضعهم اسماء الحق على باطلهم ، وكل طائفة من اهل البدع لها توحيد ، وهذا الذي ذكرناه هو توحيد الفلاسفة والاتحادية وقد أضلوا بما هووا به كثيرا ممن ينتسب الى العلم ياقومنا ، الله في اسلامكم لا تفسدوه لنخوة الشيطان

وتأمل ما ذكره الفخر الرازي في معنى لا إله إلا الله فانه قال : التحقيق ان المضمرة المرفوعة باله راجع بالحقيقة الى نفي الاعيان التي سموها آلهة من حيث انها آلهة لا الى وجودها في حد ذاتها ضرورة انها موجودة في الخارج بالفعل محسوسة . وحاصله نفي كل فرد من افراد إله من تلك الحثيثة غير الله راجع الى نفي الالوهية عن كل موجود غير الله انتهى

فتأمل قوله راجع الى نفي الاعيان التي سموها آلهة (قلت) وهو الحق لانها نفت إلهية كل مألوه يألهه المشركون غير الله من كل صنم ووثن وشريك

وطاغوت ، وهذا هو مدلول لا إله الا الله ، نفى إلهية كل ما يؤله من دون الله وفوله لا الى وجودها دفعا لقول من قال ان الخبر المضمّر موجود ، وقد بين وجه ذلك ، وتقديره للخبر بأحد قريب مما تقدم في المعنى .

وتأمل قوله : وحاصله نفى كل فرد من افراد إله ، فبين ان المنفي له افراد كثيرة وهذا ظاهر بين لا يمتنع أحد كما هو ظاهر في الكتاب والسنة واللغة والفطرة خلافا للفلاسفة ، وكذلك قوله راجع الى نفى الآلهية عن كل موجود غير الله ، وهذا هو الذي يعرفه الناس كلهم إلا ما كان من هذه الطائفة ومن اهل الوحدة فانهم ألدوا في التوحيد وأتوا بكل ما يستحيل عقلا وشرعا ، فسبحان الله والله أكبر أيجوز في عقل ان أنشركين من أولهم الى آخرهم الذين عبدوا مع الله غيره انهم انما عبدوا فردا في الذهن لا وجود له في الخارج؟ هذا أمحل المحال وابطل الباطل وقد نبت فيما تقدم على انهم أرادوا بهذا ان الاصنام والاوثان والطواغيت لا تدخل في المنفي لانها من جملة الوجود الذي يسمونها الله

وأقول أيضا : الآلهة هي الانداد والطواغيت والشركاء وقد قال تعالى (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) فذكرها مجموعة لكثرة افرادها في الخارج ، وقال (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله) فذكرها بصيغة الجمع يدل على كثرة افرادها وقال تعالى (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى) وقال (والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها) وهذه الآيات تدل على ان المعبودات التي تعبد من دون الله كثيرة من الطواغيت وغيرها كقوله في آية البقرة (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات) وكقوله (وجعلوا لله شركاء الجن) ولا ريب ان الجن لهم وجود في الخارج ، وقوله (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) فدلت هذه الآيات على ان لهذه المعبودات افرادا كثيرة وكلها منتفية بلا إله إلا

الله ، كما قال تعالى (أم اتخذوا من دون الله آلهة ، قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون) وهذا واضح بحمد الله فبطل ما اختلقه الفيلسوف وتبين به إلخاده في التوحيد الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه (فاعتبروا يا أولي الابصار)

واعلم ان هؤلاء الزنادقة قد طردوا أصلهم هذا حتى في الايمان كما قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى في كتاب الايمان عن هؤلاء: انهم يثبتون لهذه المسميات وجودا مطلقا مجردا عن جميع القيود والصفات وهذا لا حقيقة له في الخارج وانما هو شيء يقدره الانسان في ذهنه كما يقدر موجودا لا قديما ولا محدثا ، ويقدر انسانا لا موجوداً ولا معدوما ، ويقول الماهية من حيث هي لا توصف بوجود ولا عدم ، ويقول الماهية من حيث هي شيء يقدره الذهن ، وذلك موجود في الذهن لا في الخارج ، فهكذا الايمان يقدر ايمانا لا يتصف به مؤمن بل هو مجرد عن كل قيد كتقدير انسان لا يكون موجودا ولا معدوما بل ما نم ايمان الامع المؤمنين

(قلت) وكذلك إله لا يوجد إلا مع مألوه تأله القلوب بالعبادة ، وقد أشرت الى ما ذكره شيخ الاسلام عن هذه الطائفة كابن سينا ومن سبقه أخذوا أسماء جاء بها الشرع ووضعوا لها مسميات مخالفة لمسميات صاحب الشرع ، ثم صاروا يتكلمون بتلك الاسماء فيظن الجاهل انهم قصدوا بها ما قصده صاحب الشرع ، فأخذوا مخ الفلسفة فكسوه ثوب الشريعة ، وهذا كلفظ الملك والملوك والجبروت واللوح المحفوظ ، والملك والملوك والشیطان والحدث والقدم وغير ذلك ، وقد ذكرنا من ذلك طرفا في الرد على الاتحادية لما ذكرنا قول ابن سبعين وابن عربي وما يوجد في كلام أبي حامد وغيره من أصول الفلاسفة

والملاحدة التي يحرفون بها كلام الله ورسوله عن مواضعه كما فعلت القرامطة الباطنية انتهى كلامه رحمه الله تعالى .

والمقصود من هذا الجواب بيان ما قد يقتريه الجاهل من كلام هؤلاء الذين يلبسون على العامة فيأتونهم بما لا يعرفون أنه حق وباطل فربما اعتقدوه تعليلاً لهؤلاء فيقعون في حيرة وشك، وهم قبل الابتلاء بهؤلاء في عافية . فسبحان مقلب القلوب والاصل في ذلك ما أشار اليه شيخ الاسلام رحمه الله تعالى في مثل هؤلاء انه ليس عندهم من علم القلب ومعرفته وبقينه ما يدفع الريب ولا عندهم من قوة الحب لله ورسوله ما يقدهونه على الاهل والمال، وهؤلاء ان عوفوا من المحنة وماتوا دخلوا الجنة، وإن ابتلوا بمن يدخل عليهم شبهات توجب ريبتهم فإن لم ينعم الله عليهم بما يزيل الريب والا صاروا مرتابين وانتقلوا الى نوع من النفاق انتهى كلامه رحمه الله تعالى .

فليكن العبد المؤمن من المحنة بأهل الاهواء على حذر ومن دنياه على خطر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

اللهم مصرف القلوب اصرف قلوبنا على توحيدك وطاعتك وتوفاك ، وأقم لنا ديننا الذي ارتضيته لنا وثبتنا عليه ، اللهم زيننا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين ونختم الجواب بذكر ما ذكر العلماء رحمهم الله تعالى في معنى لا إله إلا الله : قل ابن رجب رحمه الله تعالى : الكلام على لا إله إلا الله : الآله هو الذي يطاع فلا يعصى هيبه له واجلالا ومحبة وخوفا ورجاء وتوكلا وسؤالا منه ودعاء له ، ولا يصلح ذلك كله الا لله عز وجل ، فمن أشرك مخلوقا في شيء من هذه الامور التي هي من خصائص الالهية كان ذلك قدحا في اخلاصه في قول لا اله الا الله ، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك .

وقال البقاعي : لا اله الا الله أي انتفى انتفاء عظما أن يكون معبوداً بحق

غير الملك الاعظم ، فان هذا العلم هو أعظم الذكرى المنجية من احوال الساعة ، وانما يكون علما نافعا اذا كان مع الاذعان والعمل بما تقتضيه والا فهو جهل صرف .
وقال الطيبي: الاله فعال بمعنى منقول كالكتاب بمعنى المكتوب من أله الإلهة
أي عبد عبادة

(قلت) وهذا الذي ذكره الطيبي رحمه الله تعالى على معنى ما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قرأ (ويزرك والاهتك) قال لانه كان يعبد ولا يعبد ، وهذا ظاهر بحمد الله لمن تدبر القرآن وعرف حقيقة الاسلام والايمان
والله المستعان وعاليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .
وصلّى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا



بسم الله الرحمن الرحيم

قل الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين وفقه الله تعالى ورحمه وغفر له، لما ذكر له الشيخ عبد الرحمن بن حسن أن يرد على عبد الحمود لما غلط في معنى لا إله إلا الله وقال بـمد السلام ورحمة الله وبركاته وغير ذلك ذكرت لي أني أكتب على كلام الدرويش الذي عندكم في بيان بعض مافيه من العيب ، والذي كتبتم عليه فيه كفاية لكن نذكر على بعض ألفاظه بيان مخالفته للحق

منها قوله (الحمد لله المتوحد بجميع الجهات) فنقول : لا يشك من سمع هذا الكلام في أن المراد بالجهات الجهات الست التي يقول المعطل فيها أن الرب سبحانه وتعالى من الجهات الست خالي والآنحادي يقول : أنه سبحانه متحد فيها . والحولي يقول : أن الله سبحانه حال فيها . تعالى الله عما يقول الجاهلون الكبار . وأهل السنة والجماعة يقولون : أن الرب سبحانه مستو على عرشه بائن من خلقه . وظاهر قول الرجل المتوحد بجميع الجهات يشبه قول الآنحادية ، وإن حملت الباء على الظرفية شابه قول الحولية وربما يظن أنه لعجمته يعبر بعبارات لا يعرف معناها لكن سمعت أنه قد شرع في وضع حاشية على التونية ، ولا يتنزل لذلك إلا من يدعي تمام المعرفة ، وحكي عنه أنه يقول : مرادي بالجهات جهات التوحيد الثلاث وهو توحيد الربوبية والالهية والاسماء والصفات ، وهذا بعيد من كلامه لأن هذه تسمى أنواعاً لاجهات ، وبكل حال فظاهر كلامه يخالف ما عليه أهل السنة والجماعة لكن ينبغي أولاً احضاره ويبين له ما في كلامه مما ظاهره خلاف الحق ، وتبين له الأدلة الشرعية على خلاف ما يوهمه كلامه فإن اعترف فهو المطلوب والحمد لله

وفي كلامه من العيب والركالة كثير كقوله لا شريك له في الذات ولا في

الصفات فنفي الشركة في الذات ولم يقل أحد من بني آدم إن الله سبحانه وتعالى شريكا في ذاته حتى يحتاج الى نفي ذلك ، وإنما يقول أهل الحق لاشبيه له في ذاته ولا في صفاته ردًّا لقول المشبهة . فهذا من قوله لا شريك له في ذاته يدل على قلة معرفته في هذا الباب

وكذلك قوله لا شريك له في الملك فضلا عن الملكوت فأشار بقوله فضلا عن الملكوت الى بعد ما بينهما ، وقد ذكر العلماء ان الملكوت هو الملك وإنما زيدت التاء للعبارة في التعظيم

وكذلك قوله في اعراب لا إله الا الله «من قبيل استثناء الجزئي من الكل» فجعله استثناء للاسم الكريم من نوع استثناء الجزئي من الكل غلط بل الجزئي مقابل الكل وقسيمه لا قسم منه ، فالكل ما اشترك في معناه كثيرون كالانسان والحيوان ، والجزئي يراد به الاسماء الاعلام كزيد وعمر ، والاسم الكريم أعرف المعارف كما قال سيويه وغيره ،

وكذلك قوله في اعراب لا إله الا الله انه كقولنا لاشمس الا الشمس لان قول القائل لاشمس الا الشمس لفظ لا فائدة فيه ، وأيضا فاسم الشمس من الالفاظ الكلية لقولهم في تعريف الكل ما لا يمنع تصور معناه من وقوع الشركة فيه فهو الكل سواء وقعت الشركة كالانسان أو لم تقع وأمكننت كالشمس أو استحات كالاله . فان استحالة ذلك للدلالة القاطعة عليه فجعل الاسم الكريم الذي هو أرفع الاعلام وأعرف المعارف مثل الشمس التي هي من الالفاظ الكلية غاطل الموافق لقولنا لاشمس الا الشمس قول القائل لا إله الا الله ، وهذا لفظ مع الاطلاق لا يستفاد منه توحيد الالهية لله رب العالمين

هذا وكثير من كلامه جمجمة بلاطن فנסأل الله سبحانه وتعالى أن يهدينا وجميع الامة الى صراطه المستقيم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

مسائل ومساوئ

تأليف

شيخنا وإمامنا، ناصر السنة وقامع البدعة
الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب

أجزل الله لهم الأجر والثواب

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل الشيخ عبد الرحمن بن حسن متع الله المسلمين بحياته ، وبارك لهم في
ساعاته عن قول الخطيب :

الحمد لله الذي تحيرت العقول في مبدأ أنواره ، وتاهت الالباب في صمديته
وكنه ذاته ،

فهذه الالفاظ ابتدعها من تمسك بقول أهل الكلام الحادث المذموم ،
فانهم الذين تاهوا وتحيروا في الايمان الذي دعت اليه الرسل ، ونزات به
الكتب ، والا فطريقة القرآن حمد الله لنفسه باسمائه وصفاته وما يعرف به
ويوجب الايمان به ، ومعرفته واثبات ربوبيته وصفات كماله ، فهذا هو توحيد
المعرفة والاثبات الذي هو توحيد المرسلين ، ودعوا به الامم الى توحيد الارادة
والقصد الذي هو توحيد الالهية ، فان الرب الذي أبدع الخلق ما يشاهدونه من
عظيم مخلوقاته وتعرف اليهم بذلك وبما دلم عليه من كمال صفاته وتصرفه
في مخلوقاته ، وهو الرب الذي لا يستحق العبادة غيره ، واستدل بأدلة ربوبيته
على ما يستلزمه منه الهيته فقال (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) فأنكر الشرك في
حق من هذا وصفه ، وانكار الشرك يقتضي توحيد العبادة بأن لا يراد غيره ولا يقصد
سواه ، فانتظم ذلك نوعي التوحيد . وقال (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب
ولم يجعل له عوجا قيبا) فحمد نفسه على انزال الكتاب الذي هو أعظم نعمة أنعمها
على أهل الارض ، وهو يقتضي الايمان بالكتب والرسل ، وهو صراط الله
المستقيم الذي لا تزيج به الاهواء ، فهذا وأمثاله هو طريقة القرآن بحمد نفسه على
ما يتعرف به الى خلقه ليعرفوه بذلك الذي أبدعه وأوجده وأنعم به ، كقوله (الحمد
لله فاطر السموات والارض) الآية . وأمثال هذا في القرآن كثير وتدبره والعلم به

يحصل كمال الايمان ، وتنزفي الخبرة ، ويحصل كمال الهداية ويمصم القلوب أن تنبيه
في ربها وصفاته، فكل ما وصف به نفسه فلا حيرة فيه عند أهل الايمان الذين عرفوه
بما تعرف به اليهم في كتابه ، واطمأن قلوبهم بالايمان به، وجعلوه قصدهم ومرادهم
وأما أهل الجدل من أهل الكلام فهم الذين تحيروا وتاهوا كما أخبر بذلك نفر
من متقدميهم كما هو معروف لديكم بحمد الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الفرق بين الرخصة والعزيمة

﴿ وحكم الشريع فيهما ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد اللطيف بن عبد الرحمن الى الاخ المكرم صالح الشثري
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وموجب الخطأ بلاغك السلام، وما أشرت
اليه في تحرير قول الفقهاء في الرخصة: انها ما ثبتت على خلاف دليل شرعي لمعارض
راجع وضدها العزيمة . فأقول :

اعلم أن العزيمة شرعاً حكم ثابت بدليل شرعي خال عن معارض راجح
فقوله بدليل شرعي احتراز عما ثبت بدليل عقلي ، وقوله خال عن معارض احتراز
عما ثبت بدليل ، فالرسل وأنباع الرسل كمل الله إيمانهم بذلك العلم والعمل ، فقد
قال تعالى (الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور)
فحمد نفسه بما يوجب الايمان به ومعرفته من عظيم مخلوقاته ، لكن لذلك الدليل
معارض مساو او راجح لانه ان كان المعارض مساوياً لزم الوقوف واثبت العزيمة
ووجب طلب المرجح الخارجي ، وان كان راجحاً لزم العمل بمقتضاه وانتفت
العزيمة وثبتت الرخصة كتحريم الميتة عند عدم المحصنة . فالتحريم فيها عزيمة لانه

حكم ثابت بدليل شرعي خال عن معارض ، فإذا وجدت التهمة حصل للمعارض لدليل التعليم وهو راجح عليه حفظاً للنفس فجاز لا كل وحصلت الرخصة وأما الرخصة فهي ما ثبت على خلاف دليل شرعي لمعارض راجح ، فقله ما ثبت على خلاف دليل شرعي احتراز عما ثبت على وفق الدليل فإنه لا يكون رخصة بل عزيمة كالصوم في الحضر ، وقوله لمعارض راجح احتراز عما كان لمعارض غير راجح بل أما مساوياً فيلزم الوقوف على حصول المرجح ، أو قاصراً عن مساواة الدليل الشرعي فلا يؤثر وتبقى العزيمة بحالها ، وعلى التعريف المذكور يدخل في العزيمة الأحكام الخمسة الثابتة بالأدلة الشرعية ، ويدخل في الرخصة معارض تلك الأحكام وخالفها لمعارض راجح عليها كما كل المية عند التهمة . انتهى

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الرحمن بن حسن إلى الاخ الشيخ محمد بن عجلان سلمه الله تعالى وبعد ما ذكرت من مسألة الجد والاخوة ، فذكر في الاختيارات : ان الجد يحجب الاخوة وهو قول أبي بكر ، وقل به غيره من الصحابة وهو رواية عن أحمد رحمه الله تعالى وهو الذي يختاره أشياخنا . والله أعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين والعلماء العاملين .

من عبد الرحمن بن حسن إلى من يصل إليه من الاخوان ، وفقني الله وإياهم لسلوك منهج العلم والايمان آمين

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد : فقد سألي بعض الاخوان عن قلب الدين ان كان له عقار وعوامل ونواصح ونحوها

فأجبت إلى أنه لا يخلو من ثلاثة أحوال . الحال الاولى أن يضيق المال عن الدين فهذا مفلس عند العلماء رحمهم الله ، إذا سأل غرماؤه الحاكم ولو بعضهم لزمه الحجر عليه في ماله ، وذهب جمع من المحققين إلى أنه يكون محجوراً عليه بدون حكم الحاكم ، وهذا لا يجوز قلب الدين عليه بحال لمجوزه عن وفاء ماعليه من الدين

في الرد على الجهمية والرافضة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، محمد وعلى آله وصحبه ومن أحبا وودده .

من عبد الرحمن بن حسن إلى أخيه راشد بن مطر سلمه الله تعالى وزاده علما وإيمانا وتوفيقا وتحقيقا واذعانا . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

(وبعد) فقد وصل إلي خطك وسرنا ما أشعر به من حسن الحال من معرفة الاسلام ومحبته وقبوله ، فتلك النعمة التي لا أشرف منها ولا أنفع (قل بفضل الله وبرحمته ، فبذلك فليفرحوا ، هو خير مما يجمعون) فرحمته الاسلام والايان وقيل القرآن ، وهما متلازمان ، ورحمته أن جعلكم من اهله كما فسر الصحابي رضي الله عنه الآية بهذا

وما ذكرت من قيام الجهمية والرافضة والمعتزلة عليكم فلا يخفاك ان هذه الفرق الثلاث قد ابتلي بهم اهل السنة والجماعة قديما وحديثا وتشعبت هذه الاهواء شعبا وكل من اقامه الله بدينه والدعوة اليه ناله منهم عناء ومشقة، فهم اعداء اهل الحق في كل زمان ومكان ، حكمة بالغة ليمتحن حزبه بحربه كما جرى

لرسل من اعدائهم في الدين ، قل تعالى (و كذلك جعلنا لكل نبي عدواً من
المجرمين) لتمييز الصادق بصدقه وصبره على دينه ولتخلف من ليس كذلك ممن
ليس له قدم راسخ في الايمان (ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين
صدقوا وليعلمن الكاذبين)

وبعد الابتلاء والامتحان يحصل النصر والتمكين للمؤمنين الصادقين
الصابرين كما قال تعالى (وان جندنا لهم الغالبون) (يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا
الله ينصركم) الآية ، فمن قامت عليه الحجة فلم يقبل وجادل بالباطل وجبت
عداوته والبراءة منه ومفارقته بالقلب والبدن

وأما قول الاشاعرة في نفي علو الله تعالى على عرشه فهو قول الجهمية سواء
بسواء. وذلك يردّه ويطله نصوص الكتاب والسنة كقول الله تعالى (الرحمن على
العرش استوى) (ثم استوى على العرش) في سبعة مواضع وكقوله (تخرج الملائكة
والروح اليه) والعروج انما هو من أسفل الى فوق ، وقوله (يخافون ربهم من فوقهم)
(إني متوفيك ورافعك إلي) (أأمنتم من في السماء) الآيتين . وكل هذه الآيات
نصوص في علو الله تعالى على خلقه واستوائه على عرشه على ما يليق بجلاله بلا تكييف
وقول هؤلاء الاشاعرة : انه من الجهات الست خالي ، قد وصفوه بما يوصف به
المعدوم وهو قد وصف نفسه بصفات الموجود القائم على كل نفس بما كسبت ،
وفي الاحاديث من أدلة العلو مالا يكاد يحصر إلا بكلفة كقوله في حديث
الرقية « ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك » الحديث

وجوهرة السنوسي ذكر فيها مذهب الاشاعرة وأكثره مذهب الجهمية المعطلة
لكنهم تصرّفوا فيه تصرّفاً لم يخترجهم عن كونهم جهمية ، ومذهبهم ان القرآن عبارة
عن كلام الله لا انه كلامه الذي تكلم به وخالفوا الكتاب والسنة ، قال تعالى (يريدون
أن يبدلوا كلام الله) (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله)

(وكلّم الله موسى تكليماً) (ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) والادلة على هذا كثيرة جدا
والاشعري له كتب في اثبات الصفات وهذه المذهب الذي نسب اليه هؤلاء
تبرأ منه في كتابيه (الابانة . والمقالات) وغيرها ، وكثير من اهل العلم يكفرون
نفاة الصفات لتركهم ما دل عليه الكتاب والسنة وعدم ايمانهم بآيات الصفات

* * *

وأما من جحد توحيد الالهية ودعا غير الله فلا شك في كفره وقد كفره
القرآن ، والسنوسي وأمثاله من المتأخرين ليس من السلف ولا من الخلف
المعروفين ؛ بل هو من جهلة المتأخرين المقلدين لاهل البدع ،
وهؤلاء ليسوا من اهل العلم ، والخلف فيهم من انحرف عن السنة الى البدع .
وفيهم من تمسك بالسنة ، فلا يسب منهم إلا من ظهرت منه البدعة .
وأما ابن حجر الهيثمي فهو من متأخري الشافعية وعقيدته عقيدة الاشاعرة
النفاة للصفات ففي كلامه حق وباطل ،
وأما الدعاء بعد المكتوبة ورفع الايدي فليس من السنة ، وقد أنكره شيخ
الاسلام لعدم وروده على هذا الوجه .
وأما أهل البدع فيجب هجرهم والانكار عليهم اذا ابتليتم بهم . وتأملوا
مصنفات الشيخ وتأملوا كلامه رحمه الله تعالى تجدوا فيه البيان والفرقان
وحديث افتراق الامة الى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة وهي
التي تمسكت بما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه

* * *

وأما الافغانيون الذين جاؤا فبلغنا انهم يرون رأي الخوارج ، معهم غلو ، وقد
شدّد النبي ﷺ في الغلو وأخبر عن الخوارج « انهم يرقون من الاسلام كما يرق
السهم من الرمية » وأمر بقتلهم

وسبب غلوهم الجهل بما دل عليه الكتاب والسنة فأداهم جهلهم وقصورهم في الفهم الى أن كفروا أصحاب رسول الله ﷺ من السابقين الاولين ، فاذا كان قد جرى في عهد النبوة من يطعن على رسول الله ﷺ ويكفر أصحابه فلا يبعد أن يجيء في آخر هذه الامة من يقول بقولهم ويرى رأيهم ، وهؤلاء الناس الذين هاجروا الينا وبايعونا ما ندري عن حقيقة أمرهم

وعلى كل حال اذا علمتم بالتوحيد وأنكرتم الشرك والضلال وفارقتم اهل البدع فلا يلزمكم هجرة عن الوطن ، والمال بل يجب عليكم الدعوة الى الله وطلب أدلة التوحيد في كتاب الله ، وتأمل كلام الشيخ في مصنفاته فانه رحمه الله تعالى بين وحق وأنتم سالمين والسلام

مسائل حتى سئل عنها الشيخ عبد الله أبو بطين

﴿مسئلة﴾ قول الشيخ عثمان رحمه الله تعالى :

والحاصل ان انصفة تارة تعتبر من حيث هي هي ، وتارة من حيث قيامها به وتارة من حيث قيامها بغيره ، وليست الاعتبارات الثلاث متماثلة ، إذ ليس كمثل شيء لا في ذاته ولا في شيء من صفاته ، ولا في شيء من أفعاله وهو السميع البصير فاحفظ هذه القاعدة فانها مهمة جداً ، بل هي التي أغنت السلف الصالح عن تأويل آيات الصفات وأحاديثها ، وهي العاصمة لهم من أن يفهموا من الكتاب والسنة مستحيلاً على الله تعالى من تجسيم أو غيره

نم بعد إثباتي لهذه القاعدة رأيتها منصوصة في كلام السيد المعين، ثم رأيتها قد سبقه اليها العلامة ابن القيم انتهى

بين لنا هذه الاعتبارات الثلاث التي ذكر ، وما يتعلق بها من ذكر الدليل ومن هو السيد الذي ذكر ؟

﴿مسئلة أيضاً﴾ قوله عز وجل (ألا له الخلق والأمر) قال سفيان رحمه الله: فرق الله بين الخلق والأمر، فمن جمع بينهما فقد كفر بين لنا قول سفيان قدس الله روحه ونور ضريحه، وما صفة الجمع وضده في قوله فمن جمع الخ؟

﴿مسئلة أيضاً﴾ ما يروى عن ابن عمر «نهى رسول الله ﷺ أن يشرب على ببطوننا، ونهانا أن نعرف باليد الواحدة كما يشرب القوم الذين سخط الله الله عليهم، ولا نشرب بالليل في اناء حتى نحركه الا أن يكون مخمراً، ومن شرب بيد وهو يقدر على اناء يريد التواضع كتب الله له بعدد أصابعه حسنات وهو اناء عيسى بن مريم عليه السلام» في إسناده بقية ابن الوليد

جواب

الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن أبو بطين أتاه الله أجره مرتين قول الشيخ عثمان: الصفة تعتبر من حيث هي الخ يعني لها ثلاث اعتبارات تارة تعتبر من حيث هي أي تعتبر منفردة من غير تعلّقها بمحل، مثال ذلك البصر فيقال البصر من حيث هو هو: ما تدرك به المبصرات، ومن حيث تعلّقه بمخلوق فيقال هو نور في شحمة تسمى انسان العين تحت سبع طبقات في حدة ينطبق عليها جفنان، وأما بالنسبة الى الرب سبحانه فنقول: هو سبحانه سميع بسمع، بصير ببصر، ليس كسمع المخلوق ولا كبصر المخلوق. وهكذا سائر الصفات، ومراده بالسيد معين الدين هو أبو المعالي محمد بن صفى الدين الحنبلي

❦

وأما قول سفيان في قوله سبحانه (ألا له الخلق والأمر) فراده بذلك الرد على من يقول ان كلام الله مخلوق، يقول ان الله سبحانه وتعالى عطف الامر على

الخلق وأمره هو كلامه ، فمن قال : ان كلام الله مخلوق فقد جعل أمره مخلوقا
فجمع بين الخلق والأمر ، والله سبحانه قد فرق بينهما بعطفه الأمر على الخلق .
فالمعطوف غير المعطوف عليه . والمراد بسنميان هو سفيان بن عيينة الامام المعروف
رحمه الله تعالى .

وما ذكرت من النهي عن الشرب باليد الواحدة وحديث التريغيب في
الشرب باليد فلا أظن لذلك أصلا

وأما الشرب على البطن يراد به الكرع في الماء ، فقد ورد حديث يدل على
جواز الكرع . ففي البخاري ان النبي ﷺ دخل على رجل من الانصار فقال
له « ان كان عندك ماء بات هذه الليلة في شنة وإلا كرعنا » والكرع هو الشرب
من النهر ونحوه بالفم من غير اناء ولا يد ، وورد حديث رواه ابن ماجه بالنهي عن
الشرب كذلك ، فيحمل هذا ان صح على ما اذا انبطح الشارب على بطنه .
وحديث البخاري اذا لم ينبطح ، أو يحمل النهي على التنزيه وحديث البخاري
على الجواز . والله سبحانه وتعالى أعلم

وسئل أيضاً : الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن عن معنى قول الشيخ محمد بن
اسماعيل الامير الصنعاني رحمه الله عليه : ولا ينفع المشرك قوله : انا لا اشرك
بالله شيئا لان فعله أكذب قوله ، فان قات : هم جاهلون انهم مشركون بما يفعلون
(قلت) قد صرح الفقهاء في باب الردة ان من تكلم بكلمة الكفر يكفر وإن لم
يقصد معناها . وهذا دال على انهم لا يعرفون حقيقة الاسلام ولا ماهية التوحيد
فصاروا حينئذ كفاراً كفراً أصلياً ، فان الله تعالى قد فرض على عباده افراده
بالعبادة أن لا يعبدوا الا إياه ، ذكره في تطهير الاعتقاد

فأجاب رحمه الله تعالى : قول محمد بن اسماعيل الأمير انه لا ينفع قول من فعل الشرك أنا لأشرك بالله ، يعني انه اذا فعل الشرك فهو مشرك وإن سماه بغير اسمه ونفاه عن نفسه .

وقوله : قد صرح الفقهاء في كتبهم بأن من تكلم بكلمة الكفر يكفر وإن لم يقصد معناها ، فمما ادهم بذلك من تكلم بكلام كفر مازحا وهازلا وهو عبارة كثير منهم في قولهم : من أتى بقول أو فعل صريح في الاستهزاء بالدين وإن كان مازحا ، لقوله تعالى (ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب ، قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) وأما من تكلم بكلمة كفر لا يعلم انها كفر يعرف بذلك ، فان رجح فانه لا يحكم بكفره كالذين قالوا : اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط .

وقوله : فصاروا كفارا كفرا أصليا ، يعني انهم نشأوا على ذلك فليس حكمهم كالمرتدين الذين كانوا مسلمين ثم صدرت منهم هذه الامور الشركية . والله سبحانه وتعالى أعلم . وصلى الله على محمد وآل محمد وأصحاب محمد وسلم تسليما كثيرا .

معنى قوله في الاستفتاء « ولا اله غيرك »

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الرحمن بن حسن إلى الاخ المحب الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن غمره الله بانعمه ، وزاده من فواضل جوده وكرمه . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد : فالخط وصل وبه الانس والمرور حصل ، حيث أنبأ عن حال الاخ جعلها الله حالا مرضية ، وبالتوفيق مرعية ، وحيث سألت عني فأحمد الله اليك وأنا بخير وعافية جعلنا الله وإياكم من الشاكرين ، والاحوال من فضل الله جميلة نسأل الله تعالى أن يصلح قلوبنا ويعفر ذنوبنا ، ويستر عيوبنا ، وأن يمن على الجميع

بالهدى والسداد ، والفوز بالرضوان يوم المعاد ، انه هو الكريم الجواد ، اللطيف بالعباد
 وبأخيه مر علينا في شرح الزاد في معنى قوله في الاستفتاح « ولا إله غيرك »
 أي لا يستحق أن يعبد غيرك وهو يؤيد ما قد قلته لك من أن المقدر في كلمة
 الاخلاص إذا قال الموحد لا إله إلا الله أي لا إله حق إلا الله ، والعامل في هذا
 المقدر « لا » على انه خبرها في قول الاخفش ، وعلى قول سيبويه لم تعمل فيه
 « لا » وانما عمل فيه المبتدأ هو « لا » مع اسمها ، فان « لا » مع اسمها في محل
 رفع على الابتداء

والمقصود ان المقدر « حق » ليطابق ما في الآيتين في سورة الحج ولقمان
 وأبلغ محمد بن مانع ومن بحضرتك من الطلبة والاخوان والجماعة السلام
 ومن لدينا العمال وخواص اخوانكم بخير وينهون السلام وأنت سالم والسلام

مسئلة في بعض ما يتعلق بفسد الوقف

بسم الله الرحمن الرحيم

وما ذكرت من وصول الجواب فالحمد لله على ذلك ، ونسأله التوفيق والاصابة
 والاعانة مع السداد والاثابة أنه هو الكريم الجدير بالاجابة
 وتذكر أن عدم الاجبار في المسئلة التي وصل اليكم جوابها عندهم ظاهر
 أما عدم جوازها بالتراضي فشكل
 فأقول نص العلماء رحمهم الله تعالى على المنع من قسمة مثل هذا إذا كان
 الوقف شيئاً مقدراً من الغلة . ودليل المنع ظاهر في كلامهم سائبر اليه بعد ان شاء الله
 وأما ما منحت لك من القول بالجواز فشكل حتى على قولك لان التراضي من
 جهة الموقف متعذر لكونه على الوجه الذي ذكرت ، ولعدم أهلية ناظر الوقف
 وأما قولك ان العقار المذكور مقدم في غلته صبرة وباقيه طلق

فهذا علة المنع من القسمة والبيع ، لأن غلة الاصل قد تنقص فلا يبقى منها إلا بقدر المقدّر للوقف أو دونه فبستغرق الاصل . وأما قولكم فهي كالخراج في الارض الخراجية إلى آخره

فأقول: لا يقاس الوقف على أرض الخراج وما علمت من العلماء أحدا سبق له مثل هذا القياس وهو أيضاً قياس مع الفارق فإن الزكاة لا تجب في الوقف على غير معين بخلاف الخراجية فإنه يجب فيها العشر والخراج ففارقها بذلك ، والخراج الذي وضعه عمر رضي الله عنه لا ينقص الغلة ولا يمنع من هي في يده استغلالها لقلة الخراج ، وكل أمام عدل لا يضع على الارض من الخراج إلا ما يطيقه فلا يمنع أهلها من الاستغلال ، فلذلك قال العلماء رحمهم الله تعالى: انه لا يزداد فيه ولا ينقص الا اذا تغير السبب ، ففارقت مسألتنا هذه من هاتين الجهتين أيضاً . فتأمل فان هذا الوقف لا يزداد ولا ينقص ، ولو لم يبق من الغل إلا قدره ، وقولكم : كما منعوا بيع أرض العنوة لوقفها

أقول: هذا مما يؤيد المنع من البيع . والقسمة في هذه الصورة وإن كنا نرى ان سبب المنع غير هذا

وأما قولكم : اثباتية انهم قد صرحوا بجواز قسمة الوقف على جهة واحدة على ما ظهّر صاحب الفروع من كلام الاصحاب

أقول: ما نقلته عن صاحب الفروع صحيح لكن ذكر في الانصاف عن القواعد ما يخالف ما في الفروع فقال : وقال في القواعد هل يجوز قسمته ؟ فيه طريقان : (احدهما) انه كإفراز الطاق من الوقف وهو المجزوم به في المحرر (والطريق الثاني) انه لا يصح قسمته على الوجهين جميعاً على الأصح وهي طريقة صاحب الترغيب وعلى القول بالجواز فهو مختص بما اذا كان وقفاً على جهتين لا على جهة واحدة صرح به الاصحاب ، نقله الشيخ تقي الدين انتهى .

إذا عرفت ان التول بالجواز الذي هو خلاف الاصح بهذه الصورة بعينها فأن هذه من مسئلتنا وهي لا يمكن فيها معرفة مقدار ما يخص هذه الغلة الموقوفة من أصلها التي عينت فيه مع ما في ذلك أيضاً من الضرر الظاهر على الوقف من تفريقه في أيدي أناس لا يمكن تمييز نصيبهم بدون مشاركة الوقف لهم

وقولكم فليس هو كالوقف المحض الذي فيه كلام الشيخ

قول نعم : ليس كهو فإذا كان الشيخ قد منع من قسمة الوقف إذا كان على جهة واحدة مع امكان افراز نصيب كل واحد من العدد الموقوف عليهم المحصورين مع ما في ذلك من مصلحة انتفاء ضرر المشاركة فلأن يمنع من قسمة وقف لا يمكن معرفة ما يخصه من الاصل لتطرق النقصان على الغلة غالباً من باب أولى .

وقولكم ان قسمته تقلل أيدي الملاك فعليه فلا يكونون شركاء متشاكسين أقول : تقليل أيدي الملاك مما يزيد التشاكس في الوقف ويفرقه مع ما يفضي اليه استيلاء هذه الأيدي من اتلاف هذا الوقف واتعاب ناظره بتكثير الطامع فيه فقد ظهر من هذا الجواب بعض ما أخذ المانعين . فتأمله يظهر لك صحة ما أخذهم وحسن مداركهم .

وأما ما ذكرته عن الاقتناع في قسمة المهايآت ، فقد ذكرت في الجواب قبل هذا عبارة لشيوخ الاسلام رحمه الله ، وقل في الانصاف : اذا اقتسما المنافع بالزمان والمكان صح وكان ذلك جائزاً على الصحيح من المذهب قدمه في المغني والشرح والنظم والراعيين والحاوي الصغير والفروع وغيرهم ثم قال عن الشيخ تقي الدين : لا تنسخ حتى ينتضي الدور ويستوفي كل واحد حقه انتهى .

وآثرنا الإيجاز والاختصار على التطويل والاكتثار وبالله التوفيق ، والسلام وافرأ على من نظر اليه من الاخوان

نصيحة لولي الامر بالحرص على اقامة المصالح

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الرحمن بن حسن الى امام المسلمين ، وخليفة سيد المرسلين في اقامة العدل والدين ، وهو سبيل المؤمنين والخلفاء الراشدين ، فيصل بن تركي جعله الله في عدادهم متبعاً لسيرهم وآثارهم آمين

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد : اعلم ان الله تعالى انعم علينا وعليكم وعلى كافة اهل نجد بدين الاسلام الذي رضي له عباده ديناً ، وعرفنا ذلك بادائه وبراهيمه دون الكثير من هذه الامة الذين خفي عليهم ما خلقوا له من توحيد ربهم الذي بعث به رسله ، وأنزل به كتبه ، ولا صلاح للعباد في معاشهم ومعادهم الا بمعرفة هذا الدين وقبوله ومحبته والعمل به ، واستفراغ الوسع الى ذلك علماً وعملاً ودعوة اليه ورغبة فيه ، وان يكون أكبرهم الانسان ومبلغ علمه ليحصل له النعيم الابدي ، والسرور السرمدي ، وقد وقع أكثر من أنعم الله عليه بهذه النعمة في التفريط في شكرها والتهاون بها ، وعدم الرغبة فيها ، والتحدث بها ، والعمل بموجبها ، وقد وقع بالغفلة عن شكر هذه النعمة من التفريط فيها والاشتغال بما يشغل عنها من الرغبة في الدنيا ، والاقبال عليها مالا يخفى على ذوي البصائر

وقد ذم الله تعالى في كتابه اهل الغفلة والاعراض أعاذنا الله وإياكم من اتباع سباهم فقال (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) فعلينا وعليكم أن تقوم على من قدرنا على اقيام عليه ببذل الجهد والاجتهاد بالنصيحة لجميع المسلمين بتذكيرهم ما أنعم الله عليهم به من الدين ،

وتعليمهم ما يجب عليهم تعلمه مما فيه صلاحهم وفلاحهم ونجاحهم وسعادتهم ونجاتهم من شرور الدنيا والآخرة . وقد قل تعالى (أولايرون انهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون) فإذا كان هذا في أناس في عهد النبوة والقرآن ينزل فمن بعدهم أخرى أن يكونوا كذلك ، فيجب على من أقدره الله من المسلمين أن يقوم بنصيحة العباد بهذا الدين علماً وعملاً ، ودعوة اليه وتعلماً وتعليماً ، ولا يخفى أن العامة تتبع الخاصة فيما أحبوه وقلوه وعملوا به ، وقد حذر الله تعالى عباده من عقوبات الدنيا والآخرة على الاعراض عما خلقوا له كما قال تعالى (ففروا إلى الله أني لكم منه نذير مبين) وقال تعالى (وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كأظمين * مالا لظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) وقال في حق نبيه ﷺ (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) وعلينا أن نحذر ونحذر عما حذرنا الله تعالى منه من التفريط في طاعة الله وطاعة رسوله ، والقيام بدينه كما ينبغي

وبسبب الغفلة عن هذه الامور الواجبة وقع في كثير من الناس أشياء مما لا يحبه الله ورضاه كما لا يخفى على من ينظر بنور الله ، وقد قل تعالى (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليزيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) والفساد المعاصي وآثارها في الارض ولكن كما قيل : إذا كثرت الامساس قل الاحساس ، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا

ومن موجبات الغفلة الاعراض عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فانه لا صلاح للعباد في دينهم ودنياهم إلا بالقيام بحقه . واليوم مافي البلدان من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا على ضعف ، وفي تركه الوعيد الشديد وفعله علامة الايمان وهو من فروض الكفايات التي إذا قام بها البعض سقط الوجوب عن الباقيين ، وإذا لم يحصل القيام بذلك أمموا كاهم

قال بعض العلماء : فروض الكفاية اشد على الناس من فروض العين لان فرض العين تخص عقوبته تاركه ، وفرض الكفاية تعم عقوبته كل من كان له قدرة . فأوصيكم معشر الاخوان من الخاصة والعامة أن ترغبوا فيما رغبتكم الله فيه وأن تهتموا به كاهتمامكم بدنياكم لتسعدوا وتسعدوا وتغنموا ، الشأن كل الشأن بالاهتمام فيما يرضي الله عنكم ويدفع الله به عنكم عقوبات الدنيا والآخرة ، وعلى الامام وفقه الله أن يبعث للدين عمالا كما يبعث للزكاة عمالا ليعلموهم دينهم ويأمرهم وينهوهم ، وهذا مما يجب على الامام أعانه الله على ذلك ووفقه للقيام بوظائف الدين نصيحة لاه ولسكتابه ولسوله وللمسلمين

وأوصيكم بالتوبة إلى الله عما فرطتم فيه من العمل بدينه وتعلمه وتعليمه وتكميله فن الله تعالى أكله لكم وهو أعظم نعمة أنعم بها عليكم
فاله الله في الاخذ باسباب الفلاح والنجاة ، وعلى كل منكم أن يحاسب نفسه لربه قبل القدوم عليه والرجوع اليه ، ولا ينفع قول الا بعمل ولا عمل إلا بنية فاشكروا الله تعالى على ما أعطاكم ومن به عليكم من دين الاسلام وما حصل به من النعم التي لا تحصى .

وقد خطب نبيكم ﷺ أصحابه وأنذرهم وحذرهم فقال « إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد » فاحذروا وحذروا فان الامر عظيم ، قال الله تعالى (إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا)
قل بعض العلماء في قوله (ان تقوموا) فيه وجوب القيام لله فيما شرعه وأمر به وقوله (الله) فيه تنبيه على اخلاص العبد في قيامه لربه وطاعته فجمعت هذه الآية العمل بالتوحيد وحقوقه ولوازمه والقيام بذلك جدًّا واجتهادًا ، ويشبه هذه الآية قوله تعالى (ولا تحسبن الله غافلا عما يفعل الظالمون - إلى قوله - وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك

ونتبع الرسل) فجمع تعالى الدين كله في هاتين السكنتين (نجد دعوتك) فيه التوحيد لانه الذي دعا اليه ودعت اليه رسله وفي قوله (ونتبع الرسل) العمل بكتابه واتباع رسوله ﷺ لان من اتبع كتابه ورسوله فقد اتبع الرسل جميعهم ، فمن عمل بهاتين السكنتين فيما كان طاعة لله ورسوله فقد فاز ونجا وحصل ماآمناء المفرطون يوم القيامة

فالله الله في الاهتمام بهذا الشأن والقيام به حسب الامكان (وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب)

ومما يدفع الله به العقوبات، ويزيد به الحسنات الصدقة على الفقراء والمساكين كما قال تعالى (وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير) وقال تعالى (وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً واستغفروا الله إن الله غفور رحيم) وقد ورد « باكروا بالصدقة فان البلاء لا يتخطاها ، والحسنة بعشر أمثالها إني سبعة أضعف إلى أضعاف كثيرة » وفي الحديث « انقوا النار ولو بشق تمرة » والآيات والاحاديث في فصل الصدقة كثيرة وهي من الباقيات الصالحات . وقد قال تعالى (والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخيراً أملاً)

نسأل الله لنا ولكم العفو والعافية ، والعون على مرضاته فانه ولي ذلك والقادر عليه ، ولا ملجأ منه إلا اليه بالتوبة النصوح والايمان والعمل الصالح ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين



جواب فيصل لاسيخ عبد الرحمن

عن نصيحته المتقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

من فيصل بن تركي إلى من وصلت اليه هذه النصيحة وسمعها أن يعمل بما ذكر فيها ، ولا لاحد عذر الا من منع أو ردع ، فلا يعذر حتى يبلغنا ، فاذا بلغنا من منعه فهو معذور

والموجب ان حوائج الناس ماتقف عما ، القوي يوصل حاجة الضعيف ويعين عليه بذكر حاله ، ولا بأس في هذا ويثاب عليه فليكن الى الله أعظم وألزم فتوكلوا على الله وافعلوا ما أمركم به ، وتآمرروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ويكون ذلك على علم وحلم ، فان جبنتم فالله حسيب عليكم وهو حسبتنا ونعم الوكيل وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

الرد على من قال بقول الفهرست في دعاء الموتى والتعلق بأرواحهم

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

قال الشيخ الامام العالم العلامة عبد الرحمن بن حسن .

اعلم انه ورد من مصر جواب عن سؤال . وذلك الجواب يتضمن القول بجواز بناء المساجد على القبور والتعلق بأرواح أربابها وحصول البركات والمنافع بما يفيض عليه من تلك الارواح كما كان يعتقد عباد الاصنام المصورة بصورة الملائكة والصالحين فتعين علي وعلى أمثالي رد ذلك وإبطاله فأقول - مستعينا بالله

طالباً في ذلك رضى الله وجزيل ثوابه . والحمد لله رب العالمين :

(الجواب) وبالله التوفيق: لا ريب ان الذي أجاب به هذا المحيب باطل من وجوه (أحدها) ان لفظة الاستظهار بأرواح الاموات انما أراد بها التعلق بالاموات والالتجاء والرغبة اليهم، لكنه قصد أن يزخرف العبارة اضلالاً للعوام والجهال فيكم تحت هذه اللفظة من شرك ومحاددة لدين الله ولا خلاص العباد له وحده لا شريك له وقد قال تعالى (فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون) وقال تعالى (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) الآية وقال (إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فأعبد الله مخلصاً له الدين ألا الله الدين الخالص) وقال تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها) الآية .

واقامة الوجه هو اخلاص الدين له وافراده بجميع أنواع العبادة كما ذكره المفسرون ، والحنيف المتقبل على الله المعرض عن كل ماسواه ، وهذا الذي ذكره هؤلاء المخرفون عن التوحيد لا ريب ان الله تعالى لم يشرعه ولا رسوله بل نهى عنه أشد النهي كما سنذكره ان شاء الله تعالى . فقد أكمل الله لنا ديننا وأتم علينا نعمته وبين رسوله ﷺ ما شرعه الله من دينه أنم بيان ، قال الله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأنتم عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً) وقد بين تعالى أصل دين الاسلام وأساسه الذي تبني عليه الاعمال وتصح به كما قال تعالى (بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ومالم يشرعه الله فليس من دين الاسلام كما في حديث عائشة الذي في الصحيحين « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال « وإياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » وقد بين ﷺ ما شرعه في زيارة القبور فثبت عنه ﷺ انه قال « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكركم الآخرة » وقد

شرح الله تعالى ورسوله الدعاء الميت في الصلاة عليه وغيرها لانه محتاج لدعاء الحي لا تقطاع عمله .

وأما الاستظهار بروحه فانه لا يعرف له معنى غير ما عبر به المحيب عنه من الرغبة الى الميت والتعلق به والالتجاء اليه ، وذلك هو أصل دين المشركين ، ويترتب على ذلك من أنواع العبادة جلها ومعظمها كالحبة والدعاء والتوكل والرجاء ونحو ذلك ، وكل هذا عبادة لا يصالح منه شيء لغير الله أبداً ، وهؤلاء كما قال الله تعالى (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك إذا من الظالمين * وإن بمسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا رد لفضله) الآية . والله تعالى هو المتفرد بالخلق والتدبير والنفع والضر والعطاء والمنع ، والميت غافل عاجز لا يسمع ولا ينفع كما قال تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون) الآية وقال تعالى (ذاكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير * إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم) الآية .

وقد قصر الله رغبة عباده عليه بل كل العبادة بأنواعها كما قال تعالى (فاذا فرغت فنصب الى ربك فارغب) وقال (بل الله فاعبد) وتقديم المعمول يفيد الحصر والاختصاص

والشفعاء يوم القيامة لا يشفع أحد منهم إلا بإذنه ولا يشفعون إلا لمن ارتضى كما قال تعالى (قل لله الشفاعة جميعا) فهي ملكه يشفع من شاء فيمن شاء بإذنه للشافع ورضاه عن المشفوع له كما قال تعالى (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) وقال تعالى (لا يشفعون إلا لمن ارتضى) وقال (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيها

من شرك وما له منهم من ظهير* ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) الآية
 قل أبو العباس ابن تيمية: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون فنفى
 أن يكون غيره ملك أو قسط منه أو يكون عوناً لله ولم يبق إلا الشفاعة، فبين أنها
 لا تنفع إلا لمن أذن له الرب كما قل (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) فهذه الشفاعة
 التي يظنها المشركون هي منفية يوم القيامة كما نفاها القرآن .

فالشفاعة لأهل الاخلاص بأذنه ولا تكون لمن أشرك ، وحقيقتها ان الله
 سبحانه هو الذى يفضل على أهل الاخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له
 أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود . وقد بين النبي ﷺ ان الشفاعة لا تكون
 الا لأهل التوحيد والاخلاص انتهى ملخصاً

وهو سبحانه لا يرضى من عبده إلا التوحيد الذي هو دينه الذي بعث به
 رسله وأنزل به كتبه كما قال تعالى (قل اني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين)
 وقل تعالى (قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له
 وبذلك أمرت) فهذا هو حكم الله الشرعي الذي حكم به على خلقه بأن يصرفوا
 أعمالهم له وحده دون كل من سواه ولهذا قال (وبذلك أمرت) وقل في سورة
 يوسف (أمر أن لا نعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم)

فالعبد وأعماله الظاهرة والباطنة كلها ملك لله لا يصالح أن يصرف منها شيء
 لغير الله ، فمن صرف العبد منها شيئاً لغير الله فقد وضعه في غير موضعه وذلك
 هو الظلم العظيم كما قل (ان الشرك لظلم عظيم)

وأنفع ما للعبد في معاشه ومماده ان يوجه وجهه وقلبه الى الله ويجمع همته
 عليه في جميع مطالبه الدنيوية والأخروية كما قال العارف بالله الذي استنار قلبه
 بآيات الله وحججه وبيناته

واذا تولاه امرؤ دون الورى طراً تولاه العظيم الشأن

فالعبد مضطرب الى الله الذي يحياه ومماته له، فهو قبلة قلبه ووجهه كما أخبر عن خليله عليه السلام انه قل (اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين) وانما شرع الله ورسوله زيارة القبور لتذكر الآخرة كما قال ﷺ « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزورها فانها تذكركم الآخرة » أي اتسمعوا لها سعيها (فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم) فجعلوها محطاً للرحال ، ومطلباً للآمال ، ومعاداً وملاذاً . وهذا هو الشرك الذي لم يشرعه الله بل شدد النهي عنه والوعيد عليه . وأخبر انه لا يقفره ، قال تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نواه ما تولى ونصله له جهنم وساءت مصيراً) وقال تعالى (ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون) وقال (حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أينما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم انهم كانوا كافرين) وقال تعالى (وأن الساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً) وهي نكرة في سياق النهي فتعم .

فلو جاز الاستظهار بأرواح الاموات كما قاله هذا الجاهل بالله وبدينه لجاز أن يستظهر العبد بالحفظة من الملائكة الذين هم معه لا يفارقونه بيقين ، وهم كما وصف الله (عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) وهذا لا يقواه مسلم أصلاً بل لو فعله أحد كان مشركاً بالله ، فاذا لم يجوز ذلك في حق الملائكة الحاضرين فان لا يجوز في حق أرواح اموات قد فارقت أجسادها لا يعلم مستقرها الا الله أولى ، قال تعالى (والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون * أموات غير أحياء وما يشعرون * أيان يبعثون * إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون) وأنت ترى أكثر الناس انصرفت قلوبهم عن فهم الحق ومعرفته بدليله حتى تمكنت الشبهات منهم

فظنوها بينات فأصلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل
وهذا هو الواقع لا يخفى على ذوي البصائر وقد أنزل الله كتابه موعظة وشفاء
لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين كما قل تعالى (ثم جعلناك على شريعة من
الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون * انهم لن يفتنوا عنك من الله شيئا)
الى قوله (والله ولي المتقين)

(الوجه الثاني) ان رسول الله ﷺ حذر فيما تواتر عنه من النهي عن وسائل
هذا التعلق والاتجاه بالاموات والرغبة اليهم فنهى عن اتخاذ القبور مساجد ،
وصرح طوائف من أصحاب الامام أحمد وغيرهم كأصحاب مالك والشافعي بالتحريم لذلك
وقد حكى شيخ الاسلام رحمه الله الاجماع على التحريم لذلك وهو الامام
الذي لا يجارى في ميدان معرفة الخلاف والاجماع لما في صحيح مسلم عن جندب
ابن عبد الله سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول «إني أبرأ
إلى الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا
ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ألا وان من كان
قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني
أنهاكم عن ذلك »

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « قال الله
اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وفي رواية لمسلم « لعن الله
اليهود والنصارى » الحديث

وفي الصحيحين عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ
قال في مرضه « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر
ما صنعوا ، ولولا ذلك لأبرز قبره غير انه خشي أن يتخذ مسجداً
قوله : خشي تعليل لمنع ابراز قبره . فقد نهى ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد

في آخر حياته ، ثم انه لعن وهو في السياق من فعله وذلك لان الفتنة بالصلاة عند القبور ومشابهة عباد الاوثان أعظم من الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها وقد نهى عن الصلاة في هذه الاوقات سداً لذريعة التمثيل بالمشركين التي لا تكاد تخطر ببال المصلي فكيف بهذه الذريعة القريبة التي تدعو فاعها إلى الشرك الذي صله التعظيم بما لم يشرع والغلو فيها

وقد أخرج الامام أحمد وأهل السنن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال « لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج »

ومعلوم أن إيقاد السرج إنما لعن فاعله لكونه وسيلة إلى تعظيمها وجعلها نصباً يوفض اليها المشركون ، وكذلك اتخاذ المساجد على قبور الانبياء والصالحين ووجه الدلالة من هذه الاحاديث أنه اذا لعن من فعل ما هو وسيلة إلى التعظيم والغلو وإن كان المصلي عندها ومتخذها مساجد إنما وجه وجهه وقلبه إلى الله وحده فكيف اذا وجه وجهه إلى أرباب القبور وأرواح الاموات وأقبل عليها بكليته وطلب النفع منها من دون الله تعالى ، فانه قد صرف ما هو من خصائص الربوبية لمن لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً . فمن جعل لله شريكاً ياتجىء اليه ويعلق به قلبه ويوجه اليه وجهه ويرغب اليه دون الله فقد جعله لله نداً كما في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه : قالت يا رسول الله أي الذنب أعظم ؟ قال « أن تجعل لله نداً وهو خلقك » الحديث

وقد بين تعالى في كتابه دينه الخفيف فيما ذكر عن خليله ابراهيم عليه السلام أنه (قال يا قوم اني برىء مما تشركون * اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفاً وما أنا من المشركين) وقال تعالى (قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذي تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين * وأن أقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكونن من

المشركين) وبهايتين الآيتين وأمثالهما في القرآن يميز المؤمن دين المرسلين من دين المشركين . فقامة الوجه لله باخلاص العبادة له بجميع أنواعها هو دين المرسلين ، وتوجيه الوجه بشيء من أنواعها لغير الله هو الشرك الذي لا يغفره الله وتذكر قول الله تعالى في وصف أهل الاخلاص (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين) فالرغبة والرغبة والخشوع وغير ذلك من أنواع العبادة كالحبة والدعاء والتوكل ونحو ذلك مختص بالله تعالى لا يصلح منه شيء لغيره كائننا من كان

وتأمل قوله تعالى (وكانوا لنا خاشعين) فانه ظاهر بان ذلك الخشوع ونحوه مختص بالله تعالى كما ذكر اختصاصه بالعبادة عموما في قوله (بل الله فاعبد وكن من الشاكرين)

ولا يخفى أن هذا المحجب قد صرف جل العبادة ومعظمها لغير الله وقد قال تعالى (له دعوة الحق) وقال (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير * إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) فالخبير سبحانه أبطال الاكاذيب الشيطانية والتعلقات الشركية في هذه الآية ونظائرها

فتذكر إن كنت للتوحيد طالبا ، وفي دين المرسلين راغبا ، وقد أجرى الله سبحانه العادة بوقوع لامراض العامة والمصائب العظام في كل مدينة فيها بعض من قبور الاولياء والصالحين فلا يجد أهلها تأثيرا للتعلق بهم في دفع ما نزل من تلك المصائب ، وذلك برهان على ان الميت لا ينفع ولا يضر ولا يغني عن تعلق به شيئا كما قال تعالى (قل أفرأيتم ماتدعون من دون الله إنا أرادني الله بضربه هل هي كاشفات ضره ، أو أرادني برحمته هل هي ممسكات رحمته ؛ قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون)

(الوجه الثالث) أن رسول الله صلى الله عليه وآله نهى أمته أن يجعلوا قبره عيداً. أخرج أبو دؤد بسند حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حينما كنتم»

وأخرج أبو يعلى في مسنده والحافظ الضياء في المختارة عن علي بن الحسين أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وآله فيدخل فيها فيدعو فنهأه وقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال «لا تتخذوا قبري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم» وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن سهل بن سهل قال: رأيت الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنه عند القبر فناداني - وهو في بيت فاطمة يتعشى - فقال هلم إلى العشاء. فقلت لا أريده، فقال مالي رأيتك عند القبر؟ فقلت سلمت على النبي صلى الله عليه وآله، فقال: سلم إذا دخلت المسجد، ثم قال إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال «لا تتخذوا قبري عيداً، ولا تتخذوا بيوتكم مقابر، إني أرى الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، صلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حينما كنتم» ما أنت ومن بالانداس إلا سواء.

فهذا علي بن الحسين أفضل التابعين من أهل البيت والحسن بن الحسن سيد أهل البيت في زمانه لم يفهموا من نهى النبي صلى الله عليه وآله بقوله «لا تتخذوا قبري عيداً» إلا نهى أمته عن اعتياد الحجيء إلى قبره وملازمته لأن الصلاة عليه تبلغه صلى الله عليه وآله من المصلي وإن كان بعيداً عن قبره. ولما في ذلك النهي من سد الذريعة عن المكوف عند القبر وتعظيمه بما لم يشرع

والمكوف عبادة شرعها رسول الله صلى الله عليه وآله في المساجد تقرباً بها إلى الله فلا يجوز أن يفعل ما هو مشروع في المساجد عند قبور فإن الملازمة والمكوف عندها

ذريعة قريبة إلى عبادتها ، فتعظيمها بما لم يشرعه الله ورسوله غلو ، والغلو أعظم وسائل الشرك

والذي فهمه هذان السيدان الجليلان هو الذي فعله السابقون الاولون من المهاجرين والانصار ، فان الثابت عنهم المتواتر أنهم كانوا اذا دخلوا المسجد صلوا على النبي ﷺ واكتفوا بذلك عن المجيء الى قبره ﷺ وذلك لعلمهم بما شرعه الله ورسوله . وكان ابن عمر رضي الله عنه اذا قدم من سفر سلم على النبي ﷺ ثم على ابي بكر ثم على ابيه ثم انصرف

فهذا حال الصحابة رضي الله عنهم وهم أشد الناس تمسكاً بالسنة وأعلم الناس بما يجوز وما لا يجوز

قال شيخ الاسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام رحمه الله تعالى :
ووجه الدلالة من هذا الحديث ان قبر النبي ﷺ أفضل قبر على وجه الارض وقد نهى عن اتخاذ عيдаً فغيره أولى ، قال : والعيد ما يعتاد قصده ومجيئته من مكان أو زمان .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله وقد حرف هذه الاحاديث بعض من أخذ شبهها من اليهود بالنحرif ، وشبهها من النصارى بالشرك ، مراغمة لما قصده الرسول ﷺ وقلبا للحقائق ، ولا ريب أن ارتكاب كل كبيرة دون الشرك أقل انما وأخف عقوبة من تعاطي مثل ذلك في دينه وسنته ، ولو أراد الرسول ﷺ بقوله « لاتجعلوا قبوري عيداً » أمراً بملازمة قبره واعتياد قصده لما نهى عن اتخاذ قبور الانبياء مساجد ، ولعن من فعل ذلك ولما قل أعلم الخلق به ، ولولا ذلك لأبرز قبره غير انه خشي أن يتخذ مسجداً . انتهى

(قلت) وفي هذه الاحاديث ما يبطل هذا التحريف الذي أشار اليه العلامة كتحرif شارح المشارق فان قوله صلى الله عليه وسلم « لاتتخذوا قبوري

عيداً « مسبوق وملحوق بما يمين معناه كقوله « وصلوا عليّ فان صلواتكم تبغني حينما كنتم » وكقوله في الحديث الذي رواه الحسن بن الحسن « لعن الله اليهود ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وغير ذلك مما هو ظاهر يبين مراده ﷺ انه خشي على أمته تعظيم القبور والغلو فيها كما في الموطن عن عطاء بن أبي رباح أن رسول الله ﷺ قل « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وهذا الحديث صريح في بيان مراد النبي ﷺ بالجملة الاولى من الحديث والجملة الثانية ، فقد حمى ﷺ حمى التوحيد . ومثل هذه الاحاديث قوله ﷺ « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، انما أنا عبد فقولوا : عبد الله ورسوله »

فقد عرفت مما تقدم ان من أعظم أسباب الشرك تعظيم القبور والعكوف عندها ، ولا ريب أن ذلك يفضي إلى الالتجاء اليها ، والتعلق بها ، والرغبة اليها ، ونحو ذلك من المحبة وخطابها بالخواص وغير ذلك مما لا يمكن عده كالخشوع والبكاء والنحيب ورغبة ورهبة اليها . وهذا هو العبادة التي قصرها الله تعالى عليه دون كل من سواه . قال الله تعالى (قل انما يوحى إلي انما اهلحكم إله واحد فهل أنتم مسلمون ؟) وقوله (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة) ونحن له عابدون * قل أنحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ، ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون ؟) وقال تعالى (ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم ، وما للظالمين من نصير) الآيات

فتدبر هذه الآيات وما فيها من البيان والحجة القاطعة على أن كل من وجه وجهه وقلبه الى غير الله فهو مشرك شركا ينافي الاخلاص . وتأمل ما فيها من اختصاص الرب تعالى بجميع أنواع العبادة كالالتجاء والتعلق والرغبة والرهبة وغير ذلك من أنواع العبادة والله المستعان ،

ولقد احسن العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في كافيته إذ يقول :
 ولقد نهى ذا الخلق عن إطرائه فعل النصارى عابدي الصليبان
 ولقد نهانا ان نصير قبره عيداً حذار الشرك بالرحن
 ودعا بأن لا يجعل القبر الذي قد ضمه وثناً من الاوثان
 فجاب رب العالمين دعاه وأحطه بثلاثة الجدران
 حتى غدت ارجاؤه بدعائه في عزة وحماية وصين
 ولقد غدا عند الوفة مصرحاً باللعن بصرخ فيهم بأذان
 وعنى الأولى جعلوا القبر مساجداً وهم اليهود وعابدوا الصليبان
 والله لولا ذلك أبرز قبره لكنهم حجوه بالحيطان

(ثلاث) والآيات المحكمات اصرح شيء وأوضحه في بيان حقيقة الشرك في
 الالهية وهو صرف العبد شيئاً من أنواع العبادة التي يصلح التقرب بها إلى الله
 فينتقرب بها إلى غيره ، فإن العبادة بجميع أنواعها حق لله ومختصة به وكذلك
 هذه الاحاديث المذكورة ونحوها بين شيء وأجلاه في تحريم وسائل هذا الشرك
 لكن الكثير من متأخري هذه الامة وقعوا في هذا الشرك لما طال عليهم الامد
 وبعثوا عن عصر سلف هذه الامة ، وزمن اتباعهم من الائمة ، الذين اجمع العلماء
 من أهل السنة على هدايتهم ودرايتهم ، فانتشرت البدع بعدهم ، والتبس الحق
 بالباطل بظهور علم الكلام والفلسفة ، فيالها مصيبة ما أعظمها

فلما استمكننت اصول تلك البدع في قلوب من ينتسب إلى العلم من المتأخرين
 حاولوا صرف المعنى الذي دلت عليه النصوص وأراده الله ورسوله بالنهي عنه
 والتغليظ فيه إلى ضروب من التحريف فراراً من ان يدخل الواقع منهم تحت
 ذلك النهي ، فلما لبسوا لبس عليهم ، فوالله وإنا اليه راجعون (من يهد الله
 فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً)

(الوجه الرابع) ان هذا الذي يدعيه المجيب من الاستظهار بأرواح اهل القبور لاحقيقة له فانه اعتقاد فسد من تضليل الشيطان لجهل الامة ، والا فمن اين لهذا المدعي أن الارواح تنزل كذلك وقد عرفت ان التعلق بها وعبادتها شرك بالله ، وهذا من اتخيلات الشيطانية الشركية بالارباب نظير ما ادعا المشركون في قولهم في معبوداتهم (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) قال تعالى (قل أنبئثون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون) فأكذبهم الله في دعواهم هذه ، وبين انه لاحقيقة لها ، وان اتخاذهم شفعا من دون اذنه شرك نزه نفسه عنه ، ونظائر هذه الآية في القرآن كثير كقوله تعالى (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء * قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم في الارض أم بظاهر من القول) الآية فأخبر تعالى عن اهل الشرك انهم يدعون في معبودهم اشياء لاحقيقة لها في الخارج أصلا ، وانما هي تصورات وخيالات ذهنية شيطانية (إن يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى) وقوله (أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض أإله مع الله ؟ قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) ولقد بين تعالى في كتابه دينه وأمره الشرعي في آيات كثيرة ، من ذلك ما ذكر عن نبيه يوسف عليه السلام من قوله (يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار * ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتهموها أنتم وآبائكم انزل الله بها من سلطان إن الحكم الا لله امر أن لا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون)

وقد عرفت مما تقدم ان الله تعالى قصر انواع العبادة من خلقه عليه ، ولم ياذن لهم ان يصرفوا منها شيئا لغيره اصلا كما في فاتحة الكتاب (اياك نعبد واياك نستعين) وتوحيد الالهية من اسمه تعالى (الله) فهذا الاسم الاعظم دل على انه سبحانه هو المألوه المعبود كما ذكر في الدر المنثور وغيره عن ابن عباس قال : معنى

الله أي ذو الالهية والعبودية على خلقه أجمعين

فمن تدبر هذه الآيات ونظائرهما علم أن هؤلاء القبوريين المفتونين بالاموات قد خالفوا ما أمرهم الله تعالى به من إفراجه بالالهية والعبودية الخاصة له فتأملت قلوبهم غيره وتعلقت أنفسهم بمن لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً . قال الله تعالى (ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير) الآية وتقدمت ، وقال تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين)

فتأمل هذه الآية وما فيها من البيان والبرهان على ضلال من وجه وجهه وقلبه لغير الله بأي نوع كان من انواع العبادة ، وهذا لا يخفى إلا على من عميت بصيرته ، وضل سعيه ، وفسد فهمه (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور)

(الوجه الخامس) ان المجيب ومن يقول بقواه انما وجهوا ووجوههم وقلوبهم إلى أرواح الاموات وقد فارت تلك الارواح أجسادها لا يعلم أين صارت ولا إلى ما صارت إلا الله إلا ماورد ان أرواح الشهداء والسعداء تسرح في الجنة وقد جعل الله موتهم دليلاً وبرهاناً على بطلان عبادتهم ، قال الله تعالى (والذين تدعون من دون الله لا يخلفون شيئاً وهم يخلقون * أموات غير احياء وما يشعرون أيان يبعثون * إلهكم إله واحد فلذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون) ولا ريب أن من له بصيرة يعلم أن الميت لا شعور له بحاله فكيف بغيره وقد تقدم دليله فبطل بهذه الآيات المحكمات وما في معناها كل ما تعلق به المشركون من طلب وأمل ورجاء ورغبة صرفوه لغير الله ، وبين تعالى أن ذلك يعود عليهم وبالا في الدار الآخرة . نعوذ بالله من ضلال السعي والخبية والخسران ،

ولقد أحسن من قل

يقضى على المرء في إمام محنته حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن

(الوجه السادس) ان المحيب أجاب بما يخالف مطلوب السائل ، فن السائل
انما طلب منه قول الاثمة الذين يرجع اليهم في اصول الدين وفروعه من اجمع
أهل السنة على هدايتهم ودرائتهم وعلمهم وصدقهم وتمسكهم بالحق وهم كثير في
اقرون المفضلة وبعدها ، ولم يسأله عن قول من لا يعرف بعلم ولا ثقة ولا صدق ولا
عدالة ، وكلامه الذي نقله عن المحيب من شرحه كلام محرف للسنة قد دخل في
الكلام المذموم والفلسفة ومثل هذا لا يحتج بقوله من له ادنى فهم ومعرفة بأحوال العلماء
فسبحان الله يا هذا ، كيف تقلد في دينك من لا يعرف بعلم ولا صدق وأمانة
وعدالة ؟ فما أكثر من اغتر بأقول من هو مثله ممن أخذ عن أرباب أهل البدع
فبلا أجبت بأقوال الصحابة والتابعين كالفقهاء السبعة وكالزهري والحسن
وابن سيرين والحماديين والاوزاعي والثوري والليث بن سعد والائمة الاربعة
واسحاق بن ابراهيم وأبي عبيد ومحمد بن نصر المروزي وابن جرير الطبري
وأبي عمر بن عبد البر النخعي صاحب التمهيد والاستذكار وأمثال هؤلاء من أئمة
الاسلام اهل العروة الوثقى ؟ فانهم بحمد الله كثير في الأئمة ، يعرفهم من له إلمام
بالعلم والعلماء والفضل والفضلاء ، ومعاذ الله أن تجحد في كلام هؤلاء وأمثالهم من
يجوز تعلق القلب والهضم والارادات بغير الله سبحانه وتعالى وتقدس عن الشرك
في الارادات والنيات والاعمال

ولو قيل لهذا المحيب عرفنا بشارح المشارق هذا ومن ذكره من المصنفين

من اهل الجرح والتعديل ، لم يجد الى ذلك من سبيل

وعلى كل حال فليس في كلامه حجة ولا دليل ، فان كلامه يعرف بحقيقة حاله

ولحجة اتى لاتعارض ولا تدافع انما هي فيما قاله الله ورسوله وما كان عليه المسلمون في عصر انقضاء الراشدين والائمة المهتدين قبل حدوث البدع وتشعب الاهواء واختلاف الآراء ، قل الله تعالى (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله * إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون * إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)

ولا يخفى على من له دين وإمام بالعلم انفع ان رسول الله ﷺ حى حى التوحيد وسد كل طريق يوصل الى الشرك الاكبر والاصغر ، فقد ثبت عنه انه لما قل له رجل : ماشاء الله وثبتت . قل « أجملتنى الله ند ؟ بل ماشاء الله وحده » وفي المسند عن عمران بن حصين رضي الله عنه ان النبي ﷺ رأى رجلا في يده حلقة من صفر . فقال « ماهذه ؟ » قال من الواهنة . فقال « انزعها فانها لانزيدك إلا وهنا وانك لو مت وهي عليك ما فلتحت أبداً » فانظر الى هذه العقوبة العظيمة لمن عاق قلبه بحلقة دون الله .

وثبت عنه ﷺ انه قل « من تعلق شيئا وكل اليه » أخرجه النسائي من حديث ابي هريرة . ولاحمد عن عقبة بن عامر « من تعلق تيممة فلا أتم الله له ، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له » وفي رواية « من تعلق تيممة فقد أشرك » ومن المعلوم ان التعلق بأرواح الاموات أعظم شركا من تعلق التمام وهذا لا يخفى على من له بصيرة في الدين فان الفتنة بها أعظم والتعلق بها أشد والعبادة عبادة حينما صرفت ، فان قصرت على المستحق لها ودو الله فهو التوحيد ، وان صرف منها نوع فأكثر تغير الله فهو شرك بالله ، قل الله تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) والصحابة رضي الله عنهم قد تمسكوا بما علموه من حال نبيهم ﷺ من تحقيق التوحيد وحمايته عن الشرك . فقد ثبت عن حذيفة بن اليمان صاحب رسول الله ﷺ انه رأى رجلا في يده خيط من

الحجى فقطعه وتلا قوله (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون)
ومن المعلوم ان الشرك في عصر الصحابة رضي الله عنهم كان قليلا جداً
فاذا رأوا شيئاً منه أعظموه وأكروه ، وحذيفة رضي الله عنه استدل بهذه الآية
الكريمة على ان هذا شرك بالله ، فمن هذا مما وقع فيه أكثر الناس اليوم من طلب
النفع ودفع الضر من الاموات الذين لا احساس لهم بما يطلبه الداعي منهم ولم
يدفعوا عن أنفسهم فضلاً عن غيرهم .

وأما التابعون للصحابة وتابعيهم فمنهم من سلكوا سبيل النبي ﷺ فمنهم من بدأوا
وأعادوا في انكار ما حدث من الشرك ، فقد ثبت عن سعيد بن جبير رضي الله
عنه انه قال : من قطع تيممة من انسان كانت كمعدل رقبة . فانظر الى هذا التشديد
من هذا الامام في تعليق التيممة .

فان هذا مما قرر المحجب جوازه من التعلق بأرواح الاموات التي لا يعلم
مستقرها الا الله ولا تنفع ولا تضر (قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا
ونرد على عقابنا بعد إذ هدانا كذاي استهوت الشياطين في الارض حيرنا له
اصحاب يدعونه الى الهدى انتم قل ان هدى الله هو الهدى وأمرنا للناسم الرب العالمين)
وقد عرفت ان الاسلام لرب العالمين هو اسلام الوجه والقلب باخلاص
العبادة بجميع أنواعها لله تعالى ، فمن صرف شيئاً من العبادة لغير الله فقد أشرك
بالله ، قال الله تعالى (ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم مما مملكت أيمانكم
من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم ؟ كذلك نفصل
الآيات لقوم يعقلون * بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم فغير علم فمن يهدي من
أضل الله وما لهم من ناصرين * فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس
عليها لا تبدل خلق الله ذلك لدين اقيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) لايات
فياله من بيان ما أوضحه وحجة ما قطعها للشرك . والحمد لله الذي هدانا لهذا

وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله (قل يأيتها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين * قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) ولقد أحسن من قال في بيان التوحيد أي توحيد الالهية :

فالقصد وجه الله بالأقوال والأعمال والطاعات والشكران

فبذلك ينجو العبد من اشراكه ويصير حقاً عابد الرحمن

وبهذا يعلم ان الشرك بالله مسبة لله وتنقيص له ورغبة عنه الى غيره وهضم لربوبيته تعالى فعظم هؤلاء الجاحدون لتوحيد الله مخلوقه وعبداه اتقصمهم لله تعالى ومسبتهم له بزعمهم ان معبوديهم صالحون وأولياء، فأنزلوهم منزلة الله وسلبوا لهم حقه، والنبي والصالح حقه متابعتة فيما هو فيه من التوحيد والعمل الذي صار به صالحاً، فلم يقتدوا بهم في الدين ولا في العمل فأخذوا حقهم من الاقتداء بهم في الدين واتباعهم وحرفوه لجهال المتفاسفة ومن أخذ عنهم كشارح المشارق وأمثاله من المحرفين .

(الوجه السابع) ان مما يبين خطأ الحبيب وضلاله مع ما تقدم من الأوجه ما أخرجه الترمذي بسنده عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ الى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر والمشركون سدره يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط، ففررنا بسدره، فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبي ﷺ «الله أكبر، إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو اسرائيل لموسى (اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون * إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون * قال أغير الله ابنيكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين) لتركبن سنن من كان قبلكم » وفي هذا الحديث من الفوائد ان التبرك بالأشجار ونحوها شرك وتأليه لغير الله، ولهذا شبه قولهم

« اجعل لنا ذات انواط » بقول بني اسرائيل اجعل لنا إلهاً .
ومنها ان حقيقة الشيء لا تتغير بتغير الاسم ، ومنها خطر الشرك والجهل ،
فكادوا ان يقعوا في الشرك لما جهلوه ، فاذا كان هذا في عهد النبوة واقبال الدين
فكيف لا يقع بعد تقادم العهد وتغير الاحوال واشتداد غربة الدين .
ومنها مشاهة هذه الامة لاهل الكتاب فيما وقع منهم كما في الحديث الآخر
« لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه »
قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال « فمن » فاذا تبين ان التعلق بالاشجار
ونحوها عبادة لها من دون الله ووضع للعبادة في غير موضعها فلا فرق بين ان
يصرف لشجرة أو قبر أو غير ذلك .

ومعلوم ان الشجر له حياة بحسبه مطيع لربه يسمح بحمده ، وما عبت اللات
والعزى ومناة إلا بمثل ذلك اتعلق والاعتقاد ، قال مجاهد : اللات ، كان رجلا
صالحا يلت السويق للحاج فمات فمكفوا على قبره ، وكذا قال ابو الجوزاء عن
ابن عباس . وصح عن النبي ﷺ انه قال « بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا
كما بدا ، فطوبى للغرباء » فقد والله اشتدت غربة الاسلام حتى عاد الشرك بالله
دينا وقرية يتقرب به الى الله وهو أعظم ذنب عصي الله به كما قال تعالى (لا تشرك
بالله ان الشرك لظلم عظيم) وقال (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة
ومأواه النار وما للظالمين من انصار) وقال (ومن يشرك بالله فكأنما خر من
السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق)

(الوجه الثامن) ان هذا الذي أجازة هذا المحيب هو بعينه قول الفلاسفة
المشركين فانهم قالوا : ان الميت المعظم الذي لروحه قرب ومزية عند الله لا تزال
تأتيه الالطاف من الله ، وتفيض على روحه الخيرات ، فاذا علق الزائر روحه به

وأدناها منه فض من روح المزور على روح الزائر من تلك الإلطاف بواسطة كما
ينعكس الشعاع من المرآة الصافية والماء ونحوه على الجسم المقابل له قالوا
قيام الزيارة أن يتوجه الزائر بوجهه وقلبه وروحه إلى الميت ويعكف بهمته عليه
ويوجه قصده كله وأقباله عليه ، بحيث لا يبقى فيه التفات إلى غيره ، فكلما كان
جمع الهمة والقلب عليه أعظم كان أقرب إلى انتفاعه به وشفاعته له

قال ابن القيم رحمه الله : وقد ذكر هذه الزيارة على هذا الوجه ابن سينا
والفارابي وغيرهما ، وصرح بها عباد الكواكب في عبادتها وقالوا : إذا تعلق
النفس الناطقة بالارواح العلوية فاض عليها منها النور ، وبهذا السر عبت
الكواكب ، واتخذت لها الهياكل ، وصنفت لها الدعوات ، واتخذت الاصنام
المجسدة لها ، وهذا بعينه هو الذي أوجب لعباد القبور اتخاذها أعياداً ، وتعليق
الستور عليها ، واتخاذ السرج وبناء المساجد عليها ، وهو الذي قصد رسول الله
ﷺ إبطاله ومحوه بالكليّة وسد الذرائع المفضية إليه ، فوقف المشركون في طريقه
وناقضوه في قصده ، وكان النبي ﷺ في شق وهؤلاء في شق ، هذا الذي ذكره
هؤلاء المشركون في زيارة القبور والشفاعة التي ظنوا أن آلهتهم تنفعهم بها وتشفع
لهم عند الله ، قالوا فإن العبد إذا تعلق روحه بروح الوحيه المقرب عند الله وتوجه
بهمته إليه ، وعكف بقلبه عليه ، صار بينه وبينه اتصال يفيض به عليه نصيب مما
يحصل له من الله ، وشبهوا ذلك بمن يخدم ذا جاه وحظوة يقرب من السلطان
فهو شديد التعلق به فيما يحصل لذلك من السلطان من الانعام والافضال ، ينال
ذلك المتعلق منه بحسب تعلقه وهذا شر عبادة الاصنام ، وهو الذي بعث الله
رسله وأنزل كتبه بإبطاله وتكفير أصحابه ، ولعنهم وإباحة دمانهم وأموالهم وسبي
نساتهم وذرائعهم ، وأوجب لهم النار . وقرآن من أوله إلى آخره مملوء من الرد
على أهله وإبطال مذهبهم . انتهى

(قلت) وتأمل ماذا كره الله في سورة (يس) من قوله (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قل يا قوم اتبعوا المرسلين * اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون * ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون * أتأخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئاً ولا يقدون * إني إذاً في ضلال مبين) الآية ففي هذه الآية العظيمة وما في معناها ما يمكنني ويشفي في إبطال هذا المذهب الخبيث من تعلق أهل الاشراك بغير الله ، واقترائهم على الآله ، واضلالهم العباد عن توحيد الله ، واتوجه اليه وحده بالاخلاص الذي هو دينه الذي لا يرضى لعباده ديناً سواه ، كما قال تعالى (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين ألا لله الدين الخالص * والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ان الله يحكم فيما هم فيه يختلفون * إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار) ففرق تعالى في هذه الآية بين دينه الذي أرسل به رسوله أنزل به كتبه ، ودين هؤلاء المشركين الذي أنكره عليهم ، وأكذبهم فيما زعموه ، وأكفرهم بما اتحلوه واعتمدوه من الشرك العظيم الذي لا يحبه ولا يرضاه ، وينكره ويأباه كما قال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله * ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب * إذ تبوأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب) والأسباب هي الوصلة والمودة التي كانت بين العابد والمعبود . أخبر سبحانه أنها تنقطع يوم القيامة (وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فميتبرأ منهم كما تبتروا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وهم بخارجين من النار) فهذا ما يؤل إليه أمر هؤلاء المشركين يوم القيامة . ونظائر هذه الآية كثيرة في القرآن كقوله (وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ومأواكم النار وما لكم من ناصرين)

فتأمل ما يؤل إليه أهل هذه التوجهات والتعلقات بغير الله من كفرهم
بمن تعاقوا عليهم ، ولعنهم لهم وجزائهم عند الله بعذاب النار وغير ذلك مما أخبر
به تعالى عن أحوالهم ، فلا شافع يشفع لهم ولا ناصر ينصرهم فعادت تلك التعلقات
الشركية والهمم الشيطانية ، والاماني الكاذبة عليهم حسرة ووبالا .
هذاماتيسر تعليقه بحمد الله في هدم أصول هؤلاء المشركين ، وفيه الكفاية
لمن نور الله قلبه ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور وصلى الله على سيد المرسلين
وامام المتقين محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

نصائح وفتاوى فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن محمد

رحمه الله وأحسن إليه

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الرحمن بن حسن إلى الاخوان صالح بن محمد الشنري وزيد بن محمد
آل سليمان واخوانهم سلمهم الله تعالى

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد : فموجب الخطأ ابلاغكم السلام ،
والسؤال عن الحال ، جعلنا الله وإياكم ممن عرف الحق فاتبعه ، وقابل النعم بشكرها
وقد خطيت لك في أول رمضان خطأ أراد الله ان الطروش (١) فاتونا ولا راح ،
مضمونه بعض الاشارات النافعة ، منها اني أوصيك بتدبر أنوار الكتاب التي
هي أظهر من الشمس في نحر الظهيرة ، ليس دونها قتر ولا سحب ، لاسيما دوال
التوحيد والتفكر في مدلولاته ولوازمه وملزوماته ومكالاته ومقتضياته ثم التفتن

(١) الطروش هم المسافرون

فما يناقضه وينافيه من نواقضه ومبطلاته ، فخطور فيه شديد ولا يسلم منه إلا من وفق للصبر والتأيد ، والفعل الحميد ، والقول السديد ، وخالط قلبه آيات الوعد والوعيد ، وعرف الله باسمائه وصفاته التي تجلو الريب والشك عن قلب كل مريد واعتصم به عن كل شيطان مريد (ان بطش ربك لشديد * انه هو يبدى ويعيد * وهو الغفور الودود * ذو العرش المجيد * فعال لما يريد) الآيات فقد عمت البلوى بالجهل المركب والبسيط (والله بما يعملون محيط)

فأله الله في التحفظ على القلب بكثرة الاستغفار من الذنب ، جعلنا الله وإياكم ممن نجا من ظلمة الجهالة ، وأخلص لله أقواله وأعماله ، وبلغ حمد والعيال والاخوان السلام ومن لدينا العيال والاخوان بخير وينهون السلام وأنت سالم والسلام

نصيحة في الزجر عن طلب العلم لغير الله

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الرحمن بن حسن إلى الاخ فايز بن علي واخوانه من طلبة العلم
سلمهم الله تعالى

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد : وصل خطك وصلاك الله بما يرضيه والذي أوصيكم به جميعاً ونفسي بتقوى الله تعالى ، والاخلاص لوجهه الكريم في طلب العلم وغيره لتفوز بالاجر العظيم ، وليحذر كل عاقل أن يطلب العلم للمباراة والمباهات فان في ذلك خطراً عظيماً ، ومثل ذلك طلب العلم لغرض الدنيا أو لجأها ، واترؤس بين أهائها ، وطلب المحمدة وذلك هو الخسران المبين ، ولو لم يكن في الزجر عن ذلك الا قول الله تعالى (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون * أولئك الذين ليس لهم في الآخرة

إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) وفي حديث أنس مرفوعاً « من تعلم العلم ليباهي به العلماء أو ليماري به السفهاء ، أو ليصرف به وجوه الناس إليه فهو في النار » وهذا القول كاف في النصيحة وقتنا الله وإياكم لحسن قبول وقد بلغني انكم اختلفتم في مسائل أدى إلى النزاع والجدال، وليس هذا شأن طلاب الآخرة ، فاتقوا الله وتأدبوا بأداب العلم ، واطلبوا اشواب من الله في تعلمه وتعليمه ، وأتبعوا العلم العمل فإنه ثمرته في حصوله، كما في الاثر «من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم» وكونوا متعاونين على البر والتقوى

ومن علامة اخلاص طالب العلم أن يكون صموتا عما لا يعنيه ، متذللًا لربه متواضعًا لعباده، متورعا متأدبا لا يبالى في ظهر الحق على لسانه أو لسان غيره ، ولا ينتصر لنفسه ولا يفتخر ولا يحقد ولا يحسد ، ولا يميل به الهوى، ولا يركن إلى زينة الدنيا

*
* *

وأما المسئلة الاولى وهي :هل يصح من الحائض إذا قرمت مكة أن تسعى قبل الطواف أم لا

(الجواب) لا يصح السعي إلا بعد طواف صحيح لنسك من الانسك ، أما المفرد والقارن فسعيهما بعد طواف القدوم مجزي، لحجتهما كما يجزي للقارن اعمرته وأما المتمتع فيسعى بعد طواف العمرة لها ولا يجزئته للحج إلا ان يسعى بعد طواف الافاضة

قل بعضهم : يطوف للقدوم ويسعى بعده ، والمختار انه لا يصوف للقدوم وليس إلا طواف الزيارة ، وعليه أن يسعى بعده للحج فإن سعى قبله لم يجزه

قلوا ويجب أن يكون السعي بعد طواف واجب او مستحب ، هذا كلام الحنابلة لا اختلاف بينهم في ذلك ، وقال الشافعية لو سعى ثم تيقن أنه ترك شيئاً من الطواف لم يصح سعيه فيلزمه ان يأتي ببيتة الطواف ، فاذا أتى ببيتته أعاد

السعي ، نص عليه الشافعي ، وبنحوه قال مالك وأبو حنيفة . ومما يستدل لذلك حديث عائشة وفيه « فلما كنا في بعض الطريق حضت فدخل علي رسول الله ﷺ وأنا ابكي فقال ما يبكيك ؟ قلت وددت أني لم أكن خرجت العام ، فقال : ارفض عمرتك وانقضي رأسك وامتشطي ، وأهلي بالحج » ومعنى ارفض العمرة رفض أعمالها ، فلو صح سعي قبل الطواف لما منع منه حيضها كما لا يمنع من سائر المناسك . والله أعلم

وما السؤال الثاني عن قوله ﷺ في شأن الرجل الذي صلى بالتيمم فلم يعد لما وجد الماء « أصبت السنة وأجزأتك صلاتك » وقال للذي أعاد « لك اجر كمرتين » فلا شك ان الذي لم يعد اصاب الحكم الشرعي بدليل قوله ﷺ « أصبت السنة وأجزأتك صلاتك » واما الذي اعاد فهو مجتهد فيما فعل فأثيب على الصلاة الاولى والثانية لكونه صلى الثانية مجتهداً فأثيب على اجتهاده للصلاة الثانية كما اثيب على الصلاة الاولى

ومن المعلوم ان الفريضة افضل من التطوع من جنسه او غير جنسه الا في اربعة اشياء ذكرها الجلال السيوطي ضمنها يثبتين والاخير لمحمد الخلوئي الحنبلي

الغرض افضل من تطوع عابد حتى ولو قد جاء منه باكثر
إلا التوضؤ قبل وقت وإب تداء بالسلام وإبرا المعسر
وكذا ختان المرء قبل بلوغه تتم به نظم الامام المكثر

وأما السؤال الثاني فيمن نوى جمع التأخير حيث يجوز الجمع فدخل وقت الثانية قبل أن يصلوا إلى الماء فلا فضل في حقهم أن يؤخروا الصلاة إلى أن يصلوا إلى الماء مالم يدخل وقت الضرورة فان صلوا قبل وصولهم إليه أجزأتهم الصلاة بالتيمم ولا إعادة عليهم . وقول السائل فهل يكون وقت الاختيار الثانية وقتا الاولى أم لا ؟ (الجواب) نعم يكون وقتا لها في حق من يجوز له الجمع اذا نواه . فتنبه والله أعلم وصلى الله على محمد وسلم

(فتاوى فقهية في خروج النساء ولبس الحرير وغير ذلك)

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الرحمن بن حسن الى الاخ علي بن فواز سلمه الله تعالى سلام عليكم
ورحمة الله وبركاته

وبعد فهذا جواب السائل : أما خروج النساء من البيوت بالزينة فيحرم مخافة
الفتنة بالنساء فانهن فتنة لكل مفتون

وأما الدف فيحصل الاعلام بضربه في الزفاف وقبل الدخول في وقت من
النهار ، وأما ضربه في الليل ففيه من المفسد ما لا يخفى ، ومن أقرهم على ذلك ممن
له قدرة على منعهم فقد ظلم نفسه ،

وأما الاحتكار فاذا شراه أحد من الاسواق ينتظر الغلاء فهو احتكار
وأما خلط البر بالشعير للبيع فلا يجوز لما ورد في ذلك من الآثار التي رواها
ابن ابي شيبة في مسنده ،

وأما تلقي الركبان للشراء منهم ما جلبوه فيلزم منعهم من ذلك ، وأما
الزعفر فقد ورد ما يدل على جوازه فلا ينكر والحالة هذه

وأما مذهب الخوارج فانهم يكفرون أهل الايمان بارتكاب الذنوب ما كان
منها دون الكفر والشرك ، وانهم قد خرجوا في خلافة علي رضي الله عنه ،
وكفروا الصحابة بما جرى بينهم من القتال ، واستدلوا على ذلك بآيات وأحاديث
لكنهم أخطأوا في الاستدلال. فما دون الشرك والكفر من المعاصي فلا يكفر
فاعله ، لكنه ينهى عنه اذا أصر على كبيرة ولم يتب منها فيجب نهيه والقيام عليه
وكل منكر يجب انكاره ، من ترك واجب أو ارتكب محرم لكن لا يكفر إلا
من فعل مكفراً دل الكتاب والسنة على انه كفر ، وكذا ما اتفق العلماء على ان

من فله أو اعتقده كفر كما اذا جحد وجوب ما هو معروف من الدين بالضرورة أو استحله ما هو معروف بالضرورة انه محرم . فهذا مما أجمع العلماء على انه كفر اذا جحد الوجوب إلا اذا ترك الصلاة نهاونا وكسلا ، فالمشهور في مذهب أحمد انه يستتاب فان تاب وإلا قتل كافراً ، وأما اثلاثة فلا يكفرونه بالترك ، بل يعدونه من الكبائر ، وكذلك اذا فعل كبيرة كما تقدم ولا يكفر عند أهل السنة والجماعة الا اذا استحلمها

وأما السفر إلى بلاد المشركين للتجارة فقد عمت به البلوى وهو نقص في دين من فعله لكونه عرض نفسه للفتنة بمخالطة المشركين فيذبغي هجره وكرهته فهذا هو الذي يفعله المسلمون معه من غير تعنيف ولا سب ولا ضرب ، ويكفي في حقه اظهار لانكار عليه وانكار فعله ولو لم يكن حاضراً ، والمعصية اذا وجدت أنكرت على من فعلها أو رضيا اذا اطمع عليها

وأما المعاصي التي فيها الحدود فلا يقيمها إلا الامام او نائبه ، وأما الحدود اذا بلغت السلطان فالمراد بالسلطان الائمة والقضاة ممن يستنبههم الامام ويوليهم في بلدهم وذكرت في جوابي الربع (١) إلى في خاطري مما يوجب اجتماع الكلمة والسلام

قوله ﷺ « الدين النصيحة »

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملك العلام ، ذي الجلال والاكرام ، أحمدته ان من علينا بالاسلام وأشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له ذو الطول والانعام ، وأشهد ان محمداً عبده ورسوله الذي أكمل به الشرائع والاحكام ، وجعله مبدئاً لحدود الحلال والحرام ، اللهم صل على محمد وأصحابه هداة الانام وسلم تسليماً

(١) هم جماعة الرجل وأصحابه

أما بعد . فإنه قد صح عن النبي ﷺ من حديث تميم الداري رضي الله عنه أنه قال « الدين النصيحة ثلاثا » قلنا لمن يا رسول الله ؟ قل « لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم » رواه مسلم ، فما أعظم شأن هذا الحديث وأنفعه لمن عقله ورزق العمل به . ولقد أحسن من قال :

لقد نصحت لأقوام وقلت لهم أنا النذير فلا يغركم أحد
وقد بعث الله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات
الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد ، وأوجب على الخلق طاعته واتباعه
كما قال سبحانه (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فانما عليه ما حمل)
الآية ، وقال تعالى (فليحذر الذين يخافون عن أمره) الآية ، وقل فالذين
آمنوا به وعزروه ونصروه (الآية

قال شيخ الاسلام : الايمان به تصديقه وطاعته واتباعه انتهى . والآيات في
هذا المعنى كثيرة جداً

فإذا عقلت هذا الاصل فاعلم أن الاحاديث قد تظاهرت عن رسول الله
ﷺ بالنهى عن الحرير وتحريمه على ذكور هذه الامة . فقد أخرج البخاري ومسلم
والنسائي عن حذيفة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا تلبسوا
الحرير ولا الديباج ، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة ، ولا تأكلوا في صحافهما
فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة »

وأخرج الامام احمد والترمذي والنسائي عنه عن ابي موسى رضي الله عنه
ان النبي ﷺ قال « أحل الذهب والحرير لأنثى أمتي وحرم على ذكورها »
وأخرج ابو داود والنسائي وابن ماجه عن علي رضي الله عنه قال : رأيت رسول
الله ﷺ أخذ حريراً فجعله في يمينه ، وذهباً فجعله في شماله ثم قال « ان هذين حرام
على ذكور أمتي » وأحاديث هذا الباب يكثر استقصاؤها فتنبهت ببعضها على نوعها

وقد حكى الاجماع على تحريم الحرير على الذكور غير واحد من الائمة إلا ما استثناه الشارع، كما في حديث عمر، وهو عند البخاري ومسلم وأهل السنن عن أبي عثمان النهدي «أتانا كتاب عمرو بن مع عقبة بن فرق قد باذربيجان ان رسول الله ﷺ نهى عن الحرير الا هكذا. وأشار بأصبعيه اللتين تليان الابهام - قل فيما علمنا انه يعنى الاعلام» ولاي داود في الحديث «نهى عن الحرير الا هكذا وهكذا أصبعين او ثلاث او اربع» وبهذا الحديث احتج أهل العلم على انه لا يباح من الحرير في الثوب ونحوه الا مقدار اربع أصابع

قل في الفروع : ويباح منه العلم اذا كان اربع أصابع مضمومة فأقل ونص عليه انتهى ، وقال في المبدع : ويباح العلم الحرير وهو طراز الثوب اذا كان اربع أصابع مضمومة فما دون، نص عليه ، وجزم به في الغني والشرح ، وقال في الانصاف ويباح علم الحرير في الثوب اذا كان اربع اصابع فما دون

وقال في جمع الجوامع : ولبنة الجيب وسجف الفراء كالعلم في الاباحة وانقدر. وفي حاشية المنتهى على قول المصنف : لا فوق أربع أصابع . يعني ان ما ذكر من العلم والرقع والسجف ولبنة الجيب انها تباح إذا كان اربع اصابع معتدلة مضمومة فما دون لا ان كان أكثر منها انتهى

وهذا الذي ذكره هؤلاء كغيرهم من الفقهاء انما هو فيما إذا كان الحرير مفرداً متميزاً سواء كان منسوجاً في ثوب كالعلم او مجموعاً فيه بعد النسج كاللينة الثوب والسجف ، وسواء كان مفرداً او مجموعاً ، وكذا إذا كان مشعباً بغيره على الصحيح المعتمد عند جمع من كبار الائمة المحققين ، كما صرح به شارح المتقى ونقله عن تقي الدين بن دقيق العيد.

قال الشارح : وقد عرفت مما سلف من الاحاديث الواردة في تحريم الحرير بدون تقييد والظاهر منها تحريم ماهية الحرير سواء وجدت منفردة أو مختلطة

بغيرها ، ولا يخرج عن التحريم إلا ما استثناء الشارع من مقدار الاربع الاصابع من الحرير الخالص سواء وجد ذلك القدر مجتمعا كما في القطعة الخالصة او متفرقا كما في الثوب المشوب

وقد نقل الحافظ في الفتح عن العلامة ابن دقيق العيد انه انما يجوز من المخلوط ما كان مجموع الحرير فيه اربع أصابع لو كانت منفردة بالنسبة الى جميع الثوب اه (قلت) وقد قرر هذا الحافظ في فتح الباري بأدلته فقال: واستدل بالنهي عن لبس القسي على منع لبس ماخالطه الحرير من اثياب لتفسير القسي بانه ماخالط غير الحرير فيه الحرير ، ويؤيده عطف الحرير على القسي في حديث البراء . ووقع كذلك في حديث علي عند احمد وأبي داود والنسائي بسند صحيح على شرط الشيخين من حديث عبيدة بن عمرو عن علي (رض) قال «نهى رسول الله ﷺ عن القسي والحرير» فعلى هذا يحرم الذي يخالطه الحرير اه

فهذا حافظ الدنيا في عصره صرح بتحريم لبس ماخالطه الحرير وهذا مقتضى الدليل . وقال البخاري في صحيحه : قال عاصم عن ابي بردة قلنا لعلي ما القسية؟ قال «ثياب أنتما من الشام او مصر مضاعة فيها حرير ، وفيها امثال الاترج» وقال جرير عن يزيد «ثياب مضاعة يجاء بها من مصر فيها الحرير» ثم ساق بسنده حديث البراء بن عازب قال «نهانا النبي ﷺ عن المياثر الحر والقسي» وفي رواية له «ونهاننا عن لبس الحرير والديباج والقسي والاستبرق ومياثر الحر» اه

وقال النسائي: القسي ثياب من كتان مخلوط بحرير يؤتى بها من مصر نسبت الى قرية على ساحل البحر قريب من تنيس يقال لها القس بفتح القاف اه وقال أبو عبيد هي ثياب يؤتى بها من مصر فيها حرير . قل في جمع الجوامع : قال شيخ الاسلام : وقد اتفقوا كلهم على انها ثياب فيها حرير وليست بحرير مصمت اه وأخرج البخاري وأبو داود والنسائي عن عمر رضي الله عنه انه رأى حلة

سير اتباع فقال يا رسول الله، لو ابتعتها تلبسها للوفد اذا أتوك والجمعة ؟ فقال :
« انما يلبس هذا من لا خلاق له في الآخرة » قال ابو داود والنسائي : السيراء
المضلع بالقز ، وقال في النهاية : السيراء بكسر السين وفتح الياء والمذنوع من البرود
يخالطه حرير كالسيور . وأخرجه الأئمة من حديث علي رضي الله عنه

قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى : حديث السيراء والقسي يستدل به على تحريم
ماظهر فيه الحرير لان ما فيه خيوط أو سيور لا بد أن تنسج مع غيرها من الكتان
والقطن . فالنبي ﷺ حرما لظهور الحرير فيها ولم يسأل هل وزن ذلك الموضع
من الكتان والقطن أكثر أم لا ، مع ان عادته انه أقل . انتهى .

وقال : والمنصوص عن احمد وقدماء الاصحاب إباحة الخرز دون اللحم وغيره اه
من جمع الجوامع .

ومما يدل لما قرره هؤلاء الأئمة الحفاظ ما أخرجه البزار والطبراني عن معاذ
ابن جبل رضي الله عنه قال : رأى رسول الله ﷺ جبة مجيبة بحرير فقال « طوق
من نار يوم القيامة » قال الحافظ المنذري : رواه ثقة ، مجيبة بضم الميم
وفتح الجيم بعدها ياء مشاء تحت مفتوحة ثم باء موحدة أي لها جيب من حرير
وهو الطوق انتهى .

وهذا يبين لك ان هذه المحارم المسماة بأخضر قز ونحوها لا يجوز استعمالها
لأن كور مطلقا لما فيها من الحرير الخالص الزائد على أربع أصابع بأضعاف كثيرة
من باب الاضافة البيانية وتعريفها بأخضر قز من الاضافة البيانية

والقز من الحرير فلا يجوز استعمال ماظهر فيه الحرير اذا زاد على القدر المستثني
في حديث عمر وتقدم تقريره . اللهم اجعلنا ممن يقبل هداك ويتبع رضاك
ولقد أحسن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه حيث يقول : لا عذر
لأحد بعد السنة في ضلالة ركبها بحسب انه على هدى .

وقال أبو الوفاء بن عقيل في القنون : من أعظم منافع الاسلام وآكد قواعد الاديان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتناصح . فهذا أشق ما تحمله المكلف لانه مقام الرسل ، حيث يتقل صاحبه على الطباع ، وتنفر منه نفوس اهل اللذات ، ويمتته اهل الخساعة ، وهو احياء السنن وإماتة البدع - الى أن قل : لو سكت المحقون ونطق المبطلون لتعود السوى ماشاهدوا وأنكروا ما لم يشاهدوا ، فتي رام المتدين إحياء سنة أنكرها الناس فظنوها بدعة . وقد رأينا ذلك في جمع الجوامع وكما حرم من الثياب وغيرها حرم بيعه وخطاطته وأجرته نص عليه كبيع عصير لمن يتخذ خمرًا .

قل : ويحرم بيع الحرير والنسوج بالذهب والفضة للرجل قطع به جماعة من اصحابنا . والمراد به اذا كان يلبسه وكذا خطاطته وأخذ أجرتها ، وذكر ابن أبي المجد ما حرم استعماله من حرير ومصور وغيرها حرم بيعه وشراؤه وعمله وأخذ أجرته لاعانتته على الاثم . انتهى .

وما أحسن ما قل شيخ الاسلام ابن تيمية رضي الله عنه : ثم لو فرض أننا علمنا ان الناس لا يتركون المنكر ولا يعرفون بأنه منكر لم يكن ذلك مانعاً من ابلاغ الرسالة وبيان العلم ، بل ذلك لا يستقط وجوب الابلاغ ولا وجوب الامر والنهي في احدي الروايتين عن احمد وقول كثير من اهل العلم اه . وبه تمت الرسالة والله المستعان ، وصلى الله على أشرف المرسلين محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(تقريظ للرسالة الماصية)

في حكم الحرير ، لبعض الافاضل

نظرت في هذه الرسالة لوحيد دهره وفريد عصره شيخنا الشيخ عبد الرحمن ابن حسن فرأيت صحة ماضئها من تحريم المحرمة المسماة بأخضر قز وفقنا الله وياه للصواب ، قل ذلك وكتبه عبد الله بن عبد الرحمن ابا بطين . ونقل ذلك

حمد بن عبد الله المذكور من نقل عبد الله المسطور . وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم

ما ذكره شيخنا الشيخ عبد الرحمن بن حسن في هذه الرسالة من حظر المحرمة المسماة بأخضر قز هو الصواب جزاه الله عن المسلمين خيراً ، أملاء إبراهيم ابن سيف وكتبه ابنه ونقله حمد بن عبد الله من كلام شيخه من نقل ابنه رفع الله لنا ولهم ولما نحن ولائنا وعامة اخواننا المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الدرجات العلى ، وأسكننا أعلى الفردوس مع نبيه المصطفى ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ المكتب التي يؤخذ منها التوحيد والنهاي عن الحرير ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الرحمن بن حسن الى من يراه من الاخوان سلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) طلبنا أخوكم سعد بن كمران الفثدة في أصل الدين فأجابه ، فأحسن ما نجد في بيان أصل الدين في الآيات المحكمات . فتدبر ما قص الله تعالى عن رسله وما دعوا اليه من بعثوا اليهم يتبين لك أصل الدين وما ينفيه من الشرك وذكر شيخ الاسلام رحمه الله تعالى في كتاب التوحيد على اختصاره كثيراً من الأدلة المعروفة بأصل الدين ، كذلك كتب كشف الشبهات وأربع القواعد ومعنى شهادة أن لا إله إلا الله . فأوصيك بالاستغفار والمطالعة في كتبه وتأمل ما فيها من الأدلة .

وأما المحرمة التي أخضرها حرير فلا شك في أنها حرام ، فان رسول الله ﷺ نهى عن لبس الحرير فقال « إنما يلبس هذا من لا خلاق له في الآخرة » وقال « من لبسه في الدنيا لم ينسبه في الآخرة » وفي الصحيح انه أخذ حريراً

فجعله في يمينه وذهباً فجعله في يساره ثم قال « ان هذين حرام على ذكور أمتي »
وفي حديث عمر نهى عن الحرير الا موضع أصبعين أو ثلاثة أو أربعة ،
وبعد الاستثناء يقتصر على القدر المستثنى ، فما زاد على الأربع الاصابع حرام ،
سواء كان مفزقاً أو مجتمعاً كما عليه جماهير العلماء وهو ظاهر الأحاديث وفيها
ما يدل على المدح منه وإن لم يكن مجموعاً . فاجتنب هذه المحرمة فانها محرمة ، فإن كان
عندك شيء منها فلا تبعها على مسلم ، بهما في غير بلاد المسلمين
هذا وبلغ سلامنا الاخوان ، وكاتبه وخواص الاخوان يسلمون عليكم وأنتم
سالمين وسلام ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(فتاوى ومسائل فقهية - في الطلاق الثلاث وغيره)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد . هذه مسائل سأل عنها ابراهيم بن
عبيد الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله ، فمنها إذا قال إنسان لزوجه الله يرزقك
بالثلاث ناوياً الطلاق لكنه لم يرد الثلاث

(الجواب) تقع الثلاث ولا يقبل قوله انه لم يرد هامة وجود اللفظ منه والله أعلم
وسئل عن سكوت المرأة عن بيع نصيبها من العقار هل يوجب صحة البيع أم لا الخ
(الجواب) لا يجب به بيعاً لعدم وجود الرضا منها صريحاً ، وهي على ملكها
والشترى يرجع على من باعه سواء أدرك منه الثمن أم لا ، والمرأة لا رجوع عليها
والحالة هذه ، وما استغل من عقارها رده اليها أو مثله ان تلف

وأما طلبها بالشفعة في نصيب الباقي من الشركاء فان كان قد تقدم منها طلب
بالشفعة وقت البيع فلم تجب لوجود معارض فلها الشفعة . أما إذا لم تطلب أو طلبت

ولا معارض فأعرضت رغبة عنه سقطت شفعتها ، فحقق الواقعة وانظر فيها ، فان ظهر لك أحد الامرين وإلا فالنوقف أسلم والله أعلم

﴿ وهذه مسائل ﴾ (الأولى) إذا قال الرجل لامرأته: الله يرزقك وطلعت من العدة فلا له طريق عليها الا بملاك ، وأيضاً إن كان الرجل القائل لحرمته الله يرزقك ثلاث مرات ، ونيته أنها ثلاث طلاقات فلا له طريق إلا عقب ما تأخذ رجل آخر ويطلقها

(الثانية) إذا طلق امرأة زوجها الطلاق ، وتبريه من النفقة وطلقها ثم طلبت النفقة ، ان كانت الحرمة مبغضة للرجل يوم يطلقها البغضاء المعروفة ، فلا لها عليه طريق في النفقة ، وإن كان يوم تطلبه الطلاق وهو مضيق عليها ومشين عليها الطبع فنفتقتها تلزمه إلى أن تعتد ، وإن كانت حاملاً فإلى أن تضع

(الثالثة) إذا عصت المرأة وأخرجت من بيت الرجل فإلما عصية عليها ولا نفقة عليه

(الرابعة) إذا طلق الرجل امرأته المطلقة الثالثة ففما يظهر مالها عليه نفقة

(الخامسة) إذا كن لرجل امرأتين ، فإلتي يأتيها الحيض فهو يقسم لها في وقت الحيض والنفاس ، في عرفنا أنها لا تشرده عليه^(١) انه يقاضيهما (السادسة) إذا طلق الرجل امرأته عدد خوص النخل فلا له طريق عليها (السابعة) إذا سلم الامام فقال بعض الجماعة نقص ركعة وبعضهم يقول تامة فهو يعمل بقول الذين عليهم العمل ، وأكثر ظنه إلا إن كان يالحق شك فيعمل بقول الآخرين (الثامنة) إذا قرأ الرجل في الركعتين الاخيرتين غير الفاتحة ساهياً فلا تلزمنا عليه شيء .

(التاسعة) إذا طلق الرجل امرأته مرة أو مرتين ، ولو قال أنا طايبة نفسي

فهو يراجعها ، فان كانت طالعة من العدة فهو يراجعها ان اشتبهت (العاشرة) اذا طلق الرجل امرأته عقب ما تملك قبل أن يدخل بها فلها نصف العجز مثل أبناء جنسها .
 (الحادية عشرة) اذا قال الرجل لامرأته أنت عليّ مثل أمي فعليه كفارة الظهار (الثانية عشر) اذا قال الرجل عليّ الحرام لأفعل شيء ففعل ما هو حالف عنه فعليه كفارة (الثالثة عشر) اذا رضعت بنت من امرأة وهي أم أربع أو خمس فهي متحرم (الرابعة عشر) اذا قال الرجل لامرأته الله يرزقك ثم طلقها طلقين تتالا فهو ينشد عن نيته هو ناوي ثلاث أو هويبي^(١) يسمعها وقصده طلقة واحدة فن كان قصده واحدة فهي تحل له ، والله أعلم . وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

**

وهذه مسائل (الاولى) اذا أصاب ثوب المسافر نجاسة فلم يجد الماء فنه يصلي فيه ، وإن وجد الماء غسله ويزيلها بما استطاع . فان كان عليه ثوب آخر سلى في الطاهر وترك النجس (اثانية) الذي يصلي الرواتب في البر لا ينكر عليه والا فضل تركه الرواتب إلا الوتر أو سنة الفجر (الثالثة) اذا تنخم الرجل في صلاته فلا يبطلها ان شاء الله تعالى .

أفتى بهذا عبد الله بن الشيخ والله أعلم . وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

(١) أي يبتغي ويريد

معنى التقوى ونفسه قول الله تعالى

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ — إِلَى قَوْلِهِ — وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من عبد الرحمن بن حسن إلى من يصل إليه هذا الكتاب من الإخوان ،
وقفنا الله وإياهم لأقامة شرائع الدين ، واستعملنا فيما استعمل فيه أهل الإيمان واليقين ،
وجعلنا من الشاكرين لنعمة الاسلام ، المنشين بها عليه ، ونسأله أن يتقبلها منا ،
ويتمها عنا بالرغبة فيما يوجب الفوز لديه

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته (أما بعد) فأوصيكم وإياي بتقوى الله تعالى
في الغيب والشهادة ، قال الله تعالى (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم
وإياكم أن اتقوا الله) الآية . قال طلق بن حبيب رحمه الله : التقوى أن تعمل
بطاعة الله على نور من الله ، ترجو ثواب الله ، وأن تترك معصية الله على نور من
الله تخاف عقاب الله

ولا وصية اعظم ولا انفع مما وصى الله به عباده المؤمنين ، قال الله تعالى
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا
بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلْفَ بَيْنَ
قُلُوبِكُمْ فَاصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّكُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا
وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)

وينبغي أن نشير إلى بعض ما ورد عن السلف رحمهم الله تعالى في معنى هذه الوصية العظيمة المنتظمة لاصول الدين وما يقوم عليه من الاعمال

فمن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه موقوفاً — وروي مرفوعاً — والموقوف اشهر (حق تقانه) أن يطاع فلا يعصى ، ويذكر فلا ينسى ، ويشكر فلا يكفر ، وأصل الاسلام وأساسه أن بنقاد العبد لله تعالى بالقلب والاركان ، مدعنا له بالتوحيد ، مفرداً له بالالهية والربوبية دون كل ماسواه ، مقدماً مراد ربه على كل ما تحبه نفسه وتهواه . وهذا معنى قول النبي ﷺ « الاسلام أن تشهد أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت اليه سبيلاً » الحديث

وحبل الله دينه الذي أمركم به وعهده اليكم في كتابه من الالفة والاجتماع على كلمة الحق والتسليم لامر الله

قال ابو جعفر ابن جرير رحمه الله تعالى: وهو جامع لكل ما ورد عن السلف في معناه كإروى عن ابن مسعود قال: حبل الله الجماعة، وعن أبي العالية اعتصموا بالاخلاص لله وحده ، وعن ابن زيد قال الحبل الاسلام ، وقيل هو القرآن لما روى ابن مردويه عن ابن مسعود رضي الله عنه قل قال رسول الله ﷺ « ان هذا القرآن هو حبل الله المتين وهو النور المبين ، وهو الشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه »

ثم قال تعالى (ولا تفرقوا) عن عبد الله بن مسعود انه قال « يا ايها الناس عليكم بالطاعة والجماعة فانها حبل الله الذي امر به . وان ما تكرهون في الطاعة والجماعة هو خير مما تحبون في الفرقة »

وأخرج محمد بن نصر المروزي وغيره من حديث عبد الله بن يحيى أبي عامر ان معاوية رضي الله عنه قام حين صلى الظهر بمكة فقال « ان رسول الله ﷺ

قال (ان اهل الكتاب افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين فرقة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة - يعني الالهواء - كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة » والله يا معشر العرب إن لم تقوموا بما جاء به نبيكم ﷺ لغيركم من الناس أخرى أن لا يقوم به » وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال « اتبعوا ولا تبدعوا فقد كنتم فكل بدعة ضلالة »

ثم قال تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم) اي اذكروا ما أنعم به عليكم من الامة والاجتماع على الاسلام حين كنتم أعداء على شرككم يقتل بعضكم بعضاً ، عصبية في غير طاعة الله ، ولا طاعة رسوله فألف الله بين قلوبكم توصلون بألفة الاسلام واجتماع كلمتكم عليه

وذكر عن قتادة: كنتم تغابحون يأكل شديدكم ضعيفكم حتى جاء الله بالاسلام فألف به بينكم ، فوالله الذي لا إله إلا هو ان اللفة رحمة ، وان الفرقة لعذاب وقوله (وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) يقول تعالى : وكنتم على طرف جهنم بكفركم الذي كنتم عليه فأنقذكم الله بالإيمان الذي هداكم به ، وذكر عن قتادة في الآية : كان هذا الحي من العرب أذل الناس ذلاً ، وأشقاه عيشاً ، وأبينه ضلالة ، وأعراهم جلوداً ، وأجوعه بطونا مكفوفين على رأس حجر بين الاسدين : فارس والروم ، لا والله ما في بلادهم يومئذ من شيء يحسدون عليه ، من عاش منهم عاش شقيماً ، ومن مات ردي في النار ، يؤكلون ولا يأكلون ، والله ما نعلم قبيلة يومئذ من حضر الارض كانوا فيها أصغر حظاً وأدق شأناً منهم حتى جاء الله بالاسلام فورثكم به الكتاب ، وأحل به دار الجهاد ، ووضع لكم به الرزق وجعلكم به ملوكاً على رقاب الناس ، وبالاسلام أعطى الله ما رأيتم فاشكروا نعمه فان ربكم منعم يحب الشاكرين ، وان أهل الشكر في مزيد من الله فتعالى ربنا وتبارك وقوله (كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) اي يعرفكم في

كل ذلك مواقع نعمه وصنائه فيكم، ويبين لكم حجته في تنزيله على رسوله ﷺ لتهتدوا الى سبيل الرشاد، وتسلكوها فلا تضلوا عنها .

وقوله (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير) الآية قال ابن كثير في تفسيره : المقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من الامة متصدية للقيام بامر الله في الدعوة الى الخير ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وان كان ذلك واجباً على كل فرد من الامة بحسبه ، كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فمن لم يستطع فبأسانه فمن لم يستطع فبقالبه وذلك أضعف الايمان » وفي المسند عن حذيفة أن النبي ﷺ قال « والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم » انتهى

(قلت) وروى محمد بن نصر من حديث يزيد بن مرثد مراسلاً قال : قال رسول الله ﷺ « كل رجل من المسلمين على ثغرة من ثغور الاسلام الله لا يؤتى الاسلام من قبلك » وروى بسنده عن الحسن بن حي « انما المسلمون على الاسلام بمنزلة الحصن، فاذا أحدث المسلم حدثاً نفع في الاسلام من قبله. فن أحدث المسلمون كلهم فاقبث أنت على الامر الذي لو اجتمعوا عليه لقام الدين لله بالامر الذي أراده من خلقه »

وقوله (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم)

قال ابن عباس في الآية : أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة وأخبرهم أنه انما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله (قلت) فتأمل كيف نهى الله سبحانه في هذه الآيات عن التفرق في موضعين، وأخبر أنه من موجبات العذاب العظيم، وأرشد إلى أسباب الاجتماع على دينه وشرعه.

ومن أعظمها الاعتصام بكتابه ودينه علما وعملا ، واداء شكره ، وإقيام بما فرضه على عباده من الدعوة الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر
ومن هنا تعلم ان من أعظم الفساد الاعراض عن كتاب الله وما بعث الله به رسوله من الهدى والعلم . واتباع الاهواء والآراء المضلة . نعوذ بالله من ذلك ، فاذا وقع ذلك ترتب عليه من أنواع الفساد مالا يكاد يبلغه الوصف . فمن ذلك الاختلاف في الدين والتحاسد والتدابير والتقاطع ، فلا تنكاد ترى إلا من هو معجب برأيه ، متقص لغيره ، مخاد الى الارض عن تعلم العلم وتعليمه

فلو اجب على من أعطاه الله شيئا من العلم ان يبذله لطالبه ، وأن يقوم بما أوجب الله تعالى عليه من النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم ، وعلى الخاصة والعامة ان يعظموا كتاب ربهم ودينه وشرعه ، ويقبلوا بكائيتهم على ما ينفعهم من تعلم دينهم وطاعة ربهم ، وترك معاصيه ، وأن يقوموا بما وجب عليهم مع ذلك من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على علم وبصيرة ، وأن يهتموا بما يصلح ذلك من الاخلاص لله تعالى في أمور دينهم

وعلى من نصح نفسه أن يكون حذراً من الاسباب التي تضعف الايمان ، وتحجب أسباب المآثم والعصيان ، من الهلع والطمع والرضاء بالدينا والاطمئنان بها وفي الحديث « حب الدنيا رأس كل خطيئة »

وأخرج البخاري وغيره من حديث أبي سعيد أن النبي ﷺ جلس ذات يوم على المنبر وجلسنا حوله فقال « ان مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها » فقال رجل : يا رسول الله أفيأتي الخير بالشر ؟ فسكت النبي ﷺ ، فقيل له ما شأنك تكلم النبي ﷺ ولا يكلمك ؟ فرأينا انه ينزل عليه ، قال فسمح عنه الرخصاء فقال « أين السائل ؟ » وكأنه حمده فقال « انه لا يأتي الخير بالشر ، وان مما ينبت الربيع يقتل او يل ، إلا آكلة الخضر اذا أكلت

حتى اذا امتدت خصرها استقبلت عين الشمس فلطفت وبالت ورتعت ، وان هذا المال خضرة حلوة ، فنعمة صاحبه المسلم ما أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل »
أو كما قال النبي ﷺ « وان من يأخذه بغير حقه كالذي يأكل ولا يشبع فيكون شهيداً عليه يوم القيامة » انتهى

فهذا مثل ضربه رسول الله ﷺ وبين فيه ان من جمع الدنيا او طلبها من غير حلها ، وصرفها في غير حقها ، صارت عليه وبالاً ، ومن أجمل في طلبها وأخذها من حلها ، وأدى حق الله فيها ولم يشتغل بها عن طاعة مولاه فنها تكون في حقه نعمة وعطية ، ولغيره محنة وبلية

هذا وقد أعطاكم الله من أصناف نعمه ما تحبون ، وصرف عنكم ما تكرهون ، ابتلاءً وامتحاناً لتعرفوا نعمه وتشكروها (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها)
فانظروا رحمكم الله بماذا تقابلونها ، أبستعمالها في طاعته ودينه ومراضيه ، أم تجملونها سماً الى الاعراض عن دينه وارتيكاب معاصيه ؟ من الظلم والبغي والاثم والبطر ، واللهو ، والاعب ، وقول الزور ، والسخرية ونحو ذلك مما لا يحبه الله ولا يرضاه ،

نسأل الله السلامة من أسباب التغير ، قل الله تعالى (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، واذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له ، وما لهم من دونه من وال)

اللهم انا نعوذ بك من زوال نعمتك ، وتحول عافيتك ، وفجأة تقماتك ، وجميع سخطك ، اللهم انا نعوذ بك من جهد البلاء ، ودرك الشقاء ، وسوء القضاء ، وشماتة الأعداء

الله عباد الله ، قيدوا نعم الله بشكركم واتباع ما يرضيه ، وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، فان الله خولكم نعمه لطيفه ولا تعصوه ، وتعملوا بدينه وشرعه

وتعضمونه ، لالتشتغلوا بها عن ذلك او تمتهنوه
 اللهم أوزعنا شكر ما أنعمت به علينا من هذه النعم الظاهرة والباطنة ، واستعملنا
 فيما يرضيك عنا ، وعافنا وعاف عنا برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد
 وآله وصحبه وسلم

﴿ كتابه الى محمد بن عمر وفيه ذكر تأليف ابن منصور ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الرحمن بن حسن إلى الاخ محمد بن عمر ، عمر الله دارهم بالايان
 والقرآن ، ووقفهم لاتباع داعي الاسلام والايان
 سلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) وصل الخط ، وصلى الله بما يرضيه
 وسرنا طيبك وعافيتك ، جعلنا الله وإياكم من الطيبين المهتدين

ومن طرف تصانيف ابن منصور فلا يستذكر ذلك منه ، كما قيل : ليس العجب ممن
 هلك كيف هلك انما العجب ممن نجا كيف نجا . ولا ضرر لانفسه ، رد على الشيخ رحمه الله
 تعالى في دعوته اناس متشبهون بأهل العلم ، فأبطل الله كيدهم وصاروا بالاعليهم ولكن
 هذا الرجل فذل فعلا ما فعله أحد قبله ممن كره هذا الدين ، والله أعلم بما وافى به
 الله من إصرار أو توبة ، نسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم من عرف لله حقه ، وجرد
 إخلاصه وصدقه ، وذلك فضله سبحانه ورحمته . فلو أنت طرشت الكتاب ^(١) مع إبراهيم
 ابن عبد الرحمن ما كرهنا الاشراف عليه . وسلم لنا على الوالد محمد بن عبد الله وسهل
 وعبد الرحمن بن جاسر ومطلق وعبد الله بن ثاقب ورابعة وموسى بن صالح وفرحان
 ابن خير الله وأخوانهم الذين ما سمينا . ومن لدينا الامام وأولاده وأخوانه ،
 وعبد اللطيف وأخوانه وخو اص الاخوان بخير وينهون السلام

كاتبه إبراهيم يسلم على الاخوان المحبين وانت سالم والسلام حرر نقل سنة ١٢٨٦

(١) أي أرسلته وبعثت به

كتاب آخر إلى محمد بن عمر

(وفيه الرد على من زعم أنه لا يصح تبديع مسلم ولا تفسيقه)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

من عبد الرحمن بن حسن إلى الأخ محمد بن عمر بن سليم سلمه الله تعالى
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) وصل الخط وصلك الله بما يرضيه
وسرنا طيبكم وعافيتكم جعلنا الله وإياكم من الطيبين ، ونحمد اليكم الله تعالى
على ما أولاه من النعم ، وما صرف من النقم ، نسأل الله لنا ولكم معرفة الحق ،
والعمل به والصبر والاستقامة واشبات على الاسلام . وما ذكرت من الورقة التي
رमित يقول صاحبها : انكم جعلتم الناس بين مشرك ومبتدع وفاسق وجاهل ظالم
ولا سبقكم أحد بهذا الاعتقاد . فهذا ما ضرر إلا نفسه وهذه الشبهة قد ناقها الجبال
في وقت ظهور شيخنا رحمه الله ، وهذه من افسد شبههم لان الذي تدخل معه يدل
على جهله وانحرافه عن دين الله ومخالفته للكتاب والسنة ، لان الله تعالى ذكر الكفار
والمشركين من هذه الامة وأمر بقتالهم وأباح دماءهم وأموالهم ، وكذلك أهل
البدع هم الكثير وهم دول ، وأهل الفسوق كذلك ، وهذا الامر ما يخفى على أبلد
الناس ، ولكن ما حصل إلا المسبة مثل من أغار على فريق وأخذوه ولا أبقوا له
شيئاً ، وصار هذا باعث على رد هذه الشبهة وان كان شيخنا قد ردها في كشف
الشبهات ، لكن بسطنا الرد عليها على سبيل الاختصار ، وإلا فردها يحتمل مجلداً
وصار جواباً نافعاً لكل موحد وأرسله الامام الاحساء يقرأ في المدارس والمساجد
والمحاسن لانه ربما دخل على بعض من ينتسب الى العلم وهم جهال ، وما جرى منهم
فهو خير بلا شر ، وهو في الحقيقة نعمة ، ووباله على من أبداه ، ولا هذا بأول نار
قد أضر بها علينا ناس من الاشرار ، ولا ندرى عنهم ، وبكفيناهم الله ، والله الحمد
وسلم لنا على الوالد ومحمد بن عبد الله وخواص الاخوان ، ومن لدينا عبد اللطيف
بخير وبنهون السلام وكاتبه يسلم وانت سالم والسلام ٢٧ شعبان سنة ١٢٧٧

(جواب سؤال عمن يجتمع للصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة في المسجد . وعن صلاة الجمعة قبل الزوال . ومسائل أخرى)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

من عبد الرحمن بن حسن الى جناب الاخ ابراهيم بن محمود سلمه الله تعالى
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فهذا جواب سؤال المسئلة الاولى
عن أناس يجتمعون ويصلون على النبي ﷺ

(فالجواب) ان هذا ليس مشروعاً وانما المشروع الصلاة وقراءة القرآن
قبل دخول الامام فاذا دخل الامام وأخذ في الخطبة وجب الانصات للخطبة كما
في الحديث « اذا قلت لصاحبك أنصت والامام يحطّب فقد لغوت »

وأما تقدم الخطيب في المسجد يصلي ويقرأ قبل الخطبة والصلاة فلا بأس به
لكن ينبغي ان يكون في ناحية يراه المأمومون إذا خرج اليهم للخطبة

وأما صلاة الجمعة قبل الزوال فهو وقت لها عند الامام أحمد رحمه الله وخالفه
بعض الائمة وقال: وقتها بعد الزول، فتأخيرها الى الزوال خروجاً من خلاف العلماء
لكن هذا القول الثاني مجمع عليه

كذلك الامراض الحادثة وقم مثلها في وقت الصحابة رضي الله عنهم
فلم يفتوا فيها ولو كان خيراً سبقونا اليه

وأما جعل الذهب في الجنين والسيوف وفي خاتم رجل فلا يجوز الا الفضة
واما الذهب فلا

وأما صاحب السفينة وقوله: سلفني، فلا ولو يجعله من الاجرة ويقدمها عليه جاز
وأما كفارة اليمين فيطعم عشرة مساكين قدرها العالي لكل مسكين مد من
البر، والمد وزن ثلاثين ريالاً، فان كان شعيراً فمدان وكذلك التمر

وأما قوله اذا حلف وقال وعهد الله فهو كقوله والله .
 وأما الحج فنأخذها بالحج صحيح وأما اذا حج لياً أخذ فلا يصح ^(١) كذلك ما يصح
 له ان يوكل غيره لا في بلد الميت ولا في غيرها فان استأجر من يحج بدله من
 بلد هي أقرب الى مكة من بلد الميت فهذا لا يصح أيضاً . وقولك من يأخذ
 الحجة لاشتياقه الى البيت ومشاعر الحج وللاعمل الصالح لما فيه من زيادة الفضل ،
 فهذا هو الذي يصح نيابته كما تقدم فان كان قصده اتوصل الى البيت فلو اجب
 لقصده ذلك . وما فعله غير الناسك التي هي أركان الحج وواجبات وسنن فتوابعه
 له وأما الاركان والواجبات والسنن فتوابع ذلك يرجع للذي هو نائب عنه
 وفضل الله واسم

وأما اذا أخذ مالا من عمان لصاحب له في نجد فلا يجوز لان الواجب الحج
 للميت من بلده التي هي أبعد من مكة . وسلم لنا على أخوانك وعبد اللطيف
 وأخوانه والامام وأولاده والاخوان بخير وينهون السلام . حرر سنة ١٢٨٢

(جوابه عن كتاب من محمد آل عمر السليم)

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الرحمن بن حسن الى الاخ المكرم محمد آل عمر السليم سلمه الله
 تعالى من كل آفة وآمنه من كل مخافة ، سلام عايكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد
 وصل الخط وصلك الله بما يرضيه ونحمد اليك الله تعالى على ما اسبغ من نعمه
 الباطنة والظاهرة جمعنا الله واباكم من الشاكرين الذاكرين ، ونعمة الله عايكم
 عظيمة حيث أقامكم في ناحية أهلها جهال بالتوحيد ما له عندهم قدر ولا قيمة
 وجعلكم تدعون اليه وتبينونه وتحملون الناس عليه وجعل لكم أصحاب قابلين هذه
 (١) الظاهر ان هذا جواب عن حجج بالنيابة عن غيره بالاجرة فالمراد أخذ الدرهم

الدعوة^(١) ومحبينها ومعادين فيها وموالين فيها وبأخي هذه النعمة علينا وعليكم عظيمة واحمدوا الله سبحانه وتعالى وتبرأوا من الحول والقوة وانسبوا النعمة الى ربكم قال ابن القيم رحمه الله تعالى لما ذكر حياة القلب وصف القلب الحي بقوله ان يكون مدركا للحق مريدا له مؤثرا له على غيره ، والكتاب وصل وشرعنا نقرأ فيه ووجدناه صحيحا وله الحمد وموافقا لوطنه غالي كل نعم يساق فيه ليس بكثير وسلم لنا على الوالد ومحمد وجميع الاخوان بالتخصيص والتنصيص ومن لدينا الامام وتركى ومحمد وعبد اللطيف واسماعيل وجميع العيال بخير ويبلغون السلام وانت سالم والسلام ، وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم . خطه سنة ١٢٨٤ ونقلته من خطه وعليه ختمه . غرة ربيع أول سنة ١٣٤٥

﴿ نصيحه بالعمل بمادات عليه الشهادتان ﴾

(كتبها الى أمير الاحساء وأعيانها)

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الرحمن بن حسن الى الاخوان الامير محمد بن احمد والشيخ عبد اللطيف بن مبارك وأعيان أهل الاحساء وعامتهم رزقنا الله وإياهم الاعتصام بالكتاب والسنة وجنبنا وإياهم سبل أهل البدع والاهواء ووفقنا وإياهم لمعرفة ما بعث الله به رسوله من الهدى والنور

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فان الباعث على هذا الكتاب هو النصيحة لله ولكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، وأوصيكم بما دلت عليه شهادة ان لا إله الا الله وما تضمنته من نفي الآلهية عما سوى الله ، وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له والبراءة من كل دين يخالف ما بعث الله به رسوله من التوحيد

(١) قوله أصحاب الح ترك فيه وفي أمثاله مقتضى الاعراب بجاراة لغة العوام في خطابهم

قل بعض السلف : كَلِمَتَانِ يَسْتَلْ عَنْهُمَا الْاُولُوْز وَالْآخِرُونَ : مَاذَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ
وماذا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ؟ وَقَالَ تَعَالَى (قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أُعْبِدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ
وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ) وَهَذَا هُوَ مَضْمُونُ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَمَا
تَقْدُمُ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ

ومما أوجب ذكر ذلك ما بلغنا وتحققناه من غفلتكم عن هذا الأصل العظيم الذي لانجاة للعبد إلا بمعرفة والعمل به، فالأمة منكم ما يبطلون بحقوق الإسلام ولو ضيعت، وصار اشتغال أهل العلم بالعلوم التي هي فرع عن هذا الأصل العظيم، ولا تنفع بدونه، ولا صلاح للعباد في معاشهم ومعادهم إلا بالعلم بالله وما يجب له على عباده من دينه الذي رضيهم، فبالقيام به صلاح الدنيا والآخرة، وفي الغفلة عنه زوال النعم وحلول النقم، وقد وقع فيكم بسبب الغفلة عن هذا ما قد علمتم كما قال تعالى (وبلونا هم بالحسنات والسيئات لعلمهم يرجعون)

إذا عرقم ذلك فيلزم الامير ان يأمر على جميع المدرسين وأئمة المساجد بالحضور عند قاضي البلد الشيخ عبد اللطيف بن مبارك ، ويلزمهم القراءة فمأجعه

شيخنا رحمه الله في كتاب التوحيد من أدلة الكتاب والسنة التي فيها الفرقان بين الحق والباطل ، فقد جمع على اختصاره خيراً كثيراً وضمنه من أدلة التوحيد ما يكفي من وفقه الله ، وبين فيه الأدلة في بيان الشرك الذي لا يغفره الله ، ويلزمهم سؤال العامة عن أصول الدين الثلاثة بادلتها وأربع القواعد ، فما أعظم نفعها على اختصارها لطالب الهدى

وكذلك يلزمهم تفقد الناس في المساجد حتى يعرف من يتخلف عن الصلاة ويتهاون بها وبجمل للناس نواباً في القيام على الناس بالاجتماع للصلاة في جميع البلدان والقري ، فإن هذا مما شرعه الله ورسوله وأوجبه كما دل على ذلك الكتاب والسنة ، وقد ورد الزجر والوعيد للمتخلفين عن الصلوات الخمس في المساجد حيث ينادى لها والحاديث في هذا المعنى كثيرة

ومن المعلوم ان الصلاة لا تقام إلا بالاجتماع لها والتهاون بذلك من أسباب إضاعتها وذلك بوجوب عقوبة الدنيا والآخرة كما قال تعالى (تخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) نسأل الله لنا ولكم العون على مرضاته وأنتم سالمين والسلام

(بعض رسائل الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن)

﴿ رسالة في الكلام على أما بالتخفيف ، وأعراب « عدد خلقه » الخ ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد اللطيف بن عبد الرحمن إلى الاخ المكرم عبدالعزيز بن حسن سلك الله بنا وبه أهدي السنن

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فاحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو على سوابغ نعمائه ، وجزيل فضله

وعطائه ، جعلنا الله وإياك ممن عرف نعمة الله عليه فاستعان بها على ما يقربه إليه ،
والخط وصل وصلاك الله بالرضى ، وما أشرت إليه صار لدينا معلوما
أما الخطوط التي تذكر أنك أرسلتها إلينا قبل هذا الخط الأخير فلم تصل ولم
يصل منك في هذا العام قبل هذا خط . وأما الجواب عن المسئلتين فلا يخفى أن
«أما» بالتخفيف تأتي على وجهين :

(أحدهما) أن تكون حرف استفتاح كما في قوله «أما إني لم أكن في صلاة»
ويكثر ذلك قبل القسم كما في قوله :

أما والذي أبكى وأضحك والذي أمات وأحيا ونذى أمره الأمر
لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى أليقين منها لا يروعهما الذعر
وقول الآخر :

أما والذي حجت له العيس وارتعى لمرضاته شعث طويل ذميلها
لئن نأثبات الدهر يوما أدان لي على أم عمرو دولة لا أقيلهما
وقال الآخر :

أما يستفيق القلب أي بدا له توهم صيف من سعاد ومربع
أخادع عن اطلالها العين أنه متى تعرف الاطلال عيني تدمع
عهدت بها وحشاً عليها براقع وهذي وحوش أصبحت لم تبرقع
وهذا إذا قصد به تنبيه المخاطب لما بعدها ، والاشارة إلى أن ما بعدها مما يهتم
به وبلتفت إليه كما في قوله صلوات الله عليه «ألا لعنة الله على اليهود والنصارى» «ألا هل
بلغت» «ألا يبلغ الشاهد منكم الغائب» وكقول الشاعر
ألا لا يجهان أحد علينا

وكما في قوله :

ألا ليت حظي من عطايك : نني علمت وراء الرمل ما أنت صانع

(والثاني) بمعنى حقاً أو أحقاً ، وزعم بعض الناس انها تكون حرف عرض بمعنى لولا ، فتختص بالفعل ، كما في قولك ، اما يقوم اما يقعد ونحوه
واما نحو اما كان فيهم من يفهم ، فلهزمة للاستفهام ، وما حرف نفى وليست مما نحن فيه فتنبه

وأما المسئلة الثانية وهي : قولك ماوجه نصب «عدد خلقه ، ورضى نفسه ، وزنة عرشه ، وممداد كلماته» فاعلم ان نصب هذه المصادر على انه نعت لسبحان ، لانه اسم محذوف العامل وجوبا لكونه بدلا من اللفظ بفعل مهمل ، كقول الشاعر :

نم قالوا تحبها ؟ قلت بهراً عدد الرمل والحصى واتراب

فبهراً سم منصوب على المفعولية المطلقة لكونها هنا بمعنى عجباً ، لكن فعله مهمل غير مستعمل ، فلذلك حذف وجوبا ، وعدد الرمل في البيت نعت له ، ويحتمل ان «عدد» وما عطف عليه ، نصب على المفعولية المطلقة ، والعامل يقدر سبحانه او نزهته فهو كقوله (فاجلدوهم ثمانين جلدة) لان سبحان علم على معنى التنزيه والبراءة او على لفظه فلا يعمل في المفعول

ويمكن أن يقال : لا حاجة الى هذا التقدير لان الاسم قد يعمل لما فيه من رائحة الفعل ويكون النصب بسبحان ، ويقويه قول ابن مالك :

بمثله أو فعل أو وصف نصب وكونه أصلاً لهذين انتخب

وأما «زنة» فمعناها الموازنة والتمثل بخلاف ما اذا كان من بعده الفعل مستعمل كقوله :
أذلا اذا شب انعدى نار حربهم وزهو اذا ما ينجحون الى السلم ؟
وقول الآخر :

خولا واهمالا وغيرك مولع بتثبيت أسباب السيادة والمجد ؟

تمت وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

﴿ حكمة الله في ابتلائه المؤمنين ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن في رسالته الى البويري :

فن حكمة الرب تعالى انه ابتلى عباده المؤمنين الذين يدعون الناس الى
مادعا اليه النبي ﷺ من الدين بثلاثة اصناف من الناس ، وكل صنف له اتباع :
الصنف الاول ، من عرفا - حق فعاداه حسداً وبغياً كاليهود ، فانهم أعداء الرسول
والمؤمنين كما قال تعالى (بثما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا
أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤا بغضب على غضب وللكافرين
عذاب مهين) (وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون)

(الصنف الثاني) الرؤساء أهل الاصول الذين فتنهم دنياهم وشهواتهم لما
يعلمون من ان الحق يمنهم من كثير مما أحبوه وألقوه من شهوات الغي فلم يعبأوا
بداعي الحق ولم يقبلوا منه دعوته

(الصنف الثالث) الذين نشأوا في باطل وجدوا عليه أسلافهم فهم يظنون
انهم على حق وهم على الباطل ، فهؤلاء لم يعرفوا إلا ما نشأوا عليه وهم يحسبون انهم
يحسنون صنعا . وكل هذه الاصناف الثلاثة واتباعهم أعداء الحق من لدن زمن
نوح الى أن تقوم الساعة .

فأما الصنف الاول فقد عرفت ما قال الله فيهم ، وأما (الصنف الثاني) فقد قال
الله فيهم (فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع
هواه غير هوى من الله ان الله يهدي القوم الظالمين) وقال عن (الصنف الثالث)
(إننا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون) وقال (إنهم ألفوا آباءهم ضالين*
فهم على آثارهم يهرعون)

شكر النعمة يوجب زيادتها

ومعنى قوله تعالى (واذا قل موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا) الآية

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد اللطيف بن عبد الرحمن إلى من يصل اليه هذا الكتاب من الاخوان
سالمهم الله تعالى

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فوجب هذا والباعث عليه هو
نصح الذي يجب علينا من حقكم . وقد قال تعالى (واذكر فان الذكرى تنفع
المؤمنين) فاذكروا ما من الله به عليكم وخصكم به في هذا الزمان من نعمة الدين
التي هي أشرف النعم وأجلها ، وما حصل في ضمنها من المصالح التي لا تعد ولا
تحصى . وقد أخبر الله تعالى عن كايمة موسى عليه السلام انه ذكر قومه هذه النعمة
كما قال تعالى (واذا قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم
انبياء وجعلكم ملوكا) الآية .

فذكرهم أولا بالنعمة العظمى وهي ان جعل فيهم أنبياء يرشدونهم الى
ما فيه صلاحهم وخلصهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة

وقد امتن الله سبحانه على عباده في كتابه بهذه النعمة وذكرهم بها في مواضع
كما قال تعالى (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم
آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) وقال
(هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم
الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين)

وأخبر عن مراده فيما شرعه في تحويل القبلة الى بيته الحرام وان ذلك قد قصد به وأراد منه إتمام نعمته وليحصل لهم الاهتداء وذكركم عند ذلك هذه النعم وان فعل ذلك كما من عليهم قبل مبعث الرسول فقال (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون)

فبعث الانبياء وإرسال الرسل هو الذي حصل به العلم النافع والعمل الصالح كمعرفة الله بصفات كماله ، ونعوت جلاله ، والاستدلال بآياته ومخلوقاته ، والقيام له بما أوجب على خلقه من العبادة والتوحيد ، والعمل بما يرضي الرب ويريد ، فان بهذا تحصل زكاة العبد ونموه ، وصلاحه وفلاحه ، وسعادته في الدنيا والآخرة . وفي ضمن تعليمه الكتاب والحكمة من تفاصيل العلوم والاعمال والعارف والأمثال الدالة على وحدانيته وقدرته ورحمته وعدله وفضله ، وإعادته لخلقه وبعثه إياهم ، ومجازاتهم على أعمالهم وذكر أيامه في أنبيائه وأوليائه ، وما فعل ويفعل بأعدائهم وأعدائه ، وإخباره بالحق النظيف بالنظير ، والشبيه بالشبيه ، والمثل بالمثل ، ما يوجب للعبد من العلم بالله ومعرفة قدرته وحكمته في أقداره ومراده من شرعه وخلقته ، وغير ذلك من الاحكام الكلية والجزئية ما لا يمكن حصره ولا استقصاؤه

فما أنعم الله على أهل الارض من نعمة إلا وهي دون نعمة إرسال الرسل وبعث النبيين ، خصوصا رسالة محمد سيد ولد آدم ﷺ صاحب اللواء المقود ، والمقام المحمود ، والخوض المورود ، فانه قد حصل برسالاته من عموم الرحمة لكافة العالمين ، ومن السعادة والفلاح والتزكية والهدى والرشاد لمن اتبعه ما لم يحصل مثله ولا قريب منه يبعث غيره من الانبياء

فمن كان له من قبول ما جاء به والايمان به حظ ونصيب فعليه من شكر الله على هذه النعمة وطاعته وإدامة ذكره والثناء بنعمه ما ليس على من قل حظه ونصيبه من ذلك

وقد من الله عليكم رحمكم الله في هذا الزمن الذي غلبت فيه الجهالات وفشت بين اهل الضلالات، والتحق بعصر الفترات - من يجدد لكم امر هذا الدين ويدعو الى ما جاء به الرسول الامين، من الهدى الواضح المستبين، وهو شيخ الاسلام والمسلمين، ومجدد ما اندرس من معالم الملة والدين، الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، فبصر العدد العديدين من العماية، وهدى بما دعا اليه من الضلالة، وأغنى بما فتح عليكم وعليه من العالة، وحصل من العلم ما يستبعد على أمثالكم في العادة، حتى ظهرت الحجة البيضاء التي كان عليها صدر هذه الأمة وأتمتها في باب توحيد الله باثبات صفات كماله، ونعوت جلاله، والايمان بقدره وحكمه في أفعاله، فانه قرر ذلك، وتصدى رحمه الله للرد على من نكب عن هذا السبيل، واتبع سبل التحريف والتعطيل، على اختلاف نحلهم وبدعهم، وتشعب مقالاتهم وطرقهم، متبعاً رحمه الله ماضى عليه السلف الصالح من اهل العلم والايمان، وما درج عليه القرون الفضلة بنص الحديث . ولم ياتفت رحمه الله الى ما عدا ذلك من قياس فلسفي أو تعطيل جهمي أو الحاد حلولي أو اتحادي أو تاويل معتزلي أو أشعري، فوضح معتقد السلف الصالح بعد ما سفت عليه السوافي وذرت عليه الذواري، ونذر من يعرفه من اهل القرى والبادي، إلا ما كان مع انعامه من أصل الفطرة، فانه قد يبقى ولو في زمن الغربة والفترة، وتصدى أيضاً للدعوة الى ما يقتضيه هذا التوحيد وما يستلزمه وهو وجوب عبادة الله وحده لا شريك له، وخلع ما سواه من الانداد والآلهة، والبراءة من عبادة كل ما عبد من دون الله،

وقد عمت في زمنه البلوى بعبادة الاولياء والصالحين وغيرهم، وأطبق على ترك الاسلام جمهور أهل البسيطة وفي كل مصر من الامصار وبلد من البلدان وجهة من الجهات من الآلهة والانداد لرب العالمين ما لا يحصى الا الله، على اختلاف معبوداتهم، وتباين اعتقاداتهم، فمنهم من يعبد الكواكب وبخاطبها

بالخوائج ويبخر لها التبخيرات ، ويرى انها تفيض عليه أو على العالم وتقضي لهم الحاجات ، وتدفع عنهم البليات ، ومنهم من لا يرى ذلك ويكفر أهله ويتبرأ منهم ، لكنه قد وقع في عبادة الانبياء والصالحين ، فاعتقد انه يستغاث بهم في الشدائد والملمات ، وانهم هم الواسطة في اجابة الدعوات وتفريج الكربات . فترة يصرف وجهه اليهم ويسوى بينهم وبين الله في الحب والتعظيم والتوكل والاعتماد والدعاء والاستغاثة والاستعانة وغير ذلك من أنواع العبادات

وهذا هو دين جاهلية العرب الاولى ، كما ان الاول هو دين الصابئة الكنعانيين وقد بعث الله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، وكانت العرب في وقته وزمن مبعثه معترفين لله بتوحيده الربوبية والافعال ، وكانوا على بنية من دين ابراهيم اخليل عليه السلام ، قل تعالى (قل من يرزقكم من السماء والارض أم يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله ، ققل أفلا تتقون) وقال تعالى (قل لمن الارض ومن فيها إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل أفلا تذكرون — الى قوله — فأنى تسحرون) والآيات في المعنى كثيرة ، ولكنهم أشركوا في توحيد العبادات والآلهية فتخذوا الشفعاء والوسائط من الملائكة والصالحين وغيرهم وجعلوهم أنداداً لله رب العالمين فيما يستحقه عليهم من العبادات والارادات كالحب والخضوع والتعظيم والانابة والخشية ، وغير ذلك من أنواع العبادات والطاعات ، لاجل جاههم عند الله والناس شفاعتهم والاعتقاد والتدبير والتأثير كما ظنه بعض الجاهلين ، قال تعالى (ويمبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) الآية ، وقال (أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون)

وقال تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله

زلفى) الآية. فنهاهم رسول الله ﷺ عن هذا الشرك وكفر أهله وجهلهم وسفه أحلامهم ، ودعاهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، وبين أن مدلولها الالتزام بعبادة الله وحده لا شريك له ، والكفر بما يعبد من دون الله

وهذا هو أصل الدين وقاعدته ، ولهذا كانت هذه الكلمة كلمة الاسلام ، ومفتاح دارالسلام ، والفارق بين الكافر والمؤمن من الانام ، ولها جردت السيوف وشرع الجهاد ، وامتاز الخبيث من طيب العباد ، وبها حققت الدماء وعصمت الاموال ، وقد بلغ الشيطان مراده من أكثر الخلق ، وصدق عليهم ابليس ظنه فاتبعه الأكثر ، وتركوا ما جاءت به الرسل من دين الله الذي ارتضاه لنفسه ، وتلطف الشيطان في التحيل والمكر والمكيدة حتى أدخل الشرك وعبادة الصالحين وغيرهم على كثير ممن ينتسب الى دين الاسلام في قالب محبة الصالحين والانبياء والتشفع بهم ، وان لم جاها ومنزلة يشفع بها من دعاهم ولاذ بحماهم ، وان من أقر الله وحده بالتدبير واعتقد له بالتأثير والخلق والرزق فهو مسلم ولو دعا غير الله واستعاذ بغيره ولاذ بحماه ، وان مجرد شهادة أن لا إله إلا الله تكفي مثل هذا ، وان لم يقارنها علما ولا عمل ينتفع به ، وان الدعاء والاستغاثة والاستعانة والحب والتعظيم ونحو ذلك ليس بعبادة ، وانما العبادة السجود والركوع ونحو هذه الزخرفة والمكيدة وهذا بعينه هو الذي تقدمت حكايته عن جاهلية العرب

وذكر المفسرون واهل التاريخ من اهل العلم في سبب حدوث الشرك في قوم نوح مثل هذه المكيدة ، فان ودا وسواعا ويعقوث ويعوق ونسرا أسماء رجال صالحين في قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن ينصبوا تماثيلهم ويصوروا صورهم ليكون ذلك أشوق الى العبادة وأنشط في الطاعة فلما هلك من فعل هذا أوحى الشيطان إلى من بعدهم أن أسلافهم كانوا يعبدونهم ، وبهم يسقون المحار فيعبدونهم لذلك فأصل الشرك هو تعظيم الصالحين بما لم يشرع ، والغلو في ذلك

فأتاح الله بمنه في هذه البلاد النجدية والجهات العربية من أحبار الاسلام وعلمائه الاعلام من يكشف الشبهة ، ويجلو الغمة ، وينصح الامة ، ويدعو إلى محض الحق وصرح الدين ، الذي لا يخالطه ولا يمازجه دين الجاهلية المشركين ، فنافح عن دين الله ودعا إلى مادعا إليه رسول الله ﷺ ، وصنف الكتب والرسائل ، وانتصب للرد على كل مبطل ومما حل ، وعلم من لديه كيف يطلب العلم وأين يطلب ، وبأي شيء يقهر المشبه المجادل ويغلب ، واجتمع له من عصاة الاسلام والايان طائفة يأخذون عنه وينتفعون بعلمه ، وينصرون الله ورسوله ، حتى ظهر واستنار مادعا إليه ، واشرقت شمس ما عنده من العلم وما لديه ، وعلت كلمة الله حتى أغشى اشراقها وضوءها كل مبطل ومما حل ، وذلل لها كل منافق مجادل ، وحقق الله وعده لاوليائه وجنده كما قال تعالى (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) وقوله (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم) الآية

فزال بحمد الله ما كان بنجد وما يليها من القباب والمشاهد والمزارات والمغارات وقطع الاشجار التي يتبرك بها العامة ، وبعث الساعة لمحو آثار البدع الجاهلية ، من الاوتاد والتعاليق والشركيات ، وألزم باقام الصلاة وابتاء الزكاة وصيام رمضان وحج البيت وبسائر الواجبات ، وحث من لديه من القضاة والمفتين على تجريد المتابعة لما صح وثبت عن سيد المرسلين ، مع الاقتداء في ذلك بأئمة الدين ، والسلف الصالح المهديين . ونهاهم عن ابتداع قول لم يسبقهم إليه إمام يتدى به ، أو علم يهتدى به وأنكر ما كان عليه الناس في تلك البلاد وغيرها من تعظيم الموالد والاعباد الجاهلية التي لم ينزل في تعظيمها سلطان ، ولم يرد به حجة شرعية ولا برهان ، لان ذلك فيه مشابهة للنصارى الضالين ، في أعيادهم الزمانية والمكانية ما هو باطل مردود في شرع سيد المرسلين

وكذلك أنكر ما أحدثه جهلة المتصوفة وضلال المبتدعة من التدين والتعبد باللهو واللعب والمكاء والتصدية ، والاعاني التي صدم بها الشيطان عن سماع آيات القرآن ، وصاروا بها من أشباه عباد الاوثان ، الذين قل الله فيهم (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية) وكل من عرف ماجاء به الرسول تبين له أن هؤلاء من اضل الفرق وأخبثهم نخلة وطريقة ، والغالب على كثير منهم النفاق وكرهه سماع كلام الله ورسوله

وأنكر رحمه الله ما أحدثته العوام والضغام من اعتقاد البركة والصلاح في أناس من الفجار والطواغيت الذين يترشحون لتأله العباد بهم وصرف قلوبهم اليهم باسم الولاية والصلاح وان لهم كرامات ومقامات ونحو هذا من الجهالات فان هؤلاء من أضر الناس على اديان العامة

وأنكر رحمه الله ما يعتقده العامة في البله والمجازيب وأشباههم الذين احسن أحوال احدهم أن يرفع عنه القلم ويلحق بالمجانين .

وأرشد رحمه الله إلى ما دل عليه الكتاب وسنة رسول الله ﷺ من الفرقان بين اولياء الرحمن وأولياء الشيطان . وساق الادلة الشرعية التي يتميز بها كل فريق ويعتمدها اهل الايمان والتحقيق . فان الله جل ذكره وصف الابرار ونعتهم بما يمتازون به ويعرفون ، بحيث لا يخفى حالهم ولا يلبس أمرهم وكذلك وصف تعالى اولياء الشيطان من الكفار والفجار ونعتهم بما لا يخفى معه حالهم ولا يلبس أمرهم ، على من له ادنى نظر في العلم وحظ من الايمان

وكذلك قام بالنكير على اجلاف البوادي وأمرأ القرى والنواحي فيما يتجاسرون عليه ويفعلونه ، من قطع السبيل وسفك الدماء ونهب الاموال المعصومة حتى ظهر العدل واستقر وفشا الدين واستمر والتزمه كل من كانت عليه الولاية من البلاد النجدية وغيرها ، والحمد لله على ذلك

والتذكير بهذا يدخل فيما آمن الله به على المؤمنين وذكرهموه من بعث الانبياء والرسل .

ومدار العبادة والتوحيد على ركنين عظيمين هما الحب والتمعظيم .
وبمشاهدة النعمة يحصل ذلك ويحبب القلب لطاعة من أنعم بها عليه ، وكلما ازداد العبد علما بذلك ومعرفة حقيقة النعمة ومقدارها ازداد طاعة ومحبة وإناابة وإخبارا وتوكلا ، ولذلك يذكر تعالى عباده بنعمه الخاصة والعامة ، والآلة الظاهرة والباطنة ، ويحث على التفكير في ذلك والتذكر وان يعقل العبد عن ربه فيقوم بشكره ويؤدي حقه ومبنى الشكر على ثلاثة أركان : معرفة النعمة وقدرها ، والثناء بها على مسديها ، واستعمالها فيما يحب مواليها ومعطيها . فن كملت له هذه الثلاثة فقد استكمل الشكر وكلما نقص العبد منها شيئا فهو نقص في يمانه وشكره ، وقد لا يبقى معه من الشكر ، ما يعتد به ، ويثاب عليه

والمقصود ان يذكرى فيها من المصالح الدينية والشعب الایمانية ما هو أصل كل فلاح وخير ،

وبدا في هذه الآية بأعظم النعم وأجلها على الاطلاق وهو جعله الانبياء فيهم يخبرونهم عن الله بما يحصل لهم به السعادة الكبرى ، والمنة الجليلة العظمى وكل خير حصل في الارض من ذلك فأصله مأخوذ عن الرسل والانبياء ، إذ هم الأئمة الدعاة لا مناء ، واهل العلم عليهم البلاغ ونقل ذلك الى الامة فانهم واسطة في ابلاغ العلم ونقله وأما قوله (وجعلكم ملوكا) فهذه نعمة جليلة يجب شكرها وتعين رعايتها فانها من افضل النعم واجلها ، والشكر قيد النعمة ، ان شكرت قرئت ، وان كفرت فرت ، ولم تحصل هذه النعمة الا باتباع الانبياء وطاعة الرسل فان بني امرا ئيل انما صاروا ملوك الارض بعد فرعون وقومه باتباع موسى وطاعة الله ورسوله ، والصبر على ذلك قال تعالى (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون

مشارك الارض ومغارها التي باركنا فيها ، وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا)

وقد حصل باتباع محمد ﷺ لمن آمن به من العرب الاميين وغيرهم من اجناس الآدميين من الملك وميراث الارض فوق ما حصل لبني اسرائيل ، فانهم ملكوا الدنيا من أقصى المغرب إلى أقصى المشرق ، وحملت اليهم كنوز كسرى ملك الفرس ، وقيصر ملك الروم ، وصارت بلادهم وبلاد المغرب والمشرق ولاية لهم ورعية تنفذ فيهم أحكامهم ، ويجبى اليهم خراجهم ، ومكثوا على ذلك ظاهرين قاهرين لمن سواهم من الامم حتى وقع فيهم ما وقع في بني اسرائيل من الخروج عن اتباع الانبياء وترك سياستهم ، والانهماك في أهوائهم وشهواتهم ، فجاء الخلل وسلط العدو ، وتشقت الناس وتفرقت الكلمة ، وصارت الدول الاسلامية يسوسها في كثير من البلاد وفي اوقات كثيرة من الملوك اهل النفاق والزندقة والكفر والالحاد ، الذين لا يبالون بسياسات الانبياء وما جاءوا به من عند الله ، وربما قصدوا معا كسرتهم فذهب الملك بذلك وضاعت الامانة ، وفشا الظلم والحيابة . وصار بأسهم بينهم ، وسلط عليهم العدو ، وأخذ كثيراً من البلاد ، ولم يقنع منهم ابليس عدو الله بهذا حتى اوقع كثيراً منهم في البدع والشرك ، وسعى في محو الاسلام بالكلية . وكما بعد عهد الناس بالعلم وآثار الرسالة ، ونقص تمسكهم بعهود انبيائهم ، تمكن الشيطان من مراده في أدیانهم ونحلهم واعتقاداتهم ، ولكن من رحمة الله ومنته جعل في هذه الامة بقية وطائفة على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي امر الله وهم على ذلك وكلما حصل لهذه الطائفة قوة وساطان في جهة او بلد حصل من الملك والعز والظهور لهم بقدر تمسكهم بما جاء به محمد ﷺ . ولذلك صار لشيخنا شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب ولطائفه وأنصاره من الملك والظهور والنصر بحسب نصيبهم

وحظهم من متابعة نبيهم ﷺ والتمسك بدينه فقهروا جمهور العرب من الشام إلى عمان ، ومن الحيرة إلى اليمن . وكما كان اتباعهم وأنصارهم أقوى تمسكا كانوا أعز وأظهر وربما نال منهم العدو وحصل عليهم من المصائب ما تقتضيه الذنوب والخلفة والخروج عن متابعة نبيهم وما يعفو الله من ذلك أكثر وأعظم والمقصود ان كل خير ونصر حصل ، وعز وسرور اتصل ، فهو بسبب متابعة الرسول ﷺ وتقديم امره في الفروع والاصول ، وقد من الله عليكم في هذه الاوقات بما لم يعطه سواكم في غالب البلاد والجهات ، من النعم الدينية والدنيوية والأمن في الاوطان ، فذكروا الله يذكركم ، واشكروا نعمه يزدكم ، وقوا أنفسكم ، وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة بمعرفة الله ومحبه طاعته وتعظيمه وتعاليم اصول الدين وتعظيم ما جاء به الرسول ﷺ من الامر والنهي والتزامه والمحافضة على توحيد الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام والجهاد في سبيله والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وترك الفواحش الباطنة والظاهرة ، وسد الوسائل التي توقع في المخذور وتفضي الى ارتكاب الآثام والشرور ،

وبجمع ذلك قوله تعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون)
والله المسؤول ان يمن علينا وعليكم بسلوك سبيله وأن يجعلنا ممن عرف الهدى بدليله وصلى الله على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

كتاب منه الى سهل بن عبد الله

﴿يرشده فيه الى تدبر كتاب الله﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد اللطيف بن عبد الرحمن الى الاخ المكرم سهل بن عبد الله سلمه الله تعالى وسهل أمره وشرح لدينه صدره سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(وبعد) فاحمد اليك الله الذي لا اله الا هو على جزيل نعمه ووافر عطائه ، والخطوط وصلت وسرت وقرت ، حيث أشعرت وأخبرت بسلامة المحب وطيبه وعمارة الاوقات بالقراءة في كتب الاصول والصحاح والتفاسير ، وان الاخوان في ازدياد ، وان الاشرار والاضداد في انقمار وانقباض

فالحمد لله وحده ، والشكر له على نصر دينه ، واظهار حجته ، الله المسؤول أن يمن علينا وعليكم باليسر في الامر ، والعزيمة على الرشد ، وأن يوزعنا شكر نعمه ، وحسن عبادته وتطلب الفائدة ، وأرشدك الى التأمل في قوله تعالى : (أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب) الآية

فاحذروا معايشة الغر واخلصوا العمل لوجه الكريم الأعلى ، وقد حدثني بعض الثقات انه اجتمع ببعض الافاضل من أولاد الشيخ محمد بمكة سنة ١٢٢١ قال فشيخته لما أراد الذهاب الى وطنه وسأله الوصية فقال لي - وقد ثنى رجله على رحله : تأمل قوله تعالى (وما يكون في شان وما تتلو منه من قرآن - الى قوله -) (إلا في كتاب مبين) ثم ودعني وانفتلت به راحلته

ونخبرك ان الشيخ والاولاد والامام وأولاده وكافة الاخوان يهدوك السلام وبلغ سلامنا الاخوان محمد ومحمد وسائر القراء والطلبة وأنت في أمان الله وحفظه والسلام

﴿ جواب كتاب منه اليه يشنع فيه على حج المشاهد والمقابر ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد اللطيف بن عبد الرحمن الى الاخ المحب المكرم سهل بن عبد الله
سهل الله له الطريق الموصلة اليه ووالى افضاله وانعامه عليه
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد : فاحمد اليك الله الذي لا اله الا هو على انعامه ، والخط وصل وصلك
الله بما يرضيه ، وجعلك ممن يخافه ويتقيه ، وسرنا سلامتك وعافيتك الحمد لله على
والك ، وخطك لابن عجلان وجوابه لك وصل ، والواجب على من عوفي في
دينه من هذه الورطات ان يكثر من ذكر الله وشكره ، وفي جوابه من الفهاة
والظلمة مالا يعرفه إلا اباب البصائر ، ولو سلم دينه وصح معتقده لمكانت له
مندوحة عن معاشرة اعداء الله ومداهنتهم والصلاة خلفهم ولو نوى الانفراد
واما ما نقل عن داود من قصد الزيارة وانه ما قصد الحج فنعم وهكذا الحال
عند الغلاة في الانبياء والصالحين حتى صنف بعضهم كتابا سماه حج المشاهد ،
وربما فضل هذه الزيارة على حج بيت الله ، فوصيك بتقوى الله وطلب العلم
والايمان عله ان يجعل لك نوراً تسير به الى الاله الحق الذي في وصولك اليه كل
السعادة والهداية والسيادة في دورك الثلاثة

واعلم ان من حقوق الاخوة في الله ادامة الدعاء لآخوانك في اوقات الاجابة
وبلغ سلامي آخوانك اجازة عامة مطلقة ، ولدينا الوالد والاولاد بخير وينهون السلام

التحذير عن البطالة

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد اللطيف بن عبد الرحمن الى الاخ المحب المكرم محمد بن عمر سلمه
الله تعالى واسبغ عليه نعمه ووالى
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فاحمد اليك الله على سوابغ نعمه ،
وخفي لطفه وكرمه ، المحب في أفس بالاشتغال بالعلوم الشرعية ، جعلها الله وصلة
الى الدرجات العالية في دار السعادة الابدية ، الا ان بعد مثلك يشوش بعض
الاحيان ، ونشكو الى الله فساد اهل الزمان ، ونسأله ان يصلح الحال والشأن ،
والخطوط وصات وسرت بما ابدته من اخبار سلامتك ، وما يتيسر لك من
الكتب المفيدة الشرعية جعلك الله تعالى من وعاء العلوم ورواته ، الفائزين بحسن
ثواب الله ومرضاته ، فايك اياك والبطالة والاهمال والاشتغال بتحصيل عرص
ومال . وقد قيل في المثل : ومن خطب الحسنة لم ينله المهر ، وبلغ سلاحي الوالد
والاولاد والاخ محمد وسهل ومن لديك من الاخوان والسلام .

الوصية الجامعة لزوم التقوى في كل حال

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد اللطيف بن عبد الرحمن الى الاخ المحب المكرم محمد بن عمر الرسلي
سلمه الله تعالى وسلك به الطريق المستقيم
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فاحمد اليك الله الذي لا اله الا هو

على نعمه ومزيد احسانه وكرمه جعلنا الله وإياكم من عباده الشاكرين ، وأجابه
التائبين ، وسبق اليك مع اخويا (١) مهنا خطوط ولا جانا لك جواب فلعلمها وصلت
وأنت بخير وعافية ، وحرر هذا لا بلاغ السلام والتحية ، وتذكر تلك العهود
السافعة المرضية ، وتعاهد الاخوة الدينية الشرعية ، جعلنا الله وإياكم ممن رعاها حق
رعايتها ، وحفظها في ذات الله وما ضيعها ،

والوصية الجامعة لزوم التقوى من حيث كنت مع النظر في حقيقتها وما اشتملت
عليه من أعمال القلوب والجوارح وتوقفها على العلم ومعرفة حدود ما نزل الله على
رسوله من باب توقف اللازم على الملزوم ، والسبب على سببه ،

والجمل شرحها يطول ولكن الإشارة كافية ، وهي عند اللبيب تقوم مقام
العبارة الوافية ، هذا ومن حق الاخوة ملازمة الدعاء بظهر الغيب والظن بك عدم
الاهمال ، وبلغ سلامي الاخوان محمد وسهل ومطلق وابن جاسر ومن عز عليك ،
ومن لدينا الوالد والاولاد وجلة الاخوان بخير ويهدوك السلام والسلام .

(كتابه الى محمد آل عمر وفيه ذكر شرحه كتاب الكبائر)

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد اللطيف بن عبد الرحمن الى الاخ المكرم محمد آل عمر بن سليم
سلمه الله تعالى ، وتولاه وأسعده بالايامن به وتقواه
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(وبعد) فنحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو ، على نعمه ، والخطوط وصلت
وصلك الله بما يرضيه ، وجعلك ممن يخافه ويتقيه ، وقد سرتني سلامتك وعافيتك

(١) أي اخوان

جعلنا الله وإياك من اهل العافية في الدنيا والآخرة . والمحبة لم ينس عهدكم ولم يؤخر جواب خطبكم عن ربيعة جفا ، أو تغير مودة وصفا ، كيف وإياكم من المنزلة والتكريم ما يشهد به كل مصاحب وحميم ، لكن الامور بأوقاتها منوطة ، وبأجلها مربوطة ، والرء غالبا يؤتي من قبل التسويف ، والساحة خلق جليل شريف ، وما أحسن ما قيل :

وما الود إدمان الزيارة من فتي ولكن على مافي القلوب المعول
والمحب والشيخ الوالد على ماتظنون من القيام بجهكم ومراعاة غيبتكم عند
الامام وابنه ، ولا ندخر الذب والحماية ما استطعنا ، وما أشرت اليه من جهد
شرح كتاب الكبار ، فقد هممت به وسودت منه ما تيسر .
ونسأل الله أن يمن بالانعام ، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم ، انه ولي ذلك
وهو على كل شيء قدير .

فإن حصل المقصود نسخنا لكم نسخة ان شاء الله ، وبلغ سلاحي محمد آل
عبدالله وسهل وبراھيم القصير وابن جاسر ومطلق ومحمد آل عثمان وعلي بن
صنيع . ومن لدينا الوالد والعيال والطلبة بخير ويهدون اليكم السلام انتهى

﴿ كتاب منه الى صالح آل عثمان ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد اللطيف بن عبد الرحمن الى الاخ صالح آل عثمان سلمه الله تعالى
وحفظه من طائف الشيطان
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(وبعد) فاني أحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو ، على ما أولاه من الانعام

جعلنا الله وإياك من أوليائهذا الكرين الشاكرين . والخط وصل أوصلاك الله الى ما يرضيه ، وسرنا ما أخبرت به عن نفسك من المجاهدة والعبادة ، نسأل الله لنا ولك ، الثبات في الامر ، والعزيمة على الرشد
وأما المسألة التي سألت عنها في معنى قوله ﷺ « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة »

فمن أحسن ما قيل في معناه: قول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى - في باب المعايينة من شرح المنازل - لما تكلم على ما يزرعه القوم من إدراك نفس الحقيقة والانوار التي يمجدها وانها أمثلة وشواهد ، قال : وحقيقتها هي وقوع القوة العاقلة على المثال العلمي المطابق للخارجي فيكون إدراكه له بمنزلة إدراك العبد للصورة الخارجية ، وقد يقوى سلطان هذا الادراك الباطن بحيث يصير الحكم له ، ويقوى استحضار القوة العاقلة لمدركا بحيث يستغرق فيه ويغلب حكمه اقاب على حكم الحس والمشاهدة ويستولي على السمع والبصر بحيث يراه ويسمع خطابه في الخارج او في النفس والذهن لكن لغلبة الشهود وقوة الاستحضار وتمكن حكم القلب واستيلائه على القوى صار كأنه مرئي بالعين مسموع بالاذن بحيث لا يشك المدرك في ذلك ولا يرتاب ألبنة ، ولا يقبل عذلا ، وحقيقة الامر ان ذلك كله شواهد وامثلة علمية تابعة للمعتقد - إلى أن قال : وليس مع القوم الا الشواهد والامثلة العلمية والرفائق التي هي ثمرة قرب القلب من الرب وأنسه واستغراقه في محبته ، وذكره واستيلاء سلطان معرفته عليه ، والرب تبارك وتعالى وراء ذلك كله منزله مقدس عن اطلاع البشر على ذاته وانوار ذاته وصفاته ، وانما هي الشواهد التي تقوم بقلب العبد كما يقوم بقلبه شاهد الآخرة والجنة والنار ومأعد الله لاهلها . وهذا هو الذي وجده عبد الله بن حرام يوم أحد لما قال : واهل ربح الجنة ، اني لأجد ريحها دون أحد ، ومنه قوله ﷺ « اذا مررتم برياض الجنة

فارتعوا » وقوله « ما بين يتي ومنبري روضة من رياض الجنة » فهي روضة لاهل العلم والايمان لما يقوم بقلوبهم من شواهد الجنة حتى كأنها لهم رأي العين واذا قعد المنافق هناك لم يكن ذلك المكان في حقه روضة من رياض الجنة، فالعمل انما هو على الشواهد وعلى حسب شاهد العبد يكون عمله ، تنتهي ملخصاً وبه يظهر معنى الحديث ، وان اختصاص هذا المكان بكونه روضة من رياض الجنة لما يقوم بقلب العبد من المثال والشاهد الذي يقوي سلطانه هناك وتظهر ثمرته، ويجد المؤمن من اذنه وروحه حتى كأنه رأي عين وفي هذا القدر كفاية والله الموفق . ولا تدخر عمارة مجلسك بذكر الله والدعوة اليه ونشر العلم الذي أنزله على رسوله ﷺ من الكتاب والحكمة

بسمه الرتجاء الى الله والثقة به

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده . أنشدنا شيخنا الشيخ عبد اللطيف دامت افادته هذه الايات :

يا من له الفضل محضاً في بريته وهو المؤمل في الضراء والباس
عودني عادة أنت الكفيل بها فلا تكلني إلى خلق من الناس
ولا تذلل لهم من بعد عزته وجهي المصون ولا تحفض لهم رأسي
وابعث على يد من ترضاه من بشر رزقي وصنه عن قلبه قاسي
فان حبل رجائي فيك متصل بحسن صنعمك مقطوعا عن الناس

أنشدنا هذه الايات شيخنا شرف الدين الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن أدام الله افادتهما وذكر شيخنا عبد اللطيف ان الله بعث لمنشئهم رزقا

بسبب فأرة خرجت من جحر وبقيها دينار فخره فوجد دنانير كثيرة
نقل من خط الشيخ محمد آل عمر آل سليم . قال الشيخ محمد بن عمر آل
سليم رحمه الله

أملى على شيخنا الشيخ عبداللطيف دامت افادته هذه النصيحة وهي
من عبداللطيف بن عبدالرحمن الى جناب الامام المكرم فيصل بن زكي وفقه
الله لقبول النصائح ، وجنبه أسباب الندم والفضائح آمين . سلام عليكم ورحمة الله
وبعد فلا يخفى عليك مامن الله به تعالى

﴿ في تعظيم أوامر الله ومجاهدة أعدائه ﴾

﴿ والولي في النكاح وسؤال الله بحق نبيه ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد اللطيف بن عبد الرحمن إلى الاخ المكرم حمد بن عبدالعزيز العريني
سلمه الله تعالى، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته
وبعد : فاحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو على نعمه ، والخط وصل ، وما
ذكرت من غربة الدين فالامر أجل وأكبر من الغربة ، أكثر أصوله وشعبه
معدومة في الخواص فكيف بالسوقة ، ومن لانهمة لهم في معرفة ما جاءت به الرسل
كالغيرة لله ولحرماته ، وتعظيم أوامره ومجاهدة أعداء دينه والبراءة من موالاة
المشركين وأعداء رب العالمين ، والتحيز إلى أهل الايمان وموالاتهم ونصرهم
ولزوم جماعة المسلمين، وغير ذلك من حقائق الدين ، وشعب الايمان . وهذه معدومة
نسأل الله لنا ولكم الثبات على دينه والتمسك به عند فساد الزمان

وما ذكرت من مشكلة الولي فالمشهور الذي عليه الاكثر تقديم المكلف الرشيد
في تزويج مولاته على من هو أقرب منه ممن لم يبلغ التكليف ولم يعرف مصالح النكاح
وأما سؤال الله بحق نبيه أو وليه فلا تصدر إلا من جاهل بأحكام الشريعة
وما يستحب وما يكره . والاولى تنبيه هذا الخطيب على ان هذا قدمه أئمة الاسلام
وأهل الحل والعقد في الاحكام

(تمت)

رسالة

في القول فيما يذهب اليه الناس اليوم من العقيدة الاشعرية وإمامة من يعتقدوها وتولية القضاء

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن رسائل الشيخ رسالة أرسلها إلى محمد بن عبد الله وعبد الله بن سالم وسببها ان الشيخ عبد اللطيف بن مبارك نصب في بعض مساجد الاحساء من يتهم بمذهب الاشاعرة من غير اذن الامام فيصل بن تركي آل سعود رحمه الله قال فيها :

من عبد الله بن حسن الى الاخوين المكرمين محمد بن عبد الله وعبد الله بن سالم. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فقد وصل الكتاب وفهمت ما تضمنه من الخطاب وما ذكرتما من نصب الشيخ عبد اللطيف لهؤلاء الاله لاد اثلاثة فالعادة ان مثل هذا يرجع فيه الامام لان نصبه له في أمر خاص وهو فصل القضايا بين الناس

وأما النظر فيمن يصلح للإمامة والتدريس فيرد إلى الامام وربما ان الامام يجعل لنا فيه بعض الشورى لان كثيراً من الناس متخفاناً حالهم وعقائدهم ، ونصب الامام لقضاة نجد كذلك

والشيخ احمد بن مشرف يسامي الاكابر ومثلهم ما ينسب له ، والذي نعلم منه صحة المعتقد في توحيد الانبياء والمرساين الذي جهله أكثر الطوائف ، كذلك هو رجل سلفي ثبت من صفات الرب تعالى ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ على ما يليق بجلال الله وعظمته

وأما أهل بلدكم في السابق وغيرهم فهم أشاعرة والاشاعرة أخطوا في ثلاث مسائل من أصول الدين (منها) تأويل الصفات وهو صرفها عن حقيقتها التي تليق بالله

٤٥٤ المتأخرون يقلدون في العقائد ناساً لا اطلاع لهم على التوحيد الصحيح

وحاصل تأويلهم سلب صفات الكمال عن ذي الجلال ، أيضاً أخذوا ببدعة عبد الله ابن كلاب في كلام الرب تعالى وتقدس ، ورد العلماء عليهم في ذلك شهير مثل الامام احمد والشافعي^(١) وأصحابه والخلال في كتاب السنة وامام الائمة محمد بن خزيمة واللالكائي وابي عثمان الصابوني الشافعي وابن عبد البر وغيرهم من أتباع السلف كمحمد بن جرير الطبري وشيخ الاسلام الانصاري

وقد رجع كثير من المتكلمين الخائضين كالشهرستاني شيخ أبي المعالي والغزالي وكذلك الاشعري قبلهم في كتابي الابانة والمقالات ، ومع هذا وغيره فبقى هذا في المتأخرين المقلدين لانس من المتأخرين ليس لهم اطلاع على كلام العلماء وكانوا يمدون من العلماء ، وأخطوا أيضاً في التوحيد ولم يعرفوا من تفسير لا إله إلا الله إلا أن معناها: القادر على الاختراع ، ودلالة لا إله إلا الله مع هذا دلالة التزام لان هذا من توحيد الربوبية الذي أقربت به الامم ومشركو العرب كما قال تعالى (قل لمن الارض ومن فيها إن كنتم تعلمون * سيقولون لله ، قل أفلا تتقون) الآيات وهي كثيرة في القرآن يحتاج تعالى عليهم بذلك على ما أنكروه من توحيد الالهية الذي هو معنى لا إله إلا الله مطابقة وتضمنا ، وهو الذي دعا اليه الناس في أول سورة البقرة وفي سورة آل عمران والنساء وغيرها ودعت اليه الرسل (ألا تعبدوا إلا الله) وهو الذي دعا اليه رسول الله ﷺ وقد نصارى نجران ودعا اليه العرب قبلهم كما قال أبو سفيان لهرقل لما سأله عما يقول رسول الله ﷺ قال يقول « اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً » وكل السور المكية في تقرير معنى لا إله إلا الله وبيانه

فاذا كان العلماء في وقتنا هذا وقبله في كثير من الامصار ما يعرفون من لا إله إلا الله إلا توحيد الربوبية كمن كان قبلهم في عصر شيخ الاسلام ابن تيمية ، وابن القيم ، وابن رجب ، اغتروا بقول بعض العلماء من المتكلمين ان

(١) بياض في الاصل

معنى لا إله إلا الله القادر على الاختراع ، وبعضهم يقول معناها الغنى عما سواه ،
الفقير إليه ماعداه

وعلماء الاحساء ماعدوا شيخنا رحمه الله في مبدأ دعوته إلا من أجل انهم
ظنوا أن عبادة يوسف والعيدروس وأمثالهم لا يستفاد بطلانها من كلمة الاخلاص
والله سبحانه بين لنا معنى هذه الكلمة في مواضع كثيرة من القرآن، قال تعالى
عن خليله عليه السلام (وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه انني براء مما تعبدون إلا
الذي فطرني فإنه سيهدين ، وجعلها كلمة باقية في عقبه) فعبّر عن هذه الكلمة
بمعناها وهو نفي الشرك في العبادة وقصرها على الله وحده . وقال عن أهل الكهف
(وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله)

فاذا كان هذا التوحيد الذي هو حق الله على العباد خفي على أكابر العلماء في
أزمنة سلفت فكيف لا يكون بيانه أهم الامور؟ خصوصا اذا كان الانسان لا يصح
له اسلام ولا ايمان إلا بمعرفة هذا التوحيد وقبوله ومحبته والدعوة اليه، وتطلب
أدلتها واستحضارها ذهنا وقولا وظلما ورغبة

فهذه نصيحة مني لكل انسان ، دعاني اليها غربة الدين وقلة المعرفة فيه .
فينبغي أن تشاع وتذاع في محاضر أهل العلم يقبلها من وفقه الله تعالى للخير فانها
خير مما كتبت فيه باضعاف أضعاف والاسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وصلى
الله على محمد وآله وصحبه وسلم

فتاوى في مسائل مختلفة

﴿ في الديات والجروح ودم الذمي والمعاهد والحربي ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم
(ولا حول ولا قوة إلا بالله)

من عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ، إلى الاخ سعيد بن أحمد
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) وصل خطك ، تسأل عن اليد إذا
قطعت من المرفق ولم يبق فيها إلا جلدة يسيرة (الجواب) أن في اليد نصف المدية
ولا عبرة في الجلدة

(المسئلة الثانية) عن رجل ضرب في فخذه بسهم فخرجت منه وأصابته الفخذ
الآخر فأبانت اللحم والجلد (والجواب) أن الجروح في الرجل والمخذ لا تقدر فيها
إذا سلم العظم ولم تعطل منفعة العضو ، ولكن فيها حكومة وهي أن يقوم المجني
عليه قيمة عبد ثم ينظر ما نقصته الجروح ، فإن نقصت عُشر القيمة أو ثُمُنُها مثلاً
فيعطى من دية الحر الخمس أو العشر

(المسئلة الثالثة) رجل ضرب في كفه الأيمن وحصل بالكف عيب ، فإن
تعطل بالكلية ففيه الدية ، وإن تعطل بعض الأصابع ففي كل أصبع إذا تعطلت عشر الدية
(المسئلة الرابعة) لا يمنع المسلم عن قتل المشرك الحربي ولو كان جاراً للمسلم
أو معه في الطريق إلا إذا أعطاه ذمة أو أمنه أحد من المسلمين ، ففي الحديث « ذمة
المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم »

(المسئلة الخامسة) إذا ضرب المشرك وجرح فدمه هدر ، إلا الذمي والمعاهد
والمستأمن فديتهم إذا أصيبت نفس أحدهم ثمانمائة درهم ، والجروح ينظر فيها
على قدر دياتهم

(المسئلة السادسة) المساقاة هل يصح من كل نخلة عذقا (الجواب) لا تصح المساقاة بعنق معين أو ثمرة نخلة معينة ، وأما بالسدس أو السبع أو اقل أو اكثر من غير تعيين الشجر فيصح

(المسئلة السابعة) هل يصح أخذ الزكاة دراهم عن ثمرة النخل اذا بيعت ؟ (الجواب) أكثر العلماء لا يجيزون هذا ، وأجازه شيخ الاسلام ابن تيمية ، وهو إمام جليل رحمه الله

(المسئلة الثامنة) نفقة الحامل والمرضع (الجواب) الحامل ينفق عليها بحسب يسار الزوج وعسره وبحسب حالها ، فلا تجعل ذات الاغنياء التمتع بمثل الفقيرة وأما المرضع اذا لم تكن في عدة فتعطى أجره المثل

(المسئلة التاسعة) المعتدة من الوفاة ما تفعل ؟ (الجواب) تعتد أربعة أشهر وعشرًا تلزم فيها البيت الذي توفي زوجها عنها فيه ، ولا تخرج الا الحاجة لا بد منها ، وتجتنب الزينة من اثياب والكحل والحنا والحلي والادهان (المسئلة العاشرة) اذا حاضت المرأة حيضتين بعد الطلاق وتزوجت قبل الثالثة فالنكاح باطل ، وتعتد من الاول والثاني

(المسئلة الحادية عشر) هل للمشرك ولاية على المسلمة ؟ (الجواب) ليس للمشرك على المسلمة ولاية ، فان لم يكن لها ولي مسلم فأمرها الى الامير (المسئلة الثانية عشرة) اذا امتنع المسلم عن تزويج موليته من غير وجه شرعي فهو عاضل تنتقل الولاية الى اقرب عصبتها بعده ، ويزوجها اذا عضل من هو أقرب منه

(المسئلة الثالثة عشر) الصغير قبل البلوغ لا يصح ان يلي العقد ، فان زوج يعاد العقد على يد الولي البالغ الرشيد (المسئلة الرابعة عشر) متى يجب على الصبي الصوم ؟

(الجواب) العبادات كلها لا تجب إلا بعد البلوغ ، وأما ولي الصغير فيجب عليه أمره وتدريبه على العبادات اذا ميز وعقلها ليعتادها ويألف الخير (المسئلة الخامسة عشر) متى يدفع الى اليتيم ماله ؟
(الجواب) اذا بلغ خمسة عشر سنة أو نبتت العانة أو احتلم مع رشده ، فإذا ظهر رشده في المال دفع اليه

(المسئلة السادسة عشر) اذا زوج ولي الامر والاولياء حاضرون بغير إذنهم لم يصح العقد لحديث « لا كحاح إلا بولي وشاهدي عدل » وأما اذا امتنع الولي ولم يكن سواه من الاولياء إلا ولي الامر فيزوج اذا كان القريب عاضلا يمنع الكفء أو يطالب دراهم لنفسه

(المسئلة السابعة عشر) الخضرة أو ثمرة القطن أو غيره اذا أكلته الدواب ما حكه ؟
(الجواب) هل أهل الدواب أن يحفظوها ليلا وما أكلته بالليل فهو مضمون لصاحبه بقيمته ، وما أكلته نهائراً فلا ضمان فيه لان الحفظ والحراسة في النهار على أهل المزارع والخضرة ، إلا أن نتج صاحب الدابة لها بابا مغلقا أو هدم جداراً وأدخلها فيضمن حينئذ

(المسئلة الثامنة عشر) الشجرة المنشورة يحرم قطعها بغير إذن المالك وعلى من قطع الضمان بالقيمة ، وكذلك اذا قطع السعف من النخل ففيه اقيمة بحسب حل البلد (المسئلة التاسعة عشر) المشرك اذا أودع المسلم أو أودعه المسلم ؟

(الجواب) يصح الايداع والتوديع والرهن وشبهه وعليه الحذر من المداينة والمجالسة التي يرى أو يسمع فيها المنكر

(المسئلة العشرون) من طاب من الثمرة عند الجذاذ يعطى اذا كان فقيراً أو مسكيناً ما يسد جوعته ، وأما اذا طلب من الزكاة فيعطى بحسب الزكاة وقدرها وكثرة المساكين

(وأما الحادية والعشرون) إذا طلق على عوض هل رجعتها بيده أم لا ؟
الطلاق بائن إذا كان على عوض لا رجعة له بل لا بد من عقد جديد أن استكمل
ثلاث طلقات للحر واثنين للعبد

(اثنية والعشرون) الأم أولى بحضانة أولادها إلا إذا تزوجت فتنقل
الحضانة الى غيرها كالجدة والاخت والخالة ، واليتيم إذا كان له مال فيتولاه
الوصي من جهة أبيه ، فإن لم يكن سناك وصي فيجب على الحاكم الشرعي وهو
قاضي البلد أو الامير أن يولي على ما لهم من يحفظه من أهل الامانة والديانة
(الثالثة والعشرون) الوصي على صدقة الميت فطرة او غيرها أحق بالولاية
من الورثة والعصبة لان الميت اختاره ورضيه والله أعلم
(الرابعة والعشرون) إذا زوج غير الولي فأنكاح فاسد ولا ترث بالنكاح
الفاسد والله أعلم

﴿ حكم وطء الرجل مملوكة ولده ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(مسألة) ما قولكم في رجل وطئ جارية انته ولم يملكها قبل ذلك وبنته
محتاجة إليها وهي قد ملكتها بالميراث من زوجها
فاجاب الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بقوله : لا يجوز له أن يطاء
مملوكة ولده مادامت في ملك الولد ، واما إذا تملكها تملكاً شرعياً بشرط ان لا
يضر بولده ولا تملق بها حاجة الولد ولا يقصد اعطاءها لولد آخر ، فاذا تمت
هذه الشروط وقبضها جاز له بعد الاستبراء ان يطاءها والله اعلم

رسالة

(في الاعتصام والاتباع والنهي عن التفرق والابتداع)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمده ونستعينه ونستغفره ونتوب اليه ، ونعوذ بالله من شرور
أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له . ومن يضلل فلا هادي له
وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له . وأشهد أن محمد عبده ورسوله . من
يطعم الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد غوي، ولن يضر الله نفسه
ولن يضر الله شيئاً . وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .
أما بعد فقد قال الله تعالى (قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن
اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين)

وقل تعالى (ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم)
وقل تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقال تعالى
(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً)
فأخبر سبحانه أنه أكمل الدين وأتمه على لسان رسوله ﷺ وأمرنا بلزوم ما أنزل
اليينا من ربنا وترك البدع والتفرق والاختلاف فقال تعالى (اتبعوا ما أنزل اليكم
من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء قليلاً ما تذكرون) وقال تعالى (وان هذا
صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به
لعلكم تتقون) والرسول ﷺ قد أخبر بان أمته تأخذ مأخذ القرون قبلها شبراً
بشبر وذراعاً بذراع

وثبت في الصحيحين وغيرهما عنه ﷺ انه قال « لتتبعن سنن من كان
قبلكم حذوا انقذة باتقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه - قالوا يا رسول الله

اليهود والنصارى - قال فن؟ « وأخبر في الحديث الآخر » ان امته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة - قالوا من هي يا رسول الله؟ - قال من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي »

إذا عرف هذا فمعلوم ما قد عمت به البلوى من حوادث الامور التي أعظمها الاشراك بالله ، والتوجه الى الموتى وسؤالهم النصرة على الاعداء، وقضاء الحاجات وتفريج الكربات التي لا يقدر عليها الا رب الارض والسموات ، وكذلك التقرب اليهم بالذنور، وذبح قربان والاستغاثة بهم في كشف الشدائد وجلب الفوائد ، الى غير ذلك من أنواع العبادة التي لا تصلح إلا لله

وصرف شيء من انواع العبادة لغير الله كصرف جميعه وان سبجانه أغنى الاغنياء عن الشرك ، ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً كما قال تعالى (فاعبد الله مخلصاً له الدين * ألا الله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار)

فأخبر سبحانه انه لا يرضى من الدين الا ما كان خالصاً لوجه الله، وأخبر أن المشركين يدعون الملائكة والانبيا والصالحين ليقربوهم الى الله زلفى ويشفعوا لهم عنده، وأخبر انه لا يهدي من هو كاذب كفار ، فكذبهم في هذه الدعوى وكفرهم فقال (ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار) وقال تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات والارض؟ سبحانه وتعالى عما يشركون) فأخبر أن من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة فقد عبدهم وأشرك بهم ، وذلك ان الشفاعة كلها لله كما قال (قل لله الشفاعة جميعا) فلا يشفع عنده أحد الا بأذنه كما قال تعالى (من ذا الذي يشفع عنده الا بأذنه)

وقال تعالى (فيومئذ لا تنفع الشفاعة الا لمن أذن له الرحمن ورضي له قولاً) وهو سبحانه لا يرضى الا التوحيد كما قال تعالى (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) فالشفاعة حق ، ولا تطلب في دار الدنيا الا من الله كما قال تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) وقال (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ، فإن فعلت فانك اذاً من الظالمين)

فاذا كان الرسول ﷺ وهو سيد الشفعا ، وصاحب المقام المحمود ، وآدم فمن دونه تحت لوائه لا يشفع الا باذن الله ، لا يشفع ابتداء بل يأتي فيخر ساجداً فيحمد الله بحمده يعلمه اياها ثم يقال : ارفع رأسك وقل يسمع ، وسل تعط واشفع تشفع ، ثم يحمد له لحداً فيدخلهم الجنة - فكيف بغيره من الانبياء والاولياء ؟ وهذا الذي ذكرناه لا يخالف فيه أحد من علماء المسلمين بل قد أجمع عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين والائمة الاربعة وغيرهم ممن سلك سبيلهم ، ودرج على منهمجهم

وأما ما حدث من سؤال الانبياء والاولياء الشفاعة بعد موتهم ، وتعظيم قبورهم ببناء القباب عليها وإسراج السرج والصلاة عندها ، واتخاذها أعياداً وجعل السدنة والنذور لها . فكل ذلك من حوادث الامور التي أخبر بوقوعها النبي ﷺ « انه لا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين وحتى يعبد قنাম من أمتي الاوثان » وهو ﷺ حمى جناب التوحيد أعظم حماية ، وسد كل طريق يوصل الى الشرك . فنهى أن يخصص القبر وأن يبنى عليه كما ثبت في صحيح مسلم من حديث جابر

وثبت فيه أيضاً انه بعث علي بن أبي طالب وأمره « أن لا يدع قبراً مشرفاً الا

سواه ، ولا تمثالا إلا طمسه » ولهذا قل غير واحد من العلماء : يجب هدم القباب المبنية على القبور لأنها أسست على معصية الرسول ﷺ

هذا هو الذي أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس حتى آل بهم الامر الى أن كفرونا وقتلونا واستحلوا دماءنا وأموالنا حتى نصرنا الله عليهم ، وأظفروا بهم ، وهو الذي ندعوا الناس اليه ، ونقاتلهم عليه ، مع ما نقيم عليهم من الحججة من كتاب الله وسنة رسوله وإجماع السلف الصالح من الائمة ممثلين لقوله سبحانه (وقتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله)

فمن لم يجب الدعوة بالحجة والبيان ، دعواناه بالسيف والسنان ، كما قال تعالى (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز)

وندعوا الناس الى إقام الصلاة في الجماعة على الوجه المشروع ، وإيتاء الزكاة وصوم شهر رمضان وحج بيت الله الحرام ، ونأمر بالمعروف وننهي عن المنكر كما قال تعالى (الذين إن مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، والله عاقبة الامور)

فهذا هو الذي نعتقد وندين الله به ، فمن عمل بذلك فهو أخونا المسلم ، له مالنا وعليه ما علينا

ونعتقد أيضا ان امة محمد ﷺ المتبعين لسنة لا تجتمع على ضلالة ، وانه لا تزال طائفة من أمته على الحق منصوره لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي امر الله وهم على ذلك

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

رَسَائِلُ وَفَتَاوَى

تَأَلَّفَ

شَيْخَنَا وَإِمَامُنَا، نَاصِرُ السُّنَّةِ وَقَامِعُ الْبِدْعَةِ
الْعَلَّامَةُ الشَّيْخُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَبِي بَطِينٍ

أَجْزَلَ اللَّهِ لَهُمُ الْأَجْرَ وَالْثَوَابَ

بسم الله الرحمن الرحيم

تسميد الشيخ ابن تيمية وتلميذه في أمر الشرك

(إنما هو اتباع لما جاء عن الله ورسوله في ذلك)

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين إلى جناب الأخ إبراهيم بن عجلان، وفقه الله إضاءته، وهداه بهدأته آمين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . والخط وصل وصلك الله إلى الخير وصرف عنا وعنكم كل ضير ، وذكر في خطك أشياء ينبغي تنبيهك عليها .

(منها) قولكم «ان الشيخ تقي الدين ابن تيمية شدد في أمر الشرك تشديداً لا مزيد عليه» قاله سبحانه هو الذي شدد في ذلك لقوله سبحانه (ان الله لا يفرق أن يشرك به) في موضعين من كتابه ، وقال على لسان المسيح لبني اسرائيل (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة) الآية ، وقال الله تعالى لنبيه ﷺ (ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك) الآية وقال (ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) وقال سبحانه (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذلهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد)

وفي السنة اثنا بة عن النبي ﷺ من التحذير عن الشرك والتشديد فيه مالا يحصى . وغالب الاحاديث التي يذكر فيها ﷺ الكبائر يبدؤها بالشرك . ولما سئل ﷺ : أي الذنب أعظم عند الله ؟ قال « أن تجعل لله نداً وهو خلقك »

اذا عرف ذلك تعين على كل مكلف معرفة حد الشرك وحقيقته لاسيما في هذه الازمنة التي غلب فيها الجهل بهذا الامر العظيم والشيخ تقي الدين وتلميذه انما بالغوا في بيان هذا الشرك وايضاحه لما شاهدوا من ظهوره في زمنهما وكثرته في بلاد الاسلام وبيننا بطلانه بالادلة والبراهين القاطعة الواضحة ، كما قل أبو حيان في حق الشيخ :

قام ابن تيمية في نصر شرعتنا مقام سيد تيم اذ عصت مضر
وأظهر الحق إذ آثاره اندرست وأخذ الكفر إذ طارت له شرر
وقولك : ان هذه الامور المحدثه منها ماهو شرك اكبر ومنها ماهو اصغر
فالامر كذلك ، لكن يتعين معرفة الاكبر المخرج من الملة الذي يحصل به الفرق
بين المسلم والكافر ، وهو عبادة غير الله ، فنجعل شيئا من العبادة لغير الله فهو
المشرك الشرك الاكبر

من ذلك الدعاء الذي هو مخ العبادة كالتوجه الى الموتى والغائبين بسؤالهم
قضاء الحاجات وتفريج الكربات ، كذلك الذبح والنذر لغير الله .

كذلك يتعين البحث عن الشرك الاصغر ، فنه الحلف بغير الله ونحو تعليق
الخرز والتمائم من العين ، وكيسير الرياء في أنواع كثيرة لا تحصى

ومن كلام الشيخ تقي الدين وقد سئل عن الوسائط ، فقال بعد كلام : وإن
أراد بالواسطة انه لا بد من واسطة يتخذها العباد بينهم وبين الله في جلب المنافع
ودفع المضار ، مثل أن يكونوا واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم يسألونهم
ذلك ويرجعون اليهم فيه ، فهذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين
حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يجلبون بهم المنافع ويدفعون بهم المضار ،
الى أن قال : قال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف
الضر عنكم ولا تحويلا - الى قوله - ان عذاب ربك كان محذورا)

قل طائفة من الساف : كان اقوام من الكفار يدعون عيسى وعزيراً والملائكة والانبيا فيبين الله لهم أن الملائكة والانبيا لا يملكون كشف الغر عنهم ولا تحويله، وانهم يتقربون اليه، ويرجون رحمته، ويخافون عذابه - إلى أن قل رحمه الله - فمن جعل الملائكة والانبيا وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جاب المنافع ودفع المضار، مثل أن يسألهم غفران الذنوب، وهداية القلوب، وتفريج الكربات، وسدا فقات، فهو كافر مشرك باجماع المسلمين - إلى أن قال :

فمن أثبت وسائط بين الله وبين خلقه كالحجاب الذين يكونون بين الملك ورعيته بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه، وان الله انما يهدي عباده ويرزقهم وينصرهم بتوسطهم، بمعنى أن الخلق يسألونهم وهم يسألون الله كما ان الوسائط عند الملوك يسألون حوائج الناس لقربهم منهم والناس يسألونهم أدباً منهم لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب. فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب فان تاب وإلا قتل، وهؤلاء مشبهون شبهوا الخلق بالخلقين وجعلوا لله أنداداً

وفي القرآن من الرد على هؤلاء ما لا تتسع له هذه الفتوى فان هذا دين المشركين عباد الاوثان الذين كانوا يقولون انها تماثيل الانبياء والصالحين، وانها وسائل يتقربون بها إلى الله . وهو من الشرك الذي أنكره الله على النصارى - إلى أن قال :

وأما الشفاعة التي نفاها القرآن كما عليه المشركون والنصارى ومن ضاهاهم من هذه الامة فينفيا أهل العلم والايمان، مثل انهم يطلبون من الانبياء والصالحين والغائبين والميتين قضاء حوائجهم ويقولون إنهم إن أرادوا ذلك قضوها، ويقولون إنهم عند الله كخواص الملوك عند الملوك، ولهم على الملوك ادلال يقضون به حوائجهم فيجعلونهم لله بمنزلة شركاء الملك. والله سبحانه قد نزه نفسه عن ذلك انتهى ملخصاً .

فهذا الذي ذكر الشيخ رحمه الله 'إجماع المسلمين على أن مرتكبه مشرك كافر يقتل، هو الذي زعم داود البغدادى أنه جائز، بل زعم أن الله أمر به وأنه معنى الوسيلة التي أمر الله بها في قوله (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة) وزعم أن الوسيلة التي أمر الله بها أمر الإيجاب أو استحباب بطلب الحاجات وتفريج الكربات من الاموات والغائبين

وزعم أن الشرك هو السجود لغير الله فقط، وأن دعاء الاموات والغائبين وانتقرب اليهم بالندور والذبائح ليس بشرك بل هو مباح، ثم زاد على ذلك بالكذب على الله وعلى رسوله، وزعم أن الله أمر بذلك وأحبه، لم يقتصر على دعوى اباحة ذلك، بل زعم أن الله أمر عباده المؤمنين أن يقصدوا قبور الاموات ويسألوهم قضاء حاجاتهم، وتفريج كرباتهم، فسبحان الله ما أجراً هذا على الافتراء والكذب على الله

فلو أن انسانا ادعى اباحة بعض صفات الذنوب كأن زعم انه يباح للرجل تقبيل المرأة الاجنبية لكان كافراً باجماع المسلمين، وان زاد على ذلك بان قال ان الله يحب ذلك وبرضاه فقد ازداد كفراً على كفره فكيف بمن زعم ان الله أباح الشرك الا كفر ثم زاد على ذلك بان قال : ان الله امر به وأحب من عباده المؤمنين أن يسارعوا اليه ؟ ما أظلم هذه الجراءة،

وكلام شيخ الاسلام في هذه المسئلة كثير لا يخلو غالب مصنفاته من الكلام عليها . وذكر رحمه الله عن بعض علماء عصره انه قال : هذا من أعظم ما بينته انما وذكر رحمه الله في الرسالة السنية لما ذكر حديث الخوارج قال : واذا كن في زمن رسول الله ﷺ من قد مرق من الدين مع عبادة العظيمة، فليعلم ان المتسبب الى لاسلام في هذا الزمان قد يمرق أيضاً. وذلك بامور: منها الغلو الذي

ذمه الله كالغلو في بعض المشايخ، مثل انشيخ عدي^(١) بل الغلو في علي بن ابي طالب، بل الغلو في المسيح، فكل من غلا في نبي او رجل صالح وجعل فيه نوعاً من الالهية مثل ان يدعو من دون الله بأن يقول: ياسيدي فلان أغثني او اجرني او توكت عليك او أنا في حسبك، فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب ولا قتل، فان الله ارسل الرسل وانزل الكتب ليعبد وحده، ولا يجعل معه إله آخر،

والذين يجعلون مع الله آلهة أخرى مثل الملائكة والمسيح وعزير والصالحين او قبورهم لم يكونوا يعترفون انها ترزق، وتدبر أمر من دعاها، وانما كانوا يدعونهم يقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، فبعث الله الرسل تنهى ان يدعى أحد من دونه لادعاء عبادة ولا دعاء استعانة، وكلامه رحمه الله في هذا الباب كثير وكذلك ابن القيم بالغ في إيضاح هذا الامر وبين بطلانه كقوله في شرح المنازل: ومنه — اي الشرك — طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم — والتوجه اليهم، فان هذا اصل شرك العالم فان الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً فضلاً عن استغاثة به وسأله أن يشفع له انتهى

وهذا الذي قال انه أصل شرك العالم — هو الذي يزعم داود البغدادي ان الله امر به تعالى الله عما يقول المفترون علواً كبيراً

وقال ابن القيم في الهدى — في فوائد غزوة الطائف — ومنها انه لا يجوز ابقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وابطالها يوماً واحداً فانها شعائر الكفر والشرك، ولا يجوز الاقرار عليها البتة. قال: وهذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت اوثاناً وطواغيت تعبد من دون الله وكذا الاحجار

(١) لعله الشيخ عدي بن مسافر الذي تؤلفه فرقة ابن زيد بالعراق الذين يقال عنهم انهم يعبدون الشيطان

التي تقصد بالنعظيم والتبرك والنذر والتقبيل فلا يجوز ابقاء شيء منها على وجه الارض مع القدرة على إزالتها ، وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة الثلاثة الاخرى ، بل اعظم شركا عندها وبها . والله المستعان

ولم يكن أحد من أرباب هذه الطواغيت يعتقد انها تحلق وترزق ونحيي وتميت ، وانما كانوا يفعلون عندها وبها مايفعله اخوانهم من المشركين اليوم عند طواغيتهم ، اتبع هؤلاء سنن من كان قبلهم وسلكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة ، وأخذوا مأخذهم شبرا بشبر وذراعا بذراع . وغلب الشرك على أكثر النفوس لظهور الجبل وخفاء العلم ، وصار المعروف منكرا ، والمنكر معروفا ، والسنة بدعة ، والبدعة سنة . ونشأ في ذلك الصغير ، وهرم عليه الكبير ، وطمست الاعلام ، واشتدت غربة الاسلام ، وقل العلماء ، وغلب السفهاء ، وتفاقم الامر واشتد الناس ، وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس . ولكن لا تزال طائفة من العصابة الحمديدية بالحق قائمين ، ولاهل الشرك والبدع مجاهدين ، الى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين . انتهى

فنظر قوله في المشاهد التي بنيت على القبور كونها اتخذت أوثانا وطواغيت وربما ينفر قلب الجاهل من تسمية قبر نبي أو رجل صالح وثنا ، وقد قال النبي ﷺ « اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد »

فهذا الحديث يبين انه لو قصد قبر النبي ﷺ بعبادة له كان قاصده بذلك قد اتخذ ثنا ، فكيف بغيره من القبور ؟

وقوله رحمه الله : كثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة الثلاثة الاخرى ، بل أعظم شركا عندها وبها . صدق رحمه الله لما شاهدنا في هذه الازمنة من الغلو والشرك العظيم ، من كون كثير من الغلاة عند الشدائد في البر والبحر يخلصون الدعاء لمعبودهم ، وكثير منهم ينسبون الله عند الشدائد كماهو مستفيض عند الخاصة

والعامة ، وقد أخبر الله عن المشركين الأولين أنهم يخلصون عند الشدائد والدعاء له سبحانه وتعالى وينسون آلهتهم . ونصوص القرآن في ذلك كثيرة كما قل سبحانه (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين * واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه) وقال (قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين ؟ * بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه إن شاء وتذنون ما تشركون * واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيباً اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله أندادا)

فهذا اخباره سبحانه عن المشركين الذين بعث اليهم رسول الله ﷺ ينهاهم عن الشرك ويأمرهم بالتوحيد . وغالب مشركي أهل هذا الزمان بعكس ذلك وقول ابن القيم رحمه الله : غلب الشرك على أكثر النفوس ، وسبب ذلك كله ظهور الجهل وقلة العلم . فهذا قوله فيما شاهده في زمانه ببلاد الاسلام ، فكيف لو رأى هذا الزمان ؟ وفي الحديث « لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه » قال ابن مسعود « لا أقول زمان أخصب من زمان ولا أمير خير من أمير ، ولكن بذهاب خياركم وعلمائكم » فكيف لو شاهد من يقول : ان الله أمر بطلب الحاجات من الاموات ، ويقول انما الشرك هو السجود لغير الله لا غير ، كما قل ذلك داود البغدادى مشافهة لي ، فيلزمه ان قصد المشركين الأولين لآلهتهم كاللات والعزى ومناة وكذلك هبل إذ طلب الحاجات منها وكشف الكربات والتقرب اليها بالذبور والذبايح ، ان هذا ليس بشرك اذا لم يسجدوا لها . فيا سبحان الله كيف يبلغ الجهل بمن ينسب الى علم الى هذه الفضيحة ؟

وقال ابن القيم رحمه الله : رأيت لأبي الوفاء ابن عقيل فصلاً حسناً فذكرته بلفظه قال : لما صعبت تكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع الى أوضاع وضعوها لانفسهم ، فسهلت عليهم ، إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم

قل : وهم عندي كفار بهذه الاوضاع مثل تعظيم القبور وإكرامها بما نهى عنه الشرع من إيقاد السرج عليها وتقبيلها وتخفيفها^(١) وخطاب أهلها بالخوانج وكتابة الرقاع فيها : يا مولاي افعل بي كذا وكذا ، وأخذ تربتها تبركا ، وافاضة الطيب على القبور ، وشد لرحال اليها وإلقاء الخرق على الشجر قتداء بمن عبد اللات والعزى وقولك : ان الشيخ تقي الدين وابن القيم يقولان ان من فعل هذه الاشياء لا يطلق عليه انه كافر مشرك حتى تقوم عليه الحجة الاسلامية من امام او نائبه فيصر ، وانه يقل هذا الفعل كفر وربما عذر فعلة لاجتهاد أو تقليد او غير ذلك ؛ فهذه الجملة التي حكيت عنها لا أصل لها في كلامهما

وأظن اعتمادك في هذا على ورقة كتبها داود نقل فيها نحو هذه العبارة من اقتضاء الصراط المستقيم للشيخ تقي الدين لما قدم عنيزة المرة الثانية معه هذه الورقة يعرضها على ناس في عنيزة يشبه بها ويقول : لو سلمنا أن هذه الامور التي تفعل عند القبور شرك كما تزعم هذه الطائفة فهذا كلام امامهم ابن تيمية الذي يقتدون به يقول : ان المجتهد التأول والتقليد والجاهل معذورون مغفور لهم فيما ارتكبهوه فلما بلغني هذا عنه أرسلت اليه وحضر عندي وبيئت له خطاه ، وانه وضع كلام الشيخ في غير موضعه . وبيئت له أن الشيخ انما قل ذلك في أمور بدعية ليست بشرك ، مثل تحري دعاء الله عند قبر النبي ﷺ وبعض العبادات المبتدعة فقال في الكلام على هذه البدع ، وقد يفعل الرجل العمل الذي يعتقده صالحا ولا يكون عالما انه منهي عنه فيثاب على حسن قصده ويوفي عنه لعدم علمه وهذا باب واسع وعامة العبادات المنهي عنها قد يفعلها بعض الناس ويحصل له نوع من الفائدة وذلك لا يدل على انها مشروعة ، ثم العاقل قد يكون متأولا أو مجتهدا مخطئا او مقلدا فيعذر له خطاه ويثاب على ما فعله من انشروع انقرون بغير انشروع . فهذا كلامه في الامور التي ليست شركا

وأما الشرك فقد قل رحمه الله : إن الشرك لا يغفر وإن كان أصغر نقل عنه ذلك تلميذه صاحب الفروع فيه وذلك والله أعلم لعموم قوله تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به) مع أن الشيخ رحمه الله لم يجزم أنه يغفر لمن ذكرهم وإنما قال قد يكون وقد قال رحمه الله في شرح العمدة لما تكلم في كفر تارك الصلاة فقال : وفي الحقيقة فكل رد لغير الله أو أمره فهو كفر ، دق أو جل ، لكن قد يعنى عما خفيت فيه طرق العلم وكان أمراً يسيراً في الفروع ، بخلاف ماظهر أمره وكان من دعائم الدين من الاخبار والاوامر ، يعنى فانه لا يقال قد يعنى عنه وقال رحمه الله - في أثناء كلام له في ذم أصحاب الكلام قال : والرازي من أعظم الناس في باب الحيرة ، له مهمة في التشكيك والشك في الباطل خير من الثبات على اعتقاده ، لكن قل ان ثبت أحد على باطل محض ، بل لا بد فيه من نوع من الحق وتوجد الردة فيهم كثيراً كالنفاق

وهذا اذا كان في المقالات الخفية فقد يقال لم تقم عليه الحجة التي يكفر صاحبها لكن يقع ذلك في طوائف منهم في أمور يعلمها العامة والخاصة ، بل اليهود والنصارى يعلمون أن محمداً بهت بها وكفر من خالفها مثل عبادة الله وحده لا شريك له ، ونهيهم عن عبادة غيره ، فان هذا أظهر شرائع الاسلام ، ومثل أمره بالصلوات الخمس ، ومثل معاداة المشركين وأهل الكتاب ومثل تحريم الفواحش والزنا والميسر ونحو ذلك

وقولك ان الشيخ يقول : إن من فعل شيئاً من هذه الامور الشريكة لا يطلق عليه انه كافر مشرك حتى تقوم عليه الحجة الاسلامية. فهو لم يقل ذلك في الشرك الا كبر وعبادة غير الله ونحوه من الكفر ، وإنما قل هذا في المقالات الخفية كما قد منا من قوله وهذا اذا كان في المقالات الخفية فقد يقال لم تقم عليه الحجة التي يكفر صاحبها فلم يجزم بعدم كفره وإنما قد يقال

وقوله قد يقع ذلك في طوائف منهم يعلم العامة والخاصة ، بل اليهود والنصارى يعلمون أن محمداً بعث بها وكفر من خالفها مثل عبادة الله وحده لا شريك له ونهيه عن عبادة غيره فإن هذا أظهر شرائع الإسلام . يعني فهذا لا يمكن أن يقال لم تقم عليه الحجة التي يكفر تاركها ، والامر بعبادة الله وحده لا شريك له والنهي عن عبادة غيره هو مانح فيه ، قال تعالى (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)

وقوله رحمه الله : بل اليهود والنصارى يعلمون ذلك . حكى لنا عن غير واحد من اليهود في البصرة أنهم عابوا على المسلمين ما يفعلون عند القبور ، قالوا إن كان نبيكم أمركم بهذا فليس بنبي ، وإن لم يأمركم فقد عصيتموه ، وعبادة الله وحده لا شريك له هي أصل الأصول الذي خلق الله الجن والانس لاجله ، قال تعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدوني) أي يعبدوني وحدي وهو الذي أرسل به جميع الرسل قال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) والطاغوت اسم لكل ما عبد من دون الله ، وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وكل رسول أرسله الله فأول ما يدعوهم إليه هذا التوحيد قال تعالى (لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) (وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) (وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)

فمن جعل شيئا من العبادة لغير الله فهذا هو الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله ، قل الله تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به) فمن زعم أن الله سبحانه يغفره فقد رد خبر الله سبحانه

وحد العبادة وحقيقتها طاعة الله فكل قول وعمل ظاهر وباطن يحبه الله فهو عبادة كل فهي مأمر به شرعاً أمراً إيجاباً أو استحباباً فهو عبادة . فهذا حقيقة العبادة عند جميع العلماء التي من جعل منها لغير الله شيئاً فهو كافر مشرك ومما بين ان الجهل ليس بعذر في الجملة قوله ﷺ في الخوارج ما قل مع عبادتهم العظيمة ، ومن المعلوم انه لم يوقعهم فيما وقعوا فيه الا الجهل ، وهل صار الجهل عذراً لهم ؟

يوضح ما ذكرنا ان العلماء من كل مذهب يذكرون في كتب الفقه (باب حكم الارتد) وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه ، وأدل شيء يبدعون به من انواع الكفر الشرك ، يقولون من أشرك بالله كفر ، لان الشرك عندهم اعظم انواع الكفر ، ولم يقولوا ان كان مثله لا يجمله كما قالوا فيما دونه

وقد قال النبي ﷺ لما سئل : اي الذنب اعظم إنما عند الله ؟ قال « أن تجعل لله نداً وهو خلقك » ولو كان الجاهل أو المتولد غير محكوم برده إذ اقل الشرك لم يغفلوه . وهذا ظاهر

وقد وصف الله سبحانه أهل النار بالجهل كقوله (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) وقال (ولقد ذرأنا لجنهم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اذان لا يسمعون بها ، اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون) وقال (قل هل ننبئكم بالآخرين اعمالاً ؟ الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا) وقال تعالى (فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة * انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون) قال ابن جرير عند تفسير هذه الآية وهذا يدل على ان الجاهل غير معذور

ومن المعلوم ان اهل البدع الذين كفرهم السلف والعلماء بعدهم اهل علم وعبادة

وفيهم زهد ولم يوقعهم فيما ارتكبهوا الا الجهل ، والذين حرقتهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنار هل آفتهم إلا الجهل ؟

ولو قال انسان انا اشك في البعث بعد الموت لم يتوقف من له ادنى معرفة في كفره ، والشاك جاهل . قال تعالى (واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة إن نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين) وقد قال الله سبحانه عن النصارى (اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم) الآية . قل عدي بن حاتم للنبي ﷺ : ما عبدناهم . قل « أليس يحلون ما حرم الله فتحلونه ويحرمون ما احل الله فتحرمونه ؟ » قال : بلى . قل « فثلك عبادتهم » فذمهم الله سبحانه وسماهم مشركين مع كونهم لم يعلموا ان فعلهم معهم هذا عبادة لهم فلم يعذروا بالجهل

ولو قال انسان عن الرافضة في هذه الازمان انهم معذورون في سبهم الشيخين وعائشة لانهم جهال مقلدون لانكر عليه الخاص والعام

وما تقدم من حكاية شيخ الاسلام رحمه الله إجماع المسلمين على ان من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ، ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار انه كافر مشرك ، يتناول الجاهل وغيره ، لانه من العلوم انه اذا كان انسان يقر برسالة محمد ﷺ ويؤمن بالقرآن ويسمع ما ذكر الله سبحانه في كتابه من تعظيم أمر الشرك بأنه لا يغفره وان صاحبه مخلد في النار ، ثم يقدم عليه وهو يعرف انه شرك ، هذا ما لا يفعله عاقل وانما يقع فيه من جهل انه شرك

وقد قدمنا كلام ابن عقيل في جزمه بكفر الذين وصفهم بالجهل فيما ارتكبهوا من الغلو في القبور . نقله عنه ابن القيم مستحسنا له

والقرآن يرد على من قال ان المقلد في الشرك معذور . وقد اقترى وكذب على الله ، وقد قال الله عن المقلدين من اهل النار (إنا اطعنا سادتنا وكبراءنا

فأصلونا السببلا) وقال سبحانه حاكيا عن الكفار قولهم (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون) وفي الآية الأخرى (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإن على آثارهم مقتدون)

واستدل العلماء بهذه الآية ونحوها على انه لا يجوز التقليد في التوحيد والرسالة وأصول الدين ، وإن فرضا على كل مكاف ان يعرف التوحيد بدليله ، وكذلك لرسالة وسائر أصول الدين ، لأن أدلة هذه الاصول ظاهرة والله الخد لا يختص بمعرفة العلماء

وقولك : حتى تقوم عليه الحجة الاسلامية من إمام أو نائبه . معناه أن الحجة الاسلامية لا تقبل إلا من إمام أو نائبه ، وهذا خطأ فاحش ، لم يقله أحد من العلماء ، بل الواجب على كل أحد قبول الحق ممن قاله كائنا من كان . ومقتضى هذا ان من ارتكب أمراً محرماً شركاً فما دونه بجمل وبين له من عنده علم بأدلة الشرع ان ما ارتكبه حرام وبين له دليله من الكتاب والسنة انه لا يلزمه قبوله الا أن يكون ذلك من امام أو نائبه ، وان حجة الله لا تقوم عليه إلا أن يكون ذلك من الامام أو نائبه ، وأظنك سمعت هذا الكلام من بعض المبطلين وقلدته فيه وما فطنت لعيبه ، وانما وظيفة الامام أو نائبه إقامة الحدود واستتابة من حكم الشرع بقتله كالمرتد في بلاد الاسلام .

وأظن هذه العبارة مأخوذة من قول بعض الفقهاء في تارك الصلاة انه لا يقتل حتى يدعوه امام أو نائبه الى فعلها ، والدعاء الى فعل شيء غير بيان الحجة على خطأه أو صوابه أو كونه حقاً أو باطلاً بأدلة الشرع . فالعالم مثلاً يقيم الأدلة الشرعية على وجوب قتل تارك الصلاة ثم الامام أو نائبه يدعوه الى فعلها ويستتبيه

وقولك : انك رأيت كثيراً من هذه الامور التي نقول انها شرك ظاهرة في الشام والعراق والحجاز ولم تسمع منكراً . فمن رزقه الله بصيرة بدينه ما راج عليه

ذلك. وانتبهين على الانسان معرفة الحق بدليله ، فإذا عرف الحق بالدلة الشرعية عرض أعمال الناس عليه ، فما وافق الحق عرفه وقبله ، وما خالفه رده ، ولا يغتر بكثرة المخالف .

قل رجل اعني بن أبي طاب رضي الله عنه: أتري اننا نظن انك على الحق وفلاننا على باطل ؟ فقل علي : ويمحك يفلان ان الحق لا يعرف بالرجال ، اعرف الحق تعرف أهله . وقد سبق كلام ابن القيم في وصفه أهل زمانه

وقوله : غلب الشرك على أكثر النفوس اظهور الجهل وخفاء العلم وصار المعروف منكرا والمنكر معروفا ، والسنة بدعة والبدعة سنة ، ونشأ في ذلك الصغير وهم عليه الكبير ، وطغت الاعلام واشتدت غربة الاسلام ، وقل العلماء ، وغلب السفهاء : هذا وصفه لزمانه ، فما ظنك بأهل زمان بعده بخمسمائة عام لانه لا يأتي عام إلا والذي بعده شر منه بخبر الصادق المصدوق عليه السلام مع قوله « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة » مع اننا قد سمعنا وبلغنا عن كثير من علماء الزمان انكار هذه الامور المبتدعة الشريكة . سمعنا من ناس في الحرمين واليمن وبلغنا عن أناس في مصر والشام انكار هذه المحدثات ، لكن همتهم تقصر عن اظهار ذلك لان عمارة هذه المشاهد الشريكة أكثرها من تحت أيدي ولاية الامور وأهل الدنيا ، ووافقهم على ذلك وزينه لهم بعض علماء السوء بسبب ذلك استحکم الشر وتزايد ، والشر في زيادة والخير في نقصان

وفي حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « هلكت بنو اسرائيل على يدي قرائهم وقهاهم وسهلك هذه الأمة على يدي قرائها وفقائها » فما أصدق قول عبدالله ابن المبارك رحمه الله :

وهل أفسد الدين إلا النلو كوأخبار سوء ورهبانها

ومما يبين لك عدم الاغترار بالكثرة ان أكثر أهل هذه الامصار التي ذكرت مخالفون للصحابة واتباعين وأئمة الاسلام خصوصاً الامام أحمد ومن وافقه في صفات الرب تبارك وتعالى، يتناولون أكثر الصفات بتحريف الكلم عن مواضعه، من ذلك قولهم : ان الله لا يتكلم بحرف وصوت وان حروف القرآن مخلوقة ويقولون: الايمان مجرد التصديق . وكلام السلف والأئمة في ذم أهل هذه المقالات كثير ، وكثير منهم صرح بكفرهم ، وأكثر الأئمة ذمهم وتضليلهم الامام أحمد رحمه الله وأفضل أصحابه بعده . وأكثر هذه الامصار اليوم على خلاف ماعليه السلف والأئمة ، ومن له بصيرة بالحق لم يقتر بكثرة المخالف ، فان أهل الحق هم أقل الناس فيما مضى فكيف بهذه الازمان التي غاب فيها الجاهل وصار بسبب ذلك ، المعروف منكراً والمنكر معروفاً؟

نسأل الله أن يهدينا واخواننا صراطه المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً

﴿ انتهت الرسالة ﴾

طبعت عن نسخة كتب في آخرها مانصه :

بقلم الفقير الى الله عبد الله الرشيد الفرج ، من خط المصنف رحمه الله

سنة ١٣٤٥

رِسَالَةٌ
فِي دَحْضِ شَبَهَاتٍ عَلَى التَّوْحِيدِ
مِنْ سُوءِ الْفَهْمِ لِثَلَاثَةِ أَحَادِيثَ

”حَدِيثُ: يُسُّ الشَّيْطَانِ مِنْ عِبَادَتِهِ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَحَدِيثُ: يَا عِبَادَ اللَّهِ احْبِسُوا،
وَحَدِيثُ: عَصْمَةُ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ لَمْ قَامُوا بِهَا وَمَالَهُ“

تَأْلِيفُ
”الْعَلَامَةِ مِفْتَاحِ الدِّيَارِ النَّجْدِيَّةِ، وَعَالِمِ الطَّائِفَةِ السَّكَنِيَّةِ“
الْعَلَامَةِ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَبِي بَطِينٍ
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا وآله وصحبه أجمعين
قال الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن مفتي الديار النجدية المعروف بابا بطين
عليه الرحمة والغفران

أما بعد: فقد طلب مني بعض الاخوان أن أكتب له جوابا عما يورده بعض
الناس من قوله ﷺ « ان الشيطان يؤس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب »
ويستدل به على استحالة وقوع شيء من الشرك في جزيرة العرب . والحديث
المروي « يا عباد الله احبسوا احبسوا » وعما يورده بعضهم من قوله ﷺ لا سامة
« أقتلته بعد ما قل لا إله إلا الله ؟ » وقوله « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا
لا إله إلا الله » ويستدل بذلك على أن من قال لا إله إلا الله لا يجوز قتاله ولا قتله
(فالجواب) اما قوله ﷺ « ان الشيطان يؤس أن يعبد المصلون في جزيرة
العرب » فيقال

(أولا) من المعلوم بالضرورة ان الله سبحانه بعث محمداً ﷺ يدعو إلى
التوحيد وهو توحيد الالهية ، وينهى عن الشرك وهو عبادة غير الله
وأما الشرك بالربوبية ، فمن المعلوم بنصوص الكتاب ان المشركين الذين
بعث اليهم رسول الله وقاتلهم يقرون بتوحيد الربوبية ، وان شركهم هو في توحيد
العبادة وهو توحيد الالهية الذي هو مضمون شهادة أن لا إله إلا الله ، فعبدوا
من عبده من دون الله ليشفعوا لهم عنده في نصرهم ورزقهم وغير ذلك كما
قال تعالى اخبراً عنهم (مانعهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) (هؤلاء شفعاؤنا
عند الله) فبعث الله رسوله محمداً ﷺ ينهاهم عن هذا الشرك ويدعوهم إلى توحيد

العبادة ، وهذه دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم . قال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقوله (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون)

وهذا الاصل هو الذي خلق الله الجن والانس لاجله . قال تعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون)

فاذا تبين ان هذا هو اصل الاصول علمنا يقينا ان الله سبحانه لا يترك هذا الامر ملتبسا بل لابد أن يكون بيننا واضحا ، لالبس فيه ولا اشتباها ، لانه اصل الدين ، ومعرفة فرض على كل مسلم مكلف ، ولا يجوز فيه التقليد

وحقيقة ذلك ان الشرك هو عبادة غير الله تعالى . والعبادة هي الطاعة بفعل ما امر الله به ورسوله من واجب ومندوب ، فمن أخاص ذلك الله فهو الموحد ، ومن جعل شيئا من العبادة لغير الله فهو مشرك . قال تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا) اي في العبادة . وقال تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا) الآية

فاذا علم الانسان حقيقة الشرك عرف يقينا ان الشرك وقع في الجزيرة كثيرا : عند مشاهد وقبور يمنا وحجازا ، من دعاء الاموات والغائبين ، والاستغاثة بهم وسؤال الحاجات ، وتفريج الكربات والتقرب اليهم بالنذور والذبايح ، وكذلك الذبح للجن والاستغاثة بهم . وهذا امر معلوم بالتواتر عند من شاهد ذلك ، فاذا تحقق الانسان ذلك علم ان قوله ﷺ « ان الشيطان قد يئس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب » ليس فيه معارضة لهذا الاصل العظيم الذي هو أصل الاصول ، وائس فيه دلالة على استحالة وجود الشرك في أرض العرب ، فمن استدل بهذا الحديث على استحالة وجود الشرك في أرض العرب . يقال له يبين لنا الشرك الذي حرمه الله واخبر انه لا يغفره فان فسره بالشرك في توحيد

الربوبية، فنصوص القرآن تبطل قوله، لانه سبحانه أخبر عن المشركين انهم يقولون بتوحيد الربوبية كما في قوله (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم) والآيات في ذلك كثيرة

وان فسر الشرك ببعض أنواع العبادة دون بعض، فهو مكابر، ويخفى على مثله أن يكون من الذين في قلوبهم زيغ، يتركون المحكم ويتبعون المتشابه، مع انه ليس في الحديث حجة لهم ولا شبهة، وانما معنى الحديث: انه يئس أن يجتمعوا كلهم على الكفر

قال ابن رجب على الحديث: المراد انه يئس أن تجتمع الامة كلها على الشرك الاكبر. وأشار ابن كثير الى هذا المعنى عند تفسير قوله تعالى (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم) قال ابن عباس رضي الله عنه: يعني يئسوا ان تراجعوا دينهم وكذا قال عطاء والسدي ومقاتل - قال: وعلى هذا يرد الحديث الصحيح

« ان الشيطان يئس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب »

فأشار الى ان معنى الحديث موافق لمعنى الآية، وان معنى الحديث انه يئس أن يرجع المسلمون عن دينهم الى الكفر. قال غير واحد من المفسرين: ان المشركين كانوا يطعمون في عود المسلمين الى دينهم. فلما قوي الاسلام وانتشر يئسوا من رجوعهم عن الاسلام الى الكفر، وكذا معنى إياس الشيطان لما رأى من ظهور الاسلام وانتشاره وتمكنه من القلوب ورسوخه فيها، وعلى هذا فلا يدل الحديث: ان الشيطان يئس من وجود شرك في جزيرة العرب أبد الآبدين ويدل لما ذكرناه مارواه الامام أحمد عن ابن عباس قال: لما افتتح رسول الله ﷺ مكة رنة اجتمع اليه جنوده فقال: ايئسوا أن تردوا أمة محمد الى الشرك بعد يومكم هذا، ولكن افتنوهم فافشوا فيهم النوح وايضا في الحديث نسبة اليأس الى الشيطان مبنياً للفاعل لم يقل أيس بالبنا

للمفعول ، ولو قدر انه يئس من عبادته في أرض العرب إياساً مستمراً فلما ذلك ظن منه وتخمين ، لا عن علم لانه لا يعلم الغيب ، وهذا غيب لا يعلمه إلا الله (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً الا من ارتضى من رسول) فإنه يطلعه على ما يشاء من الغيب وقد قال تعالى (وما تدري نفس ماذا تكسب غداً) أي من خير وشر ، وهذا من مفاتيح الغيب التي لا يعلمها الا الله ، وقال النبي ﷺ « مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها الا الله ، لا يعلم ما نفيض الارحام الا الله ، ولا يعلم ما في غد الا الله » الحديث وكانت الشياطين في زمن سليمان بن داود عليهما السلام يدعون علم الغيب فلما مات سليمان لم يعلموا بموته إلا بعد سنة وهم في تلك السنة دائبون في التسخير والاعمال الشاقة ، فلما علموا بموته تبين لهم انهم لا يعلمون الغيب ، قال تعالى (فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة لارض تأكل منسأته - الى قوله - فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) ونبينا ﷺ أخبر « أنه يجاء برجل من أمته يوم القيامة فيؤخذ بهم ذات الشمال الى النار فيقول : أصحابي أصحابي ، فيقال له انك لا تدري ما أحدثوا بعدك » فكيف يقال ان الشيطان يعلم ما تستمر عليه الامة من خير وشر وكفر واسلام وهذا غيب لا يعلمه الا الله ومن يطلعه عليه من رسله ؟

فتبين بما ذكرنا انه لا دلالة في الحديث على استحالة وقوع الشرك في جزيرة العرب وبوضح ذلك ان أكثر العرب ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ فكثير منهم رجعوا الى الكفر وعبادة الاوثان ، وكثير صدقوا من ادعى النبوة كسليمة وغيره ، ومن أطاع الشيطان في نوع من أنواع الكفر فقد عبده ، لا تختص عبادة الشيطان بنوع من الشرك لقوله تعالى (ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان) أي لا تطيعوه ، فعبادته طاعته

يوضح ذلك تفسير النبي ﷺ لقوله تعالى (اتخذوا أحمارهم وذهبهم أرباباً من

دون الله والمسيح بن مريم) الآية - ان طاعتهم في التحريم والتحليل . فسمى الله ذلك شركا وعبادة منهم للاحبار والرهبان . وأيضاً فقد صح عن النبي ﷺ انه قال « لا تقوم الساعة حتى تعبد اللات والعزى » (١) وقال « لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخلصة » (٢) وهو صنم كان لهم في الجاهلية بعث النبي ﷺ لهدمه جرير بن عبد الله

فتبين ان عبادة الشيطان وجدت بعد موت النبي ﷺ في جزيرة العرب وتوجد آخر الزمان بهذه النصوص الثابتة ، وقال النبي ﷺ « لتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا حجر ضب لدختموه » قالوا يارسول الله اليهود والنصارى ؟ قال « فمن ؟ » وقال « لتأخذن هذه الامة مأخذ الامم قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع » قالوا يارسول الله فارس والروم ؟ قال « ومن الناس إلا أولئك ؟ »

فاخبر النبي ﷺ ان هذه الامة تفعل كما فعلت الامم قبلها : اليهود والنصارى وفارس والروم وان هذه الامة لا تقصر عما فعلته الامم قبلها ، وقال « لا تزال طائفة

(١) هو في صحيح مسلم من حديث عائشة مرفوعاً بلفظ « لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى » قالت فقات يارسول الله ان كنت لأظن حين أنزل الله (هو الذي أرسل رسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) ان ذلك تام . قال « انه سيكون من ذلك ما شاء الله ، الخ

(٢) رواه مسلم . وذو الخلصة : بيت كان فيه صنم لدوس وخثعم وبجيلة وغيرهم وقيل ذو الخلصة الكعبة البائية التي كانت باليمن ، فأنفذ رسول الله ﷺ جرير ابن عبد الله نحرها وقيل : ذو الخلصة الصنم نفسه . والمعنى انهم يرتدون ويعودون الى جاهليتهم في عبادة الاوثان فتسمى نساء بني دوس طائفات حول ذي الخلصة فترج أعجازهن اه من النهاية لابن الاثير

من أمتي على الحق منصور لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله»
نسأل الله أن يجعلنا منهم بفضلته ورحمته وكرمه

وأما الجواب عن الحديث المروي فيمن انفتت دابته في السفر أن يقول :
« يا عباد الله احبسوا » فأجيب بأنه غير صحيح لانه من رواية معروف بن حسان
وهو منكر الحديث، قاله: ابن عدي .

ومن المعلوم- إن كان صحيحاً- ان النبي ﷺ لا يأمر من انفتت دابته أن
يطلب ردها وينادي من لا يسمعه ولا يقدر على ردها، بل تقطع انه انما أمره أن
ينادي من يسمعه وله قدرة على ذلك ، كما ينادي الانسان أصحابه الذين معه في
سفره ليردوا دابته . وهذا يدل -إن صح- على ان الله جنوداً يسمعون ويقدررون
(وما يعلم جنود ربك إلا هو) وروي زيادة لفظة في الحديث «فان الله حاضر»
فهذا صريح في انه انما ينادي حاضراً يسمع ، فكيف يستدل بذلك على جواز
الاستغاثة باهل القبور والغائبين

فمن استدلل بهذا الحديث على دعاء الاموات لزمه أن يقول: ان دعاء الاموات
ونحوهم ، إما مستحب أو مباح ، لان لفظ الحديث « فليناد » وهذا أمر أقل
أحواله الاستحباب أو الاباحة . ومن ادعى ان الاستغاثة بالاموات والغائبين
مستحب أو مباح فتمد مرق من الاسلام

فاذا تحققت ان الرسول ﷺ لا يأمر من انفتت دابته أن ينادي من لا
يسمعه ولا قدرة له على ذلك، وكما دل عليه قوله «فان الله حاضر» تبين لك ضلال
من استدلل به على دعاء الغائبين والاموات الذين لا يسمعون ولا ينفعون ، وهل
هذا إلا مضادة لقول الله تعالى (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك
فان فعلت فانك إذا لمن الظالمين) وقوله (ان الذين تدعون من دونه ما يملكون

من قطمير* إن تدعوهم لا يسمعو دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم) الآية ، وقوله (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون) (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) وقال (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه الى الماء) الآية .

فهذه الآيات وأضعافها نص في تضليل من دعا من لا يسمع دعاءه ولا قدر له على نفعه ولا ضرره ، ولو قدر سماعه فانه عاجز ،

فكيف تترك نصوص القرآن الواضحة وترد بقوله « يا عباد الله احبسوا » مع أنه ليس في ذلك معارضة لما دل عليه القرآن ولا شبهة معارضة ؟ والله الحمد .

*
* *

وأما من ادعى ان من قل لا إله إلا الله فانه لا يجوز قتله ولا قتال الطائفة الممتنعة اذا قالو هذه الكلمة وإن فعلوا أي ذنب ، فهذا قول مخالف للكتاب والسنة والاجماع ، ولو طرد هذا القائل أصله لكان كافراً بلا شك .

أما الكتاب فقول الله تعالى (اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم - الى قوله - فان تابوا - اي عن الشرك - وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) فجعل قتالهم ممدوداً الى اقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، بعد الاتيان بالتوحيد . وقال تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة - أي شرك - ويكون الدين كله لله)

وأما السنة فكثير جداً (منها) ما ثبت في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي ﷺ قال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها »

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال : لما توفي رسول الله ﷺ استخلف

ابو بكر وكفر من كفر من العرب . قال عمر لابن بكر: كيف تقاتل الناس - وقد
 قال رسول الله ﷺ « أسرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا لا إله الا الله فإذا
 قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها »؟ فقال ابو بكر « لا فأتان من فرق بين
 الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال ، فوالله لو منعوني عقلا كانوا يؤدونه إلى
 رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه » فقال عمر « فوالله ما هو إلا أن رأيت الله
 قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق » فند جعل الصديق رضي الله عنه
 المبيح للقتال مجرد المنع لا جحد الوجوب

وقال النووي في شرح مسلم (باب الأمر بقتل الناس حتى يقولوا لا إله
 الا الله محمد رسول الله ، وبقیموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، ويؤمنوا بجميع ما جاء
 به النبي ﷺ ، وان من أتى بذلك عصم نفسه وماله إلا بحقها ، ووكلت سريرته
 الى الله ، وقتال من منع الزكاة وغيرها من حقوق الاسلام ، واهتمام الامام بشرائع
 الاسلام) ثم ساق الحديث - ثم قال : قال الخطابي في شرح هذا الكتاب كلاما
 حسنا لا بد من ذكره لما فيه من الفوائد :

قال رحمه الله: مما يجب تقديمه ان يعلم ان أهل الردة كانوا صنفين ارتدوا
 عن الدين ، ونابدوا الملة وعادوا للكفرهم ، وهم الذين عني ابو هريرة بقوله « وكفر
 من كفر من العرب »

(والصنف الثاني) فرقوا بين الصلاة والزكاة فأقروا بالصلاة وأنكروا فرض
 الزكاة ووجب ادائها الى الامام

وقد كان في ضمن هؤلاء الماندين من يكاد يسمح بالزكاة ولا ينتمها إلا أن
 رؤساءهم صدوهم عن ذلك الرأي ، وقبضوا على أيديهم في ذلك ، كبني يربوع ، فنهزم
 جمعوا صدقتهم وأرادوا أن يبعثوا بها الى أبي بكر فنهزم مالك بن نويرة من ذلك
 وفرقها فيهم ، وفي أمر هؤلاء عرض الخلاف ، ووقعت الشبهة عند عمر رضي الله

عنه ، فراجع أبا بكر ونظروا واحتج عليه بقول النبي ﷺ «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فن قل لا إله إلا الله فقد عصم نفسه وماله » وكان هذان من عمر تعاقبا بظاهر الكلام قبل أن ينظر في آخره ويتأمل شرائطه فقال له أبو بكر «الزكاة حق المال» يريد أن القضية قد تضمنت عصمة دم ومال معاقبة بإيفاء شرائطها. والحكم المعاق بشرطين لا يحصل باحدهما والآخر معدوم. ثم قايسه بالصلاة ورد الزكاة اليها. وكفى في ذلك من قوله داليل على قتال الممتنع من الصلاة وإن كان اجماعا من الصحابة رضي الله عنهم، ولذلك رد المختلف فيه إلى المتفق عليه

فلما استقر عندهم رأي أبي بكر رضي الله عنه وبأن لعمر صوابه تأبى على قتال القوم ، وهو معنى قوله « فلما رأيت الله شرح صدر أبي بكر للقتل عرفت أنه الحق » يريد انشراح صدره بالحجة التي أدلى ، وبرهان الذي أقامه نصاً ودلالة انتهى

وقال النووي أيضاً : وقال الخضاعي - ويدين لك أن حديث أبي هريرة مختصر - أن عبد الله بن عمر وأنساً روياه بزيادة لم يذكرها أبو هريرة

ففي حديث ابن عمر عن رسول الله ﷺ قل «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها »

وفي رواية أنس «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأن يستقبلوا قبلتنا ، وأن يأكلوا ذبيحتنا ، وأن يصلوا صلاتنا ، فإذا فعلوا ذلك حرمت علينا دماؤهم إلا بحقها ، ولهم مال المسلمين ، وعليهم ما على المسلمين » انتهى

(قلت) وقد ثبت في الطريق الثالث المذكور في الكتاب من رواية أبي

هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به ، فإذا قالوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بجنتها »

وفي استدلال أبي بكر واعتراض عمر رضي الله عنهما دليل على أنهما لم يحفظا عن رسول الله ﷺ ما حفظه ابن عمر وأنس وأبو هريرة، وكان هؤلاء الثلاثة سمعوا هذه الزيادة في روايتهم في مجلس آخر ، فان عمر لو سمع ذلك لما خاف ولما كان احتج بالحديث ، فان هذه الزيادة حجة عليه ، ولو سمع أبو بكر هذه الزيادة لاحتج بها ولما كان احتج بالقياس والمعموم . والله أعلم . انتهى كلام النووي رحمه الله

وقال النووي في شرح قوله ﷺ « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فن قالها عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله » قال الخطابي : معلوم أن المراد بهذا أهل الاوثان دون أهل الكتاب، لأنهم يقولون لا إله إلا الله، ثم يقاتلون ولا يرفع عنهم السيف . قال : ومعنى « وحسابه على الله » أي فيما يسرونه ويخفونه، ففيه أن من أظهر الاسلام وأسر الكفر يقبل اسلامه في الظاهر . وهذا قول أكثر العلماء ، وذهب مالك إلى أن توبة لزيديق لا تقبل ويحكى ذلك عن أحمد بن حنبل . هذا كلام الخطابي

وذكر القاضي عياض معنى هذا وزاد عليه ووضحه فقال : اختصاص عصمة المال والنفس لمن قال لا إله إلا الله تعبير عن الإجابة إلى الإيمان ، وإن المراد مشركو العرب وأهل الاوثان ومن لا يوحد ، وهم أول من دعي إلى الاسلام وقوتل . فأما غيرهم ممن يقر بالتوحيد فلا يكتفى في عصمته بقول لا إله إلا الله إذ كان يقولها في كفره، وهي من اعتقاده فلذلك جاء في الحديث الآخر « أي رسول الله ، وبقية الصلاة ، ويؤتوا الزكاة » وهذا كلام القاضي

(قلت) ولا بد من الايمان بما جاء به الرسول كما جاء في الرواية الاخرى عن ابي هريرة «حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، ويؤمنوا بي وبما جئت به » انتهى كلام النووي

ولازم قول من قال : انه لا يجوز قتال من قال لا إله إلا الله تخطئه أصحاب رسول الله ﷺ في قتالهم ما نفي الزكاة ، وإجماعهم على قتال من لا يصلي ، إذا كانوا طائفة ممتنعين ، بل يلزم من ذلك تخطئه جميع الصحابة في قتالهم بني حنيفة ، وتخطئة علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قتال الخوارج . بل لازم ذلك رد النصوص بل رد نصوص القرآن كما قدمنا ، ورد نصوص رسول الله ﷺ التي لا تحصى ويلزم صاحب هذه المقالة الفاسدة انه لا يجوز قتال اليهود لأنهم يقولون لا إله إلا الله

فتبين بما قررناه ان صاحب هذا القول مخالف للكتاب والسنة والاجماع ونذكر بعض ما اطلعنا عليه من كلام فقهاء المذاهب : قال الشيخ على الازهري المالكي : من ترك فرضاً آخره لبقاء ركعة بسجدة منها من غير الضرورة ، قتل بالسيف حداً على المشهور . وقال ابن حبيب وجاعة ظاهر المذهب كفر ، واختاره ابن عبد السلام . وقال : في فضل الاذان معنيان (أحدهما) إظهار الشعائر والتعريف بأن الدار دار إسلام ، وهو فرض كفاية يقاتل أهل القرية حتى يفعلوه إن عجز عن قهرهم على إقامته إلا بقتال (والثاني) الدعاء إلى الصلاة والاعلام بوقتها

وقال الأبي في شرح مسلم : والمشهور أن الاذان فرض كفاية على أهل المصر لانه شعار الاسلام ، فقد كان رسول الله ﷺ ان لم يسمع أذاناً أغار والا أمسك . وقول المصنف : يقاتلون عليه - ليس يقتال عليه من خصائص القول بالوجوب لانه نص عن عياض في قول المصنف - والوتر غير واجب - لانهم اختلفوا في التماؤ

على ترك السنن، هل يقاتلون عليها؟ والصحيح قتلهم وإكراههم لأن في التماؤ على تركها إيمانتها اهـ

وقال في فضل صلاة الجماعة: صلاة الجماعة مستحبة للرجل في نفسه، فرض كفاية في الجملة يعني أهل المصر، قال ولو تركوها قوتلوا كما تقدم اهـ

وقال الشيخ محمد بن حمدان الإدريعي الشافعي - في كتاب قوت المحتاج في شرح المنهاج: من ترك الصلاة جاحداً وجوبها كفر بالاجماع، وذلك جار في جحود كل مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة فإن تركها كسلا قتل حداً على الصحيح والمشهور. أما قتله فلا أن الله قال (اقتلوا المشركين) ثم قال (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) فدل على أن القتل لا يرفع إلا بالإيمان وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة. ولما في الصحيحين « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها » إلى أن قال في الروضة: تارك الصلاة يقتل على الصحيح، جزم به الشيخ أبو حامد

وفي البيان: لو صلى عرباناً مع القدرة على السترة أو صلى الفريضة قاعداً بلا عذر - قتل - إلى أن قل - والصحيح قتله بصلاة واحدة بشرط إخراجها عن وقت الضرورة.

وقال ابن حجر الهيتمي في التحفة - في باب حكم تارك الصلاة: إن ترك الصلاة جحداً وجوبها كفر بالاجماع، أو تركها كسلا مع اعتقاد وجوبها قتل للآية (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) وحديث « أمرت أن أقاتل الناس » الحديث، فنهما شرطاً في الكف عن القتل والمقاتلة: الاسلام وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة. لكن الزكاة يمكن الامام أخذها ولو بالمقاتلة ممن امتنعوا وقاتلوا، فكانت فيها على حقيقتها بخلافها في الصلاة فإنه لا يمكن فعلها بالمقاتلة، فكانت فيها بمعنى اقتل اهـ

وأما كلام الخنابلة فصرحوا بأن أهل البلد إذا تركوا الأذان والاقامة قوتلوا. أي قتلهم الإمام أو نائبه حتى يفعلوها. وكذا قالوا في صلاة الجماعة يقاتل تاركها، وكذا قالوا في صلاة العيد يقاتل أهل بلد تركوها، وكذا قالوا في قتال مانعي الزكاة، وإن الواجد إذا امتنع من أداء الزكاة ولم يمكن أخذها منه قهراً قتل بعد الاستتابة

وقل شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : كل طائفة ممتنعة عن التزام شريعة من شرائع الاسلام الظاهرة المتواترة فإنه يجب قتلهم حتى يلتزموا شرائعه وإن كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين وملتزمين بعض شرائعه، كما قاتل الصديق رضي الله عنه مانعي الزكاة، وعلى ذلك اتفق الفقهاء بعدهم بعد سابقة مناظرة عمر لأبي بكر رضي الله عنهما، فاتفق الصحابة رضي الله عنهم على القتال على حقوق الاسلام عملاً بالكتاب والسنة

وكذلك ثبت عن النبي ﷺ من عشرة أوجه الحديث عن الخوارج، وأخبر أنهم شر الخلق والخليقة مع قوله «تتحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم» فلم إن مجرد الاعتصام بالاسلام مع عدم التزام شرائعه ليس بمسقط للقتال. فالقتل واجب حتى يكون الدين كله لله، وحتى لا نكون فتنه، فمضى كان الدين لغير الله فالقتال واجب، فأما طائفة ممتنعة امتنعت من بعض الصلوات المفروضة أو الصيام أو الحج أو عن التزام تحريم الدماء والأموال، والخمر والميسر ونكاح ذوات المحارم، أو عن التزام جهاد الكفار أو ضرب الجزية على أهل الكتاب أو غير ذلك من التزام واجبات الدين أو محرماته التي لا عذر لاحد في جموحها أو تركها التي يكفر الواحد بمجوحها. فإن الطائفة الممتنعة تقاتل عليها، وإن كانت مقرة بها. وهذا مما لا أعلم فيه خلافاً بين العلماء، وإنما اختلف الفقهاء في الطائفة إذا أصروا على بعض ترك السنن كركعتي الفجر والأذان، والاقامة عند

من لا يقول بوجوبهم ونحو ذلك من الشعائر فهل تقاتل الطائفة الممتنعة على تركها أم لا . فاما الواجبات أو المحرمات المذكورة ونحوها فلا خلاف في القتال عليها ، انتهى

وأيضاً فمقصود من لا إله إلا الله البراءة من الشرك ، وعبادة غير الله تعالى ومشركو العرب يعرفون المراد منها لأنهم أهل اللسان ، فإذا قال أحدهم لا إله إلا الله فقد تبرأ من الشرك وعبادة غير الله تعالى ، فلو قال : لا إله إلا الله وهو مصر على عبادة غير الله لم تعصمه هذه الكلمة لقوله سبحانه وتعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة - أي شرك - ويكون الدين كله لله) وقواه (اقاتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم)

وقال النبي ﷺ « بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له » وهذا معنى قواه تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين - أي الطاعة - لله) وهذا معنى لا إله إلا الله

نسأل الله أن يجعلها آخر كلامنا ويتوفنا مسلمين برحمته

فهو أرحم الراحمين . وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد

وعلى آله وصحبه والتابعين لهم

باحسان الى يوم الدين

تمت هذه النسخة الشريفة المحتوية على الالفاظ المنيفة اللطيفة

أسكن الله تعالى مؤلفها الغرف العالية الرفيعة آمين

وصلى الله على عبده ورسوله محمد وعلى آله

وصحبه وسلم تسليماً

كثيراً

﴿ رسالة ﴾

معنى قوله ﷺ « ان لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة »

ومحاكاة آدم لموسى عليهما السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين الى الاخوان محمد آل عمر وصالح آل عثمان ومحمد آل ابراهيم ثبتهم الله على الاسلام ووفقهم للتمسك بسنة سيد الانام ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(وبعد) فوجب الخط ابلاغ السلام والوصية بالتمسك بما من الله به عليكم من معرفة التوحيد ، الذي هو حق الله على العبيد ، فاعرفوا حق هذه النعمة وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ، نسأل الله أن يجمعنا وإياكم ممن اذا أنعم الله عليه شكر ، واذا ابتلي صبر ، واذا أذنب استغفر ،

وما سأأتم عنه من معنى قوله ﷺ « ان لله تسعة وتسعين اسما فمن أحصاها دخل الجنة » فقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى ما معناه : ان الإحصاءية اولى ثلاثة أمور (الاول) حفظها (الثاني) معرفة معانيها (الثالث) اعتقاد ما دلّت عليه والعمل بمقتضاه

وأما معنى محاكاة آدم موسى عليهما السلام ولوم موسى لآدم ، فذكر شيخ الاسلام وغيره : ان لوم موسى لآدم انما هو على المصيبة التي لحقت الذرية بسبب الذنب ، وآدم انما احتج بالقدر على المصيبة لا على الذنب .

يوضح ذلك : انه لو جاز الاحتجاج بالقدر على الذنب وانه حجة صحيحة لكان حجة لا بليس وجميع العصاة ، وهذا باطل بدلائل الكتاب والسنة ، واجماع أهل الحق من الامة والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

الطلاق على عوض

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين الى الاخ المكرم ابراهيم آل علي سلمه الله تعالى ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(وبعد) موجب الخط ابلاغك السلام، والخط وصل، أوصلك الله الى ما تحب، وما ذكرت من حال طلاق الذي يذكر أنه طلق زوجته طاعة على عوض منها ثم بعد ذلك طلقها ثلاثا ، فإذا صدقته الزوجة على قوله انه طلقها الاولى على عوض منها فلا يلحقها الطلاق الذي بعد ذلك وتجوز له بعقد جديد

وما ذكرت من حال الذي ينبغي يعطي الامير . فالذي ثراء مبارك إن أعطى سعر مثله فهو المطلوب، فان قصر عن السعر ولا سمحت نفسه بالتام فهذا شيء زهيد ما يسوى يكتب من طرفه ، ومتى ما شفت له مبيعه تبعه ان شاء الله . وسلم لنا على العيال والامير وولدنا عبد العزيز واخوانه وآل محمد والطالبة يسلمون عليكم وأنت في حفظ الله وأمانه والسلام

(نصيحة في التمسك بالتوحيد. والامر بانكار المنكر)

بسم الله الرحمن الرحيم

(وبه نستعين)

من عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين الى الاخوان عبد الله آل علي وحمود وعلي آل عبد الله التويجر وفقهم الله لطاعته وحفظهم بكلامه . سلام عليكم ورحمته وبركاته .

وبعد موجب الخط ابلاغكم السلام والسؤال عن حالكم أصلح الله لنا ولكم الدين والدنيا والآخرة ، وخطبكم وصل أوصلكم الله الى الخير نسأل الله أن يحيينا وإياكم حياة طيبة وهي الحياة في الطاعة ، وأوصبكم بتقوى الله والاستكثار من أعمال الخير والتمسك بما تعرفون من التوحيد الذي دعا اليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

فأكثر الناس اليوم صار المعروف عندهم منكراً والمكفر معروفاً وهذا زمان القابض فيه على دينه كالقابض على الحجر ، وكل زمان شر مما قبله ، وتصدر للفتوى جهال أضلوا الناس، اجتمع فيهم الجهل والفجور وبعض من عنده معرفة صار يناظر وجوه أهل الدنيا (١) والمنصف اليوم أعز من الكبريت الاحمر والحق والله الحمد عليه نور .

قال ﷺ « تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها » والحق مع ظهوره في غاية الغربة ويرى المؤمن ما يذوب من قلبه

ونرجو ان التمسك بدين الله اليوم يحصل له أجر خمسين من أصحاب رسول ﷺ لاجل ظهور الشرك في الامصار وظهور المنكرات ، واضاعة الصلوات ، فلم يبق والله من الاسلام إلا اسمه ، وهذا مصداق ما أخبر به الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الانبياء والمرسلين

نسأل الله ان يهدينا وإياكم صراطه المستقيم ، ويتوفانا مساهين ، ويجعلنا وإياكم مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين هذا وأنتم في امان الله وحفظه والسلام وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

« أي يجتهد أن يكون نظيرهم في الجاه والمال

فتاوى في الاستشفاع والاستغاثة وغيرها

سئل الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين عن المسائل الآتية فاجاب عنها بما نصه :-

وما سألت عنه من انكار النبي ﷺ على من قال: نستشفع بالله عليك، ولم ينكر قوله نستشفع بك على الله، لان معنى قوله: نستشفع بك على الله اي نطلب منك ان تدعو الله ان يفيثنا لان الداعي شافع، ومعنى نستشفع بالله عليك نطلب من الله ان يطلب منك ان تدعو لنا وتستقي لنا، والله سبحانه وتعالى يشفع اليه ولا يشفع هو الى أحد

وأما آخر الحديث الذي أشار اليه بعد قوله « لا يستشفع به على أحد، شأن الله أعظم من ذلك، ان الله على عرشه، وان عرشه على سمواته وارضه هكذا » وقال باصابعه مثل القبة وفي لفظ « وان عرشه فوق سماواته، وسمواته فوق أرضه هكذا » — وقال باصابعه مثل القبة. (١)

واما قوله في الحديث الآخر « انه لا يستغاث بي » الحديث، فان كان (٢)

-
- ١ « يراجع مقاله شيخ الاسلام في هذا الحديث في رسالة العرش
 - ٢ « هكذا في الاصل وليس بعد هذا الشرط جزاء له . ومن المعلوم ان الاستغاثة كالاستعانة والدعاء، منها ما هو عادي وما هو عبادة . فالعادي ما يطالب من الناس من الامور العادية التي تدخل في كسبهم وقدرتهم، واما العبادة فهو طلب ما لا يدخل في كسب العباد ولا في نظام الاسباب والمسببات، وهذا لا يطلب الا من الله القادر على كل شيء، فاذا وجه الى مخلوق كان عبادة له وشركا بالله تعالى ومن ذلك دعاء الموتى والاستغاثة بهم وقد انقطع كسبهم وصاروا في عالم الغيب الذي لا يعلم شأنهم فيه الا الله تعالى

النبي ﷺ أراد بهذا الحماية لجانب التوحيد ، وإن كانت الاستغاثة بالخلق فيما يقدر عليه جائزة كقوله تعالى (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) وإذا قبل عليك عدو ونحيت على ربك (١) يعاونوك فهذا استغاثة بهم ، والاستغاثة بالخلق فيما يقدر عليه جائزة

والحديث المروي « يأتي على الناس زمان يذوب فيه قلب المؤمن » الحديث فهذه الازمنة والله كذلك ، ولكن لضعف الايمان ما يحس بذلك على حقيقته ، وقد اشتدت والله غربة الاسلام . واي غربة اعظم من غربة من وفقه الله لمعرفة التوحيد الذي اتفقت عليه جميع الرسل الذي هو حق الله على عباده مع جهل أكبر الناس اليوم به وانكارهم له والامر كما قل الله تعالى (قل بفضل الله وبرحمته ، فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) نسأل الله لنا ولكم الوفاة على التوحيد الذي هو اخلاص العبادة لله وحده

وقول الحسن رحمه الله . فما احسن ذلك واجله ، وتوجهه وتأوّهه ، فما رأى في زمانه المثنى على اهل ، ولا يأتي زمان الا والذي بعده شر منه كما قال الصادق المصدوق ، لكن لقلبة الجهل وقلة العلم ، وإلف العادة ضعف استنكار المنكر وعدم . فالله المستعان ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

(١) الربع : جماعة الرجل وقيلته ونحيت ، أصله : أنحيت بعيرك ، والمعني : نزلت عليهم واستنصرت بهم على العدو

معنى كلمة التوحيد

وحكم من قالها ولم يكفر بما يعبد من دون الله

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل الشيخ أبا بطين ^(١) رحمه الله عن معنى لا إله إلا الله وعن قالها ولم يكفر بما يعبد من دون الله ، وهل من قالها ودعا نبياً أو ولياً هل تنفعه؟ أو هو مباح الدم والمال ولو قالها ؟

أجاب رحمه الله وغفا عنه : معنى لا إله إلا الله عند جميع أهل اللغة وعلماء التفسير والعقهاء ، كما هم يفسرون الاله بالمعبود ، والتأله التعبد وأما العبادة فمعناها بعضهم بأنها ما أمر به شرعاً من غير اطراد عرفي ولا اقتضاء عقلي . والمأثور عن السلف تفسير العبادة بالطاعة ، فيدخل في ذلك فعل المأمور وترك المحظور من واجب ومندوب ، وترك المنهي عنه من محرم ومكروه فمن جعل نوعاً من أنواع العبادة لغير الله كالإهداء والسجود والذبح والنذر وغير ذلك لغير الله فهو مشرك ،

ولا إله إلا الله متضمنة للكفر بما يعبد من دونه ، لأن معنى لا إله إلا الله إثبات العبادة لله وحده والبراءة من كل معبود سواه ، وهذا معنى الكفر بما يعبد من دونه لأن معنى الكفر بما يعبد من دونه البراءة منه واعتقاد بطلانه ، وهذا معنى الكفر بالطاغوت في قول الله تعالى (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى) والطاغوت اسم لكل معبود سوى الله ، « ١ » هذا اللفظ علم محكي كما كانوا ينطقون به في أحوال الأعراب الثلاثة فهو هنا محله الرفع كما هو ظاهر

٥٠٢ معنى كلمة التوحيد نفياً وإثباتاً ولا يكفر أحد حتى تقوم عليه الحجة

كما في قوله تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح « من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله »

فقوله « وكفر بما يعبد من دون الله » الظاهر أن هذا زيادة إيضاح لأن لا إله إلا الله متضمنة للكفر بما يعبد من دون الله ، ومن قال لا إله إلا الله ومع ذلك يفعل الشرك الأكبر ، كدعاء الموتي والغائبين وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات والتقرب اليهم بالندور والذبايح فهذا مشرك شاء أم أبى ، والله لا يغفر أن يشرك به (ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) ومع هذا فهو مشرك ومن فعله كان كافرا

ولكن على ما قال الشيخ لا يقال فلان كافر حتى يبين له ما جاء به الرسول ﷺ فان أصر بعد البيان حكم بكفره وحل دمه وماله ، وقال تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) أي شرك (ويكون الدين كله لله) فاذا كان في بلد وثن يعبد من دون الله قاتلوا لاجل هذا الوثن أي لازاته وهدمه وترك الشرك حتى يكون الدين كله لله .

والدعاء دين سماه الله ديناً كما في قوله تعالى (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) أي الدعاء ،

وقال ﷺ « بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له » فمضى كان شيء من العبادة مصروفا لغير الله فالسيف مسلول عليه . والله أعلم .
وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

سأل بعض الاخوان الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن رحمة الله تعالى علينا وعليه عن معنى لا إله إلا الله وما تنفي وما تثبت

فأجاب رحمه الله تعالى : وما سألت عن معنى لا إله إلا الله وما تثبت وما تنفي (فأول) واجب على الانسان معرفة معنى هذه الكلمة قال الله تعالى لنبيه ﷺ (فاعلم انه لا إله إلا الله) وقال (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق) أي بلا إله إلا الله (وهم يعلمون) بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم ، فأفرض الفرائض معرفة معنى هذه الكلمة ثم التلطف بمقتضاها ، فالإله هو المعبود والتأله التعبد ، لا معبود إلا الله نفت الالهية عن سوى الله وأثبتته الله تعالى وحده

فاذا عرفت أن الإله هو المعبود والالهية هي العبادة ، والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال . فالإله هو المعبود المطاع ، فمن جعل شيئاً من العبادة لغير الله فهو مشرك ، وذلك كالسجود والدعاء والذبح والنذر ، وكذلك التوكل والخوف والرجاء وغير ذلك من أنواع العبادة الظاهرة والباطنة وإفراد الله سبحانه بالعبادة ونفيها عن سواه هو حقيقة التوحيد وهو معنى لا إله إلا الله ، فمن قال لا إله إلا الله بصدق ويقين أخرجت من قلبه كل ما سوى الله محبة وتعظيماً واجلالاً ومهابة وخشية وتوكلًا ، فلا يصير في قلبه محبة لما يكرهه الله ولا كراهة لما يحبه ، وهذا حقيقة الاخلاص الذي قال فيه ﷺ « من قال لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه دخل الجنة - أو حرم الله عليه النار »

فيل للحسن البصري: ان ناساً يقولون: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، فقال: من قال لا إله إلا الله فادى حقها وفرضها

وغالب من يقول لا إله إلا الله انما يقولها تقليداً ولم يخاطب الإيمان بشاشة قلبه

فلا يعرف ما^(١) ومن لا يعرف ذلك يخشى عليه أن يصرف عنها عند الموت وفي القبور أمثال هؤلاء يقولون كما في الحديث «سمعت الناس يقولون شيئا فقلته» نسأل الله أن يثبتنا وإياكم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة والله أعلم اهـ (نقل من خط من يزعم أنه نقله من خط الشيخ العلامة والعالم الفاضل البحر الفهامة ، وحيد زمانه ، وفائق أقرانه ، وفارس المعاني والالفاظ ، وأوحد الاجلة الحفاظ ، ذي الهمم السنية ، والمفاخر العلية ، مفتي الديار النجدية ، نادرة العصر ، وزينة الدهر ، عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطاين رحمه الله تعالى)

فتاوى فقهية ومسائل

(في تصرف وصي الصبي في ماله وفي الطلاق وليهما يقدم من مال الميت : سداد الدين أو الحج عنه ؟)

بسم الله الرحمن الرحيم

أفتى عفا الله عنك: إذا كان هنا وكيل لعيال صغار قاصرين والوكيل كاشخ أو عم أو أجنبي هل تمضي وكأنه بكل حال كقسم عقار أو تصرف بمال أو غيره أو تمضي ببيء دون شيء ؟

(مسألة) إذا طلق رجل امرأته في حال صحته بائنا بموضع أو ثلاث فوات وهي في عدته هل يجب عليها حداد أو يستحب أم لا ؟

(مسألة) إذا مات انسان وفي ذمته دين آدميين وحجة الاسلام وتركته ماتوفي الجميع هل يقدم الدين أو الحجة أو يتحصان ؟ افتنا مأجورا انتهى .

(١) باض بالاصل ولعله «تفنيه وتثبته»

أجاب الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين رحمه الله تعالى:
(الجواب) من طرف، المسئلة الاولى فالوصي على الصغار انما يملك التصرف فيما وصي عليه به . فاذا أوصاد أبو الصغار عليهم في النظر في ما لهم وما يصلح لهم ملك التصرف فيما فيه مصلحة لهم ، وكذلك اذا كان لهم شريك في شيء وطلب القسمة فالوصي عليهم يقسم لهم وتمضي قسمته ولا يملك الوصي تزويج صغير إلا إن نص له الاب، على التزويج بأن يقول : وصيت اليك بتزويج بناتي ونحو هذا وأما البائن في الصحة فلا يلزمها إحداد اذا مات زوجها وهي في عدته، ولا تنتقل عن عدة الطلاق بل تتم عدة طلاق فقط ولا يستحب لها الاحداد أيضاً لأنها غير وارثة منه .

وأما من مات وعليه حجة الاسلام بأن يكون قد وجب عليه الحج في حياته لاستكمال شروطه حج عنه من ماله ، فان كان عليه دين وماله لا يفي فالدين ونفقة الحج سواء يقسم بالخصص . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

﴿رسالة في هبة ثواب الاعمال الى الميت هل يجوز أم لا؟﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

هذا جواب مسائل وردت على شيخنا فقال :

أما ما ذكرت من إيراد عثمان بعض عبارات الاصحاب على جوازات شريك في نفس العمل، فهو إيراد غير صحيح ، ولا ينبغي للطالب المعدول عن صريح كلامهم ومعارضته بما يحتدل من موافقة الصريح من كلامهم ويحتمل ضده ثم يحمله على ما يخالف الصريح ، بل الذي ينبغي رد المحتمل من كلامهم على صريحه ومنصوصه كما يجب رد المتشابه الى المحكم

وأما ما رواه الكحال عن أحمد قال : قيل لابي عبد الله الرجل يعمل الشيء

من الخير من صلاة وصدقة أو غير ذلك فيجعل نصفه لايه أو لاه . قال أرجوا ، فهذا يحتمل ان المراد جعل نصف نفس العمل ، ويحتمل نصف ثوابه ، ويتعين حمله على الاحتمال الثاني لوجهين

(أحدهما) ان الاصحاب لما ذكروا جواز اهداء ثواب العمل احتجوا لقولهم برواية المكحال عن الامام ، فدل على ان هذا معنى الرواية عندهم

(الوجه الثاني) انهم لما نصوا على انه اذا أحرم عن اثنين وقع عن نفسه قاسوا ذلك على الصلاة ، فدل على ان كون الصلاة لا تقع عن اثنين لا خلاف فيه عندهم لانهم جعلوه أصلا وقاسوا عليه الحج ، فدل على انهم لم يفهموا من رواية المكحال الا التشريك في نفس العمل ، وانما معناها التشريك في الثواب

ولما ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى وصول ثواب القربات الى الاموات ، وذكر ما في المسئلة من الخلاف ، صحح القول بوصولها وذكر حجج المخالفين وذكر من حججهم قولهم : لو ساغ ذلك لساغ اهداء نصف الثواب وربعه الى الميت . فأجاب بوجهين (أحدهما) منع الملازمة (الثاني) التزام ذلك والقول به ، نص عليه الامام أحمد من رواية محمد بن يحيى المكحال قل ووجه هذا ان الثواب ملك له فله أن يهديه جميعا وله أن يهدي بعضه . يوضحه انه لو أهداه الى أربعة مثلا تحصل لكل منهم ربعه ، فاذا أهدى الربع وأبقى لنفسه الباقي جاز كما لو أهداه الى غيره اه .

وأما الوصي في الاضحية فقاسوه على من أوصى اليه بتفرقة شيء مثلا على الفقراء وهو فقير . المشهور في المذهب انه لا يأخذ شيئا ، وأجاز جماعة له الاخذ وفيه قول يجوز له الاخذ إن دلت قرينة على الاذن وإلا فلا ، وتعليقهم على انه يجوز مع الاذن ، فكذلك اذا أذن الموصي للوصي في الأكل من الاضحية جاز وصرح ابن عبد الهادي بجواز الاكل له كغيره .

وأما ما فهمه كلام أحمد بن محمد من أنه لا يجوز له الاكل حتى مع الاذن فالظاهر أنه ليس بصواب ، لان كلام الاصحاب قد دل على جواز الاخذ لمن أوصى اليه بتفرقة شيء أو وكل اليه فيه اذا أذن له في الاخذ ، فكذلك اذا أذن الموصي للموصي في الاخذ من لحم الاضحية ، وأي فرق ؟

وأما اذا قال الموصي لوصيه في الاضحية لك جلدتها ونحوه على سبيل الوصية له بذلك أو على طريق العوض ، فالظاهر عدم جواز ذلك ، وأما اذا قال أذنت لك في الاكل من لحمها فلا مانع منه والله أعلم

(وأما المسئلة الثالثة) وهي العمل بالخط في اثبات الوقف وهل ينزع العقار ونحوه ممن هو في يده بخط قاض معروف ويحكم به بمجرد الخط ، فالذي يظهر ان هذا مبني على جواز العمل بمجرد الخط في الحكم والشهادة .

ومن المعلوم ان الذي عليه أكثر متقدمي الاصحاب أنه لا يجوز العمل بمجرد الخط ، وقد علمت مشروطه في كتاب القاضي الى القاضي وغير ذلك ، والذي عليه عمل المتأخرين جواز العمل بالخط والكلام الذي نقلتموه مضمونه عدم جواز العمل بالخط لانه أخرجه عن كونه بيينة ، ولا شك ان هذا هو مقتضى قول أكثر المتقدمين

وأما ما اعتمده كثير من المتأخرين من العمل بالخط

فمقتضى قولهم جواز العمل بذلك والاعتماد عليه

بشرط تحقق الحاكم انه خط القاضي

المعروف خطه وثقته فلا يجوز

الاعتماد على خط لا يتيقنه

ولا يعرف ثقة كاتبه

والله سبحانه

وتعالى أعلم

رِسَالَةٌ
فِي حَكْمِ مَنْ يَكْفُرُ غَيْرَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
وَالْكَفَرِ الَّذِي يَعُذُّ رِصَالِهِ بِالْجَهْلِ
”فَلَا يَحْكُمُ عَلَيْهِ بِهِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَقُومَ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ“
وَالَّذِي لَا يَعُذُّ

مِنْ فِتَاوَى
”الْعَلَامَةِ مَفْتِي الدِّيَارِ النَّجْدِيَّةِ ، وَعَالِمِ الطَّائِفَةِ السَّلَفِيَّةِ“
السَّيِّدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَشْتَهَرِ بِأَبِ بَطْنِينَ
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

عَلَّقَ عَلَيْهِ بَعْضُ الْحَوَاشِي الضَّرُورِيَّةِ
فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ الْمُهِّمَةِ
السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ رَشِيدِ رِضَا

بسم الله الرحمن الرحيم

استفتاء

(مسئلة) قال الشيخ تقي الدين رحمه الله تعالى في رده على ابن البكري «فلماذا كان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم وإن كان ذلك المخالف يكفرهم لان الكفر حكم شرعي ، فليس للانسان أن يعاقب بمثله، ممن كذب عليك وزني بأهلك ليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله، لان الزنا والكذب حرام لحق الله تعالى ، وكذلك التكفير حق لله تعالى فلا نكفر إلا من كفره الله ورسوله وأيضاً فإن تكفير الشخص المعين وجواز قتله موقوف على أن تبلغه الحجة النبوية التي يكفر من خالفها ، وإلا فليس كل من جهل شيئاً من الدين يكفر . الى أن قال : ولهذا كنت أقول للجهمية من الحلولية والنفاة الذين ينفون أن يكون تعالى فوق العرش: أنا لو وافقتكم كنت كافراً لاني أعلم ان قولكم كفر ، وأنتم عندي لا تكفرون لانكم جهال الخ »

افتونا مامعنى قيام الحجة اثابكم الله بمنه وكرمه

(الجواب) الحمد لله رب العالمين . نضمن كلام الشيخ رحمه الله مسئلتين :

(احداها) عدم تكفيرنا لمن كفرنا

وظاهر كلامه انه سواء كان متاولاً أم لا ، وقد صرح طائفة من العلماء انه اذا قال ذلك متاولاً لا يكفر . ونقل ابن حجر الهيتمي عن طائفة من الشافعية انهم صرحوا بكفره اذا لم يتأول فنقل عن المتولي انه قال : اذا قال لمسلم يا كافر بلا تأويل كفر ، قال وتبعه على ذلك جماعة واحتجوا بقوله ﷺ « اذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما » والذي رماه به مسلم فيكون هو كافراً قالوا : لانه سمي الاسلام كافراً ، ونعقب بعضهم هذا التعليل وهو قوله : لانه

سمى الاسلام كفرا فقال : هذا المعنى لا يفهم من لفظه ولا هو مراده . انما مراده ومعنى لفظه انك است على دين الاسلام الذي هو حق وانما انت كافر دينك غير الاسلام وأنا على دين الاسلام . وهذا مراده بلاشك لانه انما وصف بالكفر الشخص لادين الاسلام ، فنفى عنه كونه على دين الاسلام ، فلا يكفر بهذا القول وانما يعزr بهذا السب الفاحش بما يليق به ، ويلزم على ما قالوه ان من قال لعبد : يا فاسق : كفر لانه سمي العبادة فسقا ، ولا احسب أحدا يقوله وانما يريد انك تفسق وتفعل مع عبادتك ما هو فسق لأن عبادتك فسق انتهى

وظاهر كلام النووي في شرح مسلم يوافق ذلك فانه لما ذكر الحديث قال : وهذا مما عده العلماء من المشكلات فان مذهب أهل الحق ان المسلم لا يكفر بالمعاصي كالقتل والزنا وكذا قوله لآخيه يا كفر من غير اعتقاد بطلان دين الاسلام ثم حكر في تأويل الاحاديث وجوها (أحدها) انه محمول على المستحل ومعنى « بآء بها » بكلمة الكفر وكذا « حار - عليه » في رواية أي رجعت عليه كلمة الكفر فباء وحار ورجع بمعنى (الثاني) رجعت عليه نقبصته لآخيه ومعصيته تكفيره (الثالث) انه محمول على الخوارج المكفرين المؤمنين ، وهذا نقله القاضي عياض عن مالك وهو ضعيف لان المذهب الصحيح المختار الذي قاله الاكثرون والمحققون ان الخوارج لا يكفرون كسائر أهل البدع (الرابع) معناه انه يثول الى الكفر فان المعاصي كما قالوا يريد الكفر ويخاف على المكثر منها ان يكون عاقبة شؤمها المصير الى الكفر ويؤيده رواية أبي عوانة في مستخرجه على مسلم « فان كان كما قال والا فقد بآء بالكفر (الخامس) فقد رجع بكفره ، وليس الراجع حقيقة الكفر بل التكمير كونه جمل أخا المؤمن كافرا ، فكانه كفر نفسه ، اما لانه كفر من هو مثله واما لانه كفر من لا يكفره الا كافر يمتد بطلان الاسلام انتهى

وقال ابن دقيق العيد في قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ « ومن دعا رجلا بالكفر وليس

كذلك الا حار عليه « أي رجع عليه وهذا وعيد عظيم لمن كفر أحدا من المسلمين ، وليس هو كذلك وهي ورطة عظيمة وقع فيها خلق من العلماء اختلفوا في العقائد وحكموا بكفر بعضهم بعضا

ثم نقل عن الاستاذ أبي اسحاق الاسفرائيني انه قال : لا أ كفر إلا من كفرني ، قال وربما خفي هذا القول على بعض الناس وحمله على غير محله الصحيح والذي ينبغي ان يحمل عليه انه لمح هذا الحديث الذي يقتضي ان من دعا رجلا بالكفر وليس كذلك رجع عليه الكفر ، وكذلك قوله ﷺ « من قال لآخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما »

وكان هذا المتكلم أي أبو اسحق يقول : الحديث دل على انه يحصل الكفر لاحد الشخصين إما المكفر وإما المكفر ، فاذا كفرني بعض الناس فالكفر واقع بأحدنا وأنا قاطع اني لست بكافر ، فالكفر راجع اليه ، انتهى وظاهر كلام أبي اسحق انه لا فرق بين المتأول وغيره والله أعلم .

وما نقله القاضي عن مالك من حمله الحديث على الخوارج موافق لاحدى الروايتين عن أحمد في تكفير الخوارج ، اختارها طائفة من الاصحاب وغيرهم لانهم كفروا كثيرا من الصحابة واستحلوا دماءهم وأموالهم متقرين بذلك الى الله تعالى فلم يعذروهم بالتأويل الباطل ، لكن أكثر الفقهاء على عدم كفرهم لتأويلهم وقالوا من استحل قتل المعصومين وأخذ أموالهم بغير شبهة ولا تأويل كفر . وان كان استحلاله ذلك بتأويل كالخوارج لم يكفر والله أعلم وأحكم

(المسئلة الثانية) ان تكفير الشخص المعين وجواز قتله موقوف على أن تبلغه

الحجة النبوية التي يكفر من خالفها الخ

يشمل كلامه من لم تبلغه الدعوة وقد صرح بذلك في موضع آخر . ونقل ابن

عقيل عن الاصحاب انه لا يعاقب . وقال ان عفو الله عن الذي كان يعامل ويتجاوز

لأنه لم تبلغه الدعوة وعمل بخصلة من الخير ، واستدل لذلك بما في صحيح مسلم مرفوعاً « والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة - يهودي أو نصراني - ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار » قال في شرح مسلم : خص اليهود والنصارى لأن لهم كتاباً ، قل : وفي مفهومه ان من لم تبلغه دعوة الاسلام فهو معذور . قال : وهذا جار على ما تقرر في الاصول « لاحكم قبل ورود الشرع على الصحيح » اهـ

وقل القاضي أبو يعلى في قوله تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) في هذا دليل على أن معرفة الله تعالى لا تجب عقلاً ، وإنما تجب بالشرع وهو بعثة الرسل ، وإنه لو مات الانسان قبل ذلك لم يقطع عليه بالنار اهـ وفيمن لم تبلغه الدعوة قول آخر أنه يعاقب (١) اختاره ابن حامد واحتج بقوله تعالى (أychسب الانسان أن يترك سدى) والله أعلم

فمن بلغته رسالة محمد ﷺ وبلغه القرآن فقد قامت عليه الحجة (٢) فلا يعذر في عدم الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فلا عذره بعد ذلك بالجهل ، وقد أخبر الله سبحانه بجهل كثير من الكفار مع تصريحه بكفرهم (٣) ووصف النصارى بالجهل مع انه لا يشك مسلم في كفرهم ، ونقطع ان أكثر اليهود والنصارى اليوم جهال مقلدون ، ونعتقد كفرهم وكفر من شك في كفرهم وقد دل القرآن على ان الشك في أصول الدين كفر ، والشك هو التردد بين

-
- (١) أجاب الفائلون بهذا عن الآية بأن المراد بها عذاب الاستئصال لما ندى الرسل لا عذاب الآخرة ، وهو الذي يدل عليه انسياق الذي وردت فيه
 - (٢) لان القرآن مشتمل على الحجج العقلية على ما يجب الايمان به
 - (٣) الكفر كله جهل ، والجهل عذر للكافر الذي لم تبلغه الدعوة بالعلم ، وحجة الاسلام يزيل هذا الجهل فيزول بها هذا العذر

شيثين كالذي لا يجزم بصدق الرسول ولا كذبه ، ولا يجزم بوقوع البعث ولا عدم وقوعه ونحو ذلك كالذي لا يعتقد وجوب الصلاة ولا عدم وجوبها ، أو لا يعتقد تحريم الزنا ولا عدم تحريمه ، وهذا كفر باجماع العلماء ، ولا عذر لمن كان حاله هكذا بكونه لم يفهم حجج الله وبيداته لانه لا عذر له بعد بلوغها له وان لم يفهمها (١) وقد أخبر الله عن الكفار انهم لم يفهموا فقال (وجعلنا على قلوبهم أكمة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا) وقال (انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ، يحسبون انهم مهتدون)

فبين سبحانه انهم لم يفقهوا فلم يعذرهم لكونهم لم يفهموا بل صرح القرآن بكفر هذا الجنس من الكفار كافي قوله تعالى (قل هل ننبئكم بالاخرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا * أولئك الذين كفروا بايات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) الآية
 قل الشيخ أبو محمد موفق الدين بن قدامة رحمه الله تعالى لما انجر كلامه في مسألة: هل كل مجتهد مصيب أم لا؟ ورجح انه ليس كل مجتهد مصيباً بل الحق في قول واحد من اقوال المجتهدين . قال وزعم الجاحظ ان مخالف ملة الاسلام إذا نظر فعجز عن درك الحق فهو معذور غير آثم (٢) - الى أن قال - وأما ما ذهب اليه الجاحظ فباطل يقينا وكفر بالله تعالى ورد عليه وعلى رسوله ، فانا نعلم قطعا ان النبي ﷺ أمر اليهود والنصارى بالاسلام واتباعه وذمهم على إصرارهم وقاتل جميعهم (٣) يقتل البالغ منهم ، ونعلم ان المعاند العارف ممن يقل ، وانما الاكثر مقلدة

«١» من لم يفهم الدعوة لم تقم عليه الحجة ، وما ذكره من إجماع العلماء محله جحود المسلم الذي نشأ بين المسلمين لما ذكر ونحوه مما هو معلوم من الدين بالضرورة فلا يقبل منه دعوى الجهل (٢) وصرح بهذا بعض الاشعرية أيضاً ، وسيأتي تفصيل الكلام فيه
 «٣» كذا في الاصل

اعتقدوا دين آبائهم تقليداً ولم يعرفوا معجزة لرسول ﷺ وصدقه . والآيات الدالة في القرآن على هذا كثيرة كقوله تعالى (ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار * وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين * إن هم إلا يظنون) وقوله (ويحسبون أنهم على شيء * ويحسبون أنهم مهتدون * الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا * ولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فخبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً) وفي الجملة ذم المكذبين لرسول الله ﷺ لا ينحصر في الكتب والسنة اهـ

فبين رحمه الله تعالى أنا لو لم نكفر إلا للعائد العارف لزمنا الحكم بسلام أكثر اليهود والنصارى ، وهذا من أظهر الباطل (١)

فقول الشيخ تقي الدين رحمه الله تعالى : ان التكفير والقتل موقوف على بلوغ الحجة ، يدل كلامه على أن هذين الأمرين - وهما التكفير والقتل - ليسا موقوفين على فهم الحجة مطلقاً بل على بلوغها ، ففهمها شيء وبلوغها شيء آخر ، فلو كان هذا الحكم موقوفاً على فهم الحجة لم نكفر ونقتل إلا من علمنا أنه معاند خاصة ، وهذا بين البطلان (٢) بل آخر كلامه رحمه الله يدل على أنه يعتبر فهم الحجة في الأمور

(١) من يقول ان الكافر الذي لم تبلغه الدعوة على وجه يفهمه وتقوم به عليه الحجة معذور ، لا يعني أنه يحكم بإسلامه ولا أنه غير كافر ، وإنما يعني ان الله تعالى لا يعذبه عذاب من قامت عليه الحجة وجحدتها ، ولا عذاب من تولى وأعرض عن آياتها

(٢) في هذه المسألة نظر ، وقد اختلف فيها كبار علماء نجد المعاصرون في مجلس الامام عبدالعزيز بن فيصل آل سعود الملك بمكة المكرمة فكانت الحجة للشيخ عبدالله ابن بايهد بأن العبرة بفهم الحجة لا بمجرد بلوغها من غير فهم . وأورد لهم نصاً صريحاً في هذا من كلام المحقق ابن القيم رحمه الله تعالى ففقهوا به . وسيأتى تحقيق المسألة في مواضع أخرى

التي تخفى على كثير من الناس ، وليس فيها مناقضة للتوحيد والرسالة ، كالجهل ببعض الصفات

وأما الامور التي هي مناقضة للتوحيد والايان بالرسالة فقد صرح رحمه الله تعالى في مواضع كثيرة بكفر أصحابها وقتلهم بعد الاستتابة ، ولم يعذرهم بالجهل مع انا نتحقق أن سبب وقوعهم في تلك الامور انما هو الجهل بحقيقتها فلو علموا انها كفر تخرج عن الاسلام لم يفعلوها (١) وهذا في كلام الشيخ رحمه الله تعالى كثير كقوله في بعض كتبه : فكل من غلا بنبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعا من الآلهية مثل أن يدعو من دون الله ، نحو أن يقول : يا فلان أغني أو اغفر لي أو ارحمني أو انصرني أو اجبرني أو توكلت عليك وأنا في حسبك وأنت حسبي ، ونحو هذه الاقوال التي هي من خصائص الربوبية التي لاتصلح لا لله فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب وإلا قتل : وقال أيضاً : فمن جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم كفر اجماعاً .

وقال : من اعتقد أن زيارة اهل الذمة في كنائسهم قرينة إلى الله فهو مرتد ، وإن جهل أن ذلك محرم ، عرف ذلك ، فان أصر صار مرتداً .
وقل : من سب الصحابة أو واحداً منهم أو اقترن بسبه دعوى ان علياً إله أو نبي أو ان جبريل غلط فلا شك في كفر هذا بل لا شك في كفر من توقف في تكفيره .
وقال أيضاً : من زعم ان الصحابة ارتدوا بعد رسول الله ﷺ إلا نفراً قليلا لا يبلغون بضعة عشر أو انهم فسقوا فلا ريب في كفر قائل ذلك بل من شك في كفره فهو كافر . انتهى

(١) فيه ان الاستتابة تتضمن إزالة الجهل لانها تكون باعلام فاعل ما بنا في الايمان بأن فعله كفر يجب عليه تركه والتوبة منه . ويجب التفريق في هذا المقام بين الكافر الاصلي الذي لم يفهم حجة الاسلام وبين المسلم الذي يفعل ما ذكر من مناقضة التوحيد والايان بالرسالة لجهله بأنه من الاسلام . وفيه تفصيل سيأتي قريباً

فانظر كيف كفر الشاك، والشاك جاهل فلم ير الجاهل عذراً في مثل هذه الأمور (١) وقل رحمه الله في أثناء كلام له : - ولهذا قلوا من عصى مستكبراً كإبليس كفر بالاتفاق ، ومن عصى مشتهياً لم يكفر عند أهل السنة ، ومن فعل المحرم مستحلاً فهو كافر بالاتفاق ، قل : والاستحلال اعتقاد أنها حلال (٢) وذلك يكون تارة باعتقاد أن الله لم يحرمها وتارة بعدم اعتقاد أن الله حرمها ، وهذا يكون خلل في الايمان بالرؤية أو الرسالة ويكون جحداً محضاً غير مبني على مقدمة ، وتارة يعلم أن الله حرمها ثم ينتفع من التزام هذا التحريم ويعاند فهذا أشد كفراً ممن قبله انتهى

١ « علماء الأمة متفقون على أن الجاهل بأمور الدين القطعية المجمع عليها التي هي معلومة منه بالضرورة كالنوحيد والبعث وأركان الاسلام وحرمة الزنا والحريص بعذر للمعصر في تعلمها مع توفر الدواعي . وأما غير المقصر كحديث العهد بالاسلام والذي نشأ في شاطئ جبل مثلاً أي حيث لا يجد من يتلم منه فهو معذور . وهم متفقون أيضاً على عذر العوام بجهل المسائل الاجماعية غير المعلومة بالضرورة ويمنون بها في الكتب المختلفة بكون بنت الابن إذا وجدت مع بنت الصلب فإنها ترث الثلث تكلمة لثنتين في قوله تعالى (فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك) وهذا التفصيل هو الذي يظهر به كلام شيخ الاسلام في المواضع المختلفة . وفي معناه ما ذكره المؤلف قريباً من نص السلف والائمة وما ذكرناه أوضح

٢ هذا التفسير الاستحلال هو الذي لم يقيناه من المشايخ فيكون داخل في عموم عدة المذكورة آنفاً بما يبذر بجهله وما لا يبذر وهو قسمان فقط : عدم اعتقاد الحكم أو اعتقاد خلافه . وأما القسم الثالث وهو عدم التزام التحريم مع العلم به فلا يدخل في التفسير المذكور للاستحلال ولكنه هو المعنى المتبادر منه فيما بعد كفراً مطعماً . فالمستحل للحرام الذي أطلقوا القول بكفره هو من يعلم أنه حرام ولا يدع لنا جاء به الشرع من تحريره . وشرط صحة الايمان الذي هو الاعتقاد : الاذنان النفسي الذي هو مفهوم الاسلام وهو الذي يقتضي العمل عند عدم المانع . وأما الاستحلال بالمعنى الاول فلا يعد كفراً مطعماً بل هو جهل بزول العلم . والمتأول به لما يحتمل اننا وبل معذور باتفاق العلماء ومنه ما يأتي قريباً من استحلال بعض الصحابة الحرام مؤمن الصالح النقي

وكلامه رحمه الله في مثل هذا كثير. فلم يخص التكفير بالمعاند مع القطع بأن أكثر هؤلاء جهال لم يعلموا أن ما قالوه أو فعلوه كفر، فلم يعذروا بالجهل في مثل هذه الأشياء لأن منها ما هو مناقض للتوحيد الذي هو أعظم الواجبات، ومنها ما هو متضمن معارضة الرسالة ورد نصوص الكتاب والسنة الظاهرة المجمع عليها بين علماء السلف

وقد نص السلف والأئمة على تكفير أناس بأقوال صدرت منهم مع العلم أنهم غير معاندين. ولهذا قل الفقهاء رحمهم الله تعالى: من جحد وجوب عبادة من العبادات الخمس، أو جحد حل الخبز ونحوه أو جحد تحريم الخمر ونحوه أو شك في ذلك ومثله لا يجمله كفر، وإن كان مثله يجمله عرف ذلك، فإن أصر بعد التعريف كفر وقتل ولم يخصوا الحكم بالمعاند

وذكروا في باب حكم المرتد أشياء كثيرة - أقوالاً وأفعالاً - يكون صاحبها بها مرتدّاً ولم يقيدوا الحكم بالمعاند

وقل الشيخ أيضاً: لما استحل طائفة من الصحابة والتابعين الخمر كقدامة وإصحابه وظنوا أنها تباح لمن آمن وعمل صالحاً على ما فهموه من آية المائدة (١) اتفق علماء الصحابة كعمر وعلي وغيرهما على أنهم يستتابون، فإن أصرّوا على الاستحلال كفروا، وإن أفروا به جلدوا، فلم يكفروهم بالاستحلال ابتداءً لأجل الشبهة حتى يبين لهم الحق فإن أصرّوا كفروا

وقل أيضاً: ونحن نعلم بالضرورة أن رسول الله ﷺ لم يشرع لأئمة أن يدعوا أحداً (٢) من الأحياء والأموات - لا الأنبياء ولا غيرهم - لا بلفظ الاستغاثة ولا بلفظ الاستعانة ولا بغيرهما، كما أنه لم يشرع لهم السجود لميت ولا إلى ميت

١ «بمعنى آية ﴿إيس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات﴾ الخ (٢) يعني دعاء العباد وهو طلب ما لا يقدر عليه الناس بكسبهم المراد بقوله تعالى ﴿فلا تدعوا مع الله أحداً﴾

ونحو ذلك بل نعلم انه نهى عن ذلك كله وانه من الشرك الذي حرمه الله ورسوله لكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يبين لهم ما جاء به الرسول . انتهى

فانظر إلى قوله لم يمكن تكفيرهم حتى يبين لهم ما جاء به الرسول، ولم يقل حتى يتبين لهم (١) ويتحقق منهم المعاندة بعد المعرفة

وقال أيضاً لما انجر كلامه في ذكر ما عليه كثير من الناس من الكفر والخروج عن الاسلام قال : وهذا كثير غالب لاسيا في الاغصار والامصار التي تغاب فيها الجاهلية والكفر والنفاق ، فلهؤلاء من عجائب الجبل والظلم والكذب والكفر والنفاق والضلال مالا يتسع لذكره المقال

واذا كان في المقالات الخفية فقد يقال انه فيها مخفي ضال لم نغم عليه الحجة التي يكفر صاحبها لكن ذلك يقع في طوائف منهم في الامور الظاهرة التي يعلم الخاصة والعامة من المسلمين انها من دين الاسلام بل اليهود والنصارى والمشركون يعلمون أن محمداً ﷺ بعث بها وكفر من خلفها مثل أمره بعبادة الله وحده لا شريك له ونهيه عن عبادة أحد سوى الله من الملائكة والتبيين أو غيرهم، فان

« ١ » في هذا ان الله تعالى قال « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما نولى ونصله جهنم » والدعوة الصحيحة انما تكون بالآيات والبيّنات والقرض من بيان الآيات أن تبين لمن توجه اليهم كما قال تعالى « سنبهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق » وهذه المسائل التي قال فيها شيخ الاسلام ان الجاهل لما لا يمكن الحكم بكفره فيها « حتى يبين له ما جاء به الرسول » لا يحتاج المسلم الجاهل في تبينها إلا إلى بيانها . أعني انه لما كان مؤمناً برسالة الرسول كان مقتضى هذا الايمان أن يقبل كل ما علم انه من الدين الذي جاء به . ولا يتحقق بياؤه إلا بما يفهمه بحسب لغته ودرجة فهمه . فذكر النص العربي للجاهل العجبي لا يعد بياؤه وكذلك ذكره للعربي العامي بألفاظ غريبة أو اصطلاحية لا يفهمها

هذا أظهر شعائر الاسلام ، ومثل معاداة اليهود والنصارى والمشركين ، ومثل تحريم الفواحش والربا والخمر والميسر ونحو ذلك ، ثم تجدد كثيراً من ردوسهم وقعوا في هذه الانواع فكانوا مرتدين ، وإن كانوا قد يتوبون من ذلك أو يعودون - إلى أن قل :

وبلغ من ذلك ان منهم من يصنفون في دين المشركين والردة عن الاسلام كما صنف الرازي كتابه في عبادة الكواكب وأقام الأدلة على حسن ذلك ومنفعته ورغب فيه (١) وهذه ردة عن الاسلام باتفاق المسلمين وإن كان قد يكون تاب عنه وعاد إلى الاسلام انتهى

فانظر إلى تفرقه بين المقالات الخفية والامور الظاهرة فقال في المقالات الخفية التي هي كفر قد يقال انه فيها مخطيء ضال لم تقم عليه الحجة التي يكفر صاحبها ولم يقل ذلك في الامور الظاهرة

فكلامه ظاهر في الفرق بين الامور الظاهرة والخفية . فيكفر بالامور الظاهر حكمها مطلقاً ، وبما يصدر منها من مسلم جهلاً ، كاستحلال محرم أو فعل أو قول شركي بعد التعريف ، ولا يكفر بالامور الخفية جهلاً كالجعل ببعض الصفات فلا يكفر الجاهل بها مطلقاً (٢) وإن كان داعية ، كقوله للجهمية : أنتم عندي لا تكفرون

(١) في طبقات السبكي انكار نسبة هذا الكتاب إليه

(٢) الاقسام التي ذكرها ثلاثة (الاول) ما يكفر به مطلقاً ولا يعذر بجهله وهو ما عبر بالامور الظاهر حكمها وعبر عنه المحققون بالامور المعلومه من الدين بالضرورة الجمع عليها ، واستثنوا من عموم الاطلاق قريب العهد بالاسلام ومن نشأ بعيداً عن المسلمين الذين يمكنه التعلم منهم . ومنه أن تنقع رجلاً كافراً في بلاد الكفر بتوحيد الله ورسالة محمد ﷺ وما جاء به من البعث والجزاء . ويموت قبل أن يتمكن من تعليمه شرائع الاسلام . أو تعلمه بعضها كالصلاة والصيام دون بعض ، وتركه وتسافر من بلاده فهو يعذر بجهل ما لم يعلمه من الضروريات الاخرى

لانكم جهال. وقوله «عندي» يبين ان عدم تكفيرهم ليس أمراً مجمعاً عليه لكنه اختياره .
وقوله في هذه المسئلة خلاف تشهور في المذهب . فان الصحيح من المذهب
تكفير المجتهد الداعي الى القول بخلق القرآن او نفي الرؤية أو الرضا ونحو
ذلك وتفسيق المقلد

قال المجد ابن تيمية رحمه الله: الصحيح ان كل بدعة كفرنا فيها الداعية فانا
نفسق المقلد فيها، كمن يقول بخلق القرآن او ان علم الله مخلوق ، او ان أسماء مخلوقة
او انه لا يرى في الآخرة او يسب الصحابة تديناء او ان الايمان مجرد الاعتقاد ،
وما أشبه ذلك، فمن كان عالماً في شيء من هذه البدع يدعو اليه وينظر عليه
فهو محكوم بكفره . نص احمد على ذلك في مواضع انتهى
فانظر كيف حكموا بكفرهم مع جهلهم ، والشيخ (١) رحمه الله يختار عدم
كفرهم ويفسقون عنده

ونحوه قول ابن القيم رحمه الله تعالى فانه قال : فسق الاعتقاد كفسق أهل
البدع الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ومحرمون ما حرم الله ، ويوجبون

الى أن يتمكن من تعلمها إن علم ان هنالك أموراً أخرى لا بد له من العلم والايمان
بها «الثاني» مالا يكفر بجهله مطلقاً وهو الامور الحفية من الدين ويقال باصطلاح
جمهور العلماء هي ما ليس بحما عليه ولا معلوما من الدين بالضرورة كالمسائل التي
اختلف فيها أئمة المسلمين من تفويض وتأويل (الثالث) ما لا يكفر به اذا فعله
جاذباً الا بعد إعلامه بحكم الله فيه وهو المجمع عليه مما يحب عليه وجوباً عينياً بنص
قطعي وتعرض فيه الشبهة وسوء الفهم كمسألة استحلال الخمر المتقدمة ومسألة الاعرابي
الذي فهم من الحيط الابيض والحيط الالود في آية الصيام ظاهر اللفظ فأعلمه
النبي ﷺ أن المراد به الليل والنهار . وهناك قسم رابع وهو المسائل الاجتهادية
التي ليس فيها نص قطعي الرواية والدلالة . فهذه يعذر فيها كل مجتهد باجتهاده

« ١ » يعني شيخ تقي الدين ابن تيمية . وقاعدة الشيخ محمد عبد الوهاب عدم التكفير بما
اختلف فيه العلماء فهو على رأي الشيخ تقي الدين في هذه المسألة

ما أوجب الله ، ولكن ينفون كثيراً مما أثبت الله ورسوله جهلاً وتأويلاً وتقليداً للشيوخ ، ويثبتون ما لم يثبت الله ورسوله كذلك ، وهؤلاء كالخوارج المارقة وكثير من الروافض والتقدرية والمعتزلة وكثير من الجهمية الذين ليسوا غلاة في انتحهم وأما غلاة الجهمية فكغلاة الرافضة (١) ليس للطائفتين في الاسلام نصيب ، ولذلك أخرجهم جماعة من السلف من اثنتين والسبعين فرقة ، وقلوا : هم مباينون للملة انتهى

وبالجملة فيجب على من نصح نفسه أن لا يتكلم في هذه المسئلة إلا بعلم وبرهان من الله ، وليحذر من اخراج رجل من الاسلام بمجرد فهمه واستحسان عقله فان اخراج رجل من الاسلام أو ادخاله فيه أعظم أمور الدين ، وقد كفيينا بيان هذه المسئلة كغيرها بل حكمها في الجملة أظهر أحكام الدين

فلواجب علينا الاتباع وترك الابتداع كما قال ابن مسعود رضي الله عنه «اتبعوا ولا تبدعوا فقد كفيتم» وأيضاً فما تنازع العلماء في كونه كفراً فلا احتياط للدين التوقف وعدم الاقدام ما لم يكن في المسئلة نص صريح عن المعصوم عليه السلام وقد استزل الشيطان أكثر الناس في هذه المسئلة فقصر بطائفة فحكموا باسلام من دلت نصوص الكتاب والسنة والاجماع على كفره ، وتعدى بآخرين فكفروا من حكم الكتاب والسنة مع الاجماع بانه مسلم

ومن العجب ان أحد هؤلاء لو سئل عن مسئلة في الطهارة أو البيع لم يفت بمجرد فهمه واستحسان عقله ، بل يبحث عن كلام العلماء ويفتي بما قالوه فكيف

«١» غلاة الجهمية ينكرون جميع صفات الله تعالى الوجودية المنصوصة في القرآن بتأويلات تبرأ منه اللغة. وغلاة الرافضة هم الباطنية الذين ذهبوا إلى أن باطن الاسلام المقصود بالذات هو غير طاهره الذي تناقله المسلمون بالعلم والعمل عن النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه وان الباطن الذي هو الحق يجب تنقيه عن أئمتهم المنصومين

يعتمد في هذا الامر العظيم الذي هو أعظم أمور الدين وأشدّها خطراً على مجرد فهمه واستحسانه؟ فيا مصيبة الاسلام من هاتين الطائفتين، ومحنته من آيئك البليتين. ونسألك اللهم أن تهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

فائدة عظيمة

من كلام مفتي الديار النجدية عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين قدس الله سره

❦ في موضوع التكفير المتقدم عنه ❦

قال رحمه الله تعالى : وأما سئلت عنه من أنه هل يجوز تعيين انسان بعينه بالكفر إذا ارتكب شيئاً من المكفرات ؟ فالامر الذي دل الكتاب والسنة واجماع العلماء عليه أنه كفر مثل الشرك بعبادة غير الله سبحانه ، فمن ارتكب شيئاً من هذا النوع أو حسنه فهذا لا شك في كفره ، ولا بأس بمن تحققت منه شيئاً من ذلك أن تقول كفر فلان بهذا الفعل

يبين هذا أن الفقهاء يذكرون في باب حكم المرتد أشياء كثيرة يصير بها المسلم مرتداً كافراً ، ويستفتحون هذا الباب بقولهم : من أشرك بالله كفر وحكمه أن يستتاب فإن تاب والا قتل ، والاستتابة إنما تكون مع معين ، ولما قل بعض أهل البدع عند الشافعي : ان اقرآن مخلوق ، قل : كفرت بالله العظيم . وكلام العلماء في تكفير المعين كثير

وأعظم أنواع الكفر الشرك بعبادة غير الله وهو كفر باجماع المسلمين ولا مانع من تكفير من اتصف بذلك كما ان من زنى قيل فلان زان ، ومن رانى قيل فلان مراب والله أعلم (منقولة حرفاً بحرف وصلى الله على محمد وصحبه وسلم)

رسالة أخرى

في سكوت أكثر الناس عن المنكرات

﴿وكونه لا يعد إجماعاً يحتاج به على مشروعيتهما ؟﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(وبه نستعين)

من علي بن عبد الله الى الوالد المكرم عبد الله بن عبد الرحمن ، سلمه الله تعالى ، وأسبغ عليه نعمه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) ان قل قائل : تقولون ان إجماع الامة حجة ، وانها لا تجتمع على ضلالة ، وأنتم قد خالتم جميع العلماء من أهل الامصار قاطبة ، وادعيتهم ما لم يدعيه غيركم ، وأنكرتم ما لم ينكر في جميع الارض ، والاشارة هنا الى التوحيد ، وإلى ما دعا اليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وتكفير من أشرك بالله في ألوهيته عند المشاهد وغيرها ، فما الجواب لذلك ؟ أفدنا جزاك الله خيراً جواباً سديداً

(فأجاب) سلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) دعوى هذا المبطل إجماع العلماء على جواز دعاء أهل القبور ، والاستغاثة بهم ، والتقرب اليهم بالنذور والذبايح فهذا كذب . وشبهته ان هذه الامور ظاهرة في جميع الامصار ، ولم يسمعوها أن عالماً أنكرها

فيقال : قد أنكرها كثير من علماء هذا الزمان ، ووافق عليه خواص من علماء الحرمين واليمن ، وسمعنا منهم مشافهة ، ولكن الشوكة لغيرهم ، وصنف فيه جماعة كالنعماني من أهل اليمن ، له مصنف في ذلك حسن ، وكذلك الشوكاني ومحمد بن اسماعيل الامير الصنعاني وغيرهم . ورأيت مصنفاً لعالم من أهل جبل سليمان في

إنكار ذلك . وهذا مصداق قول النبي ﷺ « لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين » وليس المراد بالظهور بالسيف بل بالحجة دائماً ، وبالسيف أحياناً ولو قال هذا المجادل : ان أكثر الناس على ما يرى - لكن صادقاً وهذا مصداق الحديث « بدأ الاسلام غريباً وسيمود غريباً كما بدأ »

وأيضاً فالبناء على القبور واسراجها وتخصيصها بظاهر غالب في الامصار التي تعرف ، مع ان النهي عن ذلك ثابت عن النبي ﷺ . ومنصوص عليه في جميع المذاهب ، فهل يمكن هذا المبتطل أن يقول : ان الامة مجمعة على جواز ذلك لكونه ظهراً في الامصار ، والله سبحانه انما افترض على الخلق طاعته وطاعة رسوله ﷺ وأمرهم أن يردوا الى كتابه وسنة رسوله ما تنازعوا فيه . وأجمع العلماء على انه لا يجوز التقليد في التوحيد والرسالة

فذا عرف ان الشرك عبادة غير الله ، وعرف معنى العبادة وانها كل قول وعمل يحبه الله وبرضاه (١) ومن أعظم ذلك الدعاء لانه منخ العبادة ، وعلم ما يفعل عند القبور من دعاء أصحابها وسؤالهم قضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، والتقرب اليهم بالذنور والذبايح . علم ان هذا هو الشرك الاكبر الذي هو

١) يعني ان عبادة الله تعالى تشمل جميع الاقوال والافعال المذكورة . وليس هذا تعريفاً للعبادة بمعناها الاعم الذي يشمل عبادات الكفار كطواف المشركين بالبيت عراء . وأكثر العلماء يعرفونها بما يسمى تعريف الرسم . وأدق تعريف لها أن يقال : هي كل قول وعمل بدني أو نفسي بوجه ويتقرب به إلى من يعتقد قائله أن له قدرة على النفع ودفع الضرر فوق الاسباب التي يقدّر عليها البشر ، إما بذاته كالأرب الخالق تعالى وإما بالوساطة والتأثير عنده تعالى . ومن الأخير قوله تعالى في المشركين ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون : هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾ يعنون ان الله تعالى ينفعهم ويدفع عنهم الضرر بشفاعتهم عنده التي يدعونهم لاجلها لا لذواتهم

عبادة غير الله ، فاذا تحقق الانسان ذلك عرف الحق ولم يبال بمخالفة كثر الناس ، ويعتمد ان الامة لا تجتمع على ضلالة

فان قال هذا المجادل ان هذه الامور التي تفعل عند القبور جائزة شرعا فهو محاد لله ورسوله . فان قال هذه الامور ما تجوز لكنها ليست بشرك : مع دعواه ان علماء الزمان أجمعوا على ذلك فيلزمه ان الامة اجتمعت على ضلالة ، والانسان اذا تبين له الحق لم يستوحش من قلة الموافقين وكثرة المخالفين لاسيما في هذا الزمان وقول الجاهل : لو كان هذا حقاً ما خفي على فلان وفلان . هذه دعوى الكفار في قولهم (لو كان خيراً ما سبقونا اليه) (أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ؟) وقد قال علي رضي الله عنه « اعرف الحق تعرف أهله »

وأما الذي في حيرة ولبس فكل شبهة تروج عليه فلو ان أكثر الناس اليوم على الحق لم يكن الاسلام غريباً ، وهو والله اليوم في غاية الغربة ، ولما ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى الشرك وظهوره قال : فما أعزمن يخلص من هذا بل ما أعزمن لا يعادي من أنكره يعني ما أقل من لا يعادي من أنكره

وهذا قوله في زمانه ولا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه كما قل النبي ﷺ وقد نقلنا في الاوراق التي كتبنا وهي عندكم طرفاً من كلام العلماء في أنواع الشرك

ومن ذلك قول الشيخ تقي الدين رحمه الله تعالى : من جعل الملائكة والانبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ، ويسألهم جلب النافع ودفع المضار فهو كافر باجماع المسلمين انتهى . وهذا الذي يفعل عند هذه المشاهد . وهذا أظهر أمور الدين (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) نسأل الله أن يهدينا صراطه المستقيم ، صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين وصلى الله على محمد

رسالة له اخرى

(في الرد على من احتج على جواز الشرك والضلال بعمل الناس وكثرة السواد)

بسم الله الرحمن الرحيم

(رب يسر وأعن يا كريم)

من عبد الله بن عبد الرحمن الى الولدين المكرمين محمد آل عبد الله ومحمد آل عمر آل سليم، زادهما الله علماً وفهماً، وروهب لنا ولهما حلماً وحكماً. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد موجب الخط ابلاغ السلام، والخط وصل أوصليهما الله إلى كل خير، وكذلك الايات التي نقتنم كتبنا عليها ما اتسع له المحل، وبطلان ما نضمته ظاهر والله الحمد ما يخفى إلا على من أعمى الله بصيرته، ولكن اذا تحققت بقول الصادق المصدوق ان هذه الامة تتبع اليهود والنصارى فيما أحدثوا حذو القذة بالقذة مع قوله ﷺ «بدأ الاسلام غربياً وسيعود غرباً كما بدأ» (١) فاذا صدق الانسان بذلك لم يستنكر (٢) ما حدث من الشرك والبدع وظهور المنكرات، وتضييع شرائع الاسلام، وتعطيل حدود الله

فاذا عرف ذلك وعلم أنه لم يضل اليهود والنصارى الا علماؤهم علم ان سبب ضلال هذه الامة علماؤها كما في الحديث المشهور «علماؤهم شر من تحت أديم السماء، منهم خرجت الفتنة وفيهم تعود»

وقول القائل: لو ان هذا ما يجوز ما خفي على فلان وفنتان. فهذه شبهة باطلة وقد روى ابن وضاح عن عمر رضي الله عنه قل: أخذ رسول الله ﷺ بلحيتي وأنا أعرف الحزن في وجهه، فقال «انا لله وانا اليه راجعون» فقلت أجل

(١) سقط من الاصل جواب: اذا تحققت النخ ويحتمل أن يكون استغنى عنه بجواب الشرط في الجملة التالية لهذه (٢) يعني لا يستغرب ذلك. ولا يعني انه لا يعده منكراً

انا لله وانا اليه راجعون فما ذاك يا رسول الله ؟ قال «أتاني جبريل فقال إن أمتك مفتتنة بعد قليل من الدهر غير كثير» قلت : فتنة كفر أم فتنة ضلالة ؟ قال «كل سيكون» قلت وأين يأتيهم ذلك وأنت تارك فيهم كتاب الله ؟ قال «بكتاب الله يضلون، وذلك من قبل قرائهم وأمرائهم»

قال محمد بن وضاح : الخير من بعد الانبياء ينقص، والشر يزداد ، وقال «انما هلكت بنو اسرائيل على يدي قرائهم وفقهائهم وستهلك هذه الامة على يدي قرائهم وفقهائهم» قال ابن المبارك :

وهل أفسد الدين إلا الملو ك وأخبار سوء ورهبانها

وقد أخبر الله سبحانه عن اليهود أنهم يحرفون الكلام عن مواضعه أي يتأولون كتاب الله على غير ما أراد الله وقال (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما علقوه وهم يعلمون) وأخبر عنهم أنهم (يؤمنون بالجبوت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا) ولا بد أن يوجد في هذه الامة من يتابعهم على ما ذمهم الله به

والانسان اذا عرف الحق وضده لم يبال بمخالفة من خالف كائناً من كان ولا يكبر في صدره مخالفة عالم ولا عابد ، لان هذا أمر لا بد منه وما أخوفي على من عاش أن يرى أموراً عظيمة لا منكر لها والله المستعان

(قلت) والاستغاثة بالنبي ﷺ صدرت من كثير من المتأخرين ممن

يشار اليه بالعلم

وقد صنف رجل يقال له ابن البكري كتاباً في الاستغاثة بالنبي ﷺ ورد عليه شيخ الاسلام ابن تيمية في مجلد ، بين فيه بطلان ما ذهب اليه وبين انه من الشرك ، قال الشيخ : وقد طاف - يعني ابن البكري - على علماء مصر فلم يوافق أحد منهم ، وطاف عليهم بجوابي الذي كتبتهم وطلب منهم معارضته فلم يعارضه أحد

منهم مع ان عند بعضهم من التعصب مالا يخفى . ومع ان قوما كان لهم غرض وجهل بالشرع قاموا في ذلك قياما عظيما واستعانوا بمن له غرض من ذوي سلطان مع فرط عصبيتهم وكثرة جمعهم وقوة سلطانهم ومكيدة شيطانهم قال شيخ الاسلام تقي الدين رحمه الله تعالى : والاستغاثة بالنبي ﷺ بعد موته موجودة في كلام بعض الناس ، مثل يحيى الصرصري ومحمد بن النعمان ، وهؤلاء لهم صلاح ، لكن ايسوا من أهل العلم بل جروا على عادة كهادة من يستغيث بشيخه عند الشدائد ويدعوه اهـ

والمقصود أن نوع الشرك من الاستغاثة بالنبي ﷺ وغيره جرى في زمان الشيخ ، والشر يزيد ، لا يأتي عام إلا والذي بعده شر منه ، فقله المستعان وفي هذه الازمنة يقال : العجب من نجاح كيف ليس العجب ممن هلك كيف هلك وقول من يقول : استعملها من هو أعلم منا وأعرف بكلام العرب . فبئس الحجة الواهية ، والله لم يأمرنا باتباع من رأيناه أعلم منا ، وانما أوجب علينا عند التمازع الرد الى كتابه وسنة نبيه . قال تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) خاصة في أصول الدين ، فانه لا يجوز التقليد فيها باجماع العلماء ، ولان أدلته والله الحمد ظاهرة . ولم يقل سبحانه فان تنازعتم في شيء فاتبعوا ما عليه أكثر الناس ولا ما عليه بلد من البلدان وأكثر الناس اليوم - خصوصا طلبية العلم - خفي عليهم الشرك ، والشيخ ابن عجلان المذكور يجوز الاستغاثة بالاموات فكيف بالنبي ﷺ ؟ وكلامه صريح ما يحتمل تأويلا كقوله : ومنقذي من عذاب الله والالم

نسأل الله السلامة ، وابن عجلان أقل الاحوال هجره ، وإنما النصيحة فلا تفيد في مثله ، وأمره هذا ان وصل الشيخ عبد الرحمن بن حسن أو فيصل او ابن

سعود الادي فأتخاف على نفسه، ولو له عقل ما أظهر هذا الامر الذي يجر عليه شرًا
ولكن قد أحسن القائل رحمه الله ورضي عنه

يا من له عقل ونور قد غدا	يمشي به في الناس كل أوان
لكننا قلنا مقالة صارخ	في كل وقت بينكم بأذان
الرب رب والرسول فعبد	حقاً، وليس لنا إله ثان
فلذلك لم نعبد مثل عبادة الر	حن فعل المشرك النصراني
كلا، ولم نعلو الغلو، كما نهى	عنه الرسول مخافة الكفران
لله حق لا يكون غيره	ولعبد حق، هما حقان
لا تجعلوا الحتين حقاً واحداً	من غير تمييز ولا فرقان
فالحج للرحمن دون رسوله	وكذا الصلاة وذبح ذي القربان
وكذا السجود ونذرناويميننا	وكذا متاب العبد من عصيان
وكذا التوكل والانابة والتقى	وكذا الرجاء وخشية الرحمن
وكذا العبادة واستعانتنا به	إياك نعبد، ذاك توحيدان
وعليهما قام الوجود بأسره	دنيا وأخرى حبذا الركنان
وكذا التسبيح والتكبير والتم	ليل حق إلهنا الديان
لكنما التعزير والتوقير	حق للرسول بمقتضى القرآن
والحب والايمان والتصديق لا	يختص بل حقان مشتركان
هذه تفاصيل الحقوق ثلاثة	لا تجملوها يا أولي العدوان
حق الاله عبادة بالامر لا	بهوى النفوس فذاك للشيطان
من غير إشراك ولا شك هما	سببا النجاة فحبذا السببان
ورسوله فهو المطاع وقوله	مقبول إذ هو صاحب البرهان

إلى آخر كلامه رحمه الله ورضي عنه . وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه
وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين والله أعلم

أسئلة عن أحاديث غير صحيحة وأجوبتها

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الحمد لله وحده ﴾

سئل الشيخ علامة العصر ، وبادرة الدهر ، عبدالله بن عبد الرحمن أبابطين
رحمة الله عليهما وعليه آمين — عن حديث «لو أن أحدكم أدلى بجبل لهبط على الله»
فأجاب:

حديث «لو أن أحدكم أدلى بجبل لهبط على الله» رواه الترمذي من
رواية الحسن عن أبي هريرة . وللشيخ تقي الدين رحمه الله على هذا الحديث
كلام طويل. قل فإن كان ثابتاً (١) فقله «لو أن أحدكم أدلى بجبل لهبط على الله» إنما
هو تقدير مفروض أي لو وقع الادلاء لوقع عليه، لكنه لا يمكن أن يدلي أحد على
الله سبحانه وتعالى شيئاً لأنه عال بالذات. وإذا هبط شيء إلى جهة الأرض وقف
في المركز من الجزء — إلى أن قال — فكما أن ما بهبط إلى جوف الأرض يمتنع
صعوده إلى تلك الناحية لأنها عالية، فتد الهابط بعلوها، كما أن الجهة العليا من عندنا
ترد ما يصعد إليها من الثقل فلا يصعد الثقل إلا برفع يرفعه يدافع به مافي قوته
من الهبوط فكذلك ما بهبط من أعلى الأرض إلى أسفلها وهو المركز ، لا يصعد
من هناك إلى ذلك الوجه إلا برفع يرفعه يدافع به مافي قوته من الهبوط إلى المركز
فإن قدر أن الرفع أقوى كن صاعداً به إلى الفلك من تلك الناحية
وصعد به إلى الله ، وإنما يسمى هبوطاً باعتبار ما في أذهان المخاطبين من أن ما
يحاذي أرجلهم يكون هابطاً ويسمى هبوطاً مع تسمية إهباطه ادلاء. وهو إنما
يكون ادلاء حقيقياً إلى المركز ، ومن هناك إنما يكون مداً للحبل والدلو، لا ادلاء
له ، ولكن الجزء والشرط مقدران لا محققان ، فانه قال «لو أدلى لهبط» أي لو
(١) يعني أن الحديث ليس بثابت في نفسه لان سنده غير صحيح ومنته غير معقول
وانما هو مفروض كما يفرض الحال ، وكلام شيخ الاسلام فيه تراه في كتابه في العرش

فرض ان هناك ادلاء لفرض ان هناك هبوطاً، وهو يكون ادلاء وهبوطاً اذا قدر أن السموات تحت الارض، وهذا منتف، ولكن فائدته بيان الاحاطة والعلو من كل جانب ، وهذا المفروض ممتنع في حقنا، لا نقدر عليه فلا يتصور أن ندلي، فلا يتصور ان يهبط على الله شيء ، لكن الله قادر على ان يخرق من هناك بحبل لكن لا يكون في حقه ادلاء ، فلا يكون في حقه هبوط عليه، كما لو خرق بحبل من القطب الى القطب او من مشرق الشمس إلى مغربها وقدرنا أن الحبل مرفي وسط الارض فان الله قادر على ذلك كله — الى أن قال —

فعلى كل تقدير قد خرق بالحبل من جانب المحيط إلى جانبه الآخر مع خرق المركز وبتقدير إحاطة قبضته بالسموات والارض فالحبل الذي قدر انه خرق به العالم وصل اليه ولا يسمى شيئاً بالنسبة اليه لا إدلاءً ولا هبوطاً وأما بالنسبة الينا فان ما تحت ارجلنا تحت لنا ، وما فوق رؤوسنا فوق لنا . وما نذليه من ناحية رؤوسنا إلى ناحية أرجلنا نتخيل انه هابط ، فاذا قدر أن أحدنا أدلى بحبل كان هابطاً على ما هناك . لكن هذا التقدير ممتنع في حقنا

والمقصود به بيان إحاطة الخالق تعالى ، كما بين انه يقبض السموات ويطوي الارض ونحو ذلك مما فيه بيان إحاطته بالخلق ، ولهذا قرأ في تمام هذا الحديث (هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم)

وهذا كله كلام على تقدير صحته فان الترمذي لما رواه قال وفسر بعض أهل العلم بأنه هبط على علم الله

ثم قال الشيخ : وتأويله بالعلم تأويل ظاهر الفساد . قال : وبتقدير ثبوته يكون دالا على الاحاطة ، والاحاطة قد علم أن الله قادر عليها وعلم انها تكون يوم القيامة بالكتاب والسنة . فليس في إثباتها في الجملة ما يخالف العقل ولا انشراح لكن لا تتكلم إلا بما نعلم وما لم نعلم أمسكنا عنه

وأما من روى أن الزيدية محوس هذه الامة ، فلا شك أن هذا كذب وانما المروي «القدرية محوس هذه الامة»

وحديث «القرآن كلام الله» الخ ليس له أصل عن النبي ﷺ . وحديث «تارك الصلاة» الخ ماله أصل . وحديث ابن عطاء الله ما ذكر ما أظن له أصلا . ولا ينبغي التحديث بهذا وأشباهه وحديث «الحديث في المسجد» الخ ما علمت له أصلا . والله سبحانه أعلم

﴿مسئلة﴾ في قول بعض الناس ماتصح الجمعة خلف إمام لم يتزوج وكذلك قول بعضهم في التراويح يجب إتمام عشرين ركعة ما الصحيح ؟ فتونا مأجورين (الجواب) الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده (وبعد) فصلاتكم التراويح أقل من العشرين فلا بأس والصحابة رضي الله عنهم منهم من يقل ومنهم من يكثر ، والحد المحدود لانص عليه من الشارع صحيح وأما صلاتكم الجمعة خلف الامام الذي ماتزوج فليس الزواج بشرط وانما الشرط البلوغ والاستيطان . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وصلى الله على محمد وآله وصحبه

(الكلام على إعادة الروح الى الميت في قبره وقت السؤال)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابن القيم في كتاب الروح :

(فصل) وأما المسئلة السادسة وهي ان الروح هل تعاد الى الميت في قبره وقت السؤال أم لا تعاد ؟ فقد كفانا رسول الله ﷺ أمر هذه المسئلة فأغنانا عن أقوال الناس ، حيث صرح بإعادة الروح اليه . فقد قل البراء بن عازب رضي الله عنه : كنا في جنازة في بقيع الغرقد ، فأتانا النبي ﷺ فقعده وقعدنا حوله — إلى أن

قال في آخر الحديث « حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل سماء مفربوها إلى التي تليها حتى ينتهي بها إلى السماء التي يسمع فيها الخطاب (١) فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتب عبادي في عليين وأعيدوه إلى الأرض » الخ الحديث . ووجدت في كلام القرطبي تعليقا على هذا الحديث

قال القرطبي في تذكرته : قوله ﷺ « حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله تعالى » المعنى أمر الله وحكمه وهي السماء السابعة التي عندها سكرة المنتهى التي إليها يصعد ما يرجع به من الأرض ، ومنها يهبط ما ينزل به منها ، كذا في صحيح مسلم من حديث الاسراء (٢) وفي حديث البراء أنه ينتهي بها إلى السماء السابعة وقد كنت تكلمت مع بعض أصحابنا القضاة ممن له علم وبصر ، ومعنا جماعة من أهل النظر والاجتهاد فيما ذكر أبو عمر بن عبد البر في قوله (الرحمن على العرش استوى) فذكرت له هذا الحديث فما كان إلا أن بادر إلى عدم صحته ولعن رواته ، وبين أيدينا رطبنا كاه : فقلت له - الحديث صحيح خرج ابن ماجه في السنن ، ولا ترد الاخبار بمنزل هذا القول ، بل تتأول وتحمل على ما يليق من التأويل ، والذين رووها هم الذين رووا لنا الصلوات الخمس وأحكامها ، فان صدقوا هنا صدقوا هناك ، وان كذبوا هنا كذبوا هناك ، ولا تحصل الثقة بأحد منهم فيما يرويه

إلى هنا من التذكرة للقرطبي

*
* *

ووجدت بخط شيخنا معلقاً على هذا الحديث : والهامش المنسوب للتذكرة يا عجباً لمخرف حديث رسول الله ﷺ ومغير ألفاظه ، كيف يصف رسول الله (١) هـامش الاصل : انظر الحديث « حتى ينتهي إلى السماء التي فيها الله » (٢) قول القرطبي هذا انما هو على رأي المؤولين من المتأخرين ، لاعلى مذهب السلف

ﷺ ربه بانه في السماء كما في حديث البراء المذكور ، وكذلك حديث أبي هريرة الموافق لحديث البراء في اثبات وصف الله سبحانه بانه في السماء ، وكذلك حديث الرقية المرفوع في سنن أبي داود «ربنا الله الذي في السماء» وكذلك قوله للجارية «أين الله ؟» قالت : في السماء فهذا أعلم الامة بربه وأخشاهم له يصف ربه بانه في السماء ويشهد لمن وصفه بذلك بالايمان

ونقل الصحابة ألقاظه للتابعين ، ونقلها التابعون وبلغوها لمن بعدهم وتداولها أهل الحديث وأئمة الاسلام ، وأثبتوها في كتبهم وأقروها على ظاهرها ، وقالوا أسروها كما جاءت ، وقالوا : تفسيرها قراءتها ، فلما لم يتسع عطن هذا المعطل لذلك حمله تعطيله وجهله على أن غير لفظ رسول الله ﷺ وحرفه ، ولم يكفه تغيير معناه مع اقرار لفظه كما يفعله كثير ، كقول القرطبي في تأويل هذا الحديث . فلهذا المحرف أوفر نصيب من مشابهة اليهود الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ، ففيه تصديق قوله ﷺ «لنتمنن سنن من كان قبلكم»

وأما تأويل من تأول كونه في السماء بان أمره وحكمه ونحو ذلك فهذا تأويل باطل قطعاً ، فإن أمره وحكمه لا يختص بسماء دون سماء ، ولا بالسماء دون الارض ، وأيضاً فيكفي في بطلانه أن القرون المفضلة أقروا هذه الاحاديث على ظاهرها ، وكذلك سائر آيات الصفات وأحاديثها ، وأنكروا على من تأولها بنحو هذه التأويلات وبدعواهم ، فاجماعهم على الاضراب عن تأويلها ، وتبديعهم من تأولها ، دليل قاطع على بطلان هذه التأويلات

ومن توهم من قوله «انه سبحانه في السماء» انه سبحانه في داخل السموات فهو جاهل ضال ، وليس هذا بمراد من اللفظ . ولا ظاهر فيه . إذ السماء يراد بها العلو ، فكل ما علا فهو سماء ، سواء كان فوق الافلاك أو تحتها كما قال تعالى (فليمدد بسبب إلى السماء)

فلما كان قد استقر في نفوس المخاطبين ان الله هو العلي الاعلى وانه فوق كل شيء كان المفهوم من قوله «انه في السماء» انه في العلو وانه فوق كل شيء ، واذا قيل العلو فانه يتناول ما فوق الخلوقات كلها ، فما فوقها كلها هو في السماء ، ولا يقتضي هذا أن يكون هناك ظرف وجودي يحيط به ، إذ ليس فوق العالم موجود إلا الله ، وإن قدر ان السماء المراد بها الافلاك كان المراد انه عليها كما قال (ولأصلبكم في جذوع النخل) وكما قال (فسيروا في الارض) وكما قال (فسيحوا في الارض) ويقال : فلان في الجبل وفي السطح وإن كان على أعلى شيء فيه ومن فهم من قول النبي ﷺ «ان الله في السماء» ان هناك ظرفا يحيط به فهذا فهم فاسد.

فاذا كانت السموات السبع بالنسبة إلى الكرسي كسبعة دراهم في ترس والكرسي في العرش كحلقة في فلاة والعرش مخلوق ، فكيف يتوهم هذا في الخالق جل وعز الذي يطوي السموات بيمينه والارض بيده الاخرى ؟ والله سبحانه أعظم وأكبر وأجل من كل شيء (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) قال ابن عباس : ما السموات السبع في كف الرحمن الا كخردلة في يد أحدكم . فلما كان هذا مستقرًا في نفوس المخاطبين كان المفهوم عندهم من كونه سبحانه في السماء ان المراد بذلك العلو الذي هو ضد السفلى ، وانه فوق كل شيء عال على كل شيء . ومن توهم من وصف الله سبحانه بانه في السماء ان السماء تحيط به وتحويه فهو ضال ان اعتقده في ربه ، وكاذب إن نقله عن غيره

ولو سئل سائر المسلمين هل تفهمون من قول النبي ﷺ «ان الله في السماء» أن السماء تحويه لبادر كل أحد منهم إلى أن يقول هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا ، واذا كان الامر هكذا فن التكلف أن يجعل ظاهر اللفظ شيئًا لا يفهمه الناس منه بل هو محال عندهم ثم يريد أن يتأوله ، بل عند المسلمين ان الله في السماء وهو على

العرش واحد ، إذ السماء إنما يراد بها العلو ، فالمعنى ان الله في العلو لا في السفلى ومن ظن أن ظاهر قوله « ان الله في السماء » ان السماء تحيط به وتحويه فقد ظن برسول الله ﷺ مالا يليق به من كونه يخاطب أمته بما ظاهره كفره وضلاله ، ويشهد لمن قال ذلك بالايان ، ولم يقل مره واحدة لا تعتقدوا ظواهر ما أحدثكم به في صفات ربكم بل تأملوها واعتقدوا فيها كذا وكذا ، وان ظاهرها غير مراد ، فانهم كانوا لا يفهمون من ظاهرها الا ما هو حق وهو انه سبحانه فوق كل شيء عال على كل شيء ، مستو على عرشه ، بائن من خلقه ، لا يشبهه شيء لافي ذاته ولا في صفاته (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) والله أعلم وصلى الله على محمد وصحبه وسلّم

(بيان الربا وما يعمله الناس اليوم من الحيل ليصلوا به الى الربا ^(١))

﴿ مسألة ﴾ في تحريم الربا وما يفعل من المعاملات بين الناس اليوم ليتوصلوا به إلى الربا . وإذا حل الدين يكون المدينون معسراً فيقلب الدين في معاملة أخرى بزيادة مال ، وما يلزم ولاية الامور في هذا ، وهل يرد على صاحب المال رأس ماله دون ما زاد في معاملة الربا

(الجواب) المراهبة حرام بالكتاب والسنة والاجماع « وقد لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه والمحلل والمحلل له » قل الترمذي حسن صحيح ، فالاثان ملعونان

وكان أصل الربا في الجاهلية أن الرجل يكون له على الرجل المال المؤجل ، فإذا حل الاجل قل له أنتقضي أم تربني فإن وقاه والا زاد هذا في الاجل وزاد

« ١ » هذه المسائل غير منسوبة لاحد . والظاهر أنها للشيبغ عبد الله رحمه الله

« انتهى من الاصل »

هذا في المال، فيتضاعف المال والاصل واحد، وهذا الربا حرام باجماع المسلمين
وأما اذا كان هذا هو المقصود ولكن توصلوا بمعاملة أخرى فهذا تنازع
فيه المتأخرون من المسلمين

وأما الصحابة فلم يكن منهم نزاع أن هذا محرم فإن الاعمال بالنيات والآثار
عنهم بذلك كثيرة مشهورة . والله تعالى حرم الربا لما فيه من ضرر المحتاجين ،
وأكل المال بالباطل، وهذا موجود في المعاملات الربوية، وإذا أحل الدين وكان
الغريم معسراً لم يحز باجماع المسلمين أن يلزم لقلب لا بمعاملة ولا غيرها بل يجب
انظاره، وإن كان موسراً كان عليه الوفاء فلا حاجة إلى القلب لامع يساره
ولا مع اعساره

والواجب على ولاية الامور بعد تعزير المتعاملين بالمعاملة الربوية بأن مروا
المدين أن يؤدي رأس المال ويسقط الزيادة الربوية فإن كان معسراً وله مغلات
يوفي منها وفي دينه منها بحسب الامكان والله أعلم

﴿مسئلة﴾ في رجل عليه دين محتاج إلى بضاعة أو حيوان ينتفع به أو
يتاجر فيطلبه من انسان ديناً فلم يكن عنده، هل للمطلوب أن يشتريه ثم يدينه له
بشمن إلى أجل؟ وهل له أن يوكفه في شرائه ثم يبيعه له بعد ذلك بربح اتفقا
عليه قبل الشراء؟

(الجواب) من كان له عليه دين فإن كان موسراً وجب عليه أن يوفيه
وإن كان معسراً وجب انظاره، ولا يجوز قلبه عليه بمعاملة ولا غيرها
وأما انبيع إلى أجل ابتداء فإن كان مقصود المشتري الانتفاع بالسلعة أو
التجارة فيها جز اذا كان على الوجه المباح
وأما اذا كان مقصوده الدراهم فيشتريها بمائة مؤجلة ويبيعهافي السوق بسبعين

حالة فهذا مذموم منهي عنه في أظهر قولي العلماء . وهذا يسمى التورق ، قال عمر ابن عبد العزيز : التورق أخية الربا والله أعلم

*
* *

﴿مسئلة﴾ فيمن له على شخص دين ورهن عليه رهنا والدين حال ورب الدين محتاج الى دراهمه فهل يجوز له بيع الرهن أم لا
(الجواب) اذا كان أذن له في البيع جاز والا باع الحاكم ان أمكن ووفاه حقه منه ، ومن العلماء من يقول اذا تعذر ذلك دفعه الى ثقة يبيعه ويحتاط بالاشهاد على ذلك واستوفى حقه منه والله أعلم

* *

﴿مسئلة﴾ في رجل ادعى على رجل دعاوى ولم يعترف الغريم بشيء وخرج المدعي على ان يقيم بيته واعتقل المدعى عليه ولم يقم بيته بعد أربعة أيام أو خمسة فهل يجوز تطاول المدة في البيعة أم تكون هذه البيعة الى مدة ؟
(الجواب) لا يجوز مثل هذا الحبس كما ذكر ، بل قد نص ائمة المذاهب الاربعة انه لا يجوز مثل هذا الحبس وانما تنازعوا هل يطلب من المدعي عليه كفيلة الى ثلاثة أيام ونحوها ، اذا قل المدعي لي بيعة حاضرة وتنازعوا فيما اذا أقام حجة شرعية ولها شرط مثل ان يقيم بيته ولم يذكرها فيطلب حبس الخصم حتى يأتي بشرطها ، على قواين في مذهب أحمد والشافعي وغيرهما ، فأما هذا الحبس فلا يجوز باتفاق العلماء فيما أعلم والله سبحانه أعلم

*
* *

﴿مسئلة﴾ في امرأة لها زوج ولها عليه صداق ، فلما حضرتها الوفاة احضرت شاهد عدل وجماعة نسوة واشهدت على نفسها انها أبرأت زوجها من صداقها فهل يصح هذا الابراء أم لا ؟

(الجواب) ان كان الصداق ثابتاً عليه الى أن مرضت مرض الموت لم يصح ذلك الا باجازه بقية الورثة ، واما ان كانت أبرأته في الصحة جاز ذلك وثبت بشاهد ويمين عند مالك والشافعي وأحمد، وثبت أيضاً بشهادة امرأتين ويمين عند مالك ، وقول في مذهب أحمد وان أقرت في مرضها انها أبرأته في الصحة لم يقبل هذا الاقرار عند أبي حنيفة وأحمد وغيرهما ويقبل عند الشافعي وقد قال النبي ﷺ « ان الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث » وليس للمريض ان يخص الوارث باكثر مما أعطاه الله والله أعلم

*
* *

﴿مسئلة﴾ في رجلين تنازعا فقال أحدهما: ان الله كلم موسى تكليماً سمعته اذناه ووعاه قلبه ، وان الله كتب التوراة بيده وناولها من يده الى يده إلى موسى . وقال الآخر ان الله كلم موسى بواسطة وان الله لم يكتب التوراة بيده ولم يناولها من يده الى يده

(الجواب) القائل الذي قال ان الله كلم موسى تكليماً كما أخبر في كتابه فصيـب ، وأما الذي قال كلم الله موسى بواسطة فهذا ضال مخطيء بل نص الأئمة على أن من قل ذلك فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل، فإن هذا انكار لما قد علم بالاضطرار من دين الاسلام ، ولما ثبت بالكتاب والسنة والاجماع ، قل تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب) الآية ففرق بين تكليمه من وراء حجاب كما كلم موسى ، وبين تكليمه بواسطة رسول كما أوحى إلى غيره موسى . قال تعالى (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده — الى قوله — وكلم الله موسى تكليماً) والاحاديث بذلك كثيرة في الصحيحين والسنن

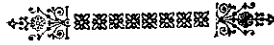
وفي الحديث المحفوظ عن النبي ﷺ « التقى آدم وموسى قال آدم أنت

موسى الذي كلمك الله تكليماً لم يجعل بينك وبينه رسولا من خلقه « وسلف الامة وأئمتها كفروا الجهمية الذين قالوا : ان الله خلق كلاما في بعض الآجام (١) سمعه موسى وفسر التكليم بذلك

وأما قوله : ان الله كتب التوراة بيده فهذا قد روي في الصحيحين ، فمن أنكر ذلك فهو مخطيء ضال ، واذا أنكره بعد معرفته بالحديث الصحيح فإنه يستحق العقوبة

وأما قوله : ناولها بيده الى يده فهذا مأثور عن طائفة من التابعين وهو كذلك عند أهل الكتاب ، لكن لا أعلم هذا اللفظ مأثوراً عن النبي ﷺ ، فالتكلم به ان أراد ما يخالف ذلك فقد أخطأ والله سبحانه وتعالى أعلم

تمت بقلم الفقير الى الله تعالى عبد الرحمن بن عبد العزيز بن صعب
غفر الله له ولوالديه ، ومشايخه واخوانه وجميع المسلمين
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم



﴿ المسائل الحفظية ﴾

نصيحة في تعلم التوحيد

والطريق اليه

﴿ وبيان ما يجب على اهل القرى من حق الضيف ، وحق الامام في زكاة
النقدين ، والعمل بظاهر الاحاديث ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

من حسين وعبد الله ابني الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى جناب الاخ في الله
محمد بن أحمد الحفظي سلمه الله تعالى من الآفات ، واستعمله بالباقيات الصالحات
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (أما بعد) فانا نحمد الله اليك الذي لا إله
إلا هو ، وهو للحمد أهل وهو على كل شيء قدير ، والصلاة والسلام على نبيه
وحبيه محمد البشير النذير ، وعلى آله وأصحابه أولي الفضل الشهير ، والعلم المستطير
وقد وصل الينا كتابك ، وفهمنا ما حواه من حسن خطابك ، وتذكر انك على
هذا الدين الذي نحن عليه من إخلاص الدين لله تعالى ، وترك عبادة ما سواه ،
وأنك لا ترضي بالاشراك والتخاف عن التوحيد ولو قدر فواق (١) ، فالحمد لله
الذي من علينا وعليك ، وهذا هو أفرض الفرائض على جميع الخلق ، ومن انتفع
بهذا الدين واستقام عليه فله البشرى في الحياة الدنيا والآخرة ، وله العزة والرفعة
والجاه والملابس الفاخرة

وفي الحديث عن الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه قال « ان الله
ليرفع بهذا الدين أقواما ويضع به آخرين »

(١) فواق - كغراب - ما بين الحلبتين من الوقت ، أو ما بين يديك وقبضهما على الضرع

والذي نوصيك به ، ونحضك عليه ، اتفقته في التوحيد ، ومطالعة مؤلفات شيخنا رحمه الله تعالى ، فإنها تبين لك حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله ﷺ وحقيقة الشرك الذي حرمة الله تعالى ورسوله ﷺ ، وأخبر أنه لا ينفع صاحبه وإن الجنة على فاعله حرام ، وإن من فعله حبط عمله

والشأن كل الشأن في معرفة حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله ﷺ وبه يكون الرجل مسلماً مفارقاً للشرك وأهله ، وذلك لأن كثيراً من المصنفين إذا ذكر التوحيد لم يبينه ، وقد يفسره بتوحيد الربوبية الذي أقر به المشركون ومنهم من يفسره بتوحيد الذات والصفات ، وذلك - وإن كان حقاً - فليس هو المراد من توحيد العبادة الذي هو معنى لا إله إلا الله ، وكثير من المصنفين يفسر الشرك بالاشراك في توحيد الربوبية الذي أقر به كفار العرب وغيرهم من طوائف المشركين ، كما قال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ؟ ليقولن الله) وقال (قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله) الآية ، وغير ذلك من الآيات التي تدل على أن المشركين يقولون بتوحيد الربوبية ، وإنما الخلاف الذي بينهم وبين الرسول ﷺ هو توحيد الألوهية الذي هو توحيد العبادة ، ولهذا لم يصيروا موحدين بمجرد الإقرار بتوحيد الربوبية

فياك أن تغتر بما أحدثه المتأخرون وابتدعوه كابن حجر الهيثمي وأشباهه ، واعتمد في هذا الأصل على كتاب الله الذي أنزله تبياناً لكل شيء ، وهدى ورحمة ونشرى للمسلمين ، وعلى ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، ولا تغتر بما حدث بعدهم من البدع المضلة في أصول الدين وفروعه كما قال تعالى (وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وبهذا تعرف حقيقة أصل الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً

رسول الله، فان تحقيق شهادة أن لا إله الا الله أن لا تعبد الا الله وحده لا شريك له، وتحقيق شهادة أن محمداً رسول الله هو أن يطاع فيما أمر، وينتهى عما نهى وزجر، ويكون هو الامام المتبع، ومن سواه فيؤخذ من كلامه ويترك، فعلى أقواله وأفعاله تعرض الأقوال والأفعال، فما وافق قوله فهو المقبول وما خالفه فهو المردود

وأما المسائل الثلاث التي سألتكم عنها (فالأولى) مسألة الضيافة هي واجبة أم لا؟ فالذي عليه العمل أنها واجبة على أهل القرى وعلى أهل البوادي دون الأمصار الكبار التي توجد الاطعمة تباع فيها بلا كلفة

(وأما الثانية) وهي قولكم هل للامام وعماله طلب الزكاة من الاموال الباطنة كالنفدين أم يختص ذلك بالاموال الظاهرة؟ فهذه مسألة اختلف العلماء فيها، فمنهم من يقول: ان للامام اخذ الزكاة من الاموال الباطنة كالظاهرة، ويجب دفعها اليه، وهو قول مالك وقول في مذهب احمد. وأما الاموال الظاهرة فيجب دفعها الى الامام العادل إذا طلبها، وهو مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي. ورواية عن الامام احمد

واتفق على ان للامام طلب الزكاة من الاموال الظاهرة والباطنة وانما الخلاف في وجوب الدفع اليه وهل يجزىء عن صاحبها إذا لم يدفعها اليه أم لا؟

(وأما المسئلة الثالثة) في العمل بصريح الحديث وظاهره إذا وجد المرء في الامهات الست، او ما التزم مخرجه فيه الصحة والحسن، هل للانسان العمل به والاعتماد عليه؟ وان لم يبحث عنه هل هو منسوخ أم لا؟ وهل عارضه اقوى منه أم لا؟

فنقول: الذي ينبغي لطالب العلم إذا رأى مثل ذلك أن يبحث عن كلام أهل العلم في المسئلة التي دل عليها الحديث هل هو معمول به عندهم أم هو منسوخ أم

قد عارضه ماهو أقوى منه ؟ فإذا فعل ذلك وعرف مذاهب العلماء في المسئلة تبين له حيثئذ ، هل الحديث محكمٌ صحيح أو منسوخ أم قد عارضه ماهو أقوى منه عند أهل العلم ؟ هذا إذا كان الإنسان من أهل المعرفة بهذا الحديث وكلام العلماء ، فإذا وجد حديثاً مشهوراً عند أهل العلم محكوماً بصحته أو حسنه ، ولم يعلم له ناسخاً ولا معارضاً أقوى منه ، وقد أخذ بعض العلماء من أهل المذاهب المشهورة به تعيين عليه العمل بالحديث إذا كان قد سبقه من أهل العلم من يقتدى به ، ولو خالف مذهبه الذي ينسب إليه

وأما إذا كان الرجل ليس له معرفة بالحديث وكلام العلماء وترجيح الأقوال فإنما وظيفته تقليد أهل العلم . قال الله تعالى (فاستلوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون) والله سبحانه وتعالى اعلم

والذي نشير به عليك أنك تسافر انينا وتتواجه نحن وإياك وتتواجه أمير المؤمنين ونعرف حالك وتصبر على تحمل المشقة في ذلك ، فانه خير لك وأحسن عاقبة إن شاء الله ، وسلم لما على الوالد واخوانك من أهل الدين وكتبه احمد بن ناصر بن معمر يبلغك السلام ثم انت في حفظ الله وامانه

(وجوب جهاد أهل الفساد ودفع فسادهم في الدين)

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الرحمن بن حسن إلى كافة الاخوان ، سلمهم الله من شرور الدنيا والآخرة ، ووفقنا الله وإياهم للتجارة الفاخرة

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فاعلموا وفقنا الله وإياكم لشكر ما أنعم به عليكم من نعمة الاسلام والاجتماع على ذلك وجهاد من خرج عنه من أهل الجهل والفساد ، الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون ، وقد أوجب الله جهادهم

دفعاً لعنادهم وخروجهم عن جماعة المسلمين والسمع والطاعة لمن ولاه الله أمرهم كما قال تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين)

ومن فضله عليكم اجتماعكم وجهادكم لأهل الفساد ، ولولا الجهاد لافسدوا عليكم دينكم ودنياكم ، وأنتم ولله الحمد على ملة الاسلام ، تعبدون ربكم وتوحدونه وتعملون بفرائضه ، وتأثرون بالمدروف وتنهون عن المنكر

ومن أعظم الشكر الجهاد الذي أوجبه الله في كتابه العزيز ، قال تعالى (كتب عليكم القتال وهو كره لكم) الآية وقال تعالى (فقاتل في سبيل الله ، لا تكف إلا نفسك) الآية وقال تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع) الآية والايماز بالله ورسوله والجهاد في سبيله بالمال والنفس هو التجارة المنجية من ضرور الدنيا والآخرة الموجبة لخير الدنيا والآخرة ، كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم - إلى قوله - وبشر المؤمنين) الآيات فبشركم ربكم فاقبلوا هذه البشارة وامثلوا أمره واجهدوا أهل الفساد وارغبوا في ثواب الجهاد في سبيل الله

وفي الحديث « غدوة في سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما فيها » ولا تفرطوا في الغدوات والروحات فتضيع عليكم . وفي الحديث « الجهاد باب من أبواب الخير ينجي الله به من الهم والقم وخير المال ما أنفق فيه وخير الأيام أيام المجاهدين » لان المجاهد في حسنات تكتب له في يقظته ونومه وفي سيره ومقامه فارغبوا في هذا الخير الذي رغب فيه ربكم وابذلوا فيه المال والنفس وأفضل المجاهدين من جاهد بنفسه وماله

وما عذر ربنا عن الجهاد إلا الاعى والاعرج والمريض ، كذلك الذين لا يجدون ما ينفقون إذا نصحوهم لله ورسوله ، والنصيحة لله ولدينه واجبة على المأمور وغيره وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

(الآيات في التوحيد الذي دعت اليه كل الانبياء)

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الرحمن حسن إلى الاخوان من أهل القصيم
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) اعلموا وفقنا الله وإياكم لمعرفة العلم
النافع والعمل به ، تفهمون ان الله سبحانه منّ على أهل نجد بتوحيده بالعبادة، وترك
عبادة ماسواه ، وهذه نعمة عظيمة خص الله أهل نجد بالقيام فيها من الخاصة على
العامة . لكن ما عرف قدرها، والغفلة ذمها الله في كتابه، وذكر انها صفة أهل النار
نعوذ بالله من النار بقوله (أولئك هم الغافلون)

وذم أهل الاعراض بقوله (ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة
ضنكا) وذكره هو القرآن ، ولا تعرفون العبادة التي خلقكم الله لها إلا من القرآن
والقرآن من أوله الى آخره يبين لكم كلمة الاخلاص: لا إله الا الله ، ولا يصح لاحد
اسلام إلا بمعرفة ما دلت عليه هذه الكلمة من نفي الشرك في العبادة والبراءة منه
ومن فعله ومعاداته واخلاص العبادة لله وحده لا شريك له والموالاتة في ذلك
فإن الآيات التي بين الله تعالى فيها هذه الكلمة قوله تعالى (وإذ قال ابراهيم
لأبيه وقومه انني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني فإنه سيهدين * وجعلها
كلمة باقية في عقبه) وهي لا إله الا الله

وقد افتتح قوله بالبراءة مما كان يعبد المشركون عموما ولم يستثن الا الذي
فطره ، وهو الله تعالى الذي لا يصلح شيء من العبادة الا له

ونوع تعالى البيان لمعنى هذه الكلمة في آيات كثيرة بتدريجها كقوله
تعالى (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله)
والكلمة هي لا إله الا الله بالاجماع . ففسرها بقوله (سواء بيننا وبينكم) اي نكون

ففيها سواء علما وعملا وقبولا وانقيادا. فقال (أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا) فنفي مانفته لإله الا الله بقوله (أن لا نعبد) وأثبت ما أثبتته لإله الا الله بقوله (الا الله) وقال (أمر أن لا تعبدوا الا اياه)

فهذا أمر عظيم أمر الله تعالى به عباده وخلفهم له ففي قوله (أن لا تعبدوا الا اياه) نفي الشرك الذي نفتسه لإله الا الله ، وقوله (الا اياه) هو الاخلاص الذي أثبتته لإله الا الله . وقال تعالى (وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه) قضي أي أمر (ان لا تعبدوا) فيه . من النفي مافي معنى لإله . وقوله (إلا اياه) هذا هو الاثبات الذي أثبتته الا الله ،

وقال تعالى (قل اني أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به) فهذا هو الذي أمر به ﷺ ودعا الناس اليه وهو اخلاص العبادة وتخليصها من الشرك قولاً وفعلاً واعتقاداً وقد فعل ﷺ ذلك ودعا الناس اليه وجاهدهم عليه حق الجهاد وهذا هو حقيقة دين الاسلام كما قال تعالى (قل انما بوحى إلي أنما ألهمكم اله واحد فهل أنتم مسلمون ؟) بين تعالى أن توحيد الالهية هو الاسلام

والاعمال كلها لا يصلح منها شيء الا بهذا التوحيد وهو أساس الملة ودعوة الرسل . والدين كله من لوازم هذا الاصل وحقوقه ، وقد قل تعالى (كتاب أنزلناه مبارك ليذكر آياته وليتذكر أولوا الالباب)

فمن تدبر القرآن وتذكر به عرف حقيقة دين الاسلام الذي أكمله الله لهذه الامة كما قال تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأنتم عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً)

هذا ما نصحكم به وندعوك اليه وبالله التوفيق . وصلى الله على سيد المرسلين وامام المتقين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليماً كثيراً

أقوال العلماء في الاشتغال بفن المنطق

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الرحمن بن حسن إلى الأخ القادم من بلاد الأوغان عبد الله بن محمد
وفقه الله لحقيقة الإسلام والإيمان سلام عليكم ورحمة الله وبركاته
وبعد فالذي يجب علينا محبة الخير لمن أرادته وقصده، فلعل الله تعالى أن يجعله
مؤثراً للحق على غيره، لكن نبحت مع مثلك في شيئين

(الاول) أن علم المنطق قد حرمه كثير من المحققين وأجاز به بعض العلماء (١)

(١) الذي تلقيناه عن مشايخنا أن المنطق الذي اختلفوا فيه هو منطق اليونان الذي
نقل في عهد المأمون إذ كان في كتبه من المسائل والامثلة ما يخالف الإسلام وربما
يكون شبهة عليه وفيه قال الشيخ الأخضرى صاحب السلم :

فابن الصلاح والنوادي حرما وقال قوم ينبغي أن يعلم
والقولة المشهورة الصحيحة جوازه لكامل القريحة
ممارس السنة والكتاب ليهتدي به إلى الصواب

أي الصواب في طرق الاستدلال العقلي. وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يعرف المنطق
وجميع علوم الفلاسفة التي ألف المنطق لتحريرها وفهمها بأدلتها. وقد بين خطأ كثير
من مسائله وله مصنف في ذلك يوجد في الهند بخطه. وقد درس هذا العلم الشيخ
عبد النظيف ابن صاحب الفتوى رحمهما الله. والامور الثلاثة التي ذكرها لا تدل على
تحريم علم المنطق المعروف اليوم في كتب المسلمين وان كانت في نفسها صحيحة
فالمنطق ليس علماً شرعياً فبؤخذ عن أئمة الدين وليسكنه كعلوم اللغة والصناعة والزراعة الخ
وأما قوله « فصار ضرره أكثر من نفعه » فهو يصح في علم اليونان الذي ذكره
ولكن جل الضرر كان في الفلسفة النظرية التي استعمل فيها لافيه هو. والمنطق الموجود
اليوم ليس فيه ضرر مطاق ولكن فائدته قليلة لانه آلة للعلوم النظرية وهو قلما يستعمل
فيها ويمكن الاستغناء عنه بعلوم الاصول كما أشار إليه، وغرضي من هذه الحاشية أن لا يتجرأ
من يقرأ هذه الفتوى على تحريم علم المنطق المعروف فان التحريم الديني أمر
عظيم جداً وقد قال شيخ الإسلام ان السلف لم يكونوا يحرمون شيئاً الا بنص قطعي.
ولما نزل قوله تعالى في الحمر والميسر (ولئنهما أكبر من نفعهما) لم يحرمهما النبي ﷺ على
الامة، به لان دلالة على التحريم غير قطعية إلى أن نزلت آيات سورة المائدة القطعية الدلالة

لكن الصواب ترجحه لامور: (منها) انه ليس من علوم الشريعة المحمدية بل هو من علوم اليونان وأول من أحدثه المأمون بن الرشيد ، واما في خلافة من قبله من اسلافه من بني العباس وقبلهم خلفاء بني أمية فلا يعرف في عصرهم (الامر الثاني) ان أئمة التابعين من الفقهاء والمفسرين والمحدثين لا يعرفون هذا العلم وهم نقلة العلم ، والاسلام في وقتهم أظهر والعلوم النافعة عندهم أكثر ، وقد توافرت دواعيهم على نقل العلم ، وكذلك من أخذ عنهم من الأئمة الاربعة ومن في طبقتهم من المحدثين ، ومن الفقهاء والمفسرين ، فلا تجدد في كتبهم ولا من أخذ عنهم شيئاً من هذا العلم

(الامر الثالث) ان هذا العلم انما أحدثه الجهمية لما ألدوا في اسماء الله وصفاته واستمالوا المأمون الى تعريب كتب اليونان ، فعظمت فتنة الجهمية وظهرت بدعتهم من أجل ذلك ، فصار ضرره أكثر من نفعه . وذكر العلماء ان ما فيه من صحيح فهو موجود في كتب أصول الفقه

فيتعين تركه وعدم الالتفات اليه ، والمعلول انما هو على الكتاب والسنة وما عليه السلف والأئمة ، وهذه كتبهم موجودة بحمد الله ليس فيها من شبهات اهل المنطق شيء أصلاً . فهذا الذي ندين الله به

(البحث الثاني) السؤال عن التوحيد وانواعه وحقيقة كل نوع منه ، فان كان عند القادم من ذلك تحقيق والا فيجب ارشاده الى ذلك وتعليمه لان العلم أقسام ثلاثة لارابع لها

فيجب عليك ايها الرجل القادم أن تسمى لنفسك بمعرفة الحق بدليله واللي بي (١) يقبل علمنا هذا الذي من الله به علينا من تمييز الحق من الباطل فهو اخونا والحمد لله على هداية من اهتدى ، واللي يرى غير ذلك فلا نحن باخوان له . والسلام وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

رسالة

فيها الإشارة الى ما حدث للمسلمين من العقاب بزورهم

(وما يجب عليهم في هذا المشهد من التوبة عن السيئات ، وما فوقه من مشهد الاسماء والصفات)

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد اللطيف بن عبد الرحمن الى الابن المكرم المحب المفهم محمد بن عمر ابن سليم ، سلك الله بنا وبه الصراط المستقيم ، ومن علينا وعليه بمخالفة أصحاب الجحيم ، ورفع درجاتنا ودرجته في جنات النعيم

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ماتعاقبت غدوات الدهر وروحاته ، سلام الذ من نسيم الصبا ، وأبهى من رونق الصبي ، وموجب الخطأ بلاغ السلام والتحية وتفقد تلك الشائيل المرضية ، لازالت محروسة بعين الرعاية الربانية ، والخطو وصل لازلت موصولاً بنفحات القرب والمحبوبة ، محفوظاً بالطاف الله الخفية والعجاية ، وسرنا ما أفاده من الاخبار السارة عن تلك الذات أدام الله سرورها ، ورد أيام أنسها وحبورها ، وصار له عند المحب موقع كريم ، بما تضمن من الدعوات والنصائح ، جعلك الله ممن يدرأ القبائح والفضائح ، ويعمل بالحق ويوصي باتباعه ، ويبثه في اخوانه وأتباعه ،

وما أشرت اليه من أسباب ما حدث بالاسلام وأهله وانه من عقوبات الذنوب — فتم هو ذاك ، كما أخبر به سبحانه وتعالى في كتابه المبين ، على لسان نبيه الامين ، وهذا المشهد يوجب للعبد من التوبة والانابة ، وتدارك ما فرط من الشر وأسبابه ما يظهره من دنس الذنوب والعيوب ، ويستقبل به عثراته وهفواته بين يدي علام الغيوب ،

وفوقه مشهد أكبر منه وأجل وهو مشهد الاسماء الحسنى والصفات العلى فيشهد عزته ولطفه ورحمته وعفوه وقيوميته وجبروته وانتقامه، وما يبدي، ويعيد، وما يقدر ويريد، وهذا المشهد من أجل مشاهد التوحيد، ومنه يطلع العبد على أسرار القدر والقضاء، ويدرك به من حقائق الايمان، ونفحات الرضاء، ما يتبوأ به منازل الصديقين، ويرى الحوادث الكونية قبل وقوعها من وراء ستر رقيق . فنسأل الله أن يجعل لنا ولكم نصيباً وافراً وحظاً كاملاً من العلم به وحسن عبادته ومعاملته، وأن لا يجعلنا ممن اتبع هواه وكان امره فرطاً،

وما ذكرته من الوصايا النافعة باجتماع المسلمين ولم شعهم فنسأل الله التوفيق لذلك والاعانة على ما هنالك، والامور بيد فاطر السموات والارض، والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، وقد وصل الامر إلى غاية لا يصل اليها الوعظ والقرآن، فنعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا

والعذر عن المكتبة مقبول، والقلوب شواهد عدول، والدعاء للاخوان بظهر الغيب مبذول، فلا تنس أخيك في اوقات المناجاة وفي ساعات التوجهات، وعليك بالالحاح في الدعاء بظهور الاسلام ونصره، واعلاء كلمة الله ودحض الباطل واهله . والله أسأل أن يمن بالاجتماع على حال يرضاها متمسكين من التقوى بأقوى حبالها وعراها وأن يعيد اوقاتاً سلفت بمذاكرة العلم الشريف ألفت، وبلغ سلامنا الوالد والابناء والاخوان سهل وعبد العزيز الصقعي وابن جربوع وناصر السيف، ومن لدينا العيال واسماعيل واخوانه والاخوان ينهون السلام وانت سالم والسلام سنة ١٢٩١

وجوب صلاة الجمعة على اهل القرى

والعدد الذي تنعقد به جماعتها

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد اللطيف بن عبد الرحمن الى الاخ المكرم الشيخ عبدالعزيز بن حسن
سلمه الله تعالى

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فاحمد اليك الله الذي لا اله الا هو على نعمه ، وخطاك وصل ، وتأخر
جوابه لكثرة الاشتغال ، وتشدت البال والله المستعان
وتسأل فيه عن وجوب صلاة الجمعة على اهل القرى الذين لم يبلغ العدد فيهم
أربعين من اهل الوجوب

فأعلم انهم اتفقوا على ان من شرط وجوبها وصحتها الجماعة ، واختلفوا في
مقدار الجماعة، فمنهم من قل واحد والامام ، وهذا مذکور عن ابن جرير الطبري ،
ومنهم من قل اثنان سوى الامام لان اقل الجمع عنده اثنان ، ومنهم من قل
ثلاثة دون الامام ، وقائل هذا يرى ان اقل الجمع ثلاثة لا اثنان . والكلام
مبسوط على اقل الجمع في شرح التحرير وغيره . والقول الاخير هو قول ابي حنيفة،
ومنهم من اشترط اربعين وهو قول الشافعي واحمد ، وقال قوم ثلاثين ، ومنهم من
قال يجوز فيما دون الاربعين الا اثلاثة والاربعة ، ولم يشترط عدداً وانما ذكر
حدداً او رده وهو انه لا يجب الا على عدد تتقرب بهم قرية . وأصحاب القوانين
الاولين اخرجوا الامام من مسمى الجمع للاختلاف في دخوله في الجماعة ، وأصحاب
القول الاخير يقولون الجمع في غالب الاحوال له حكم غير ما يطلق عليه اسم الجمع
في جميعها ، بل هم الذين يمكنهم أن يسكنوا على حدة من الناس ، وهذا يروى عن

مالك ، ويروى عنه أيضاً: اشتراط اثنا عشر من اهل الوجوب ، وكلا القولين معروف ، ومن شرط الاربعين كالشافعي واحمد وجماعة من السلف. فانما صاروا الى ماصح من أن هذا العدد كان في اول جمعة صليت بالناس فهذا هو شرطها أعني شرط الوجوب وشرط الصحة فان من الشروط ما هو شرط للوجوب فقط ، ومنها ما يجمع الامرين

واختيار شيخ الاسلام ابن تيمية أن هذا الشرط للوجوب فقط لا للصحة. وهذا من أحسن الاقوال ، وبه يتفق غالب كلام المختلفين

إذا عرف هذا فأنهم اختلفوا أيضاً في الاحوال الاربعة التي اقترنت بهذه الصلاة عند فعله إياها ﷺ ، هل هي شرط في الصحة والوجوب أم ليست بشرط؟ وتلك كالجماعة والمصر والاستيطان . فمن رآه دليلاً اشتراطها ، ومنهم من رجح بعضها دون بعض واشترطه في المرجح لا غير ، وبعضهم لم يرها دليلاً ، ورجع في الاشتراط والوجوب إلى أدلة أخرى لعموم الجماعة في سائر الصلوات

ولقائل أن يقول : لو كانت هذه الاحوال شروطاً في صحة الصلاة لما جاز أن يسكت عنها رسول الله ﷺ ، ولا أن يترك بيانها لقوله تعالى (لتبين للناس ما نزل اليهم)

هذا ما يحضرني فان رأيت خلافاً فلا جناح عليك في إصلاحه . وصدقة المحمل (١) تصل اليك إن شاء الله فعليك بتحري العدل في القسمة. وبلغ سلامنا حمد والعيال والشيخ الوالد ، والعيال بخير وينهون السلام

« ١ » قمم من بلاد نجد الى جنب العارض

وصية بالتقوى

(والامر بالمعروف والنهي عن المنكر)

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد اللطيف بن عبد الرحمن إلى الاخ المكرم عبد الرحمن بن جربوع .
وفقه الله للعمل بدينه المشروع

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فنحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو
على سوابغ نعمه ، وجزيل عطائه وكرمه ، وعلى ما ألبسنا من ملابس فضله ، وما
اختصنا به من عظيم العطاء الذي صرفه عن شاء بعدله . والخط وصل وصلك الله
إلى ما يرضيه ، ونظمتك في سلك من يخشاه ويتقيه
وأوصيك بتقوى الله والحرص على معرفة تفاصيلها على القلوب والجوارح ،
فانك في وقت كثر قراءه ، وقل فقهاؤه

وما ذكرت من طلب الفائدة بما ورد من النصوص الشرعية الدالة على
وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فهذا مما لا يخفى على آحاد العامة من
المسلمين ، فضلا عن الطلبة والمتعلمين ، وهذا الاصل من أكد الاصول الاسلامية
وأوجبها وألزمها . وقد أحقه بعضهم بالاركان التي لا يقوم بناء الاسلام إلا عليها
وهو من فروض الكفاية لا يسقط عن المكلفين الا ان قام به طائفة يحصل بها
المقصود الشرعي ، وفرض الكفاية من فروض العين من جهة متعلقه ، لان الخطاب
به الجميع الامة ، وإنما أرسات الرسل وأنزلت الكتب الامر بالمعروف الذي رأسه
وأصله التوحيد ، والنهي عن المنكر الذي رأسه وأصله الشرك والعمل لغير الله .
وشرع الجهاد لذلك وهو قدر زائد عن مجرد الامر والنهي ، ولولا ذلك ما قام
الامام ، ولا ظهر دين الله ، ولا علت كلمته ، ولا يرى تركه والمداهنة فيه إلا من
أضاع حظه ونصيبه من العلم والايمان . قال تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس

تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر (وقال تعالى (وانما كن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)
فهذه الآيات تدل على وجوبه وان القائم به خير الناس وأفضلهم ، وان
الخيرية لا تحصل إلا بذلك . وفيها ان الفلاح محصور في أهل الامر بالمعروف ،
والنهي عن المنكر وهو الفوز بالسعادة الابدية

وأما الوعيد على تركه فمثل قوله تعالى (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل
على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لا
يتناهون عن منكر فعلوه) الآية ففي هذه الآية لعنهم على ألسن أنبيائهم بترك
النهي عن المنكر والامر بالمعروف . واللعن هو الطرد والابعاد عن الله وعن رحمته
وذكر بعض المفسرين هنا حديث « ان من كان قبلكم كانوا إذا عمل
العامل فيهم بالخطيئة جاءه انماهي تعذيراً ، فإذا كان الغد جالسه وواكله وشاربه
كأن لم يره على خطيئته بالامس ، فلما رأى الله ذلك منهم ضرب بقلوب بعضهم على
بعض ثم لعنهم على لسان نبيهم داود وعيسى بن مريم (ذلك بما عصوا وكانوا
يعتدون) والذي نفس محمد بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن
على يد السفية ولتأطرنه على الحق أطراً (١) او ليضربن الله بقلوب بعضكم على
بعض ثم يلعنكم كما لعنهم »

وذكر ابن أبي الدنيا عن ابراهيم بن عمرو السنعاني قال « أوحى الله عز
وجل الى يوشع بن نون: اني مهلك من قومك أربعين ألفاً من خيارهم ، وستين
ألفاً من شرارهم ، قال يارب هؤلاء الاشرار فما بال الاخيار قال انهم لم يفضبوا
لغضبي ، وكانوا يواكلونهم ويشاربونهم »

وذكر أيضاً من حديث ابن عمر « لينقضن الاسلام عروة عروة حتى لا يقال

الله الله . لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أوليسلطان الله عليكم شراركم
فيسومونكم سوء العذاب ثم يدعوا خياركم فلا يستجاب لهم » « وتأمرن بالمعروف
ولتنهون عن المنكر أو ليبعنن الله عليكم من لا يرحم صغيركم ولا يوقر كبيركم »
وفي المسند مرفوعا « يا أيها الناس إن الله يقول: مروا بالمعروف وانتهوا عن
المنكر قبل أن تدعوني فلا أجيبكم، وتستنصروني فلا أنصركم، وتسالوني فلا أعطيكم »
وفي حديث ابن عباس « وما ترك قوم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
إلا لم ترفع أعمالهم ، ولم يسمع دعاؤهم » رواه الطبراني
وذكر الامام احمد رحمه الله تعالى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه « يوشك
القرى أن تخرب وهي عامرة » قالوا : كيف تخرب وهي عامرة ؟ قال « إذا علا
فجارها أبرارها ، وساد القبيلة منافقوها »
والاحاديث في هذا كثيرة تطاب من مظاهرها .

فصل

وترك ذلك على سبيل المداينة والمعاشرة وحسن السلوك ونحو ذلك مما
يفعله بعض الجاهلين أعظم ضرراً وأكبر أثماً من تركه لجرد الجهالة ، فإن هذا
الصنف رأوا أن السلوك وحسن الخلق ونيل المعيشة لا يحصل إلا بذلك فخالفوا
الرسول وأتباعهم وخرجوا عن سبيلهم ومنهجهم لانهم يرون العقل ارضاء الناس
على طبائعهم ويسالمونهم ويستجلبون مودتهم ومحبتهم وهذا مع انه لا سبيل اليه فهو
إيثار للحظوظ النفسية والدعة ومسألة الناس ، وترك المعادة في الله وتحمل
الاذى في ذاته . وهذا في الحقيقة هو الهاكمة في الآجلة . فما ذاق طعم الايمان من لم
يوال في الله ويعادي فيه ، فالعقل كل العقل ما وصل الى رضى الله ورسوله . وهذا
انما يحصل بمراغمة أعداء الله وإيثار مرضاته والغضب له اذا انتهكت محارمه ، والغضب

ينشأ من حياة القلب وغيرته وتعظيمه ، وإذا عدم الحياة والغيرة والتعظيم عدم الغضب والاشتمزاز ، وسوى بين الخبيث والطيب في معاملته ومولاته ومعاداته وأي خير يبقى في قلب هذا ؟

وفي بعض الآثار « ان الله أوحى إلى جبريل أن اخسف بقرية كذا وكذا قال يارب ان فيهم فلانا العابد ، قال به فبدأ ، انه لم يتمعر (١) وجهه في قط »
 وذكر ابن عبد البر « ان الله بعث ملكين إلى قرية ليدمراها بمن فيها فوجد فيها رجلا قائما يصلي في مسجد ، فقالا : يارب ان فيها عبدك فلانا يصلي ، فقال الله عز وجل : دمراها ودمراه معهم ، فانه مات معر وجهه في قط » انتهى
 ومن له علم باحوال اقلوب وما يوجبه الايمان ويقتضيه من الغضب لله والغيرة لحرماته ، وتعظيم أمره ونهيه يعرف من تفاصيل ذلك فوق ما ذكرنا
 ولو لم يكن إلا مشابهة المغضوب عليهم والضالين في الانس بأهل المعاصي ومواكبتهم ومشاربتهم لكفى بذلك عيبا . والله الموفق والهادي لا إله غيره
 وبلغ سلامنا الاخوان والخواص اجازة مطلقة ، والشيخ الوالد والعيال بخير وينهون السلام ، ولا تنسنا من صالح دعائك والسلام

رسالة

﴿ في بيان فضل من يحيي السنة ويهدم الشرك والبدعة ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد اللطيف بن عبد الرحمن إلى ذي الجناح المكرم ، والفضل الباذخ المقدم ، السيد عبد الرحمن الألوي سلك الله به سبيل الاستقامة ، وزينه بحمل التوفيق والكرامة ، ورفعته إلى رتب السيادة والامامة . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

« ١ » تمر الوجه : تنير للغضب والفيظ . وأصله قلة النظارة وعدم إشتراق اللون .

أما بعد . فانا نحمد اليك الله الذي لا إله الا هو . كثير الخير دائم المعروف ، على ما أولاه من سوابغ نعمه الباطنة والظاهرة ، وما ألبسه من ملابس كرامته السننية الفاخرة ، التي أعظمها وأجلها على الاطلاق ، هدايته لدينه الذي ارتضاه لنفسه واختص به أوليائه وخاصة أهل كرامته و قدسه . مع انه قد اورد القياس بفساد أكثر الناس ، وتركهم من الاسلام أصله الاعظم والاساس ، وكثرة الاشتباء في أبواب الدين والالتباس

وجهورهم عكس القضية ، في مسمى الملة الاسلامية ، ولم يميزوا بينها وبين الملة تقرشية ، والسنة الجاهلية ، فهم كما وصفهم الله تعالى بقوله (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كآل نعام بل هم أضل سبيلا)

وكتابتك الكريم وصل الينا ، وحسن موقعه لدينا ، لما بلغنا عنك من اظهار الاسلام والسنة ، وعيب أهل الشرك والبدعة ، وطعنك على الدعاة الى الضلالة ، وعيبهم بما يبدونه من سوء العمل وشنيع المقالة ، وان الله قمعهم بك وقواك عليهم فأذلهم وأهانهم ، فأبشر بثواب ذلك واعتده من أفضل أعمالك وحسناتك . وفي الحديث « من أحيا شيئا من سنتي كنت أنا وهو في الجنة كهاتين » . وضم بين أصبعيه

وفي الاثر « ان الله عند كل بدعة كيد بها الاسلام ولياً لله يذب عنها وينتقم بعلماتها » فاعتنم ذلك وكن من صالح أهله ، واحرص أن يكون لك في ذلك جماعة وتلامذة يقومون مقامك ان حدث بك حدث فيكونون أئمة بعدك ويجري لك مثل أجورهم إلى يوم القيامة كما صح به الخبر ،

فاعمل على بصيرة ، وسر إلى الله بصلاح اقصد والمسريرة ، وإياك أن يكون لك من اهل الشرك الذين يعبدون الاولياء والصالحين جاليس او صديق ، فقد جاء في الاثر « من جالس صاحب بدعة نزعته منه العصمة ووكل الى نفسه ، ومن مشى إلى

صاحب بدعة مشى في هدم الاسلام « وهذا في بدع لا تخرج عن الملة ، فكيف بالشرك الذي يتضمن العدل والتسوية برب العالمين ؟ بل يتضمن مسبته تعالى وتقدس فسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .
هذا وشيخنا الوالد المكرم والامام الفاضل المقدم يبلغانك السلام ، والسلام على من لديك من الاخوان في الله المحبين لجلاله ورحمة الله وبركاته وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الاشاره الى ايواء اهل عنيزة لبعض الخارجين وأخذ اليهود عليهم في الامتناع منه ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

من عبد اللطيف بن عبد الرحمن إلى الاخ المكرم محمد بن عمر آل سليم سلمه الله تعالى وتولاه في الدنيا والآخرة وألبسه ملابس ولايته السنية الفاخرة سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد الخط وصل وصلك الله إلى ما يرضيه وسرنا سلامتكم وعافيتكم ، كذلك سرنا ما ذكرت من القراءات وملازمة الدروس فالحمد لله على ذلك .

والله أسأل أن يجعلك هاديا مهديا اماما للمعتقين .

وما ذكرت وصل فالليمون وماعه كله موجود عندنا بكثرة والمقصود الاترج لما فيه من الخواص والنافع ، وحيث تعذر وجوده فصلتكم مقبولة ، وهبتكم مرضية محمولة ، ولا وصلنا جوابكم إلا بعد ما أنكفنا (١) وحرر هذا على ثرمدا (٢) وجاءنا عبد الله بن جربوع بالنصيحة بعد ما قرأها على أهل عنيزة وخضعت لها رقابهم ورغمت بها أنوفهم في يوم مشهود ظهر فيه الحق وعلت كلمة الله ، وقامت حجته ، وجاءتنا

﴿١﴾ أنكفنا . أي أنكفأنا ورجعنا ويقصدون بها الرجوع من الجهة التي كانوا فيها وهكذا ينطق بها أهل نجد «٢» ثرمدا من بلاد القصيم في نجد

المكاتبة من مائتها وأكبرها يعتذرون ويتنصلون ويحلفون ، والله يعلم علانيتهم وسرائرهم وبحاسب عبادته بعلمه فيهم . وقد وعدونا انه لا يعود إلى بلدتهم ولا يدخلها ، وحلف أميرهم عندي في المجاس على ذلك وأغلظ على نفسه بعد ماجرت المعاتبة وأغلظت له القول على حمله وتمكينه من دخول البلدة

والرسالة المشار اليها تصلكم مع هذا الجواب ان شاء الله اقرءوها وتدبروا ما فيها ، فانها مفيدة مع اختصارها

ونسأل الله أن يجعل أعمالنا وأعمالكم خالصة لوجهه الكريم وبلغ والدو العيال والاخوان منا السلام اجازة عامة . ومن لدينا عبد العزيز بن عبد الرحمن واسماعيل والابن عبد الله وعيال محمد بن علي يبلعون السلام والسلام وصلى الله على محمد

(عموم المصاب بقسوة القلوب وانصراف الخلق عن العبادة وغربة الاسلام)

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

من عبد اللطيف بن عبد الرحمن الى الاخ المكرم محمد بن عمر آل سليم سلاك الله بنا وبه صراطه المستقيم ووقفنا بمنه لخالفة أصحاب الجحيم سلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فاحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو على ما أولاه من إنعامه وما ألبسه من ملابس اكرامه، جعلنا الله واياكم من عرف نعمة الله عليه واستعملها فيما يقرب اليه ، والخط وصل وصلى الله بالرضا وقد سرنا ما أفاده من سلامة الحال واعتدال الاوقات لازالت أحوالا محروسة وأوقاتا بذكر الله معمورة مأنوسة

وما أشرت اليه من قسوة القلوب وكثرة الذنوب وانصراف الخلق عما خلقوا

له فتعم قد عم بذلك المصاب واستحكم الداء وعز الدواء الا أن يمن الله على من يشاء من عباده بالهداية والشفاء

واشتداد الغربة واستحكم الشدة والكربة قد وجد منذ أزمن والشأن في هذا الزمان في نفس الوجود، فان غالب الاماكن والقرى والبلدان لا يعرفون فيها الدين حقيقة ولا اسما ولا يهتدون سبيلا الى ما جاءت به الرسل ولا رسما والاسلام عندهم هو ما نشئوا عليه وتلقوه عن أسلافهم في باب معرفة الله ومعرفة حقه وباب معرفة حكمه وشرعه ، فلاول حقيقته عندهم هو التعطيل المحض (والثاني) خلاصته ولبه فيما بينهم هو التعاق على عبادته وجعلهم شركاء له (والثالث) جردوا فيه متابعة الاشياخ والآباء عما جاءت به الرسل والانبياء؟ وهذا هو عين العكس وقلب الحقائق

فاجتهد في الخلاص من شبكات تلك الممالك والمضايق بلزوم السنة والكتاب، والسلوك على أثر الآل والاصحاب ، ومن تبعهم من ذوي الالباب ، واجتهد في التضرع الى الله في الاعانة على ذكره وشكره وحسن عبادته ، ولا تنسنا من صالح دعائك ، وبلغ سلامنا الوالد والعيال والاخوان محمد آل عبد الله وآل شومر وابن جاسر ومطلق وكافة الاخوان ، ومن لدينا الشيخ المكرم وأولاده وأولادنا وعبد الرزاق بنخير وينهون السلام ، والسلام

﴿ حكم العمل بالخط المعروف في الوصية وغيرها ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده . وجدت على ظهر وثيقة اوصى بها عبد الرحمن بن محمد القاضي ما نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده . إن كانت هذه الوثيقة بيد ورثة الموصي وسبق عمل بها من وارثه أو وارث وارثه ولم ينازع أحد من الورثة في صدورها عن مورثهم فهذا

منهم إقرار بالوصية ، وتسليم بمتنضاهما فيثبت الحكم الشرعي بهذا العمل والتقريب لمضمون الوصية وهو حجة شرعية ، وإذا كان بخط من يوثق به من طلبة العلم المعروفين بالدين والامانة فهو مما يقوي ثبوت هذه الوصية والعمل بها .

قاله ماميه الفقير إلى الله عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن وكتبه عن أمره احمد بن محمد بن عبيد ، وصدر في ٢٧ محرم سنة ١٢٩١

ونقله من خط احمد بن محمد بن عبيد بعد معرفته يقينا ، وعليه ختم ماميه سليمان بن عبد الرحمن بن حمدان وصلى الله على محمد وسلم
ونقله من خط من سمي نفسه عبدالله بن ابراهيم الربيعي

(فتوى في حق الضيف على أهل القرى والبادية)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله . من قام بما يجب عليه للضيف الذي يختص به سقط عنه ما يوضع على البلد من جهة الضيف إذا كان الخارج منه للضيف قدر ما يستحق ، ولوجوب العدل الذي امر الله به . قاله ممليه عبد اللطيف بن عبد الرحمن ، وكتبه عن أمره حسن ابن علي . وصلى الله على محمد وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

ما ذكره الوالد رحمه الله تعالى يلزم العمل بمتنضاه ، ولا يجوز لأحد العدول عنه حتى لا يخفى . قاله ممليه محمد بن عبد اللطيف عفا الله عنه . ونقله من أصله وعليه ختم كل منهما سليمان بن عبد الرحمن بن حمدان . وصلى الله على محمد وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

ما ورد على أهل البلد من الكاف ، كالضيف وشبهه يكون على كل أحد بحسبه والذي يدفع أكثر من غيره فله الرجوع على غيره كالرجل المعروف المنصر قال ذلك ممليه عبد الرحمن بن عدوان ، ونقله من أصله الذي عليه ختم ممليه سليمان بن حمدان . ونقله من خط ناقله من سمي نفسه عبدالله بن ابراهيم الربيعي

المسائل الشرعية إلى علماء الدرعية

جواب مسألة سئل فيها الشيخ عبد العزيز (قاضي الدرعية) ومن حوله من العلماء المسماة (المسائل الشرعية إلى علماء الدرعية)

فوصل الجواب واختصر ألفاظ السؤال في كل باب، بل حذف كثيراً من ذلك الخطاب، لكن بيت القصيد قد ضمن في الجواب السديد، وصلى الله على محمد النبي الأمي وآله وصحبه وسلم

نص الجواب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وبه التوفيق وبه أزمه الهداية والتحقيق
(أما المسئلة الأولى) وهي السؤال الأول عن الشرك بالله، ماهو الأكبر الذي ذم فاعله وماله حلال لأهل الإسلام، ولا يغفر لمن مات عليه؟ وماهو الأصغر؟ فنقول: قد ذكر العلماء رحمهم الله تعالى أن الشرك نوعان: أكبر وأصغر، فلا أكبر أن يجعل لله نداً من خلقه يدعو كما يدعو الله، ويخافه كما يخاف الله، ويرجوه كما يرجو الله، ويتوكل عليه في الأمور كما يتوكل على الله والحاصل أن من سوى بين الله وبين خلقه في عبادته ومعاملته فقد أشرك بالله وهو الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، كما دل على ذلك قوله تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله - إلى قوله - وما هم بخارجين من النار)

وقال تعالى عن أهل النار (تالله إن كنا لفي ضلال مبين * اذنسويكم رب العالمين) قال بعض المفسرين: والله ما سويهم بالله في الخلق والرزق والتدبير،

وثكن سموهم به في المحبة والجلال والتعظيم . وقال تعالى (ثم الذين كفروا
بربهم يعدلون) أي يعدلون به في العبادة

ولهذا اتفق العلماء كلهم على ان من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم
ويتوكل عليهم ويسألهم فقد كفر، لان هذا كفر عابدي الاصنام قائلين (مانعبدكم
إلا ليقربونا إلى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون) ثم شهد الله عليهم
بالكذب والكفر فقال (إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار) فهذا حال من
اتخذ من دون الله اولياء يزعم أنهم يقربونه إلى الله . وقل (ويعبدون من دون
الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله)

وقد أنكره الله في كتابه وأبطله وأخبر ان الشفاعة كلها له ، وانه لا يشفع
عنده أحد إلا لمن أذن له أن يشفع فيه، ورضي قوله وعمله، وهم اهل التوحيد الذين
لم يتخذوا من دون الله شفعاء ، فانه سبحانه وتعالى يأذن في الشفاعة لهم حيث لم
يتخذوا من دونه شفعاء ، فيكون أسعد الناس بشفاعة الشفعاء صاحب التوحيد
الذي حقق قول لا إله إلا الله

والشفاعة التي أثبتها الله ورسوله هي الشفاعة الصادرة عن أذن له لمن وحده
والشفاعة التي نفاها القرآن هي الشفاعة الشركية التي يظنّها المشركون فيعاملون
بنقيض قصدهم ويفوز بها الوحدون

فنأمل قوله ﷺ لا يبيهر ربه وقد سأله : من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول
الله ؟ قال « من قل لا إله إلا الله خالصاً من قلبه » فجعل أعظم الاسباب التي
تنال بها الشفاعة تجريد التوحيد، عكس ما عند المشركين : ان الشفاعة تنال بالتخاذل
شفعاء وعبادتهم وموالاتهم من دون الله . فأكذب النبي ﷺ زعمهم الكاذب ،
وأخبر ان سبب الشفاعة تجريد التوحيد ، فحينئذ يأذن الله للشافع أن يشفع فيه
ومن جهل المشرك اعتقاده ان من اتخذ من دون الله شفيعاً انه يشفع له وينفعه

كما يكون عند خواص الملوك والولاة، ولم يعلموا ان الله لا يشفع عنده احد إلا باذنه، ولا يأذن في الشفاعة إلا لمن رضي قوله وعمله، كما قل تعالى في الفصل الثاني (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) وبقي فصل ثالث وهو انه ما يرضى من اقول والعمل إلا التوحيد واتباع الرسول ﷺ،

وعن هاتين الكلمتين يستل الاولون والآخرين كما قل ابو العالية: كلتان يستل عنهما الاولون والآخرين: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟ فهذه ثلاثة اصول تقطع شجرة الشرك من قلب من وعها وعقلها

(فالاول) انه لا شفاعة إلا باذنه (والثاني) انه لا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله (والثالث) انه لا يرضى من اقول والعمل إلا توحيدة، واتباع رسوله

وقد قطع سبحانه وتعالى الاسباب التي يتعلق بها للمشركون قطعاً يعلم من تأمله وعرفه أن من اتخذ من دون الله ولياً أو شفعياً فهو كمثل المنكبوت اتخذت بيتاً، فقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيها من شرك وما له منهم من ظهير* ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له به من النفع، والنفع لا يكون الا فيمن فيه خصلة من هذه الاربعة: إما مالك لما يريد عابده منه فان لم يكن مالكا كان شريكاً للمالك، فان لم يكن شريكاً له كان معيناً وظهيراً، فان لم يكن معيناً ولا ظهيراً كان شفعياً عنده

فنفي سبحانه وتعالى المراتب الاربعة نفياً مرتباً منتقلاً من الأعلى إلى ما دونه فنفي الملك والشرك والمظاهرة والشفاعة التي يطلبها المشرك، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك وهي الشفاعة باذنه

فكفي بهذه الآية برهاناً ونوراً وتجييداً للتوحيد، وقطعاً لأصول الشرك ومواده لمن عقلها، والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها (ولكن أكثر الناس لا

يشعرون) بدخول الواقع تحته ، ويظنه في قوم قد خلا من قبل ولم يعقبوا وارثا ، وهذا هو الذي يحول بين القلب وفهم القرآن

ولعمرك الله إن كان أولئك قد خلا فقد ورثهم من هو مثلهم او شر منهم أو دونهم ، وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك ، ولكن الامر كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه «انما تنقض عرى الاسلام عروة عروة إذا نشأ في الاسلام من لا يعرف الجاهلية» والشرك وما عابه الله وذمه فإنه يقع فيه ويقره ويدعو اليه ويصوبه ويحسنه وهو لا يعرف انه الذي كان عاينه اهل الجاهلية او نظيره او شر منه . ودونه، فتتقض بذلك عرى الاسلام ويعود المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً ، والبدعة سنة والسنة بدعة ، ويدع الرجل لتجريد التوحيد ومتابعة الرسول ﷺ ومفارقة أهل الاهواء والبدع ، ومن له بصيرة وقلب حي يرى عيانا . والله المستعان والكلام في هذه المسئلة يحتاج الى بسط طويل ليس هذا محله ، وانما نبهناك على ذلك تنبيها يعرف به — كل من نور الله قلبه — حقيقة الشرك الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة منه ، وحرمة الجنة على فاعله

ولكن من اعظم انواعه وأكثرها وقوعا في هذه الازمان طلب الحوائج من الموتى ، والاستغاثة بهم ، والرحيل اليهم ، وهذا اصل شرك العالم كما ذكره المفسرون عند قوله تعالى حكاية عن قوم نوح (وقالوا لا تدرن آلهتكم ولا تدرن ودا ولا سواها ولا يعوث ويعوق ونسرا) ان هذه اسماء رجال صالحين في قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم طال عاينهم الامد فعبدهم ، كما ذكر البخاري في صحيحه في تفسير سورة نوح عليه السلام ، وكما ذكر غيره من اهل العلم ، والله سبحانه وتعالى أعلم

*
* *

وأما الشرك الاصغر فكيسير الرياء والحلف بغير الله كما ذكر عن النبي ﷺ

انه قال « من حلف بغير الله فقد أشرك » ومن ذلك قول الرجل : ماشاء الله وشئت : وهذا من الله ومنك ، وأنا بالله وبك ، ومالي إلا الله وأنت ، وأنا متوكل على الله وعليك ، ولولا انت لم يكن كذا وكذا

وقد ثبت عن النبي ﷺ انه قال له رجل : ماشاء الله وشئت فقال « أجمعتني لله ندّاً ؟ قل ماشاء الله وحده » وهذه اللفظة أحق من غيرها من الالفاظ وقد يكون هذا شركاً أكبر بحسب حل قائله ومقصده . وهذا الذي ذكرنا متفق عليه عند العلماء انه من الشرك الاصغر ، كما ان الذي قبله متفق عليه انه من الشرك الاكبر واعلم ان التوبة مقبولة منها ومن سائر الذنوب قطعاً ، اذا صحت التوبة واستكملت شروطها ، لكن ابن عباس رضي الله عنه ومن تبعه قال : لا تقبل توبة القاتل ، وقد ناظر ابن عباس رضي الله عنهما أصحابه وخالفه جمهور العلماء في ذلك وقالوا : التوبة تأتي على كل ذنب . فكل ذنب يمكن التوبة منه وتقبل . واحتجوا بقوله تعالى (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم) وقوله تعالى (واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى) فاذا تاب هذا القاتل وآمن وعمل صالحاً فان الله عز وجل غفار له

فصل

وأما قول السائل : هل للتوحيد والايان مرتبتان وحقيقتان ومجازان يقابل كل واحد واحدة من مراتب الشرك والكفران ويتعلق باحدهما دون الآخر النقص والبطالان ، ويخرج بفعل بعض قواعد الشرك او ترك بعض قواعد التوحيد عن دائرة الاسلام لدائرة الايمان ، او بالعكس ؟
فاعلم - رحمك الله تعالى - ان العلماء ذكروا ان الدين على ثلاث مراتب :

(المرتبة الاولى) مرتبة الاسلام وهي المرتبة الاولى التي يدخل فيها الكافر أول ما يتكلم بالاسلام ويدعن وينقاد له

(المرتبة الثانية) مرتبة الايمان وهي أعلى من المرتبة الاولى لان الله تعالى نفى عن ادعوها الايمان أول وهلة وأثبت لهم الاسلام فقال تعالى (قلت الاعراب آمنوا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لاياتكم من أعمالكم شيئاً، إن الله غفور رحيم* إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) فإنكر سبحانه عليهم ادعاءهم الايمان وأخبر انهم لم يبلغوا هذه المرتبة إذ ذاك

وفي الحديث الصحيح - حديث سعد - لما قال للنبي ﷺ : مالك عن فلان ؟ فوالله اني لأراه مؤمناً^(١) فقال « او مسلماً »

(المرتبة الثالث) الاحسان وهي أعلى المراتب كلها ، وقد تضمن حديث جبريل عليه السلام هذه المراتب كلها لما سأله عن الاسلام والايمان والاحسان فأخبره ﷺ بذلك ثم قال « هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم » فقد ينفي عن الرجل الاحسان ويثبت له الايمان ، وينفي عنه الايمان ويثبت له الاسلام كما في قوله عليه السلام « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » ولا يخرج من مرتبة الاسلام إلا الكفر بالله والشرك المخرج من الملة وأما المعاصي والكبائر كالزنى والسرقة وشرب الخمر ونسبائه ذلك فلا تخرجه عن دائرة الاسلام عند أهل السنة والجماعة خلافاً للخوارج والمعتزلة الذين يكفرون بالذنوب ويحكمون بتخليد قاعها في النار

« ١ » أي مالك تعرض أو تعدل عن فلان فلا تعطيه ؟ وقوله ﷺ « او مسلماً » لإضراب يتضمن انهي عن وصفه بالايمان وأن يصفه بالاسلام الذي يصدقهما يكن باطن الرجل. والحديث في الصحيحين

واحتج أهل السنة والجماعة على ذلك بحجج كثيرة من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين

فمن ذلك ما رواه محمد بن نصر المروزي الامام المشهور حدثنا اسحاق بن ابراهيم حدثنا وهب بن جرير بن حازم حدثنا ابي عن الفضل عن ابي جعفر محمد ابن علي انه سئل عن قول النبي ﷺ « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » فقال ابو جعفر : هذا الاسلام ودونه دائرة واسعة ، وهذا الايمان ودونه دائرة صغيرة في وسط الكبيرة ، فاذا زنى او سرق خرج من الايمان إلى الاسلام ولا يخرج من الاسلام إلى الكفر بالله انتهى

قال : وان الله تعالى جعل اسم الايمان اسم ثناء وتزكية ، ومدحه وأوجب عليه الجنة فقال (وكان بالمؤمنين ربحاً * تحيتهم يوم يلقونه سلام) وقال (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم قدم صدق عند ربهم) وقال (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم) وقال تعالى (الله ولي الذين آمنوا) وقال تعالى (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار) الآية . قالوا وقد توعد الله بالنار اهل الكبائر ، فدل ذلك على أن اسم الايمان زال عن آتى بكبيرة . قالوا : ولم نجده تعالى أوجب الجنة باسم الاسلام فثبت ان اسم الاسلام باق على حاله واسم الايمان زائل عنه فان قيل : أليس ضد الايمان الكفر ؟

(فالجواب) ان الكفر ضد أصل الايمان ، لان الايمان له اصول وفروع ، فلا يثبت الكفر حتى يزول أصل الايمان الذي هو ضد الكفر

فان قيل : ان الذي زعم ان النبي ﷺ أزال عنهم اسم الايمان ، هل بقي معهم من الايمان شيء ؟

قيل : نعم أصله ثابت ، ولولا ذلك لكفرهم

فان قيل: كيف أمسكتكم عن اسم الايمان أن تسموا به الفاسق وأنتم تزعمون ان اصل الايمان معه وهو التصديق بالله ورسوله ؟

(قلنا) لان الله ورسوله وجماهير المسلمين يسمون الاشياء بما علمت عليها من الاسماء ، فيسمون الزاني فاسقاً ، والقاذف فاسقاً ، وشارب الخمر فاسقاً ، ولم يسموا واحداً من هؤلاء تقياً ولا ورعاً ، وقد أجمع المسلمون ان فيه أصل التقوى والورع ، وذلك أنه ينتفى أن يكفروا ويشرك بالله ، وكذلك ينفي أن يترك الغسل من الجنابة والصلاة ، وينفي أن يأتي أمه فهو في جميع ذلك ينفي (١)

وقد أجمع المسلمون من الموافقين والمخالفين انه لا يسمى تقياً ولا ورعاً إذا كن يأتي بالفجور ، مع ان أصل التقوى والورع نفاه الله يزيد فيه (٢)

من دعاء بعد الاصل كتورعه عن اتيان المحارم ، ثم لا يسمونه تقياً ولا ورعاً مع اتيانه ببعض الكبائر بل يسمونه فاسقاً وفاجراً مع علمهم انه قد نفى بعض التقوى والورع فمنهم من ذلك ان اسم التقي اسم ثناء وتزكية ، وان الله قد أوجب عليهم المغفرة والجنة . قالوا فلذلك لا نسميه مؤمناً ونسميه فاسقاً وزانياً ، وان كان في قلبه أصل لايمان لان اسم الايمان أصل أتى الله به على المؤمنين ، وزكاهم به ، وأوجب لهم الجنة . ثم قل : مسلم ولم يقل ومن قالوا : ولو كان أحد من المسلمين الموحدين يستحق أن لا يكون في قلبه إيمان واسلام لكان أحق الناس به أهل النار الذين يخرجون منها لانه صح عن النبي ﷺ ان الله يقول « اخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان » فثبت ان شر المسلمين في قلبه إيمان

ولما وجدنا الامة نحكم بالاحكام التي ألزمها الله المسلمين ولا يكفرونهم ولا يشهدون لهم بالجنة ثبت انهم مسلمون يجري عليهم أحكام المسلمين وانهم لا يستحقون أن يسموا مؤمنين

« ١ » الكلام هنا غير منسق . فلعله سقط منه شيء . « ٢ » يابض في الاصل

اذا كان الاسلام مثبتا للعلة التي يخرج بها المسلم من جميع الملل ، ويزول عنه اسم الكفر ، ويثبت له أحكام المسلم

والمقصود معرفة ما قدمناه من ان للدين ثلاث مراتب : أولها الاسلام واوسطها الايمان ، وأعلاها الاحسان ، ومن وصل إلى العليا فقد وصل إلى التي قبلها ، فالحسن مؤمن مسلم ، والمؤمن مسلم ، وأما المسلم فلا يلزم أن يكون مؤمنا وهذا التفصيل الذي أخرجه النبي ﷺ في حديث جبريل جاء به القرآن فجعل الامة على هذه الاصناف الثلاثة فقال تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا . فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله) الآية فالمسلم الذي لم يقيم بواجب الايمان هو الظالم لنفسه ، والمقتصد هو المؤمن المطلق الذي أدى الواجب وترك المحرم ، والسابق بالخيرات هو المحسن الذي عبد الله كأنه يراه . وقد ذكر الله سبحانه تقسيم الناس في المعاد إلى هذه الاقسام الثلاثة في سورة الواقعة والمطففين وهل أتى

وقل ابو سليمان الخطابي رحمه الله تعالى : فأكثر ما يغلط الناس في هذه المسئلة ، فأما الزهري فقال : الاسلام الكلمة ، والايمان العمل ، واحتج بالآية وذهب غيره إلى ان الاسلام والايمان شيء واحد ، واحتج بقوله (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين * فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) قال والصحيح من ذلك أن يقيد الكلام في هذا ولا يطلق

وذلك ان المسلم قد يكون مؤمنا في بعض الاحوال ولا يكون مؤمنا في بعضها ، والمؤمن مسلم في جميع الاحوال ، فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا ، وإذا حملت الامر على هذا استقام لك تأويل الآيات واعتدل القول فيها ولم يخالف شيء منها قال الشيخ تقي الدين : والذي اختاره الخطابي هو قول من فرق بينهما ، كأبي جعفر وحامد بن زيد وعبد الرحمن بن مهدي ، وهو قول احمد بن حنبل وغيره ،

وما علمت أحداً من المتقدمين خالف هؤلاء وجعل نفس الاسلام نفس الايمان وكان عامة أهل السنة على هذا الذي قاله هؤلاء كما ذكره الخطابي وكذلك ذكر ابو قاسم التيمي الاصبهاني وابنه محمد شارح مسلم وغيرهما انه المختار عند أهل السنة، وانه لا يطابق على السارق والزاني اسم مؤمن كما دل عليه النص (١)

فصل

إذا تمهدت هذه القاعدة تبين لك ان الناس يتفاضلون في التوحيد تفاضلاً عظيماً ويكونون فيه على درجات بعضها أعلى من بعض ، فمنهم من يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب ، كما دلت عليه النصوص المصريحة الصحيحة ، ومنهم من

١ وقال بعض العلماء ان نقي الايمان عن الزاني والسارق وشارب الخمر معناه انه في حال تلبسه بما ذكر لا يكون متلبساً بالايمان بتحريم الله كما يدل عليه تقييده بقوله ﷺ « حين يزني وحين يشرب وحين يسرق » أي بل يكون غافلاً عنه وقال بعضهم المراد به نقي الايمان الكامل وهو الذي ينسب في آخر سورة الحجرات وأول سورة الاقال وفي سور أخرى فهذا هو الذي ينافي بالفسق وارتكاب الكبائر وقد قال الله تعالى في سورة الحجرات « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بنت إحدىهما على الأخرى فقالوا التي تبغي » الآية فأطلق لقب المؤمنين على المتقاتلين حتى الباغية منها

وأما الاسلام فهو العمل بالشرعية فان كان اعتقاداً قطعياً وهو الايمان كان إسلاماً صحيحاً وإلا كان قفاقاً ولم يكن إسلاماً إلا في الظاهر لان الايمان بالاعتقاد الجازم أمر باطني لا يعلمه حق العلم إلا الله تعالى وله آيات ودلائل ذكرت في مواضع من القرآن كما تقدم والمعصية لا تبطله وإن كانت كبيرة إلا بالاستحلال بشرطه الذي تقدم بيانه في رسائل الاسلامة أبا بطين وحواشيها وإنما تنافي كاله . وفي الاصرار خطر لا محل لبيانه هنا

يدخل النار وهم العصاة ويمكثون فيها على قدر ذنوبهم ثم يخرجون منها لاجل ما في قلوبهم من التوحيد والايان وهم في ذلك متفاوتون كما في الحديث الصحيح من قول النبي ﷺ « أخرجوا من النار من قل لا إله إلا الله وفي قلبه من الخير ما يزن برة » وفي لفظ « شعيرة » وفي لفظ « ذرة » وفي لفظ « حبة خردل من ايمان » ومن تأمل النصوص تبين له ان الناس يتفاضلون في التوحيد والايان تفاضلا عظيما، وذلك بحسب ما في قلوبهم من الايمان بالله والعرفة الصادقة والاخلاص واليقين . والله سبحانه وتعالى أعلم

فصل

وأما السؤال الثاني وهو قولكم : من لم تشمله دائرة امامتكم ، ويتسم بسمه دولتكم، هل داره دار كفر وحرب على العموم الخ
فنقول وبالله التوفيق : الذي نعتقده وندين الله به أن من دان بالاسلام وأطاع ربه فيما أمر، وانتهى عما عنه نهى وزجر، فهو المسلم حرام المال والدم كما دل على ذلك الكتاب والسنة واجماع الامة ولم نكفر أحداً دان بالاسلام لكونه لم يدخل في دائرتنا ، ولم يتسم بسمه دولتنا ، بل لا نكفر إلا من كفر الله ورسوله ، ومن زعم انا نكفر الناس بالعموم أو نوجب الهجرة البناء على من قدر على اظهار دينه ببلده فقد كذب وافترى

وأما من بلغته دعوتنا إلى توحيد الله والعمل بفرائض الله وابتى أن يدخل في ذلك وأقام على الشرك بالله وترك فرائض الاسلام فهـذا نكفره ، ونقاتله ونشن عليه الغارة

وكل من قاتلناه فقد بلغته دعوتنا ، بل الذي نتحققه ونعتقده ان اهل اليمن وتهامة والحرمين والشام والعراق قد بلغتهم دعوتنا وتحققوا انا نأمر باخلاص الدين والعبادة لله، وننكر ما عليه أكثر الناس من الاشراك بالله من دعاء غير الله

والاستغاثة به عند الشدائد وسؤالهم قضاء الحاجات وإغاثة اللهفات . وانا نأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وسائر امور الاسلام ، وننهى عن الفحشاء والمنكرات وسائر الامور المبتدعات

ومثل هؤلاء لا يجب دعوتهم قبل القتال فان النبي ﷺ أغار على بني المصطلق وهم غارون وغزا اهل مكة بلا انذار ولا دعوة

وأما قوله ﷺ لم يرضي الله عنه يوم خيبر لما أعطاه الراية - وقال « انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام » فهو عند اهل العلم على الاستحباب . وأما اذا قدرنا ان أناساً لم تبلغهم دعوتنا ولم يعلموا حقيقة امرنا ان الواجب دعوتهم اولاً قبل القتال ، فيدعون الى الاسلام وتكشف شبهتهم إن كان لهم شبهة فان اجابوا فانه يقبل منهم ثم يكف عنهم فان ابوا حلت دماؤهم وأموالهم

فصل

وأما قولكم: من اجاب الدعوة وحقق التوحيد وتبرأ من الشرك هل تلزمه الهجرة وان لم يكن له قدرة ؟

(فنقول) الهجرة تجب على كل مسلم لا يقدر على إظهار دينه ببلده ان كان قادراً على الهجرة ، كما دل على ذلك قوله تعالى (ان الذين توفهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فاولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً) وأما من لم يقدر على الهجرة فقد استثناهم الله تعالى بقوله (الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً) الآية

فصل

وأما السؤال الثالث وهو قولكم: قد ورد « الاسلام يهدم ما قبله » وفي رواية « يجب ما قبله » وفي حديث حجة الوداع « ألا ان دم الجاهلية كله موضوع » الخ ،

وظهر لنا من جوابكم ان المؤمن بالله ورسوله إذا قال أو فعل ما يكون كفرًا جهلاً منه بذلك فلا تكفرونه حتى تقوم عليه الحجة الرسالية ، فهل لو قتل من هذا حاله قبل ظهور هذه الدعوة موضوع ام لا ؟

فنقول إذا كان يعمل بالكفر والشرك لجهله وعدم من ينبيهه لانه يحكم بكفره حتى تقام عليه الحجة ، ولكن نحكم بأنه مسلم بل نقول عمله هذا كفر يبيح المال والدم وإن كنا لانحكم على هذا الشخص لعدم قيام الحجة عليه . لا يقال ان لم يكن كافراً فهو مسلم بل نقول عمله عمل الكفار واطلاق الحكم على هذا الشخص بعينه متوقف على بلوغ الحجة الرسالية اليه

وقد ذكر اهل العلم ان اصحاب الفترات يتحننون يوم القيامة في العرصات ولم يجعلوا حكمهم حكم الكفار ولا حكم الابرار . وأما حكم هذا الشخص اذا قتل ثم اسلم قاتله فاننا لانحكم بدينه على قاتله اذا اسلم بل نقول الاسلام يجب ما قبله لان القاتل قتله في حل كفره والله أعلم

وأما كلام اسعد على قوله تعالى (وما يؤمن اكثرهم بالله إلا وهم مشركون) انه الايمان اللغوي الشرعي فهو مصيب في ذلك وقد ذكر المفسرون ان معنى قوله (وما يؤمن اكثرهم بالله إلا وهم مشركون) ان ايمانهم إقرارهم بأن الله هو الخالق الرازق المدبر ثم انهم مع هذا الايمان بتوحيد الربوبية مشركون بالله في العباداة . ومعلوم ان مشركي العرب وغيرهم يؤمنون بالله رب كل شيء ومليكه وان بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ولم تنفعهم هذه الاعتقادات حيث عبدوا مع الله غيره وأشركوا معه ، بل نجد الرجل يؤمن بالله ورسوله وملائكته وكتبه ورسله وما بعد الموت فذا فعل نوعاً من المكفرات حكم أهل العلم بكفره وقتله ولم ينفعه مامعه من الايمان

وقد ذكر الفقهاء من أهل كل مذهب (باب حكم المرتد) وهو الذي يكفر

بعد إسلامه ، ثم ذكروا أنواعاً كثيرة من فعل واحد منها كفر
 وإذا تأملت ما ذكرناه تبين لك أن الإيمان الشرعي لا يجمع الكفر بخلاف
 الإيمان اللغوي . والله أعلم
 وأما قولكم وهل ينفع هذا المؤمن المذكور ما يصدر منه من أعمال البر وأفعال
 الخير قبل تحقيق التوحيد

فيقال : لا يطلق على الرجل المذكور اسم الإسلام فضلاً عن الإيمان بل يقال
 الرجل الذي يفعل الكفر أو يعتقد في حال جهله وعدم من ينهيه إذا فعل شيئاً من
 أفعال البر وأفعال الخير أثابه الله على ذلك إذا صحح إسلامه وحقق توحيدة ، كما يدل
 عليه حديث حكيم بن حزام « أسلمت على ما أسلفت من خير »
 وأما الحجج الذي فعله في تلك الحالة فلا نحكم ببراءة ذمته به بل نأمره بإعادة
 الحجج ، لأننا لا نحكم بإسلامه في تلك الحالة ، والحجج من شرط صحته الإسلام ، فكيف
 بحكم بصحة حججه وهو يفعل الكفر أو يعتقد ؟ ولكننا لا نكفره لعدم قيام
 الحجة عليه ، فإذا قامت عليه الحجة ، وسلك غير سبيل المحجة ، أمرناه بإعادة
 الحجج ليسقط الفرض عنه ييقين

وأما ما ذكرته عن السيوطي أن الردة لا تنقض الأعمال إن لم تتصل فهي مسألة
 اختلف العلماء فيها ، وليست من هذا الباب لأن كلام السيوطي فيمن فعل شيئاً
 من الأعمال في حال إسلامه ثم ارتد ثم أسلم ، هل يعيد ما فعله قبل رده لأنه قد حبط
 بالردة أم لا ؟ لأن الردة لا تحبط العمل إلا بالموت عليها ؟

فصل

وأما السؤال الرابع عن المصافحة بالأيدي والمعانقة وتقبيل اليد . فالمصافحة
 حسنة مرغوب فيها ، والمعانقة لا بأس بها
 وأما تقبيل اليد فورد فيها أحاديث تدل على ذلك واعتقاده في حق البعض

وبعض الاحيان دون بعض ، وأما المداومة على ذلك واعتقاده سنة فليس في الاحاديث ما يدل على ذلك، ونحن لم ننه الناس عن تقبيل اليد على الوجه الوارد في الاحاديث، بل ننهاهم عن الواقع منهم على خلاف ذلك فانهم يقبلون أيدي السادة الذين يعتقدون فيهم السر ، ويرجون منهم البركة ، ويجعلون التقبيل من باب لذل والانحناء المنهي عنه وصار ذريعة الى الشرك بالله . والشرع قد ورد بسد الذرائع

فصل

وأما السؤال الخامس عن حلق شعر الرأس

فالذي تدل عليه الاحاديث النهي عن حلق بعضه وترك بعضه فاما تركه كله فلا بأس به اذا أكرمه الانسان كما دلت عليه السنة الصحيحة
وأما حديث كليب فهو يدل على الامر بالحلق عند دخوله في الاسلام إن صح الحديث ولا يدل على ان استمرار الحلق سنة
وأما تعزير من لم يحلق وأخذ ماله فلا يجوز وبني فاعله عن ذلك لان ترك الحلق ليس منهيًا عنه ، وانما نهى عنه ولي الامر لان الحلق هو العادة عندنا ولا يتركه إلا السفهاء عندنا (١) فنهى عن ذلك نهى تنزيه لانهي تحريم سداً للذريعة ، ولان كفار زماننا لا يحلقون فصار في عدم الحلق تشبهاً بهم (٢)

« ١ » قوله السفهاء : مراده رحمه الله أن الذي يتركه ويعززه مامقصوده السنة بل مقصوده الحمال لعشقه المردان وربات الحجال وبتبعه الفسقة والارذالاه من حاشية الاصل

(٢) فيه ان الكفار إذا فعلوا فعلاً مشروعاً في الاسلام لا يصح لنا أن نتركه لئلا يكون تشبهاً بهم لانتا أنما فعله لانه مشروع عندنا وهم المتشبهون بنا ، وقد صح أن النبي ﷺ كان يرسل شعره ويفرقه، وأنه لم يحلقه إلا في النعك فلا ينبغي أن يتركه أهل العلم والدين ليصير شعاراً للسفهاء أو الكافرين

فصل

وأما السؤال السادس فيما ورد في فضائل أهل بيت النبي ﷺ فنقول: قد صح في فضائل أهل البيت أحاديث كثيرة . وكثير من الأحاديث التي يرويها من صنف في فضائل أهل البيت أكثرها لا يصححها الحفاظ وفيما صح من ذلك كفاية

وأما قوله تعالى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) وقول من قل أن الإرادة صفة أزلية لا تتبدل، وإن « إنما » للحصر وغير ذلك فنقول : قد ذكر أهل العلم أن الآية لا تدل على عصمتهم من الذنوب يدل على ذلك أن أكبر أهل البيت كالحسن والحسين وابن عباس لم يدعوا لأنفسهم العصمة ولا استدل أحد منهم بهذه الآية على عصمتهم (١)

وقد ذكر العلماء أن الإرادة في كتاب الله تعالى على نوعين : إرادة قدرية وإرادة شرعية ، فالإرادة القدريّة لا تتبدل ولا تغير ، والإرادة الشرعية قد تغير وتبدل ، فمن الأول قوله تعالى (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً) وقوله تعالى (وإذا أراد الله بقوم سوءاً

(١) بل كان بعضهم يخالف بمضاً في الأحكام الشرعية كمخالفة الحسن في ترك الإمامة لمعاوية وكذا مخالفة الحسين في الخروج على يزيد . فهؤلاء خيارهم بالاجماع وأما من بعدهم فقد كان منهم غلاة الباطنية المارقون من الإسلام الذين يكيدون له ويدعون إلى تركه وعداوة أهله والذين يذكرون الحصر في الآية لا يفهمون معناه وهو ما بيناه في الحاشية في صفحة ٥٨٢ ولو كانت الآية تدل على العصمة لوجب أن تقول الشيعة بعصمة أزواجهم ﷺ بالأولى وأفضلهن عائشة التي يفضونها ويخطونها كما نخطبها في حرب الجمل

فلا مرد له (وقواه تعالى) ونريد أن ننمّ على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم
 أئمة (الآيتين ، ومن الثاني قوله تعالى (يريد الله ليمين لكم ويهديكم سنن الذين
 من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم * والله يريد أن يتوب عليكم)
 وقوله تعالى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) كقوله تعالى
 (ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم) وكقوله
 (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وكقوله (يريد الله أن يبين لكم
 ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم) فان ارادة الله في هذه الآية
 متضمنة لمحبة الله . فذلك المراد رضاه به وانه شرعه للمؤمنين وأمرهم به ليس في
 ذلك خلاف هذا المراد ولا أنه قضاؤه وقدره

والدليل على ذلك ان النبي ﷺ بعد نزول هذه الآية قال « اللهم هؤلاء
 أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » فطلب من الله تعالى اذهاب
 الرجس والتطهير عنهم (١)

فلو كانت الآية تقتضي اخبار الله بأنه أذهب عنهم الرجس وطهرهم لمحتج
 إلى انطلب والدعاء وهذا على قول القدرية أظهر ، فان ارادة الله تعالى عندهم
 لا تتضمن وجوب المراد ، بل قد يريد مالا يكون ويكون مالا يريد فليس في قواه
 تعالى (يريد) ما يدل على وقوعه

ومن العجب أن الشيعة يحتجون بهذه الآية على عصمة أهل البيت ومذهبهم
 في القدر من جنس مذهب القدرية الذين يقولون ان الله قد أراد إيمان كل من
 على وجه الارض فلم يقع مراده

وأما على قول أهل السنة والتحقيق فما تقدم - وهو أن يقال الارادة في كتاب
 الله تعالى نوعان : ارادة شرعية دينية تتضمن محبته ورضاه ، و ارادة كونية

(١) كذا في الاصل ولعل أصله الصحيح : اذهاب الرجس عنهم والتطهير لهم

تتضمن خلقه وتقديره (فالأولى) كقوله تعالى (يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم) (والثانية) كقوله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) الآية . وقوله تعالى (ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم ، إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون) ومثل ذلك كثير في القرآن

فإن الله تعالى قد أخبر أنه يريد أن يتوب على المؤمنين ويطهرهم ، وفيه (١) من تاب وفيه من لم يتب ، وفيه من تطهر ، وفيه من لم يتطهر ، فإذا كانت الآية ليس فيها دلالة على وقوع ما أراده من التطهير وإزهاب الرجس لم يلزم بمجرد الآية ثبوت مادعاه هؤلاء .

ومما يبين ذلك أن أزواج النبي ﷺ مذكورات في الآية فقد دل تعالى (بانساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً * ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مرتين - إلى قوله - وأقن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله * إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً *) واذ كن ما ينل في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيراً) فالخطاب كله لأزواج النبي ﷺ وفيه الأمر والنهي ، والوعد والوعيد

لكن لما كان ما ذكره سبحانه يعمهم ويعم غيرهم من أهل البيت جاء بلفظ التزكية فقال (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) والذي يريد الله من حصول (٢) لرجس وحصول التطهير

فهذا الخطاب وغيره ليس مختصاً بأزواجه بل هو يتناول أهل البيت كلهم وعلي

(١) قوله وفيه لعل أصله وفيهم وكذا ما بعده

(٢) كذا في الأصل واظهار أنه سبق فلم أرسه ومن أناس يخولوا لإزهاب الرجس

وفاطمة والحسن والحسين أخص من غيرهم بذلك خصصهم النبي ﷺ بالدعاء لهم (١) وهذا كما ان قوله (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه) نزل بسبب مسجد قباء ، ولكن الحكم يتناولها ويتناول ما هو أحق منه بذلك وهو مسجد المدينة

وفي الصحيح أن النبي ﷺ سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى فقال « هو مسجدي هذا » وفي الصحيح انه كان يأتي مسجد قباء كل سبت راكباً وماشيّاً ، فكان يقوم في مسجده يوم الجمعة ويأتي قباء يوم السبت ، وكلاهما مؤسس

(١) التحقيق ان هذه الآيات كلها في نساء النبي ﷺ فقط وإنما ذكر الضمير في عنكم وبطهركم تغايباً للنبي ﷺ وقد أعاد الخطاب لمن بعده هذه الآية وهي تعليل لما في الآيات من الاوامر والنواهي والوعد بمضاعفة الثواب والوعيد بمضاعفة العقاب والمعنى انما يريد الله بما ذكر من أمر ونهي ووعد ووعد وترغيب وترهيب أن يطهر هذا البيت المنسوب إلى رسوله من كل رجس ودنس وطار يمكن أن يسهه عاره بارتكاب أحد منكن لما هنا كن عنه وترك ما أمركن به . فهذه الارادة في الطهارة المعنوية كقوله تعالى في الطهارة الحسية بعد الامر بالوضوء والغسل (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون) وما ورد في الدعاء لعلي وفاطمة ولولدهما أرحم الراحمين من أهل بيته فمعناه انهم يدخلون في عموم لفظ أهل البيت الوارد في نساءه ﷺ فيجب عليهم معاملة الله سبحانه بالتطهير في الآيات التي خاطب بها نساءه . على القاعدة الاصولية المعروفة : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . وفي حديث أم سلمة إشكال لانه يخالف ظاهر الآيات التي هي نص في الأزواج الطاهرات وأم سلمة منهم فهي داخلة في منطوقها وأوليا وظاهر الحديث ان ارادة التطهير قدرية تكوينية لا أنها أر لا مثقال تلك الامر والنواهي المألة بها فليراجع سنده فاعمل فيه بعض الشيعة الحرفين الآية

على التقوى ، وهكذا أزواجه وعلي وفاطمة والحسن والحسين كلهم من أهل البيت . لكن علي وفاطمة والحسن والحسين أخص بذلك من أزواجه ، فلهذا خصصهم بالدعاء (١)

فصل

وأما قولكم: ومن يطلق عليه اسم الآل ؟

فنقول: قد تنازع العلماء في آل محمد من هم ؟ فقيل هم أمته ، وهذا قول طائفة من أصحاب مالك واحمد وغيرهم وقيل المتقون من أمته ، ورووا حديثاً « آل محمد كل تقي » رواه الخلال وتام في فوائده وهو حديث لا أصل له ، والصحيح : ان آل محمد هم أهل بيته . وهذا هو المنقول عن الشافعي واحمد ، لكن هل أزواجه من آلهم على قولين ، هاروايتان عن احمد . والصحيح ان أزواجه من آلهم ، فانه قد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ انه عليهم الصلاة عليه « اللهم صل محمد وأزواجه وذريته » ولان امرأة ابراهيم عليه السلام من آلهم وأهل بيته ، وامرأة لوط من آلهم وأهل بيته . والآية المذكورة تدل على انهم من أهل بيته

وأما الاتقياء من أمته فهم أولياؤه ، كما ثبت في الصحيح عنه ﷺ انه قال « ان آل بني فلان ليسوا لي بأولياء ، ان وليي الله وصالح المؤمنين » فأولياؤه

(١) هذا خلاف المتبادر كما علم مما تقدم ومن الضروري المعلوم بالفطرة والخبرة أن ما يلحق الرجل من العار بعدم طهارة أزواجه أقوى مما يلحقه بعدم طهارة صهره وأسباطه وأحفاده فلماذا أورد نص الآيات في الأزواج الطاهرات وافترضت بقوله تعالى (يا نساء النبي استن كآحد من النساء إن اتقيتن) فهذا تفضيل صريح لهن وهذا لا ينافي كون السيدة فاطمة عليها السلام أفضل منهن بكونها بضعة منه ﷺ وبشخصها أيضاً وكذا ولداها وبها على السلام والرضوان

المتقون بينه وبينهم قرابة الدين والایمان والتقوى، والقرب بين القلوب والارواح
 أعظم من القرب بين الابدان ، وأما أقاربه ففيهم المؤمن والكافر ، والبر والفاجر
 ومن كان فاضلا منهم كعلي رضي الله عنه وجعفر والحسن والحسين وابن
 عباس فتفضيلهم بما فيهم من الايمان والتقوى ، وهم اولياؤه بهذا الاعتبار لا مجرد
 النسب. فأولياؤه قد يكونون اعظم درجة من آله ، وانه وان أمر بالصلاة على آله تبعاً
 لم يقتض ذلك أن يكونوا أفضل من اوليائه وهم أفضل من اهل بيته ، وإن لم
 يدخلوا في الصلاة معه تبعاً . فالفضل قد يختص بأمر ولا يلزم أن يكون أفضل
 من الفضل. وأزواجه ممن يصلى عليه كما ثبت ذلك في الصحيحين

وقد ثبت باتفاق العلماء كلهم أن الانبياء أفضل منهم

والله أعلم ، وصلى الله على محمد

وآله وصحبه وسلم

(تمت الاجوبة السنية عن الاسئلة الحفظية)

فتاوى ومسائل فقهية مختلفة

بعض علماء نجد ممزوة اليهم

بسم الله الرحمن الرحيم

أجوبة مسائل سئل عنها الشيخ سليمان بن علي وغيره وأجاب فيها بما صورته :
(المسئلة الاولى) ما ذكرتم من ان الكي عيب في الرقيق فقط فاعلم ان اطلاقه
ليس خصوصية في الرقيق دون غيره لكن اذا كان الكي لا ينقص القيمة في عرف
التجار فوجوده كعدمه والله أعلم

(الثانية)

وأما ما ذكرتم من المعاويذ التي مع ودعي البدو او هن مجتمعات بالمشرب
والمبيت وهن مع وديعين لبلدين كل واحد لبلد مثلاً وهن جميع مثلاً كما ذكرتم
فاعلم ان الفقهاء صرحوا — ومن أعظمهم تصريحاً شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه
الله تعالى — بان الراعي والرعاة ولو غير عدول اذا عاوض أحدهم او عاوضوا
الظالم عن المال ببعضه لزم المدفوع إلى الظالم المال كله كل بقسطه لانه مجتهد في
هذه الصورة غير مفرط

واما ان أخذ الظالم من غير معاوضة الراعي أو الرعاة ، ولا دعوى مكس
فخصية أصابت المال المدفوع فقط دون غيره من المال لا يؤخذ بها أحد
واما اقرار الراعي او الرعاة او لابه ثم أقروا ثانياً بغيره ، فالعمل على الاقرار
الاول دون غيره يعني دون الثاني

(الثالثة)

إذا وقف عقاراً ثم خرج فيه سهم مستحق هل يصح الوقف أم لا ؟
 (الجواب) الوقف الذي ظهر بعضه مستحقاً حكمه حكم البيع والهبة والرهن
 بانه وقف مالا يملك ، وبيع مالا يملك ، وهبته ورهنه مالا يملك لا يصح ، ويصح
 ذلك فيما يملكه ، وكذلك هذا الوقف يصح فيما يملكه ولا يصح فيما لا يملكه
 وجواب الشيخ احمد البجادي في هذه المسئلة كذلك

وأما جواب الشيخ عبد الوهاب بن مشرف ان محل صحة ما وقف يملكه منه
 إذا كان غير عالم وقت وقعه ان بعضه مستحق ، واما إذا كان عالماً ان بعضه
 مستحق وقت التوقيف ، فان كان يعلم نصيبه من نصيب غيره ووقف الجميع صح
 في نصيبه دون غيره ، وإن كان يجهل نصيبه ووقف الجميع لم يصح

(الرابعة)

وأما الثمرة المشتركة في رءوس النخل فيصح قسمها خرساً ، لتكون قسمة الثمرة
 من نوع الاجبار ، ولم أر نصاً في اجبار الشريك على البيع إذا طلب القسم في رأسها
 ولو تعلل بعضهم بعدم أمن البعض ، ولو كان محتملاً فعلى هذا تقسم في رأسها اذا
 تشاحوا ، ويحجر على الممتنع من الشركاء فن خاف السرقة استأجر حافظاً والله أعلم
 (مسئلة في أن على مؤجر الارض قسمة حفر البئر اذا كان فيها دفين او غير)

(للشيخ عبدالله بن عضيف)

بسم الله الرحمن الرحيم

ما قول العلماء وفقهم الله تعالى الى السداد وأيدهم بالتوفيق والارشاد: في انسان
 ضم أرضاً من آخر، ثم ان ماء بئر تلك الارض قل، وانما قل لاجل ان فيها دفينا
 من تراب وغيره ، وأراد العامل حفرها ليسقي ذلك الزرع وتعذر حفرها من

المالك اغيبته او امتناعه عن حفرها، وحفرها العامل بنية الرجوع على المالك لانهما شريكان في المنفعة، ثم ظهرت تلك الضامة فاسدة، فهل والحالة هذه يرجع على المالك لانهما شريكان في المنفعة، ولان عقدهما جائز فلا يمنع نفوذ تصرفه بلاذن وهو دخول العامل بالضامة من المالك، أم ترتب عليه أحكام الغصب لفساده فلا يرجع بشيء؟ وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

(الجواب) الحمد لله

اعلم وفقنا الله وإياك ان الذي يظهر لي من حكم تلك المسئلة انه يلزم صاحب البئر القيام مع المزارع في اخراج الدفين من البئر، ونفقة ذلك على مالك البئر، وان كان العقد فاسداً، لوضعه البذر باذنه فلزمه ما فيه تمامه، ومن تمامه الماء وتربة الارض، فكما لا يجبره على قلع زرعه من الارض التي يذمو الزرع بسببها بل يلزمه تركه بالاجرة فيلزم بتحصيل الماء الذي به ثمرة الزرع لحفظ الزرع بهاتين الخصاتين - أعني الارض والماء - لازم لمالك الارض، ولا فرق بينهما لان بهما تمام لزوم الحاصل في أرضه باذنه والله أعلم. قاله عبدالله بن عضيف. وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

مسئلة في حق النخلة في الماء المجاور لها

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن جواب لعبد الوهاب بن سليمان بن علي عن مسئلة وسورتها: نخلة على جال ساقى قرية من الزاء وجاءها قصيرها ينبغي يفرك الساقى والماء يصب في حوضها أولا فهل له ذلك أم لا

(الجواب) إذا كان الامر كما ذكر السائل لم يجز صرف الماء عن النخلة المذكورة لثبوت ذلك لها شرعا، ولو باع النخلة الصارف لمجري الماء الذي هو

حق للنخلة المذكورة لم يسقط ما هي مستحقته من جريان الماء وذلك ظاهر لا يخفى
قال ذلك وكتبه مخبراً به الفقير إلى الله سبحانه عبد الوهاب بن سليمان اه
ومن جواب لابراهيم بن سليمان بن علي رحمه الله تعالى عن مسئلتين سئل
عنهما وصورة السؤال :

إذا ادعى انسان على آخر ان مورثك أقر لي بنخلتين معينتين من ثلاث
نخلات أو أكثر مع كون المقر به بيد المقر وتصديق المقر له وأقام بذلك بينة
وعينت البينة إحدى النخلتين واشتبهت عليه الثانية اي نسيت عينها بعد المعرفة
لها من تلك النخلات اثلاث، فهل يقدر في ذلك شهادة البينة أم لا ؟

(الثانية) إذا أقر انسان ان عقاري الغلاني لأبي وان المال الذي عندي
لابي وادعى بعد ذلك ابطال الاقرار وقال انما أقررت بذلك تلجئة أريد به
الحيلة لاسقاط حق وارث وأقام بذلك بينة هل تسمع أم لا ؟ وهل ان عدم البينة
وادعى ذلك وحفت بدعواه قرينة على صدقه، ما الحكم في ذلك؟ أبسطوا لنا الجواب
أعظم الله لكم اشواب
(الجواب وبالله التوفيق)

(الحمد لله سبحانه اللهم ألهمني الصواب)

إذا كان الحال كما ذكر السائل - وفقنا الله وإياه لفهم المسائل - وكان الشاهدان
يعرفان النخلات المذكورات وقت الاقرار . فالأقرار المذكور صحيح وصارت
النخلتان المعينتان بالإقرار مالا محازا للمقر له وتعيين ما اشتبه منها إلى ورثة
المقر بإيمانهم، لان ورثة المقر يقومون مقامه في ميراثه والدين الذي له وعليه وبيناته
ودعاويه والايمان التي له وعليه، فان لم يحلفوا لم يجز انتصرف فيما أثبتته حتى يقف
المقر والمقر له على تعيين النخلة التي اشتبهت إما بتصادق او قرعة شرعية على

ما قدمه في الاقناع فيما اذا اشتبه عبده بعبد غيره انتهى
 وقال الشيخ مرعي في الغاية: ويتجه يصح قبلها إن تبين عنده
 (والجواب عن الثانية) فاقرار الشخص المذكور ان عقاره لأبيه اقرار
 صحيح بشرط تصديق الاب لابنه في اقراره
 وأما قوله انه أقر بذلك تلجئة أريد به الحيلة فقوله ذلك غير مقبول شرعا
 حتى ولو أقام بذلك بيينة شرعية إلا ان تشهد البينة ان أباه المشار اليه قد أكرهه
 على الاقرار بذلك العقار المذكور وان الاب المشار اليه يتوعده اما بتهديد وانه
 قادر على ايقاع ما تهدده به اما بقتل او ضرب يؤلمه او أخذ مال يضره ولا يمكنه
 دفعه عنه بهرب ولا غيره فاذا كان الامر كذلك وقامت به البينة العادلة بان لنا
 انه مكره وان اقراره المذكور غير صحيح

وأما اذا أقر خوفا من غضب أبيه ونحو ذلك فليس ذلك باكراه
 وأما قول بعض الجهال اني أقررت تقية او خوفا والمقر قادر على دفع الاكراه
 أو قادر على الهرب والمقر له ليس بقادر على اكراه هذا المقر إما بسلطنة او قوة
 أو تلصص ونحو ذلك فاقرار هذا المقر المشار اليه بالمقدار المذكور اقرار صحيح
 شرعي، صرح بذلك علماؤنا رضي الله عنهم

قال ذلك وكتبه مخبراً عن مذهبه ابراهيم بن سليمان بن علي الحنبلي
 الحمد لله

جوابي كما أجاب الشيخ ابراهيم او افقته الصواب والله أعلم
 وكتبه الفقير إلى الله سبحانه عبد الوهاب بن سايان عفا الله عنه بمنه وكرمه
 وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

النَّبذة الشَّرِيفَةُ النَّفِيسَةُ فِي الرَّدِّ عَلَى الْقُبُورِيِّينَ

مِنْ فِتَاوَى

“الْعَلَّامَةِ مِفْتَاحِ الدِّيَارِ النَّجْدِيَّةِ، وَعَالِمِ الطَّائِفَةِ السَّكَلَفِيَّةِ”
السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ نَاصِرِ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ مَعْمَرِ الْحَنْبَلِيِّ

رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ند ولا معين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله رحمة للعالمين وحجة على الكافرين . صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً وصحبه ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين

أما بعد : فإنه ما كان منتصف جمادى الثانية من شهر سنة سبع عشرة بعد المائتين والالف وصات الينا رسالة من محمد بن احمد الحفظي اليمني يسأل فيها عن مسائل أوردها عليه بعض المجاديين فطلب منا الجواب عليها منها زعم أن اطلاق المكفر بدعاء غير الله غير مسلم الوجه :

(الوجه الاول) عدم النص الصريح على ذلك بخصوصه (الثاني) أنه ان نظر فيه من حيثية القول فهو كالحلف بغير الله ، وقد ورد أنه شرك وكفر ، ثم أولوه بالاصغر ، واما نظر فيه من حيثية الاعتقاد فهو كالطيرة وهي من الاصغر

(الثالث) انه قد ورد في الحديث ، أي حديث الضرير قوله : يا محمد اني أتوجه بك الخ ، وفي الجامع الكبير وعزاه للطبراني « فن انفلتت عليه دابته قل : يا عباد الله احبسوا » وهذا دعاء ونداء لغير الله

(الجواب) وبالله التوفيق والتأييد ومنه استمد العون والتسديد . اعلم ان دعاء غير الله وسؤاله نوعان :

(أحدهما) سؤال الحي الحاضر ما يقدر عليه مثل سؤاله أن يدعوله او ينصره او يعينه بما يقدر عليه فهذا جائز كما كان الصحابة رضي الله عنهم يستشفعون بالبي صلى الله عليه وسلم في حياته فيشفع لهم ، ويسألونه الدعاء فيدعو لهم . فالخلق يطلب منه من هذه

الامور ما يقدر عليه منها ، كما قال تعالى في قصة موسى (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) وقال تعالى (وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر) وكما ورد في الصحيحين « ان الناس يوم القيامة يستشفعون بآدم ثم بنوح ثم بابراهيم ثم بموسى ثم بعيسى ثم بنبينا محمد ﷺ »

وفي سنن أبي داود أن رجلا قال للنبي ﷺ انا نستشفع بالله عليك ونستشفع بك على الله فقال « شأن الله أعظم من ذلك ، انه لا يستشفع به على أحد من خلقه » فأقره على قوله نستشفع بك على الله ، وأنكر قوله نستشفع بالله عليك : فالصحابة رضي الله عنهم كانوا يطلبون منه الدعاء ويستشفعون به في حياته صلى الله عليه وعلى آله وصحبه

(النوع الثاني) سؤال الميت والغائب وغيرهما مما لا يقدر عليه إلا الله مثل سؤال قضاء الحاجات وتفريج الكربات وإغاثة الالهفات ، فهذا من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين لم يأمر الله به ولا رسوله ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان ، ولا استحسنته أحد من أئمة المسلمين ، وهذا مما يعلم بالاضطرار انه ليس من دين الاسلام

فانه لم يكن أحد منهم إذا نزل به شدة أو عرضت له حاجة يقول : يا سيدي فلان اقض حاجتي أو اكشف شدتي وأنا في حسبك وأنا مستشفع بك إلى ربي كما يقوله بعض هؤلاء المشركين لمن يدعونهم من الموتى والغائبين ، ولا أحد من الصحابة استغاث بالنبي ﷺ بعد موته ولا بغيره من الانبياء عند قبورهم ولا إذا أبعدهوا عنهم ، فان هذا من الشرك الاكبر الذي كفر الله به المشركين فان المشركين الذين كفرهم النبي ﷺ واستباح دماءهم وأموالهم لم يقولوا ان آلهتهم شاركت الله تعالى في خالق العالم أو انها تنزل المطر وتنبئ النيات بل

كانوا مقرين بذلك لله وحده كما قال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) الآية

وقال تعالى (قل لمن الارض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله - الى قوله - قل فأنى تسحرون) وقال تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) قال طائفة من السلف في تفسير هذه الآية : كانوا إذا سئلوا : من خلق السموات والارض قالوا الله ، وهم يعبدون غيره ، ففسروا الايمان في الآية باقرارهم بتوحيد الربوبية وفسروا الاشرار الكباشرا بهم في توحيد الالهية الذي هو توحيد العبادة . والعبادة اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الاقوال والاعمال ، من ذلك الدعاء بما لا يقدر على جنبه أو دفعه إلا الله ، فمن طالب من غيره أو استعانه فيه فقد عبده به ، والدعاء من أفضل العبادة وأجل الطاعات قال الله تعالى (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم * ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) وفي الترمذي عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال « الدعاء مخ العبادة » . وللترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ « ان الدعاء هو العبادة » ثم قرأ (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) إلى آخر الآية قال الترمذي حديث حسن صحيح قال الشارح معنى قوله « الدعاء مخ العبادة » أي أعظمها فهو كقوله : الحج عرفة أي ركنه الأعظم ومعنى قوله « الدعاء مخ العبادة » أي خالصها لان الداعي انما يدعو الله عند انقطاع أمله مما سواه . وذلك حقيقة التوحيد والاخلاص انتهى والدعاء في القرآن يتناول معنيين (أحدهما) دعاء العبادة وهو دعاء الله لامثال أمره في قوله (ادعوني أستجب لكم)

(الثاني) دعاء المسئلة وهو دعاؤه سبحانه في جلب المنفعة ودفع المضرة وبقطع النظر عن الامثال فقد فسر قوله تعالى (وقال ربكم ادعوني أستجب

لكم) بالوجهين (أحدهما) ما هو معلوم من الدعاء وغيره وهو العبادة وامتنال الأمر له سبحانه ويكون معنى قوله (أستجب لكم) أثبتكم كما قال في الآية الأخرى (ويستجب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي يثيبهم على أحد التفسيرين

(الثاني) ما هو خاص: معناه سلوني أعطيكم كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال «ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له» فذكر أولاً لفظ الدعاء ثم السؤال ثم الاستغفار، والمستغفر سائل كما أن السائل داع فعطف السؤال على الدعاء والاستغفار، فهو من عطف الخاص على العام وهذا المعنى الثاني هو الاختصاص الوجهين

(أحدهما) ما في حديث النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ قال «الدعاء هو العبادة» ثم قرأ (وقال ربكم ادعوني) إلى آخره

فستدل أنه ﷺ بالآية على الدعاء دليل على أن المراد منها سلوني، وخطاب الرب سبحانه وتعالى عبادة المكلفين بصيغة الأمر منصرف إلى الوجوب مالم يعم دليل يصرفه إلى الاستجباب، فيفقد قصور نقله على الله فلا يجعل لغيره لأنه عبادة ولهذا أمر الله الخلق بسؤاله فقال (واسئلوا الله من فضله)

وفي الترمذي عن ابن مسعود عن النبي ﷺ «سلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسئل» وله عن أبي هريرة مرفوعاً «من لم يسأل الله يغضب عليه» وله أيضاً أن «الله يحب الملحين في الدعاء»

فتبين بهذا أن الدعاء من أفضل العبادات وأجل الطاعات (الوجه الثاني) أنه سبحانه قال (واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني) والسائل راغب راهب، وكل سائل راغب راهب فهو عابد للمسئول، وكل عابد فهو أيضاً راغب راهب يرجو رحمته ويخاف عذابه،

وكل عابد سائل ، وكل سائل فهو عابد لله قال تعالى (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا) ولا يتصور أن يخلو داع لله دعاء عبادة او دعاء مسئلة من الرغب والرهب والخوف والطمع

فدعاء العبادة ودعاء المسئلة كلاهما عبادة لله لا يجوز صرف شيء منهما إلى غيره فلا يجوز أن يطلب من مخلوق ميت أو غائب قضاء حاجة أو تفريج كربه بل مالا يقدر عليه إلا الله لا يجوز أن يطلب إلا من الله

فمن دعا ميتا أو غائبا فقال ياسيدي فلان أغثني أو انصرني أو ارحمني أو اكشف عني شدتي ونحو ذلك فهو كافر مشرك يستتاب فمن تاب وإلا قتل وهذا مما لا خلاف فيه بين العلماء فإن هذا هو شرك المشركين الذين قاتلهم النبي ﷺ فانهم لم يكونوا يقولون : انها تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها بل كانوا يعلمون أن ذلك لله وحده كما حكاه عنهم في غير موضع من كتابه ، وانا كانوا يفعلون عندها ما يفعله إخوانهم من المشركين اليوم من دعائها والاستغاثة بها ، والذبح لها ، والندر لها ، يزعمون انها وسائط بينهم وبين الله تعالى تقرهم اليه وتشفع لهم لديه كما حكاه عنهم في قوله تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) وقال تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله)

فقاتلهم الرسول ﷺ ليكون الدعاء كله لله والذبح كله لله ، والاستغاثة كلها بالله ، وجميع العبادات لله والله سبحانه قد بين في غير موضع من كتابه ان الدعاء عبادة ، فقال تعالى حاكيا عن خليله ابراهيم عليه السلام (وأعتزلكم وما ندعون من دون الله وأدعو ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا * فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) الآية وقال تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حشر الناس

كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين)

فأخبر سبحانه أنه لا أضل من هذا الداعي ، وإن المدعو لا يستجيب له ، وإن ذلك عبادة سيكفر بها المعبود يوم القيامة . كقوله تعالى (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا * كلا ، سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا) وقد سعى الله سبحانه الدعاء دينا في غير موضع ، وأمرنا أن نخلصه له ، وأخبر أن المشركين يخلصون نه في الشدائد فقال تعالى (وإذا غشيهم موج كاطلل دعوا الله مخلصين له الدين) وقال تعالى (حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم برح طيبة وفروا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين) وقال تعالى (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون)

فأخبر سبحانه أنهم عند الاضطرار يدعونه وحده لا شريك له مخلصين في تلك الحال لا يستغيثون بغيره فيها ، فلما نجاهم من تلك الشدة إذا هم يشركون في دعائهم . ولهذا قال (وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه * فلما نجاكم إلى البر أعرضتم) أي أنه سبحانه لما نجاكم إلى البر أعرضتم أي نسيتم ما عرفتم من توحيده وأعرضتم عن دعائه وحده لا شريك له .

وقال تعالى (فادعوا الله مخلصين له الدين) وقال تعالى (هو الحي لا اله الا هو فدعوه مخلصين له الدين)

فالدعاء من أفضل العبادات وأجل الطاعات ، ولهذا أخبر أنه الدين ، فذكره معروفا بالالف واللام ، وأخبر أن المشركين يخلصونه له في الشدائد ، وإنهم في الرخاء يشركون معه غيره فيدعون من لا ينفعهم ولا يضرهم ، ولا يسمع دعاءهم فصاروا بذلك كافرين

ومن تأمل الكتاب والسنة علم أن شرك المشركين الذين كفروهم النبي ﷺ

أما هو في الدعاء والذبح والنذر والتوكل والالتجاء ونحو ذلك. فإن جادل مجادل وزعم أنه ليس هذا، قيل له فأخبرنا عما كانوا يفعلون عند آلهتهم وما الذي يريدون وما هذا الشرك الذي حكه الله عنهم؟

فإن قل شركهم عبادة غير الله قيل له وما معنى عبادتهم لغير الله؟ أنظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق، وتدبر أمر من دعاها؟ فهذا يكذبه القرآن لأن الله عز وجل أخبر عنهم أنهم مقرون بذلك لله وحده فإن قال أنهم يريدون منهم النفع والضرر من دون الله، فهذا يكذبه القرآن أيضاً لأن الله أخبر أنهم لم يريدوا إلا التقرب بهم إلى الله وشفاعتهم عنده كما قال تعالى حاكياً عنهم (ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) وقال تعالى (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله)

وأخبر تعالى عن شركهم في غير آية من كتابه كقوله (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً) أي لا يدفعونه بالكيفية ولا يحولونه من حل إلى حل. ثم قل (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب، ويرجون رحمتي ويخفون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً) قل طائفة من السلف: كان أقوام يدعون المسيح والعزير والملائكة فبين الله لهم أن هؤلاء عبادي كما أنتم عبادي يرجون رحمتي كما ترجون رحمتي، ويخفون عذابي كما يخافون عذابي، وأخبر أنهم لا يملكون كشف الضر عن الداعين ولا تحويله وهذا هو الاغاثة

والشركون يزعمون أن آلهتهم تشفع لهم بالسؤال عند الله والطلب منه فيقضي الله لهم تلك الحاجات فأبطل هذه الشفاعة التي يظنها الشركون وبين أنه لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه فقال (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) وقال (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه)

فمن جعل الانبياء والملائكة وسائط بين الله وبين خلقه كالْحِجَاب الذين يكونون بين الملك ورعيته بحيث يزعم انهم يرفعون الحوائج الى الله ، وان الله يرزق عباده وينصرهم بتوسطهم بمعنى أن الخلق يسألونهم وهم يسألون الله، فمن اعتقد هذا فهو كافر مشرك

إذا تقرر هذا فنقول: قول القائل « ان اطلاق الكفر بدعاء غير الله غير مسلم لوجوه الوجه الاول عدم النص الصريح على ذلك بخصوصه » كلام باطل بل النصوص صريحة في كفر من دعا غير الله ، وجعل لله نداً من خلقه يدعوه كما يدعو الله ، ويرجوه كما يرجو الله ، ويتوكل عليه في أموره كلها . قال الله تعالى (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) وقال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله -- الى قوله -- وما هم بخارجين من النار) فمن أحب مخلوقاً كما يحب الله أو رجاء كما يرجو الله فقد جعله نداً لله وصار من الخالدين في النار

وفي صحيح البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من مات وهو يدعو لله نداً دخل النار »

وفي الصحيحين انه ﷺ سئل أي الذنب أعظم ؟ قال « أن تجعل لله نداً وهو خلقك » والند المثل قال الله تعالى (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) وقال تعالى عن أهل النار (تالله ان كنا في ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين) ومعلوم انهم ما يساؤونهم به في الخلق والرزق، والاحياء والاماتة، وانما يساؤونهم به في الدعاء والخوف والرجاء والمحبة والتعظيم والاجلال . وقال تعالى (وإذا مس الانسان ضر دعا ربه منيباً اليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعوا اليه من قبل وجعل لله أنداداً ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلاً انك من أصحاب النار) وقال تعالى (ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فانما حسابه عند

دبه انه لا يفتح الكافرون) فصرح بكفره وقال تعالى (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين — إلى قوله — ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون)

فبين أن اتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً كفر . وقال تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به) وقال فيما حكاه عن المسيح (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) وقال (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير * ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم)

فدلت الآية الكريمة على أن أعظم شركهم إنما هو دعاء غير الله فأخبر أنهم لا يملكون من قطمير وهو القشر الذي يكون على ظهر النواة ، أي ليس لهم من الامر شيء وان قل . ثم أخبر أنهم لا يسمعون دعاءهم ، وأنهم لو سمعوا ما استجابوا لهم . وهذا صريح في دعاء المسئلة

ثم أخبر ان هذا شرك يكفرون به يوم القيامة فقال (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) كقوله (كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً) وكقوله (واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) والله سبحانه قد أرسل رسله وأنزل كتبه ليعبدوه وحده ويكون الدين كله له ، ونهى أن يشرك به أحد من خلقه

وأخبر ان الرسالة عمت كل أمة وان دين الرسل واحد وهو الامر بعبادته وحده لا شريك له وانه لا يشرك به أحد سواه كما قال (ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه انه لا إله إلا أنا فاعبدون)

وأخبر انه لا يغفر أن يشرك به وان من أشرك فقد حبط عمله وصار من

الخالدين في النار، كما قال تعالى (ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم فيها خالدون)
فيقال لمن أنكر أن يكون دعاء الموتى والاستغاثة بهم في الشدائد شركاً أكبر:
أخبرنا عن هذا الشرك الذي عظمه الله وأخبر أنه لا يغفره أظن أن الله يحرمه
هذا التحريم ولا يبينه لنا؟

ومعلوم أن الله سبحانه أنزل كتابه تبیاناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى
للمسلمين . وقد أخبر في كتابه أنه أكمل لنا الدين ، وأنم علينا النعمة ، ورضي
لنا الاسلام ديناً . فكيف يجوز أن يترك بيان الشرك الذي هو أعظم ذنب
عصى الله به سبحانه؟

فإذا أصغى الانسان إلى كتاب الله وتدبره وجد فيه الهدى والشفاء (من
يضلل الله فلا هادي له) (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور)
ويقول أيضاً قد أمرنا الله بدعائه وسؤاله وأخبر أنه يجيب دعوة الداعي إذا
دعاه ، وأمرنا أن ندعوه خوفاً وطمأنينة فإذا سمع الانسان قوله تعالى (وقل ربكم
ادعوني أستجب لكم) وقوله (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية)

فمعلوم أن هذا عبادة ، فيقال: فإن دعا في تلك الحاجة نبياً أو ملكاً أو عبداً
صالحاً هل أشرك في هذه العبادة فلا بد أن يقر بذلك، إلا أن يكابر ويعاند
ويقول أيضاً: إذا قل الله (فصل لربك وأنحر) وأطعت الله ونحرت له هل
هذا عبادة؟ فلا بد أن يقول نعم

فيعال له: فإذا ذبحت لمخلوق نبي أو ملك أو عبد أو غيرها هل أشركت في
هذه العبادة؟ فلا بد أن يقول نعم إلا أن يكابر ويعاند ، وكذلك السجود عبادة
فلو سجد لغير الله لكان مشركاً في هذه العبادة

ومعلوم أن الله سبحانه ذكر في كتابه من النهي عن دعاء غيره وتكاثر

نصوص القرآن في النهي عن ذلك أعظم مما ورد في النهي عن السجود لغير الله والذبح لغير الله ، فإذا كان من سجد لقبر نبي أو ملك أو عبد صالح لا يشك أحد في كفره ، وكذلك لو ذبح القربان لم يشك أحد في كفره لانه أشرك في عبادة الله غيره — فيقال السجود عبادة ، وذبح اقربان عبادة ، والدعاء عبادة فما الفارق بين السجود والذبح وبين الدعاء إذ الكل عبادة ، وما الدليل على ان السجود لغير الله والذبح لغيره شرك أكبر ، والدعاء بما لا يقدر عليه إلا الله شرك أصغر؟ ويقال أيضاً قد ذكر أهل العلم من أهل كل مذهب باب حكم المرتد وذكروا فيه أنواعا كثيرة، كل نوع منها يكفر به الرجل ويحل دمه وماله ولم يرد في واحد منها ماورد في الدعاء بل لا نعلم نوعاً من أنواع الكفر والردة ورد فيه من النصوص مثل ماورد في دعاء غير الله بالهي عنه والتحذير من فعله والوعيد عليه ولا يشتبه هذا إلا على من لم يعرف حقيقة ما بعث الله محمداً ﷺ من التوحيد ولم يعرف حقيقة شرك المشركين الذين كفرهم النبي ﷺ وأحل دماءهم وأموالهم وأمره الله أن يقاتلهم حتى لا تكون فتن، (اي لا يكون شرك) ويكون الدين كله لله فن أوصى إلى كتاب الله علم تلما ضروريا أن دعاء المولى من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين

فكيف يسوغ لمن عرف التوحيد الذي بعث الله به محمداً ﷺ ان يجعل ذلك من الشرك الأصغر ويقول قد عدم النص الصريح على كفر فاعله . فان الأدلة القرآنية ، والنصوص النبوية قد دلت على ذلك دلالة ظاهرة ليست خفية ، ومن أعمى الله بصيرته فلاحيلة فيه (من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون)

وأيضاً فان كثيراً من المسائل التي ذكرها العلماء في مسائل الكفر والردة وانعقد عليها الاجماع لم يرد فيها نصوص صريحة بتسميتها كفراً ، وانما يستنبطها

العلماء من عمومات النصوص كما إذا ذبح المسلم نسكا متقربا به الى غير الله فان هذا كفر بالاجماع كما نص ذلك على النووي وغيره

وكذلك لو سجد لغير الله فاذا قيل : هذا شرك لان الذبح عبادة والسجود عبادة فلا يجوز لغير الله كما دل على ذلك قوله تعالى (فصل لربك وانحر) وقوله تعالى (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له) فهذا صريح في الامر بهما ، وانه لا يجوز صرفهما لغيره

فيبقى أن يقال فآين الدليل المصريح بان هذا كفر بعينه ؟ ولازم هذه المجادلة الانكار على العلماء في كل مسألة من مسائل الكفر ، والردة التي لم يرد فيها نص بعينها مع أن هذه المسئلة المسئول عنها قد وجدت فيها النصوص الصريحة من كلام الله وكلام رسوله وأوردنا من ذلك ما فيه الهدى لمن هده الله

وأما كلام العلماء فتشير إلى قليل من كثير ، ونذكر كلام من حكى الاجماع على ذلك قال في الاقناع وشرحه : من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم كفر اجماع لان هذا كعمل عبدي الاصنام قائلين (مانعهم إلا) يقرّبونا إلى الله زلفى) انتهى

وقل الشيخ تقي الدين رحمه الله : وقد سئل عن رجلين تناظرا فقال أحدهما لا بد لنا من واسطة بيننا وبين الله فانا لا ندر أن نصل إليه إلا بذلك

فأجاب بقوله : ان أراد بذلك انه لا بد من واسطة تبلغنا أمر الله فهذا حق فان الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه ، وما أمر به وما نهى عنه لا بالرسول الذين أرسلهم الى عباده ، وهذا مما أجمع عليه اهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى فانهم يثبتون الوسائط بين الله وبين عباده ، وهم الرسل الذين بلغوا عن الله أوامره ونواهيه . قال الله تعالى (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس) ومن أنكر هذه الوسائط فهو كافر باجماع اهل الملل

وان أراد بالواسطة انه لا بد من واسطة يتخذها العباد بينهم وبين الله في جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم يسألونه ذلك ويرجعون اليه فيه ، فهذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يجابون بهم المنافع ، ويدفعون بهم المضار ، لكن الشفاعة لم يأذن الله له فيها . قل تعالى (ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون) وقال (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع) وقال (وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع) وقال (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا - الي قوله - ان عذاب ربك كان محذورا)

قل طائفة من السلف : كان أقوام من الكفار يدعون عيسى والعزير والملائكة والانبياء فبين الله لهم ان الملائكة والانبياء لا يملكون كشف الضر عنهم ولا تحويله ، وانهم يتقربون اليه ويرجون رحمته ويخافون عذابه . وقال تعالى (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا يأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) فبين سبحانه وتعالى أن اتخاذ الملائكة والنبيين أربابا كفر . فمن جعل الملائكة والانبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ، ويسألهم جاب المنافع ودفع المضار ، مثل أن يسألهم غفران الذنوب وهداية القلوب ، وتفريج الكربات ، وسد الفاقات فهو كافر باجماع المسلمين

وقد قال تعالى (وقلوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن

يرتضى وهم من خشيته مشفقون - الى قوله - كذاك نجزي الظالمين) وقال (لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون) الآية وقال (وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وقال (من ذا الذي يشفع عنده إلا بأذنه) وقال (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو) الآية وقال (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده)

فمن أثبت الوسائط بين الله وبين خلقه كالحيجاب بين الملك ورعيته بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه ، وإن الله تعالى إنما يهدي عباده ويرزقهم وينصرهم بتوسطهم ، بمعنى أن الخلق يسألونهم وهم يسألون الخالق كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك حوائج الناس لقربهم منهم والناس يسألونهم ، أدبا منهم أن يباشروا سؤال الملك ، أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب ، فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه ، فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قتل . وهؤلاء مشبهون ، شبهوا الخالق بالخلق وجعلوا الله أنداداً وفي القرآن من الرد على هؤلاء ما لا تتسع له هذه الفتوى فإن هذا دين المشركين عباد الاوثان كانوا يقولون انها تماثيل الانبياء والصالحين وانها وسائل يتقربون بها إلى الله تعالى وهو من الشرك الذي أنكره الله تعالى على النصارى حيث قال (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) الآية ، وقال تعالى (وإذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي) اي فليستجيبوا اذا دعوتهم بالامر والنهي ، وليؤمنوا بي اني أجيب دعاءهم لي بالمسئلة والتفريع ، وقال (فاذا فرغت فانصب * وإلى ربك فارغب)

وقد بين الله هذا التوحيد في كتابه وحسم مواد الاشراك به حيث لا يخاف

أحد غير الله ولا يرجو سواه ، ولا يتوكل إلا عليه قال تعالى (فلا تخشوا الناس
واخشون) (فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) وقال (ولم يخش إلا الله)
وقال (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الغائزون) فبين ان
الطاعة لله والرسول

وأما الخشية والتقوى فله وحده وقال تعالى (ولو انهم رضوا ما آتاهم الله
ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا إلى الله راغبون)
فبين ان الايمان لله والرسول

واما التحسب فهو لله وحده كما قالوا (حسبنا الله) ولم يقولوا احسبنا الله ورسوله
ونظيره قوله تعالى (فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل)

وقد كان النبي ﷺ يحقق هذا التوحيد لامته ويحسم عنهم مواد الشرك
إذ هذا تحقيق قولنا « إلا إله إلا الله » فان الإله هو الذي تأله القلوب بالحببة والتعظيم
والاجلال والاكرام والخوف ، حتى قال لهم « لا تقولوا ماشاء الله وشاء محمد ولكن
قولوا ماشاء الله ثم شاء محمد » وقال لرجل قال له ماشاء الله وشئت فقال « أجعلني
الله ندّاً ؟ بل ماشاء الله وحده » وقال لابن عباس « اذا سألت فاسئل الله ، واذا
استعنت فاستعن بالله » وقال « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فمما أنا
عبد الله ورسوله » وقال « لا تتخذوا قبوري عيداً وصلوا علي حينما كنتم فان صلاتكم
تبلغني » وقال في مرضه الذي مات فيه « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور
أنبيائهم مساجد » يحذر ما صنعوا . قالت عائشة : ولولا ذلك لأبرز قبره ولكن
خشي أن يتخذ مسجداً

وهذا باب واسع . انتهى ملخصه من كلام الشيخ ابن تيمية في مسألة الوسائط
وقال رحمه الله في موضع آخر : والله سبحانه لم يجعل أحداً من الانبياء
والمؤمنين واسطة في شيء من الربوبية والالهية ، مثل ما ينفرد به من الخلق والرزق

واجابة الدعاء والنصر على الاعداء ، ونصاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، بل غاية ما يكون العبد سبباً مثل أن يدعو ويشفع والله تعالى يقول (من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه) وقال تعالى (وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وقال تعالى (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً يأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون)

فبين سبحانه ان اتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً كفر ولهذا كانوا في الشفاعة على ثلاثة أقسام :

فالمشركون أثبتوا الشفاعة التي هي شرك كشفاعة المخلوق عند المخلوق ، كما يشفع عند الملوك خواصهم لحاجة الملوك إلى ذلك فيسألونهم بغير اذنتهم وبجيب الملوك سؤالهم لحاجتهم اليهم فالذين أثبتوا مثل هذه الشفاعة عند الله مشركون كفار لان الله تعالى لا يشفع عنده أحد إلا باذنه ولا يحتاج إلى أحد من خلقه ، بل من رحمته واحسانه اجابة دعاء اشافعين ولهذا قل (ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع) وقال (أم اتخذوا من دون الله شفعاء ، قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون * قل لله الشفاعة جميعاً)

وقال عن صاحب يس (أأخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغني عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون)

وأما الخوارج والمعتزلة (١) فانهم أنكروا شفاعة نبيينا ﷺ في أهل الكبائر من أمته وهؤلاء مبتدعة ضلال مخالفون للسنة المستفيضة عن النبي ﷺ ولا جماع خير القرون .

(القسم الثالث) أهل السنة والجماعة وهم سلف الامة وأئمتها ومن اتبعهم باحسان ، أثبتوا ما أثبتته الله في كتابه وسنة رسوله ، ونفوا ما نفاه ، فالشفاعة التي أثبتوها هي التي جاءت بها الاحاديث . وأما الشفاعة التي نفاه القرآن كما عليه

المشركون والنصارى ومن ضاهاهم من هذه الامة ، فينفذها أهل العلم والايمان مثل أنهم يطلبون من الانبياء والصالحين الغائبين والميتين قضاء حوائجهم ويقولون أنهم اذا أرادوا ذلك قضوها ، ويقولون : أنهم عند الله كخواص الملوك عند الملوك يشفعون بغير اذن الملوك ولهم على الملوك ادلال يقضون به حوائجهم فيجعلونهم لله بمنزلة شركاء الملك ، والله تعالى قد نزه نفسه عن ذلك . انتهى .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : وأما الشرك فنوعان ، أكبر وأصغر .
 فالأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه ، وهو أن يتخذ من دون الله نداً يحبه كما يحب الله ، وهو الشرك الذي يتضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين .
 ولهذا قالوا لأهلتهم في النار (تالله إن كنا لفي ضلال مبين * إذ نسويكم برب العالمين) مع إقرارهم بأن الله هو الخالق وحده ، خالق كل شيء ومليكه ، وإن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق ولا تحيي ولا تميت ، وإنما كانت هذه التسوية في المحبة والتعظيم والعبادة كما هو حال أكثر مشركي العالم بل كلهم يحبون معبودهم ويعظمونها ويوالونها من دون الله ، وكثير منهم بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله ، ويستبشرون بذكرهم أعظم من استبشارهم إذا ذكر الله وحده ، ويعضبون إذا انتقص أحد معبودهم وآلهتهم من المشايخ أعظم مما يعضبون إذا انتقص أحد رب العالمين ، وإذا انتقص حرمة من حرمت آلهتهم ومعبوداتهم غضبوا غضب اللئيم إذا حارب ، وإذا انتهكت حرمت الله لم يعضبوا لها ، بل إذا قام المنتهك لها باطعامهم شيئاً رضوا عنه ولم تنكر له قلوبهم ، وقد شاهدنا هذا منهم نحن وغيرنا وترى أحدهم قد اتخذ ذكر إلهه ومعبوده من دون الله على لسانه إن قام وإن قعد وإن عثر وإن مرض ، فذكر إلهه ومعبوده من دون الله هو الغالب على لسانه وهو لا ينكر ذلك ويزعج أنه باب حاجته إلى الله ، وشفيعه عنده ووسيلته إليه ، وهكذا كان عباد الاصنام سواء

وهذا القدر هو الذي قام بقلوبهم بتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم فأولئك كانت آلهتهم من الحجر وغيرهم اتخذوها من البشر، قال تعالى حاكيا عن أسلاف هؤلاء المشركين (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون) ثم شهد عليهم بالكذب والكفر وأخبر انه لا يهديهم فقال (ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار)

فهذا حال من اتخذ من دون الله وليا يزعم انه يقربه الى الله، وما أعز من يخلص من هذا، بل ما أعز من لا يعادي من انكره

والذي في قلوب هؤلاء المشركين وسلفهم ان آلهتهم تشفع لهم عند الله، وهذا عين الشرك، وقد انكره الله عليهم في كتابه وأبطله وأخبر ان الشفاعة كلها له وانه لا يشفع عنده احد إلا باذنه لمن رضي قوله وعمله، وهم اهل التوحيد الذين لم يتخذوا من دون الله شفعاء - ثم ساق كلاما طويلا وقرره احسن تقرير فتأمل كلامه رحمه الله، وهذا حيث قرر ان الذي يفعله مشركو زمانه هو عين الشرك الذي فعله المشركون الاولون ثم قال: وما أعز من يخلص من هذا، بل ما اعز من لا يعادي من انكره

ففي هذا شاهد لصحة الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ انه قل «بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ» وقوله فيما صح عنه ﷺ «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخاتموه» قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال «هن؟» خراج في الصحيحين

وقال الشيخ ابو العباس ابن تيمية في الرسالة السنية لما تكلم على الخوارج: فاذا كان في زمن النبي ﷺ وخلفائه ممن انتسب الى الاسلام من قد مرق من الدين مع عبادته العظيمة، فليعلم ان المنتسب الى الاسلام في هذا الزمان قد يمرق ايضا،

وذلك بأمر منها : الغلو الذي ذمه الله كالغلو في بعض المشايخ كالشيخ عدي بل الغلو في علي بن أبي طالب بل الغلو في المسيح ، فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعا من الالهية مثل أن يدعوه من دون الله ، بأن يقول ياسيدي فلان أغثنني أو أنا في حسبك فكل هذا شرك وضلالة يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل فإن الله ارسل الرسل وانزل الكتب ليعبد وحده ولا يجعل معه إله آخر ، والذين يجعلون معه آلهة أخرى مثل الملائكة والمسيح والعزير والصالحين أو قبورهم لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق وترزق وإنما كانوا يدعونهم يقولون : هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، فبعث الله الرسل تنهى ان يدعى احد من دونه لا دعاء عبادة ولا دعاء استمانة انتهى

وقل ابو الوفاء ابن عقيل رحمه الله : لما صعبت التكاليف على الجبال والطعام عدلوا عن اوضاع الشرع الى اوضاع وضعوها لانفسهم ، فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت امر غيرهم . قال وهم عندي كفار بهذه الاوضاع ، مثل تعظيم القبور واكرامها بما نهى عنه الشرع من ايقاد السرج وتقبيلها وتخليقها وخطاب الموتى بالخواتج وكتب الرقاع فيها بأمر ان افعل بي كذا وكذا ، وأخذ تربتها تبركا وإفاضة الطيب على القمور وشد الرحال اليها وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى . والويل عندهم لمن لم يقبل مشهد الكفر ولم يتمسح بالآجر يوم الاربعاء ولم يقل الجمالون على جنازته : الصديق ابو بكر او محمد وعلي او لم يعقد على قبر ابيه أزجا بالخص والآجر ولم يخرق ثيابه ولم يرق ماء الورد على القبر اه كلامه فتأمل رحمك الله ما ذكره هذا الامام وما كشفه من الامور التي يفعلها الخواص من الانام فضلا عن النساء والنوعاء والعوام مع كونه في سادس اقرون والناس لما ذكره يفعلون وجهابذة العلماء والنقدة لذلك مشاهدون ، وحظهم من النهي مرتبته الثانية فهم بها قائمون ، يتضح لك فساد ما زخره المبطلون وموؤ به المتعصبون والملحدون

فصل

وأما قوله الثاني (إن نظر فيه من حيثية القول فهو كالحلف بنير الله ، وقد ورد انه شرك وكفر ثم أولوه بالاصغر . وإن نظر فيه من حيثية الاعتقاد فهو كالطيرة وهي من الاصغر)

فقول هذا كلام باطل وليس يخفى ما بينهما من الفرق فأى مشابهة بين من وحد الله وعبده ولم يشرك معه أحداً من خلقه وأنزل حاجاته كلها بالله واستغاث به في تفريج كرباته واغاثة لهفاته ، لكنه حلف بنير الله يمينا مجردة لم يقصد بها تعظيمه على ربه ولم يسأله ولم يستغث به ، وبين من استغاث بنير الله وسأله جلب الفوائد وكشف الشدائد ، فإن هذا صرف مخ العبادة الذي هو لبها وخالصها المير الله ، وأشرك مع الله غيره في أجل العبادات وأفضل القربات انتي أمر الله به في غير موضع من كتابه وأخبر النبي ﷺ انه هو العبادة كما تقدم في حديث النعمان بن بشير « ان الدعاء هو العبادة » وفي حديث أنس « ان الدعاء مخ العبادة » وأخبر النبي ﷺ « ان الله يحب الملحين فيه » وان « من لم يسأل الله يغضب عليه » وفي الترمذي عن ابن مسعود عن النبي ﷺ « سلوا الله من فضله فان الله يحب ان يسأل » وفيه ايضاً « ان الله يحب الملحين في الدعاء » وفيه ايضاً « من لم يسأل الله يغضب عليه » وفي الترمذي وابن ماجه عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « ليس شيء على الله اكرم من الدعاء »

وأما الحلف فلم يأمرنا الله به بل امرنا بحفظه فقال (واحفظوا إيمانكم) قيل المعنى لا تحلفوا ، وقيل لا تحتشوا ، ولا يرد على هذا ما روي عن النبي ﷺ انه حلف في مواضع فان اليمين تستحب اذا كان فيها مصالحة راجحة

وعلى هذا حمل العلماء ما روي في ذلك عن النبي ﷺ ، فهو يحلف لمصالح مطلوبة الامة ، كزيادة إيمانهم وطمأنينة قلوبهم ، كما أمره الله بذلك في ثلاثة مواضع

من كتابه ، وأما الحلف لغير مصلحة فليس مشروعاً بل يباح إذا كان صادقا
وأما الدعاء فهو مشروع محبوب لله بل ساء الله في كتابه الدين ، وأمر
باخلاصه له وساء رسوله ﷺ العبادة ومنح العبادة، فكيف يقال هو كالحلف ؟
فمن صرف الدعاء لغير الله فقد أشرك في الدين الذي أمر الله باخلاصه له
وفي العبادة التي أمر الله بها

وأيضاً فإن الداعي راغب راهب، فالعبد يدعو ربه رغباً ورهباً وتوكل عليه
في حصول مطلوبه ودفع مرهوبه ، فإذا طلب فوائده وكشف شدائده من غير
الله فقد أشرك مع الله في الرغبة ولرغبة والرجاء والتوكل فإن هذا من لوازم
الدعاء وهو من العبادة التي أمر الله بها كقوله تعالى (وإلى ربك فارغب) وقوله
تعالى (فايأي فارهبون) وقال (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين)

فمن استغاث بغير الله فهو راغب إليه في حصول مطلوبه راج له متوكل
عليه وذلك هو حقيقة العبادة التي لا تصلح إلا لله وهو معنى لا إله إلا الله فإن
الاله هو الذي تأله القلوب محبة ورجاء ، وخوفاً وتوكلاً

ويقال أيضاً: الذي يدعو غير الله في مهماته وكشف كرباتة قدر دعى الله كلامه
وكذب بآياته فإن الله عز وجل أخبر أنه لا يشفع عند أحد إلا بإذنه وإن الشفاعة
كلها لله وهذا زعم أن الميت يشفع له ، وأخبر الله أن الأولياء والصالحين لا يملكون
كشف الضر ولا تحويله ، وأنهم لا ينفعون ولا يضررون ولا يسمعون الدعاء ولا
يستجيبون ، وهذا زعم أنهم باب حوائجهم إلى الله وأنهم ينفعون ويشفعون والدعاء
يسمعون وله يستجيبون ، فكذب على الله وكذب بآياته

فكيف يقال أن هذا كالحلف بغير الله الذي أولوه أن يكون شرّاً أصغر
يعاقب عليه كما يعاقب الزاني وقاتل النفس وآكل الربى ، لأنه ارتكب محرماً
غير مستحل له، نظير ما يفعله الزاني وقاتل النفس ؟ فأما إن فعله مستحلاً أو لم يكن

المخلوق في قلبه أعظم من الخلق كان ذلك كفرًا
 قل ابن القيم رحمه الله تعالى : وأما الشرك الاصغر فكيسير الرياء والتصنع
 للخلق والحلف بغير الله ، ونحو: مالي إلا الله وانت ، وانا متوكل على الله وعليك ،
 ولولا أنت لم يكن كذا وكذا ، وقد يكون هذا شرًا أكبر بحسب حال
 قائله ومقصده انتهى .

ويقال أيضًا : من المعلوم بالاضطرار من دين الاسلام ان الله تعالى بعث محمدًا
 ﷺ يدعو إلى التوحيد وينهى عن الاشراك فكان أول آية أرسله الله بها
 (يا أيها المدثر قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر) فأنذر
 عن الشرك ، وهجر الاوثان ، وكبر الله وعظمه بالتوحيد ، فاستجاب له من
 استجاب من المسلمين وصبروا على الاذى من قومهم ، وقاسوا الشدائد العظيمة
 فهاجروا واخرجوا من ديارهم ، وأوذوا في الله ، وتميز الكافر من المسلم ، ومات
 من المسلمين من استوجب الجنة ، ومات من الكفار من استحق النار وهذا النهي
 كله قبل الحلف بغير الله

فلاستغاثة بأهل القبور واستنجاذهم واستنصارهم لم يبح في شرائع الرسل
 كلهم بل بعث الله جميع رسله بالنهي عن ذلك والامر بعبادته وحده لا شريك له
 وأما الحلف فكان الصحابة يحلفون بآبائهم ويحلفون بالكعبة وغير ذلك
 ولم ينهوا عن ذلك إلا بعد مدة طويلة فقال لهم النبي ﷺ « إن الله ينهاكم أن
 تحلفوا بآباءكم » وقال « من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت »

ومن لا يميز الفرق بين دعاء الميت والحلف به لا يعرف الشرك الذي بعث
 الله به محمدًا ﷺ ينهى عنه ويقاتل أهله ، وأي جامع بين الحلف والاستغاثة ؟
 فالمستغيث طالب سائل ، والحالف لم يطلب ولم يسأل ، فان كان الجامع بينهما
 عند القائل باتحادهما أن كلا منهما قول باللسان فيقال له والاذكار والدعوات ،

وقول الزور وقذف المحصنات كل ذلك قول باللسان ، ولو قل أحد أنها ألفاظ متقاربة لعد من المجانين ، وإن أراد هذا القائل اتحادهما في المعنى ، فهذا باطل كما تقدم بيانه ، وأي مشابهة بين من جعل لله نداً من خلقه يدعوه ويرجوه ويستنصر به ويستغيث به وبين من لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له وأخلص له في عبادته ، فالاول أشرك مع الله في قوله وفعله واعتقاده ، بخلاف الخالف ، بل لو اعتقد الخالف تعظيم المخلوق على الخالق اصر شركاً أكبر كما تقدم

ومما يبين ذلك أيضاً أن الرسول ﷺ لما نهاهم عن الحلف بغير الله وحلف بعض الصحابة حديثه العهد فقال في حلفه واللأت قال النبي ﷺ « من حلف باللات فليقل لا إله إلا الله » ولما قال له بعض الصحابة حديثه العهد بالكفر : اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط قال « الله أكبر ، أنها السنن ، قلت والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى (اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة) أتركبن سنن من كان قبلكم »

فانظر كيف نهى الحلف وأرشده إلى الكفارة بأن يقول لا إله إلا الله من غير التغليظ الشديد . والذين قالوا اجعل لنا ذات أنواط غلط عليهم التغليظ الشديد وحلف لهم ان طلبتهم كطالبة بني إسرائيل ، وان قولهم اجعل لنا ذات كقول بني إسرائيل (اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة) سواء بسواء ، فهما متفقان معنى وان اختلف اللفظ وهذا مما يبين لك شيئاً من معنى لا إله إلا الله ، فاذا كان اتخاذ الشجرة للمعكوف حولها ، وتعليق الأسلحة بها للتبرك اتخاذ آله مع الله مع أنهم لا يعبدونها ولا يسألونها فما الظن بالمعكوف حول القبر ودعائه في انزال الفوائد والاستغاثة به في كشف الشدائد ؟ وأخذ تبرته تبركا ؟ واسراج القبر وتخليقه ؟ وأي نسبة للفتنة بشجرة الى الفتنة بالقبر لو كان أهل الشرك والبدع يعلمون ؟

قال بعض أهل العلم من أصحاب مالك : فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدره

أو شجرة يقصدها الناس ويعظمونها ، ويرجون البر والشفاء من قبلها ويضربون بها المسامير والخرق فهي ذات أنواط فاقطعوها انتهى

ومما يبين الفرق بين دعاء الاموات والاستغاثة بهم ، وبين الخلف بهم ان العلماء قسموا الشرك الى أكبر وأصغر، جعلوا دعاء الاموات والاستغاثة بهم فيما لا يقدر عليه الا رب الارض والسماوات هو عين شرك المشركين الذين كفرهم الله في كتابه ، وجعلوا الخلف بغير الله شركاً أصغر ، فيذكرون الاول في باب حكم المرتد . وان من أشرك بالله فقد كفر ، ويستدلون بقوله تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به) ويفسرون هذا الشرك بما ذكرنا

ويذكرون الثاني في كتاب الأيمان فيفترقون بين هذا وهذا ، ولم نعلم أن أحدًا من العلماء الذين لهم لسان صدق في الامة قال : ان طلب الخواص من الموتى والاستغاثة بهم شرك أصغر ، ولا قول ان ذلك كالخلف بغير الله ، اللهم الا أن يكون بعض المنتسبين الى العلم من المتأخرين الضالين الذين قرروا الشرك وحسنوه للناس نظماً ونثراً ، وصار لهم نصيب من قوله عز وجل (ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت)

وأما قوله (وان نظر فيه من جهة الاعتقاد فهو كالطيرة فهو باطل أيضاً يظهر بطلانه مما تقدم)

فيقال : وأين الجاع بين شرك من جعل بينه وبين الله واسطة يدعوه ويسأله قضاء حاجاته وكشف كرباته ويقول : هذا وسيلتي الى الله وباب حاجتي اليه ، وبين من عبد الله وحده لا شريك له ودعاه خوفاً وطمعاً وأنزل حاجاته كلها به ، وكشف كرباته ، وتبرأ من عبادة كل معبود سواه ، ولكن وقع في قلبه شيء من الطيرة . فلول هو دين أبي جهل وأصحابه ، وهو دين أعداء الرسل من نوح الى يومنا هذا وأما الطيرة فتقع على المؤمنين الموحدين كما في الحديث المرفوع عن ابن مسعود

« والطيرة شرك وما منا الا.... ولئن الله يذهب بالترك » رواه ابو داود ورواه الترمذي وصححه وجعل آخره من قول ابن مسعود
وفي مراسيل ابي داود ان النبي ﷺ قال « ليس عبد الا سيدخل قلبه طيرة
فاذا أحس بذلك فليقل أنا عبد الله ما شاء الله لا قوة الا بالله ، لا يأتي بالحسنات
الا الله ، ولا يذهب بالسيئات الا الله ، أشهد أن الله على كل شيء قدير . ثم
يمضي لوجهه »

وفي مسند الامام احمد عن ابن عمر عن النبي ﷺ « من أرجعته الطيرة عن حاجته فقد أشرك ، وكفارة ذلك أن يقول أحدهم : اللهم لا طير الا طيرك ، ولا خير الا خيرك ، ولا اله غيرك »

وفي صحيح ابن حبان عن أنس عن النبي ﷺ قال « لا طيرة والطيرة على من تطير »
ومعنى هذا ان من تطير تطيراً منهياً عنه بان يعتمد على ما يسمعه أو يراه
من الامور التي يتطير بها حتى يمنعه عما يريد من حاجته فانه قد يصيبه ما يكرهه
وأما من توكل على الله ولم ينظر الى الاسباب المخوفة وقال ما أمر به من هذه الكلمات
ومضى فانه لا يضره ذلك ، فاذا كان هذا حال الطيرة فأين الجامع بينها وبين
الشرك الا كبر في الاعتقاد ؟

فان أراد السائل ان المتطير اذا زجر الطير او تطير بما يراه من علم النجوم
وغیره أو بما يسمعه من الكلام يعتقد أن ذلك من علم الغيب ، وان الطير تخبره
عما هو صائر اليه في المستقبل ، او ان الافلاك تدبر أمر الخلائق فليس هذا من
الشرك الا صغر بل هذا من الشرك الا كبر نظير شرك عباد السكواكب

فصل

وأما قول القائل (الثالث انه قد ورد في حديث الضيرير قوله يا محمد ، وفي
الجامع الكبير وعزاه للطبراني فيمن انفلتت عليه دابته قل « يا عباد الله احبسوا »
وهذا دعاء ونداء لغير الله)

فنتقول وبالله التوفيق : اعلم أن الله سبحانه وتعالى بعث محمداً ﷺ بالدعوة الى التوحيد والنهي عن الشرك ، فحمى حمى التوحيد وسد كل طريق يوصل الى الشرك حتى في الالفاظ ، حتى إن رجلاً قال له : ماشاء الله وشئت قل «أجعلتني لله نداً قل ماشاء الله وحده» فكيف يأمر بدعاء الميت او الغائب ؟

بل من المعلوم بالضرورة من دين الاسلام ان دعاء الميت والغائب لم يأمر الله به ولا رسوله ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين ولا فعله أحد من أئمة المسلمين ولا أحد من الصحابة استغاث بالنبي ﷺ بعد موته ، ولا قال أحد ان الصحابة استغاثوا بالنبي ﷺ بعد موته ، ولو كان هذا جائزاً او مشروعاً لفعلوه ولو كان خيراً لسبقونا اليه . وقد كان عندهم من قبور اصحاب رسول الله ﷺ بالامصار عدد كثير ، وهم متوافرون ، فما منهم من استغاث عند قبر صحابي ولا دعاه ولا استغاث به ولا استصر به

ومعلوم أن مثل هذا مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله بل على نقل ما هو دونه وحينئذ فلا يخلو ما أن يكون دعاء الموتى والغائبين او الدعاء عند قبورهم والنوسل بأصحابها أفضل ، أو لا يكون ، فان كان أفضل فكيف خفي علما وعملا على الصحابة والتابعين وتابعيهم فتكون القرون الثلاثة الف ضلة جاهلة علماً وعملاً بهذا الفضل العظيم ويظفر به الخسوف علماً وعملاً ، وهذان الحديثان اللذان أوردتهما السائل اما أن يكون الصحابة الذين رووها وسمعوها من النبي ﷺ جاهلين بمعناها وعلمه هؤلاء المتأخرون ، واما أن يكون الصحابة علموها علماً وزهدوا فيهما عملاً مع حرصهم على الخير وطاعتهم لانيهم ﷺ ، وكلاهما محال . بل هم أعلم الناس بكلام رسول الله ﷺ وأطوع الناس لاوامره ، وأحرص الناس على كل خير ، وهم الذين نقلوا الينا سنة نبينا ﷺ فهل فهموا من هذه الاحاديث جواز دعاء الموتى والغائبين فضلاً عن استحبابه والامر به ؟

ومعلوم انه قد عرضت لهم شدائد واضطرابات وفتن وقحط وسنون مجذبات ،
أفلا جاءوا إلى قبر النبي ﷺ شاكين وله مخاطبين ، وبكشفها عنهم وتفرج
كرباتهم داعين

والمضطرب يتشبث بكل سبب يعلم ان له فيه نفعا لاسيما الدعاء ، فلو كان
ذلك وسيلة مشروعة وعملا صالحا لفعلاه

فهذه سنة رسول الله ﷺ في أهل القبور حتى توفاه الله ، وهذه سنة خلفائه
الراشدين ، وهذه طريقة جميع الصحابة والتابعين ، هل يمكن أحد أن يأتي عنهم
بنقل صحيح او حسن اوضاعهم انهم كانوا إذا كانت لهم حاجة او عرضت لهم شدة
قصدوا القبور ، فدعوا عندها ومسحوا بها ، فضلا عن أن يسألوها حوائجهم ،
فمن كان عنده في هذا أثر او حرف واحد في ذلك فليوقفنا عليه .

نعم يمكنهم أن يأتوا عن الخلف الذين يقولون مالا يفعلون ، ويفعلون
مالا يؤمرون ، بكثير من التختاات ، والحكايات المكذوبات ، حتى لقد صنف
في ذلك عدة مصنفات ليس فيها حديث صحيح عن رسول الله ﷺ وانما فيها
التمويهات والحكايات المخترعات ، والاحاديث المكذوبات . كقولهم : إذا أعيتكم
الامور فعليكم باصحاب القبور ، وحديث : لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه . وفيها
حكايات لهم عن تلك القبور . ان فلانا استغاث بالقبر الفلاني في شدة فخلص منها ،
وفلانا دعاه او دعا به في حاجة ففصيت ، وفلانا نزل به ضرفأتى صاحب ذلك
القبر فكشف ضره ، ونحو ذلك مما هو مصاد لما بعث الله به محمدا ﷺ من
الدين ومن له معرفة بما بعث الله به محمدا ﷺ يعلم انه حى جانب التوحيد وسد
الذرائع الموصلة إلى الشرك فكيف يستدل بكلامه على تقيض ما أمر به فيستدل
بقوله في حديث الاعمى «بالمحمد» على انه أمر بدعائه في حال غيبته فيدل على جواز
الاستغاثة بالغائب . وكذلك قوله «يا عباد الله احبسوا» يدل على ذلك

وأيضاً هذا من أعظم المحال وأبطل الباطل ، بل كلامه ﷺ يوافق الوحي المنزل عليه ، يصدقه ولا يكذبه فنهما عن مشكاة واحدة (وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى)

ونحن نجيب عن هذين الحديثين بعون الله وتأيده من وجوه فنقول:

﴿ حديث يا عباد الله احبسوا . وحديث توسل الاعمى ﴾

(وازد على من استدل بهما على جواز دعاء غير الله تعالى)

من بضعة وجوه (١)

(الوجه الاول) ان القرآن (فيه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) فيرد المتشابه إلى المحكم ، ولا يضرب كتاب الله بعضه ببعض ، وكذلك السنة فيها محكم ، وفيها متشابه ، فيرد متشابهها إلى المحكم ، ولا يضرب بعضها ببعض فكلام النبي ﷺ لا يتناقض بل يصدق بعضه بعضاً ويوافق القرآن ولا يناقضه وهذا أصل عظيم يجب مراعاته ، ومن أهله فقد وقع في أمر عظيم وهو لا يدري ومن المعلوم ان أدلة القرآن الدالة على النهي عن دعاء غير الله متظاهرة مع وضوحها وبيانها كقوله تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) وقوله تعالى (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء) وقوله تعالى (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين) الآية الى غير ذلك من الآيات الواضحات البينات ، فمن أعرض عن هذا كله وتعمى عنه ، وأعرض عن الاحاديث الصحيحة الدالة على تحقيق التوحيد وابطال الشرك وسد ذرائعه ، وتعلق بحديث ضعيف ، بل ذكر بعض العلماء انه حديث منكر وهو قوله « اذا انفطت دابة أحدكم فايناد : يا عباد الله احبسوا » ومثل حديث الاعمى الذي فيه « يا محمد » وزعم ان رسول الله ﷺ أمره ان يسأله (١) هذا العنوان ليس من الاصل وإنما وضع للتهذيب وتوجيه النظر الى موضوع "سألة

في حال غيبته لم يكن هذا الامن ذيع في قلبه قد تناوله كقواه تعالى (فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشاء منه ابتغاء الفتنة)

وقوله ﷺ فيما ثبت عنه في الصحيح من حديث عائشة « إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم »

(الوجه الثاني) أن يقال لمن استدل بالحديثين على دعاء غير الله : أتظن ان الرسول ﷺ يأمر أمته بالشرك ، وقد نهى عنه وجرّد التوحيد لله ، ونهى عن دعوة غير الله

وقال فيما ثبت عنه في صحيح البخارى « من مات وهو يدعو لله ندّاً دخل النار » وقال لابن عباس « اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله » فكيف يجتمع في قلبك ان الله بعثه بالتوحيد والتحذير من الاشرار ثم يأمر أمته بدين ما حذرهم عنه . فمن زعم أن قوله « يا عباد الله احبسوا » يدل على جواز دعاء الغائب بالنص ، وعلى دعاء الميت بالقياس على الغائب ، وكذلك حديث الاعمى هذا فقد حاد الله ورسوله ، حيث زعم أن الرسول أمر أمته بالاشراك الذي بعثه الله ينهى عنه

(الوجه الثالث) أن يقال وعلى تقدير ان هذا يدل على ان الاستغاثة بغير الله شرك أصغر ، فهل يظن من في قلبه رائحة إيمان ان الرسول ﷺ يأمر أمته بالشرك الاصغر الذي قد حرمه الله ورسوله ؟ بل إذا علم الانسان أن هذا شرك أصغر ثم زعم ان الرسول ﷺ أمر أمته به كان كافراً

وقد قال تعالى (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله - إلى قوله - ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أي أمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) فحاشا جنابه ﷺ أن يأمر أمته بالشرك ولو كان أصغر

ومن استدل بهذين الحديثين على دعاء الموتى والغائبين فهو بين أمرين لا محيد

له عنهما : إما أن يقول : هذا يدل على أن دعاءهم مستحب أو جائز ، ومن قال ذلك فقد خالف إجماع المسلمين ومرق من الدين ، فانه لم يقل أحداً من المسلمين ان دعاء الموتى جائز أو مستحب ، واما أن يقول ان ذلك يدل على ان دعاء الموتى ترك أصغر لا أكبر ، ومن قال ذلك فقد تناقض في استدلاله حيث استدلل بكلام النبي ﷺ الذي أمر به على مانعي عنه ، وكيف يسوغ لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يستدل بامره على نهييه

ثم يقال لهذا المستدل بقوله « فليناد يا عباد الله احبسوا » أخبرنا عن هذا الامر هل هو للوجوب أو للاستحباب أو الإباحة ، وهي أقل أحواله ، وأما ما كان مكروهاً أو محرماً فلا يكون فيما أمر به النبي ﷺ فما وجه الاستدلال ؟
(الوجه الرابع) ان هذا الحديث لا يصح عن النبي ﷺ فان من رواه معروف بن حسان وهو منكر الحديث قاله ابن عدي

(الوجه الخامس) ان يقال : إن صح الحديث فلا دليل فيه على دعاء الميت والغائب ، فان الحديث ورد في أذكار السفر ، ومعناه ان الانسان اذا انفلتت دابته وعجز عنها فقد جعل الله عبداً من عباده الصالحين من صالحى الجن أو من الملائكة أو ممن لا يعلم من جنده سواه (وما يعلم جنود ربك إلا هو) فأخبر النبي ﷺ ان الله عبداً قد وكلهم بهذا الامر ، فاذا انفلتت الدابة ونادى صاحبها بما أمره به النبي ﷺ في هذا الحديث حبسوا عليه دابته فان هؤلاء عباد الله أحياء ، وقد جعل الله لهم قدرة على ذلك كما جعل للانسان فهو ينادي من يسمع ويعين بنفسه كما ينادي أصحابه الذين معه من الانس ، فأين هذا من الاستغاثة بأهل القبور ؟ بل هذا من جنس ما يجوز طلبه من الاحياء ، فان الانسان يجوز له أن يسأل المخلوق من الاحياء ما يقدر عليه كما قال تعالى (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) وكما في قوله تعالى (وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر) وكما يستغيث الناس يوم القيامة بآدم ثم بنوح ثم ابراهيم ثم موسى ثم عيسى

حتى يأتوا نبينا ﷺ ، بل هذا من جنس استعانة برفقته من الانس ، فذا انقالت دابته ونادى أحد رفقته يا فلان رد الدابة لم يكن في هذا بأس ،

فهذا الذي ورد في الحديث من جنس هذا بل قد يكون قربة اذا قصد به امثال أمر النبي ﷺ ، فإن هذا من استعانة العباد بأمر ينادي ميتاً أو غائباً في قطر شامع سواء كان نبياً أو عبداً صالحاً

(الوجه السادس) ان الله تعالى قال (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي) فبعد أن أكمله بفضله ورحمته فلا يحل أن يخترع فيه ما ليس منه .
وتقيس عليه مالا يقاس عليه ، بل الواجب اتباع ماورد عن النبي ﷺ كما أمر به ، فاذا نادى شخصاً معيناً باسمه فقد كذب على رسول الله ﷺ ونادى من لم يؤمر بذلك وليس ذلك في كل حركة وسكون وقيام وقعود ، وإنما ذلك في أمر مخصوص

*
* *

وأما حديث الاعمى فالجواب عليه من وجوه :

(الوجه الاول) ان الحديث اذا شذ عن قواعد الشرع لا يعمل به ، فانهم قالوا : ان حد الحديث الصحيح اذا رواه العدل الضابط عن مثله من غير شذوذ ولا علة ، فهذا الحديث لا يجوز الاحتجاج به في هذا الباب لخالفته قواعد الشرع وأصوله ، بل من احتج به على دعاء الميت والغائب فقد خالف نصوص الكتاب والسنة ، مع انه بحمد الله يوافق ذلك ولا يخالفه ، فليس فيه دليل على ما ذكره السائل كما سنبينه ان شاء الله ، وكيف يستدل بما ليس فيه دلالة مطابقة ولا تضمن ولا التزام ؟

(الوجه الثاني) أن يقال هذا الحديث قد رواه النسائي في عمل اليوم والليلة ، والبيهقي وابن شاهين في دلائلهم ، كلهم عن عثمان بن حنيف ولم يذكروا فيه هذه اللفظة : أعني « يا محمد » ولفظ الحديث عندهم عن عثمان بن حنيف : ان رجلاً أعمى أتى النبي ﷺ فقال يا نبي الله قد أصبت في بصري فادع الله لي . فقال له النبي

ﷺ «توضاً وصل ركعتين ثم قل: اللهم اني أتوجه انيك بنبي محمد، نبي الرحمة، اني أنشفع به اليك في رد بصري، اللهم شفع نبي في» ففعل ذلك، فرد الله عليه بصره وقال له «اذا كانت لك حاجة فيمثل ذلك فافعل» انتهى.

فهذا الحديث بهذا اللفظ لا حجة فيه المبطل لان غايته انه توسل بالنبي ﷺ وساقه الترمذي رحمه الله بسياق قريب من هذا. فقال: حدثنا محمد بن غيلان ثنا عثمان بن عمر ثنا شعبة عن أبي جعفر عن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن عثمان بن حنيف ان رجلاً ضرر البصر أتى النبي ﷺ، فقال: ادع الله لي أن يعافيني، قال «ان شئت دعوت وان شئت صبرت، فهو خير لك» قال فأدعه، فأمره أن يتوضاً فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء «اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة، اني توجهت بك الى ربي في حاجتي هذه لتقضي، اللهم فشفعه في» هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه الا من حديث أبي جعفر وهو غير الخطأ انتهى.

هذا لفظه بحروفه، وفي نسخة أخرى «اني توجهت به الى ربي» وليست هذه اللفظة في الحديث في سياق هؤلاء الائمة أعني قوله: يا محمد، التي هي غاية ما يتعلق به المبطلون

(الوجه الثالث) أن يقال: على تقدير صحة هذه اللفظة فليس فيها ما يدل على دعاء النبي ﷺ بعد موته، ولو كان فيها ما يدل على ذلك لفعله الصحابة رضي الله عنهم. فلما ثبت ان الصحابة لم يفعلوه بل ولا أجازوه علمنا انه ليس في ذلك دلالة. فيبقى أن يقال مامعناه؟ فنقول:

ذكر العلماء في معناه قولين (أحدهما) انه توسل بالنبي ﷺ فيدل على جواز التوسل به ﷺ في حياته وبعد وفاته إلا أن التوسل ليس فيه دعاء له ولا استغاثة به وإنما سؤال الله بجاهه، وهذا ذكره الفقيه أبو محمد العز بن عبد السلام في فتاويه، فإنه أفتى بأنه لا يجوز التوسل بنبي ﷺ، قال: وأما التوسل به ﷺ فجاز — إن صح الحديث فيه — يعني حديث الاعشى

قال الشيخ ابن تيمية رحمه الله : أما التوسل الى الله بغير نبينا ﷺ فلا نعلم أحداً من السلف فعله ، ولا روى فيه أثراً ، ولا نعلم فيه إلا ما أفتى ابن عبد السلام من المنع وأما التوسل بالنبي ﷺ ففيه حديث في السنن وهو حديث الاعمى الذي أصيب ببصره ، فلاحظ هذا الحديث استثنى الشيخ التوسل به ، وللناس في معنى الحديث قولان

(أحدهما) ان هذا التوسل هو الذي ذكره عمر لما استسقى بالعباس فذكر انهم كانوا يتوسلون بالنبي ﷺ في الاستسقا ، ثم توسلوا بعمه العباس بعد موته ، وتوسلهم به هو استسقاؤهم به ، بحيث يدعو ويدعون معه ، فيكون هو وسيلتهم الى الله . وهذا لم يفعله الصحابة بعد موته وفي مغيبه ، والنبي ﷺ كان في مثل هذا شافعا لهم داعيا ، ولهذا قل في حديث الاعمى « اللهم فشفعه في » فعلم ان النبي ﷺ شفع له فسال الله أن يشفعه فيه (والثاني) ان التوسل به يكون في حياته وبعد وفاته ،

انتهى كلام الشيخ رحمه الله

فتبين بهذا ان معنى التوسل الى الله هو بدعائه وشفاعته في حضوره أو التوسل بذاته بأن يسأل الله بمجاهه ، والتوسل غير الاستغاثة ، فانه لم يقل أحد ان من قال اللهم اني اسألك بحق فلان انه استغاث به بل انما استغاث عن دعاءه ، بل العامة الذين يتوسلون في ادعيتهم بأمر كقول أحدهم : اتوسل اليك بحق الشيخ فلان او بحرمة او نحو ذلك مما يقولونه في ادعيتهم يعلمون انهم لا يستنيشون بهذه الامور ، فان المستमित بالشيء طالب منه سائل له ، والمتوسل به لا يدعى ولا يسأل ولا يطلب منه وانما يطلب به ، وكل احد يفرق بين المدعو والمُدعو به ، والاستغاثة هي طلب النور وهو إزالة الشدة كالاستنصار طلب النصر والاستعانة طلب العون ، فكل احد يفرق بين المسئول والمسئول به

فالحديث على هذا المعنى الذي ذهب اليه ابن عبد السلام لاحجة فيه لمن جوز الاستغاثة بالنبي ﷺ بعد وفاته ، فان هذا لم يفهمه أحد من العلماء من الحديث ولم يذكروا في معناه إلا هذين القولين اللذين ذكرناهما

(أحدهما) ما ذهب اليه ابن عبد السلام (والثاني) ما ذهب اليه الاكثرون ان معناه التوسل الى الله بدعائه وشفاعته بحضوره كما في صحيح البخاري أن عمر رضي الله عنه استسقى بالعباس فقال : « اللهم انا كنا اذا اجدنا توسلنا اليك بنبينا فنتسقين ، وانا نتوسل اليك بعم نبينا فسقنا » فيسقون

فبين عمر انهم كانوا يتوسلون به في حياته فيسقون ، وتوسلهم به هو انهم يسألونه ان يدعو الله لهم فيدعوا ويدعون معه فيتوسلون بدعائه كما في الصحيحين عن أنس ان رجلا دخل المسجد يوم الجمعة من باب كان نحواً من دار القضاء ورسول الله ﷺ قائم يخطب ، فستقبل رسول الله ﷺ قائماً ثم قال : يا رسول الله : هلكت الاموال وانقضت السبل : فادع الله ان يغثنا ، فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال « اللهم اغثنا » الحديث بطوله

ففي هذا انه قال ادع الله ان يغثنا ، فلما كثر الغيث قال ادع الله ان يسكها عنا ، فهذا هو التوسل الذي كانوا يفعلونه

فلما مات صلوات الله وسلامه عليه لم يتوسلوا به ولم يستسقوا به ، فلو كان ذلك مشروعاً لم يعدلوا الى العباس ، وكيف يتركون التوسل بنبيهم ﷺ ويعدلون الى العباس ؟

وكذلك معاوية استسقى بيزيد بن الاسود الجرشي وقال « اللهم انا نتشفع اليك بخيارنا ، يا يزيد ارفع يديك الى الله » فرفع يديه ودعا ودعوا فسقوا
وقال ابو العباس ابن تيمية في رده على ابن البركي لما تكلم على حديث

الاعمى قال : والاعمى كان قد طلب من النبي ﷺ أن يدعو له كما كان الصحابة يطلبون منه في الاستسقاء

وقوله : أتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، اي بدعائه وشفاعته لي ، ولهذا قال في تمام الحديث « اللهم فشفعه في » فالذي في الحديث متفق على حوزة وليس هو مما نحن فيه انتهى

وقل رحمه الله في موضع آخر : لفظ التوجه والتوسل يراد به ان يتوجه بهم ويتوسل الى الله بدعائهم وشفاعتهم. فهذا هو الذي جاء في اللفظ السلف من الصحابة رضي الله عنهم ، كقول عمر : اللهم انا كنا اذا أجبنا نتوسل اليك بنبينا فشفعنا ، وانا نتوسل اليك بعم نابينافاسقنا ، فيسقون فهذا اخبار من عمر عما كانوا يفعلونه . وتوسلوا بالعباس كما كانوا يتوسلون بالنبي ﷺ ، وكذلك معاوية لما استسقى باهل الشام توسل بيزيد

ومن هذا الباب ما في البخاري عن عمر رضي الله عنهما قول : ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر الى وجه النبي ﷺ يستسقى فما ينزل حتى يجيش المزبأ وأبيض يستسقى الغمام بوجهه نمال اليتامى عصمة الارامل

ومن هذا الباب حديث الاعمى فانه أتى النبي ﷺ فقال ادع الله ان يعافيني قال « إن شئت دعوت ، وإن شئت صبرت فهو خير لك » قال ادع الله فأمره أن يتوضأ فيحسن الوضوء ويدعو هذا الدعاء « اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، يا محمد اني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى ، اللهم فشفعه في » فأمره ان يطلب من الله أن يشفع فيه النبي ﷺ وانما يكون طالبا لتشفيعه فيه اذا شفع فيه فدعا الله له

وكذلك في أول الحديث انه طلب من النبي ﷺ أن يدعو له . فدل الحديث على ان النبي ﷺ شفع له ودعا له ، وان النبي ﷺ أمره هو ان يدعو الله وأن

يسأله قبول شفعة النبي ﷺ فهذا نظير توسلهم به في الاستسقاء حيث طلبوا منه أن يدعو الله لهم ودعواهم الله تعالى أيضاً

وقوله : يا محمد اني توجهت بك الى ربي، خطاب لحاضر في قلبه كما تقول في صلاتنا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، وكما يستحضر الانسان من محبه و يبعثه او يحثبه وهذا كثير

فهذا كله يبين ان معنى التوسل والتوجه به وبالعباس وغيرهما في كلامهم هو التوسل والتوجه بدعائهم وبدعاء العباس ودعاء من توسلوا به وهذا مشروع بالاتفاق لا ريب فيه . انتهى كلام ابي العباس ابن تيمية وفيما ذكرنا كفاية لمن نور الله قلبه ، ومن أعمى الله قلبه لم تزد كثره النقول إلا حيرة وضلالا (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور)

فصل

وما قول انقائل : وأما التوسل فقد أخرج الحاكم في مستدركه وصححه ان آدم توسل بالنبي ﷺ وورد اللهم بحق نبيك والانبياء تبلى ولا أدري من خرجه فأما التوسل بالنبي ﷺ خاصة فقد رأيت لشيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب نقلا في جواز ذلك عن ابن عبد السلام فبقى الكلام في النبي او في غيره من الانبياء وفي معاني الاحاديث الاخر ، وما حكمها وما الحجة المقابلة لما يقولون ، المخصصة لما يفهمون ؟ وأما التوسل بغير الانبياء فيوردون ان عمر توسل بالعباس في الاستسقاء فسقوا وطق الناس يتمسحون به ويقولون هذا الوسيلة إلى الله

فاما أول القصة فهي في البخاري وهي لدينا بحمد الله ، وقولهم فطفق إلى آخره لا أدري من قالها فما تقولون في معناها . وقد رأيت لبعض المحققين أن التوسل بالاولياء غير التوسل اليهم ، فالأول جائز والثاني شرك . وفي عدة الحصن الحصين

للجزري والتوسل إلى الله بانبياؤه ورسله

(فالجواب) ان يقال : العبادات بناؤها على الامر والاتباع ، لا على الهوى والابتداع ، والتوسل الذي جاءت به السنة وتواتر في الاحاديث هو التوسل والتوجه إلى الله بالاسماء والصفات ، وبالأعمال الصالحة كالادعية الواردة في السنة كقوله « اللهم اني أسألك بأن لك الحمد لا إله الا أنت المنان بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام لا إله الا أنت يا حي يا قيوم »

وفي الحديث الآخر « اللهم اني أسألك باني أشهد أن لا إله الا أنت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » وقوله في الحديث الآخر « أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك » وكما حكى الله سبحانه عن عباده المؤمنين انهم توسلوا اليه بصالح أعمالهم فقال حاكياء عنهم (ربنا اننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنوا) الآية

وكما ثبت في الصحيحين من قصة الثلاثة الذين أُووا إلى الغار فانطبقت عليهم الصخرة ، فتوسلوا إلى الله ، بصالح أعمالهم ، وكان توسل بدعاء الانبياء والصالحين وشفاعتهم في حياتهم كما ذكرنا من توسل الصحابة بالنبي ﷺ في الاستسقاء وتوسلهم بالعباس ويزيد بن الأسود ، وتوسل الاعشى بدعاء النبي ﷺ وشفاعته له . فهذا كله مما لا نزاع فيه بل هو من الامور المشروعة ، وهو من الوسيلة التي امر الله بها في قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة)

واما التوسل بالذات فيقول ما لدليل على جواز سؤال الله بذوات الخلقين ؟ ومن قل هذا من الصحابة والتابعين ؟ فلذي فعله الصحابة رضي الله عنهم هو التوسل إلى الله بالاسماء والصفات والتوحيد ، والتوسل بم أمر الله به من الايمان بالرسول ومحبتهم وطاعتهم ونحو ذلك ، وكذلك توسلوا بدعاء النبي ﷺ وشفاعته

في حياته ، وبدعاء العباس ويزيد

وأما التوسل بالذات بعد المات فلا دليل عليه ولا قتله أحد من السنف بل
المقول عنهم يناقض ذلك

وقد نص غير واحد من العلماء على أن هذا لا يجوز ، ونقل عن بعضهم جوازه
وهذه المسئلة وغيرها من المسائل إذا وقع فيها النزاع بين العلماء فلو اجب رد
ماتنازعوا فيه إلى الله والرسول قال تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله
والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) وقال تعالى (وما اختلفتم فيه من
شيء فحكمه إلى الله)

ومعلوم أن هذا لم يكن منقولاً عن النبي ﷺ ولا مشهوراً بين السلف ،
وأكثر العلماء على النهي عنه ، ولا ريب أن الأنبياء والصالحين لهم الجاه عند الله
لكن الذين لهم النفع عند الله من الجاه والمنازل والدرجات أمر يعود نفعه إليهم
ونحن ننفع من ذلك باتباعنا لهم ومحبتنا فإذا توسلنا إلى الله بإيماننا بنبيه ﷺ
ومحبته وطاعته واتباع سنته كان هذا من أعظم الوسائل

وأما التوسل بنفس ذاته مع عدم التوسل بالإيمان به وطاعته فلا يكون وسيلة
فالتوسل بالخلق إذا لم يتوسل بما هو من المتوسل به من الدعاء للمتوسل أو بمحبته
وإتباعه فبأي شيء يتوسل به ؟ والإنسان إذا توسل إلى غيره بوسيلة فاما أن يطلب
من الوسيلة الشفاعة له عند ذلك مثل أن يقول لابي الرجل أو صديقه أو من يكرم
عليه اشفع لما عند فلان وهذا جائز ، وأما أن يقسم عليه ، ولا يجوز الاقسام على مخلوق
بمخلوق كما أنه لا يجوز أن يقسم على الله بالمخلوقين

فالتوسل إلى الله بذات خلقه بدعة مكروهة لم يفعلها السلف من الصحابة
ولا التابعين لهم بإحسان

قال ابن القيم رحمه الله في كتابه (اغاثة اللامهان في مكايد الشيطان) وهذه

الامور المبتدعة عند المقبور أنواع ، أبعدها عن الشرع ان يسأل الميت حاجته ، كما يفعله كثير ، وهؤلاء من جنس عباد الاصنام ، ولهذا قد يتمثل لهم الشيطان في صورة الميت كما يتمثل لعباد الاصنام ، وكذلك السجود للقبر وتقبيله والتمسح به (النوع الثاني) أن يسأل الله به ، وهذا يفعله كثير من المتأخرين وهو بدعة اجماعاً

(النوع الثالث) أن يظن الدعاء عنده مستجاباً وأنه أفضل من الدعاء في المسجد فيقصد القبر لذلك ، فهذا أيضاً من المنكر اجماعاً ، وما علمت فيه نزاعاً بين أئمة الدين ، وإن كان كثير من المتأخرين يفعله

وبالجملة فأكثر أهل الارض مفتونون بعبادة الاصنام ولم يتخصص منه إلا الخنفاء اتباع ملة ابراهيم . وببآدتها في الارض من قبل نوح وهي كلها ووقوفها وسدنتها وحجائها والكتب المصنفة في عبادتها قد طبقت الارض قال امام الخنفاء عليه الصلاة والسلام (واجنبني وبني أن نعبد الاصنام * رب انهن أضللن كثيرًا من الناس)

وكفى في معرفة انهم أكثر أهل الارض ما صح عن النبي ﷺ « إن بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون » وقد قل تعالى (فأبي أكثر الناس إلا نفوراً) وقال (وإن تطع أكثر من في الارض بضلوك عن سبيل الله)

ولو لم تكن الفتنة بعبادة الاصنام عظيمة لما أقدم عبادها على بذل نفوسهم وأموالهم وأبنائهم دونها وهم يشاهدون مصارع اخوانهم وما حل بهم ولا يزيدهم ذلك إلا حبا لها وتعظيماً ، ويوصي بعضهم بعضاً بالصبر عليها . انتهى كلامه رحمه الله . والمقصود انه حكي الاجماع على ان اتوسل الى الله بصاحب القبر بدعة اجماعاً وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في الرد على ابن البكري : وما زلت أبحث وأكشف ما أمكنني عن كلام السلف والائمة والعلماء ، هل جوز أحد

منهم اتوسل بالصالحين في الدعاء أو فعل ذلك أحد منهم فما وجدته ، ثم وقفت على فتيا للفقهاء أبي محمد بن عبد السلام ، أفتى بأنه لا يجوز التوسل بغير النبي ﷺ وأما بالنبي ﷺ فجوز التوسل به إن صح الحديث في ذلك. وذكر القدوري في شرح الكرخي عن أبي حنيفة وأبي يوسف أنه لا يجوز أن يستل الله إلا به انتهى كلامه وذكر ابن القيم رحمه الله عن أبي الحسن القدوري نحوه ذلك فقال رحمه الله قل القدوري قال بشر بن الوليد سمعت أبا يوسف قال : قال أبو حنيفة لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به ، وأكره أن يقول بعماد "عز من عرشك ، أو يقول بحق خلقك والجواز قول أبي يوسف — قال أبو يوسف بعماد "عز من عرشك هو الله فلا أكره ذلك ، وأكره بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك ، وبحق البيت والشعر الحرام ، قال القدوري : المسئلة لا تجوز لأنه لا حق لخلق على الخالق فلا تجوز يعني وفقاً

وقال البلجي في شرح المختارة : ويكره أن يدعو الله إلا به فلا يقول أسئلك بفلان أو بملأئتكتك وأنبيائك ونحو ذلك ، لأنه لاحق للخلق على الخالق انتهى وقال أبو العباس ابن تيمية رحمه الله في كتاب (اقتضاء الصراط المستقيم) لفظ التوسل بالشخص والتوجه به والسؤال به فيه إجمال واشتراك غلط بسببه من لم يفهم مقصود الصحابة فإنه يراد به التسبب به لكونه داعياً وشافعاً مثلاً أو لكونه داعياً مجيباً له مطيعاً لأمره مقتدياً به ، فيكون التسبب إنما هو بمحبة السائل واتباعه له ، وأما بدعاء الوسيلة وشفاعته ، ويراد به الأقسام به والتوسل بذاته ، فهذا هو الذي كرهوه ونهوا عنه ، وكذلك لفظ السؤال بشيء ، قد يراد به المعنى الأول وهو التسبب به لكونه سبباً في حصول المطلوب وقد يراد به الأقسام ومن الأول حديث الثلاثة الذين أووا إلى غار وهو حديث مشهور في الصحيحين وغيرهما فإن الصخرة انطبقت عليهم فقالوا ليدع كل رجل منكم بافضل

عمله « فدعوا الله بصالح أعمالهم ، لان الاعمال الصالحة هي أعظم ما يتوسل به العبد إلى الله ويتوجه به اليه ويسأل به ، وهؤلاء دعوه بعبادته ، وفعل ما أمر به من العمل الصالح ، وسؤاله والتضرع اليه

ومن هذا ما يذكر عن الفضيل بن عياض انه أصابه عسر البول فقال: بحبي إياك إلا فرجت عني ، ففرج عنه . وكذلك المرأة المهاجرة التي أحيا الله ابنها لما قالت : اللهم اني آمنت بك وبرسولك وهاجرت في سبيلك ، وسألت الله أن يحيي ولدها ، وأمثال ذلك . وهذا كما قال المؤمنون (ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنوا ، ربنا فاعفّر لنا ذنوبنا) الآيات . من سؤال الله والتوسل اليه بامثال أوامره واجتناب نواهيه .

وأما قوله في حديث أبي سعيد « أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا » فهذا الحديث رواه عطية العوفي وفيه ضعف ، لكن بتقدير ثبوته هو من هذا الباب ، فان حق السائلين عليه أن يجيبهم ، وحق المطيعين له أن يشيهم . فالسؤال له والطاعة سبب لحصول اجابته وإثابته ، فهو من التوسل به والتوجه به والتسبب به ، ولو قدر انه قسم لكان قسما بما هو من صفات إجابته وإثابته من أفعاله وأقواله ، فصار هذا كقوله في الحديث الصحيح « أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لأحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك »

والاستعاذة لاتصح بمخلوق ، كما نص عليه الامام احمد وغيره من الأئمة ، فاستعاذ ﷺ بعفوه ومعافاته من عقوبته مع انه لا يستعاذ بمخلوق كسؤال الله بإجابته وإثابته وان كان لا يسأل المخلوق ، ومن قل من العلماء لا يسأل إلا به لا ينافي السؤال بصفاته كما ان الحلف لا يشرع الا بالله ، ومن حلف بغير الله فقد أشرك ، ومع هذا فالخلف بعزة الله ولعمر الله ونحو ذلك مما ثبت عن النبي ﷺ

الحلف به لم يدخل في الحلف بغير الله
وأما قول بعض الناس : أسألك بالله وبالرحم ، وقراءة من قرأه (تسألون به
والأرحام) فهو من باب التسبب بهاء فان الرحم توجب الصلة وتقتضي أن يصل
الإنسان به قرابته

فسؤال السائل بالرحم لغيره يتوسل اليه بما يوجب صلته من القرابة التي
بينهما ، ايس هو من باب الأقسام ولا من باب التوسل بما لا يقتضي المطلوب ، وتوسل
بما هو يقتضي المطلوب كالتوسل بدعاء الأنبياء وبطاعتهم

ومن هذا الباب ما يروى عن عبد الله بن جعفر انه قل : كنت اذا سألت
علياً شيئاً فلم يعطيني قلت له بحق جعفر إلا ما أعطيتني فيعطيني ، وكي قل بعض
الناس ظن فن هذا من باب الأقسام عليه بجعفر ومن باب قولهم : أسألك بحق
أنبيائك ونحو ذلك وليس كذلك بل جعفر هو أخو علي وعبد الله ابنه وله عليه
حق الصلة ، فصلة عبد الله صلة لابيه جعفر كما في الحديث « ان من أبر البر
ان يصل الرجل اهل ود ابيه بعد ان يولي »

ولو كان من هذا الباب الذي ظنوه لكان سؤاله اعلي بحق النبي ﷺ وبرايم
الخليل ونحوهما أولى من سؤاله بحق جعفر ، ولكن علي الى تعظيم رسول الله
ﷺ ومحبة وإجابة السائل أسرع منه الى إجابة السائل بغيره انتهى ملخصاً

وما قول ائمة فقهاء الحنابلة في مستدركه وصححه إن آدم توسل
بالنبي ﷺ فهو من رواية عبد الرحمن بن زيد بن اسلم ، قال احمد بن حنبل
ضعيف ، وقال ابن معين ليس حدثه بشيء ، وضعفه ابن المديني جداً ، وقال
ابو داود : اولاد زيد بن اسلم كلهم ضعيف ، وقال النسائي ضعيف ، وقال ابن
عبد الحكم سمعت الشافعي يقول ، ذكر رجل لملك حديثاً . فقال من حديثك ؟
فذكر اسناداً له منعطفاً ، فقال اذهب الى عبد الرحمن بن زيد يحدثك عن ابيه

عن نوح عليه السلام ، وقال ابو زرعة ضعيف ، وقال ابو حاتم ليس بقوي في الحديث كان في نفسه صالحا وفي الحديث واهياً ، وقال ابن حبان كان يقلب الاخبار وهو لا يعلم حتى كثر ذلك في روايته من رفع الراسيل واسناد الموقرف فاستحق التبرك ، وقال ابن سعد : كان كثير الحديث ضعيفا جداً ، وقال ابن خزيمة : ليس هو ممن يحتج اهل العلم بحديثه ، وقال الحاكم وابو نعيم روى عن ابيه أحاديث موضوعة ، وقال ابن الجوزي أجمعوا على ضعفه ، فهذا الحديث الذي استدل به تفرد به عبد الرحمن بن زيد وهو كما نسمع

وقال الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله في رده على ابن البكري وأما قول القائل قد توسل به الانبياء ، آدم وادريس ونوح وأيوب ، كما هو مذکور في كتب التفسير وغيرها فيقل مثل هذه القصص لا يجوز الاحتجاج بها باجماع المسلمين فان الناس لهم في شرع من قبلنا قولان (أحدهما) انه ليس بحجة (الثاني) انه حجة مالم يأت شرعنا بخلافه بشرط أن يثبت ذلك بنقل معلوم كاخبار النبي ﷺ فأما الاعتماد على اخبار أهل الكتاب أو نقل من نقل عنهم فهذا لا يجوز باتفاق المسلمين لان في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال « اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم »

وهذه القصص التي فيها ذكر توسل الانبياء بذاته ليست في شيء من كتب الحديث المعتمدة ولا لها اسناد معروف عن أحد من الصحابة ، وإنما تذكر مرسله كما تذكر الاسرائيليات التي تروى عن لا يعرف

وقد بسط الكلام في غير هذا الموضع عما نقل في ذلك عن النبي ﷺ وتكلمنا عليه وبيننا بضالان جميعه

ولو نقل ذلك عن كعب ، ووهب ومالك بن دينار ونحوهم ممن ينقل عن أهل الكتاب لم يجوز ان يحتج به لان الواحد من هؤلاء ، وإن كان ثقة فغاية

ما عنده ان ينقل من كتب من كتب أهل الكتاب او يسمعه من بعضهم فانه يدينه وبين الانبياء زمن طويل ، والرسول عن المجهول من أهل الكتاب الذي لا يعرف علمه وصدقه لا يقبل باتفاق المسلمين

ومراسيل أهل زماننا عن نبينا ﷺ لا تقبل عند علمائنا مع كون ديننا محفوظا محروسا فكيف بما يرسل عن آدم وادريس ونوح وأيوب عليهم السلام؟ والقرآن قد أخبر بادية الانبياء وتوباتهم واستغفارهم وليس فيها شيء من هذا وقد نقل ابو نعيم في الحلية ان داود عليه السلام قل « يا رب أسألك بحق آبائي عنك . ابراهيم واسحاق ويعقوب . فقال يا داود وأي حق لا بآبائك علي ؟ » فن كانت الاسرائيليات حجة ، وهذا يدل على انه لا يستل بحق الانبياء ، وإن لم يكن حجة لم يجز الاحتجاج بتلك الاسرائيليات انتهى كلامه وبين رحمه الله انه لا يصح في هذا شيء عن النبي ﷺ وان جميع ما روي في ذلك باطل لأصل له .

* *

وأما قوله : وأما التوسل بالنبي ﷺ خاصة فقد رأيت لشيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب نقلا في جواز ذلك عن ابن عبد السلام فنقول قد تقدم ان التوسل المشروع هو التوسل الى الله بالاسماء والصفات والتوحيد وكذلك التوسل بحجة النبي ﷺ والايمان به وضاعته ، وكذلك التوسل بدعائه وشفاعته وهذا كله مشروع بلا ريب وأما التوسل بنفس الذات فقد قلنا ان أكثر العلماء نهوا عن ذلك وجعلوه من البدعة المكروهة المحدثه ، وبعضهم رخص في ذلك وهو قول ضعيف مردود والعز بن عبد السلام أنكر التوسل الى الله بغير النبي ﷺ وأما التوسل بالنبي ﷺ فعلق القول بجوازه على صحة حديث الاغمى

لانه فهم من الحديث ان الاعمى توسل بذات النبي ﷺ وأما الجمهور فحملوا حديث الاعمى على انه توسل بدعاء النبي ﷺ كما كان الصحابة يتوسلون به في الاستسقاء ، كما في حديث أنس الذي رواه البخاري في صحيحه، وقد تقدم (١) وشيخنا رحمه الله نقل كلام العز بن عبد السلام ليمين ان مسألة التوسل بغير النبي ﷺ بدعة مكروهة وأما التوسل بالنبي ﷺ فأجازه بعض العلماء كالعز بن عبد السلام

والسائل فهم من نقل الشيخ انه اختاره ، وليس الامر كذلك بل اختياره رحمه الله هو ما ذهب اليه الجمهور : ان ذلك بدعة محدثة لم يفعلها الصحابة ولا التابعون فانه لم ينقل عن أحد منهم انه توسل بالنبي ﷺ بعد موته كما قدمناه واما قوله : واما التوسل بغير الانبياء فيوردون أن عمر توسل بالعباس في الاستسقاء ، فقد تقدم بيانه بما فيه كفاية

وبيان ان التوسل بدعاء الصالحين في الاستسقاء وغيره مشروع كما فعله الصحابة لما توسلوا بالعباس وبزيد بن الاسود وليس كلامنا في هذا ، وانما الكلام في التوسل بنفس الذات

وأما قولهم في حديث العباس فطفق الناس يتمسحون به ، فلم نقف لها على اصل ولا رأيناها في شيء من الكتب ، وعلى تقدير ثبوتها فليس فيها حجة على التوسل بالاموات

(١) جملة القول في حديث الاعمى ان له وجهاً موافقاً للقائد والقواعد وهو طلب الدعاء والتشفع به ، فيؤخذ به ، ووجهها مخالفاً لها فلا يجوز الاخذ به لشذوذه مع مخالفته فانه لم يرد شيء في معناه عن احد من الصحابة ورواية الشاذ كذا لا يحتج بها مطلقاً فكيف اذا كانت في مسأله تبعية تمس العقيدة - فهذه لا تثبت الا بنص قطعي الرواية والدلالة معا

فصل

واما قواه ان سلمنا هذا القول وظهر دليله فاجاهل معذور لانه لم يدرك الشريك والكافر ، ومن مات قبل البيان فليس بكافر ، وحكمه حكم المسلمين في الدنيا والآخرة لان قصة ذات أنواط وبني إسرائيل حين جاوزوا البحر تدل على ذلك إلى آخره

(فالجواب) أن يقال ان الله تعالى أرسل الرسل (مبشرين ومنذرين امثلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) فكل من بلغه القرآن ودعوة الرسول ﷺ فقد قامت عليه الحجة قال الله تعالى (لا نذكركم به ومن بلغ) وقال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)

وقد جمع العلماء على أن من بلغته دعوة الرسول ﷺ ان حجة الله قائمة عليه . ومعلوم بالاضطرار من الدين ان الله سبحانه بعث محمداً ﷺ وأنزل عليه الكتاب ليعبد وحده ولا يشرك معه غيره فلا يدعى الا هو ولا يذبح إلا له ، ولا ينذر إلا له ، ولا يتوكل الا عليه ، ولا يخف خوف السر الا منه ، والقرآن مملوء من هذا . قل الله تعالى (وإن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) (قل له دعوة الحق) (الآية وقان) (ولا تدع من دون الله مالا يفعلك ولا يضرك) (قل فصل لربت ونحر) - وقال (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) (قل فاعبدوه وتوكل عليه) (قل فإياي فارهبون) (قل) (وخافون ان كنتم مؤمنين) (قل) (ولا يخش الا الله فعسى وأملك أن يكونوا من المهتدين) (وآيات تورد في هذا المعنى كثيرة ، والله سبحانه لا يعذب خاتمه لا بعد الاعتذار اليهم ، فإرسل رسله وأنزل كتبه لئلا يقولوا (لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين) (قل الله تعالى) (ولو أنا أهلكهم بعذاب من قبله قلوا ربنا لو لا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى)

فكل من بلغه القرآن فليس بمعذور ، فان الاصول الكبار التي هي أصل دين الاسلام قد بينها الله في كتابه ووضحها وأقام بها الحجة على عباده ، وليس المراد بقيام الحجة ان يفهمها الانسان فهما جلياً كما يفهمها من هداه الله ووفقه وانقاد لامره (١) فان الكفار قد قامت عليهم حجة الله مع اخباره بانه جعل على قلوبهم أكنة أن يفهموا كلامه ، فقال (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا) وقال (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عى) وقال تعالى (انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله يحسبون انهم مهتدون) وقال تعالى (قل هل ننبئكم بالآخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا) والآيات في هذا المعنى كثيرة . يخبر سبحانه انهم لم يفهموا القرآن ولم يفقهوه ، وانه عاقبهم بحمل

(١) هذا القيد الذي قيد الشيخ به الفهم هنا قد أزال اللبس الذي يتبادر الى الذهن من بعض اطلاقاته في مواضع أخرى واتبعه فيه بعض علماء مجده فصار بعضهم يقول بأن الحجة تقوم على الناس ببلوغ القرآن وان لم يفهمه من بلغه مطلقاً . وهذا لا يعقل ولا يتفق مع قوله تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى) الآية الذي بنى عليه المحققون قولهم ان فهم الدعوة بدليلها شرط لقيام الحجة . وقد علمنا من هذا القيد ان الفهم الذي لا يشترطه الشيخ هو فقه نصوص القرآن المؤثر في النفس الحامل لها على ترك الباطل كما يفقهها من اهتدى بها . ففهم التفقه في الحقيقة أخص من فهم المعنى اللغوي كما يدل عليه استعمال القرآن وحديث « من برد الله به خيراً يفقهه في الدين » متفق عليه وفي رواية حسنة زيادة « وبأهمه رشده » والمشركون الذين شبههم الله بالصم البكم الخنوم على قلوبهم والمطوع عليها والمجبول عليها الاكنة كلهم قد فهموا مدلول آيات القرآن في التوحيد والبعث والرسالة لانهم أهل اللغة وقد أترأت بأفصح أساليبها ولكنهم لم يهتدوا بها لثلاثة أسباب (أحدها) العناد من الرؤساء (ثانيها) التقليد من الدهماء (ثالثها) الشبهات على الاصول الثلاثة كزعمهم ان دعاء غير الله لا يضر إذا كان بقصد التقرب اليه تعالى والشفاعة عنده . وان الرسول بثمر مثاهم فلا يعقل أن يكون رسولا من الله وانه تعالى لو أراد أن يبعث رسولا لبعث ملكا او لا يده بملكه يكون معه نذيراً . وان البعث لا يعقل

الا كنهة على قلوبهم ولوقر في آذانهم وأنه ختم على قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم (١) فلم يعذرهم مع هذا كله بل حكم بكفرهم وأمر بقتالهم. فقالتهم رسول الله ﷺ وحكم بكفرهم. فهذا يبين لك أن بلوغ الحجة نوع ، وفهمها نوع آخر (٢)

وقد سئل شيخنا رحمه الله تعالى عن هذه المسئلة فأجاب السائل بقوله هذا من العجب العجيب ، كيف تشكون في هذا ، وقد وضحته لكم مرراً ؟ فإن الذي لم تقم عليه الحجة هو الحديث العهد بالاسلام ، والذي نشأ ببادية بعيدة أو يكون ذلك في مسئلة خفية مثل الصرف والعطف فلا يكفر حتى يعرف وأما أصول الدين التي وضحها الله وأحكمها في كتابه ، فإن حجة الله هي القرآن ، فمن بلغه فقد بلغته الحجة ، ولكن أصل الاشكال انكم لم تفرقوا بين قيام الحجة وفهم الحجة فإن أكثر الكفار والمذققين لم يفهموا حجة الله مع قيامها عليهم كما قال تعالى (أم تحسب ان أكثرهم يسمعون أو يعقلون انهم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا) وقيام الحجة وبلوغها نوع وفهمها نوع آخر ، وكفرهم الله ببلوغها إياهم مع كونهم لم يفهموها (٢)

وان اشكل عليكم ذلك فانظروا قوله ﷺ في الحوارج « أينما نقيتموهم فقتلوهم » مع كونهم في عصر الصحابة ، ويحقر الانسان عمل الصحابة معهم ، ومع اجماع الناس فان الذي أخرجهم من الدين هو التشديد والغلو والاجتهاد ، وهم يظنون أنهم يطيعون الله ، وقد بلغتهم الحجة ولكن لم يفهموها (٣)

(١) هذه التمثيلات بيان ببلغ لاستحواذ الكفر عليهم وعدم رجوعهم عنه وهو سبب العقاب لآعينه

(٢) أي فهمها على الوجه المؤثر في حصول الهدى لانهم الخطاب والمعنى اللغوي كما تقدم

(٣) مسألة الحوارج ليست في أصول الدين الاعتقادية بل هي في مسائل عمالية وقد اختلف السلف في عذرهم بالاجتهاد فيها وعدمه ، والامام علي وأصحابه لم يكفروهم بل قاتلوهم بخروجهم عليهم ، وعن أحمد وشيخ الاسلام ابن تيمية يرجح عدم التكفير

وكذلك قتل علي رضي الله عنه الذين اعتقدوا فيه الإلهية، وتحريقهم بالنار مع كونهم تلاميذ الصحابة، ومع عبادتهم وصلاتهم، وهم أيضاً يظنون أنهم على حق وكذلك إجماع السلف على تكفير أناس من غلاة القدرية وغيرهم، مع كثرة علمهم وشدة عبادتهم، وكونهم يظنون أنهم يحسنون صنعا، ولم يتوقف أحد من السلف في تكفيرهم لاجل أنهم لم يفهموا، فإن هؤلاء كلهم لم يفهموا أه كلامه رحمه الله

*
* *

إذا تقرر هذا فنقول: هؤلاء الذين ماتوا قبل ظهور هذه الدعوة الإسلامية، وظاهر حالهم الشرك بالله لا تتعرض لهم، ولا نحكم بكفرهم ولا بإسلامهم، بل نقول: من باعته هذه الدعوة المحمدية فن انقاد لها ووجد الله وعبد، وحده لا شريك له، والنزاع شرائع الاسلام، وعمل بما أمره الله به، وتجنب ما نهى عنه فهذا من المسلمين الموعودين بالجنة في كل زمان، وفي كل مكان

وأما من كانت حاله حال أهل الجاهلية لا يعرف التوحيد الذي بعث الله به رسوله يدعو اليه، ولا الشرك الذي بعث الله رسوله ينهى عنه ويقاتل عليه، فهذا لا يقال أنه مسلم جهل بل من كان ظاهر عمله الشرك بالله فظاهره الكفر فلا يستغفر له، ولا يتصدق عنه، ونسكل حاله إلى الله الذي يبطل السرائر ويعلم ما تخفي الصدور، ولا نقول فلان مات كافرا، لأننا نفرق بين الميعين وغيره، فلا نحكم على معين بكفر لأننا لا نعلم حقيقة حاله وباطن أمره، بل ذلك إلى الله، ولا نسب الاموات بل نقول أفضوا إلى ما قدموا. وایس هذا من الدين الذي أمرنا الله به، بل الذي أمرنا به أن نعبد الله ولا نشرك به، ونقاتل من نكل عن ذلك بعد ما ندعوه إلى ما دعاه اليه رسول الله ﷺ، فاذا أصر وعاند كفرناه وقتلناه

فينبغي للطالب أن يفهم الفرق بين الميعين وغيره فنكفر من دان بغير الاسلام جملة ولا نحكم على معين بالنار، ونلعن الظالمين جملة ولا نخص معينا بلعنة كما قد ورد في الاحاديث من لعن السارق وشارب الخمر، فنلعن من لعنه رسول الله ﷺ

جملة ولا نخص شخصاً بلعنة

يبين ذلك أن رسول الله ﷺ لعن شارب الخمر جملة ، ولما جلد رجلا
قد شرب الخمر قال رجل من القوم اللهم العنه ، ما أكثر ما يؤتى به إلى النبي ﷺ
فقال النبي ﷺ « لا تلعنوه فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله »

فصل

وأما قوله (ومنها أن كثير من العلماء الكبار فعلوا هذا الأمر وفعلت بحضرتهم
ولم ينكروا . من ذلك تنابعمهم على بناء القباب على القبور واتخاذها أعيادا في الغالب ،
فلكل شيخ يوم معروف في شهر معلوم ، يؤتى اليه من النواحي ، وقد يحضر
بعض العلماء ولا ينكر)

(فالجواب) من وجوه (الوجه الاول) أن يقل قد افترض الله على العلماء
طاعة رسوله ﷺ ، وأخبر أن من أطاعه فقد أطاع الله فقال تعالى (من يطع
الرسول فقد أطاع الله) وقال (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وقال
(وإن تطيعوه تهتدوا) وقال (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)
وقال (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ، فإن
تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ،
ذلك خير وأحسن تأويلا)

فإذا اختلف الناس في شيء من أمور الدين هل هو واجب أو محرم أو جائز
وجب رد ما وقع فيه النزاع والاختلاف إلى الله والرسول ، ويجب على المؤمن إذا
دعي إلى ذلك أن يقول : سمعنا وطاعة ، قال تعالى (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا
إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا)

فنحن نحاكم من نازعنا في هذه المسئلة وغيرها من المسائل إلى الله والرسول
لا إلى أقوال الرجال وآرائهم

فنقول لمن أجاز بناء القباب على القبور بالجص والآجر وأسرجها وفرشها
بالرخام وعلق عليها القناديل الفضة وبيض النعام ، وكساها كما يكسى بيت الله
الحرام ، هل أمر رسول الله ﷺ بهذا وحث عليه أم نهى عنه وأمر بإزالة
ما وضع من ذلك عليه ؟ فما أمرنا به ائتمرنا ، وما نهانا عنه ائتمينا ، وسنته هي
الحكمة بيننا وبين خصومنا في محل النزاع

فنقول قد ثبت في صحيح مسلم عن أبي الهياج الاسدي قل قل لي علي بن
أبي طالب رضي الله عنه « ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا أَدْعِ
تمثالا إلا طمسته ، ولا قبرا مشرقا إلا سويته »

وفي صحيحه أيضاً عن ثمامة بن شفي الهمداني قل كنا مع فضالة بن عبيد
بأرض الروم ، فتوفي صاحب لنا ، فأمر فضالة بن عبيد بقبوره فسوي ، ثم قال
سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها .

وفي صحيحه ايضا عن جابر بن عبد الله قال « نهى رسول الله ﷺ عن
تجصيص القبر ، وأن يقعد عليه ، وأن يبنى عليه »

وروى أبو داود في سننه والترمذي عن جابر ان رسول الله ﷺ « نهى
ان تجصص القبور وأن يكتب عليها » قال الترمذي حديث حسن صحيح

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال « لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور
والمتخذين عليها المساجد والسرج » رواه الامام احمد وأهل السنن

فنهى رسول الله ﷺ عن البناء عليها وأمر بهدمه بعد ما يبنى ونهى عن
الكتابة . ولعن من أسرجها ، فنحن نأمر بما أمر به رسول الله ﷺ من
تسويتها . ونهى عن البناء عليها كما نهى عنه رسول الله ﷺ ، فهو الذي اقترض
الله علينا طاعته واتباعه ، وأما غيره فيؤخذ من قوله ويترك كما قال الامام مالك
« كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ »

وقال الامام احمد « لا تقلد في دينك أحداً ، ما جاء عن النبي ﷺ وعن أصحابه فخذوه ، ثم التابعين بعد فلرجل فيهم مخير » وقال ايضاً « لا تقلدوني ولا تقلدوا مالكا ولا اشوري ولا الاوزاعي وخذ من حيث اخذوا »

والعجب ممن يسمع هذه الاحاديث عن رسول الله ﷺ في النهي عن تعظيم القبور وعقد انقباب عليها بالجلس والآجر وإسراجها ولعن من اسرجها ثم يقول: فعلت هذه الامور بحضرة العلماء الكبار ولم ينكروا . كأنه لم يسمع ما جاء عن رسول الله ﷺ في ذلك . قال ابن عباس رضي الله عنهما « يوشك ان تنزل عليكم حجارة من السماء » اقول قل رسول الله ﷺ وتقولون قال ابو بكر وعمر ؟

وقال الامام احمد: عجبت لقوم عرفوا الاسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان ، والله تعالى يقول (فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) أتدري ما الفتنة ؟ الفتنة الشرك ، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيف فيهلك

فإذا كان هذا كلام ابن عباس فمن عارض السنة بقول ابي بكر وعمر ، وكلام أحمد فمن ذهب إلى رأي سفيان فكيف بمن عارض السنة بقول فلان وفلتان وقد روى البيهقي عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ « إن أشد ما اتخوف على امتي ثلاث : زلة عالم ، وجدال منافق بالقرآن ، ودنيا تقطع اعناق الرجال »

ومن المعلوم ان الخوف في زلة العالم تقليده فيها إذ لولا ذلك لم يخف من زلة العالم على غيره . فإذا عرف انها زلة لم يميز له ان يتبعه فيها باتفاق العلماء فانه اتباع للخطأ على عمد . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه « يفسد الزمان ثلاثة : امة مضلون وجدال منافق بالقرآن - والقرآن حق - وزلة العالم »

فإذا صح وثبت ان العالم يزل ويخطيء لم يميز لأحد أن يفتي ويدين الله بقول لا يعرف وجهه ، فكيف إذا عارض بقوله أو فعله قول رسول الله ﷺ أو فعله ؟

(الوجه الثاني) ان يقال: إذا لم تقنع نفسك، ولم يطمئن قلبك بما جاء عن رسول الله ﷺ وقلت: العلماء اعلم منا بالسنة وأطوع لله تعالى ولرسوله ﷺ فنقول: أعلم الناس بما امر به رسول الله ﷺ وما نهى عنه اصحابه رضي الله عنهم فهم أعلم الناس بسنته، وأطوعهم لأمره، وهم الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ورضي عنهم باحسان

وفي حديث العرياض بن سارية عن رسول الله ﷺ انه قال « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الامور، فان كل بدعة ضلالة »

وفي الصحيح عنه ﷺ انه قال « خير القرون قرني الذين بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم » وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه « من كان منكم مستنًا فليستن بمن قد مات، فان الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك اصحاب محمد ﷺ أبر هذه الامة قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، قوم اخبرهم الله اصحبه نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم، وتمسكوا بهديهم، فانهم كانوا على الصراط المستقيم »

وقال حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه « يامعشر القراء استقيموا وخذوا طريق من قبلكم، فوالله لقد سبقتم سبقا بعيدا، ولئن اخذتم يمينا وشمالا لقد ضللتكم ضلالا بعيدا »

فاذا احتج احد علينا بما عليه المتأخرون، قلنا الحجة بما عليه الصحابة والتابعون الذين هم خير القرون، لا بما عليه الخلف الذين يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فهؤلاء اصحاب رسول الله ﷺ، هل نقل عنهم انهم عقدوا القباب على القبور أو اسرجوها أو خلقوها أو كسوها الحرير، أم هذا مما حدث بعدهم من المحدثات التي هي بدع وضلالات ؟

ومعلوم ان عندهم من قبور الصحابة الذين ماتوا في حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته مالا يحصى ، هل بنوا على قبورهم وعظموها ودعوا عندها وتمسحوا بها ، فضلا عن ان يسألوها حوائجهم ويسألوا الله بأصحابها ، فمن كان عنده في هذا أثر صحيح أو حسن ، فليرشدنا اليه وليدلنا عليه ، وأنى له بذلك ؟ فهذه سنة رسول الله ﷺ في القبور وسنة خلفائه الراشدين

وقد روى خالد بن سنان عن أبي العالية قال : لما فتحنا تستر (١) وجد في بيت مال الهرمز ان سرير عليه رجل ميت عند رأسه مصحف فنأخذنا المصحف فحملناه الى عمر بن الخطاب فدعا له كعباً فنسخه بالعربية . فانا أول رجل من العرب قرأته مثل ما قرأ القرآن . قال خالد : فقلت لابي العالية ، ما كان فيه ؟ قال : سيرتك وأمورك ولحون كلامكم وما هو كائن بعد . قلت : فما صنعتكم بالرجل ؟ قال : حفرتنا بالنيهار ثلاثة عشر قبراً منفردة ، فلما كان بالليل دفناه وساوينا القبور كلها مع الارض لنعميه عن الناس لا ينبشونه . فقلت وما يرجون منه ؟ قل كانت السماء اذا حبست عنهم أبرزوا السرير فيمطرون . فقلت من كنتم تظنون الرجل ؟ قال رجل يقال له دانيال . فقلت منذ كم وجدتموه مات ؟ قل منذ ثلاثمائة سنة . قلت ما كان تغير منه شيء ؟ قل لا إلا شعرات من قناه ، ان لحوم الانبياء لا تباليها الارض ولا تأكلها السباع .

ففي هذه القصة ما فعله المهاجرون والانصار من تعمية قبره لشلا يفتتن به الناس ولم يذروه للدعاء عنده والتبرك به ، ولو ظفر به هؤلاء المشركون وعلموا حقيقة ابنوا عليه وعظموه وزخرفوا قبره وأسرجه وجعلوه وثناً يعبد ، فانهم قد اتخذوا من القبور أوثاناً من لا يداني هذا ولا يقاربه ، بل لعله عدو لله وأقاموا لها سدة وجعلوها معابد واعتقدوا ان للصلاة عندها والدعاء حولها والتبرك بها

فضيلة مخصوصة ليست في المساجد ، ولو كان الامر كما زعموا ، بل لو كان مباحا
لنصب المهاجرون والانصار هذا القبر علماً ولما أخفوه خشية الفتنة به ، بل لدعوا
عنده وبينوه لمن بعدهم ، ولكن كانوا أعلم بالله ورسوله ودينه من هؤلاء الخلوفا
الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات او صرفوا لغير الله أجل العبادات .

وما أحسن ما قال الامام مالك رحمه الله تعالى « لن يصلح آخر هذه الامة
إلا ما أصاح أولها » ولكن كما نقص نتمسكهم بسنة نبيهم ﷺ وهديه وسنة
خلفائه الراشدين ، تعوضوا عن ذلك بما أحدثوه من البدع والشرك . ومن له
خبرة بما أمر به رسول الله ﷺ عند زيارة القبور وما يفعل بها وبما يفعل عندها
وبما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم ، ثموازن بين هديه ﷺ وهدى أصحابه
وبين ما عليه المتأخرون اليوم وما يفعلونه عند القبور ، تبين له ما بينها من التباين
والتضاد وعلم ان بينهما من الفرق أبعد مما بين المشرق والمغرب كما قيل :

سارت مشرقة وسرت مغربا شتان ما بين مشرق ومغرب

(الوجه الثالث) أن يقال : قوله ، ان كثيراً من العلماء فعلوا هذه الامور
وفعلت بحضرتهم فلم ينكروا من ذلك تتابعهم على بناء القباب على القبور .
فيقال : بل قد نهوا عن ذلك وصرحوا بكراهته والنهي عنه ، وهذه
كتبهم بأيدينا مصرحة بما ذكرنا ، ونحن نسوق عباراتهم بألفاظها

فأما كلام الحنابلة فقال في الاقناع ، ويستحب رفع القبر قدر شبر ويكره
فوقه ، ويكره البناء عليه سواء لاصق البناء الارض أو لا ، ولو في ملكه ، من قبة أو
غيرها للنهي عن ذلك . وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في اغاثة اللهمفان ، ويجب
هدم القباب التي على القبور لانها أسست على معصية الرسول انتهى ، وهو في
المسئلة أشد تحريماً قال الشيخ هو غاصب ، وقال أبو حفص تحرم الحجرة بل نهدم

وهو الصواب. انتهى كلامه في الاقتناع ، هذا والذي ذكره ذكره غير واحد من أئمة الحنابلة فلا حاجة الى الاطالة بنقل عباراتهم

وأما كلام الشافعية فقال الاذرعى رحمه الله في قوت المحتاج الى شرح المنهاج عند قول المؤلف- ويكره تخصيص القبر والبناء والكتابة عليه ، ثبت في صحيح مسلم النهي عن التخصيص والبناء ، وفي الترمذى وغيره النهي عن الكتابة ، وعبارة الحلوانية ممنوع منهما. وعبارة القاضي بن كج ولا يجوز أن تخصص القبور ولا أن يبنى عليها قباب ولا غير قباب والوصية بها باطلة

وقال ابو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة حدثنا زيد بن الحباب حدثنا جعفر بن ابراهيم من ولد ذى الجناحين حدثنا علي بن الحسين انه رأى رجلا يجيء الى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو فيها فقال : ألا أحدثكم بحديث سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال « لا تتخذوا قبوري عيداً ، ولا بيوتكم قبوراً ، وسلموا علي ، فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم » رواه ابو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي في مختاراته التي اختارها من الاحاديث الجياد الزائدة على الصحيحين

وقال سعيد بن منصور في السنن : حدثنا حبان بن علي حدثني محمد بن عجلان عن ابي سعيد مولى المهري قال : قال رسول الله ﷺ « لا تتخذوا بيدي عيداً ولا بيوتكم قبوراً ، وصلوا علي حينما كنتم فان صلاتكم تبلغني »

وقال سعيد حدثنا عبد العزيز بن محمد اخبرني سهيل بن أبي سهيل قال : رأيته الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب عند القبر فناداني - وهو في بيت فاطمة يتعشى - فقال هلم الى العشاء ، فقلت لا أريده ، فقال مالي رأيتك عند القبر؟ فقلت سلمت على النبي ﷺ فقال اذا دخلت المسجد فسلم ثم قال إن رسول الله ﷺ قال « لا تتخذوا قبوري عيداً ، ولا تتخذوا بيوتكم مقابر ، لعن الله اليهود

والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، وصلوا عليّ فن صلاتكم تبغني حيناً كنتم ما أنتم ومن بالاندلس إلا سواء »

فهذان المرسلان من هذين الوجهين المختلفين يدلان على ثبوت الحديث ، لاسيما وقد احتج به من أرسله وذلك يقتضي ثبوته عنده هذا لو لم يكن (وي مسنداً من وجوه غير هذا فكيف وقد تقدم مسنداً ؟

ووجه الدلالة منه ان قبر رسول الله ﷺ أفضل قبر على وجه الارض ، وقد نهى عن اتخاذ عيداً فقبر غيره أولى بالنهي كاننا من كان ، ثم انه قرن ذلك بقوله « ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً » أي لا تعطلوها من الصلاة فيها والدعاء والقرأة ، فتكون بمنزلة القبور ، فأمر بتحري النافلة في البيوت ونهى عن تحري العبادة عند القبور . وهذا ضد ما عليه المشركون

ثم انه عقب النهي عن اتخاذها عيداً بقوله « وصلوا عليّ حيناً كنتم فن صلاتكم تبغني » يشير بذلك إلى ان ما ينالني منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبوري وبعدم . فلا حاجة إلى اتخاذ عيداً

وقد حرف هذه الاحاديث بعض من أخذ شبهها من النصارى بالشرك ، وشبها من اليهود بالتحريف فقال هذا أمر بملازمة قبره ، والعكوف عنده واعتياد قصده وانتيا به ، ونهى أن يجعل كالعيد الذي انما يكون من الحول الى الحول بل اقصدوه كل ساعة وكل وقت . وهذا مراغمة ومحادة ومناقضة لما قصده الرسول ﷺ وقلب للحقائق ، ونسبة الرسول ﷺ إلى التدايس والتلبيس والتناقض فقاتل الله أهل الباطل أنى يؤفكون

ولا ريب أن ارتكاب كل كبيرة بعد الشرك أسهل أنما وأخف عقوبة من تعاطي مثل ذلك في دينه وسنته ، وهكذا غيرت أديان الرسل ، ولولا ان الله أقام لدينه أنصاراً وأعواناً يذبون عنه لجرى عليه ماجرى على الأديان قبله ، ولو

أراد رسول الله ﷺ ما قاله هؤلاء الضالال لم ينف عن اتخاذ قبور الانبياء مساجد
ويعلم فاعل ذلك، فإنه إذا لعن من اتخذها مساجد يعبد الله فيها فكيف يأمر
بملازمتها والمعكوف عندها، وأن يعتاد قصدها وانتياها، ولا تجعل كالعيد الذي
يجيء من الحول إلى الحول، وكيف يسأل ربه أن لا يجعل قبره وثناً يعبد؟ وكيف
يقول أعلم الخلق بذلك « ولولا ذلك لأبرز قبره ولكن خشي أن يتخذ مسجداً »
وكيف يقول « لا تجعلوا قبري عيداً ، وصلوا علي حينما كنتم ؟ »

وكيف لم يفهم أصحابه وأهل بيته من ذلك ما فهمه هؤلاء الضالال الذين
جمعوا بين الشرك والتحريف

وهذا أفضل التابعين من أهل بيته علي بن الحسين رضي الله عنه نهى ذلك
الرجل أن يتحرى الدعاء عند قبره ﷺ بالحديث، وهو الذي رواه وسمعه من
أبيه الحسين عن جده علي رضي الله عنه وهو أعلم بمعناه من هؤلاء الضالال
وكذلك ابن عمه الحسن بن الحسن شيخ أهل بيته كره أن يقصد لرجل
القبر إذا لم يرد المسجد ورأى أن ذلك من اتخذ عيداً

فانظر إلى هذه السنة كيف مخرجها من أهل البيت وأهل البيت الذين لهم
من رسول الله ﷺ قرب نسبي وقرب الدار، لأنهم إلى ذلك أخرج من غيرهم
وكانوا له أضبط

والعيد إذا جعل اسماً للمكان فهو المكان الذي يقصد الاجتماع فيه وندبه
للمعبادة عنده أو لغير العبادة كما أن المسجد الحرام ومزدلفة وعرفة جعلها الله عيداً
مثابة للناس مجتمعون فيها وينتظرونها للدعاء والذكر والنسك، وكان المشركون
لهم أمكنة ينتابونها للاجتماع عندها فلما جاء الإسلام مح ذلك كله

فصل

واعلم ان في اتخاذ القبور اعياداً من المفاسد العظيمة التي لا يعلمها إلا الله ما يعضب لاجله كل من في قلبه وفار الله وغيره على التوحيد ، فمن ذلك الصلاة اليها والطواف بها ، وتقبيلا واستلامها ، وتعفير الخدود على ترابها ، والاستغاثة باصحابها وسؤالهم الرزق والنصر والمافية وقضاء الدين ، وتفريج الكربات واغاثة اللهفات وغير ذلك من أنواع الطلبات ، التي كان عباد الاصنام يستلون بها أوثانهم وهذا هو عين الشرك الا كبر الذي بعث الله رسوله ينهى عنه ويقا تل اهله ، ومن مات عليه كان من أهل الدار - عياداً بالله من ذلك .

وكان مبدأ هذا الداء العظيم في قوم نوح لما غلوا في الصالحين كما أخبر الله عنهم في كتابه حيث قل (وقالوا لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسرا)

قال ابن جرير : وكان من خبر هؤلاء ما حدثناه ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن موسى عن محمد بن قيس : أن يغوث ويعوق ونسرا كانوا قوما صالحين من بني آدم وكان لهم اتباع يقتدون بهم ، فلما ماتوا قل أصحابهم الذين يقتدون بهم لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة اذا ذكرناهم ، فصوروهم ، فلما ماتوا وجاء آخرون دب اليهم ابليس فقال : انما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم وقل غير واحد من السلف كان هؤلاء قوما صالحين في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طل عليهم الامد فعبدوهم فهؤلاء جمعوا بين الفتنين فتنة القبور وفتنة التماثيل وهما الممتنان اللتان أشار اليهما النبي ﷺ لما ذكرت له أم سلمة كنيصة رأتها بارض الحبشة وما فيها من الصور فقال « اولئك اذا مات فيهم العبد الصالح او الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور ، اولئك شرار المخلوق عند الله » وهذا كن سبب عبادة اللات فروى

ابن جرير باسناده عن منصور عن مجاهد (أفرايم اللات والعزى ؟) قل كان يلت السويق للحاج فمات فعكفوا على قبره

وكذلك قال ابو الجوزاء عن ابن عباس كان يلت السويق للحاج
فقد رأيت ان سبب عبادة يعوث ويعوق ونسرا واللات انما كان سبب تعظيم
قبورهم ثم اتخذوا لها تماثيل ثم عبدوها

قال ابو العباس ابن تيمية قدس الله روحه. وهذه العلة التي لاجلها نهى الشارع
عن اتخاذ المسجد على القبر هي التي أوقعت كثيراً من الالم. اما في الشرك
الاكبر او فيما دونه من الشرك، فان الشرك بغير الرجل الذي يعتقد صلاحه اقرب
إلى النفوس من الشرك بخشبة أو حجر ، ولهذا تجد أهل الشرك كثيراً يتضرعون
عندها ويخشونها ويعبدونها بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله ولا وقت السحر
ومنهم من يسجد لها ، وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها ما لا يرجون في
المساجد، فلاجل هذه الفسدة حسم النبي ﷺ مادتها حتى نهى عن الصلاة وقت
طلوع الشمس ، وان لم يقصد ما قصده المشركون سداً للذريعة قال واما ان قصد
الرجل بالصلاة عند القبر تبركاً بالصلاة في تلك البقعة فهذا عين المحادة لله ورسوله
والمخالفة لدينه ، وابتداع دين لم يأذن به الله ، فان المسلمين قد أجمعوا على ان
الصلاة عند القبور منهي عنها ، وانه لعن من اتخذها مساجد

فمن أعظم المحدثات وأسباب الشرك الصلاة عندها واتخاذها مساجد، وبناء
المساجد عليها ، وقد تواترت النصوص عن النبي ﷺ بالنهاي عن ذلك والتغليظ
فيه بل نهى عن ذلك في آخر حياته، ثم انه لعن وهو في السياق (١) من فعل ذلك
من اهل الكتاب ليحذر أمته أن يفعلوا ذلك

قالت عائشة رضي الله عنها : قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم

(١) أي وهو يعالج سكرات الموت

منه « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ولولا ذلك لابرز قبره غير انه خشي أن يتخذ مسجدا متفق عليه، وقولها خشي هو بضم الخاء المعجمة تعليلا لمنع ابراز قبره

وأبلغ من هذا أنه نهى عن الصلاة إلى القبر فلا يكون القبر بين المصلي وبين القبلة فروى مسلم في صحيحه عن أبي مرثد الغنوي أن رسول الله ﷺ قال « لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا اليها » وفي هذا إبطال قول من زعم أن النهي عن الصلاة فيها لاجل النجاسة، فهذا أبعد شيء عن مقاصد الرسول ﷺ وهو باطل من عدة أوجه . منها أن الأحاديث كلها ليس فيها فرق بين انقبرة الحديثة والمنبوشة، كما يقوله العللون بالنجاسة، ومنها أنه ﷺ لعن اليهود والنصارى على اتخاذ قبور أنبيائهم مساجد

ومعلوم قطعاً أن هذا ليس لاجل النجاسة لأن قبور الانبياء من أطهر البقاع وليس للنجاسة عليها طريق، فإن الله حرم على الأرض أن تاكل أجسادهم، فهم في قبورهم طريون، ومنها أنه نهى عن الصلاة اليها، ومنها أنه أخبر أن الأرض كلها مسجد إلا انقبرة والحمام. ولو كان ذلك لاجل النجاسة لكان ذكر الخشوش والمجازر أولى من ذكر القبور، ومنها أنه لعن المتخذين عليها المساجد والسمرج ولو كان ذلك لاجل النجاسة لأمكن أن يتخذ عليها المسجد مع تدفينها بطين طاهر . وهذا باطل قطعاً

وبالجملة فمن له معرفة بالشرك ونسبائه وفهم عن الرسول مقاصده جزم جزمًا لا يحتمل النقيض أن هذه المبالغة واللعن والنهي ليس لاجل النجاسة بل هو لاجل الشرك، فإن هذا وامثاله منه ﷺ صيان لحى التوحيد فبني المشركون إلا معصية لأمره وارتكاباً لنهي، ومن جمع بين سنة رسول الله ﷺ في القبور وما أمر به وما نهى عنه وبين ما عليه أكثر الناس اليوم رأى أحدهما مضاداً للآخر

مناقضا له، فإنه نهى عن الصلاة اليها، وهؤلاء يصلون عندها، ونهى عن اتخاذها مساجد، وهؤلاء يبنون عليها المساجد ويسمونها مشاهد مضاهاة لبيوت الله . ونهى عن إيقاد السرج عليها وهؤلاء يوقفون الوقوف على إيقاد القناديل عليها ونهى أن تتخذ عيداً، وهؤلاء يتخذونها أعياداً ومناسك يجتمعون لها كاجتماعهم للعيد أو أكثر، وأمر بتسويتها وهؤلاء يرفعونها ويبنون عليها القباب، ونهى عن الكتابة عليها، وهؤلاء يكتبون عليها القرآن وغيره، ونهى أن يزداد عليها غير ترابها، وهؤلاء يزدون سوى التراب والآجر والاحجار والجص، فأهل الشرك مناقضون لما أمر به الرسول ﷺ في أهل القبور وفيما نهى عنه محادون له في ذلك

فإذا نهى الموحدون عما نهى عنه رسول الله ﷺ من تعظيمها والصلاة عندها وإسراجها والبناء عليها والدعاء عندها وما هو أعظم من ذلك، مثل بناء المساجد عليها ودعائها وسؤالها قضاء الحاجات وإغاثة اللهفات، غضب المشركون واشتأرت قلوبهم وقالوا: قد تنقص أهل الرتب العالية وزعم أنهم لا حرمة لهم ولا قدر، وسرى ذلك في نفوس الجبال الطغام حتى عادوا أهل التوحيد ورموهم بالعمى ونفروا الناس عن دين الاسلام وولوا أهل الشرك وعظموهم (ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون * هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)

فصل

وما قوله (فلكل شيخ يوم معروف، في شهر معلوم، يأتي اليه من النواحي وقد يحضر بعض العلماء فلا ينكر) فنقول :

أما قوله فلكل شيخ يوم معروف في شهر معلوم فقد قدمنا الجواب عن ذلك وبيننا أن ذلك من اتخاذها أعياداً وأنه مما نهى عنه رسول الله ﷺ فإن العيد

ما يعتاد مجيئاً وقصده من زمان ومكان . فزمنان كقولهم ﷺ « يوم عرفة ويوم النحر وأيام منى عيدنا أهل الاسلام » رواه أبو داود وغيره .

وأما المكان فكما روى أبو داود في سننه ان رجلاً قال : يا رسول الله اني نذرت أن أحضر إبلاً بيوانة^(١) فقال « أبها ومن من أوثرن المشركين أو عيد من أعيادهم؟ » قل لا . قل « فاوف بندرك » وكقوله « لاتجعلوا قبوري عيداً » فالعيد مأخوذ من المعاودة والاعتیاد ، فإذا كان الممسكان فهو المكان الذي يقصد الاجتماع فيه وإتيانه للعبادة أو لغيرها ، كما ان المسجد الحرام ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر جعلها الله عيداً للحنفاء كما جعل أيام التعميد فيها عيداً

فتيان القبور في يوم معلوم من شهر معلوم والاجتماع لذلك بدعة لم يشرعها رسول الله ﷺ ولم يفعلها الصحابة ولا التابعون لهم باحسان ، سواء ذلك في البلد أو خارجاً عنه

وأما قوله (يؤتي اليه من النواحي) فنقول : وهذا أيضاً بدعة مذمومة لم يفعلها الصحابة ولا التابعون لهم باحسان ،

وبيان ذلك ان زيارة القبور نوعان : زيارة شرعية وزيارة بدعية شرعية فالزيارة الشرعية مقصودها ثلاثة أشياء (أحدها) تذكير الآخرة والاتعاظ والاعتبار (والثاني) الاحسان الى الميت في أن لا يطول عهده به فيهجروه ويتناساه فإذا زاره وأهدى اليه هدية من دعاء أو صدقة سر الميت بذلك ، كما يسر الحي من بزوره ويهدي له ، ولهذا شرع النبي ﷺ لزار أن يدعو لاهل القبور بالمغفرة والرحمة ولا يشرع ان يدعوهم ولا يدعو بهم ولا يصلي عندهم (الثالث) احسان الزائر الى نفسه ، باتباع السنة والوقوف عند ما شرعه الرسول ﷺ ، فيحسن الى نفسه والى المزور

(١) هضبة من وراء يافع

وأما الزيارة البدعية الشريكة فأصلها مأخوذ من عبادة الاصنام وهو أن يقصد قبر صالح في الصلاة عنده أو الدعاء عنده والدعاء به أو طلب الخواتج منه أو الاستغاثة به ونحو ذلك من البدع التي لم يشرعها رسول الله ﷺ ولا فعلها أحد من الصحابة ولا اتابعين لهم باحسان كما تقدم بيانه مبسوطا

ثم اعلم ان الزيارة الشرعية هي التي لا تشد لها الرحال، فان كانت تشد رحال فهي زيارة بدعية لم يأمر بها رسول الله ﷺ ولا فعلها الصحابة، بل قد نهى عنها رسول الله ﷺ كما ثبت عنه في الصحيحين انه قال « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، والمسجد الأقصى ومسجدي هذا » وهذا الحديث اتفق الأئمة على صحته والعمل به

فلو نذر رجل أن يصلي في المسجد أو يمتكف فيه أو يسافر إليه لم يجب عليه ذلك باتفاق الأئمة حتى نص بعض العلماء على أن لا يسافر إلى مسجد قباء لانه لبس من الثلاثة، مع أن مسجد قباء تستحب زيارته لمن كان بالمدينة لأن ذلك ليس بشد رحل، كما في الصحيح « من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء لا يريد إلا الصلاة فيه كان كعمرة » قالوا ولأن السفر لزيارة الأنبياء وقبور الصالحين بدعة لم يفعلها أحد من الصحابة واتباعين ولا أمر بها رسول الله ﷺ ولا استحبابها أحد من أئمة المسلمين، فمن اعتقد ذلك عبادة وفعلها فهو مخالف للسنة. وإنما اختلف العلماء اتباع الأئمة في الجواز بعد اتفاقهم انه ليس مشروعاً ولا مستحباً

فالمتقدمون منهم قالوا لا يجوز السفر إليها ولا تقصر الصلاة في هذا السفر لانه معصية وهذا قول أبي عبد الله بن بطة وأبي لوفاء بن عقيل وطوائف كثيرة وذهب طائفة من متأخري أصحاب أحمد والشافعي إلى جواز السفر إليها كابن حامد الغزالي وابن عبدوس وأبي محمد المقدسي وأجابوا عن حديث « لا تشد الرحال » بانه لنفي الاستحباب والفضيلة، ورد عليهم الجمهور من وجهين

(أحدهما) ان هذا تسليم منهم ان هذا السفر ليس بعمل صالح ، ولا قرينة ولا طاعة ، ومن اعتقد ان السفر لزيارة القبور قرينة وطاعة فقد خاف الاجماع واذا سافر لاعتقاده بانه طاعة فن ذلك محرم باجماع المسلمين فصار التحريم من جهة تخاذله قرينة ، ومعلوم ان أحداً لا يسافر اليها إلا لذلك ، وما اذا قصد بشد الرحل غرضاً من الاغراض المباحة فهذا جائز

(الوجه الثاني) ان النفي يقتضي النهي والنهي يقتضي التحريم ، والاحاديث التي تذكر في زيارة قبر النبي ﷺ ضعيفة باتفاق أهل العلم بالحديث ، بل هي موضوعة . فليس في زيارة قبر النبي ﷺ حديث صحيح ولا حسن ، ولا بروي أهل السنن المعروفة كسنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه في ذلك شيئاً بل ولا أهل المسانيد المعروفة كمسند احمد وابي داود الطيالسي وعبد بن حميد وغيرهم ، ولا أهل المصنفات المعروفة كموطأ مالك وغيره ، بل لما سئل الامام احمد وهو أعلم الناس في زمانه بالسنة عن هذه المسئلة لم يكن عنده ما يقيمه عليها إلا حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ انه قال « مامن رجل يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام » وعلى هذا اعتمد ابو داود في سننه

وكذلك مالك في الموطأ روى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه كان اذا دخل المسجد قال « السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا ابا بكر ، السلام عليك يا أبي » ثم ينصرف

واتفق الأئمة على انه اذا دعا بمسجد النبي ﷺ لا يستقبل قبره وتنازعوا عند السلام عليه ، فقال مالك واحمد وغيرهما يستقبل قبره ويسلم عليه ، وهو الذي ذكره أصحاب الشافعي وأظنه منصوباً عنه ، وقال ابو حنيفة يستقبل القبلة ويسلم عليه هكذا في كتب أصحابه

وقال مالك لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ ويدعو ويسكن يسلم ويمضي

ومن رخص منهم في الدعاء عند قبره ﷺ فانما يرخص فيما اذا سلم عليه ثم أراد ان يدعو استقبال القبلة اما مستدبر القبر واما منحرفا عنه وهو أن يستقبل القبلة ويدعو ، ولا يدعو مستقبل القبر

وهكذا المنقول عن سائر الأئمة ليس منهم من استحباب للمرء أن يستقبل القبر أعني قبر النبي ﷺ ويدعو عنده ، فاذا كان هذا حالهم وفعالهم عند قبر النبي ﷺ فكيف بغيره ؟

ولم يكن على عهد النبي ﷺ ولا في عصر الصحابة والتابعين مشهد يقصد بالزيارة لافي الحجاز ولا في الشام ، ولا اليمن ، ولا العراق ، ولا خراسان ولا مصر بعد ما فتح الله هذه البلاد وصارت بلاد اسلام ، وانما حدث فيها بعد انقراض عصر السلف

وصار يوجد في كلام بعض الناس فلان ترجى الاجابة عند قبره ، وفلان يدعي عند قبره ، وبعضهم يقول قبر فلان انترياق المحبوب ونحو ذلك مما لم يكن معروفا في عهد الصحابة والتابعين ، وقائل هذا أحسن أحواله ان يكون مجتهدا في هذه المسئلة ومقلدا فيعفو الله عنه ، اما ان هذا الذي قاله يقتضي استحباب ذلك فلا ، بل يقال هذه زلة عالم فلا يجوز تقليده فيها اذا عرف انها زلة لانه اتباع للخطأ على عمد ، ومن لم يعرف انها زلة فهو أعذر من العارف وكلاهما مفرط فيما أمره به ربه .

قال الشعبي قال عمر رضي الله عنه « يفسد الزمان ثلاثة ، أئمة مضلون ، وجدال المنافق بالقرآن ، والقرآن حق ، وزلة العالم » وقال معاذ « احذروا زيفه الحكيم ، فان الشيطان قد يقول الضلالة على لسان الحكيم ، وقد يقول المنافق كلمة الحق » وقال

«اجتنبوا من كلام الحكيم المشتبهات التي يقال ماهذه ولا يثنيك ذلك عنه فانه لعنه
يراجع ، وتلق الحق اذا سمعته فان على الحق نوراً »

واعلم رحمك الله ان الرجل الجليل الذي له في الاسلام قدم صادق ، وآثار
حسنة ، وهو من الاسلام وأهله بمكان قد يكون منه الهفوة والزلة ، وهو فيها
معذور ، بل مأجور لاجتهاده ، فلا يجوز أن يتبع فيها ولا يجوز أن يعمط مكانه
وإمامته ومنزلته من قلوب المسلمين

قال مجاهد والحكم ومالك وغيرهم : ليس احد من خلق الله إلا يؤخذ من
قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ . وقال سليمان التيمي : إن أخذت برخصة كل
عالم اجتمع فيك الشر كله

وقد روى كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده
قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « اني لأخاف على أمتي من بعدي من أعمال
ثلاثة - قالوا وما هي يا رسول الله ؟ قال - أخاف عليهم من زلة العالم ، وجدال المنافق
بالقرآن والقرآن حق ، وعلى القرآن منار كاعلام الطريق »

وبكفي اللبيب في هذا ما قصه الله سبحانه في كتابه عن بني اسرائيل مع
صالحهم وعلمهم : انهم بعد ما فلق الله لهم البحر وأنجاهم من عدوهم أتوا نبيهم قائلين
(اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة) وكذلك ما رواه الترمذي وغيره ان ناساً من
الصحابة في غزوة حنين أتوا عند النبي ﷺ حين مروا بسدرة للمشركين
يعلقون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط ، فقالوا يا رسول الله
اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال « الله أكبر ، انها السنن ، قتم
والذي نفسي بيده كما قالت بنو اسرائيل لموسى (اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ،
قال انكم قوم تجهلون) لتركبن سنن من كان قبلكم »

فاذا كان هذا قد خفي عليهم مع وضوحه وبيانه وقبلهم قوم موسى مع

صلاحهم وعلمهم وقد اختارهم الله على علماء زمانهم^(١) وخفي عليهم هذا وقولوا يا موسى (اجعل لنا إلهاً كالهم آلهة) فهذا يفيد أن المسلم بل العالم قد يقع في أشياء من الشرك وهو لا يدري، فيفيد الحرص وبذل الجهد في البحث عما جاء عن الله ورسوله، ولا يقلد دينه الرجال فانهم ان يسلموا أن يغفلوا، وأبى الله أن يصلح إلا كتابه، وأن يعصم إلا رسوله .

وإذا اشتبه الحق في هذا الباب أو غيره فليدع بما رواه مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول إذا قام يصلي من الليل « اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم »

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١) ان الاعتبار في محله وان كان بنو إسرائيل قالوا هذا عقب خروجهم من مصر وقبل نزول التوراة وكانت الوثنية المصرية غالبية عليهم ولكنهم علموا ان موسى عليه السلام دما فرعون وقومه الى عبادة الله وحده وشاهدوا الآيات الدالة على صدقه وكانهم ظنوا ان الاله الذي يجعلهم لهم لا ينافي عبادته وحده كما يظن القبوريون من المسلمين اليوم بجعلهم ، وقد قال لهم موسى (انكم قوم تجهلون * ان ههنا متبر ما هم وباطل ما كانوا يعملون) ولم ينعمهم هذا العلم من عبادة العجل بعد ذلك

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة فيما يدلي به العاصب من الورثة وما لا يدلي

من حمد بن ناصر إلى الاخ المكرم محمد بن عبد الوهاب بن صالح قاضي بلد
الرياض في آخر وقت الدرعية
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد: وصل خطك وصلك الله إلى رضوانه وتسأل عن معنى بيت الجعبري حيث قال:

وبالجهة التقديم ثم بقربه وبعدها التقديم بالقوة اجملا

فاعلم انه اذا اجتمع عصابة فتارة يستوون في الدرجة والجهة والقوة اولاً .

فان استووا فيما ذكرنا اشتركوا في المال ، وفيما أبقت الفروض ، وان لم يستووا

في ذلك حجب بعضهم بعضاً

والجهات سبع ، البنوة ، ثم بعدها الابوة ، ثم الجدودة والاخوة عند من يقول:

ان الاخوة يشاركون الجد ، ثم بنو الاخوة ، ثم العمومة ، ثم الولاء ، ثم بيت المال

إذا فهمت ذلك فاذا اجتمع عاصبان فن كانت جهته مقدمة فهو المقدم وان

بعد على من كانت جهته مؤخرة ، فذ اجتمع ابن ابن أخ شقيق او لاب فهو

مقدم على ابن العم ، وهذا معنى قول الجعبري رحمه الله تعالى « فبالجهة التقديم »

فان كانوا في الجهة سواء . فالقريب درجته هو المقدم ، كالابن يقدم على ابن الابن

وكذلك لو اجتمع ابن أخ لاب مع ابن ابن أخ شقيق فابن الاخ للاب

يقدم على ابن ابن الاخ الشقيق النازل بالاجماع ، لان الاول اقرب ، ومعنى قول

الجعبري رحمه الله تعالى « ثم بقربه » اذا اجتمع عاصبان من جهة واحدة وكان أحدهما

اقرب درجة فلا شيء للبعيد كما مثلته لك ، فان استووا في الجهة والدرجة وكان

أحدهما أقوى وهو الذي يدلي بقرابتين فهو المقدم على المدلي بقرابة واحدة

مثاله إذا اجتمع اخ شقيق وأخ لاب فقد استويا في الجهة والدرجة فالشقيق هو المقدم . وهذا هو معنى قول الجعبري * وبعدهما التقديم بالقوة اجعلا * يعني ان ذا القرابتين يقدم على ذي القرابة الواحدة إذا استويا في الجهة والدرجة، وحاصل الامر ان الابن يقدم على ابن الابن، وان ابن الابن مقدم على الاب في العصب والاب مقدم على الجد مطابقاً ، والاب مقدم على الاخ الشقيق ، والاخ الشقيق مقدم على الاخ للاب ، والاخ للاب مقدم على ابن الاخ الشقيق ، وابن الاخ الشقيق مقدم على ابن الاخ للاب ، والاخ للاب مقدم على ابن الاخ ، الشقيق الذي هو أنزل منه، وبنو الاخوة الاشقاء او لاب مقدمون على العمومة . فلا يرث العم مع ابن الاخ سواء كان ابن أخ شقيق اولاب وان نزل، والعم للاب لا يرث مع العم الشقيق ، والعم للاب يقدم على ابن العم الشقيق لانه أقرب وابن العم الشقيق قدم على ابن العم للاب لانه اقوى

واما قولك : مامعنى التماثل والتناسب . فاعلم انه إذا كان الكسر على أكثر من فريق ونظرت بين كل فريق وسهامه ثم نظرت بين الرؤوس والرؤوس فانه لا يخلو من اربع احوال

اما أن تجد بين الرؤوس والرؤوس تماثلة . ومعنى الماثلة هنا المساواة في العدد كثلاثة وثلاثة ، وخمسة وخمسة ، وستة وستة . فهذا الماثلة وحكمه كما قال الناظم . فخذ من الماثلين واحداً * فاذا وجدت رؤساء تماثلة في العدد فخذ رؤوس أحدهما واكتف به، فان لم تجد بين الرؤوس والرؤوس تماثلة فانظر هل تجد بينهما مناسبة، والمناسبة هي المداخلة ، ومعناها ان الاصغر يدخل في الاكبر فاذا سلطته عليه فناه من غير زيادة ولا نقصان . وذلك كاثنتين واربعة واثنين وثمانية او خمسة وعشرة وثلاثة وتسعة، هذا هو معنى المناسبة وحكمه كما قال الناظم : وخذ من المناسبين لزايد * يعني العدد الاكبر خذه واكتف به عن الاصغر فان لم تجد بينهما تماثلة

ولا مناسبة فانظر هل تجد بينهما موافقة ، وهي أن يكون بينهما موافقة في جزء من الاجزاء كاربعة وستة او ستة وثمانية او ستة وتسعة او أربعة وعشرة ، وحكم هذا النوع هو ما قل الناظم * واضرب جميع الوفاق في الموافق * فإذا كان معك أربعة وستة فقد توافقا بالانصاف فخذ نصف أحدهما واضربه في كامل الآخر فتبلغ اثني عشر ، وهكذا تفعل في الباقي تأخذ الوفاق فتضربه في كامل الآخر فإن لم يكن مناسبة ولا موافقة ، فقد حصل التباين وحكمه كما قال الناظم .

وخذ جميع العدد المبين واضربه في الثاني ولا تداهن وذلك كالثلاثة وخمسة وخمسة وتسعة انتهى . وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم . تمت

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ رسالة فيما يلحق بالتقدين في الزكاة وما لا يلحق فيها مما يتعامل به الناس به ﴾

من حسن بن حسين الى الاخ سعد العجيري . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته الخط وصل وصلى الله الى رضوانه . وما سألت عنه من : هل الجدد ملحقة بالتقدين أو بالعروض فنقول :

اعلم ان المختار المقتطوع به عند علمائنا انها ملحقة بالعروض كالفلوس فتكون عرضاً من سائر العروض وتحسب بقيمتها في باب الزكاة كما تحسب العروض بالقيمة ، كذا قالوا ، وقد اعتنوا بتمييز ما فيها من الفضة فلم يجدوا فيها إلا القليل وأما إلحاقها بالتقدين فهو خطأ ، والقائل به قد قال شططا ، إذ كيف يلحق ما ليس نقداً بالنقود . وأما قول القائل : ان بعض الجدد فيه من الفضة النصف وبعضها فضة خالصاً فهذا ممنوع غير مسلم ، وتحديد صرف الريال بالسبع أو الثمان من الجدد باطل ، ولو فهم هذا القائل اختيار الشيخ في مسألة "مد" عجوة لم يكن فيها نجود . والسلام . والخط على عجلة .

مِرسَالة
تَنْزِيهِ الذِّكْرِ وَالصِّفَاتِ
مِنْ قَرَفِ اللُّحَاوِ وَالشُّهُبَاتِ

لِبَعْضِ عُلَمَاءِ نَجْدِ الْأَعْلَامِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الانسان لعبادته ، وشرفه بخطابه ورسالته ، وأمره ونهاه ، وألهمه فجوره وتقواه ، لما أراد منه وقدره عليه ، ليكون مصيره ومتناه اليه ، لا إله إلا هو ولا رب سواه ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله (أما بعد) فقد قال الله سبحانه وتعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون * ما اريد منهم من رزق وما اريد أن يطعمون * ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) اي ان الله سبحانه غني كريم عزيز حكيم فهو محسن إلى عبده مع غناؤه عنه ، يريد به الخير ويكشف عنه الضر لا ليلب منفعة ولا لدفع مضرة ، بل رحمة منه وإحساناً ، فهو سبحانه لم يخلق خلقه ليستكثر بهم من قلة ، ولا ليعنز بهم من ذلة ، ولا ليرزقوه ولا لينفعوه ولا ليدفعوا عنه بل ما خففهم (إلا ليعبدوه) حق عبادته . وأما العباد فانهم لفقروم وحاجتهم أما يحسن بعضهم إلى بعض حاجته وانتفاعه به عاجلاً أو آجلاً ، ولولا تصور ذلك النفع لما احسن اليه ، فهو في الحقيقة انما أراد الاحسان الى نفسه ، وجعل احسانه الى غيره وسيلة وطريقاً الى وصول ذلك الاحسان اليه ، فانه إما أن يحسن اليه لتوقع جزائه في العاجل فهو محتاج الى ذلك الجزاء معاضاً باحسانه ، أو لتوقع حمده وشكره ، فهو محسن الى نفسه باحسانه الى غيره ، وإما ان يريد الجزاء من الله في الآخرة فهو ايضا محسن الى نفسه بذلك كما قال تعالى (ان احسنتم احسنتم لانفسكم) وقال تعالى (وما تفعلوا من خير يوف اليكم) وقال رسول الله ﷺ فيما رواه عن ربه عز وجل « يا عبادي انكم لن تبغوا ضري فتضروني ، ولن تبغوا نفعي فتنفعوني ، انما هي اعمالكم احصياها لكم ثم اوفيكم اياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن

الا نفسه » وقال تعالى (أنحسبتم أنما خلقناكم عبثاً ؟) اي لعباً وباطلاً لا لحكمة ، وهو منصوب على الخلق اي عابثين ، وقيل للعبث ، اي لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا لثواب ولا عقاب ، وهو مثل قوله (أنحسب أن انسان ان يترك سدى ؟) وانما خلفتم للعبادۃ واقامة اوامر الله تعالى واجتناب نواهيه (و) حسبتم (انكم الينا لا ترجعون) في الآخرة لنجازيكم بما عملتم ، ولولا ذلك اليوم لما تميز المطيع عن العاصي والصديق عن الزنديق ، ويكون هذا الخلق عبثاً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وأول ما يرفع سمعك في المصحف من الامر - بعد ما بين الله مراتب الخلق بين مؤمن وكافر ومنافق - (يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذي جعل لكم الارض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) وقال تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً) أمر تعالى بعبادته وحده لا شريك له ، فانه الخالق الرازق المتفضل على خلقه بآلائه في جميع الحالات فهو المستحق منهم ان يوحده في عبادته لا يشركوا به شيئاً من مخلوقاته ، كما قال ﷺ لمعاذ « أتدري ما حق الله على العباد ؟ » قال الله ورسوله أعلم ، قل « ان يعبدوه لا يشركوا به شيئاً » ثم قل « أتدري ما حق العباد على الله اذا هم فعلوا ذلك ؟ ان لا يعذبهم » وللعبادۃ شرطان (أحدهما) الاخلاص في العمل لفعله تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) اي الملة المستقيمة والشريعة المتبعة ، وانما أضاف الدين للقيمة وهي نعته لاختلاف اللفظين ، وانث القيمة رداً إلى الملة ، وقيل القيمة جمع القيم

واحتج بهذه الآية من قل الايمان عبارة عن اقول والاعتقاد ، والعمل هو الدين ، لأنه تعالى ذكر في هذه الآية مجموع هذه الثلاثة قال (وذلك دين القيمة) اي وذلك المذكور دين القيمة ، لان الدين هو الاسلام ، والاسلام هو الايمان

لقله تعالى (إن الدين عند الله الاسلام) والاسلام هو الايمان من وجهين
 (الاول) ان الايمان لو كان غير الاسلام لما كان مقبولا عند الله لقوله تعالى
 (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه) ولكن الايمان بالاجماع مقبول عند
 الله فلا شك انه عين الاسلام كما هو ظاهر
 (والوجه الثاني) قوله تعالى (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين * فما
 وجدنا فيها غير بيت من المسلمين)

وقال بعضهم الاشارة في ذلك راجعة إلى الاخلاص من قوله تعالى (مخلصين
 له الدين) وأما مجموع ما تقدم فهو الدين الكامل أي المستقل بنفسه
 (والشرط الثاني) متابعة الرسول ﷺ بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه
 كما قال تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني) وقال تعالى (فليحذر الذين
 يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم)
 قل الاخفش في قوله (عن أمره) صلة. والمعنى يخالفون أمره ﷺ. وقل
 غيره عن أصلية، والمعنى يعرضون عن أمره ويميلون عن سنته ، وقال تعالى (وما
 آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)

وكان سبب نزول قوله تعالى (فليحذر الذين) الآية انه كان ﷺ يعرض
 في الخطبة بالمنافقين ويعيبهم فاذا سمع المنافقون ذلك خرجوا ولم يصلوا
 (والثانية) نزلت في أموال الفئء والغنيمة، والمعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص
 السبب، فهو عام في كل ما أمر به ﷺ ونهى عنه من قول وعمل، كما هو جار في
 جميع الخطاب المتعلق بأفعال المكلفين ، فكيف وقد أوجب الله طاعته بقوله تعالى
 (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) قال ابن
 عباس وجابر، هم الفقهاء والعلماء الذين يعلمون الناس معالم دينهم على شريعته
 ومنهاجه وهو قول الحسن والضحاك ومجاهد مستدلين على ذلك بقوله (ولو

ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم)
وقال ابو هريرة : هم الامراء والولاة الذين يعلمون ويحكمون بما أنزل الله
على رسوله ﷺ

وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه « حق على الامام ان يحكم بما أنزل الله
ويؤدي الامانة فاذا فعل ذلك فحق على الرعية ان يسمعوا له ويطيعوا »
وعن ابي هريرة قل : قال رسول الله ﷺ « من أطاعني فقد أطاع الله
ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن أطاع اميري فقد أطاعني ، ومن عصى
اميري فقد عصاني »

وعن نافع بن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ انه قال « السمع والطاعة
على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤثر بمعصية ، فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة »
وقل عبادة بن الصامت : بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في
اليسر والعسر ، وان تقوم - او نقول - بالحق حبنا كفا ، لانخاف في الله لومة لائم »
ومن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ انه قال « اسمع وأطع ولو
لعبد حبشي كان رأسه زبيبة »

وعن ابي امامة قال : سمعت رسول الله ﷺ يخطب في حجة الوداع فقال
« يا أيها الناس اتقوا الله ، وصلوا خمسكم ، وصوموا شهركم ، وأدوا زكاة أموالكم
وأطيعوا اذا أمركم تدخلوا جنة ربكم »

فطاعة هؤلاء من طاعته ﷺ الواجبة على كل مكلف ، وقال تعالى (فان
تنازعتكم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله) أي إلى كتاب
الله وإلى رسوله في حياته وبعد وفاته إلى سنته

وقال مجاهد وغير واحد من السلف هذا امر من الله عز وجل بان كل شيء
تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه يرد التنازع في ذلك إلى كتاب الله

وسنة رسوله كما قال تعالى (فما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله) فما حكم به كتاب الله وسنة رسوله فهو الحق (وماذا بعد الحق إلا الضلال) ولهذا قال تعالى (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) أي ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنة رسوله فتحاكموا اليها فيما شجر بينكم إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر . فدل على ان من لم يتحاكم في مجال النزاع إلى الكتاب والسنة ولم يرجع اليها في ذلك فليس مؤمناً بالله واليوم الآخر

فأرد إلى الكتاب والسنة واجب لصريح الامر وتعليق الايمان عليه وجوداً وعدمًا لان الوعيد عائد إلى قوله (فردوه) والشرط جوابه محذوف عند جمهور البصريين ، أي فردوه إلى الله وهو المتقدم عند غيرهم كما جاء الوعيد في قوله (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) فالوعيد عائد إلى التحكيم ، ولا أصلية ، والمعنى ليس الامر كما يزعمون انهم آمنوا وهم يخالفون حكمك . نعم استأنف بعد ذلك . فعلى هذا يكون الوقف على « لا » تاماً ، وقيل ان « لا » مزيدة لتأكيد معنى القسم كما زيدت في (لئلا يعلم)

وقد جاء في الحديث « والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواد تبعاً لما جئت به »

وسبب نزول هذه الآية مارواه ابن أبي حاتم عن أبي الاسود قل : اختصم رجلان إلى رسول الله ﷺ ف قضى بينهما فقال الذي قضى عليه : ردنا إلى عمر ابن الخطاب فقال نعم فانما لمقا اليه ، فقال الرجل : يا ابن الخطاب قضى لي رسول الله ﷺ على هذا فقال ردنا إلى عمر فردنا إليك ، فقال أ كذالك ؟ فقال نعم . فقال عمر مكالمك حتى أخرج اليكما فأقضي بينكما فخرج اليهما مشتملا على سيفه فضرب الذي قال ردنا إلى عمر فقتله وأدبر الآخر فاراً إلى رسول الله . فقال يارسول الله قتل عمر والله صاحبي ، ولو ما لي أعجزته لقتاني فقال رسول الله « كنت

ما أظن أن يتجرأ عمر على قتل مؤمن « فأنزل الله (فلا وربك لا يؤمنون) الآية فهدر دم ذلك الرجل ويريء عمر منه . فعلى هذا تكون الآية متعلقة بما قبلها وهو اقرب للمقام من السبب الآتي ذكره ، وبه قل مجاهد وعطاء والشعبي وغيرهم من علماء السلف

وقيل ان هذه الآية نزلت في أنصاري مجهول . وقيل في حاطب بن ابي بلتعة الانصاري البصري (١) حين اختصم مع الزبير عند رسول الله في سقيا ماء ، فحكم صلى الله عليه وسلم الزبير فقال حاطب . ابن عمك ، فتلون وجهه النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية ،

وعلى هذا تكون الآية مستأنفة حيثند [الراجح مسايل الماء] (٢) (ثم لا يجحدوا في انفسهم حرجا) قال مجاهد شكاً وقال غيره ضيقاً (مما قضيت ويسلموا تسليما) اي انقادوا لامرك

(١) ليس في البصريين من الانصار رجل اسمه حاطب بن ابي بلتعة وانما فيهم حاطب بن عمرو . كذا في هامش الاصل . ولكن لهذا القيل اصلا اخرجه ابن ابي حاتم من مراسيل سعيد بن المسيب وهي اقوى المراسيل قال نزلت في الزبير ابن العوام وحاطب بن ابي بلتعة وأخذ بهذه الرواية انعملي وعنه الواحدي وغيرهما وعدنيانا لرواية البخاري عن عروة عن عبد الله بن الزبير انه حدثه ان رجلا من الانصار خاصم الزبير عند النبي (ص) في شراج الحجرة التي يسقون بها النخل الخ ولما كان حاطب هذا مهاجريا أنصاريا قال بعض العلماء في توجيه الجمع بين الروايتين انه كان حليفا للانصار وقد سمي هذا الانصاري بعض الرواة باسماء اخرى منها قول الواحدي انه ثعلبة بن حاطب وقال بعضهم انه كان من المنافقين والصواب الاكتفاء بانهامه كما فعل البخاري

(٢) صواب هذه الكلمة الشراج ككتاب وهو مفرد جمعه شراج وشرج كبجار وبعور وهي مسائل الماء التي اختصم فيها الزبير مع الانصاري ولم تذكر هنا ولعلها سقطت من قلم النساخ

وقال ﷺ « وكل ما ليس عليه أمرنا فهو رد » (١) وقال ﷺ « إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار » أي صاحبها فلا يعبد الله إلا بما شرع على لسان نبيه ﷺ .

ومعنى لا إله إلا الله توحيده في عبادته مع انتبري من كل معبود سواه كما أخبر الله عن نبيه إبراهيم عليه السلام بقوله تعالى (إني براء مما تعبدون إلا الذي فطرنى) وهذا هو الذي تضمنه قول لا إله إلا الله . فمما دعت الرسل أممها إلى قول هذه الكلمة واعتقاد معناها والعمل به لا بمجرد قولها باللسان . ومعناها هو افراد الله بالالهية والعبادة والنفي لما يعبد من دونه ، والبراءة منه كما حكي الله عن إبراهيم عليه السلام (إني براء مما تعبدون إلا الذي فطرنى) وقال ﷺ « من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دونه حرم ماله ودمه وحسابه على الله » رواه مسلم . فحينئذ من لا يكفر بكل معبود سوى الله لا يحرم دمه وماله ولا يكون مسلماً بمجرد التلفظ بلا إله إلا الله إلا إذا أضاف إليها الكفر بما يعبد من دون الله ولا بمعرفة معناها مع التلفظ بها بل ولا كونه لا يدعو إلا الله ، ولم يكفر بما يعبد من دون الله لم يكن مسلماً بذلك فلا يحرم ماله ودمه فهذا أصل لامرية فيما تضمنه ولا شك فيه ، وأنه لا يتم إيمان أحد حتى يعلمه ويعمل به (فان قيل) قد أنكر ﷺ على أسامة قتله لمن قال لا إله إلا الله ؟

(فالجواب) انه لا شك ان من قال لا إله إلا الله من الكفار حقن دمه وماله حتى يتبين منه ما يخالف ما قامه ، ولذا أنزل الله في قصته (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا) الآية فان تبين التزامه لمعناها وهو افراد الالهية والعبودية لله تعالى كان له ماله المسلمين وعليه ما عليهم . وان تبين خلافه لم يحقن

(١) المعروف من رواية البخارى ومسلم من حديث عائشة وغيرها « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد »

بمجرد التلطف ماله ودمه ، وهكذا كل من أظهر اتوحيد وجب السكف عنه إلى أن يتبين منه ما يخالف ذلك .

واعلم ان التوحيد قسمان ، القسم الاول توحيد الربوبية والخالقية ونحوها ، ومعناه ان الله وحده هو الخالق للعالم وهو الرب لهم والرازق لهم ، وهذا لا ينكره المشركون ولا يعملون لله فيه شريكا ، بل هم مقرون به كما أخبر الله عنهم في غير موضع من كتابه والقسم الثاني توحيد العبادة ومعناه افراد الله وحده بجميع انواع العبادة الآتي بيانها فهذا هو الذي جعلوا لله فيه شركاء ، وانفط شريك يشعر بالاقرار بالله تعالى

فالرسل عليهم السلام بعثوا التقرير الاول ، ودعاء المشركين لله عند قولهم في خطاب المشركين (أفى الله شك ؟ * هل من خالق غير الله ؟) ولنهيهم عن شرك العبادة ، وكذلك قال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله) أي قائلين لا ممهم (أن اعبدوا الله) وحده (واجتنبوا الطاغوت) وهو كل ما يعبد من دون الله ، فأؤاد بقوله تعالى (في كل أمة) ان جميع الامم لم ترسل اليهم لرسول وتبعث إلا بطلب توحيد العبادة لا للتعريف بأن الله هو الخالق للعالم وانه رب السموات والارض ، فانهم مقرون بذلك ، ولهذا لم ترد الآيات في الغالب إلا بصيغة استفهام التقرير نحو (هل من خالق غير الله * أفن يخلق كمن لا يخلق * أفى الله شك فاطر السموات والارض * أغير الله أنخذ ولياً فاطر السموات والارض * أروني ماذا خلق الذين من دونه * أروني ماذا خلفوا من الارض) استفهام تقرير لهم لانهم به مقرون ،

وبهذا يعرف ان المشركين لم يتخذوا الاوثان والاصنام ولم يعبدوها ولم يتخذوا المسيح وأمه ولم يتخذوا الملائكة شركاء لله تعالى في خلق السموات والارض وفي خلق أنفسهم ، بل اتخذوهم أولياء يقربونهم الى الله زلفى كما قالوه فهم مقرون بالله تعالى في نفس كلمات كفرهم وانهم شفعاء عند الله تعالى (قل

أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون)
فجعل سبحانه وتعالى اتخذهم للشفعاء شركا ونزه نفسه عنه لانه لا يشفع عنده أحد إلا
بإذنه، فكيف يشبتون شفعاء لم يأذن الله لهم في الشفاعة ولا يغنون عنهم من الله شيئا ؟

﴿ فصل في أنواع العبادة الاربعة ﴾

(ودعوة الرسل كلهم الى جعلها كلها لله وحده)

والعبادة أنواع : اعتقادية - وهي أساسها - وذلك أن يعتقد انه الرب الواحد
الأحد الذي له الخلق والامر ، ويبدئه النفع والضرر، وانه الذي لا شريك له ولا
يشفع عنده أحد إلا بإذنه، وانه لا معبود بحق إلا هو، وغير ذلك مما يجب له من لوازم
الآلية . ومنها لفظية وهي النطق بكلمة التوحيد ، فمن اعتقد ما ذكر ولم ينطق
بها لم يحقن دمه ولا ماله . وكان كالبليس ، فانه يعتقد التوحيد بل ويقر به ولم يمثل
أمر الله بالسجود فكفر ، ومن نطق ولم يعتقد حقن ماله ودمه وحسابه على الله
وحكمه حكم المنافقين . وبدنية كالقيام والركوع والسجود في الصلاة ، ومنها الصوم
وافعال الحج والطواف . ومالية كإخراج جزء من المال امتثالا لما أمر الله تعالى به .
وأنواع الواجبات والمندوبات في الابدان والاموال والافعال والاقوال
كثيرة ، لكن هذه أمهاتها ،

واذا تقررت هذه الامور فاعلم ان الله تعالى بعث الانبياء عليهم السلام من
أولهم الى آخرهم يدعون العباد الى افراد الله بالعبادة ، لا الى اثبات انه خلقهم
ونحوه إذ هم مقرون بذلك كما ذكرناه ولم يعبدوا الاصنام بالخضوع لهم والتقرب
بالندور والنجس لهم إلا لاعتقادهم انها تقربهم الى الله وتشفع لهم لديه ، فأرسل الله
الرسل تأمرهم بترك عبادة كل ما سواه وان هذا الاعتقاد الذي يعتقدونه في الانداد
باطل والتقرب اليهم باطل وان ذلك لا يكون إلا لله وحده وأمر عباده ان
يقولوا (إياك نعبد)

ولا يصدق قائل هذا إلا اذا أفرد العبادة لله وإلا كان كاذباً منهاً عن ان يقول هذه الكلمة إذ معناها نخصك بالعبادة ونفردك بها وهو معنى قوله (فإياي فاعبدون * وإياي فاتقون) لما عرف من علم البيان ان تقديم ماحقه التأخير يفيد الحصر أى لا تعبدوا إلا الله ولا تعبدوا غيره ، ولا تتقوا إلا الله ولا تتقوا غيره كما في الكشف

فأفراد الله تعالى بتوحيد العبادة لا يكون إلا بان يتم جميعها كلها له ، والنداء في الشدائد والرجاء لا يكون إلا لله وحده ، والاستغاثة والاستعانة بالله وحده ، واللجأ الى الله والنذر له والنحر له وجميع أنواع العبادة ، ومن يفعل شيئاً من ذلك لمخلوق من حي أو ميت أو جاد فقد أشرك في العبادة وصار من يفعل له هذه الامور إلهاً لعابديه ، سواء كان ملكاً أو نبياً أو ولياً أو شجراً أو قبراً أو جنياً. وصار بهذه العبادة أو بأي نوع منها عبداً لذلك المخلوق ، وإن أقر بالله وعبدته فن قرار المشركين بالله وتقربهم اليه لم يخرجهم عن الشرك وعن وجوب سفك دمائهم وسبي ذرائعهم ونهب أموالهم ، فان الله تعالى أغنى الشر كاء عن الشرك لا يقبل عملاً شورك فيه غيره ولا يؤمن به عبد عبد معه غيره كما أخرجه مسلم من حديث ابى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله انا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه »

وقد عرفت من هذا كله ان من اعتقد في شجر او حجر او قبر او ملك او حي او ميت انه ينفع او يضر ، وانه يقرب إلى الله او يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع به إلى الرب تعالى - الا ماورد في حديث فيه مقال في حق نبينا صلى الله عليه وسلم او نحو ذلك - فانه قد أشرك مع الله غيره واعتقد مالا يحل اعتقاده - لقوله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً)

وعن أنس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « قال الله يا ابن آدم انك لو أتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة » (١)
وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال من اراد ان ينظر إلى وصية محمد ﷺ فليقرأ (قل تعالوا أنل ما حرم عليكم ربكم ان لا تشركوا به شيئاً — إلى قوله — وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)

وعن معاذ بن جبل قال كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال « يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله ؟ » قلت الله ورسوله أعلم ، قال ﷺ « ان حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً » قلت يا رسول الله أفلا أبشر الناس ؟ قال « لا تبشروهم فينكلوا » أخرجاه في الصحيحين

فصل

(في الشرك الاكبر بدعاء غير الله عز وجل)

وما تساهل فيه الناس من أنواع العبادة دعاء المسألة الذي أخبر الله به سبحانه وتعالى عن موسى وهارون بقوله تعالى (ربنا إنك آتيت فرعون وملائه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ، ربنا ليضلوا عن سبيلك ، ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) قال العلي العظيم (قد أجيبت دعوتكما) أي مأسألتماه ، فاستقيما) على دعوة الله إلى ان يأتيهم العذاب وأخبر سبحانه وتعالى عن زكريا عليه السلام بقوله (بهيئص * ذكر رحمة ربك عبده زكريا * اذ نادى) أي دعا (ربه نداءً خفياً) أي دعا الله سرّاً في

(١) رواه الترمذي وحسنه : والحاكم : وقال صحيح الاسناد

قومه (قل رب اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شقياً) وأخبر سبحانه وتعالى عن أيوب عليه السلام بقوله (وأيوب اذ نادى ربه) أى دعاه (اني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين * فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر) وقال تعالى (ادعوني أستجب لكم)

قل الجمهور: هو أمر بالدعاء الذي هو أخص من العبادة لقوله تعالى (أستجب لكم) وقيل انه أمر بالعبادة التي هي أعم من الدعاء لقوله تعالى (ان الذين يستكبرون عن عبادتي) فاجيب عن ذلك بان الدعاء اعتراف بالعبودية والذلة والمسكنة فما يتركه إلا مستكبر عن اظهار العبودية ، ولما عبر عن العبادة بالدعاء جعل لاثابة استجابة .

وعن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر « الدعاء هو العبادة » ثم قرأ (وقل ربكم ادعوني أستجب لكم * ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) أي صاغرين ، أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح ، وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « انه من لم يسأل الله يفضب عليه » أخرجه الترمذي ، وعنه عن النبي ﷺ قال « ايس شيء أكرم على الله من الدعاء » أخرجه الترمذي

فإذا استكملت شروط الدعاء حصلت الاجابة قطعاً للوعد الحق ، ولما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ « ما من رجل يدعو الله إلا استجاب له إما أن يعجله له في الدنيا وإما أن يدخره له في الآخرة وإما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعاه ، ما لم يدع بأثم أو قطيعة رحم أو يستعجل » قالوا يا رسول وكيف يستعجل؟ قال « يقول دعوت ولم يستجب لي » وقال تعالى (وإذا سألك عبادي عني فاني قريب) قل ابن عباس ، قال يهود المدينة : يا محمد ، كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء خمسمائة عام وبين كل سماء خمسمائة عام ، وغلظ

كل سماء خمسمائة عام ؟ فنزلت هذه الآية (١) وقيل سأل بعض الصحابة النبي ﷺ : أقرب ربنا فتناجيه او بعيد فناديه ؟ فنزلت هذه الآية بقوله (اني قريب) اي بالعلم لا يخفى عليه شيء .

وقال تعالى (أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء) اي المكروب من مرض وبلاء ونازلة من نوازل الدهر فاذا نزلت باحد نازلة بادر الى الالتجاء والتضرع إلى الله تعالى ، فيجيب دعوته فيكشف ما به من مرض وكرب وبلاء لانه لا يقدر على تغير الحال من فقر إلى غنى ، ومن مرض إلى صحة ، ومن ضيق إلى سعة ، إلا القادر الذي لا يعجز ، واثقاهر الذي لا يغلب (ويجعلكم خلفاء الارض إله مع الله) تدعونه في جلب النفع وكشف الضر (قليلا ما تذكرون) أي تتعظون وقال صاحب الكشاف : الاضطراب الحال المحوجة الى الالتجاء ، اضطره إلى كذا ، والفاعل والمفعول مضطرب^٢ وهو من أصابه مرض او فقر او نازل نزل به أحوجه الى التضرع إلى الله وقال السيد الذي لا حول له ولا قوة ، والخلاف لفظي وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله) اي ادعوهم ليكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم فانهم (لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض) من خير وشر (وما لهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير) اي لا شريك ولا معين (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) تكذيباً لهم حيث قالوا (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وقال تعالى (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير) القشرة الرفيعة التي على النواة (ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا) على سبيل الفرض والتقدير لان لو حرف امتناع (ما استجابوا لكم) أي ما أجابوكم فيما

« ١ » هذا الحديث لا يصح بل هو من الاسرائيليات

(٢) يعني ان لفظ اسم الفاعل والمفعول واحد لا يظهر الفرق بينهما في النطق

لسبب الادغام

سألنهم (وبوم القيامة يكفرون بشرككم) اي يتبرءون منكم ، ومن دعائكم ، (ولا ينبئك مثل خبير)

وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه) وذلك ان المشركين أصابهم فحط شديد حتى أكلوا الكلاب والجيف فاستغاثوا بالنبي ﷺ ليدعو لهم فقل الله عز وجل (قل) للمشركين (ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنهم - اي الجوع والفقير - ولا تحويلا) الى غير لم

والمقصود من الآية حيث قالوا : ليس لنا أهلية أن نشغل بعبادة الله فنحن نعبد هؤلاء المقربين إلى الله وهم الملائكة ، ثم انهم اتخذوا لذلك الملك الذي عبده تماثلا وصورة واشتغلوا بعبادته ، فاحتج على بطلان قولهم بهذه الآية ، ثم قال تعالى (أولئك الذين يدعون) يعني الذين يدعوههم المشركون (يبتغون إلى ربهم الوسيلة) أي القربة والدرجة العليا قل ابن عباس : هم عيسى وأمه والعزير والملائكة . وقال ابن مسعود : نزلت هذه الآية في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن فأسلم أولئك الجن ولم يعلم الانس بذلك فتمسكوا بعبادتهم فغيرهم الله من حال الى حل ، وأنزل هذه الآية . وقوله تعالى (أيهم أقرب) معناه أي ينظرون أيهم أقرب الى الله فيتوسلون به ، وقيل أيهم أقرب يبتغي الوسيلة الى الله بالعمل الصالح ، وعليه الا كثرون (ويرجون رحمته) أي جنته (ويخافون عذابه) ناره كغيرهم ، فاذا كن الملائكة والمسبح والعزير لا يقدر على كشف الضر وجلب النفع فكيف بغيرهم ؟

وقال تعالى (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك) ان عبدته بشي من أنواع العبادة (ولا يضرك) ان تركت عبادته (فان فعلت) مانهيتك عنه فعبدت غيره او طلبت النفع وكشف الضر من غيره (فانك اذا من الظالمين) فهذا الخطاب وان كان للنبي ﷺ فالمراد به غيره ، لانه ﷺ لم يدع من دون الله شيئا البتة . فعلى

هذا المعنى المراد : ولا تدع من دون الله أبها الانسان مالا يفعلك ولا يضرك .
وقال تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له) يعني الاصنام
لا تجيب دعاء عابديها فيما يسألونها (الى يوم القيامة) أي لا تجيبهم (وهم عن دعائهم
غافلون) أي لا يسمعون ولا يفهمون (واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا
بعبادتهم كافرين) أي جاحدين ، وكل من دعا من دون الله فيما لا يقدر عليه
الا الله فقد أشرك ، لان الدعاء اعتراف بالعبودية ، فدعائه له صيره الها .

وقال تعالى (له دعوة الحق) يعني دعوة الصديق ، وقال علي : دعوة الحق
التوحيد وقال ابن عباس : دعوة الحق شهادة أن لا اله الا الله ، والخلاف بينهما
لفظي . وقال صاحب الكشف دعوة الحق فيها وجهان (أحدها) أن تضاف
الدعوة الى الحق الذي هو تقيض الباطل على ان الدعوة ملازمة للحق مختصة به ،
وانها بمعزل عن الباطل ، والمعنى ان الله يدعى فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي
سؤاله (والوجه الثاني) أن تضاف الدعوة الى الحق الذي هو الله على معنى دعوة
الحق الذي يسمع ويحيب . وعن الحسن انه الحق وكل دعاء اليه دعوة الحق .
(والذين يدعون من دونه) أي يدعونهم من دون الله (لا يستجيبون لهم بشيء) أي
لا يجيبونهم فيما يسألونه منهم من نفع ودفع ضر اذا دعوه (الا باسط كفيه الى
الماء ليبلغ فاه) يعني ان استجابتهم لهم كاستجابة الماء لمن باسط كفيه
اليه يطلب منه أن يبلغ فاه ، وكذلك ما يدعونه جماداً لا يحس دعاءهم ولا يستطيع
اجابتهم ، وقيل شبههم في قلة جدوى دعائهم لاهلهم بمن أراد أن يغرف الماء بيده
ليشرب به فبسطهما ناشرأ أصابعه لا يكون منه في يده شيء ، كذلك الذي يدعو
الاصنام بانها لا تضر ولا تنفع ولا بيده منها شيء . وقال مجاهد : كالمطشان الذي
يرى الماء بعينه من بعيد وهو يشير بكفيه الى الماء ويدعوه بلسانه فلا يأتيه أبداً ،
وقال عطاء : كالمطشان الجلس على شفير البئر وهو يمد يده الى الماء فلا هو يبلغ

الماء ، ولا الماء يرتفع اليه ، فلا ينفعه بسط الكف الى الماء ودعاؤه له ، كذلك الذين يدعون الاصنام لا ينفعهم دعاؤهم ، وقال ابن عباس كالعطشان اذا بسط كفيه الى الماء لا ينفعه ذلك ما لم يعرف ولا يبلغ الماء فاد ما دام باسطة كفيه الى الماء (وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) أى كل مدعوسواه يضل عن دعاء اذا احتاج اليه ، وقال ابن عباس : ان اصواتهم محجوبة عن الله تعالى ، وهذا مثل ضربه الله لمن يدعو غيره فيما لا يقدر عليه إلا هو سبحانه وتعالى

وقال تعالى (ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) أى ملك لله أمثالكم لا يملكون لانفسهم شيئاً ، فالذي لا يملك لنفسه شيئاً من نفع كيف يتصور في حقه النفع لغيره (فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين) في دعواكم ، وقال تعالى (قل أرأيتم) يعني قل يا محمد لهؤلاء الذين تركوا عبادة الله وحده وعبدوا معه غيره من الاصنام : اخبروني - تقول أرأيتمك ، يعني اخبرني بحالك - وأصله أرأيتم ، والكاف للتأكيد (إن أنتم عذاب الله) قبل الموت مثل ما نزل بالامم الماضية من الفرق وانخسف والصواعق ونحو ذلك من العذاب (أو أتتكم الساعة) أي القيامة (أغير الله تدعون) في كشف العذاب عنكم (ان كنتم صادقين) في دعواكم

ومعنى الآية ان الكفار اذا نزل بهم بلاء وشدة رجعوا الى الله بالنضرع والدعاء وتركوا الاصنام ، فقل لهم أترجعون الى الله في حال الشدة والبلاء ولا تعبدونه وتطيعونه في اليسر والرخاء ، (بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه إن شاء) من الضر الذي من أجله دعوتهم ، وانما قيد الاجابة بالمشيئة رعاية للمصلحة ، وان كانت جميع الامور بمشيئة سبحانه وتعالى (وتذسبون ما تشركون) أى تتركون دعاء الاصنام التي تدعونها لانها لا تضر ولا تنفع ، وقيل المعنى تركتم دعاء الاصنام بمنزلة من قد نسيها وهذا قول الحسن ، فقد نفى الله عما سواه ما يتعلق به المشركون من دعاء غيره من أن يكون له شرك في مثقال ذرة من نفع أو ضرر ،

٦٨٠ معنى قوله تعالى (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم)

كما قال لنبيه وخليفه (قل لأملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء، إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون) وقال (قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) وقل ﷺ في حديث ابن مظمون «ما يدري ما يفعل به» وفي رواية «ما يفعل بي» أنا رسول الله «وفي الصحيح عن أنس قل: شج النبي ﷺ يوم أحد فقال «كيف يفاج قوم شجوا نبيهم؟» فنزلت عليه (ليس لك من الأمر شيء) وفيه عن ابن عمر أنه سمع النبي ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر «اللهم العن فلانا وفلانا - بعد ما يقول - سمع الله لمن حمده» فانزل الله عليه (ليس لك من الأمر شيء) ولما نزل عليه ﷺ (وأندر عشيرتك الأقربين) صعد إلى الصفا فقال «يا معشر قريش - أو كفة نحوها - اشترُوا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا، ويا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا، ويا صفية عمه رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا، ويا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئا سئلني من مالي» فإذا كان سيد الأولين والآخرين، وإمام المتقين، وحبيب رب العالمين، لا يملك لنفسه ولا لأقاربه نفعا ولا ضرا، فكيف بغيره ممن لا يعلم حاله مع ربه ولا مصيره إلى نعيم أو جحيم؟

فإن كان قيل فيمن عبد الملائكة وعيسى وأمه والله يقول (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم)

قل ابن القيم: في هذه الآية دليل على جواز الخطاب العام وإرادة الخاص من غير بيان تفصيلي ولا اجمالي فان لفظة «ما» عام يشمل اليهودين سوى الله ولم يرد العموم مع تأخير بيان التخصص، فانه لما نزلت هذه الآية قال ابن الزبيري والله لألزم من محمد بهذه الآية، فحضر عند النبي ﷺ وقال لقد عبدت الملائكة وعبد عيسى، فيجب ان يكون هؤلاء حصب جهنم وهو خلاف دينك يا محمد،

فسكت رسول الله ﷺ ولم ينكر عليه، فنزل بعد حين (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) فقد أطلق العام مع ارادة الخاص وبين بعد حين. واعترض على هذا الدليل باننا لانسلم احتياج الآية إلى البيان، وانما تحتاج إليه لو دخلت الملائكة وعيسى في عموم الآية وهو ممنوع، لان «ما» لغير من يعقل فلا تتناول الملائكة ولا عيسى. ولهذا نقل في بعض الروايات ان النبي ﷺ قال لابن الزبيري «ما أجهدك بلغة قومك أما علمت ان «ما» لما لا يعقل و «من» لمن يعقل؟ (١) وانما نزلت (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى) زيادة بيان للجهل المعترض لا بياننا للآية السابقة

وإن سلم ان كلمة (ما) تشملهم فلا تحتاج الآية إلى البيان أيضاً لان العقل يحكم بخروجهم عن الآية لان تعذيب الملائكة وعيسى — بذنب الغير، وهو عبادة الناس اياهم — غير جائز عقلاً، وانما يجوز تعذيبهم لو كانوا راضين بذلك وهو مستحيل في حقهم

فصل

في توحيد الاسماء والصفات والمذهب الصحيح في ذلك

فاذا عرفت ماقرر من توحيد العبادة فاعلم بان ايماننا بما ثبت في نعوته تعالى كاياننا بذاته المقدسة، إذ الصفات تابعة الموصوف فنعقل وجود الباري ونميز ذاته المقدسة عن الاشياء من غير ان نعقل الماهية، فذلك القول في صفاته، تؤمن بها ونعقل وجودها ونعلمها في الجملة من غير تكيف ولا تمثيل، ولا تشبيه ولا تعطيل، ونقول كما قال السلف الصالح: آمنا بالله على مراد الله و (ليس كمثل شيء) وهو السميع البصير) فالاستواء معلوم من الكتاب العزيز (الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)

وكل ما وصف الله به نفسه وجب الايمان به كما يجب الايمان بذاته والكيف

(١) هذا ليس عليه طلاوة كلام الرسول ﷺ

مجهول فيها لاستحالة تصويره ، لقوله تعالى (ليس كمثل شيء ، وهو السميع البصير)
ومن ليس له مثل لا يمكن التصور في ذاته وصفاته لا شرعا ولا عقلا
ومن أول فقد تصور المستحيل في حقه سبحانه وتعالى من المشابهة للحدوث
فما وسعهم مما تصوره من التشبيه لواقع في أذهانهم إلا الفرار منه الى التمثيل
فأولوا اليدين بالقدرة وقد أثبت الله لنفسه يداً وقدرة ، وأولوا الاستواء
بالاستيلاء المفيد للتجدد والحدوث في الملك وهو مستحيل في حقه سبحانه وتعالى
وعطلوا صفتين من صفاته وقد قال تعالى (إن ربكم الله الذي خلق السموات والارض
في ستة أيام ثم استوى على العرش) وقال تعالى (وهو الذي خالق السموات والارض
في ستة أيام وكان عرشه على الماء) وقال تعالى (الرحمن على العرش استوى) وقال
تعالى (الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على
العرش الرحمن) الى غير ذلك من آيات الاستواء

وقال تعالى (ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض انثيا
طوعا او كرها قالتا أتينا طائعين) وقال تعالى (ثم استوى الى السماء فسواهن
سبع سموات) وقال تعالى (يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يرج اليه في
يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون)

وقال تعالى (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) وقال تعالى
(اني متوفيك ورافعك إلي) وقال تعالى (وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه)
وقال تعالى في الملائكة (يخافون ربهم من فوقهم) وقال تعالى (ذى المعارج تعرج
الملائكة والروح اليه)

وقال تعالى (وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب ، أسباب
السموات فأطلع الى إله موسى) وقال تعالى (أأنتم من في السماء) في بمعنى على
كقوله تعالى (فسيحوا في الارض) وقوله (لاصابنكم في جذوع النخل) أى على

لأرض وعلى جذوع النخل. وكذلك في السماء أى على العرش فوق السماء الى غير ذلك من نصوص القرآن العظيم جل منزلته وتعالى قائله

وأما السنة فمن الاحاديث الواردة في العلو حديث معاوية ابن الحكم "سلمي قال: كانت لي غنم بين أحد والجوانية فيها جارية لي، فاطلعت ذات يوم فاذا الذئب قد ذهب منها بشاة. وأنا رجل من بني آدم فأسفت، فصككتها فأثيت الى النبي ﷺ فذكرت ذلك له، فعظم ذلك عليّ، فقلت يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال « ادعها » فدعوها، فقال لها « أين الله؟ » قالت في السماء، قال « من أنا؟ » قالت انت رسول الله ﷺ قال « اعتقها فانها مؤمنة » هذا حديث صحيح أخرجه مسلم وابو داود والنسائي وغير واحد من الائمة في تصانيفهم،

وقال عطاء بن يسار: حدثني صاحب الجارية نفسه قل: كانت لي جارية ترعى الحديث، وفيه فهد النبي ﷺ يده اليها مستفهما « من في السماء؟ » قالت الله، قال « فمن أنا؟ » قالت انت رسول الله، قال « اعتقها فانها مسلمة » وقال النسائي في تفسيره في قوله تعالى (ثم استوى الى السماء) أنبأنا قتيبة عن مالك عن هلال ابن اسامة عن عمر بن الحكم قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله إن جارية لي كانت ترعى غنما لي فجثتها ففقدت شاة من الغنم سألتها عنها فقالت أكلها الذئب، فأسفت عليها وكنت رجلا من بني آدم، فطلمت وجهها وعلي رقبه فأعتقها؟ فقال لها رسول الله ﷺ « أين الله؟ » قالت في السماء، قال « فمن أنا؟ » قالت انت رسول الله، قال « فاعتقها » كذا سماه مالك عمر بن الحكم

وعن أبي هريرة قال جاء رجل الى رسول الله ﷺ بجارية اعجمية فقال يا رسول الله إن علي رقبه مؤمنة فأعتق هذه؟ فقال لها « أين الله؟ » فأشارت الى السماء، قال « فمن أنا؟ » فأشارت الى رسول الله ﷺ ثم الى السماء قال « أعتقها فانها مؤمنة »

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاء رجل الى النبي ﷺ ومعه جارية سوداء أعجمية فقال علي رقة فهل تجزيء هذه عني ؟ فقال « أين الله؟ » فأشارت بيدها الى السماء ، فقال « من أنا ؟ » قالت أنت رسول الله ، قال « اعتقها فانها مؤمنة »

حديث اسامة بن زيد اللبثي عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال جاء حاطب الى رسول الله ﷺ بجارية له فقال يا رسول الله إن علي رقة فهل تجزيء هذه عني ؟ فقال لها رسول الله ﷺ « من أنا ؟ » قالت أنت رسول الله قال « فأين ربك » فأشارت الى السماء ، قال « اعتقها فانها مؤمنة » وهو مرسل

حديث جابر بن عبد الله ان رسول الله ﷺ قل في خطبة يوم عرفة « يا اهل بلغت » فجعل يرفع أصبعه الى السماء وينكبها اليهم ويقول « اللهم اشهد » أخرجه مسلم وحديث أبي هريرة : ان رسول الله ﷺ قال « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم ، كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون » متفق عليه .

وعن أبي رزين العقيلي قال : قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والارض ؟ قال « كان في عمام » قال ابو عبيد : العمام الغمام ، وقال خالد ابن يزيد الرازي : اخطأ ابو عبيد انما العمى مقصور ولا يدري أين كان الرب تعالى ، وقيل معناه مقصوراً لا شيء معه فوق هوا ، وما تحته هوا ، ثم خلق العرش ثم استوى عليه ، رواه الترمذي وابن ماجه واستأذنه حسن

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله ﷺ قل « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء » أخرجه ابو داود والترمذي وعن عبد الله بن مسعود « ارحم من في الارض يرحمك من في السماء »

وعن أنس ان زينب بنت جحش كانت تفتخر على أزواج النبي ﷺ تقول :
« زوجكن أهاليكن ، وزوجني الله من فوق سبع سموات » وفي لفظ : أنها قالت
للنبي ﷺ « زوجنيك الرحمن من فوق عرشه » أخرجه البخاري
وعن أبي سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ « ألا تأمنوني وأنا أمين من
في السماء يأتيني خبر السماء صباحا ومساء ؟ » متفق عليه .

وعن أبي هريرة ان رسول الله (ص) قال « والذي نفسي بيده ما من رجل
يدعو امرأته الى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطا عليها حتى
يرضى عنها زوجها » أخرجه مسلم
وعن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) لما ألتى إبراهيم عليه السلام في
النار قال « اللهم انك واحد في السماء وأنا في الارض واحد أعبدك » هذا حديث
حسن الاسناد

وعن عبادة بن الصامت ان رسول الله (ص) كان يقول « من توضأ فأحسن
الوضوء ثم قام الى الصلاة فآتم ركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت حفظك
الله كما حفظتني ثم صعد بها الى السماء ولها نور وضوء وفتحت لها ابواب السماء
حتى ينتهي بها الى الله عز وجل فتشفع لصاحبها »

وعن أبي هريرة عن النبي (ص) قال « ان الميت يحضره الملائكة فاذا كان
الرجل الصالح قالوا اخرجي ايها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ، اشري
بروح وريحان ورب غير غضبان ، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ، ثم يرجع بها
الى السماء التي فيها الله تعالى » رواه احمد في مسنده والحاكم في مستدركه وهو
على شرط البخاري ومسلم

وعن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « بينا اهل الجنة في نعيمهم إذ سطع
لهم نور فرفعون رؤوسهم فاذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم فقال : السلام عليكم

يا اهل الجنة فذلک قوله عز وجل (سلام قولاً من رب رحيم) « أخرجه ابن ماجه في سننه

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب - ولا يصعد إلى الله الا طيب - فانه يقبلها بيمينه ويربها لصاحبها حتى تكون مثل الجبل » أخرجه البخاري

وعن أبي موسى الاشعري قال : قال رسول الله ﷺ « ان الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل ، حجابه النور - وفي رواية النار - لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره » أخرجه الشيخان .

وقال رسول الله ﷺ لحصين « كم تعد لنفسك من إله ؟ » : قل سبعة ستة في الارض وواحد في السماء قال « فأبهم تعد لرهبتيك ورغبتك ؟ » قال الذي في السماء فقال له رسول الله ﷺ أما انك لو أسلمت لعلمت كم كمين ينفعانك » فلما أسلم حصين قال له « قل اللهم ألهمني رشدي وعافني من شر نفسي » أخرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد وروى الشيخان عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش : ان رحمتي تغلب غضبي » وفي رواية للبخاري « إن الله كتب كتاباً فهو عنده فوق العرش : ان رحمتي سبقت غضبي فهو مكتوب عنده فوق العرش »

وفي رواية لهما « ان الله لما خلق الخلق » وعند مسلم « لما قضى الله الخلق كتب في كتاب كتبه على نفسه فهو موضوع عنده » زاد البخاري « على العرش » ثم انفقا « ان رحمتي تغلب غضبي »

وعن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من اشتكى منكم أو اشتكى أخ له فليقل : ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك أمرك في السماء والارض

كما رحمتك في السماء اجعل رحمتك في الارض ، واغفر لنا حوبنا وخطايانا، انت رب الطيبين، أنزل رحمة من رحمتك ، وتفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرأ »
أخرجه ابوداود

وهكذا حل من يسأل: أين الله يبادر بفطرته ويقول في السماء ففي الخبر مسئلة من (أحدهما) قول السائل أين الله ؟ (وثانيها) قول المسئول : في السماء ، فمن أنكر هاتين المسئلتين فانما ينكر على رسول الله ﷺ لانه قالهما وأقرهما من غيره . والعياذ بالله من الاعراض عما وصف الله به نفسه ، ووصفه به رسوله

ولم يخبر الرسل بما تستحيله العقول بل اخبارهم قسان

(أحدهما) ما يشهد به العقل والنظر

(والثاني) مالا تدركه العقول بمجرد ما كالغيوب التي أخبروا بها عن تفاصيل البرزخ واليوم الآخر ، وتفاصيل العقاب والثواب ، ولا يكون خبرهم محالا في العقول أصلا ،

وكل خبر تظن ان العقل يحيله فلا يخلو من أحد أمرين : اما لعدم صحة في النقل او لفساد في العقل والعقل الصحيح لا يخالف النص الصريح

واختلف السلف في الاستواء فقال قوم : استوى بمعنى استقر ، ومنهم ابن عباس رضي الله عنهما كما رواه البيهقي في الاسماء والصفات وهو استقرار يليق بذاته وقال آخرون منهم سفيان اشوري والاوزاعي واثيث بن سعد وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك وغيرهم من علماء السلف: أقرارها وأمرها كما جاءت بلا كيف . وقال البغوي ، اهل السنة يقولون : الاستواء على العرش صفة الله بلا كيف يجب على الانسان الايمان به ويكمل العلم به الى الله عز وجل

وروى البيهقي بسنده عن عبد الله بن وهب قال : كنا عند مالك بن أنس فدخل رجل فقال يا أبا عبد الله (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى ؟ قال

فأطرق مالك وأخذته الرحضاء ثم رفع رأسه فقال (الرحمن على العرش استوى) كما وصف نفسه ولا يقال كيف ، وكيف عنه مرفوع ، وأنت رجل سوء صاحب بدعة أخرجه ، فأخرج الرجل

وفي رواية يحيى قال كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقل يا أبا عبد الله (الرحمن على العرش استوى) كيف استواؤه ، فأطرق مالك رأسه حتى علاه الرحضاء ثم قال : الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعا

وقال تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه) وقال (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) وقال (وما آتيتكم من زكاة تريدون وجه الله) وقال (إنما نطعمكم لوجه الله) وقال (والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم) وقال (إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى) وقال (يريدون وجهه)

وروى البخاري عن جابر بن عبد الله قال : لما نزل على النبي ﷺ (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم) قال « أعوذ بوجهك (أو يلبسكم شيئا ويذيق بعضكم بأس بعض) قال هاتان أهون وأيسر » وروى البخاري عن أبي موسى الأشعري قل : قال النبي ﷺ « جنتان من فضة آتيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وأن ينظروا إلى وجه ربهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن » وروى البخاري عن عتب بن مالك قل : قال رسول الله ﷺ « حرم الله على النار أن تأكل من قل لإله إلا الله يبتغي بها وجه الله »

وروى مسلم عن سعد بن أبي وقاص قل : كنا مع رسول الله ﷺ ونحن ستة نفر فقال المشركون : اطرد هؤلاء عنك لا يجترئون علينا ، وكنت وعبد الله ابن مسعود - أظنه قال وبلال ورجل من هذيل ورجلان قد نسيت اسمهما - فوق

في نفس النبي ﷺ ما شاء الله أن يحدث به نفسه فأُنزل الله عز وجل (ولا تعذر
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) الآية
وقل تعالى (يا أبايس مامنك أن تسجد لما خلقت بيدي ؟) وقالت
اليهود يد الله مغلولة شلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يده مبسوطتان ينفق
كيف يشاء)

وروى الشيخان عن أنس بن مالك أن نبي الله ﷺ قال « يجمع المؤمنون
يوم القيامة فيهمتمون لذلك فيقولون لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا
هذا فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أنت أبو الناس خلقتك الله بيده ، وأسجد لك
ملائكته ، وعلمك أسماء كل شيء اشفع لنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا »
وذكر الحديث بطوله

وروى البخاري عن أبي هريرة قال : أتى رسول الله ﷺ يوما بلحم فدفع
إليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة ثم قال « أنا سيد الناس يوم القيامة وهل
تدرون لم ذلك ؟ » قال فذكر حديث الشفاعة وفيه « فيأتون آدم فيقولون يا آدم
أنت أبو البشر خلقتك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه - أظنه قال - وعلمك أسماء
كل شيء اشفع لنا إلى ربك »

وروى البخاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « احتج آدم
وموسى ، فقال موسى أنت الذي خلقتك الله بيده ونفخ فيك من روحه » الخ
وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ
« احتج آدم وموسى فقال موسى لآدم أنت أبونا جئت وأخرجتنا من الجنة فقال
له آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه وخط لك في الألواح بيده » الخ
وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « خلق الله جنات عدن
وغرس أشجارها بيده ، فمال لها تكلمي فقالت (قد فجع المؤمنون) »

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « كتب ربكم تبارك وتعالى على نفسه بيده قبل أن يخلق الخلق : ان رحمتي سبقت غضبي »
وعن ابن عمر قال « خلق الله أربعة أشياء بيده ، العرش ، وجنات ، عدن ، وآدم والقلم . واحتجب من الخلق بأربعة ، بنار ، وظلمة ، ونور ، فظلمة » .
وقد تكون اليد في غير هذه المواضع بمعنى القوة ، قال الله تعالى (واذكر عبدنا داود ذا الأيد) أى ذا القوة ، وقد تكون بمعنى النعمة . تقول العرب : كم يد لي عند فلان ، أى كم من نعمة لي قد أسديتها اليه ، وقال تعالى (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) وقال (ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليهين ثم لقطعنا منه الوتين)

وعن أبي هريرة عن النبي (ص) قال « يقبض الله تبارك وتعالى الارض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك ، أين ملوك الارض » رواه البخارى . وروى مسلم عن عبدالله بن عمرو عن النبي (ص) قال « المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر من نور على يمين الرحمن وكلنا يديه يمين »

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) « لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس ، فتمل : الحمد لله ، فحمد الله بأذن الله ، فقال له ربه : رحمتك ربك يا آدم وقال له يا آدم اذهب الى أولئك الملائكة الى ملائمتهم جلوس فقل السلام عليكم فذهب وسلم قالوا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته . ثم رجع الى ربه ، فقال هذه تحيتك وتحية بنيك . فقال الله تبارك وتعالى له — ويداه مقبوضتان — أيهما شئت . فقال اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة ، ثم بسطها فاذا فيها آدم وذريته » وذكر الحديث

وسئل عمر بن الخطاب عن قوله تعالى (واذ اخذ ربك من بني آدم من

ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألسن بربكم ؟ قالوا بلى) الآية . فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمعت رسول الله (ص) سئل عنها فقال رسول الله ﷺ «خلق الله آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة ، وبعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح ظهره واستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون » فقال رجل يا رسول الله فقيم العمل ؟ فقال رسول الله ﷺ «إن الله إذا خلق الرجل للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة ، وإذا خلق الرجل للنار استعمله بعمل أهل النار فدخله به النار»

وعن هشام بن حكيم ان رجلا أتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أنبتدا الأعمال ام قد قضي قضاء ؟ فقال رسول الله ﷺ «إن الله أخذ ذرية بني آدم من ظهورهم وأشهدهم على أنفسهم ثم أفوض بهم في كفيه فقال هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار ، فأهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة ، وأهل النار ميسرون لعمل أهل النار»

وروى مسلم عن أبي هريرة قل : قل رسول الله ﷺ « ما تصدق أحد بصدقة من طيب ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن بيمينه ، وإن كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه أو فضيله » وقال رسول الله ﷺ « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ، ولا يصعد إلى الله إلا طيب ، فإن الله عز وجل يتقبلها بيمينه ويربها لصاحبه كما يربي أحدكم فلوه حتى يكون مثل أحد » أخرجه البخاري

وروى البخاري عن أبي هريرة قل قل رسول الله ﷺ « يمين الله ملأى لا يغيضا نفقة ، سحاء الليل والنهار ، أرايتم ما أنفق منذ خلق السموات والارض ؟ فإنه لم ينقص مما في يمينه - قل - وعرشه على الماء ويده الاخرى المقسط يرفع ويخفض »

وروى مسلم عن عبدالله بن مسعود قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل من أهل الكتاب فقال: يا أبا القاسم، أبلغك أن الله عز وجل يجعل السموات على أصبع والارضين على أصبع، والشجر على أصبع، والثرى على أصبع، والماء والثرى على أصبع، وسائر الخلق على أصبع فيهزهن ويقول أنا الملك. قل فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الخبر. ثم قرأ (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) وروى البخاري عن عبدالله بن مسعود قال جاء خبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أويارسول الله، أن الله جعل السموات على أصبع، والارضين على أصبع، والجبال على أصبع، والشجر على أصبع، والماء والثرى على أصبع، وسائر الخلق على أصبع فيهزهن ويقول أنا الملك. قل فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الخبر. ثم قرأ (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) الخ

وروى الشيخان عن عبد الله بن مسعود قال جاء خبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله يضع السماء على أصبع والارضين على أصبع والجبال على أصبع والشجر على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يقول أنا الملك فضحك رسول الله ﷺ وقال (ما قدروا الله حق قدره) وفي رواية والماء والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع يهزهن وفيه ان رسول الله [ص] ضحك حتى بدت نواجذه عجباً وتصديقا له ثم قرأ (وما قدروا الله حق قدره) الآية

وروى الشيخان عن ابن عمر قال قال رسول الله [ص] «يطوي الله السموات يوم القيامة ثم ياخذهن بيمينه ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون، ثم يطوى الارضين بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون؟» وفي رواية يقول «ان الله يقبض اصابعه ويبسطها ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون؟» وفي رواية يقول «ان الله يقبض اصابعه ويبسطها ثم يقول أنا

الملك حتي نظرت الى المنبر يتحرك من اسفله حتى اني اقول اساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم؟ « هذا لفظ مسلم والبخارى » ان الله يقبض يوم القيامة الارضين وتكون السموات يمينه ويقول انا الملك »

وروى البخارى عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يقبض الله الارض ويطوى السماء يمينه ثم يقول انا الملك ابن ملوك الارض » وقال [ص] « قلوب الخلائق بين اصبعين من اصابع الرحمن يقبلها كيف يشاء » وروى البخارى عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تزار جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول قط قط وعزتاك وينزوى بعضها الى بعض »

وروى البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ « تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: فمالى لا يدخلني الاضعفاء الناس وسقطهم؟ قال الله عز وجل للجنة: انما انت رحمتي ارحم بك من اشاء من عبادى، وقال للنار انت عذابي أعذب بك من اشاء من عبادى ولكل واحدة منكما ملؤها فأما النار فلا تمتلي حتى يضع الله فيها رجله فتقول قط قط، فهناك تمتلي وينزوى بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله من خلقه أحداً. وأما الجنة فان الله يذشيها لها خلنا » وقال تعالى (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) وقال تعالى (وجاء ربك والملك صفاً سفا - وقال تعالى - هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة او يأتي ربك)

وقد ذكر الامام ابو جعفر ابن جرير هذا حديث الصور بطوله عن ابي هريرة عن رسول الله ﷺ وهو حديث مشهور وساقه غير واحد من أصحاب الاسانيد وغيرهم، وفيه « ان الناس اذا اهتموا لموقفهم في العرصات تشفعوا الى ربهم بالانبياء واحدا بعد واحد - من آدم عليه السلام فن بعده - فكلمهم يحيدون حتى ينتهوا إلى

محمد (ص) فإذا جاؤا إليه قل « أنا لها أنا لها » فيذهب ويسجد لله تحت العرش ويشفع عند الله في أن يأتي لفصل القضاء بين العباد فيشنع الله ويأتي في ظلل من الغمام بعد ما تشقق السماء الدنيا وينزل مافيها من الملائكة ثم الثانية ثم الثالثة ثم الرابعة الى السابعة ، وتنزل حملة العرش والكروبيون ، وينزل الجبار عز وجل في ظلل من الغمام والملائكة ، لهم زجل في تسبيحهم يقولون سبحان ذي الملك والملكوت ، سبحان ذي العرش والجبروت ، سبحان الحي الذي لا يموت ، سبحان الذي يميئ الخلاق ولا يموت ، سبحان قدس رب الملائكة والروح قدوس قدوس سبحان ربنا الاعلى ، سبحان ذي السلطان والمظمنة سبحانه أبدا أبدا »

وعن عبد الله بن عمرو في قوله (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) الآية قال « يربط بين يديه وبين خلقه سبعون ألف حجاب منها النور والظلمة والماء ، فيصوت الماء في تلك الظلمة صوتاً تتخلع منه القلوب »

وعن ابن مسعود عن النبي (ص) قال « يجمع الله الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم ، قياما شاخصة ابصارهم إلى السماء ، ينظرون فصل القضاء ، وينزل الله في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي » وعن مجاهد (في ظلل من الغمام) قل « هو السحاب ، ولم يكن قط إلا لبني إسرائيل في تبيهم »

وقال ابو العالية (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) فالملائكة يجيئون في ظلل من الغمام والله تعالى يجيء فيما شاء ، وهي في بعض القراءة (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله والملائكة في ظلل من الغمام) وهي كقوله (ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا)

وقل صلى الله عليه وسلم « ينزل ربنا إلى سماء الدنيا » الحديث . وقال الله تعالى (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً) وقال (ولو ان مافي الارض من شجرة أقلام والبحر يمده

من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) وقال (وإن أحدم من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) ولم يقل حتى يرى خلق الله . وقال (يسمعون كلام الله ثم يحرفونه) وقال (يريدون أن يبدلوا كلام الله) وقال (اتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته) وقال (ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) قال (وبريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين)

وقال (ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون) وقال (وتمت كلمة ربك لا ملأ من جهنم من الجنة والناس أجمعين) وقال (إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الآليم) وقال (وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا)

وروى البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «تكفل الله عز وجل لمن جاهد في سبيله لا يخرج منه من بيته إلا الجهاد في سبيله وتصديق كلماته أن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر وغنيمة»

وروى مسلم عن أبي هريرة عن النبي [ص] أنه قال «تكلف الله لمن جاهد في سبيله لا يخرج منه من بيته إلا جهاد في سبيله ، وتصديق كلمته بأن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر وغنيمة»

وعن أبي موسى الأشعري قال أتى النبي [ص] رجل فقال : يا رسول الله ، الرجل يقاتل شجاعة ، ويقا تل حمية ، ويقا تل رياء ، أى ذلك في سبيل الله ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» رواه مسلم

وروى البخاري عن ابن عباس قال كان النبي [ص] يعوذ الحسن والحسين «أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة» ثم يقول «كان أبوكما يعوذ بهما اسماعيل وإسحاق»

وعن خولة بنت حكيم انها سمعت رسول الله [ص] يقول « اذا نزل أحدكم منزلا فليقل : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، فانه لا يضره شيء حتى يرحل منه »

قال يعقوب بن عبد الله عن القعقاع بن حكيم عن ذكوان عن أبي هريرة انه قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ، ما لقيت من عقرب لدغني البارحة ، قال « أما انك لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك » رواه مسلم ومالك والترمذي

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال كان رسول الله ﷺ يعلمنا كلمات نقولهن عند النوم من الفرع « بسم الله أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ، وشر عباده ، ومن همزات الشياطين ، وان يحضرون » فكان عبد الله ابن عمرو يعلمها من بلغ من ولده ، ومن لم يبلغ كتبها وعلقها عليه

فاستعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر ان يستعاذ في هذه الاخبار بكلمات الله تعالى كما أمره الله جل ثناؤه أن يستعين به فقال (وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين * واعوذ بك رب ان يحضرون) وقال (فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) ولا يصح أن يستعين المخلوق بالمخلوق فدل انه استعاذ بصفة من صفات ذاته وهي غير مخلوقة كما أمره الله ان يستعين بذاته وذاته غير مخلوقة قال البيهقي روى ميسرة عن علي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول عند مضجعه « اللهم اني أعوذ بوجهك الكريم ، وبكلماتك التامة من شر ما أنت آخذ بناصيته ، اللهم أنت تكشف المغرم والمأثم ، لا يهزم جندك ، ولا يخلف وعدك ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد ، سبحانك وبحمدك »

فاستعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلمات الله كما استعاذ بوجهه الكريم فكما ان وجهه الذي استعاذ به غير مخلوق فيكذلك كانت التي استعاذ بها غير

مخلوقة وكلام الله تعالى واحد ، وإنما جاء باللفظ الجمع على معنى التفعيم والتعظيم وهذه الآيات والا حاديث صريحة في ان المسموع كلام الله وانه قديم والقول هو الكلام قال الله عز وجل (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني) وقال (لقد حق القول على أكثرهم) وقال (ما يبدل القول لدى) وقال (ومن أصدق من الله قيلا) وقال (ومن أصدق من الله حديثا) وقال (سلام قولا من رب رحيم) وقال (قوله الحق وله الملك) وقال (فالحق والحق أقول) فثبت الله جل ثناؤه لنفسه صفة القول في هذه الآيات

وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قل : كان رسول الله ﷺ إذا تمجد من الليل قل « اللهم لك الحمد أنت نور السموات والارض ، ولك الحمد أنت قيم السموات والارض ومن فيهن ، أنت الحق ووعدك الحق ، وقولك الحق ولقاؤك الحق ، والجنة حق ، والبار حق ، والنبيون حق ، اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت ، واليك أنبت وبك خاصمت ، واليك حاكمت ، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، أنت إلهي لا إله الا أنت »

وقد قل تعالى (وكلم الله موسى تكليما) فوصف نفسه بالتكليم وو كده بالتكرار فقال تكليما وقال تعالى (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) وقال (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله) وذكر في غير آية من كتابه ما كلم به موسى عليه السلام فقال (يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك — إلى قوله — واصطنعتك لنفسي) وقال (يا موسى أني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من أشاكرين) فهذا كلام سمعه موسى من ربه بلا ترجمان كان بينه وبينه فدعاه الى وحدانيته وأمره بعبادته واقامة الصلاة لذكره وأخبر انه اصطنعه لنفسه واصطفاه برسالاته وبكلامه

وروى البخاري عن أبي هريرة قال قل رسول الله ﷺ « احتج آدم وموسى

فقل موسى يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة ، فقل له آدم يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط نك التوراة اتلوه في علي أمر قدره علي قبل أن يخلقني ؟ قال فنجح آدم موسى « وفي هذا ان موسى كله الله تكليما وسمع كلامه بلا واسطة وأما قوله (وما كان ابشر ان يكلمه الله إلا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء) فالوحي أول ما أرى الله الانبياء في مناهم قال الشافعي رحمه الله وغيره من العلماء رؤيا الانبياء وحي لقول ابن ابراهيم لما أمر أئوه في المنام بذبحه (افعل ما تؤمر)

وأما الكلام من وراء حجاب فهو كما كلم الله موسى من وراء حجاب وروى البيهقي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « إن موسى عليه السلام قال يارب أرنا الذي أخرجنا ونفسه من الجنة فأراه الله عز وجل آدم عليه السلام ، فقال : أنت أبونا آدم ؟ فقال له أبونا آدم نعم ، فقال أنت الذي نفخ الله فيك من روحه وعلمك الاسماء كلها وأمر الملائكة فسجدوا لك ؟ قال نعم قال : فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ قال له آدم فمن أنت ؟ قال أنا موسى ، قال أنت نبي بني إسرائيل لذي بكك الله من وراء حجاب لم يجعل بينك وبينه رسولا من خلفه ؟ قال نعم » الخ الحديث

وأما الكلام بالرسالة فهو إرسال الروح الامين الى من شا من عباده قال الله تعالى (وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين) والاحاديث في ذلك كثيرة

قال البيهقي وقد كان لنبينا (ص) هذه الانوع الثلاثة : أما الرسالة فقد كان جبريل يأتيه بها من عند الله عز وجل

وأما الرؤيا في المنام فقد قال الله تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) وأما التكليم فقد قال الله عز وجل (فوحي الى عبده ما وحي) ثم كان فيما أوحى

اليه ليلة المعراج خمسين صلاة، فلم يزل يسأل ربه التخفيف لامته حتى صارت الى خمس صلوات وقل له ربه « (ما يبذل القول لدى) وهي بخمسين صلاة »
وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قل قلنا يا رسول الله، هل نرى ربنا جل ذكره ؟ قل (هل تضارون في رؤية الشمس اذا كان صحو ؟) قلنا لا، قل « فتضارون في رؤية اتمر ليلة البدر اذا كان صحو ؟ » قل لا قل فانكم لا تضارون في رؤية ربكم الا كما تضارون في رؤيتهما ثم يذني مناد، ليذهب كل قوم مع من كانوا يعبدون » فذكر الحديث قال فيه . « فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونها ؟ فيقولون الساق ، فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ويبقي من كان يسجد ربا، وسمعة فيذهب كما يسجد فيعود ظهره طبقا واحدا »
وقل ﷺ « انكم سترون ربكم عز وجل يوم القيامة كما ترون الشمس لا تضامون في رؤيتها »

فاما أهل الحديث والسنة المحضة فانهم متفقون على اثبات العلو والمباينة والرؤية والمعتزلة ينفونها واختلف الاشعرية في العلو واتفقوا على الرؤية بلا مقابلة
فل ابن القيم : من اثبت احدهما ونفي الآخر فهو اقرب الى الشرع والعقل
من نفاهما، لان الايات والاحاديث والاثار المنقولة عن الصحابة في دلالتها على العلو والرؤية أعظم من ان تمحصر ، وليس مع نفاة الرؤية والعلو ما يصلح ان يذكر من الادلة الشرعية وانما يزعمون ان عدم ادلة عقلية
فقول الاشعرية المتناقضين في العلو خير من قول المعتزلة النافين للرؤية والعلو وذلك لنا اذا عرضنا على العقل وجود موجود لا يشار اليه ولا يصعد اليه شيء ولا ينزل منه شيء ولا هو داخل العالم ولا هو خارجه ولا ترفع الايدي اليه ولا هو فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا خلف ولا امام كانت الفطر تنكر ذلك والعقول الصحيحة، لانه لو قيل لك صف شيئا بالعدم لما قلت اكثر من ذلك كما قاله الحافظ الذهبي

وقد تمسك من نفى الرؤية من اهل البدع والخوارج والمعتزلة وبعض الرجثة بقوله (لن تراني) وقال « لن » تكون لتأييد النفي ودوامه والمعتزلة لا يشهد لهم بذلك كتاب ولا سنة وما قالوه في ان لن لتأييد خطأ بين وليس بشهد لما قالوه نص عن اهل اللغة والعربية

ويدل على ذلك قوله تعالى في اليهود (ولن يتمنوه ابدا) مع انهم يتمنون الموت يوم القيامة ويدل عليه قوله تعالى (ونادوا يا مالئك ليقتض علينا ربك) وقوله (يا ليتها كانت القاضية)

وقد افق على الرؤية الانبياء والمرسلون وجميع الصحابة والتابعون وأئمة الاسلام على تتابع القرون وانكرها اهل البدع المارقون والجهمية الموهوكون والفرعونيون المعطلون والباطنية الذينهم من جميع الاديان منسلخون ، والرافضة الذينهم بحبائل الشيطان متمسكون ، وعن حبلى الله منقطعون ، ولكل عدو لله ورسوله ولائته مسالمون . وكل هؤلاء عن ربهم محجوبون ، وعن بابه مطرودون اولئك احزاب الضلال شيعه اللعين . وقد قال تعالى (لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا)
فبيان الدلالة من هذه الآية على الرؤية من وجوه عديدة

(احدها) انه لا يظن بكليم الرحمن ان يسأل ربه ما لا يجوز عليه بل ذلك من ابطال الباطل وأعظم المحال ، فيالله العجب كيف صار اتباع الصابئة والمجوس والمشركين وفروع الجهمية والفرعونية اعلم مما يجب لله ويستحيل عليه واشد تنزيها له من رسوله وكلميه ؟

(الوجه الثاني) ان الله سبحانه لم ينكر عليه سؤاله ولو كان محالا لا نكره عليه ، ولهذا لما سأل ابراهيم الخليل ربه أن يرهبه كيف يحبي الموتى لم ينكر عليه ولما سأل عيسى بن مريم ربه أن ينزل مائدة من السماء لم ينكر سؤاله ، ولما سأل

نوح ربه نجاه ابنه أنكر عليه سؤاله وقل (اني أعظك ان تكون من الجاهلين *
قال رب اني أعوذ بك از أسألك ما ليس لي به علم ، وإلا تغفر لي وترحمني أكن
من الخاسرين)

(الوجه الثالث) انه أجابه بقوله (لن تراني) ولم يقل اني لا أرى ولا اني
لست بمرئي ، أولاً تجوز رؤيتي ، والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله. وهذا يدل
على انه سبحانه مرئي ، ولكن موسى لا تحمل قواه رؤيته في هذا الدار لضعف
قوة البشر عن رؤيته تعالى. يوضحه :

(الوجه الرابع) وهو قوله (ولكن انظر إلى الجبل فان استقر مكانه فسوف
تراني) فأعلمه ان الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت لتجليه له في هذه الدار فكيف
بالبشر الضعيف الذي خلق من ضعف ؟

(الوجه الخامس) ان الله سبحانه قادر على ان يجعل الجبل مستقراً مكانة
وليس هذا بمتنع في مقدوره ، بل هو ممكن وقد علق به الرؤية ، ولو كانت
محالا في ذاتها لم يعاقبها بالممكن في ذاته

(الوجه السادس) قوله (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) وهذا من أبين الأدلة
على جواز رؤيته تبارك وتعالى فانه اذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جواد لا ثواب
له ولا عقاب فكيف يمتنع أن يتجلى لأنبيائه ورسله وأوليائه في دار كرامته ويربهم
نفسه ؟ فأعلم سبحانه موسى عليه السلام ان الجبل اذا لم يثبت لرؤيته في هذه
الدار فالبشر أضعف

(الوجه السابع) ان الله سبحانه قد كلمه منه اليه وخاطبه وناجاه وناداه ،
ومن جاز عليه التكلم والتكليم ، وسمع كلامه بغير واسطة فرؤيته أولى بالجواز ،
ولهذا لا يتم انكار الرؤية إلا بانكار التكليم
وقد جمعت هذه الطوائف بين انكار الامرين فأنكروا ان يكلم الله أحداً او يراه

أحد ، ولهذا سأله موسى ان ينظر اليه لما اسامه كلامه ، وعلم نبي الله جواز رؤيته من وقوع خطابه وتكليمه ، ولم يخبر سبحانه باستحالة ذلك عليه ولكن أراه ان مأسأله لا يقدر على احتماله كما لم يثبت الجبل لتجليه

وأما قوله (لن تراني) فانما يدل على النفي في المستقبل ولا يدل على دوامه ولو قيد بالتأيد فكيف اذا أطلق كما قال تعالى (ولن يتمنوه أبداً) مع قوله (ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك)

والدليل الثاني قوله تعالى (واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه) وقوله تعالى (تحييتهم يوم يلقونه سلام) وقوله تعالى (فن كان يرجو لقاء ربه) وقوله تعالى (يظنون انهم ملاقوه ربه) وأجمع اهل اللسان ان اللقاء هو نسب الى الحي السليم من العمار المانع انتضى المعاينة والرؤية (١) ولا ينقض هذا بقوله تعالى (فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه) فقد دلت الاحاديث الصحيحة والصريحة على ان المنافقين يرونه في عرصات القيامة ، بل والكفار ايضا كما في الصحيحين من حديث التجلي يوم القيامة

وفي هذه المسئلة ثلاثة اقوال لأهل السنة (احدها) انه لا يراه الا المؤمنون (والثاني) يراه المؤمن والمنافق (والثالث) يراه جميع اهل الموقف مؤمنهم وكافرم ثم يحتجب عن الكفار فلا يرونه بعد ذلك ، والاقوال الثلاثة في مذهب أحمد وهي لاصحابه ، وكذلك الاقوال الثلاثة بعينها في تكلمه لهم ، ولشيخ الاسلام في ذلك مصنف مفرد حكى فيه الاقوال الثلاثة وحجج اصحابها

وكذلك قوله سبحانه وتعالى (يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه) ان عاد الضمير على العمل فهو رؤيته في الكتاب مسطورا ، وان عاد على الرب تعالى فهو لقاءه الذي وعد به

(١) الكلام هنا غير مستقيم فليتأمل

(والدليل الثالث) قوله تعالى (والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم)* للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون) فالحسنى الجنة ، والزيادة النظر الى وجهه الكريم ، وكذلك فسرناها الذي انزل عليه القرآن صلى الله عليه وسلم والصحابة بعده كما رواه مسلم في صحيحه من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن صهيب رضي الله عنه قال قرأ صلى الله عليه وسلم (للذين احسنوا الحسنى وزيادة) ثم قال «إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد يا أهل الجنة ان لكم عند الله موعدا، يريد ان ينجزكموه، فيقولون ما هو؟ ألم يشغل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويخرجنا من النار؟ فيكشف الحجاب، فينظرون اليه، فما أعطاهم شيئا أحب اليهم من النظر اليه، وهي الزيادة»
وروى الحسن بن أنس بن مالك قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال «للمذين أحسنوا العمل في الدنيا الحسنى وهي الجنة ، والزيادة النظر إلى وجه الله تعالى»

وروى محمد بن جرير عن كعب بن عجرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (الذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال الزيادة النظر إلى وجه الرحمن وروى أبو العالية عن أبي بن كعب قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى الله عز وجل وقال أبو بكر رضي الله عنه : الزيادة هي النظر الى وجه الله . وقال حذيفة رضي الله عنه : هي النظر الى وجه ربهم

وقال أبو موسى الاشعري هي النظر الى وجه الرحمن . وقال وهو يخطب الناس في جامع البصرة «ان الله عز وجل يبعث ملكا إلى أهل الجنة فيقول يا أهل الجنة هل أنجزكم الله ما وعدهم؟ فينظرون الى الحلي والحلل والانهار والازواج

المطهرة فيقولون نعم قد أنجز الله ما وعدنا ، ثم يتول الملك هل أنجزكم الله ما وعدكم ؟
ثلاث مرات فيقولون نعم ، فيقول قد بقي لكم شيء ؟ ان الله يقول (للذين
أحسنوا الحسنى وزيادة) الا ان الحسنى الجنة ، والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم »
وقال ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما : الحسنى الجنة ، والزيادة
النظر الى وجه الله ، واقر السواد

وقال عبد الرحمن بن ابي ليلى وعامر بن سعد واسماعيل بن عبد الرحمن
السدي والضحاك وعبد الرحمن بن سابط وابو اسحاق السبيعي وقتادة وسعيد بن
المسيب والحسن وعكرمة مولى ابن عباس ومجاهد (الحسنى) الجنة (والزيادة)
النظر الى وجه الله . ولما عطف سبحانه وتعالى الزيادة على الحسنى التي هي الجنة
دل على انها امر آخر وراء الجنة وقد زائد عليها ، ومن فسر الزيادة بالمغفرة
والرضوان فهو من لو زعم رؤية الرب تبارك وتعالى

والدليل الرابع قوله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون * كلا
انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون)

ووجه الاستدلال بها انه سبحانه جعل من أعظم عقوبة الكفار كونهم
محجوبين عن رؤيته وسماع كلامه ، فلو لم يره المؤمنون وبسمعوا كلامه كانوا
أيضاً محجوبين عنه

وقد احتج بهذه الحجة الامام الشافعي وغيره من الائمة فذكره الطبراني
 وغيره عن المزني قال : سمعت الشافعي يقول في قول الله عز وجل (كلا
انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) قال فيها دليل على ان أولياء الله يرون
ربهم يوم القيامة

وقال الحاكم : حدثنا الاصم حدثنا الربيع قال حضرت محمد بن ادريس
الشافعي وقد جاءت رقة من الصعيد فيها ما تقول في قوله (كلا انهم عن ربهم

يومئذ المحجوبون) قال لما حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على ان أولياءه يرونه في الرضاء

(والدليل الخامس) قوله عز وجل (لَمْ يَشَاءُوا فِيهَا وَلَدِينَا مَزِيدٌ) قال الطبراني قال علي بن ابي طالب وأنس بن مالك: هو النظر الى وجه الله عز وجل (والدليل السادس) قوله عز وجل (لَا تَدْرِكُهُ الْاَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْاَبْصَارَ) والاستدلال بهذه الآية عجيب فانه من أدلة نفاة الرؤية

وقد قرر شيخ الاسلام ابن تيمية وجه الاستدلال بها أحسن تقرير وقال : لا يحتاج مبطل بآية أو حديث صحيح على بطله الا وفي ذلك الدليل ما يدل على نقيض قوله. فمنها هذه الآية، وهي على جواز الرؤية أدل منها على امتناعها ، فانه سبحانه ذكرها في سياق التمدح . ومعلوم ان المدح انما يكون بالاعمال والصفات الثبوتية ، وأما العدم المحض فليس بكمال ولا يتمدح به ، وانما يمدح الرب تعالى بالعدم اذا تضمن أمراً وجودياً، كتمدحه سبحانه وتعالى بنفي السئة والنوم المتضمن كمال القيومية ، ونفي الموت المتضمن كل الحياة ، ونفي الغيوب والاعياء المتضمن كمال القدرة، ونفي الشريك والمصاحبة والولد والظهير المتضمن كمال ربوبيته والهيته وقهره ونفي الاكل والشرب المتضمن كمال صمديته ، وغناه عن خلقه ، ونفي الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه وغنائه ، ونفي النسيان وعزوب شيء عن علمه المتضمن كمال علمه واحاطته ، ونفي المثل المتضمن كمال ذاته وصفاته. ولهذا لم يتمدح بعدم محض لا يتضمن أمراً ثبوتياً ، فنال عدمه يشارك الموصوف في ذلك العدم ، ولا يوصف الكمال بأمر يشترك هو والمعدوم فيه

فلو كان المراد بقوله (لا تدركه الابصار) انه لا يرى بحل لم يكن في ذلك مدحا ولا كالا لمشاركة المعدوم له في ذلك ، فان العدم الا صرف الذي لا يرى ولا

تدركه الابصار ، والرب جل جلاله يتعالى ان يمدح بأمر يشركه فيه العدم المحض ، فلمعنى انه يرى ولا يدرك ولا يحاط به ، كما كان المعنى في قوله (ولا يعزب عن ربك من مثقال ذرة) انه يعلم كل شيء وفي قوله (وما مسنا من لغوب) انه كامل القدرة . وفي قوله (ولا يظلم ربك أحداً) انه كامل العدل ، وفي قوله (لا تأخذه سنة ولا نوم) انه كامل القيومية .

وقوله (لا تدركه الابصار) يدل على غاية عظمته ، وانه أكبر من كل شيء ، وانه لعظمته لا يدرك بحيث لا يحاط به ، فان الادراك هو الاحاطة بالشيء وهو قدر زائد على الرؤية كما قال تعالى (فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون * قال كلا) فلم ينف موسى الرؤية ولم يريدوا بقولهم انا لمدركون : لمرئيون ، فان موسى عليه السلام نفى ادراكهم اياهم بقوله (كلا) فأخبر الله سبحانه انه لا يخاف دركهم بقوله (ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تقتلى) فلرؤية والادراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه ، فلرب تعالى يرى ولا يدرك ، كما يعلم ولا يحاط به ، وهذا الذي فهمه الصحابة والأئمة . قال ابن عباس (لا تدركه الابصار) لا تحيط به الابصار .

فالؤمنون يرون ربهم تبارك وتعالى بابصارهم عيانا ولا تدركه أبصارهم بمعنى انها لا تحيط به ، وهكذا يسمع كلامه من يشاء من خلقه ولا يحيطون بكلامه ، وكذلك يعلم الخلق ما علمهم ولا يحيطون بعلمه .

ونظير هذا استدلالهم على نفى الصفات بقوله تعالى (ليس كمثله شيء) وهذا من أعظم الأدلة على كثرة صفات كماله ونوعوت جلاله ، وانها أكثرتها وعظمتها وسعتها لم يكن له مثل فيها ، وهكذا جميع العقلاء انما يفهمون من قول القائل : فلان لا مثل له وليس له نظير ولا شبيه ، انه قد تميز عن الناس باوصاف

ونعوت لا يشار كونه فيها ، وكما كثرت أوصافه ونعوته فات وبعد عن مشابهة
أضرابه ، فكيف بالحلي القيوم الذي لا مثل له في ذاته وصفاته ؟ ف قوله (ليس كمثل
شيء) من أدل شيء على كثرة نعوته وصفته . وقوله (لا تدركه الابصار)
من أدل شيء على أنه يرى ولا يدرك

(والدليل السابع) قوله عز وجل (وجود يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة) فأنت
إذا أخرجت هذه الآية عن تحريفها عن موضوعها ، والكذب على المتكلم بها
سبحانه فيما أراد منها ، وجدتها منادية نداء صريحا ان الله سبحانه يرى عيانا
بالابصار يوم القيامة ، وان آيت الاتحريفها الذي يسميه المحرفون : تأويل ، فتأويل
نصوص المواد والجنة والنار والميزان والحساب أسهل على أربابه من تأويلها ،
وتأويل كل نص تضمنه القرآن والسنة كذلك ، ولا يشاء مبطل على وجه الارض
أن يتأول النصوص ويحرفها عن مواضعها الا وجد إلى ذلك من السبيل ما وجد
متأول مثل هذه النصوص ، وهذا الذي أفسد الدين والدنيا ،

واضافة النظر إلى الوجه الذي هو محل في هذه الآية ، وتعديته بإداة إلى الصريحة
في نظر العين وإخلاء الكلام من قرينة تدل على أن المراد بالنظر المضاف إلى الوجه
المعدي إلى خلاف حقيقته وموضوعه - صريح في ان الله أراد بذلك نظر العين
التي في الوجه إلى نفس الرب جل جلاله ، فن النظر له عدة استعمالات بحسب
صلاته وتعديه بنفسه فن عدي بنفسه فعناه التوقف والانتظار كقوله (انظرونا
نقتبس من نوركم) وان عدي بفي فعناه التفكير والاعتبار كقوله (اولم ينظروا في
ملكوت السموات والارض) وان عدي بالي فعناه المعاينة بالابصار كقوله
(انظروا إلى ثمره إذا أثمر) فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل النظر ؟
وكيف وقد قال ﷺ في قوله تعالى (وجوه يومئذ ناظرة) قال « من البهاء والحسن »
(إلى ربها ناظرة) قال « في وجه الله عز وجل »

فسمع أيها الانسان تفسير النبي ﷺ ، والاحاديث الدالة على لرؤية متواترة رواها عنه ﷺ ابو بكر الصديق وابو هريرة وابو سعيد الخدري وجابر ابن عبدالله وصهيب وعبدالله بن مسعود وعلي بن أبي طالب وابو موسى الاشعري وعدي بن حاتم الطائي وأنس بن مالك الانصاري وبريدة بن الحصيب الاسلمي وابو رزين وجابر بن عبدالله وابو امامة الباهلي وزيد بن ثابت وعمار بن ياسر وعائشة أم المؤمنين وعبدالله بن عمر وسلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان وعبدالله ابن عباس وعبدالله بن عمرو بن اعاص وحديثه موقوف وأبي بن كعب وكعب ابن عجرة وفضالة بن عبيد ، وحديثه موقوف . فمن أراد الاطلاع عليها فليراجعها في مظانها

وقوله تعالى (هو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير) وهذه الآية من أدل شيء على مباينة الرب خلقه باستوائه على عرشه وهو يعلم ما هم فاعلون ، ويراهم وينفذهم بصره ويحيط بهم علما وقدرة زارادة وسمعا وبصرا ، فهذا معنى كونه سبحانه معهم أينما كانوا . انتهى كلام ابن القيم

قال الحافظ الذهبي في قوله تعالى (وهو معكم) هو كما إذا كتبت الى رجل : إني معك وأنت غائب عنه . قال ابن عباس : نزلت هذه الآية في ربيعة وحبيب ابني عمر وصفوان بن أمية كانوا يؤما يتحدثون ، فقال أحدهم : هل يعلم الله ما نقول ؟ وقال الثاني يعلم البعض دون البعض ، وقال الثالث إن كان يعلم البعض فيعلم الكل . والمراد من قوله تعالى (رابعهم) والمراد من قوله تعالى (معهم) كونه تعالى عالما بكلامهم وضميرهم وسرهم واعلانهم كما قال ابن مسعود رضي الله عنه « العرش فوق الماء ، والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم »

وعن زر عن عبد الله قال « ما بين السماء القصوى وبين الكرسي خمسمائة سنة ، وما بين الكرسي والماء خمسمائة سنة ، والعرش فوق الماء ، والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم »

وقال البيهقي : لقد أصاب أبو حنيفة رحمه الله فيما نفي عن الله عز وجل من الكون في الارض ، وأصاب فيما ذكر من تأويل الآية ، وتبع مطلق السمع بأن الله تعالى في السماء .

وباغنا عن أبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي صاحب الفقه الأكبر قال : سألت أبا حنيفة عن يقول لأعرف ربي في السماء أو في الارض فقل : قد كفر لان الله يقول (الرحمن على العرش استوى) وعرشه فوق سمواته ، فقلت انه يقول أقول : على العرش استوى ، ولكن قل لا يدري العرش في السماء أو في الارض ؟ فقل : اذا أنكر أنه في السماء فقد كفر . رواها صاحب الفاروق بإسناد عن أبي بكر بن يحيى عن الحكم

وسمعت القاضي الامام تاج الدين عبد الخاق بن علوان قل سمعت الامام أبا محمد عبد الله بن احمد المقدسي مؤلف المقنع يقول : بلغني عن أبي حنيفة رحمه الله انه قال : من أنكر ان الله عز وجل في السماء فقد كفر

وقال محمد بن كثير سمعت الاوزاعي يقول : كنا والتابعين نقول إن الله عز وجل فوق عرشه ، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته . أخرجه البيهقي في كتاب الاسماء والصفات

وروى ابو اسحاق المغمسر قل : سئل الاوزاعي عن قوله تعالى (ثم استوى على العرش) قل هو على العرش كما وصف نفسه

وقد سأل الوليد بن مسلم الامام أبا عمرو الاوزاعي عن أحاديث الصفات فقال أمرؤها كما جاءت

ومن كلام هذا الامام عليك بآثر من سلف ، وإياك وآراء الرجال وإن
ذخر فوه لك بالقول

وروى عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب السنة عن مقاتل بن حيان في
قوله تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) قال هو على عرشه وملكه
معهم . وروى البيهقي بإسناده عن مقاتل بن حيان قال : بلغنا والله أعلم في قوله
تعالى (هو الاول) قبل كل شيء ، (والآخر) بعد كل شيء ، (والظاهر)
فوق كل شيء ، (والباطن) أقرب من كل شيء ، وإنه قريب بملكه وهو فوق
عرشه . وسئل سفيان الثوري عن قوله عز وجل (وهو معكم أينما كنتم) قال علمه
وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل في الرد على الجهمية حدثني أبي حدثنا شرح
ابن النعمان عن عبد الله بن نافع قال ملك بن أنس « الله في السماء ، وعنه في كل
مكان لا يخلو منه » ولهذا افتتح سبحانه وتعالى الآية بالعلم واختتمها بالعلم بقوله
(أن الله يعلم) وقوله (بكل شيء عليم) كما قاله الامام أحمد بن حنبل رحمه الله ،
وقال تعالى (ويحذركم الله نفسه) وقال (كتب ربكم على نفسه الرحمة) وقال
(واصطنعتك لنفسي) وقال فيما أخبر به عن عيسى عليه السلام (تعلم ما في نفسي
ولا أعلم ما في نفسك أنك أنت علام الغيوب)

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال « لأحد أغير من الله ، ولذلك
حرم الفواحش مظهر منها وما بطن ، ولا شيء أحب إليه المدح من الله ولذلك
مدح نفسه » رواه البخاري في الصحيح عن حفص بن عمر وأخرجه مسلم من وجه
آخر عن سعد ، وعنه قال : قال النبي ﷺ « ما أحد أحب إليه المدح من الله
ومن أجل ذلك مدح نفسه ، وما أحد أغير من الله ، ومن أجل ذلك حرم الفواحش »
وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « لما قضى الله الخلق كتب في كتاب
كتبه على نفسه وهو مرفوع فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي » رواه مسلم

في الصحيح . وعنه ان رسول الله ﷺ قال « ان الله سبحانه لما خلق الخلق كتب بيده على نفسه : ان رحمتي سبقت غضبي »

وعنه عن النبي ﷺ قال « اتقوا آدم وموسى فقال موسى لآدم أنت الذي الذي أشقيت الناس وأخرجتهم من الجنة ؟ قال فقال آدم لموسى أنت موسى الذي اصطفاك الله رسالاته واصطنعك لنفسه » الحديث رواه البخاري في الصحيح وعن الصادق بن محمد وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني ، فمن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ، وان تقرب إلي شبراً تقربت اليه ذراعاً ، وان تقرب الي ذراعاً تقربت منه باعاً ، وان أتاني يمشي أتيته هرولة » أخرجه في الصحيح من وجه عن الأعمش

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ عن الله « ابن آدم اذكرني في نفسك اذكرك في نفسي ، فان ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ من الملائكة - أوقال - في ملا خير منه »

وعن أبي ذر الغفاري عن رسول الله ﷺ عن الله عز وجل أنه قال « أني حرمت الظلم على نفسي وجعته بينكم محرماً فلا تظالموا » رواه مسلم في الصحيح وعن ابن عباس عن جويرية أن رسول الله ﷺ مر بها حين صلى الغداة أو بعد ما صلى الغداة وهي تذكر الله ثم مر بها بعد ما ارتفع النهار أو بعد ما انتصف النهار وهي كذلك فقال لها « لقد قات منذ وقفت عليك كبات ثلاث مرات هن أكثر أو ارجح واوزن مما كنت فيه منذ الغداة سبحانه الله عدد خلقه ، سبحانه الله رضى نفسه ، سبحانه الله زنة عرشه ، سبحانه الله مداد كتابه » رواه مسلم في الصحيح وعن ابن عمر ان رسول الله ﷺ قرأ على المنبر (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيامة) فجعل رسول الله ﷺ يقول « كذا

يمجد نفسه جل وعز: أنا الجبار أنا العزيز أنا المتكبر « فرجف به المنبر حتى قلنا
ليخر به الى الارض

وقال تعالى (ولتصنع على عيني - وقال - فانك بأعيننا - وقال - واصنع
الفلك بأعيننا)

عن نافع ان عبد الله بن عمر أخبره أن المسيح الدجل ذكر بين ظهراني
الناس فقال رسول الله ﷺ « ان الله ليس بأعور الا ان المسيح الدجل أعور
عينه اليمين، كأن عينه عنبة طافية » رواه البخاري في الصحيح
وعن أنس عن النبي ﷺ انه قال « ما بعث نبي الا وقد أذرت أمتة الاعور
الكذب الا انه أعور وان ربكم ليس بأعور ، مكتوب بين عينيه كافر » وعن
ابن عباس (واصنع الفلك بأعيننا) قول بعين الله تبارك وتعالى

وقال تعالى (يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون *
خاشعة أبصارهم) عن أبي سعيد الخدري انه قال : قلنا يا رسول الله أنرى ربنا
تعالى ذكره ؟ قال « هل تضارون في رؤية الشمس إذا كان صحو ؟ » قلنا لا
قال فتضارون في رؤية القمر ليلة البدر إذا كان صحو ؟ « قلنا لا قال « فانكم لا تضارون
في رؤية ربكم الا كما تضارون في رؤيتهما ، ثم ينادي مناد : ليذهب كل قوم مع من
كانوا يعبدون - فذكر الحديث وقال فيه فيقول : هل بينكم وبينه آية تعرفونها ؟
فيقولون الساق فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ويبقى من كان يسجد
رياء وسمعة ، فيذهب كما يسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً » قال وذكر الحديث
رواه البخاري في الصحيح عن ابن بكير ، ورواه عن آدم بن إياس عن الليث
مختصراً . وقال في الحديث « يكشف ربنا عن ساقه » ورواه مسلم عن عيسى بن
حماد الليثي كما رواه ابن بكير

وروي ذلك أيضاً عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ وقال تعالى

(عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون) (وقل
(والذين يشترون بهد الله وإيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا
يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكهم ولهم عذاب أليم)

وعن أبي هريرة قل : قال رسول الله ﷺ في حديث ذكره « إن الله
لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم ، اتقوا ههنا - وأشار
إلى صدره » رواه مسلم في الصحيح عن أبي الطاهر عن ابن وهب

وعنه عن النبي ﷺ قال « إن الله عز وجل لا ينظر إلى صوركم وأموالكم
ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم »

وعنه عن النبي ﷺ قل « إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسادكم
ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » هذا هو الصحيح المحفوظ فيما بين الحفاظ
فأما لجاري على السنة جماعة من أهل العلم وغيرهم « إن الله لا ينظر إلى
صوركم ولا إلى أعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم » فهو مخالف الحديث الصحيح
واقوله تعالى (فسرى الله علمكم)

وعن محمد بن سيرين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قل « لم يكذب
إبراهيم قط إلا ثلاث كذبات : ثنتين في ذات الله قوله (اني سقيم) وقوله (بل
فعله كبيرهم هذا) وواحدة في شأن سارة انها أختي » رواه البخاري في الصحيح
عن معبد بن تليد عن ابن وهب ورواه مسلم عن أبي الطاهر

وعن ابن عباس قال « تفكر في كل شيء ولا تفكر في ذات الله »

وعن أبي لدرء « لا تفقه كل التفقه حتى تمتق الناس في ذات الله ثم تقبل
على نفسك فتكون لها أشد مقتاً منك للناس » إلى غير هذا من الآيات الصريحة
والاحاديث الصحيحة التي يجب الايمان بها والعمل بمقتضاها من غير تحريف
وتبديل وتشبيه وتعطيل ، بل ثبت ما أثبت الله لنفسه ونكل علمه اليه ، ونقول

أَمَّا بِاللَّهِ عَلَى مَرَادِ اللَّهِ ، كَمَا قُلَهُ خَيْرُ الْقُرُونِ الَّذِينَ هُمْ بِاللَّهِ وَصَفَاتِهِ عَارِفُونَ مِنَ الْخُلَفَاءِ
الرَّاشِدِينَ وَالصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ عَلَى سَنَنِهِمْ مِنْ أُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ ، كَمَا قُلَ أَبُو الْمَعَالِي
تُحَوِّينِي إِمَامَ الْحَرَمِينَ لَقَدْ تَأَمَّلْتُ الطَّرِيقَ الْكَلَامِيَّةَ وَالْمَنَاهِجَ الْفَلَسَفِيَّةَ فَأَرَأَيْتَهَا
تُشْفِي عَلِيلاً وَلَا تُرَوِّي غَلِيلاً ، بَلْ هُمْ بَيْنَ مِثْبَهِ وَمَعْطَلٍ ، وَالطَّرِيقُ الْخُلَاصُ مِنْهُمَا
طَرِيقُ الْقُرْآنِ أَقْرَأُ فِي الْإِثْبَاتِ (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلَامُ
الطَّيِّبُ) وَأَقْرَأُ فِي النُّفْيِ (نَيْسَ كَثَلُهُ شَيْءٌ) (وَلَا يَحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا) وَمَنْ جَرَبَ
مِثْلَ تَجْرِ بَيْتِي عَرَفَ مِثْلَ مَعْرِفَتِي

قُلَ ابْنُ أَتَيْمٍ : مَنْ ظَنَّ أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ وَصَفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ
بِمَا ظَاهَرَهُ بَاطِلٌ وَتَشْبِيهُ وَتَمَثِيلٌ ، وَتَرَكَ الْحَقَائِقَ الْمَقْصُودَةَ مِنْ كَلَامِهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى
وَرَمَزَ إِلَيْهِمْ رَمُوزاً بَعِيدَةً ، وَأَشَارَ إِلَيْهِمْ أَشَارَةً مُلَغِزَةً ، وَصَرَحَ بِالتَّشْبِيهِ وَالتَّمَثِيلِ
وَالْأُمُورِ الْبَاطِلَةِ الَّتِي لَا تَجُوزُ عَلَيْهِ وَلَا تَلْبِقُ بِهِ ، وَأَرَادَ مِنْ خَلْقِهِ أَنْ يَبْعَثُوا أَذْهَانَهُمْ
وَقُوَاهُمْ وَأَفْكَارَهُمْ فِي تَحْرِيفِ كَلَامِهِ عَنْ مَوَاضِعِهِ ، وَتَأْوِيلِهِ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ الْمَقْصُودِ
مِنْ ظَاهِرِهِ ، وَيَتَطَلَّبُوا لَهُ وَجُوهَ الْإِحْتِمَالَاتِ الْمُسْتَكْرَهَةِ شَرْعاً وَعَقْلاً ، وَاتَّأْوِيلَاتٍ
الَّتِي هِيَ بِالْإِلْفَازِ وَالْإِحْجَاجِ أَشْبَهَ مِنْهَا بِالْكَشْفِ وَالْبَيَانِ ، وَأَحْلَمَ فِي مَعْرِفَتِهِ
وَأَسْمَائِهِ وَصَفَاتِهِ عَلَى عَقُولِهِمْ وَأَرَائِهِمْ لِأَعْلَى كِتَابِهِ ، بَلْ أَرَادَ مِنْهُمْ أَنْ لَا يَحْمِلُوا
كَلَامَهُ عَلَى مَا يَعْرِفُونَ مِنْ خَطَائِهِمْ وَلَغْتِهِمْ مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى أَنْ يَصْرَحَ لَهُمْ بِالْحَقِّ
الَّذِي يَنْفِي التَّصْرِيحَ بِهِ ، وَبَرِّحَهُمْ مِنَ الْإِلْفَازِ الَّتِي تَوَقَّعُهُمْ فِي الْإِعْتِقَادِ الْبَاطِلِ فَلَمْ
يَفْعَلْ ، بَلْ سَلَكَ بِهِمْ خِلَافَ طَرِيقِ الْهُدَى وَالْبَيَانِ - فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنُّ السُّوءِ

فَإِنَّهُ إِنْ قِيلَ أَنَّهُ غَيْرُ قَادِرٍ عَلَى التَّعْبِيرِ عَنِ الْحَقِّ بِالْإِلْفَازِ الصَّرِيحِ الَّذِي عَبَّرَ بِهِ
هُوَ وَسَلَفُهُ فَقَدْ ظَنَّ الْعَجْزَ بِقُدْرَتِهِ

وَإِنْ قِيلَ أَنَّهُ قَادِرٌ وَلَمْ يَبَيِّنْ وَعَدَلَ عَنِ الْبَيَانِ وَالتَّصْرِيحِ بِالْحَقِّ إِلَى مَا يُوْهُمُ ،

بل يقع في الباطل المحال والاعتقاد الفاسد ، فقد ظن بحكمته ورحمته ظن السوء ، وظن انه وسافه عبروا عن الحق بصريحه دون الله ورسوله ، وان الهدى والحق في كلامهم وعبارتهم ، وأما كلام الله فتأ يؤخذ من ظاهره التشبيه والنسب والاضلال وظاهر كلام انهم وكين الحازرين هو الهدى والحق ، هذا من سوء الظن ، بالله فكل هؤلاء من الظانين بالله ظن السوء ، ومن الظانين بالله غير الحق ظن الجهلية

ومن ظن به انه ليس فوق سمواته على عرشه بأن من خلقه وان نسبة ذاته تعالى إلى عرشه كنسبتها إلى أسفل السافين ، فقد ظن به ظن السوء ، ومن ظن أنه أسفل كما هو أعلى ، وان من قل سبحان ربي الأسفل كمن قل سبحان ربي الأعلى فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه

ومن ظن به خلاف ما وصف به نفسه او وصفه به رسوله ، او عطل حقائق ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله فقد ظن به ظن السوء .

ومن ظن به ان أحداً يشفع عنده بغير اذنه ، وان بينه وبين خلقه وسائط يرفعون حوائجهم اليه ، وانه نصب لعباده أولياء من دونه يتقربون بهم اليه ، ويتوسلون بهم عليه ، ويجعلونهم وسائط بينه وبينهم فيدعونهم في حاجتهم اليه سبحانه وتعالى ، فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه

وقال الحافظ الذهبي : ما دركنا عليه العلماء في جميع الامصار حجازاً وعراقاً وشاماً ويمناً يقولون ان الله على عرشه بأن من خلقه كما وصف نفسه بلا كيف ، وأحاط بكل شيء علماً ، وهكذا يقولون في جميع الصفات القدسية

وقال الحافظ ابو القاسم الطبراني مذهبتنا واختيارنا اتباع رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين من بعدهم ، والتمسك بمذاهب أهل الاثر مثل الشافعي واحمد وغيرهم رحمهم الله ، ونعتقد ان الله عز وجل على عرشه بأن من خلقه (ايس كثره شيء وهو السميع البصير)

وقال محمد بن أسلم الطوسي القرآن كلام الله غير مخلوق أينما نلي وحيثما كان لا يتغير ولا يتبدل ، ينقل من المصحف مائة مصحف وذلك الاول لا يتحول في نفسه ولا يتغير ، وتلقن القرآن ألف نفس وما في صدرك باق بهيئته ، وذلك ان المكتوب والكتابة تعددت والذي في صدرك واحد وما في صدور المؤمنين هو عين ما في صدرك ، والمتلو واحد وإن تعدد التالون له ، وهو كلام الله ووحيه وتنزيله ليس هو كلامنا أصلاً ، وتكلمنا به ، وتلاوتنا به من أفعالنا ، وكذلك كتابتنا له وأصواتنا به من أعمالنا (والله خلقكم وما تعملون)

فالقرآن المتلو مع قطع النظر عن أعمالنا كلام الله ليس بمخلوق فإذا سمعه المؤمنون في الآخرة من رب العالمين فالتلاوة إذ ذاك والمتلو ليسا بمخلوقين وقال عبد الله بن الامام احمد سألت ابي ما تقول في الرجل يقول التلاوة مخلوقة ، وألفاظنا بالقرآن مخلوقة ، وأقرآن كلام الله ليس بمخلوق ؟ وكان ابي يكره أن يتكلم في اللفظ بشيء او يقال مخلوق او غير مخلوق - كلام حسن وإلا فالملفوظ كلام الله ، والتلفظ به فمن كسبنا

وقال الامام ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة - في كتابه مختلف الحديث نحن نقول في قول الله تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) يعلم ما هم عليه كما اذا وجهت رجلاً إلى بلد وقلت له احذر التقصير فاني معك ، تريد انه لا يخفى علي تقصيرك . ولا يسوغ لاحد أن يقول انه سبحانه بكل مكان على الحلول فيه مع قوله (الرحمن على العرش استوى) ومع قوله (اليه يصعد الكلم الطيب) فكيف يصعد اليه شيء هو معه ، وكيف تعرج الملائكة والروح اليه وهي معه ؟ ولو ان هؤلاء رجعوا الى فطرتهم وما ركبت عليه ذواتهم في معرفة الخالق لعلموا ان الله عز وجل هو العلي الاعلى ، وان الايدي ترفع بالدعاء اليه ، والامم كلها أعجميها وعربيها تقول : ان الله في السماء ما تركت على فطرها

وقال ابن خزيمة : من لم يقر بان الله على عرشه استوى فوق سبع سمواته بائن من خلقه ، فهو كافر يستتاب ، فان تاب والا ضربت عنقه ، وكان اماما في الحديث واماما في الفقه

وقال ابن سريج : حرام على العقول أن تمثل الله ، وعلى الاوهام أن تحده ، وعلى الالباب أن تصفه بغير ما وصف به نفسه في كتابه او على لسان رسول الله ﷺ . وقد صح عند جميع اهل الديانة والسنة الى زماننا ان جميع الآيات والاخبار الصادقة عن رسول الله ﷺ يجب على المسلمين الايمان بكل واحد منها كما ورد وان السؤال عن معانيها بدعة وكفر وزندقة . مثل قوله (الرحمن على العرش استوى) وقوله (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) وقوله (وجاء ربك والملك صفا صفا) ونظائرها مما نطق به القرآن كالفوقية والنفس ، واليدبن والوجه ، والسمع والبصر والضحك والتعجب ، وانزول الى السماء الدنيا : اعتقادنا فيه وفي الآي المتشابهة في القرآن أن نقبلها ولا نردها ، ولا نتناولها بتأويل المخالفين ولا نحملها على تشبيه المشبهين ، ولا نترجم عن صفاته بلغة غير العربية

وسئل ابو جعفر الترمذي عن حديث نزول الرب فقال : النزول معقول ، والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة

فالنزول والكلام والسمع والبصر والاستواء عبارات جليلة واضحة للسامع فاذا اتصف بها من ليس كمثلها شيء فالصفة تابعة للموصوف

وقال الطحاوي في العقيدة التي ألفها (ذكر بيان السنة والجماعة على مذهب ابي حنيفة وابي يوسف ومحمد رضي الله عنهم) نقول : في توحيد الله معتقدين أن الله واحد لا شريك له ، ولا شيء مثله ، ما زال بصفاته قبل خلقه . وان القرآن كلام الله يتلى ، وأنزله على نبيه وحيا ، وصدقه المؤمنون حقا ، وأيقنوا انه كلام

الله بالحقبة ليس بمخلوق ، فمن سمعه وزعم أنه كلام البتر فقد كفر . ولرؤية
لأهل الجنة حق بغير إحاطة ولا كيفية

وكل ما في ذلك من الصحيح عن رسول الله ﷺ فهو كما قل ومعناه على
ما أراد سبحانه وتعالى . ولا تثبت قدم الاسلام ، إلا على ظهور التسليم والاستسلام .
فمن رام ما حظر عليه علمه ولم يقنع بالتسليم فهمه ، حجبه مرآته عن خالص التوحيد ،
وصحیح الايمان ، ومن لم يتوق النفي والتشبيه زل ولم يصب التنزيه ، الى أن قال :
والعرش والكروسي حق كما بين في كتابه ، وهو مستغن عن العرش وما دونه ،
محيط بكل شيء وفوقه

وقل ابوالحسن الاشعري في كتابه الذي سماه (اختلاف المصاين ، ومقالات
الاسلاميين) وذكر فرق الخوارج والروافض والجهمية وغيرهم - الى أن ذكر
مقالات أهل السنة وأصحاب الحديث قل : قولهم الاقرار بالله ولائكمته وكتبه
ورسله ، وبما جاء عن الله ، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ ، وإن الله
تعالى على عرشه كما قل (الرحمن على العرش استوى) وإن له يدين بلا كيف كما
قال (بيدي) وإن أسماء الله لا يقال انها غير الله كما قال المعتزلة ، ويقولون
إن لله علما كما قال (أنزله بعلمه وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه) وأثبتوا
السمع والبصر ، ولم ينفوا ذلك كما نفته المعتزلة وقالوا : لا يكون في الارض
من خير وشر إلا ما شاء الله كما قل تعالى (وما تشاءون إلا أن يشاء الله) ويقولون
القرآن كلام الله غير مخلوق ، ويؤمنون بالاحاديث التي جاءت عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم « إن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول : هل من مستغفر »
الحديث . ويقولون إن الله يجيء يوم القيامة كما قل (وجاء ربك والملك صفا صفا)
وإن الله تعالى يقرب من خلقه كيف شاء قال (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد)

الى أن قل - فهذا جملة ما يأمر به ويعتقدونه ويرونه. وبكل ما ذكرنا من قولهم
نقول واليه نذهب .

وذكر الاشعري في كتابه المذكور في | باب هل الباري تعالى في مكان
دون مكان أم ليس في مكان أم في كل مكان ؟ [فقال

اختلفوا في ذلك على سبع عشرة مقالة (منها) قول أهل السنة وأصحاب الحديث
انه ليس بجسم ولا يشبه الاشياء ، وانه على العرش كما قال (الرحمن على العرش
استوى) ولا نتقدم بين يدي الله بالنقول بل نقول : استوى بلا كيف ، وان له
يدين كما قال (خلقت بيدي) وانه ينزل الى سماء الدنيا كما جاء في الحديث -
ثم قل - وقالت المعتزلة استوى على عرشه بمعنى استولى ، وتأولوا اليد بمعنى النعمة
وقوله (تجري بأعيننا) أي بعلمنا .

وقال فيه أيضا في باب الاستواء ان قال قائل ماتقولون في الاستواء ؟ قيل
نقول : ان الله مستو على عرشه كما قال (الرحمن على العرش استوى *) إليه يصعد الكلم
الطيب - وقال - بل رفعه الله إليه)

وقل حكاية عن فرعون (وقال فرعون : يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ
الاسباب - اسباب السموات - فأنطع الى إله موسى واني لأظنه كاذبا) أ كذب
فرعون موسى في قوله : ان إله فوق سمواته . وقال عز وجل (أنتم من في السماء أن
يخسف بكم الارض) فالسموات فوقها العرش ، وكل ما علا فهو سماء ، والعرش
أعلى السموات ، فلو لا ان الله تعالى فوق عرشه ما قال في حق ملائكته (يخفون
رهبهم من فوقهم) ولما فطر الخلق عند سؤاله على رفع الايدي إلى السماء

وقال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرووية ان معنى (استوى) استولى
وملك وقهر ، بما يفيد التجدد والحدوث في الملك ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

بل هو مستو ومالك وقاهر على العرش وعلى جميع مخلوقاته من حين خلقهم وقالوا انه في كل مكان ، وجحدوا أن يكون على عرشه كما قال أهل الحق وذهبوا في الاستواء إلى القدرة ، فلو كان كما قالوا كان لافرق بين العرش وبين الارض السابعة لانه قادر على كل شيء ، وكيف يكون في كل مكان؟ ومنه الحشوش والحانات ، والمزابل ، وما أشبه ذلك من الاماكن المستغفرة . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يكون الله في شيء من ذلك فبطل ما يقولونه بالنقل والعقل .

وذكر أدلة من الكتاب والسنة والعقل سوى ذلك فلا فطيل بذكرها

فلتراجع في مظانها

وقال احمد: جملة ما نقول أن نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وما جاء عن الله ، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ وأن الله إله واحد في ذاته وصفاته لا إله غيره ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الجنة حق والنار حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، وأن الله تعالى مستو على عرشه كما قال (الرحمن على العرش استوى) وأن له وجهاً كما قال (ويبقى وجهه ربك) وأن له يدين كما قال (بل يدها مبسوطتان) وأن له عيناً بلا كيف كما قال (تجري بأعيننا) وأن من زعم أن اسم الله غيره كان جاهلاً ، وأن الله يرى بالابصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر ، وأنه يقلب القلوب بين أصبعين من أصابعه ، وأنه يضع السموات على أصبع ، والارضين على أصبع وأنه ينزل في كل ليلة الى السماء الدنيا كما جاءت الاحاديث ، وأنه يقرب من خلقه كيف يشاء ، كما قال (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) وكما قال (ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى) الى أن قال - ونرى مفارقة كل داعية الى بدعة ومجانبة أهل الاهواء وقد أخذ أبو الحسن (الاشعري) عن الجبائي ثم نابذه ورد عليه وصار متكماً بالسنة

ووافق ثمة الحديث في جمهور ما يقولونه ، وقد نقل اجماعهم على ذلك وموافقتهم عليه ، وكان يتوقد ذكاء ، وتوفي سنة أربع وعشرين وثلاثمائة ، وله أربع وستون سنة رحمه الله

وقال علي بن خلف شيخ الحنابلة بمغداد : الكلام في الرب محدث وبدعة وضلالة ، فلا يتكلم في الله الا بما وصف به نفسه ، ولا يقال في صفاته : لم ؟ ولا كيف على عرشه ستوى ؟ وعلمه بكل مكان ، والقرآن كلام الله وتنزيله ونوره ليس بمخوق وقال الحافظ ابو بكر محمد بن الحسين الآجري في (كتاب الشريعة في السنة) في باب التحذير من مذهب الحلولية ، فالذي ذهب اليه أهل العلم ان الله تعالى على عرشه فوق سمواته ، وعلمه محيط بكل شيء ، ويرفع اليه أعمال العباد . فإن قيل : ما معنى قوله (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) ؟ قيل : علمه والله على عرشه وعلمه محيط بهم . والآية يدل أولها وآخرها على انه العلم وهو على عرشه . هذا قول المسلمين .

وقال مالك رحمه الله : الله في السماء ، وعلمه في كل مكان لا يخلو من علمه مكان وقال احمد بن ابراهيم الاسماعيلي في كتابه (المسمى اعتقاد أهل السنة) قال : اعلموا رحمكم الله أن مذهب أهل السنة والجماعة الاقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وما نطق به كتاب الله ، وما سحت به الرواية عن رسول الله ﷺ لانعدل عما وردا به ، ويعتقدون أن الله تعالى مدعو باسمائه الحسنی ، موصوف بصفاته التي وصف بها نفسه ووصفه بها نبيه ، خلق آدم بيده ويداه مبسوطتان بلا كيف ، واستوى على عرشه ، وأحاط كل شيء علما

وقال الامام محمد الهروي (١) صاحب التهذيب : الله تعالى على العرش ، ويجوز

(١) كذا في الاصل وأعله ابو اسماعيل عبد الله بن محمد الهروي

أن يقال في المجاز هو في السماء لقوله (أأنتم من في السماء)

وقال الامام ابو الحسن علي بن مهدي الطبري تلميذ الاشعري في كتاب (مشكل الآثار) له في باب قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) اعلم أن الله في السماء فوق كل شيء ، مستو على عرشه ، بمعنى أنه عال عليه ، ومعنى الاستواء الاعتلاء كما تقول العرب ، استويت على ظهر الدابة ، واستويت على سطح الدار ، معنى علوته ، واستوت الشمس على رأسي ، واستوى الطير على قمة رأسي بمعنى علا في الجو فوجد فوق رأسي . فلقدیم جل جلاله وتعالى عظمتة عال على عرشه بذاته ، بأن من مخلوقاته لقوله (أأنتم من في السماء — وقوله — يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي — وقوله — تعرج الملائكة والروح إليه)

وزعم البلخي أن استواء الله على العرش هو الاستيلاء عليه ، مأخوذ من قول العرب * استوى بشر على العراق * إذا استولى عليها

[فالجواب] أن الاستواء هنا ليس بمعنى الاستيلاء ، لأن الله مستول على العرش وعلى جميع مخلوقاته من حين أوجدكم كما هو المعلوم من الدين بالضرورة فلا معنى حينئذ لتخصيص العرش بالاستيلاء عليه من دون سائر خلقه ، فبان بذلك بطلان قوله ، وكذلك أيضا الاستواء هنا ليس هو الاستيلاء الذي هو من قول العرب ، استوى فلان على كذا أي استولى إذا تمكن من بعد أن لم يكن متمكنا ، والباري عز وجل لا يوصف بالتمكن بعد أن لم يكن متمكنا تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً إلى غير ذلك من الآيات والاحاديث والآثار ، وما عليه الصحابة والتابعون ، وتابعوهم وأئمة المسلمين من المجتهدين والمقلدين وبالله المستعان وعليه التكلان ، وفيما ذكر كفاية لمن له أدنى دراية وبالله التوفيق إلى سواء الطريق ، وحسبنا الله ، ولا حول ولا قوة الا بالله ولا نعبد الا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . والحمد لله رب العالمين

رِسَالَةُ فِي مَا هُوَ الْمِيثَاقُ الَّذِي أَخَذَ اللَّهُ عَلَى بَنِي آدَمَ

وَالِيهِ الْإِثْمَانَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ
مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا لَهُ الْآيَاتِ

لَمْ يَذْكُرْ اسْمَ مُؤَلِّفِهَا وَالْأُصُولُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ
وَفِيهَا نَقُولُ كَثِيرَةً عَنِ الْعَلَامَةِ الْمُحَقَّقِ ابْنِ الْقَيْمِ مِنْ كِتَابِ الرُّوحِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خالق الانسان من صاصال كالفخار ، ونفخ فيه من روحه لما سيودعه من الحكيم والاسرار ، حيث خلقه بيده وسواه ، وألمه فجوره وتقواه ، لما أراد منه وقدره عليه ، ليكون مصيره ومنتهاه اليه ، وأشهد ان لاإله إلا الله وحده لا شريك له ، وأني عبده وابن عبده وابن أمته ، ومن لاغنى له طرفة عين عن فضله ورحمته ، ولا مطمع له بالفوز بالجنة والنجاة من النار إلا بعفوه ومغفرته ، وأشهد ان محمداً عبده ورسوله وصفيه وحبيبه وخليفه

أما بعد : فقد قال الله سبحانه (واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى ، شهدنا- ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين * او تقولوا انما أشرك آبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهانكنا بما فعل المبطلون ؟ * وكذلك نفصل الآيات ولعلمهم يرجعون)

[اعلم] رحمك الله تعالى بانه سبحانه وتعالى لما ذكر قصة موسى عليه السلام ذكر في هذه الآية مايجري مجرى تقرير الحجة على جميع المكلفين ،

واختلف العلماء في تفسيرها فقال بعضهم محتجاً بما رواه مسلم بن يسار الجهني ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها فقال « إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون » فقال رجل يا رسول الله فقيم العمل ؟ فقال رسول الله ﷺ « إن الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخل به الجنة ، واذا خلق

العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخل به النار» قال الحاكم هذا على شرط مسلم

وروى الحاكم أيضاً من طريق هشام بن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً « لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة أما الذر ، ثم جعل بين عيني كل انسان منهم وبيننا من نور ، ثم عرضهم على آدم قال : من هؤلاء يارب ؟ فقال هؤلاء ذريتك ، فرأى رجلاً منهم أعجبه وبيص ما بين عينيه : فقال يارب من هذا ؟ فقال هذا ابنك داود يكون في آخر الامم ، قل : كم جعلت له من العمر ؟ قال ستين سنة ، قل يارب زده من عمري أربعين سنة ، فقال الله تعالى : اذ يكتب ويختتم فلا يبدل . فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت ، فقال : ولم يبق من عمري أربعون سنة ؟ قل : أولم تجعلها لابنك داود ؟ قال فجحد فجحد ذريته ، ونسي فنسيت ذريته ، وخطيء فخطئت ذريته » وهذا على شرط مسلم ورواه اترمذي وقل هذا حديث حسن صحيح

ورواه الامام احمد من حديث ابن عباس قل : لما نزلت آية الدين قال رسول الله ﷺ « إن أول من جحد آدم » وزاد محمد بن سعد « ثم أكل الله له ألف سنة ولد داود مائة سنة »

وفي صحيح الحاكم أيضاً من حديث أبي جعفر الرازي حدثنا الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب في قوله (وإذ أخذ ربك من بني آدم) الآية قال « جمعهم له يومئذ جميعاً ما هو كائن منهم إلى يوم القيامة فجعلهم أرواحاً ثم صورهم واستنطقهم فتكلموا ، وأخذ عليهم العهد والميثاق (ونشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قلوا بلى شهدنا) قل الله تعالى فاني أشهد عيكم السموات السبع والارضين السبع ، وشهد عليكم أبائكم آدم (ان تقولوا يوم القيمة) لم نعلم او تقولوا (انا كنا عن هذا غافلين) فلا تشركو بي شيئاً ، فاني أرسل اليكم رسلي يذكرونكم

عهدي وميثاقي وأنزل عليكم كتابي ، فقالوا نشهد أنك ربنا وإلهنا لأرب لنا غيرك ولا إله لنا غيرك ، ورفع لهم أبوه آدم فرأى منهم الغني والفقر وحسن الصورة وغير ذلك ، فقال : يارب ، لو سويت بين عبادك ؟ فقال إني أحب أن أشكر ، ورأى فيهم الأنبياء مثل السرج . وخصوصا بميثاق آخر بالرسالة والنبوة فذلك قوله (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح) وهو قوله (فقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) وذلك قوله (هذا نذير من النذر الأولى) وقوله (وما وجدنا لأكثر من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين) وهو قوله (ثم بعثنا من بعدهم رسالا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل) كان في علمه بما أقروا به من يكذب به ومن يصدق به . فكان روح عيسى من تلك الأرواح التي أخذ عليها الميثاق في زمن آدم ، فأرسل ذلك الروح إلى مريم حين (انتبذت من أهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليهم روحنا فتمثل لها بشرًا سويًا - إلى قوله - مقضيا * فحملته) قل حملت الذي خاطبها وهو روح عيسى عليه السلام . قال أبو جعفر : فحدثنا الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال دخل من فيها وهذا اسناد صحيح وروى اسحق بن راهويه بسنده عن هشام بن حكيم بن حزام أن رجلا قل : يا رسول الله ، تبتدأ الأعمال قضي القضاء ؟ فقال « إن الله لما أخرج ذرية آدم من ظهره وأشهدهم على أنفسهم ثم أقض بهم في كفيه فقال هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار ، فأهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة ، وأهل النار ميسرون لعمل أهل النار »

وروى ابن اسحاق بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه « قال لما أراد الله أن يخلق آدم - فذكر خلق آدم - فقال له يا آدم ، أي يدي أحب إليك أن أريك ذريتك فيها ؟ فقال يمين ربي - وكلتا يدي ربي يمين - فبسط يمينه وإذا فيه ذريته كلهم ما هو خالق إلى يوم القيامة ، الصحيح على هيئته ، والمبتلى على هيئته ، والأنبياء

على هيئاتهم ، فقال ألا عافيتهم كلهم ؟ فقال احب ان أشكر »

وروى محمد بن نصر بسنده عن عبد الله بن سلام قال « خلق الله آدم ثم قل بيديه فقبضهما فقال : اختر يا آدم فقال اخترت يمين ربي - وكلتا يديك يمين - فبسطهما فإذا فيها ذريته ؟ فقال من هؤلاء يارب ؟ قال من قضيت ان أخلق من ذريتك إلى يوم القيامة »

وروى أيضا ابن اسحاق بسنده عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط منه كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة »

وحدث ابن اسحاق عن عمرو بن زرارة بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله (وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم) الآية . قال « مسح ربك ظهر آدم فخرجت منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة ، وهو ينظر بنعمان - هذا الذي بازاء عرفة - وأخذ ميثاقهم (ألست بربكم ؟ قالوا بلى ، شهدنا) » ورواه ابو حمزة الضبي ومجاهد وحبيب بن ابي ثابت وابو صالح وغيرهم عن ابن عباس

وقال ابن اسحاق اخبرنا جرير عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمر في هذه الآية قال « أخذهم كما يأخذ المشط من الرأس »

وحدثنا حجاج عن ابن جريج عن الزبير بن موسى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما « ان الله تعالى حين خلق آدم ضرب منكبه اليمين فخرجت كل نفس مخلوقة للجنة بيضاء نقية فقال هؤلاء أهل الجنة ، ثم ضرب منكبه اليسر فخرجت كل نفس مخلوقة للنار فقال هؤلاء أهل النار ، ثم أخذ عهدا على الايمان به والمعرفة له ولأمره والتصديق به وبأمره ، من بني آدم كلهم وتهدم على أنفسهم فآمنوا وصدقوا وعرفوا وأقروا »

وعنه رضي الله عنه « ان آدم أبصر في ذريته قوما لهم نور فقال يارب من هم ؟

فقال الانبياء ، ورأى واحداً هو أشدهم نوراً فقال من هو ؟ فقال داود ، قل كم عمره ؟ فقال ستون سنة ، فقال هو قليل ، وهبت له من عمري اربعين سنة وكان عمر آدم ألف سنة ، فلما تم عمر آدم تسعمائة وستين سنة أتاه ملك الموت ليقبض روحه فقال بقي من أجلي أربعون سنة ، فقال أأنت وهبته من ابنك داود ؟ فقال ما كنت لأهب لاحد من أجلي شيئاً ، فعند ذلك كتب لكل نفس أجلها »
وقل مقاتل : إن الله مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فخرج منه ذرية بيض كهيئة الذر ، ثم جانبه الابرى فخرج منه ذرية سود كهيئة الذر ، فقال يا آدم هؤلاء ذريتك ثم قال لهم (أأنت بربكم ؟ قالوا بلى) فقال للبيض هؤلاء في الجنة برحمتي وهم أصحاب اليمين ، وقال للسود هؤلاء للنار ولا أبالي وهم أصحاب الشمال ، ثم قرأ (وأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة * وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة) ثم أعادهم جميعاً في صلب آدم . فأهل القبور محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق كلهم من أصلاب الرجال وأرحام النساء

وقال تعالى فيمن نقض العهد الاول (وما وجدنا لآلئهم من عهد)
وهذا القول قد ذهب اليه كثير من قدماء المفسرين كسعيد بن المسيب وسعيد ابن جبير والضحاك وعكرمة والكلبي ، وذكر محمد بن نصر من تفسير السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود ، وعن أناس من أصحاب النبي ﷺ في قوله (وإذا أخذ ربك من بني آدم) الآية « لما أخرج الله آدم من الجنة قبل أن يهبط من السماء مسح صفحة ظهره اليمنى وأخرج منه ذرية بيضاء مثل اللؤلؤ كهيئة الذر فقال لهم : ادخلوا الجنة برحمتي ، ومسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر فقال لهم : ادخلوا النار ولا أبالي ، فذلك حيث يقول : وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال ، ثم أخذ منهم الميثاق فقال (أأنت بربكم قالوا بلى) فأعطاه طائفة طائعين وطائفة كارهين على جهة

التقية، فقال هو والملائكة (شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين *
او تقولوا - انما أترك آبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم) فليس أحد من
بني آدم الا وهو يعرف ان الله ربه ، ولا مشرك إلا وهو يقول : انا وجدنا
آباءنا على أمة، فذلك قوله تعالى (واذ أخذ ربك من بني آدم - وقوله - وله أسلم من
في السموات والارض طوعا وكرها - وقوله - فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين)
يعني يوم أخذ عليهم الميثاق سبحانه وتعالى صور النسم ، وقدر خلقها
وأجلها وأعمالها ، واستخرج تلك الصور من مادتها ثم أعادها اليها ، وقدر
خروج كل فرد من أفرادها في وقته المقدر له كما قال أبو محمد بن حزم

نعم الرب سبحانه يخلق منها جملة بعد جملة على الوجه الذي سبق به التقدير
اولا فيجيء الخلق الخارجي مطابقا للتقدير السابق كشأنه سبحانه وتعالى في جميع
مخلوقاته، قدر لها اقداراً وآجالاً وصفات وهيئات ثم أبرزها في الوجود مطابقة لذلك
التقدير الذي قدره لها لا تزيد عليه ولا تنقص عنه ، وأخذ عليهم الميثاق بالتوحيد
وترك الانداد فلا تناقض حينئذ بين الآية والاحاديث لان مافي الآية لا ينافي المسح
على ظهر آدم ، ولا في الاحاديث ما ينفي خروج الذرية من ظهور بني آدم ، وانما
سبقت الآية ببيان ما وقع من أخذ الميثاق ، وبروز الذرية من ظهور بني آدم ،
وهذا لا يخالف مافي الاحاديث المذكورة من ان الله تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره
بيمينه فاستخرج منه ذرية فان الذرية المستخرجة من ظهور بني آدم هي بواسطة
مسح ظهر أبيهم ، فخرج من ظهره ذرية بلا واسطة ، وخرج من ظهور ذريته
ذرياتهم بواسطة مسح ظهر أبيهم ، ويصدق عليهم جميعا انهم استخرجوا من ظهر
دم بواسطة وبلا واسطة ، وهكذا حكم كل فرع مع أصله .

فالآية الكريمة فصلت ما أجملته الاحاديث من الانخراج وبينت كيفيته ،
وبينت الاحاديث ان أخذ الذرية من ظهور بني آدم بواسطة مسح ظهر أبيهم ،

حتى خرج منه من علم الله بروزه الى علم الكون والفساد ، وأخذ عليهم الميثاق بالتوحيد وترك الانداد ، وليس فيها نفي ماتضمنته الآية من خروج الذرية من ظهور بني آدم كما أخبر الله سبحانه وتعالى

ونازع هؤلاء البعض الآخر في كون هذا معنى الآية . وقالوا معنى قوله تعالى (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم) أي أخرجهم ، وأنشأهم بعد أن كانوا نطفة في أصلاب الآباء الى الدنيا على ترتيبهم في الوجود ، وأشهدهم على أنفسهم انه ربهم بما أظهر لهم من آياته وبراهينه التي تضطرهم الى أن يعلموا انه خالقهم ، فليس من أحد الا وفيه من صنع ربه ما شهد على انه بارئه وناقد الحكم فيه ، فلما عرفوا ذلك ودعاهم كل ما يرون ويشاهدون الى التصديق به كانوا بمنزلة الشاهدين والمشهدين على أنفسهم بصحته ، كما قال في غير هذا الموضع من كتابه (شاهدين على أنفسهم بالكفر) يريد : هم بمنزلة الشاهدين وان لم يقولوا نحن كفرة ، وكما يقال : قد شهدت جوارحي بقولك ، يريد قد عرفته ، وكأن جوارحي لو شهدت وفي وسعها أن تنطق لشهدت

ومن هذا الباب أيضا (شهد الله أنه لا إله إلا هو) يريد أعلم وبين ، فاشبهه اعلامه وتبينه ذلك شهادة من شهد عند الحكم وغيرهم ، كما قاله ابن الانباري وزاد الجرجاني - بيانا لهذا أقول - فقال حاكبا عن أصحابه : ان الله لما خلق الخلق ونفذ علمه فيهم بما هو كائن مما لم يكن بعد صار ما هو كائن كالشكائن ، اذ علمه بكونه واقعا غير كونه واقعا في مجاري العربية فساغ أن يضع ما هو منتظر مما لم يقع بعد موضع الواقع لسبق علمه بوقوعه كما قال عز وجل في مواضع من القرآن كقوله (ونادى أصحاب النار - ونادى أصحاب الجنة - ونادى أصحاب الاعراف) قال فيكون تأويل قوله (وإذ أخذ ربك) وإذ يأخذ ربك وكذلك قوله (وأشهدهم على

أنفسهم) اي ويشهدون بما ركب فيهم من العقل الذي يكون به الفهم ، ويجب به الثواب والعقاب ، وكل مولود بلغ الحنث وعقل الضر والبغ ، وفهم الوعد والوعيد والثواب والعقاب صار كأن الله تعالى أخذ عليه الميثاق في التوحيد بنا ركب فيه من العقل ، وأراه من الآيات والدلائل على وجوده ، وأنه لا يجوز أن يكون قد خلق نفسه ، وإذا لم يجوز ذلك فلا بد له من خالق هو غيره (ليس كمثل شئ) وليس من مخلوق يبلغ هذا المبلغ ، ولم يقدح فيه مانع من فهم ، إلا إذا حزنه أمر فزع إلى الله عز وجل حين يرفع رأسه إلى السماء ويشير إليها بأصبعه علما منه بأن خالقه فوقه ، وإذا كان العقل الذي منه الفهم والافهام مؤديا إلى معرفة ما ذكرنا ودالا عليه ، فكل من بلغ هذا المبلغ فقد أخذ عليه العهد والميثاق . وجاز أن يقال له قد أقر وأذعن واستسلم إذ جعل فيه السبب والآلة للذين بهما يؤخذ العهد والميثاق كما قال عز وجل (ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها)

واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم « رفع القلم عن ثلاثة : عن الصبي حتى يحتلم ، وعن المجنون حتى يفيق ، وعن النائم حتى ينتبه » وقوله عز وجل (إنا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها - ثم قل - وحملها الانسان)

والامانة ههنا عهد وميثاق فامتناع السموات والارض والجبال من حمل الامانة خلوها من العقل الذي يكون به الفهم والافهام ، وحمل الانسان إياها لمكان العقل فيه . قال وللعرب في هذا المعنى ضروب نظم فمنها قوله :

ضمن القنان لفقوس سواها ان القنان لفقوس لاياتي

والقنان جبل فذكر انه قد ضمن لفقوس ، وضمانه لهم أنهم كانوا إذا جرى بهم أمر من هزيمة أو خوف لجأوا إليه فجعل ذلك كالضمان منه لهم . ومن قول النابغة

كأجارج الجولان من هلك ربه وحوران منها خاشع متضائل (١)
وأجارج الجولان جبالها وحوران الأرض التي إلى جانبها.

قال إن في قوله (إن تقولوا يوم القيامة أنا كنا عن هذا غافلين* أو تقولوا إنما
أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم) دليلاً على هذا التأويل لأنه عز وجل
علم أن هذا الأخذ للعهد عليهم لئلا يقولوا يوم القيامة (أنا كنا عن هذا غافلين)
والغفلة ههنا لا تخلو من أحد وجهين: إما أن يكون عن يوم القيامة أو عن
أخذ الميثاق، فأما يوم القيامة فلم يذكر سبحانه في الكتاب أنه أخذ عليهم عهداً
وميثاقاً بمعرفة البعث والحساب وإنما ذكر معرفته فقط

فأما أخذ الميثاق فلا طفال والأسقاط إن كان هذا العهد مأخوذاً عنهم - كما
قل الخائف - فهم لم يبايعوا بعد أخذ الميثاق عليهم مبالغاً يكون منهم غفلة عنه
فيجحدونه وينكرونه. فتي تكون هذه الغفلة منهم؟ وهو عز وجل لا يؤاخذهم
به لم يكن منهم. وذكر مالا يجوز ولا يكون - محال

وقوله (أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم) فلا
يخلو هذا الشرك الذي يؤاخذون به أن يكون منهم أنفسهم أو من آباءهم، فإن
كان منهم فلا يجوز أن يكون ذلك إلا بعد البلوغ وثبوت الحجّة عليهم، إذ طفلاً
لا يكون منه شرك ولا غيره، وإن كان من غيرهم فالامة مجمعة على (أن لا تزر
وزرة وزر أخرى) كما قال الله عز وجل

وليس هذا بمخالف لما روي عن النبي ﷺ «إن الله مسح ظهر آدم وأخرج
منه ذرية، وأخذ عليهم العهد» لانه ﷺ اقتصر قول الله عز وجل فجاء بمثل

(١) كذا في الأصل والبيت يرثي به النابغة أباحجر انساني. وهو في التاج هكذا:
* بكى حارث الجولان من فقد ربه الخ وبروي من هلك ربه. كما هنا. والحارث قلة من
قلاهم. والجولان: جبل بالشام

نظمه فوضع الماضي من اللفظ موضع المستقبل ، وهذا شبيه قوله (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به) فجعل سبحانه ما أنزل على الانبياء من الكتاب والحكمة ميثاقا أخذه من أممهم بعدهم ، يدل على ذلك قوله (ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه) ثم قال للامم (اقررتم وأخذتم على ذلکم إصري ؟ قالوا اقررن ، قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين)

فجعل سبحانه بلوغ الامم كتابه المنزل على أنبيائهم حجة عليهم كأخذ الميثاق عليهم وجعل معرفتهم اقراراً منهم .

وشبيه به أيضاً قوله (واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قمتم سمعنا وأطعنا) فهذا ميثاقه الذي أخذه عليهم بعد ارسال رسله اليهم بالایمان به وتصديقه ، ونظيره قوله تعالى (والذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق) وقوله (ألم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين * وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم) فهذا عهده اليهم على السنة رسله ، ومثله قوله تعالى لبني اسرائيل (وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم) ومثله (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتديننه للناس ولا تكتمونه) وقوله (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) فهذا ميثاق أخذه منهم بعد بعثهم كأخذ من أممهم بعد انذارهم

وهذا الميثاق الذي لعن الله سبحانه من نقضه وعاقبه بقوله (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية) فانما عاقبهم بنقضهم الميثاق الذي أخذه عليهم على السنة رسله . وقد صرح به في قوله (وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعنكم تتنون)

ولما كانت هذه الآية ونظيرها في سور مدنية خاطب بالتذكير بهذا الميثاق

فيها اهل الكتاب فانه ميثاق اخذه عليهم بالايان به وبرسله
ولما كانت آية الاعراف في سورة مكية ذكر فيها الميثاق والاشهاد العام
بجميع المكلفين بالاقرار بربوبيته ووحدانيته وبظلال الشرك وهو ميثاق واشهاد
تقوم به عابهم الحجة ، وتنقطع به العذرة ، وتحل به العقوبة ، ويستحق بمخالفته
الاهلاك ، فلا بد ان يكونوا ذاكرين له عارفين به ، وذلك ما فطرهم عليه من الاقرار
بربوبيته وانه ربهم وفطرهم ، وانهم مخلوقون مربوبون ، ثم أرسل اليهم رساله
يذكرونهم بما في فطرهم وعقولهم ويعرفونهم حقه عليهم ، وامره ، ونهييه ، ووعدته
ووعيدته ، ونظم الآية انما يدل على هذا من وجوه متعددة

[احدها] انه قال سبحانه وتعالى (واذا اخذ ربك من بني آدم من اقل
من آدم وبنو آدم غير آدم

[الثاني] انه قل (من ظهورهم) ولم يقل من ظهره ، وايس لآدم إلا ظهره ،
وهذا يدل بعض من كل او يدل اشتغال وهو أحسن

[الثالث] انه قال (ذرياتهم) بصيغة الجمع ولم يقل من ذريته وهو مفرد (١)
[الرابع] انه قال (وأشهدهم على انفسهم) اي جعلهم شاهدين على انفسهم
فلا بد ان يكون شاهداً ذاكرًا ، لا يشهد به وهو انما يذكر شهادته بعد خروجه
إلى هذه الدار لا يذكر شهادته قبلها

[الخامس] انه سبحانه أخبر ان حكمة هذا الاشهاد اقامة الحجة عليهم لثلاث
يقولوا يوم القيامة (انا كنا عن هذا غافلين) والحجة انما قامت عليهم بالرسول
والفطر التي فطروا عليها كما قال تعالى (رسلا مبشرين ومنذرين * لئلا يكون
للناس على الله حجة بعد الرسل)

[السادس] تذكيرهم بذلك لئلا يقولوا يوم القيامة (انا كنا عن هذا

(١) في قراءة حفص المشهورة (ذريتهم) والمفرد المضاف الى الجمع يفيد العموم

غافلين) ومعلوم انهم غافلون بالاعراج لهم من صلب آدم كلهم واشهادهم جميعا ذلك الوقت فهذا لا يذكره احد منهم

[السابع] قوله (أو تقولوا انما أشرك آبؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم) فذكر حكمتين في هذا التعريف والاشهاد (احدهما) ان لا يدعوا الغفلة (والثانية) ان لا يدعوا التقليد ، فالغافل لاشعوره ، والمقلد متبع في تقليده لغيره

[الثامن] انه سبحانه وتعالى اشهد كل واحد على نفسه انه ربه وخالقه ، واحتج عليهم بهذا الاشهاد في غير هذا الموضع من كتابه كقوله (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون) اي فكيف يعرضون عن التوحيد بعد هذا الاقرار منهم ان الله ربهم وخالقهم ؟ وهذا كثير في القرآن

فهذه هي الحجة التي أشهدهم على انفسهم بمضمونها وذكرتهم بها رسوله بقوله (أفئ الله شك فاطر السموات والارض) فالله سبحانه وتعالى ذكرهم على السنة رسله بهذا الاقرار والعرفه ولم يذكرهم باقرار سابق على ايجادهم ولا أقام به عليهم حجة [التاسع] قوله تعالى (افتمهلكمنا بما فعل المبطلون) اي لو عذبهم لجحودهم وشركهم فقالوا ذلك وهو سبحانه وتعالى انما يهلكهم لمخالفة رسله وتكذيبهم ، فلو اهلكهم بتقليد آباؤهم في شركهم من غير اقامة الحجة عليهم بالرسل لاهلكهم بما فعل المبطلون او اهلكهم مع غفلتهم عن معرفة بطلان ما يكونون عليه وقد أخبر سبحانه بانه لم يكن (ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون) وانما يهلكهم بعد الاعذار والانذار

[العاشر] انه جعل هذا آية وهي الدلالة الواضحة البينة المستلزمة لدلوها بحيث لا يتخلف عنها المدلول وهذا شأن آيات الرب تعالى فانها أدلة معينة على مطلوب معين مستلزم للعلم به فقال تعالى (وكذلك نفصل الآيات) اي مثل

هذا التفصيل والتبيين ، (ولعلمهم يرجعون) من الشرك إلى التوحيد ، ومن الكفر إلى الإيمان

وهذه الآيات التي فصلها وبينها في كتابه من انواع مخلوقاته وهي آيات أقدية ونفسية ، آيات في نفوسهم وذواتهم وخلقهم ، وآيات في الافطار والنواحي مما يحدثه الرب تبارك وتعالى مما يدل على وجوده ووحدايته ، وصدق رسله والمعاد والقيامة ، ومن أثبتها ما شهد به كل أحد على نفسه من انه ربه وخالقه ومبدعه ، وانه مربوب مصنوع مخلوق ، حادث بعد أن لم يكن ، ومحال ان يكون محدثا بلا محدث او يكون هو المحدث لنفسه ، فلا بد له من موجد أو جده (ليس كمثل شيء) وهذا الاقرار والمشاهدة فطرة فطروا عليها ليست بمكتسبة

وهذه الآية وهي قوله (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم) مطابقة لقوله ﷺ « كل مولود يولد على الفطرة » ولقوله تعالى (فاقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك لدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) وفيما ذهبتم اليه من تأويل هذا الحديث على ظاهره تفاوت بينه وبين ما جاء به القرآن في هذا المعنى إلا أن يرد تأويله الى ما ذكرناه ، لانه عز وجل قال (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم) لم يذكر آدم في القصة انما هو ههنا مضاف اليه لتعريف ذريته انهم منه وأولاده وفي الحديث « انه مسح ظهر آدم » فلا يمكن رد ما جاء في القرآن وما جاء في الحديث إلى الاتفاق الا بالتأويل الذي ذكرناه

قال الجرجاني : وأنا أقول ونحن الى ما روي في الآية عن رسول الله ﷺ وما ذهب اليه اهل العلم من السلف الصالح اميل ، واليه أقبل ، وبه آنس

قال ابن القيم : وفيما ادعيتموه من التفاوت بين الآية والخبر لاختلاف ألفاظهما نظر لان الخبر عن الرسول ﷺ « ان الله مسح ظهر آدم » أفاد زيادة خبر كان في القصة التي ذكرها الله في كتابه ، ولو أخبر النبي ﷺ سوى هذه الزيادة

التي أخبر بها فما عسى أن يكون قد كان في ذلك الوقت الذي أخذ فيه العهد مما لم يضمته الله كتابه لما كان في ذلك خلاف ولا تفاوت ، بل كان زيادة في الفائدة . وكذلك الالفاظ اذا اختلفت في ذاتها و كان مرجعها الى شيء واحد لم يوجب ذلك تناقضاً ، كما قال عز وجل في كتابه في خلق آدم ، فذكر مرة انه خلق من راب ، ومرة انه خلق من حمأ مسنون . ومرة من طين لازب ، ومرة من صلصال كالفخار . فهذه الالفاظ مختلفة ومعانيها ايضاً في الاحوال مختلفة ، فان الصلصال غير الحمأ والحمأ غير التراب الا ان مرجعها كلها في الاصل الى جوهر واحد وهو التراب ومن التراب تدرجت في هذه الاحوال . فقلوه سبحانه وتعالى (واذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم) وقوله ﷺ « ان الله مسح ظهر آدم واستخرج منه ذريته » فرجعهما الى جوهر واحد وهو آدم ، ومنه تدرجت الذرية إلا أن قوله ﷺ « مسح ظهر آدم » زيادة في الخبر عن الله عز وجل ، ومسح ظهر آدم مسح لظهور ذريته ، واستخراج ذرياتهم من ظهورهم كما أخبر الله سبحانه وتعالى بذلك - الى ان قال ابن القيم رحمه الله - :

وفيه أيضاً انه عز وجل لما أضاف الذرية الى آدم احتمل ان يكون الخبر عن الذرية وعن آدم كما قال تعالى (فظلت أعناقهم لها خاضعين) فالخبر في الظاهر عن الاعناق والنعمة للاسماء السكنية فيها وهو مضاف اليها كما كان ادم مضافاً اليه هناك ، وليساً جميعاً بالمقصودين في الظاهر بالخبر ولا يحتمل أن يكون قوله (خاضعين) للاعناق لان وجه جمعها خاضعات . ومنه قول الشاعر :

ويشرق بالقول الذي قد أذعته كما شرقت صدر القناة من الدم
فالصدر مذكر . وقوله : شرقت أنت لاضافة الصدر الى القناة (١)

« ١ » الى كلام ابن القيم رحمه الله وأوله (ونازع هؤلاء البعض الآخرون)

وقال أصحاب النظر وأرباب المعقولات انه تعالى اخرج الذرية وهم الاولاد من أصلاب آبائهم، وذلك الاخراج انهم كانوا نقطة فأخرجها الله تعالى من أصلاب الآباء الى ارحام الامهات وجعلها علقه ثم مضى حتى جعلهم بشرًا سويًا، وخلقها كاملاً مرضياً. ثم استهدمهم على أنفسهم بما ركب فيهم من دلائل وحدانيته، وعجائب خلقه، وخزان صنعته وقت الاشهاد حتى صاروا كأنهم قتلوا بل وان لم يكن هناك قول بالاسان، ولذلك نظائر منها قوله تعالى (قل لها والارض: اثنيًا طوعاً، أو كرها قالتا اتيدا طائعين) ومنها قوله تعالى (انما امرنا بشيء اذا اردناه أن نقول له كن فيكون) وقالت العرب *امتلاً* الحوض وقل قطي *فهذا النوع من المجاز والاستعارة مشهور في كلام العرب فوجب حمل الكلام عليه

هذا ما اطلمت عليه من كلام السلف والخلف في الآية والحديث ومحصل الفائدة منهما ﴿ثبوت الحجة على كل منفوس من بلغ ومن لم يبلغ بالميثاق الذي أخذه عليهم بالمعرفة له، ولايمان به، بقوله تعالى (ألست بربكم؟) وزاد على من بلغ منهم الحجة بالآيات والدلائل التي نصبها لهم في أنفسهم وفي العالم، وبارسال الرسل اليهم مبشرين ومنذرين، وبالواعظ والامثال المنقولة اليهم اخبارها ولا يطالب سبحانه وتعالى أحداً بشيء من الطاعة، إلا بقدر ما لزمه من الحجة، وركب فيه من القدرة، وبين سبحانه ما هو عامل في البالغين الذين أدركوا الامر والنهي وحجب عنا علم ما قدره في غير البالغين إلا أننا نعلم انه عدل لا يجور في حكمه، وحكيم لا تنفاوت في صنعته، وقادر لا يستل عما يفعل (له الخالق والامر تبارك الله رب العالمين) ﴿١﴾

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

«تمت»

«١» ما بين الملامتين ﴿ من كلام ابن القيم في الروح

مسائل وفوائد في فقهية
في الطهارة وأجمعة والأصحية والتقليد
والوقف واللقطة والصلح

من تأليف

الفاضل المحقق الشيخ حسن بن حسين مرعفاة الشيخ محمد بن عبد الوهاب
رحمهم الله

بسم الله الرحمن الرحيم

مسائل وفتاوى في فروع فقهية

من حسن بن حسين الى الاخ الفاجح والمحب الصالح عبد الرحمن بن محمد
لا زال علمه يزداد ويتجدد

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، والخط المصحوب بالصحيفة، المشتملة على
سؤالكم اللطيفة، وصل وصالحكم الله عز وجل، وتلقينا الاسئلة باثرحاب، ووافيناها
فوراً بالجواب، طلبا لمستطاب انشواب، ورجاء لدعوات نافعة في المآب
قال السائل كثر الله تعالى فوائده (المسئلة الاولى) رجل عليه موجب
للغسل فنوى بطهارته رفع الحدث الاكبر فقط، هل يرتفع الاصغر وتتداخل
الاحداث بعضها في بعض أم لا؟

[الجواب] اذا نوى من عليه موجب اكبر رفعه بغسله فانه يرتفع النوى
وما كان من جنسه ووصفه، كما اذا نوت من عليها غسل حيض وجنابة رفع أحد
الحدثين فيرتفعان معاً بنية رفع أحدهما بالغسل، لتداخلهما وتساويهما موجبا
وحكما. وكما اذا نوى رفع الحدث وأطلق، أو نوى الصلاة ونحوها مما يحتاج لوضوء
وغسل. ويسقط الترتيب والمواالة، لكون البدن فيه بمنزلة العضو الواحد. وأما
الحدث الاصغر فلا يرتفع بنية الاكبر فقط لما بينهما من تباين الاوصاف
واختلاف الاصناف التي لا يجمعها تداخل. هذا منصوص أحمد والمعتمد عند
اكثر اصحابه وهو من مفردات مذهبه. قال ناظمها :

والغسل للكبرى فقط لا يرفع صغرى وان نوى فعنه يرفع

قال في شرحه : اي وان نوى بالغسل الطهارة الكبرى أي رفع الحدث الاكبر لم يرتفع حدثه الاصغر لقول رسول الله ﷺ « وأما لكل امرئ ما نوى » وهذا لم ينو الوضوء . هذا الصحيح من المذهب وعليه جماهير الاصحاب وقطع به كثير منهم . اهـ

وحكى في الفروع والمبدع والانصاف عن الازجي وأبي العباس ابن تيمية ان الاصغر يرتفع بنية الاكبر ، وجزم به ابن اللحام في الاختيارات لاندرج الاصغر في الاكبر ، فيدخل فيه ويضمحل معه . ومبنى الطهارات على التداخل فهاية الاصغر انعدمت بانعدام جزئها وسواء تقدم الاصغر الاكبر أو تأخر عنه وروى البيهقي عن عمر انه كان يقول : وأى وضوء أم من الغسل اذا أجنب الفرج ؟ وعن يحيى بن سعيد قال سئل سعيد بن المسيب عن الرجل يغتسل من الجنابة . يكفيه ذلك من الوضوء ؟ قال نعم

واستأنسوا — أعني القائلين بدخوله في الاكبر — بحديث جابر بن عبد الله ان أهل الطائف قالوا : يا رسول الله ، ان ارضنا باردة فما يجزئنا من غسل الجنابة ؟ فقال « أما انا فأفرغ على رأسي ثلاثاً » وبقونه ﷺ « أما يكفيك أن تحشي على رأسك ثلاث حشيات ثم تفيضين عليك الماء فتطهرين » أو قال « فاذا أنت قد طهرت » رواهما مسلم . اسكن الدلالة من هذين الحديثين ليست بصريحة وعلى المذهب فقد حصر محشي المنتهى الشيخ عثمان صور نية رفع الحدث الاكبر في ست فقال :

نية رفع الحدث الاكبر . نية رفع الحدثين . نية رفع الحدث وتطلق . نية استباحة أمر يتوقف على الوضوء والغسل معاً . نية ما يسن له الغسل ناسياً للغسل الواجب ، ففي هذه الصور كلها يرتفع الاكبر ، ويرتفع الاصغر أيضاً فيما عدا الاولى والاخيرتين ، ثم ذكر انها تأتي في الاصغر أيضاً وزيادة ولا حاجة لذكرها هنا لانها ليست من غرض السائل



(المسئلة الثانية) إذا غسل يديه من عليه الحدث الاكبر بنية اقيام من نوم الليل، هل يرتفع الحدث عنهما بتلك النية أم لا بدمن التخصيص بالنية أو بالفعل أو بهما؟
(الجواب) إذا قلنا بما اعتمده المتأخرون من الروايات عن احمد في هذه المسئلة واشترطنا النية لغسلهما كما هو المقطوع به عندهم فان غسلهما بنية اقيام من نوم الليل لا يرفع الحدث عنهما، لانهم صرحوا بان غسلهما من نوم الليل طهارة مفردة يجوز تقديمها على الوضوء والغسل بالزمن الطويل ، لكون وجوب غسلهما منه تعبديا غير معقول لنا، لاحتمال ورود النجاسة عليهما وغسلهما لمعنى فيهما لا كما يتوليه بعضهم ، وحكاه ابو الحسين ابن القاضي رواية عن احمد من ان غسلهما لادخالهما في الاناء ، فقد عرفت انه لا بد لرفع الحدث عنهما من نية وفعل، على المذهب خاصة

﴿ تنبيه ﴾ غمس الشمال في هذا كغمس اليمين ولا فرق لانه مفرد مضاف فيعم كقوله عليه السلام « اذا وطئ أحدكم بنعله الاذى » صرح به في قوله « فان اتراب لهما طهور » وقواه في رواية مسلم « فنفض بيده » والمراد بيديه كما في التفتق عليه . قال ابو الحسن ابن اللحام في القواعد الاصولية : المفرد المضاف يعم ، هذا مذهبا ونصا عليه امامنا تبعاً لعلي وابن عباس وقال بدر الدين بن عبد الهادي في كتابه : غاية السؤل في الاصول المفرد المضاف يعم .

قال ابن القيم في البدائع : وعموم المفرد المضاف من قوله (وصدقت بكلمات ربها وكتابه) وقوله (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق) والمراد جميع الكتب التي أحصيت فيها أعمالهم انتهى
[قلت] ويستفاد أيضاً من قوله تعالى (ولا يجزي والد عن ولده) وقوله (فمصوا رسول ربهم)

قل ابن كثير: وليس رسولهم واحد، وقوله ﷺ فيما روي به عن ربه عز وجل «لو أن السموات السبع وعامرهن غيري» والمراد جميع عمادهن سوى الله سبحانه. ونظائره كثيرة في الكتاب والسنة واللغة فلا نطول باستقصائه إذ ان مقام اختصار. والغرض التفتن لهذه القاعدة المهمة

*
* *

﴿المسئلة الثالثة﴾ اذا غسلها بنية رفع الحدث فهل يؤثر غمسها في الماء بعد الغسل ام لا ؟
(الجواب) اذا فرغنا على القول الذي ذكرناه اولاً فان غسلها والحالة هذه يؤثر في الماء فساداً

قال في شرح المفردات ولا يكفي نية الغسل عن نية غسلها انتهى ، وكذا قال غيره من متأخري الاصحاب لما تقدم من انها طهارة مفردة
اذا تقرر هذا فاعلم ان احمد نص في رواية أخرى على ان غمسها في الماء القليل لا يسلبه الطهورية ، واختارها من أصحابه الحنفي والموفق وأبو البركات ابن تيمية وابن ابي عمر في شرح المقنع وجزم به في الوجيز وفقاً لأكثر الفقهاء
قال في شرح مسلم : الجاهير من العلماء المتقدمين والمتأخرين على انه نهي تنزيه لا تحريم ، فلو خالف وغمس لم يفسد الماء ولم يأنم الغامس . وأما الحديث (١) فمحمول على التنزيه . انتهى

*
* *

﴿المسئلة الرابعة﴾ هل يظهر لكم دليل الاصحاب في اشتراطهم تقدم الطهارة للمسح على الجبيرة ام لا ؟

(الجواب) دليلهم القياس على الخف والعمامة ، بجامع الحائل . والقياس اذا صح فهو أحد الأدلة الخمسة التي هي الكتاب والسنة والاجماع والقياس والاستصحاب
«١» وهو «إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الماء حتى يمسح بها»

فكل واحد من هذه الخمسة دليل مستقل بنفسه، إلا أنه وقع من بعض الاصوليين خلاف في الاستصحاب ، وقال ابن عبد الهادي : ذكره المحققون اجماعا انتهى ، فالتحق بالاصول الاربعة

وقد عرفوا القياس اصطلاحا بأنه حمل فرع على أصل في حكم بجامع بينهما . قال ابن عبد الهادي : وأركانه أربعة الاصل ، والفرع ، وحكم الاصل ، والوصف الجامع . انتهى ، قال ابو العباس ابن تيمية : لا تتناقض دلالة القياس اذا كانت صحيحة انتهى .

فينظر في قياسهم الجبيرة على الخلف ونحوه ، هل هو صحيح باجتماع أركان القياس الصحيح فيه فيصح دليلا ام لا ؟ وانما يتضح ذلك بنقل عبارات أهل الاصول المحررة ، وتهديد قواعدهم المقررة ، ولو ذهبنا نقلها في هذا الموضع لأدى بنا ذلك الى التزام مالا يلزم .

اذا علمت ذلك فما اعتمده متأخرو الاصحاب من هذا الاشتراط هو إحدى الروايتين عن احمد (الثانية) لا يشترط لمسح الجبيرة تقدم الطهارة واختارها الخلال وابن عقيل وابو عبد الله ابن تيمية في التلخيص والموثق ، وجزم به في الوجيز الاخبار والمشقة لكون الجراح قد تقع في حال لا يعلم وقوعها فيه ، ففي اشتراط تقدم الطهارة للمسح افضاء إلى الحرج الموضوع

*
* *

﴿ المسئلة الخامسة ﴾ هل يشترط الموالة والترتيب بين الوضوء والتيميم أم لا (الجواب) قال في المبدع وإن كان حدث الجريح أصغر راعى الترتيب والموالة ويميد غسل الصحيح عند كل تيمع في وجهه ، وفي الآخر لا ترتيب ولا موالة . فعلى هذا لا يبيد الغسل إلا اذا أحدث انتهى . والاول هو الذي اعتمده المتأخرون فأوجبوا الترتيب والموالة بين الوضوء والتيميم لاشتراط الترتيب في

الوضوء ، فلا ينقل عن عضو حتى يكمله غسلاً وتيمماً عملاً بقضية الترتيب ، فعلى هذا لا يضر ندوة التراب في يديه كما هو ظاهر كلامهم ، وصرح به بعض الشافعية ، وحكى في الفروع عن المجد أن قياس المذهب أن الترتيب سنة وحكى في الإنصاف وغيره عن أبي العباس ينبغي أن لا يرتب وقال غيره لا تلزمه مراعاة الترتيب ، وهو الصحيح من مذهب أحمد وغيره ، قال والفصل بين أبعاض الوضوء بتيمم بدعة . وجزم به ابن اللحام في الاختيارات ، والنفس تميل إلى ما قاله لاسماً وقد حكى هو وغيره من العلماء عن أصل أحمد وغيره من فقهاء الحديث أن الأصل في العبادات التوقيف فلا يشرع منها إلا ما شرعه الله . اللهم إلا أن يكون بين إيجاب الترتيب والموالاتة وبين بعض الأدلة الشرعية رابط خفي علينا فنفوق كل ذي علم علم

*
* *

﴿ المسئلة السادسة ﴾ هل يظهر لكم دليل لاشتراطهم دخول الوقت لوضوء من حدثه دائم كسلس البول ودائم الريح ومن به قروح أو جروح ؟
(الجواب) دليل ما ذكره من اشتراط دخول الوقت لمن حدثه دائم كسلس البول ودائم الريح والجروح التي لا يرقأ دمها والقروح السيالة ، هو القياس على المستحاضة بجامع العذر . وقد أسلفنا لك أن القياس إذا صح دليل مستقل بنفسه ، ونحن نذكر حكم المسئلة من كلامهم . قال في شرح المفردات عند قول الناظم :

وبدخول الوقت ظهر يبطل لمن بها استحاضة قد نقلوا
لا بالخروج منه لو تطهرت للفقير لم يبطل بشمس ظهرت

يعني أن المستحاضة ومن به سلس البول ونحوه يتوضأ لوقت كل صلاة إلا لأن يخرج منه شيء ، وهو قول أصحاب الرأي لحديث علي بن ثابت عن أبيه

عن جده في المستحاضة «تدع الصلاة أيام أقرأها ثم تغتسل وتصوم وتصلي وتوضأ عند كل صلاة» رواه أبو داود والترمذي

وعن عائشة قالت: جاءت فاطمة بنت أبي حبيش إلى النبي ﷺ - فذكرت خبرها - ثم قالت قال «توضي لكل صلاة حتى يجيء ذلك الوقت» رواه أحمد وأبو داود والترمذي وقال حسن صحيح . فإذا توضأ أحد هؤلاء قبل الوقت ثم بعد أن دخل الوقت بطلت طهارته لأن دخوله يخرج به الوقت الذي توضأ فيه . والحدث مبطل للطهارة، وإنما عفي عنه مع الحاجة إلى الطهارة، ولا حاجة قبل الوقت، وإن توضأ بعد الوقت صح وضوءه ولم يؤثر فيه ما يتجدد من الحدث الذي لا يمكن التحرز منه، ولا تبطل الطهارة بخروج الوقت إذا لم يدخل وقت صلاة أخرى من الخمس، فمن تطهرت لصلاة الصبح لم يبطل وضوءها بطلوع الشمس لأنه لم يدخل وقت صلاة أخرى

قال المجدد - في شرح الهداية - ظاهر كلام أحمد أن طهارة المستحاضة تبطل بدخول الوقت دون خروجه . وقال أبو يعلى : تبطل بكل واحد منهما ثم قال : والاول أولى انتهى . ومشى على الثاني في الاقناع . والمشهور عند الحنفية أنها تبطل بخروج الوقت لا بدخوله، فلو توضأت بعد طلوع الشمس لم تبطل حتى يخرج وقت الظهر . انتهى كلامه

وقال أبو العباس : أظهر قولي العلماء أن مثل هؤلاء يتوضؤون لوقت كل صلاة أو لكل صلاة

*
* *

﴿ المسئلة السابعة ﴾ إذا سقطت الجبيرة بنفسها من غير برء هل تنتقض الطهارة بذلك أم لا ؟

(الجواب) قل في الفروع : وإن زالت الجبيرة فكالحلف وقيل طهارتها باقية

قبل البرء ، واختاره شيخنا مطلقا كإزالة شعر اه وعنى بشيخه أبا العباس ، قال
العكبري : فلو خلع الجبيرة على طهارة لم ينتقض وضوءه ، بمجرد خلعها . وقل في
الاقناع والمنتهى وشرح المفردات : وزوال جبيرة كخف اه وكذا عبر غيرهم
بلفظ زالت وزوال ، وكلا اللفظين اعم من أن يكون بفعل ، فعلى هذا إن كان
سقوطها على طهارة لم تنتقض الطهارة به وان كان بعد حدث انتقضت وعلى الثانية
هي باقية مطلقا ما لم يبرأ

(المسئلة الثامنة) إذ تحقق المسافر وصول الماء قبل خروج وقت الثانية من
المجموعتين هل له ان يصليهما جميعا في هذه الحال أم لا ؟
(الجواب) له ان يؤخر الاولى جمعا مع الثانية لجواز الجمع للمسافر مطلقا ، تحقق
وجود الماء او ظنه وقت الثانية أم لا على المشهور في مذهب احمد ، بل حكى في
الفروع عن بعضهم ان الجمع في السفر في وقت الثانية افضل وانه مذهب الشافعي ،
وقال المنقح في تصحيح الفروع : جزم به في الهداية والخلاصة ، وقل ابن تيم
نص عليه اه ، وقال ابو العباس في المسئلة المسماة (بتيسير العبادات) الجمع بين
الصلاتين بطهارة كاملة خير من أن يفرق بين الصلاتين بتميم ، والجمع بين
الصلاتين مشروع لحاجة دنيوية فلأن يكون مشروعا لتكميل الصلاة أولى ،
والجامع بين الصلاتين مصل في الوقت وقل في موضع : آخر الجمع بين الصلاتين بصير
الوقتين وقتا لها ، وقاله في الانصاف وغيره

*
* *

(المسئلة التاسعة) ما ورد في يوم الجمعة كقراءة سورة الكهف والغسل والتفريق
بين الاثنين وغيرها هل هو مختص بما قبل الزوال او باليوم كله ؟
(الجواب) أما قراءة سورة الكهف فظاهر الخبر الآتي وصرح كلام

فقهاء الحنابلة والشافعية أنها في مطلق اليوم ، والاصل فيه مارواه الحكم والبيهقي عن أبي سعيد مرفوعاً « من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين » وفي رواية للبيهقي « ما بينه وبين البيت العتيق » قال في شرح الجامع الصغير وفي رواية « ليلة الجمعة » بذل « يوم الجمعة » وجمع بأن المراد اليوم بليته والليلة بيومها اه وقاله في شرح المنهاج ، وفي الفتاوي المصرية هي مطلقة يوم الجمعة ماسمعت أنها مختصة ببعد العصر اه

قال في شرح المنهاج ويستحب الاكثار من قراءتها كما نقل عن الشافعي وقراءتها نهائراً أكد ، وأولاهها بعد الصبح مسارعة للخير اه

فلم يقيدها بغير الاولوية وعليها يحمل ما حكاه في المغنى وغيره عن خالد بن معدان من أنها قبل الصلاة . لكن هل الليلة ما قبل اليوم أو ما بعده ؟ قل ابن القيم في البدائع : هذا ما اختلف فيه فحكي عن طائفة ان ليلة اليوم بعده ، والمعروف عند الناس ان ليلة اليوم قبله ، ومنهم من فصل بين الليلة المضافة إلى اليوم كليلة الجمعة وغيرها فالمضافة إلى اليوم قبله ، والمضافة إلى غيره بعده والذي فهمه الناس قديماً وحديثاً من قول النبي ﷺ « لا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الايام ، ولا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي » انها الليلة التي تسفر صبيحتها عن يوم الجمعة اه ملخصاً وقد جاء الحديث أيضاً بقراءة سورة هود وسورة آل عمران في يومها ، روى الدارمي في مسنده عن عبد الله بن رباح مرفوعاً « اقرءوا سورة هود يوم الجمعة » ثم أخرجه كذلك بزيادة عن كعب وهو في مراسيل أبي داود . قال الحافظ مرسل صحيح الاسناد ، وروى الطبراني في الاوسط عن ابن عباس مرفوعاً « من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله وملائكته عليه حتى تجب الشمس (١) وما ورد من الخصائص مطلقاً أيضاً الصلاة على رسول الله ﷺ فيه

« ١ » اي تغيب من وجب بمعنى سقط كقوله تعالى (وجبت جنوبها) اي سقطت

رواه أبوداود والترمذي من حديث أوس بن أوس قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ، ومن ذلك أو كدبة السواك والتفرغ للعبادة ومزية الصدقة ودنو أرواح المؤمنين من قبورهم وتوافيها فيه

وأما الاغتسال والتطيب ، ولبس أحسن اثياب ، وقص الشارب ، وتقليم الاظفار ، والنهي عن التخطي والتفريق والتحلل والحبوة ، فدللت الاخبار على انه قبل الصلاة ، وإن كان ظاهر الفروع في الاغتسال عدم التقييد لانه قال في يومها الحاضر إن صلاحها الا لامرأة وقيل ولها اه

ففي الصحيحين عن ابن عمر مرفوعاً « من أتى الجمعة فليغتسل » وفي السنن عن أبي هريرة مرفوعاً « من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح » فذكره الى أن قال « فإذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر » وفي سنن أبي داود عن أبي سعيد مرفوعاً « من اغتسل يوم الجمعة ولبس أحسن ثيابه ومس من الطيب إن كان عنده ثم أتى الجمعة فلم يتخط رقاب الناس ثم صلى ما كتب له ثم أنصت إذا خرج امامه » الحديث . وفي البخاري عن سلمان مرفوعاً « ثم راح فلم يفرق بين اثنين فصلى ما كتب له ثم إذا خرج الامام أنصت » الحديث ، وفي الطبراني عن أبي هريرة كان رسول الله ﷺ يقلم أظفاره ويقص شاربه يوم الجمعة قبل أن يخرج الى الصلاة . وفي مسند أحمد وسنن أبي داود عن ابن عمر: نهى رسول الله ﷺ عن الحبوة يوم الجمعة والامام يخطب

وأما السفر لمن كان من أهل وجوبها فمنعه الاصحاب بعد الزوال إن لم يخف فوت رفقته إذا لم يأت بها في طريقه ، وقبل الزوال فكروه بشرطه ، قال ابن المنذر لأعلم خيراً ثابتاً يمنع السفر أول النهار إلى الزوال ، وأما يمنع إذا سمع النداء لوجوب السعي حينئذ ، وقال المجد في شرح الهداية روى ابن أبي ذئب قال رأيت ابن شهاب يريد يسافر يوم الجمعة ضحوة ، فقلت له تسافر يوم الجمعة؟ فقال إن رسول

الله ﷺ سافر يوم الجمعة . رواه أبو بكر النجاد وهو من أقوى وجوه ترسل لاحتجاج من أرسله به اهـ

وفي مسند الشافعي عن عمر انه رأى رجلا عليه هيئة السفر فسمعه يقول :
لولا ان اليوم يوم الجمعة لخرجت ، فقال عمر : اخرج فان الجمعة لا تحبس عن سفره ،
وفيه عن علي نحوه ، وفي سنن سعيد بن منصور عن ابن كيسان ان أبا عبيدة بن
الجراح سافر يوم الجمعة ولم ينتظر الصلاة

وأما ما رواه الدارقطني في الافراد عن ابن عمر يرفعه « من سافر يوم الجمعة دعت
عليه الملائكة أن لا يصحب في سفره » ففيه ابن لهيعة ولا يحتج بحديثه عند الحفاظ

وأما ساعة الاجابة فاختلف العلماء فيها وفي موضعها على أكثر من ثلاثين
قولا ذكرها الحافظ ابن حجر في الفتح ولوايع الانوار وغيرهما ، ونظمها السيوطي
في سبعة عشر بيتا ، وأقرب الاقول فيها قولان ، وأحدهما أرحح من الآخر ، كما قاله
ابن القيم في الهدى وغيره (الاول) ما بين جلوس الامام إلى انقضاء الصلاة (والثاني)
انها بعد العصر ، وهو قول عبد الله بن سلام وابي هريرة ، وذكره ابن جرير عن
ابن عباس . قال الترمذي هو مذهب احمد واسحاق وجهاهير من أهل العلم
﴿ خاتمة ذكر في التوشيح وغيره ان خصائص الجمعة تزيد على الاربعين

*
* *

﴿ المسئلة العاشرة ﴾ ما معنى قوله عليه السلام في الاضحية « البدنة عن
سبعة ، والبقرة عن سبعة » وقوله لما ذبح « أضحية محمد ، وآل محمد ، وأمة محمد »
وهل يشترك في البدنة والبقرة أكثر من سبعة ؟ وهل المراد سبعة من الغنم
أو سبعة أشخاص الخ ؟

(الجواب) قوله الجزور عن سبعة يعني تضحية الابل والبقرة عن سبعة أشخاص
مجزية عن كل واحد سبع . انتهى من المفاتيح

وقال عن حديث ابن عباس الذي رواه الترمذي والنسائي : كنا مع النبي ﷺ في سفر فحضر الاضحية فاشتركنا في البقرة سبعة ، وفي البعير عشرة - ان هذا الحديث منسوخ بما تقدم وهو «الجزور عن سبعة» انتهى وقال في المغنى عن حديث رافع : ان النبي ﷺ قسم فعدل عشرة من الغنم ببعير - هو في القسمة لافي الاضحية انتهى . وقد أخذ كثير من العلماء او اكثرهم بمفهوم الناسخ فقلوا لا تجزي البدنة كالبقرة عن اكثر من سبعة اشخاص ، لكن لو اشترك جماعة في بدنة أو بقرة فذبحوها على انهم سبعة فبانوا ثمانية ذبحوا شاة وأجزأتهم . قال في الانصاف على الصحيح من المذهب ، نقله ابن القاسم وعليه اكثر الاصحاب ونقل منها تجزي عن سبعة ويرضون الثامن ويضحى وهو قول في الرعاية تنهى ملخصا .

وقال في حاشية التنقيح : قوله عن سبعة ويعتبر ذبحها عنهم قال الزركشي : وتعتبر أن تشترك الجماعة دفعة واحدة . فلو اشترك ثلاثة في بقرة اضحية او قلوا من جاء يريد الاضحية شاركناه ، فجاء قوم فشاركوهم لم تجز الا عن ثلاثة انتهى . واذا صح الاشتراك فظاهر لا يمنع كون احدهم مضح لنفسه وبعضهم مضح لميته (١) واما الحديث الثاني فقال الخطابي في معالم السنن في قوله عليه السلام «تقبل من محمد وآل محمد» دليل على أن الشاة الواحدة تجزي عن الرجل وأهله وان كثروا ، وروى عن أبي هريرة وابن عمر انهما كانا يفعلان ذلك واجازاه مالك والشافعي والاوزاعي واحمد بن حنبل واسحق وكراه ذلك الثوري وابو حنيفة انتهى . قال ابن تيمية في الفتاوي المصرية اجزأه ذلك في اظهر قولي العلماء وهو مذهب مالك واحمد وغيرهما فان الصحابة كانوا يفعلون ذلك وقد ثبت في الصحيح انه ﷺ ضحى وقال - فذكر الحديث - وترجم جده المجدي المنقذ (باب الاجتزاء

« ١ » كذا في الاصل والوجه في الاعراب ان يقال « مضجيا » في الموضعين لانه خبرا لكون

بالشاة لاهل البيت الواحد) ثم ذكر حديث عطاء بن يسار عن أبي أيوب . وذكر في الافصاح عن مالك أنه لا يجوز الاشتراك فيها بالاثمان والاعراض بل على سبيل الارفاق ، وكان يشرك رب البيت أهل بيته ، وسواء في ذلك عنده البدنة والبقرة والشاة . وقال في الانصاف: وتجزي الشاة عن واحد بلا نزاع ، وتجزيء عن أهل بيته وعياله على الصحيح من المذهب نص عليه وعليه أكثر الاصحاب وقطع به كثير منهم ، وقيل لا تجزي ، وقدمه في الرعاية الكبرى وقال وقيل في الثواب لا في الاجزاء انتهى

والمعتمد عند الشافعية عدم اجزاء الشاة عن أكثر من واحد قال في المنهاج وشرحه : والشاة عن واحد ، فلو اشترك اثنان في شاة لم يجز ، والاحاديث المخالفة لذلك كحديث « اللهم هذا عن محمد وآل محمد » محمولة على أن المراد التشارك في الثواب لا في الاضحية انتهى

وقال الحلخالي في المفاتيح : ذكر في الروضة أن الشاة الواحدة لا يضحى بها إلا عن واحد ، لكن اذا ضحى بها واحد عن أهل بيته تأدى الشعار والسنة للجميع . وعلى هذا حمل ما روي انه عليه السلام ضحى بكبش وقال « اللهم تقبل عن محمد وآل محمد » وكما ان الفرض بنفسه ينقسم إلى عين وكفاية فقد ذكروا أن التضحية كذلك وانها مسنونة لاهل كل بيت ، وقد حمل جماعة الحديث على الاشتراك في الثواب لانه قال « وعن أمة محمد » انتهى

*
* *

﴿ المسئلة الحادية عشرة ﴾ * رجل غني مات لكن غالب ماله إما في ذمة صاحب عقار معسر لا يحصل منه وفاء إلا من غلته او عند مماطل أو جاحد ونحوه ، فحصل من ذلك المال كل نوع بحسبه فهل زكاته لما مضى واجبة من موت المورث إلى الحصول ؟ وهل وقته الذي كان في حياة المورث واجبة على الوارث ؟

فإن قلتم نعم وكان بعض الورثة لا يملك نصاباً فهل تكون الزكاة من رأس المال أو على حصة من ملك نصاباً ؟

(الجواب) إذا اعتمدنا ما قطع به المتأخرون من وجوب الزكاة في الدين الذي على غير الملىء كعملى الملىء لصحة الحوالة به عليه والبراء منه ، فإنه يكون في المسئلة تفصيل ، فإن كان قد مضى على الدين المذكور حول فأكثر من ملك ربه له قبل موته فإن زكاته تخرج من تركته لما مضى ولو لم يبلغ المقبوض نصاباً قال في المبدع : وإذا مات من وجبت عليه الزكاة أخذت من تركته نص عليه لقوله عليه الصلاة والسلام « فدين الله أحق بالقضاء » وصرحوا بأن الوارث لا يبنى على حول مورثه ، بل يستأنف حولاً من ابتداء ملكه وهو وقت موت المورث ثم إن كان قد مضى من موته في صورة السؤال حول فأكثر وبلغ نصاباً زكاه صاحبه كذلك

وإن لم يحل عليه الحول أو حال ولم يبلغ نصاباً فإنه لا زكاة فيه . هذا على المقطوع به عند المتأخرين من الروايات عن أحمد في المسئلة وعنه رواية ثانية أن الدين على غير الملىء لا زكاة فيه مطلقاً صححها في التلخيص ورجحها جماعة ، واختارها ابن شهاب والشيخ تقي الدين ذكره عنهم في المبدع وقال : روي عن عمر وابن عمر لأنه غير تام وهو خارج عن يده وتصرفه ولأن الزكاة وجبت في مقابلة الانتفاع بالنماء حقيقة أو مظنة وهذا مفقود انتهى وعنه رواية ثالثة إنما يؤمل رجوعه كالدين على الغائب المنقطع خبره والمفلس فقيه الزكاة ومالا يؤمل رجوعه كالسرور والمغصوب فلا زكاة فيه ، قال أبو العباس وهذا أقرب أن شاء الله ، حكاه عنه في المبدع والانصاف

* *

﴿المسئلة الثانية عشرة﴾ اذا وجد البائع عين ماله عند المفلس بشروطه
المعتبرة وكان المبيع جمع عدداً أكثر بين عشرة إلى مائة فهل اذا وجد بعضها يأخذه
بقسطه ويضرب فيما بقي مع الغرماء أم يكون أسوة الغرماء ولا يملك أخذ باقي سلعته؟
(الجواب) هذه المسئلة فيها روايتان عن احمد (احدهما) انه يرجع في
العين الباقية جزم به في المنتهى والاقناع، وذكر في الانصاف انه الصحيح من
المذهب، لان السالم وجده ربه بعينه فيدخل في عموم الخبر، قاله في شرح المنتهى
ووجه في الغاية ان مثله المكبل والموزون فيأخذ ما وجد منه
(والرواية الثانية) ان التعدد كغيره اذا لم يجده كله كان أسوة الغرماء لتعذر
كل العين. قال في الانصاف: وهو ظاهر كلام المصنف هنا وجماعة انتهى. وفي
الاولى قوة مع كونها مختار المتأخرين

* *

﴿المسئلة الثالثة عشرة﴾ اذا وقف انسان وقفا على جهة معينة كعملى صوام
المسجد الفلاني ثم أراد الواقف (١) أو غيره صرفه إلى جهة أخرى اما في تلك البلد
أو في بلد أخرى هل له ذلك ام لا؟
(الجواب) يتعين مصرف الوقف إلى الجهة المعينة على الصحيح من المذهب
نقله الجماعة وقدمه في الفروع وغيره، وقطع به أكثرهم وعليه الاصحاب
وقال الشيخ تقي الدين: يجوز تغيير شرط الواقف إلى ما هو أصلح منه وإن
اختلف ذلك باختلاف الازمان حتى لو وقف على الفقهاء والصوفية، واحتاج
الناس إلى الجهاد صرف الى الجند. انتهى من الانصاف، فجوز الشيخ تغييره إلى
ما هو أصلح لا إلى ما هو مثله أو دونه. ووجه الاول وقوع الوقف لازماً وانتقال الملك
(١) كذا في الاصل وهو من أوقف لغة تميم وأنكرها بعضهم

فيه بمجرد عقده إلى الله سبحانه، ومعنى الانتقال هو انفكاكه عن اختصاصات الآدميين
قال العلامة ابن زياد الشافعي: والذي يظهر المنع في صورة السؤال والموقف
وغيره في هذا سواء لزوال الملك عنه في الموقف

*
* *

المسئلة الرابعة عشر ﴿ اذا وقف انسان وقفا وأشهد عليه وكتب به
والشاهد والكااتب يعرفان معنى ما نطق به من افعته وعرفه فكتب الكااتب خلاف
ما نطق به الموقف وأراد، ظنا منه ان المعنى واحد كما اذا قال على أولادي وأولادهم
وهما علما ان منه ارادة التعقيب دون التشريك الخ

(الجواب) يتعين العمل بما شهدا عليه من لفظ افعته وعلماه من ارادته وانما
يحكم على العامة في هذا ونظائره بما تقتضيه لغاتهم ويدل عليه عرفهم ، وإن عدلوا
عن الصيغ الاصطلاحية عند الفقهاء لكون العقود بالقصود

قال ابو العباس : للفقهاء في صفا العقود ثلاثة أقول (أحدها) ان الاصل في
العقود انها لا تصح إلا بالصيغ والعبارات التي يخصها بعض الفقهاء باسم الايجاب
والقبول، سواء في ذلك البيع والاجارة والتمكاح والوقف والعتق وغير ذلك وهذا
ظاهر قول الشافعي وهو قول في مذهب احمد لكون الاصل عندهم هو اللفظ

(وانقول الثاني) انها تصح بالافعال كالوقوف كن بنى مسجداً أو أذن
للناس في الصلاة فيه وكمعض أنواع الاجارة . فهذه العقود لو لم تنعقد بالاحوال
الدالة عليها لفسدت أكثر أحوال الناس ، وهذا هو الغالب على أصول ابي حنيفة
وقول في مذهب احمد ، ووجه في مذهب الشافعي، بخلاف المعاطة في الاموال
الجليلة فانه لا حاجة اليه ولم يجر به العرف

(والقول الثالث) ان العقود تنعقد بكل ما دل على مقصودها من قول أو
فعل، فكل ما عده الناس بيعاً أو اجارة فهو بيع أو اجارة . وإن اختلف اصطلاح

الناس في الالفاظ والافعال انعقد العقد عند كل قوم بما يفهمونه من الصيغ والافعال، وليس لذلك حد مستمر لافي شرع ولا في لغة، بل يتنوع اصطلاح الناس كما تنوع لغاتهم، ولا يجب على الناس التزام نوع معين من الاصطلاحات ولا يحرم عليهم التعاقد بنير مايتعاقد به غيرهم اذا كان مايتعاقدون به دالا على مقصودهم، وإن كان قد يستحب بعض الصفات وهذا هو الغالب على أصول مالک وظاهر مذهب احمد، فأما التزام لفظ مخصوص فليس فيه أثر ولا نظر وهذه القاعدة من ان العقود تصح بكل ما دل على مقصودها من قول أو فعل هي التي تدل عليها أصول الشريعة وهي التي يعرفها العامة، ولم ينقل عن أحد من الصحابة والتابعين انه عين للعقود صفة معينة من الالفاظ أو غيرها، أو قال مايدل على ذلك من انها لاتعقد إلا بالصيغ، بل قد قيل ان هذا القول يخالف الاجماع القديم وهو انه من البدع وهذه قاعدة عظيمة نافعة انتهى ملخصاً والمنصف لا يعدل عنه

(الخامسة عشرة) إذ التقط رجل لقطة فطلبها صاحبها وكتمها الملتقط لينذل عليها صاحبها مالا، هل له أخذ المال على هذا المنوال أم لا؟ فن قلم لا يحل فهل يملك الباذل الرجوع أم لا؟ وهل لقوله حل الانشاد: حلال من الله - تأثير أم لا؟ (الجواب) لا يحل له أخذ المال المبذول والحال ما ذكر لوجوب تعريفها عليه وإيصالها إلى صاحبها فوراً متى جاء بأمر رسول الله ﷺ، وبحرم عليه كتمانها، ولو تلفت في هذه الحال ضمنها بقيمتها مرتين

قال أبو بكر في التنبيه: ثبت خبر عن النبي ﷺ «في الضالة المكتومة غرامتها ومثاها معها» وهذا حكم رسول الله ﷺ فلا يرد اهـ

وصرح الفقهاء بأن أجرة المنادي عليه، وبكتمانها لها ارتكب محرماً وترك واجبات متعددة، فيجب عليه رد ماأخذه إن لم تطب به نفس باذله بعد علمه بالحال،

وقول مالكها حال الانشاد حلال من الله - لا تأثير له، وقد صرحوا فيمن رد ضالة قبل بلوغه بذل مالكها للجعل انه يحرم عليه أخذه وهو من أكل المال بالباطل مع كونه بعد بذل صاحب الضالة له، لكنه لم يسمه وهو في مقابلة عمله ولم يرتكب فيه محرماً عمداً أو يمتنع من واجب فكيف بمن كنم وأنهم

(السادسة عشرة) إذا تحاكم اثنان الى رجل حكاه ورضيا به هل يلزم أحدهما الآخر بما قاله أم لا؟ وهل يفرق بينه وبين غيره أم لا؟ وهل هو محسن أم لا؟ (الجواب) إذا تحاكم رجلان إلى رجل يصلح للقضاء وحكاه بينهما جاز ذلك ونفذ حكمه عليهما وبهذا قال أبو حنيفة، وللشافعي قولان (أحدهما) لا يلزمهما حكمه إلا بتراضيهما

ولنا ما روى أبو شريح أن رسول الله ﷺ قال «ان الله هو الحكم فلم تكني أبا الحكم؟» قال ان قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي الفريقان، قال «ما أحسن هذا، فمن أكبر ولدك؟» قال: شريح، قال «فأنت أبو شريح» أخرجه النسائي، وروى عن النبي ﷺ «من حكم بين اثنين تراضيا عليه فلم يعدل بينهما فهو ماعون» ولولا أن حكمه يلزمهما لما لحقه هذا الذم، ولان عمر وأبياً تحاكما إلى زيد، وحاكم عمر اعرابيا إلى شريح قبل ان يوليه القضاء، وتحاكم عثمان وطاحنة الى جبير بن مطعم اه من شرح المقنع

وقال في الانصاف: نفذ حكمه في المال وينفذ في القصاص والحدود والنسكاح واللعان في ظاهر كلامه وهو المذهب، وقال القاضي: لا ينفذ الا في الاموال خاصة وقال في المحرر والفروع: وعنه لا ينفذ في قود وخذف ولعان وزكاح، وقال في الرعاية: وليس له حبس في عقوبة ولا ضرب دية خطأ على عاقلة من رضي بحكمه وما قاله في الانصاف اولاً هو المعتمد، قطع به في التمتع وتبعه من بعده قال في

التنقيح فهو كحكم الامام مطلقا ، قال في حاشيته أي سواء وجد حاكم أم لا اه فلهذا قال المحشي في إقناعه حتى مع وجود قاض

وقال في الاختيارات: إذا حكم أحد الخصمين خصمه جاز لقصة ابن مسعود وكذا إن حكما مفتيا في مسألة اجتهادية ، وهل يفتقر ذلك إلى تعيين الخصمين أو حضورهما أو يكفي وصف القضية له؟ الاشبه انه لا يفتقر بل إذا تراضيا بقوله في قضية موصوفة مطابقة لقضيتهم فقد لزم ، فان أراد أحدهما الامتناع فان كان قبل الشروع فينبغي جوازه ، وإن كان بعد الشروع لم يملك الامتناع لأنه إذا استشعر بالقلبة امتنع فلا يحصل المقصود اه فقد ظهر مما قلنا لزوم ما حكم به

وأما اشتراط الأهلية فكتب الاصحاب طائفة بها لصحة حكمه ولزومه ، وحكى شارح التنبيه من أئمة الشافعية عاينها الاتفاق ، وأما اتصافه بالاحسان ، فذلك الى الرحمن

وليكن هذا ختام ما قلناه ، وختام ما قلناه ، في هذه الالفاظ الالئحة ، والاحرف الواضحة ، جعله الله تعالى في مقام الاخلاص والتقوى السبب الاقوى والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

(انتهت)

الرد على المدعو
عبد المحمود البخاري
فيما صوره به من أقوال الاتحادية والمشركون
مؤلفها غير معروف اسمه وهو من علماء نجد

وقد تقدم رد أوسع من هذا الشيخ عبد الرحمن بن حسن
ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٢٥٩ - ٣٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين
والآخرين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله امام المتقين صلوات الله وسلامه عليه
وعلى آله وأصحابه أجمعين وسلم تسليماً

أما بعد فاني وقفت على ورقتين لرجل جاءنا يزعم أنه من أهل بخارى ويقول
إن اسمه عبد المحمود، فرأيت ورقتيه، تضمنتا عبارات تنبيء أنه يقول بقول أهل
وحدة الوجود، وربما خاط ذلك بعبارات الفلاسفة، فتعين علي أن أبين ما في ورقتيه
من الاتحاد والدسائس التي موه بها على بعض الجهال، فأوقع بعضهم في إبس وضلال
فلما حصل الجواب رجع من رجع

فأول ما ابتدأ به الورقتين قواه (الحمد لله المتوحد بجميع الجهات) فاعلموا
وفقمكم الله أن هذه الكلمة ليس لها استعمال في الكتاب ولا في السنة ولا عند
علماء السنة ولا عند غيرهم من الطوائف ، بل هي من عبارات أهل الاتحاد ومعناها
أنه المتوحد بجميع الجهات، فهو فيها وحده ليس فيها غيره ، ومصدره توحيد
يتوحد توحداً إذا توحد بالمكان وليس فيه غيره كقول القائل توحد فلان بمكان
كذا وكذا إذا كان هو الذي فيه وحده ، و ارادت هذه الطائفة بمثل هذه العبادة
أن كل ما في الجهات فهو الله، يبين ذلك أنك لا تجد أحداً من أهل السنة ولا من
المتكلمين يصف الله تعالى بأنه توحيد بجميع الجهات

فالسلف أهل السنة يقولون إنه تعالى فوق العرش الذي هو أعظم المخلوقات
وهو فوق السموات والله تعالى فوق عرشه كما قال تعالى (يخافون ربهم من فوقهم)
(ثم استوى على العرش الرحمن * الرحمن على العرش استوى) في سبعة مواضع

(تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة — يا عيسى اني متوفيك ورافعك إلي)

وأمثال هذه الأدلة في الكتاب والسنة كثير تدل على ان الله تعالى فوق عرشه وانه ليس في الجهات ، وأدلة علو الرب تبارك وتعالى على عرشه كثيرة في الكتاب والسنة

وأما أهل البدع من الجهمية ومن سلك سبيلهم فيقولون إنه تعالى حال في كل شيء ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، لكنهم لم يقولوا بقول أهل الاتحاد إن الذي هو حل فيه هو عينه بل يقولون إنه غيره ، وأما أهل الوحدة فيقولون إنه الوجود بعينه وهو قول هذا الرجل كما يدل عليه بقية كلامه

وأما الأشاعرة فأخوه تعالى من جميع الجهات ولم يثبتوا علوه على خلقه ، واستواءه على عرشه ^(١) فخالفوا السلف وأهل السنة ولم يؤمنوا بما في كتاب الله ولا

(١) لم يثبتوه كما أثبتته السلف بمعناه العربي من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تأويل بل أولوه بما ينافي ما أرادوه من التنزيه فقالوا استولى على العرش . فيقال لهم إن كان استيلاؤه عليه كاستيلاء بشر على العراق ونحوه فهذا عين التشبيه الذي نفرون منه وإن كان استيلاء يليق به لا كاستيلاء الملوك وغيرهم على البلاد فلم لا تقولون هذا في اللفظ الوارد في كتاب الله كما قال السلف والحال أن لفظكم يرد عليه من الاعتراض ما لا يرد على لفظ كتاب الله وذلك من وجهين (أحدهما) أنه لا يقال إن فلانا الملك أو القائد استولى على بلد كذا إلا إذا انتزع من خصم له كان مستولياً عليه قبله (ثانيهما) أن عطف الاستواء على خلق السموات والأرض يتم بفيد أن الاستيلاء على العرش حصل بعد خلق السموات والأرض والحق أنه كان مستولياً عليه وما الكا له قبل ذلك أي منذ خلقه وهذا لا يرد على نص التنزيل على طريقة السلف كما هو ظاهر ولا على طريقةكم في التأويل لأن الاستواء في اللغة يدل على معنيين العلو والتدبير الذي ورد في آية (استوى على العرش يدبر الأمر) فإنه لا محذور في العطف بـ ثم على هذين المعنيين . إذ حاصله أنه تعالى لما خلق السموات والأرض وتحقق بذلك متعاقب صفه الملك محقق بعده كل من علوه سبحانه على مجموع هذا الملك وتدبيره له وهو معنى استوائه على العرش فإن رتبة العلو على الملك وتدبيره مرتبة على خلقه وإيجاده وأما التراخي بـ ثم هنا في الرتبة لا في الزمن . وكتبه محمد رشيد رضا

في سنة رسوله من أدلة العلو ، ويلزمهم على هذا لوازم ايس هذا محل ذكرها
وانما أردنا بيان طريقة هذا الرجل وما دل عليه كلامه لقول أهل الاتحاد وليس
في الكتاب والسنة ، ولا في كلام ساف الامة أن الله تعالى متوحد بجميع الجهات
بل الذي في القرآن (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم)

ومعناه أنه تعالى اختص بالالهية دون كل ماسواه فهو الذي تأله انقلوب محبة
وذلا وعبودية، وتعظيما ، ودعاء ورجاء ، وغير ذلك من أنواع العبادة التي لاتصلح
إلا له ، وكل إله سواه فهو باطل ، فالالهية صفته التي لا يصح أن يوصف بها
غيره إلا على وجه الإنكار لها ونفيها وهذا هو التوحيد الذي بعث الله به رسله
وأُنزل به كتبه ، وفي سورة الاخلاص (قل هو الله أحد) أي لاشبه له ، ولا
مثل له ، ولا ند له ، ولا كفو له ، بل هو الكامل في ذاته وصفاته لا إله غيره
ولا رب سواه ، فهذا هو التوحيد الهلبي الذي يجب اعتقاده

والقرآن يقرر هذا التوحيد ويبين أنه الإله الحق كما قل تعالى (ذلك بان
الله هو الحق وان ما يدعون من دونه هو الباطل) وهذا هو التوحيد في الالهية ،
وبين توحيده في ربوبيته بقوله تعالى (ذلكم الله ربكم فاعبدوه) وقوله (قل
من يرزقكم من السماء والارض أمن بملك السمع والابصار — إلى قوله —
فسيقولون الله فقل أفلا تتقون) وهذا التوحيد الثاني قد أقر به مشركو العرب
وغيرهم ، لكنهم جحدوا التوحيد العملي توحيد العبادة فصار اقرارهم بهذا النوع
حجة عليهم فيما جحدوا كما قال تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون)
قال علماء الصحابة والساف والمفسرون: تسألهم من خلق السموات والارض

فيقولون الله ، فذلك إيمانهم وهم مع ذلك يعبدون غيره فذلك شركهم
وأما توحيده تعالى في أممائه التي هي أوصافه تعالى فالسلف وأهل السنة
يثبتون ما أثبتته الله في كتابه ، وما أثبتته رسوله في سنته على ما يليق بجلال الرب

تعالى وعظمته، أثباتا بلا تمثيل، وتنزيها بلا تعطيل كما قال تعالى (ليس كمثل شيء
وهو السميع البصير)

وأما أهل البدع فألحدوا في هذا التوحيد فمنهم من نفى ماديات عليه الصفات
من كل الرب، ومنهم من تأولها تأويلات بعيدة تخالف ماديات عليه من المعاني
المعروفة في اللغة ولسان الشرع والفطر والعقول الصحيحة،

فتدبر أيها الطالب للعلم والهدى، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم،
إذا عرفت ذلك وتميز الحق من الباطل عند من طالع في هذا الجواب فاعلم أن أهل
السنة والجماعة لا يطلقون على الله تعالى لفظ الجهة لعدم وروده في الكتاب والسنة،
وأما يطلقون على الله تعالى ماورد، فيقولون: الله تعالى استوى على عرشه استواء يليق
بجلاله وعظمته، ويقولون أنه فوق العرش، وأنه عن عرشه تعالى وتقدس، ويثبتون
له العلو من جميع الجهات، علو القهر، وعلو القدر، وعلو الذات، ولا يخسونه
واحداً منها كما قال تعالى (وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤوده حفظهما
وهو العلي العظيم) وهذا في عدة مواضع من القرآن،

فله الحمد لا نحصى ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه وفوق ما يثني عليه خلقه.

*
* *

وأما قوله (أن لا إله إلا الله) فنفى كليا في الذهن لا يوجد منه في الخارج إلا
فرد وهو المستثنى) فهذا تحريف فاسد لمعنى كلمة الاخلاص لم يسبقه إليه أحد من
مشركي الأمم، ولا يقدر أحد على هذا التحريف الذي لا فساد منه، فإن «لا»
انما وضعت لنفي أفراد الجنس الموجودة في الخارج ولم توضع لمقدرات الذهن التي
لا يوجد لها أفراد، وهذا امر معروف بالضرورة. واليهود الذين وصفهم الله
تعالى بكونهم يحرفون الكلم عن مواضعه لا يقدر أحد منهم على مثل هذا التحريف
الذي هو من أعظم التحريف وأبعده عن الاسلام والايمان والرسول والكتب

وهذا الكلي الذي قدره هؤلاء في الذهن لاحقيقة له بل هو كذب محض ، وجناية على أصل دين الاسلام ، وابطال لمعنى هذه الكلمة العظيمة التي هي أساس الدين ، وهذا من عظيم كفر هذه الطائفة الاتحادية . ومن المعلوم عند كل طائفة أن « لا » النافية للجنس لم توضع لما يقدر في الازهان ، بل وضعت لغة لنفي أفراد الجنس الموجود في الاعيان والخيالات الذهنية ، لم يوضع لها شيء من الادوات أصلاً لانها خيال ذهني كاذب

وقد مثل ماذهب اليه بقوله « لا شمس إلا الشمس » يعني انه قدر في ذهنه أن هناك شمس انتفت بلا ، واستثنى منها الفرد الموجود ، وهذا كذب محض ، فما ليس في الوجود لا يصح تقديره موجوداً ينتفي بلا ، بل هو منتف في نفسه أصلاً ، فكيف يدعي أن « لا » نفت مالا وجود له من تخيلات الازهان التي هي كذب محض وهذه الطائفة حاولوا ابطال معنى لا إله إلا الله الذي جاءت به الكتب والرسل من نفي عبادة الاصنام والانداد ، التي دامت العقول الصحيحة والفطر السليمة ، والرسل والكتب على نفيها وابطالها ، وعلى ما حرفته هذه الطائفة لم يبق من الاسلام والايمان حبة خردل ، بل هو كفر لانه لم ينف وثناً ولا صنماً ، والرسل والكتب تنفي ذلك كله بكلمة الاخلاص ، وقد أراد بذلك أن يفتن الجاهل فوقى الله شره فله الحمد على ذلك

وأيضاً فقد تناقض بدعواه ان هذا الفرد الموجود قد انتفى بلا ثم أثبت بلا ، وهذا تناقض ظاهر لا يصدر إلا ممن لا يدري ما يقول ، وكل صاحب باطل فلا بد أن يأتي بكلام يناقض بعضه بعضاً

وأما قول هذا الاعجمي الاله هو المعبود غير مقيد بحقيقة او البطلان (فاجواب) لا يخفى أن هذا قول في غاية الفساد والمغالطة ، فالعناد لا يؤخذ

منه معنى يعرف ويستفاد ، ولا صدر عن دراية ولا عن رواية بل ولا تقليد ، بل هو عن الصواب بمكان بعيد ، بل هو زعم كاذب لا أصل له في كلام أحد من طوائف الامة قد خالف اللغة والمنقول والمعقول

بيان ذلك ان أسماء المسميات موجودة في سابق علم الله تعالى قبل وجود مسمياتها ، كاسم الجنس وعلم الجنس والتواطىء والمشارك والاعلام ونحو ذلك ، ثم ان الله تعالى علم آدم الاسماء كلها كما قال تعالى (وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين)

وجميع اللغات انما وجدت بالهام من الله تعالى ولم يحدث لها بعد ذلك تغيير ولا تقييد بعد الوضع الاول ، وكل اسم وضع على مسماء ، فنها ماهو مشترك بين الحق والباطل ، كاسم الاله فانه يقع على كل معبود . إذا أله العبد بالعبادة صار مألوها ، فان كان الذي أله العبد بالعبادة هو الله وحده فهو الاله الحق ، وهذا وصفه تعالى فيما لم يزل ولا يزال كما قال تعالى (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم) وقل تعالى (ذلك بأن الله هو الحق وان ما يدعون من دونه هو الباطل) الآية ، ولها نظائر في القرآن . فان اتخذ العبد معبودا سوى الله فقد أله بالعبادة وصار باطلا كما في قوله (وان ما يدعون من دونه هو الباطل) وهذا هو الاصل في وضع هذا الوصف لم يتغير إطلاقه عن الاصل على الاله الحق سبحانه ،

وأما إطلاقه على غيره فمن جهة فعل العبد اذا أله غير الله بالحجة والاجلال والخضوع والذل والتوجه ودعائه وغير ذلك من أنواع العبادة فيكون قد أله بذلك وشبهه بالاله الحق بعبادته له ، فأطلق عليه بهذا الاعتبار كما قال تعالى (أم اتخذ من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي) الآية

فبين تعالى ان إلهيتها ليست بحق ، والحق ما قام عليه البرهان . وقال تعالى (واتخذوا من دونه آلهة ليكونوا لهم عزا * كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون

عليهم ضداً) ففي هذه الآية بيان ان الالهية هي العبادة ، وقال تعالى (واتخذوا من دونه آلهة لعلهم ينصرون) فسماهم تعالى آلهة وأخبر عن عجزهم عن نصره أنفسهم فضلاً عن غيرهم

وقد فسر الله هذه الكلمة العظيمة في مواضع من كتابه بأوضح بيان ، وأظهر برهان ، يعرف ذلك من طلبه وبالله التوفيق

وهذا الذي ذكرناه هو العلم الذي يستفاد منه التوحيد ، وهذه الآلهة التي تعبد من دون الله هي المنفية بـ لا إله الا الله ، فلا بد من نفيها بالقول والفعل والاعتقاد ، وأما ما ذكره هذا الأعجمي فلا يفيد الا التخليط والتخليط وادخال الشك على من لا بصيرة له ولا مقاربة في الفهم ولا تسديد ، فالحمد لله الذي دفع عن المسلمين فتنته وبلبته ، وأظهر لاهل العلم طويته

وأنت أيها المغرم بحبه ، فتش كلامه هذا الذي ذكرناه وانظر الى ما تأخذ منه فانك لا تجد فيه ما ينفعك ، وما إخالك تسلم ، فانك عرفت انه انما يتكلم بجمل محض لا يعرف عن أحد من طوائف الامة بل هو من تخليط الجبال ، وأرباب الضلال ، والى الله تعالى ترغب في هداية قلوبنا ، ومغفرة ذنوبنا ، وهو المستعان ، وعليه التكلان

وأما قوله : إذ اشتقاقه من أله إذا عبده يوجب اتحاده معه في المعنى . (فالجواب) هذا لا يصلح تعليلاً لقوله : غير مقيد بقيد ، بل هو إلى كونه مقيداً أقرب ، فان المشتق والمشتق منه لا بد أن يكون متضمناً لمعناه الذي وضع له على ما كان هو عليه في أصل الوضع ، وهذا أمر بين لمن له أدنى معرفة بما ذكره العلماء رحمهم الله تعالى في أصل وضع الامة ، وهذا لا يلتبس إلا على جاهل لا معرفة عنده ، ولا بصيرة له

وقوله يوجب اتحاده معه في المعنى هذا لا يفيد معنى الاشتقاق فلو كان له

معرفة لبيان معنى اتحاد المشتق مع المشتق منه وذلك لعدم معرفته بحقيقة ما تكلم به

* * *

إذا عرفت ذلك فقد ذكر العلماء - منهم ابن القيم رحمه الله تعالى - ما يبين حقيقة الاشتقاق فقال : ونحن لانعني بالاشتقاق الا انها ملاقية لمصادرها في اللفظ لا انها متولدة منه تولد الفرع من أصله . وتسمية النحاة للمصدر والمشتق منه أصلاً وفرعاً ليس معناه ان أحدهما متولد من الآخر وانما هو باعتبار أن أحدهما يتضمن الآخر وزيادة اه

* * *

ثم ان هذا الرجل لما سمع بما كتبت من الرد عليه أجاب بقوله قلنا انما يلزم هذا لو أريد بالمستثنى منه فرد خاص جزئي ، وانما أريد منه المفهوم العام المتناول لأفراد المعبود بحق سواء كانت في الذهن أو في الخارج (فالجواب) ان من تأمل كلام هذا علم أن هذا الكلام مع تناقضه يصرح بما ذهب اليه من الاتحاد ، وذلك انه قل انما يلزم هذا لو أريد بالمستثنى منه فرد خاص جزئي وانما أريد منه المفهوم العام ، فصرح بأن المراد من المستثنى منه المفهوم العام وهذا هو معنى قوله الاول : ان لا إله إلا الله انما نفت مفهومها ، ولم تنف ما نفاه الخليل عليه السلام واخوانه من الرسل وجميع ما في القرآن والسنة ، فان المنفي في ذلك أشخاص موجودة عند عابديها ، كأصنام قوم نوح وكاللات والعزى ومناة ونحو ذلك مما كان يعبد الامم : وهذا هو الذي نفته كلمة الاخلاص . لا إله إلا الله ، نفت أن يكون لله شريك في الالهية من جميع ما كان يعبد أهل الشرك كما قل تعالى عن قوم ابراهيم (قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين) وقل تعالى (وجاوزنا بيني اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم - إلى قوله - قال أفغير الله أبغيتكم إلهاً) الآية

فليس المراد بالنفي في كفة الاخلاص مفهوما وانما المنفى بها اعيان المعبودات وابطال عبادتها وإزالتها وجهاد الخلق على أن يكون الله وحده معبودهم دون كل معبود وقد حصل ذلك لما فتح الله على رسوله مكة فأزال كل صنم حول الكعبة وهي ثلاثمائة وستون صنما ، وبعث علي بن أبي طالب إلى مناة فهدمها ، وبعث خالد بن الوليد إلى العزى مرتين فقتل الشجرة وهدم البناء

ولما أسلم أهل الطائف بعث المغيرة بن سعدة فهدم اللات فلم يبق في جزيرة العرب من الاصنام والاولثان شيء إلا أزاله ﷺ وقد بعث جرير بن عبد الله إلى ذي الخلفة فهدمها فصارت كلمة الله هي العليا ،

فله الحمد على ما أكمل للأمة من دينه الذي بعث به رسوله ﷺ فانزل الله على نبيه ﷺ في حجة الوداع وهو بعرفة (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً) كما صرح به القرآن في هذه الآيات ونحوها . وهذه الاصنام ونحوها هي التي تجب البراءة منها ومن عابديها لقول الخليل عليه السلام (انني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني) الآية فتبرأ مما كانوا يعبدون بالقول والفعل ولم يكونوا يعبدون مفهوما محله الذهن وقل تعالى (وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا — إلى قوله — وما لكم من ناصرين)

فمن قال ان المستثنى منه مفهوم عام فقد خالف المكتب والرسول ، ولم يدر ما معنى هذه الكلمة العظيمة ، ثم ان هذا القول منه يقتضي أن هذه الاصنام والاولثان التي يعبدونها المشركون ليست منتفية بكلمة الاخلاص فيلزمه أن تكون تلك الاولثان والاصنام ثابتة غير منتفية اذا كان النفي مفهوما عاما فغيره على قوله ولم ينف هذا لم يقل به إلا أهل الاتحاد خاصة

وأما طوائف أهل الشرك فهم يعتقدون أن الرسل انما نهتهم عن عبادة

ما كانوا يعبدونه من تلك الاشخاص التي تألفتها قلوبهم . وهذا القول مبني على ما تقدم من كلام أهل الوحدة القائلين بأن مسمى الله هو الوجود بعينه فكل شيء يوجد في الخارج فهو الله ، وبهذا وسمهم العلماء بأنهم أكفر أهل الارض ثم إنه قال وإنما أريد منه المفهوم العام المتناول لأفراد المعبود بحق فجعل المستثنى منه يتناول افراد المعبود بحق ، فجعل للمعبود بحق افراداً ، ولهذا قال سواء كانت في الذهن أو في الخارج ، فانظر كيف جعل للمعبود بحق افراداً وهذا كفر صريح فان المعبود بحق هو الله وحده لا شريك له في ذلك كأننا ما كان

ثم يقال كيف يكون معبوداً بحق وهو منفي بلا النافية للجنس فاذا انتفت إلهيته بطل أن تكون حقاً وتعين أن المستثنى هو الحق خرج من المنفي بإداة الاستثناء كما قال تعالى (إن هذا هو القصص الحق ، وما من إله إلا الله ، وإن الله هو العزيز الحكيم) فهذا هو التوحيد الذي دعت اليه الرسل ولم يفهم أهل الشرك من دعوة الرسل إلا هذا التوحيد وهو أفراد الرب تعالى بالالهية كما أخبر تعالى عن المشركين أنهم قالوا (اجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب) وأخبر عن قوم هود أنهم قالوا (أجئتنا لنعبد الله وحده)

ولم يقل أحد من الامم ان المستثنى له أفراد كلها حق . وهذا القول ينافي ما تقدم له في ورقته من قوله ان المنفي بلا كاي منوي لا يوجد منه في الخارج إلا فرد واحد وهو المستثنى وهو يناقض كلامه هنا مع انه باطل في نفسه

فان قال لنا قائل : المشركون كانوا يعتقدون في آلهتهم أنها حق . قلنا هذا هو الذي أنكرته الرسل على الامم فان الله لم يبعثهم لابطال ما كان يفعل أهل الشرك مع آلهتهم التي يعبدونها من دون الله ولم يجحدوا معنى مادعتهم الرسل اليه ، لكنهم لم يتركوا عبادة آلهتهم التي كانوا يعبدونها مع الله ، وهؤلاء جحدوا المعنى الذي دلت عليه لإله إلا الله كما قد عرفت . فخالفوا الرسل والامم في معنى مادعت اليه

الرسول من نفي الالهية عما سوى الله باداة النبي في كلمة الاخلاص وخالفهم في إثبات الالهية لله وحده وقالوا كل شيء هو الله كما تقدمت الإشارة اليه عن إمامهم ابن عربي من قوله :

وعباد عجل السامري على هدى ولائهم في اللوم ليس على رشد
بناء منه على مذهبه الخبيث الذي تقدم بيانه ، وقالوا ان لا إله إلا الله لم تنف شيئاً موجوداً في الخارج ، بل كل ما في الخارج من الاصنام وغيرها فهو الله ، فلماذا صاروا أكفر الطوائف لانهم جعلوا المخلوقات هي عين الخالق وهذا لم يقله أحد ممن تقدم من طوائف أهل الشرك ، إلا ما كان من الفلاسفة فان قولهم يضاهي قول هؤلاء ، قاتلهم الله ، ولا حاجة بنا إلى ذكر مذهبهم ،

ولولا انا قد ابتلينا بهذا الملحد في بلدنا لما تجاسرنا على أن نحكي ما كانوا عليه من الضلال وقد قال تعالى عن قوم هود (أجبثنا لنعبد الله وحده) فدل على انهم يعبدونه تعالى لكنهم أبوا أن يفردوه بالعبادة وعرفوا انه غير معبوداتهم وكذلك مشركو العرب أقروا لله تعالى بربوبيته ، وان الخلق خلقه ، وهو الذي خلقهم وحده كما قال تعالى (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) ولما قال لهم رسول الله ﷺ « أريد منكم كلمة واحدة ، قولوا : لا إله إلا الله » فقالوا (أجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟ ان هذا شيء عجاب) فأنكروا مدعاهم اليه من أن لا يجعلوا لله شريكا في الالهية التي هي العبادة

فهذا وأمثاله مما في القرآن يتبين ان أهل الاتحاد والفلاسفة قد أربوا في

كفرهم على كل كافر

وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله عن هاتين الطائفتين — أهني الفلاسفة وأهل الوحدة — انهم أخذوا أسماء جاء بها الشرع ووضعوا لها مسميات مخالفة لمسميات صاحب الشرع ثم صاروا يتكلمون بتلك الاسماء ، فيظن الجاهل انهم

قصودوا ما قصدده صاحب الشرع ، فأخذوا منح الفلسفة فكسوه ثوب الشريعة ، وهذا كلفظ الملك ، الملوك والجبروت والالواح المحفوظ والشيطان والحدث والقدم وغير ذلك ، وقد ذكرنا من ذلك طرفاً في الرد على الاتحادية لما ذكرنا قول ابن سبعين وابن عربي ، وما يوجد في كلام بعض الناس من أصول هؤلاء الفلاسفة والملاحدة الذين حرفوا كلام الله ورسوله عن مواضعه كما فعلت القرامطة الباطنية اه قلت وقد ذكر ابراهيم بن سعد الكوراني تحريفهم لمعنى لا إله إلا الله ذكر انهم اشترطوا في [لا] النافية للجنس في هذه الكلمة شرط الوحدة فجعلوا الجنس المنفي واحداً لا يوجد إلا ذهناً .

ورد رحمه الله هذا القول بأن قال : (أما أولاً) فالمراد بالجنس المأخوذ بلا شرط وهو اصالح للصدق على الافراد يعني المنفية بلا إله إلا الله فهي صادقة بنفي كل فرد مما كان يعبد من دون الله

قال : (وأما ثانياً) فان الكلام يخرج عن إفادة التوحيد بالكلية لان حاصله حينئذ هذا الجنس المأخوذ بشرط الوحدة الذهنية المغايرة لله تعالى منتف ، وليس هذا من التوحيد في شيء ولا شئ من رائحة الدلالة عليه

(ويقال ثالثاً) ان أريد أن هذا الجنس منتف في الذهن فهو قطعي البطلان إذ كل من ينطق بهذا التوحيد مستحضر لمعناه ، وقد تحقق هذا الجنس في ذهنه فكيف يصح نفيه ؟ وعلى كل حال فلا يصح تفسيراً لهذه الكلمة ، لان المراد من لا إله إلا الله هو الدلالة على توحيد الالهية وهذا معلوم بالضرورة ، وعلى تفسيرهم يكون بينهم وبين الدلالة على التوحيد بعد المشرقين اه

فذكر رحمه الله تعالى حقيقة قول هؤلاء الملاحدة ، وانهم حملوا معنى كلمة الاخلاص على معنى بعيد من معناها الذي وضعت له شرعاً ولغة ، وفطرة وعقلاء ، وانهم أبطلوا دلالتها على التوحيد الذي يفهم منها كل أحد من علماء المنقول والمعقول ، وهذا القول الذي أبطله رحمه الله وبين بعده عن التوحيد هو بعينه قول هذا الرجل الذي يقول انه من بخارى ، فهو على العجالة بما يوقعهم في الالحاد ويبعدهم

عن التوحيد الذي دعت اليه الرسل ، فهذه بلية عظيمة ، ووقى الله المسلمين شرها وأما التوحيد الذي بعث الله به رسله ، فنذكر من كلام العلامة ابن القيم رحمه الله ما يدل عليه لانه هو وشيخه من أحسن من عبر عن معنى هذه الكلمة على مقتضى ما دل عليه القرآن والسنة ، قال رحمه الله

نظير هذا اشتغال كلمة الاسلام وهي شهادة أن لا إله إلا الله على النفي والاثبات ، فكان في الايمان بالنفي في صدر هذه الكلمة من تقرير الاثبات وتحقيق معنى الالهية ، وتجويد التوحيد الذي يقصد بنفي الالهية عن كل ما دعيت فيه سوى الاله الحق تبارك وتعالى فتجريد هذا التوحيد من القلب واللسان بتصور إثبات الالهية لغير الله كما قال أعداؤه المشركون ، ونفيه وإبطاله من القلب واللسان ، من تمام التوحيد وكأله وتقريره وظهور أعلامه ووضوح شواهد صدق برأيه

وفل الفخر الرازي في معنى لا إله إلا الله: التحقيق ان المضمرة المرفوعة بلا راجع بالحقيقة الى نفي الاعيان التي سموها آلهة من حيث انها آلهة لا الى وجودها في حد ذاتها ضرورة انها موجودة في الخارج بالفعل محسوسة . وحاصله نفي كل فرد إله من تلك الخيثة غير الله راجع الى نفي الالهية عن كل موجود غير الله انتهى (قلت) وحقيقتها إبطال إلهية كل ما يؤله من الاعيان بأي نوع كان من أنواع العبادة كاصنام قوم نوح والامم بعدهم ، ولما فتح الله مكة لنبيه محمد ﷺ أزال كل ما فيها من صنم وهي ثلاثمائة وستون صنما ، وبعث علي بن أبي طالب إلى مناة فهدمها ، وبعث خالد بن الوليد إلى العزى فهدمها ، وقطع الشجرة ، ولما أسلمت ثقيف بعث المغيرة فهدم اللات كما تقدم

فأبطلت هذه الكلمة عبادة كل ما عبد من دون الله أو يعبد من جميع الاعيان ، ولو تتبعنا ما في القرآن من بيان معنى هذه الكلمة وما قاله العلماء في معناها لاحتمل جزءاً ، وفي الإشارة الى ذلك كفاية لمن رغب في معرفة التوحيد الذي دلت عليه الآيات المحكمات ، وقد غلط في مسماه طوائف لا يحصيهم إلا الله تعالى ، والحمد لله على تمييز الحق من الباطل لا نحصى ثناء عليه ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

رسالة في العهد والأمان

هل يشترط في احترامها أن يكون منه يعتقدانها مؤمناً
عزلاً أم لا؟ وفي العهد والأمان الذي يكون من البدو والأعراب
لبعضهم ولغيرهم

تأليف
بعض علماء نجد لم يذكر اسمه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدته ونستعينه ، ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ تسليماً كثيراً . اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك ، انك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم (وبعد) فقد وقع هذا كره في حال الأعراب الذين يوجد فيهم شيء من المكفرات هل يصلح أمانهم لبعضهم عن بعض ؟ فنقول وبالله التوفيق

يصح أمان الكفار بعضهم بعضاً ولغيرهم بالكتاب والسنة والاعتبار أما الكتاب فقوله تعالى (وأوفوا بعهدهم الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها) الآيات قال مجاهد وقتادة: نزلت في حلف أهل الجاهلية . وآخر السياق يدل على عموم الآية وهو قوله (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) قال المفسرون على ملة واحدة وهي الإسلام (ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء) فدل على أن هذا الخطاب شامل للمهدين وغيرهم . وقال تعالى في شأن اليهود (وإذا أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون - إلى قوله - أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ؟) قال أهل التفسير: يقول تعالى منكراً على اليهود ما كانوا يأتونه مع الأوس فإن يهود المدينة كانوا ثلاث قبائل بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة . فبنو قينقاع وبنو النضير حلفاء الخزرج وبنو قريظة حلفاء الأوس ، فكانت الحرب إذا شبت بينهم قاتل كل فريق منهم مع حلفائه ، فيقتل اليهودي غير اليهودي من أعدائه وقد يقتل اليهودي الآخر من الفريق الآخر وذلك حرام عليهم بنص الكتاب

ويخرجونهم من بيوتهم وينهبون ما فيها من الاثاث والاموال ثم اذا وضعت الحرب أوزارها فكروا الاسارى من الفريق المغلوب عملاً بحكم التوراة ولهذا قال (أفئذ ممنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض)

فهذه الآية تدل على أن الله تعالى حرم قتال بعضهم بعضاً وإن كان الكل كفاراً وقت النزول لأن هذا القتل ليس على حق وإنما هو في سبيل الشيطان وأما الاحاديث فما رواه أبو داود والنسائي والترمذي عن ابن عنبسة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من كان بينه وبين قوم عهد فلا يخلف عهده ولا يشدنه حتى يمضي أمرها وينبذ اليهم على سواء » وهذا الحديث عام وروى الامام أحمد عن جبير بن مطعم عن عمرو بن شعيب أن النبي ﷺ قال في خطبته « أوفوا بحلف الجاهلية فإنه لا يزيد الاسلام إلا شدة ، ولا يحدثوا حلفاً في الاسلام »

قال العلماء في معنى الحديث إن الاسلام لا يحتاج معه إلى الحلف الذي كان يفعله أهل الجاهلية فإن في التمسك بالاسلام كفاية عما كانوا فيه وما كان منه على نصرة الاسلام وصلة الارحام ، كحلف المطيعين وما جرى مجراه ، فذلك الذي قال فيه رسول الله ﷺ « أيما حلف كان في الجاهلية لم يزد الاسلام إلا شدة »

وفي صحيح مسلم عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « اذا جمع الله الاولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء فيقال هذه غدره فلان بن فلان » وهذا العقاب لا يختص بالمسلم بل هو عام في المسلم وغيره

وروى البخاري وغيره عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ « من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة ، وإن ربحها يوجد من مسيرة أربعين خريفاً » قال ابن الاثير يجوز أن يقرأ بفتح الهاء وكسرها على الفاعل والمفعول . والمعاهد من كان بينك وبينه عهد ، وأكثر ما يطلق في الحديث على أهل الذمة ، وقد يطلق على غيرهم من الكفار اذا صولحوا على ترك الحرب مدة وقال ﷺ يوم الفتح « قد أجرنا من أجرت يام هانيء » وهي من مسلة الفتح

مسائل وفتاوى
في الطلاق والنكاح والشهادات
والعينة وشروط الصلاة وغيرها

لأحد علماء نجد، غير معروف اسمه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وإمام المتقين
ورسول رب العالمين ، محمد عليه من الله أفضل الصلاة والتسليم
﴿المسئلة الاولى﴾ فيمن طلق امرأته ثلاثا بلفظة واحدة أو ثلاث متتابعات
كقوله أنت طالق ، أنت طالق ، أنت طالق ، أنت طالق ، أنت طالق ، أنت طالق ، هل
يصح لها أن يتراجعا إذا تراضيا بملاك أم لا ؟ فنقول :

(الجواب) هذا السؤال مشتمل على ثلاث مسائل من مسائل الطلاق
(الاولى) إذا طلق الرجل امرأته ثلاثا بكلمة واحدة أو أكثر من
الثلاث بلفظة واحدة
(والثانية) إذا قال أنت طالق ، أنت طالق ، أنت طالق ، ثلاث مكررات
في مجلس واحد
(والثالثة) إذا طلق الرجل زوجته ثلاثا على عوض هل يجوز أن يراجعها
بملاك جديد أم لا ؟

فالجواب عن المسئلة الاولى أن نقول : هذه المسئلة فيها خلاف بين العلماء
من السلف والخلف قديما وحديثا وفيها قولان مشهوران للعلماء
(القول الاول) قول أكثر العلماء من أهل الحديث والفقهاء وغيرهم من
المالكية ، والشافعية ، والحنابلة ، والحنفية من المتأخرين والمتقدمين : أن الرجل
إذا طلق زوجته ثلاثا بكلمة واحدة بانته منه وصارت لا تحل له حتى تنكح
زوجا غيره ، واستدلوا على ذلك بدلائل منها قوله تعالى (اسكنوهن من حيث
سكنتم من وُجدهن ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن ، وإن كن أولات حمل
انفقوا عليهن حتى يرضعن حملهن) قالوا وهذا لا يكون إلا في المبتوتة لأن غير

المبتوتة ممن له عليها الرجعة ينفق عليهن حوامل أو غير حوامل
فعلم بهذا أن قوله (لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً) راجع إلى
بعض ما انتظمه الكلام وهي التي لم تبلغ بطلاقها ثلاثا كما أن قوله (والمطلقات
يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) قد عم المطلقات ذوات القروء وقوله في نسق الآية
(فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف) راجع إلى من لم يبلغ بطلاقها . وفي ذلك
إباحة إيقاع ماشاء المطلق من الطلاق . وظاهر حديث ابن عمر يشهد بهذا لانه
قال « ثم ان شاء طلق وان شاء أمسك » فلم يخص طلاقا من طلاق ، ولا عدة من
عدة في الطلاق ، قالوا فله أن يطلق كم شاء إذا كان مدخولا بها ، وان كانت غير
مدخول بها طلقها كم شاء ومتى شاء طاهراً أو حائضاً لانه لا عدة عليها ، ومما احتجوا
به أيضا أن العجلاني طلق امرأته بعد النعان ثلاثا فلم ينكره رسول الله ﷺ ،
وان رفاعه بن شموال طلق امرأته ثلاثا فلم ينكره عليه رسول الله ﷺ ، وان
وكانه طلق امرأته البتة فقال له رسول الله ﷺ « ما أردت بها ؟ » فدل على أنه
لو أراد ثلاثا لكانت ثلاثا ، ولم ينكر ذلك عليه رسول الله ﷺ . وان فاطمة
بنت قيس طلقها زوجها ثلاثا . ذكره الشعبي عن فاطمة وشعبة وسفيان ثم أبي بكر
وكذلك قال أكثر أصحاب ابن شهاب في حديث فاطمة طلقها ثلاثا . قالوا ومن
جهة النظر ان من كان له أن يوقع واحدة كان له أن يوقع ثلاثا ، وليس في عدد
الطلاق سنة ولا بدعة . قد أباحه الله ورسوله ﷺ فعند هؤلاء ان من طلق
امرأته ثلاثا مجتمعات في طهر لم يصحها فيه فقد طلقها طلاقاً مباحاً ، ومنهم من
يقول انه قد طلقها للسنة

(والقول الثاني) قول مالك وأصحابه وأحمد بن حنبل في المشهور عنه ان طلاق
السنة أن يطلقها طليقة في طهر لم يمسه فيها ولو كان في آخر ساعة منه ، ثم يمهلهما
حتى تنقضي عدتها وذلك بطهر أول الحيضة الثالثة في الحرة ، أو أول الحيضة

الثانية في الامة، فيتم للحررة ثلاثة أقراء، والامة قرآن، القرء الطهر المتصل بالدم عندهم، فان طلقها في طهر تطليقة أو طلقها ثلاثا مجتمعات في طهر لم يمسه فيها فقد لزمه، وليس بمطلق للسنة عند مالك وجمهور أصحابه، وهو قول الاوزاعي وأبي عبيد، وهذا هو المشهور عن أحمد وأصحابه

وأجابوا عما احتج به أهل القول الاول فقالوا: أما حديث العجلاني فلا حجة فيه لانه طاق في غير موضع طلاق فاستغنى عن الانكار عليه وأما حديث رفاعه بن شموال فقالوا يحتمل أن يكون طلقها ثلاثا مفترقات في أوقات. وأما حديث فاطمة بنت قيس فقد قال فيه أبو سلمة «بعث إلي زوجي بتطليقتي الثالثة» وأما حديث ركانة فقد تكلموا فيه وضعفوه فلا حجة فيه

واحتج هؤلاء بقوله تعالى (الطلاق مرتان) - ثم قال - فان طلقها فلا تحل له من بعد) ومرتان لا تكون إلا في وقتين، والثلاث في ثلاث أوقات كما في قوله عليه السلام «من سبى الله مائة مرة» أي مرة بعد مرة، ليس المراد أن يقولها مرة واحدة. وكذلك من قال: قرأت سورة كذا مرتين، المراد مرة بعد مرة

ومن حجبتهم أيضا قول الله تعالى (إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن - إلى قوله - لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) فأني امر يحدث بعد الثلاث والامر انما أريد به المراجعة، فبطل أن يكون وقوع الثلاث للسنة

ومن حجبتهم أيضا ما روى النسائي عن محمود بن لبيد ان رجلا طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعا، فأخبر النبي ﷺ بذلك فقام مغضبا فقال «أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم؟» قال العسقلاني: رجاله ثقات. وبما روى سعيد بن منصور عن النبي ﷺ ان عمر كان إذا أتى برجل طلق امرأته ثلاثا أوجع ظهره، قال العسقلاني: وسنده صحيح، وبما روى عبد الرزاق وغيره ان ابن عمر قال لمن طلق امرأته ثلاثا مجموعة: عصيت ربك، وبانت منك امرأتك. وبما روى

أبو داود بسند صحيح عن مجاهد قال: كنت عند ابن عباس فجاءه رجل فقال انه طلق امرأته ثلاثا فسكت حتى ظننت انه سيردها اليه، فقال «ينطلق أحدكم فيركب الاحموقه ثم يقول يا ابن عباس يا ابن عباس، ان الله قال (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) وإنك لم تتق الله فلا أجد لك مخرجا، عصيت ربك، وبانت منك امرأتك» قالوا في هذا دليل على أن من طلق امرأته ثلاثا مجتمعات فقد عصي ربه وفعل ما هو محرم، ومن فعل مباحا لا يقال عصي ربه

وقال هؤلاء يصير مطلقا امرأته ثلاثا فلا تحل له حتى تنكح زوجا غيره وإن كان فعله هذا محرما عليه

ومن القائلين بالتحريم للزوم من قال اذا طلق ثلاثا مجموعة وقعت واحدة وهو قول محمد بن اسحاق صاحب المغازي ونقله ابن المنذر عن جماعة من التابعين كعمرو بن دينار وطاوس وغيرهما

ومن أقوى ما احتجوا به ما أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن عباس قال كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر بن الخطاب: ان الناس استعجلوا في أمر كان لهم فيه اناة، فلو أمضيناه عليهم، فأمضاه عليهم

قال أبو عمر بن عبد البر — في حديث ابن عباس هذا — لم يتابع عليه طاوس وإن سائر أصحاب ابن عباس يروي عنه خلاف ذلك، وما كان ابن عباس يروي عن النبي ﷺ ثم يخالفه الى رأي نفسه بل المعروف عنه انه كان يقول: أنا أقول لكم سنة رسول الله ﷺ وأنتم تقولون ابو بكر وعمر؟ قاله في فسخ الحج وغيره. قال جمهور العلماء ان حديث طاوس في قصة أبي الصهباء لا يصح معناه

ومن روينا عنه ان الثلاث تحرم التي لم يدخل بها زوجها حتى تنكح زوجا غيره كالدخول سواء: علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس وابن عمر

وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبو سعيد الخدري وجابر بن عبد الله وعبد الله بن المغفل وأبو هريرة وعائشة وأنس، وهو قول جماعة من التابعين، وبه قال جماعة فقهاء الأمصار وابن أبي ليلى وابن شبرمة وسفيان الثوري ومالك وأبو حنيفة والشافعي وأصحابه وأحمد وإسحاق وأبو ثور وأبو عبيد الطبري انتهى

إذا عرفت مذهب أهل العلم في المسئلة فلقول المفتي به عندنا مذكوره ابن عبد البر وغيره عن جماعة العلماء أن الرجل إذا طلق امرأته ثلاثا بكلمة واحدة سواء كان مدخولا بها أو غير مدخول بها صغيرة أو كبيرة أنها تحرم عليه حتى تنكح زوجا غيره

(وأما المسئلة الثانية) إذا قل لامرأته أنت طالق، أنت طالق، أنت طالق ثلاث كلمات مكررات فالصحيح من مذهب أحمد أن ذلك يرجع إلى نيته فإن أراد التأكيد بطلقة واحدة ولم يرد أنها ثلاث طلقات فهي تصوير واحدة يجوز له رجعتها مادامت في العدة فإن خرجت من العدة لم يجز له مراجعتها إلا بملاك جديد، وإن أريد بقوله أنت طالق، أنت طالق، أنت طالق ثلاث تطليقات لم تحمل له حتى تنكح زوجا غيره، وهذا هو المفتي به عندنا لأننا نعلم شيئا يخالفه من الكتاب والسنة

*
* *

وأما المسئلة الثالثة : إذا طلق الرجل زوجته ثلاثا على عوض هل يجوز أن يراجعها بملاك جديد أم لا ؟

فهذه المسئلة تحتاج إلى تفصيل فإن كانت المرأة أعطت زوجها عوضا على طلاقها إذا كرهته وخافت أن لا تقيم ما أوجب الله عليها من القيام بحقوق الزوج من المعاشرة بالمعروف وتمكنه من الاستمتاع منها وخدمته كما ينبغي من مثلها لمثله فلا بأس بذلك، ولا على الزوج حرج في أخذ العوض منها إذا كان الحال كما وصفنا ويسمى هذا الخلع الصحيح، كما قال تعالى (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما

آتيتموهن شيئاً إلا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله ، فان خفتم أن لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ، تلك حدود الله فلا تمتدوها ، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون)

وقد اختلف العلماء هل يكون هذا الخلع طلاقا يعد من الطلقات الثلاث أم لا يكون طلاقا ولو خالعا أكثر من ثلاث، فذهب ابن عباس رضي الله عنه كما روى ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن طاوس عن ابن عباس رضي الله عنه أن إبراهيم ابن سعد بن أبي وقاص سأله عن رجل طلق امرأته تطليقتين ثم اختلعت منه أيتزوجها ؟ قال : نعم ليس الخلع بطلاق ، ذكر الله الطلاق في أول الآية وآخرها والخلع فيما بين ذلك فليس الخلع بشيء ، ثم قرأ (الطلاق) مرتان فامسك بمعروف أو تسريح بإحسان) وقرأ (فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره) وبهذا قال أحمد بن حنبل وجمهور أصحابه وإسحاق وأبو ثور وداود ، واختار هذا القول ضوائف من العلماء منهم الشيخ تقي الدين بن تيمية وهو اختيار شيخنا رحمه الله وقل أكثر العلماء من الصحابة وغيرهم : هو طلاق يعد من الطلقات الثلاث وهو طلاق بائن لا رجعة فيه للزوج إلا برضى الزوجة ، فعلى هذا القول لو خالعا ثلاث مرات أو طلقها طليقتين وخالعا مرة حرمت عليه حتى تنكح زوجا غيره ، سواء تلفظ بلفظ الطلاق أو غيره

واختلف العلماء هل يلحق المختلعة طلاق مادامت في العدة ؟ فقال مالك إن طلقها بعد الخلع من غير سكوت طلقت ، وإن كان بينهما سكوت لم تطلق ، وقال الشافعي لا يلحقها طلاق وإن كانت في العدة ، وهو قول ابن عباس وابن الزبير وبه قال أحمد وإسحاق وأبو ثور . وهذا هو المفتي به عندنا وهو أظهر الأقوال وعكسه قول أبي حنيفة وكثير من التابعين

واختلف أيضا في قدر عدتها فقال أكثر العلماء عدة المطلقة وقال عثمان وابن عباس رضي الله عنهم : عدتها حيضة واحدة . وبه قال عكرمة وابن عباس

واسحاق بن راهويه ، وحجتهم ماروي عن رسول الله ﷺ انه جعل عدة جميلة بنت أبي سلول حيضة حين اختلعت من زوجها ثابت بن قيس بن شماس ، وأصل القصة ثابت في الصحيحين

فالذين قالوا : ان الخلع الصحيح المجتمع فيه الشروط التي ذكرها الله ليس من الطلاق . يقولون انه اذا خالعهما ولم يذكر الطلاق لفظا ولا نواه بقلبه فانه لا يقع به شيء من الطلاق .

قال العسقلاني واستدل لمن قال انه فسخ بما وقع في بعض طرق حديث امرأة ثابت بن قيس عند أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث الربيع بنت معوذ ان عثمان أمرها أن تعتد بحيضة . قالت : وتبع عثمان في ذلك قضاء رسول الله ﷺ في امرأة ثابت بن قيس . قال الخطابي في هذا أقوى دليل لمن قال : ان الخلع فسخ وليس بطلاق ، إذ لو كان طلاقا لم تعتد بحيضه انتهى

وأما اذا تلفظ بالطلاق عند الخلع او نواه بقلبه فالذي عليه الجمهور من التابعين وفقهاء الامصار بالحجاز والعراق والشام انه يقع طلاقا باثنا لا يجوز له الرجعة إلا بعد عقد جديد ، ورضاء الزوجة إلا أن يقول : أنت طالق ثلاثا فلا يجوز له مراجعتها إلا بعد زوج جديد كالمطلقة ثلاثا بغير عوض .

وقيل انه فسخ سواء تلفظ بالطلاق او نواه او لم يكن وهو قول ابن عباس فانه صح عنه انه قال ما أجازة المال فليس بطلاق ، وصح عنه انه قال : الخلع يفرق وليس بطلاق . وصح عن ابن الزبير ، وروي ذلك عن غير واحد من الصحابة والتابعين ، واختاره الشيخ تقي الدين ابن تيمية ، وعابه دل كلام احمد وقدماء أصحابه . قال صاحب الفروع ومراده ما قال عبد الله بن الامام احمد : رأيت أبي كان يذهب الى قول ابن عباس

وأما اذا كان حال الزوجين مستقيمة ولم يوجد ما ذكر الله من الخوف ألا

يقبها حدود الله . ثم خالعهما زوجها مع ذلك على ما بذاته له الزوجة او غيرها فالذي عليه جمهور العلماء انه يكره ويصح الخلع وعن احمد رحمه الله ان ذلك لا يجوز ولا يصح واما ان عضلها وأساء عشرتها لتفتدي منه ففعلت فالخلع باطل ، والعوض مردود ، والزوجة بحالها الا أن يذكر الطلاق فيقع رجعيًا ، وقيل يقع طلاقاً بائناً قيل ان الخلع يصح بلا عوض .

قال المستقلاني في شرح البخاري: أخرج عبد الرزاق بسند صحيح عن سعيد ابن المسيب قال : ما أحب أن يأخذ منها ما أعطاها ، ليدع لها شيئاً ، وقال لم أزل أسمع أن الفدية تجوز بالصداق وبأكثر لقوله تعالى (فلا جناح عليهما فيما افتدت به) ولحديث حبيبة بنت سهل . فإذا كان الخلع من قبلها حل للزوج ما أخذ منها برضاها ، وان كان من قبله لم يحل ويرد عليها ان أخذ وتمضي الفرقة انتهى . (قلت) وهذا القول كان يفتي به شيخنا رحمه الله تعالى لكثرة الظلم للنساء في هذا الزمان لان كثيراً من الذين لا يخافون الله إذا أراد أن يطلق امرأته بعد أن تستقيم حالها مدة عضلها وأضر بها ، ومنهم من يضربها ، فإذا فعل ذلك اشترت نفسها بمال تبذله له على طلاقها فيطلقها ، فكان شيخنا رحمه الله يفتي - إذا كان الامر ما وصفناه - ان العوض الذي بذات له المرأة على الطلاق مردود ، وتبين منه المرأة فلا يمكن من مراجعتها إلا برضاها

* *

وأما المسئلة الثانية من المسائل المستول عنها فيمن طلق امرأته بمحضرة شاهد عدل وأنكر الزوج

فالذي عليه أكثر العلماء وعليه الفتوى انه لا يقبل فيه الا شاهدان عدلان

* *

(وأما المسئلة الثالثة) فيمن طلق امرأته وأحضر شاهداً عدلاً وقال العاقل لا بد

من شاهدين عدلين هل يزوج العاقدان أو يمنعهما؟ فإن كان مراد السائل رحمه الله أن المرأة المطلقة من زوجها أو وكيلها أحضرت شاهداً عدلاً على طلاقها من زوجها وطلبت من العاقد أن يعقد نكاحها على زوجها الثاني بشهادة شاهد واحد على طلاقها من زوجها الأول فجواب هذه المسئلة يؤخذ من جواب التي قبلها لأن الذي عليه عامة العلماء من المالكية والشافعية والحنبلية أن الطلاق لا يثبت إلا بشاهدين عدلين ، وإن كان له مراد غير ذلك فلم نفهمه من سؤاله

(وأما الرابعة) هل تقبل شهادة النساء في الطلاق

فالذي عليه أكثر العلماء وعليه الفتوى أن شهادة النساء لا تقبل في ذلك ولا تقبل منفردات إلا فيما لا يطلع عليه الرجال في غالب الأحوال كالرضاع وكعيوب المرأة التي تحت الثياب والشيوبة والبكارة والاستهلال وما جرى هذا المجرى

(وأما المسئلة الخامسة) فيمن له دين على مليء أو مفلس وأراد صاحب الدين أن يسلم على المدين ويقضيه إياه هل يجوز أم لا ؟ فإذا كان المدين مفلساً فلا يجوز ذلك لأن ذلك يكون حيلة على الربا والحيل لا تجوز في الدين وأما إذا كان المدين مليئاً وكل من أراد أن يكتب عليه في ذمته ويسلم فعل سواء كان رب الدين أو غيره وكل يشتميه لأجل ملاءته فلا أعلم في ذلك بأساً عند أكثر العلماء واشترط بعض المالكية دفع رأس مال السلم ويذهب به عن مجلس العقد إلى السوق أو إلى بيته ثم إن بدا له بعد ذلك أن يوفيه أوفاه

(وأما المسئلة السادسة) ما معنى قوله في كتاب التوحيد (اتقوا على تحريم كل

معبد لغير الله) (١) حاشا عبد المطلب ما الحكمة في هذا الاستثناء ؛

«١» أي في التسمية بأن يسمى عبد الرسول أو نحو ذلك

فسبب الاستثناء أن بعض العلماء أجاز التسمية بعبد المطلب على ظاهر ما صح عن النبي ﷺ أنه قال في غزوة حنين لما انهزم عنه أصحابه إلا قليل «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب» ولما حكى ابن حزم الإجماع على تحريم كل اسم معبد لغير الله استثنى التسمية بعبد المطلب من ذكر الإجماع لاجل ما تقدم عن بعض العلماء

*
* *

(وأما المسئلة السابعة) هل الصفر والنحاس والرصاص تدخل في المنصوص عليه في قوله «الذهب بالذهب» إلخ الحديث ؟
فهذه مسألة اختلف فيها كثير من العلماء يقولون إن العلة في الذهب والفضة كونها موزونين من جنس واحد فيطردون العلة في كل موزون من جنس واحد فلا يجوز بيع الصفر بالصفر، أو الرصاص بالرصاص، أو النحاس بالنحاس، أو الحديد بالحديد، وكذلك الاصناف الأربعة: البر، والشعير، والتمر، والملح، المنصوص عليها في حديث عبادة التخرج في صحيح مسلم «الذهب والفضة» يقولون العلة في البر، والشعير، والتمر، والملح: الطعم والكيل، فيطردون ذلك في كل مطعم ومكيل وأما المطعم الذي لا يكال ولا يوزن كالمعدودات، كالبطيخ والرمان، وكالبعير والفرس، وما جرى هذا المجرى فيجوز التفاضل في ذلك إذا كان يداً بيد، ولا يجوز بيع ذلك بفضه ببعض نسيئة. هذا الذي عليه قول أكثر العلماء وعليه الفتوى عندنا

واستدلوا على ذلك بما روى الإمام أحمد في المسند أن رسول الله ﷺ قال «لا تبيعوا الدينار بالدينارين، ولا الدرهم بالدرهمين، ولا الصاع بالصاعين، فاني أخاف عليكم الرماء» وهو الربا فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله الرجل يبيع الفرس بالافراس، والنجيبة بالابل ؟ فقال «لا بأس إذا كان يداً بيد»

*
* *

(وأما المسئلة الثامنة) إذا حال عند رجل تمر أو عيش يزكى زكاة الحرث فإن كان أرادته للتجارة فهو يزكىه زكاة التجارة بحسب قيمته وقت حلول زكاة التجارة وإن كان أرادته للأكل له أو لبهائم فليس عليه زكاة، ولو أقام عنده سنين، وإن نقص عن قيمة النصاب ولم يكن عنده ما يضيفه اليه من الذهب والفضة أو العروض لا زكاة فيه، هذا هو الذي عليه الفتوى والعمل عندنا

*
* *

(وأما التاسعة) ما أركان الصلاة ؟

فاعلم أن أركان الصلاة المعمول بها عندنا ثلاثة عشر :

(الاول) القيام مع القدرة باجماع أهل العلم واستدلوا على ذلك بقوله تعالى (وقوموا لله قانتين)

(الثاني) تكبيرة الاحرام واستدلوا عليه بقوله عليه السلام « تحريمها التكبير » وبقوله في حديث المسيء في صلاته « إذا قمت إلى الصلاة فكبر »

(الثالث) قراءة الفاتحة لمن يقدر على تعلمها (١) لقوله عليه السلام « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » وأما العاجز عن تعلمها فيقرأ ما تيسر معه من القرآن أو يذكر بالتلهيل والتكبير والتحميد

(١) يظن بعض الجهلة أن الباطل الذي لا يحفظ الفاتحة بسهولة عاجز عن تعلمها والعيى الذي لا يحسن مخارج حروفها عاجز ايضاً ، وان لكل منهما ان يستبدل بها غيرها ، وهذا خطأ كبير وجهل عظيم اذا اخذ على إطلاقه . وقد يصح اذا أريد به ان له ذلك إن خاف فوت الوقت قبل ان يحفظها . ويجب عليه ان يحفظها ولو في زمن طويل ويتفرع للعجم والعيى ما عجز بالحلقة عن أدائه من الحروف صحيحاً كالالتع . وكل ركن عجز عنه المصلي بسقط عنه . فالعاجز عن القيام يصلي قاعداً والعاجز عن القعود يصلي مضطجعا . والعاجز عن الركوع أو السجود يومي بها ايما . وأما ذكر العجز في الفاتحة لاجل ذكر البدل . وكتبه محمد رشيد رضا

(الرابع) الركوع حتى يطمئن راکعاً لحديث المسيء في صلاته وفيه « اركع حتى تطمئن راکعاً »

(الخامس) الاعتدال من الركوع حتى يطمئن قائماً ويقیم صلبه لقوله عليه السلام في حديث المسيء في صلاته « ثم ارفع حتى تعتدل قائماً »

(السادس) السجود حتى يطمئن ساجداً لقوله في حديث المسيء في صلاته « ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً »

(السابع) الاعتدال من السجود حتى يطمئن جالساً

(الثامن) السجدة حتى يطمئن ساجداً

(التاسع) قراءة التشهد الاخير إلى قوله (أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله) لما جاء في حديث ابن مسعود: كننا نقول قبل أن يفرض علينا التشهد (العاشر) الجلوس له حتى يفرغ

(الحادي عشر) الترتيب على ما ذكر الله ورسوله

(الثاني عشر) الطمأنينة في جميع أحوال الصلاة

(الثالث عشر) التسليم لقوله عليه السلام « وتحليلها التسليم »

واعلم ان أكثر هذه الأركان قد تضمنها حديث المسيء في صلاته ، وهو ما ثبت في الصحيحين والسنن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً دخل المسجد ثم صلى ورسول الله ﷺ جالس ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فقال له « ارجع فصل فانك لم تصل » فرجع الرجل فصلى كما كان صلى ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فرد عليه السلام ثم قال « ارجع فصل فانك لم تصل » ففعل ذلك ثلاثاً ، ثم قال في الثالثة: والذي بعثك بالحق لا أحسن غير هذا فعلمني ، فقال « إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ بما تيسر معك من القرآن ، ثم اركع حتى تطمئن راکعاً ، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ، ثم اجلس حتى تطمئن جالساً ثم افعل ذلك في

صلواتك كلها » قال العلماء : فدل على أن الطائفة في هذا الحديث لا تستقط بحال ،
فإنها لو سقطت لسقطت عن الاعرابي الجاهل

(وأما المسئلة العاشرة) فيمن صلى ولم يستنج وهو مستجمر وغسل أطرافه
لكنه لم ينو بالاستجمار عن الصلاة

(فالجواب) ان الاستجمار بثلاثة أحجار أو أكثر إذا أزال الإنسان بذلك
النجاسة وبلغها يكفي عن الاستنجاء ، باتفاق العلماء ، لكن الاستنجاء بالماء مع الاستجمار
أفضل وأكمل . والاستجمار لا يحتاج إلى نية الصلاة لانه من التروك ، والتروك
لا يحتاج إلى نية

(وأما المسئلة الحادية عشرة) في أوقات النهي التي نهى عن الصلاة فيها هل
يدخل في النهي تحية المسجد وسنة الوضوء وسنة الطواف وأشباه ذلك ؟
فهذا مخصوص من النهي ، واستدلوا على ذلك بحديث بلال في سنة الوضوء ، وأن
النبي ﷺ قضى سنة الظاهر بعد العصر كما ثبت ذلك في الصحيحين وغيرهما ، واستدلوا
بحديث جبير بن مطعم ان النبي ﷺ قال «يا بني عبد مناف لا تمنعوا أحداً طاف بهذا
البيت أية ساعة من ليل أو نهار وصلى ركعتين» واستدلوا بدلائل أخرى غير ما ذكرنا

(وأما المسئلة الثانية عشرة) في الحديث الغريب والمتصل ، فالغريب : الذي
ليس له إلا سند واحد كما يقول الترمذي في بعض الاحاديث : هذا غريب
لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وقد يكون صحيحاً إذا كان رواه موثقين ، وقد
يكون ضعيفاً ، فعلى كل تقدير هو ضعيف في الحديث . والمتصل هو ما اتصل

سنده من اوله الى أن يصل إلى متناه سواء كان مرفوعا او موقوفا او مقطوعا
فيخرج المرسل والمنقطع والمعضل

*
* *

(وأما المسئلة الثالثة عشرة) فيمن أجر ببلده بنصف غرسها وشرط عليه
المستأجر أن يقومها سنين معلومة ، فاذا مضت السنون تقاسم النخل ،
فالذي عليه الفتوى عندنا ان هذه اجارة صحيحة لازمة ليس فيها شيء من الغرر

*
* *

(وأما المسئلة الرابعة عشرة) فيمن باع سلعة مؤجلة فلما حل الاجل رد السلعة
بما عليه من الثمن وألحق عليه دراهم ، او باعه إياها بدون ثمنها هل يصح ذلك ام لا ؟
وكذلك مسئلة العينة بينهما لنا

(فالجواب عن المسئلة الاولى) ان الذي ذكره العلماء في صفة العينة المحرمة
هي المستول عنها ، قال علماءنا رحمهم الله : ومن باع سلعة بنسيئة او بثمن لم
يقبضه لم يجز أن يشتريها بأقل مما باعها به ، فان فعل بطل البيع اثنائي ولو كان
بعد حلول اجله . قال الشيخ تقي الدين : ان قصد بالعقد الاول الثاني بطل الاول
والثاني جميعا وهو قول أبي حنيفة ومالك . وهذه هي مسئلة العينة المشهورة ،
وروي تحريمها عن ابن عباس وعائشة ام المؤمنين وهو قول مالك وأبي حنيفة
واسحاق وأصحاب الرأي ، واحتجوا على ذلك بما رواه الامام احمد في مسنده
عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله ﷺ قال « اذا تباعتم بالعينة وأخذتم
أذئاب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه عنكم
حتى تراجعوا دينكم » وهذا وعيد شديد يدل على التحريم

وروي عن شعبة عن أبي اسحاق عن امرأته العالية قالت: دخلت أنا وأم ولد
زيد بن أرقم وامرأة على عائشة ام المؤمنين فقالت ثم ولد زيد: اني بعت غلاما من

زيد بن أرقم بمائة درهم إلى العطاء ثم اشترى منه بمائة درهم ، فقالت لها
بئسما شريت وبئسما اشتريت ، أبلغني زيد بن أرقم انه قد بطل جهاده مع
رسول الله ﷺ إلا ان يتوب . رواه الامام احمد وسعيد بن منصور . قالوا
والظاهر أنها لا تقدم على مثل هذا الوعيد الشديد إلا بتوقيف من النبي ﷺ
ولان ذلك ذريعة إلى الربا ، فانه يدخل السلعة ليستبيح به بيع ألف بمائة ،
ولذلك قال ابن عباس في مثل هذا : أرى مائة بمئتين يذبحها حريرة ولم يستثن
من ذلك إلا ان تتغير صفتها بما ينقصها أو ينقص ثمنها ، مع ان احمد رحمه الله
توقف في رواية مثني فيما اذا نقص في نصه لان علة المنع باقية

واختار الموفق وغير واحد من أصحاب احمد الجواز اذا تغيرت الصفة وذلك
مثل هزال العبد وسوء الصنعة أو تحرق الثوب ، وذلك لان الثمن لنقص البيع
للافتوسل إلى الربا . فهذه صورة مما استثنوها من بيع العينة المحرمة

(الصورة الثانية) اذا كان يبيعها الاول بعرض فاشتراها بنقد

(الصورة الثالثة) اذا كان يبيعها الاول بنقد واشتراها بعرض . قل في

المنفي : لانعلم فيه خلافا

(الصورة الرابعة) اذا باعها بنقد واشتراها بنقد آخر فنيل يجوز ، وقال

الموفق وغير واحد لايجوز ، قل في الانصاف وهو الصواب

(الخامسة) اذا باعها بثمن الاول من غير زيادة ولا نقصان فان ذلك

جائز قاله غير واحد من علمائنا رحمهم الله

(الصورة السادسة) اذا باعها بأكثر من ثمنها الاول جاز أيضاً ، فأما إن

باع سلعة بنقد ثم اشتراها بأكثر منه فهي كمسئلة العينة

(السابعة) اذا وحدها تباع مع غيره إلا أن يكون وكيلاً له . وقال احمد في رواية

حرب : لايجوز إلا أن تتغير السلعة لان ذلك يتخذ وسيلة إلى الربا فهي كمسئلة العينة .

ونقل أبو داود عن أحمد رحمه الله يجوز بلا حيلة ، فأما إن اشترى السلعة التي
باعها بنقد بسنعة أخرى أو بأقل من ثمنها أو بمثلها جاز ، فإن اشترىها بنقد آخر
بأكثر من ثمنها فهو كمسئلة العينة أيضاً

ونقل المروزي فيمن يبيع الشيء ثم يجده يباع أن يشتريه بأقل مما باعه
بالنقد ، قال : لا ، ولكن بأكثر لا بأس

قال الموفق رحمه الله : يحتمل ألا يجوز له شراؤها بجنس الثمن بأكثر منه
إذا لم يكن مواطاة ولا حيلة ، بل وقع اتفاقاً بلا قصد .

ومن مسائل العينة أيضاً إذا باعه شيئاً بثمن لم يقبضه ثم اشتراه بأقل مما
باعه نقداً على الخلاف المتقدم لم يصح ، ذكره غير واحد من أئمة الحنابلة وهو ظاهر
كلام الامام أحمد قاله في الانصاف

(وأما المسئلة الخامسة عشرة) وهي مسئلة لبس الحرير في الحرب فذكر العلماء
أنه يباح لبسه وقت الملاقاة للعدو كما يباح التبخر في المشي عند ملاقات العدو
كما صح بذلك الخبر عن رسول الله ﷺ أنه رأى رجلاً يتبختر بين الصفين
فقال « إن هذه المشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الوطن »

(وأما المسئلة السادسة عشرة) إذا كان تمر أو عيش مجموع وأخبر البائع
المشتري بكيهه ورضي بذلك هل يجوز أم لا ؟

(فالجواب) أن ذلك لا يجوز واحتجوا بما روى الاثرم باسناده عن الحكم
قال : قدم طعام لعثمان رضي الله عنه على عهد رسول الله ﷺ فقال « اذهبوا إلى
عثمان نعيمه على طعامه » فقال عثمان : إن في هذه الغرارة كذا وكذا ، وأبيعها بكذا
وكذا ، فقال رسول الله ﷺ « إذا سميت السكيل فكل » واحتج به أحمد ،

فعلى هذا اذا أعلمه بالكيل أو الوزن ثم باعه إياها مجازفة على انه بذلك الثمن زاد أو نقص لم يجز

(وأما المسئلة السادسة عشرة) فيمن دخل بامرأة (١) وأغلق بابا وأرخى حجابا هل تجب العدة ولو أقر أنه لم يجز بينهما جماع .

(فالجواب) ان الذي عليه قول أهل العلم ان العدة تجب في هذه الصورة

(وأما المسئلة السابعة عشرة) ما المسافة التي يترخص فيها برخص السفر ؟

(فالجواب) ان الذي عليه كثير من العلماء ان ذلك يتحدد بقدر مسيرة

يومين للاحمال ، وفيها اختلاف كثير بين العلماء ، والذي يختاره الشيخ ان ذلك

لا يتحدد بمسافة بل كل ما سمي سفرًا جاز الترخّص فيه برخص السفر لان الله

ذكر السفر وأطلق ولم يحدد ، وكذلك لم يصح عن الرسول ﷺ تحديد ذلك

(المسئلة الثامنة عشرة) بيع الحيوان بالحيوان نسيئة ، البعير بالبعيرين أو أقل

و أكثر إلى أجل معلوم

(فالجواب) ان بعض العلماء كره ذلك ، وكثير منهم لا يرى بذلك بأسا

لما روي أن عليا باع بعيرا يقال له عصيفير بأربعة أبعرة إلى أجل معلوم

(وأما المسئلة التاسعة عشرة) في أخذ الاجرة على من أراد أن يعلى فرسه بمحضان غيره .

(فالجواب) ان ذلك لا يجوز ولا يصح لنهي النبي ﷺ عن عسب الفحل

وصلّى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

(١) هذا سؤال مبهم لم يفهم الا من القرينة والمراد بالمرأة المتكرة فيه المرأة

لمعقود عليها يعني اذا دخل الرجل بالمرأة التي عقد عليها نكاحه بيتا واغلق بابها عليه

وعاينها ثم طلقها وادعى انه لم يجامعها هل تعد مدخولا بها وتجب عليها عدة الطلاق ام لا ؟

مسائل وفناوی فقیہ

لبعض علماء نجد
جاءنا غيرة معزوة إلى أحد

بسم الله الرحمن الرحيم

مسائل واجوبتها

(الاولى) بم يثبت خيار المجلس وما صورته ؟

(الجواب) خيار المجلس يثبت للعتبايعين ولكل منهما فسخه ماداما مجتمعين لم يتفرقا ، وهو قول أكثر أهل العلم ، لما في الصحيحين عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال « اذا تباع الرجلان فكل واحد منهما بالخيار مالم يتفرقا وكانا جميعا ، أو يخير أحدهما الآخر ، فان خير أحدهما الآخر فتبايعا على ذلك فقد وجب البيع وان تفرقا بعد أن تباعا ولم يترك أحدهما البيع فقد وجب البيع » والمرجع في التفرق الى عرف الناس وعاداتهم

(الثانية) اذا تباعا وشرطا أن ما بينهما خيار مجلس

(الجواب) يلزم البيع ويبطل الخيار لقول النبي ﷺ في حديث ابن عمر « فان خير أحدهما صاحبه فتبايعا على ذلك فقد وجب البيع » يعني لزم البيع . قال في الشرح وهذا مذهب الشافعي وهو الصحيح إن شاء الله لحديث ابن عمر

(الثالثة) اذا تواعد رجلان يبي يكتب أحدهما على الآخر مائة جديدة ، ويوم صار باكر جاءه بالدرهم يبي يكتب عليه قال بدا لي ، هل يلزمه أم لا ؟ (١)
(الجواب) لا بد من قبض رأس مال السلم في مجلس العقد ، فان تفرقا قبل قبضه لم يصح وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي ، وقال مالك يجوز أن يتأخر قبضه يومين أو ثلاثا أو أكثر مالم يكن ذلك شرطا

(١) قوله يبي اصله يعني اى يريدوهي انه اهل نجد . ويوم صار باكر ، أي في صباح اليوم الثاني . بدا لي . أي أن أرجع

(الرابعة) إذا شري رجل من آخر مائة صاع وواعده يبي يكيلها الصبح، ويوم جاء يبي يكيلها قال : بدا لي وهو ما بعد نقد الدراهم هل يلزمه أم لا ؟
(الجواب) يلزمه البيع بمجرد العقد ولا يوافق على فسخ المبيع الا برضاء المشتري ، ولكن لا يجوز بيعه قبل قبضه لقول النبي ﷺ « من ابتاع طعاما فلا يبعه حتى يستوفيه » متفق عليه

(الخامسة) الأجرة والمساقاة هل هما عقد لازم أم جائز وما معنى اللازم والجائز؟
(الجواب) أما الأجرة فهي عقد لازم وهو قول جمهور العلماء لانها بمعنى البيع ، وأما المساقاة فأكثر الفقهاء على أنها عقد لازم واختاره الشيخ تقي الدين ، وعند شيخنا أنها عقد لازم من جهة المالك ، وعقد جائز من جهة العامل وأما معنى اللازم والجائز فاللازم هو الذي لا يمكن لأحد المتعاقدين من فسخه إلا برضاء الآخر . والجائز هو الذي يفسخه كل منهما بغير رضاء صاحبه

*

**

(السادسة) إذا باع رجل بغيراً على آخر ، وقل البائع الثمن عشرة ، وقال المشتري بل تسعة

(الجواب) إذا اختلفا في قدر الثمن ولا بينة لأحدهما تحالفا فيحلف البائع أولاً : ما بعته بكذا وإنما بعته بكذا ، ثم يحلف المشتري ما اشتريته بكذا وإنما اشتريته بكذا ، فإذا تحالفا ولم يرض أحدهما بقول الآخر انفسخ البيع وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي ورواية عن مالك ، وعن أحمد ان القول قول البائع أو يترادان البيع لما روى ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قل « إذا اختلف البيعان وليس بينهما بينة فالقول ما قل البائع أو يترادان البيع » رواه سعيد بن منصور وابن ماجه قال الزركشي وهذه الرواية وان كانت خفية مذهباً فهي ظاهرة دليلاً ، وذكر دليلها ومال إليها

(السابعة) إذا اكرى رجل بعيراً وقال صاحب البعير الاجرة عشرة وقال

المكثري الاجرة ثمانية

(الجواب) إذا اختلفا في قدر الاجرة وهو كما إذا اختلفا في قدر الثمن في

البيع كما تقدم في المسئلة التي قبلها نص احمد على انهما يتحالفان وهو مذهب الشافعي

قال في الشرح وهو الصحيح ان شاء الله

(الثامنة) اذا استكرى رجل بيتا وقال صاحب البيت أنا مكريك سنة ،

وقال المستأجر أنا مستكر سنتين

(فالجواب) ان القول قول المالك مع يمينه . قال في الشرح لانه منكر

للزيادة فكان القول قوله بيمينه كما لو قال بعتك هذا العبد بمائة وقال (المشري)

بل هذين العبدين بمائتين

(التاسعة) إذا تبايعا نخلا وشرطا الخيار عشر سنين وأخذ المشتري العمارة

في هذه العشر السنين ويوم فك البائع النخل هل العمارة ترد على البائع او تكون

للمشري يأخذها مع الدراهم ؟

(الجواب) ما حصل من غلات المبيع ونمائه في مدة الخيار فهو للمشري

أمضيا العقد أو فسخاه لقول النبي ﷺ «الخراج بالضمان» (١) قال الترمذي هذا

حديث صحيح وهذا من ضمان المشتري فيجب أن يكون خراجه له بمقابلة ضمانه

(العاشرة) اذا رهن رجل قدراً وضاع القدر وهو لم يفرط فيه (٢) هل يسقط

الدين أو الدين ثابت ولو ضاعت الرهانة

(الجواب) اذا تلف الرهن في يد المرتهن فان كان بتعديه أو تفريطه في

حفظه ضمنه ، قال في الشرح لا نعلم فيه خلافاً ، فأما إن تلف من غير تعدد منه

«١» أي ما خرج من الغلة بما على واضع اليد من الضمان من التلف «٢» القدر

التي يطخ فيها مؤنة في العربية والتذكير لغة العوام

ولا تفريط فلا ضمان عليه وهو من مال الراهن، يروى ذلك عن علي رضي الله عنه
وبه قال عطاء والزهري والاوزاعي والشافعي وأبو ثور وابن المنذر فإذا تلف
بغير تعد ولا تفريط لم يضمنه ولم يسقط شيء من الدين، بل هو ثابت في ذمة
الراهن لان الدين ثابت في ذمة الراهن ولم يوجد ما يسقطه

* *

(لخدية عشرة) اذا ضمن رجل على آخر وادعى المضمون عنه اني أعطيت الغني
(الجواب) لصاحب الحق مطالبة من شاء من الضامن والمضمون عنه، وبه قال
الشافعي والثوري واسحاق وأصحاب الرأي وأبو عبيد لقوله عليه السلام «الزعم غارم»
فان أدى المضمون عنه برئت ذمة الضامن بغير خلاف، وإن أدى الضامن الدين ونوى
الرجوع رجع على المضمون عنه بما أداه لصاحب الحق وهو مذهب مالك والشافعي

* *

(الثانية عشرة) اذا أحال رجل آخر بعشرة جدد على مليء وقبله وبعد هذا
أفلس المحال عليه هل ينحرف على صاحبه أم لا ؟
(الجواب) اذا أحاله على مليء برئت ذمة المحيل ولم يعد الحق اليه سواء أمكن
الاستيفاء أم لا ، وبه قال الليث والشافعي وأبو عبيد وابن المنذر لانه أحاله على
مليء برضاه وقبله فلم يكن له على المحيل رجوع بشرط أن تكون الحوالة صحيحة بشروطها

* *

(الثالثة عشرة) ما معنى تعارض البينتين ؟

(الجواب) معنى تعارض البينتين تساويهما من كل وجه ، فاذا أقام المدعي
بينة ، وأقام المدعى عليه بينة وتساويتا ، فقد تعارضتا (ومتى تعارضتا) بينتاهما
سقطتا وكانا كمن لا بينة لهما

*
* *

(الرابعة عشرة) مامعنى قولهم بينة الداخل والخارج ؟

(الجواب) بينة الخارج بينة المدعي ، وبينة الداخل بينة المدعى عليه

(الخامسة عشرة) الفرق بين قسمة التراضي والاجبار

(الجواب) قسمة الاجبار هي التي لا ضرر فيها على أحد من الشركاء ، ويمكن

تعديل السهام من غير رد عوض ، فان كان فيها ضرر لم يجبر الممتنع لقول النبي

ﷺ « لا ضرر ولا ضرار » فان كان فيها رد عوض فهي بمعنى البيع فلا يجبر عليها

الممتنع فاذا لم تكمل هذه الشروط فهي قسمة تراض لا يجبر الممتنع عليها بل برضاه

(السادسة عشرة) اذا بنى رجل بيتاً وبنى فيه مدابغ وكنيفاً ، وبنى جاره

بعده بيتاً وأقام الثاني بينة أن كنيفك ومدابغك تضر بي

(الجواب) اذا كانت المدابغ والكنيف سابقة على ملك جاره ولا حدثت دار جاره

إلا بعد بناء الكنيف والمدابغ فلا تزال لأنها سابقة على ملك الجار والجار هو الذي

أدخل الضرر على نفسه . وفي ازالة ضرره اضرار بجاره فلا يزال الضرر بالضرر ،

فاذا كانت المدابغ ونحوها سابقة على ملك الجار لم تزل وإن أضرت بالجار والله أعلم

(السابعة عشرة)(١) اذا بنى رجل مدابغ أو بنى كنيفاً تحت جاره وأقام الاول

البينة أن هذه البنية التي حدثت في ملكك تضر بي

(الجواب) يمنع الجار أن يحدث في ملكه ما يضر بجاره لقول النبي ﷺ

« لا ضرر ولا ضرار » فاذا أراد أن يحدث في ملكه ما يضر بجاره فانه يمنع

للحديث ، وهذه المسئلة عكس التي قبلها في الصورة والحكم

(الثامنة عشرة) اذا مات رجل وجاء آخر إلى الوارث يدعي أن له ديناً على

الميت وليس على المدعي (٢) شهود ايش صفة يمين الوارث ؟

(الجواب) اذا لم يكن مع المدعي بينة وأراد أن يستحلف الوارث فانه

(١) هذه المسألة مكررة مع ما قبلها

الآيمان على البت لا على نفي فعل الغير . الحكم اذا نكل المنكر عن اليمين ٨٠١

يحلف على نفي العلم ، قال في المغني والايان كلها على البت واقطع لا على نفي فعل الغير فانها على نفي العلم ، فاذا حلف على نفي مثل أن يدعي عليه ، أي على الغير ديناً أو غصباً فإنه يحلف على نفي العلم لا غير

(التاسعة عشرة) اذا ادعى رجل على آخر بد عوى وليس عند المدعي بينة ماصفة يمين المنكر ؟

(الجواب) يحلف المنكر على البت واقطع لان الايمان كلها على البت لا على نفي فعل الغير فانها على نفي العلم كما تقدم في المسئلة قبلها

(المشرون) اذا تداعى اثنان ولاينة معهما وصارت اليمين على المنكر فان حلف قضي له ، وإن أبى أن يحلف فهل يقضى عليه بنكوله أم تردون اليمين على المدعي ؟

(الجواب) فيه قولان للعلماء هما روايتان عن احمد

(احدهما) لا ترد بل اذا نكل من توجهت عليه اليمين قضي عليه بالنكول وهو قول ابي حنيفة .

(والرواية الاخرى) ان اليمين ترد على المدعي فيقال له رد اليمين على المدعي فان ردها حلف المدعي وحكم له بما ادعاه اختاره ابو الخطاب وقال قد صوبه احمد ، وما هو ببعيد يحلف ويستحق ، واختار هذا القول ابن القيم في الطرق الحكمية والموفق في العمدة ، وهو قول أهل المدينة

وروي ذلك عن علي رضي الله عنه وبه قال شريح والشعبي والنخعي وابن سيرين ومالك في المال خاصة ، وقال الشافعي بل في جميع الدعاوي

وقال الشيخ تقي الدين : مع علم مدع وحده بالمدعى به لهم ردها ، واذا لم يحلف لم يأخذ كالدعوى على ورثة ميت حقاً عايه بتركته ، وإن كان المدعى عليه هو العالم بالمدعي به دون المدعى مثل أن يدعي الورثة أن الوصي على غريم الميت فينكر فلا يحلف المدعي ، وأما إن كان المدعي يدعي العلم والمنكر يدعي العلم فهنا يتوجه القولان ، يعني المتقدمين ، هل يقضي بالنكول أم ترد والله أعلم . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

مسائل وفتاوي أخرى

لبعض علماء نجد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله وعلى آله واصحابه الذين كانوا
نصرة لدين الله

(المسئلة الاولى) ما قولكم فيمن ترك السنة (١) من غير استخفاف ماحكه ؟
(الجواب) الذي ذكر أهل العلم أن من ترك السنة وداوم عليها من غير
استخفاف بها أنه يكون ناقصا ولا تقبل شهادته

(الثانية) ما قولكم في الرواتب كم قدرها ووقتها وأياها أفضل ؟
(الجواب) ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن عمر قال « حفظت من رسول
الله ﷺ عشر ركعات: ركعتين قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين بعد
المغرب وركعتين بعد العشاء وركعتين قبل صلاة الصبح » وفي حديث في الصحيحين
عن عائشه رضي الله عنها « كان رسول الله ﷺ يصلي قبل الظهر اربعا » فيحتمل
انه كان يصلي ثمة اربعا قبل الظهر وثارة ركعتين . وذكر العلماء أن آكد التطوع
الكسوف ثم الوتر ثم ركعتا الفجر ، لان رسول الله ﷺ لم يدعهن لاحضرا ولا سفرا

(الثالثة) المسند والمرسل أياها أقوى

(الجواب) ان المسند أقوى من المرسل وذلك لان المسند ما اتصل سنده الى
رسول الله ﷺ فاذا كان رجال المسند كلهم ثقات وليس فيه شذوذ فاجمع العلماء
(١) أي من الصلاة النافلة وهي التي تسمى الرواتب . وليس المراد السنة بمعنى
الهدى النبوي والطريقة الشرعية

على الاحتجاج به (١) اذا لم يعارض بمثله او أقوى منه ، وأما المرسل فهو ما يرويه التابعي عن النبي ﷺ كقول الحسن قال رسول الله ﷺ كذا . وقول محمد بن شهاب الزهري قال رسول الله ﷺ او قول عطاء قال رسول الله ﷺ فسقط الصحابي بينه وبين الرسول ﷺ وكثير من أهل العلم لا يحتج بالمرسل إلا اذا اتصل واسند من وجه صحيح فاذا كان ذلك كذلك تبين لك ان المسند أقوى وأصح من المرسل بكثير

(الرابعة) ما قولكم في معناها

(الجواب) يتبين لك من جواب المسئلة قبلها . ومن اصح المراسيل عندهم مراسيل سعيد بن المسيب القرشي المديني عالم المدينة . وقيل انه عالم التابعين وافضلهم رضي الله عنه

(الخامسة) اذا جاء خبران عن النبي ﷺ احدهما يدل على الامر والاخر يدل على النهي أيهما أرجح ؟

(الجواب) ان الراجح ما صح سنده الى النبي ﷺ ينقل العدول انتقادات الضابطين فان قدر اتحادهما في الصحة فان امكن معرفة الاخر منهما اخذ بالآخر لانه هو الناسخ ، وانما يؤخذ بالآخر فالآخر من فعل رسول الله ﷺ او قوله ، فان لم يمكن معرفة ذلك وامكن الجمع بينة جمع بينهما فان لم يمكن ذلك اخذ بالاحوط وهو الذي عليه الاكثر من العلماء والفقهاء

*
* *

(السادسة) ما قولكم في حذف البسملة في الصلاة وما الدليل على ذلك ؟

(الجواب) ان البسملة اختلف الفقهاء فيها هل هي آية من الفاتحة وغيرها من كل

«١» اي في الاحكام العمالية من العبادات والمعاملات وان كان آحاديا

سورة او هي آية من الفاتحة دون غيرها من السور؟ او ليست من الفاتحة ولا غيرها من السور بل هي آية من القرآن تكتب في اول كل سورة وتقرأ سوى سورة براءة؟ هذه اقوال ثلاثة ذهب الى كل قول طائفة من العلماء والذي يترجع عندنا القول الاخير وبه قال الامام احمد بن حنبل وغيره من فقهاء الحديث . واما الجهر بها في الصلاة فلا حديث الصحيحة تدل على ان الرسول ﷺ كان لا يجهر بها لا هو ولا الخلفاء الراشدون اللهم الا أن يكون بعض الاحيان فانه قد روي في بعض احاديث كما ثبت ذلك في الصحيح عن انس بن مالك خادم رسول الله ﷺ ان رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا يستفتحون القرآن بالحمد لله رب العالمين لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم ، في اول القراءة ولا في آخرها . يعني ان اول ما يجهر به في الصلاة من القرآن الحمد لله رب العالمين . وبذلك اخذ الامام احمد وجماة من فقهاء الحديث واستحبوا ترك الجهر بها من غير انكار على من جهر بها

* *

(السابعة) ما قولكم في الرفع والضم وما الدليل على ذلك؟

(الجواب) ان كان مراد السائل رفع اليدين في الصلاة وجعل اليمين على الشمال في الصلاة فهذا سنة مؤكدة ثابتة عن رسول الله ﷺ في احاديث كثيرة في الصحاح والسنن والمسانيد ومن اشهر ذلك حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما المتفق على صحته قال «كان رسول الله ﷺ يرفع يديه حذو منكبيه اذا افتتح الصلاة واذا اراد ان يركع واذا رفع راسه من الركوع» واما وضع اليمين على الشمال ففي حديث سهل بن سعد في صحيح البخاري قال «كان الناس يؤمرون ان يضع الرجل يده اليمنى على ذراعه اليسرة في الصلاة» وان كان مراد السائل غير ذلك فيبينه بعبارة صحيحة واضحة

* *

(الثامنة) ما قولكم في التأمين آخر الفاتحة ؟

(الجواب) انه سنة مؤكدة وصح ان رسول الله ﷺ كان اذا قرأ غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال آمين يجبر بها ، وصح من حديث ابي هريرة ان رسول الله ﷺ قال « اذا قال الامام غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين ، فان من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه » وأجمع العلماء من اهل السنة على استحباب ذلك

(التاسعة) ما قولكم في قول المؤذن « الصلاة خير من النوم » وما الدليل على ذلك ؟

(الجواب) دليله مارواه أهل السنن قالوا : كان بلال اذا أذن أيقظ النبي ﷺ لصلاة الفجر ، ف قيل له ان رسول الله ﷺ نائم فقال : الصلاة خير من النوم ، ورفع بها صوته ، قال ابن المسيب فادخلت هذه الكلمة في أذان الفجر ، واتفق الأئمة الاربعة على استحباب ذلك

*
* *

(العاشرة) ما قولكم في استفتاح الصلاة بما الناس عليه وما الدليل على ذلك ؟

(الجواب) أنه قد ثبت في السنن الاربعة أن رسول الله ﷺ كان يستفتح الصلاة « بسبحانك اللهم وبحمدك ، وتبارك اسمك ، وتعالى جدك ، ولا إله غيرك »

وصح في صحيح مسلم أن عمر كان يجبر بهؤلاء الكلمات يعلمهن الناس في مسجد رسول الله ﷺ بحضرة الاكابر من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين الانصار ، فلأجل ذلك أخذ به الامام أحمد وجماعة من فقهاء الحديث قال أحمد : «نا اختاره وإن استفتح رجل بغيره مما صح عنه ﷺ فحسن

*
* *

(الحادية عشرة) ما قولكم في النحو هل شيء جاء في الاجتهاد أم لا ؟
 (الجواب) ان علم النحو وضعه بعض العلماء بسبب تغير لغة العرب ،
 وقيل ان أول من وضعه علي رضي الله عنه وذلك لان الله أنزل القرآن والسنة على
 لغة العرب فيجب على الامة معرفة اللغة وضبطها ليعرف بذلك كتاب الله وسنة
 نبيه عليه الصلاة والسلام

(الثانية عشرة) هل ينسخ القرآن بعضه بعضا ، وهل ينسخ ؟ السنة
 والسنة تنسخه أم لا ؟
 (الجواب) الذي عليه أئمة أهل العلم أن القرآن ينسخ بعضه بعضاً وفيه آيات
 معروفة منسوخة والآية التي نسختها معروفة، يعرف ذلك من طلبه من مظانه .
 وكذلك القرآن ينسخ السنة باجماع

واما نسخ القرآن بالسنة فالذي عليه المحققون من العلماء ان السنة لا تنسخ
 القرآن لكن السنة تفسر القرآن وتبينه وتفصل مجمله ، لان الله امتن على ازواج
 نبيه بما يتلى في بيوتهن من الكتاب والحكمة : قال كثير من العلماء كان جبرئيل ينزل
 على رسول الله ﷺ بالسنة كما ينزل بالقرآن ، ولا يسمى ذلك نسخا بل هو تفسير له
 وتوضيح وتشريع للامة لان الله ضمن لنبيه ﷺ جمع القرآن في صدره وبيان
 معناه كما قال تعالى (ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه) ثم ان علينا بيان

(الثالثة عشرة) هل تجوز رواية الكتاب والسنة بالمعنى أم لا ؟
 (الجواب) أما قراءة القرآن بالمعنى فما علمت احدا يجوز ذلك ، وكيف يجوز
 تغيير كلام الله وتغيير نظمه الذي اعجز الله به جميع الخلق وجعله آية ودلالة باهرة
 على نبوة محمد ﷺ ؟ هذا لا يقوله احد . واما رواية الحديث بالمعنى فهو مما اختلف

فيه العلماء واجازه طائفة ومنعه كثيرون من اهل الحديث وغيرهم

* *

(الرابعة عشرة) هل اجماع الصحابة حجة وقول الواحد منهم حجة ام لا؟

(الجواب) ان اجماعهم حجة قاطعة يجب الاخذ بها بالا جماع من اهل العلم واستدلوا على ذلك بقوله تبارك وتعالى ومن (يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) وقوله (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه) وقوله في اعظم سورة من القرآن (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم) وهم اصحاب رسول الله ﷺ

واما قول الواحد منهم فهو حجة عند العلماء ياخذ به الامام احمد وغيره اذا لم يخالفه مثله، واما اذا خالفه غيره من الصحابة فليس قول احدهما حجة على الآخر

* *

(الخامسة عشرة) اجماع علماء الاسلام من غير الصحابة حجة

«الجواب» نعم حجة قاطعة (١) لكن لا يوجد اجماع صحيح الا وله سند من

«١» إطلاقه هذا الجواب غريب واول مخالف فيه الامام احمد «رح» فالمشهور عنه انه لا يحتاج الا باجماع الصحابة فقد روي عنه ابو داود انه قال: الاجماع ان يتبع ما جاء عن النبي «ص» وعن اصحابه وهو في التابعين مخير. وروى مثل هذا عن أبي حنيفة وهو مذهب الامام داود بن علي، بل روي عن الامام احمد أنه يقول بعدم امكان العلم بالاجماع في عصره أو بعد الصحابة. والقائلون بحجية اجماع العلماء المجتهدين - وهم جمهور الاصوليين - قد اختلفوا فيه هل هو حجة قطعية أو ظنية أو فيه تفصيل؟ وقوله ان الامة لا تجتمع على ضلالة هو معنى حديث مرفوع استدلل به القائلون بأنه حجة، ورد المنكرون عليهم بأن خطأ المجتهدين قد يكون عن اجتهاد في صحة نص أو في دلالة له وهذا لا يسمى ضلالة، على ان اجماع المجتهدين في عصر على شيء ليس اجماعا للامة كلها، ولا تتسع هذه الحاشية لاكثر من هذا التنبيه

الكتاب والسنة واجماع الصحابة وكثير من المسائل يدعى بعضهم فيها الاجماع وليس هو قول جميع علماء الاسلام بل يوجد فيها خلاف لبعض العلماء لا يعلمه من حكي الاجماع . وامة محمد ﷺ لا تجتمع على ضلالة بل قد اجارها الله من ذلك

(السادسة عشرة) كم الواجب من القرآن في الصلاة وما الدليل على ذلك ؟
 (فالجواب) الواجب من ذلك هو قراءة الفاتحة لا غير لمن قدر على تعلمها واستدلوا على ذلك بقوله ﷺ « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » اخرجه مسلم في صحيحه وفيه دلالة واضحة

*
* *

(السابعة عشرة) هل يجب ان يقرأ المأموم لنفسه ام الامام يتحمل ذلك ؟
 (فالجواب) هذه مسألة اختلف العلماء فيها فاوجب طائفة من العلماء قراءة الفاتحة على الامام والمأموم والمنفرد واستدلوا بالحديث المتقدم، وكرهها آخرون للمأموم في السرو والجهر وتوسط فيها آخرون فاوجبوها على الامام والمنفرد في كل ركعة واستحبوها للمأموم في الصلاة السرية وكرهوها للمأموم في الجهرية اذا سمع قراءة الامام واستدلوا على ذلك بقوله عز وجل (واذا قرأ القرآن فاستمعوا له وانصتوا) قال احمد هذه الآية في الصلاة وبما روي في الحديث من كان له امام فقراءة الامام له قراءة وهذا الذي عليه العمل عندنا ونختاره

(الثامنة عشرة) إذا قرأ المأموم مع الامام هل تفسد صلاته ؟
 (فالجواب) ان صلاته لا تفسد ولا أعلم أحداً قال بفسادها بذلك بل كرهها من كرهها من العلماء للآية المتقدمة التي قبلها ، وللدلائل آخر ليس هذا موضع بسطها ولم يبطلوها بذلك

(التاسعة عشرة) ما قولكم في صلاة الجماعة والعيد هل هما واجبتان أم مسنونتان؟

وما الدلائل على ذلك ؟

ف نقول : أما صلاة الجماعة ف اختلف العلماء في وجوبها وهل هي شرط لصحة الصلاة أو ليست بواجبة ولا شرط لصحة الصلاة ، بل سنة مؤكدة ؟ فالمشهور عن أحمد وغيره من فقهاء الحديث أنها واجبة على الرجال المكلفين حضراً وسفراً ، واستدلوا على ذلك بما ثبت في الصحيحين أن رجلاً كانوا يتخلفون عن صلاة الجماعة مع النبي ﷺ فهم ﷺ بتحريق بيوتهم بالنار وإنما منعه من ذلك ما فيها من النساء والذرية ، وقال « لقد هممت أن أمر رجلاً يؤم الناس ثم أخالف إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم » وقال ابن مسعود : لقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ، والدلائل أخر ليس هذا موضع بسطها ، وأما صلاة العيدين فالصحيح من أقوال العلماء أنها فرض كفاية ، ومن قال إنهما سنتان قال : إذا اتفق أهل بلد على تركهما قاتلهم الإمام ، واستدلوا على أنها فرض كفاية بأن النبي ﷺ أمر بهما مالك بن الحويرث وصاحبه

(العشرون) من سب الصحابة هل يكفر أو يفسق ، وما الدليل على ذلك ؟
(فالجواب) ان فسقه لا خلاف فيه لقوله عليه السلام « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » وأما تكفيره ف اختلف العلماء في ذلك فمنهم من كفره ويذكر عن مالك ، واحتج على كفره بقوله تعالى (ليغيظ بهم الكفار) قال : فكل من سبهم فهو كافرها الآية . والذي عليه الاكثر عدم تكفيره ، وتوقف أحمد في تكفيره وقتله ، وأما تعزيره وتأديبه بالضرب والحبس الذي يزجره عن ذلك فلا خلاف فيه وهذا ما تحتمله الورقة ونسأل الله أن يوفقنا وسائر إخواننا لما يحبه ويرضاه
وصلّى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

مسائل ومتاوى في إقراءة

في الصلاة والطهارة والوضوء والتميم والطلاف والعدة
وعورة الأمة والظلام عند الاذان وتلاوة القرآن وغير ذلك

لأحد علماء نجد، غير معروف اسمه

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

الحمد لله والصلاة على خير خلق الله وآله واصحابه الذين كانوا أنصاراً لدين الله
(المسئلة الاولى) ما قول العلماء رضى الله عنهم فيمن صلى خلف الامام ما حكمه ؟
(الجواب) وبالله التوفيق: السنة ان يقف المأموم خلف الامام ، وان كان
واحدا صلى عن يمينه ، فان كان معهم امرأة قامت خلفهم ، فاذا وقف المأموم قدام
الامام لم تصح صلاته وان وقف الرجل خلف الصف أو خلف الامام وحده
فصلى ركعة فأكثر لم تصح صلاته

(المسئلة الثانية) هل تصح صلاة من اخل باعراب الفاتحة ام لا ؟

(الجواب) وبالله التوفيق : يلزم القاريء ان يقرأ الفاتحة مرتبة مشددة غير
ملحون فيها لحنا يحيل المعنى ، نحو ان يقول انعمت برفع التاء فان فعل لم يعتد
بقراءته الا ان يكون عاجزا ، وهذا مذهب الشافعي ، فان كان لحنا لا يحيل المعنى
نحو أن يكسر النون من نستعين لم تبطل صلاته

(المسئلة الثالثة) اذا صلى من في بدنه او ثوبه نجاسة نسيها او جهلها ولم يعلم
بها الا بعد انقضاء صلاته هل يعيدها ام لا ؟

(الجواب) وبالله التوفيق : هذه المسئلة فيها عن احمد روايتان (احدهما)
لا تفسد صلاته وهو قول ابن عمر وعطاء لحديث النعائين وفيه « كان رسول الله
ﷺ يصلي بأصحابه اذ خلع نعليه - الى ان قل - ان جبرائيل اتاني فاخبرني أن
فيها قدرا » رواه ابوداود ولو بطلت لاستأنفها (والثانية) يعيدها وهو مذهب الشافعي
فان علم بها في اثناء الصلاة وامكنه ازالها من غير عمل كثير كخلع النعال والعمامة

ونحوهما ازالها وبني على ماضى من صلاته وإلا بطلت

(الرابعة) اذا صلى الامام محدثا جاهلا والمأمون حتي سلموا ما حكم صلاتهم؟

(الجواب) صلاتهم صحيحة دون الامام فانه يميد، يروى عن عمرو وعمان وعلي

ومالك والشافعي وان علمه وهو في الصلاة بطلت وأعادها

(الخامسة) اذا كان في أعضاء الوضوء او في بدن الجنب نجاسة فزال بفسل

الوضوء او غسل الجنابة ولم ينو إزالتها هل تزول ام لا بد من النية؟

(الجواب) غسل النجاسة لا يقتقر الي نية بل متى زالت عين النجاسة بالماء

طهر المحل لانها من التروك بخلاف الاوامر فانها مفترقة الي نية لقوله عليه السلام

«انما الاعمال بالنيات» الحديث، لكن عليه ان يزيل النجاسة عن اعضائه وعن

بدنه قبل الغسل .

(السادسة) اذا توضأ الانسان لمشروع كالنافلة وصلاة الجنازة ولم ينو به

الفرض هل يصلي به الفرض ام لا؟

(الجواب) يصلي به ماشاء فرضا او نفلا وايضا قال في الشرح الكبير ولا

بأس ان يصلي الصلوات بالوضوء الواحد لا نعلم فيه خلافا . انتهى

(المسئلة السابعة) اذا دخل الوقت على عادم الماء ويرجو أن يصل اليه في آخر

الوقت هل يصلي بالتراب في أول الوقت أو يؤخر الصلاة حتى يأتي الماء؟

(الجواب) قال في الشرح يستحب تأخير التيمم إلى آخر الوقت لمن يرجو

وجود الماء، روي ذلك عن علي وعطاء والحسن وأصحاب الرأي، وقال الشافعي

في أحد قوله التقديم أفضل . انتهى

(المسئلة الثامنة) اذا طلقت المرأة وهي ترضع ولم يأتها الحيض بسبب الرضاع ما عدها؟

(الجواب) هي في عدة حتى يأتها الحيض فتعتمد به ثلاث حيضات أو تصير

آيسة فتعتمد بثلاثة أشهر

(المسئلة التاسعة) اذا ادعت المرأة أنها اعتدت بعد الطلاق في وقت تمكن العدة فيه هل تصدق أم لا ؟ واذا شهدت امرأة أو امرأتان انها اعتدت بالحيض هل تقبل شهادتهن في ذلك لعدم اطلاع الرجال أم لا ؟

(الجواب) تصدق لقوله تعالى (ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن) الآية واذا شهدت امرأة عدل أنها حاضت ثلاث حيض وهو يمكن قبلت. والاحوط شهادة امرأتين

(المسئلة العاشرة) هل وجه الامة المملوكة عورة فيلزمها الخمار للحررة أم لا ؟ (الجواب) لا يلزمها لان عمر بن الخطاب كان ينهى الاماء عن التتبع فاشتهر فلم ينكره، فكان اجماعا، لكن اذا كانت الامة جميلة يخشى بها الفتنة لم يحجز النظر اليها بشهوة. وأما الحررة فلا يجوز كشف وجهها في غير الصلاة بغير خلاف (١) والامة اذا عتقت فهي حرة

(المسئلة الحادية عشرة) ما حكم الكلام عند الاذان والاقامة وتلاوة القرآن ، والكلام عند الجماع

(الجواب) قال في الشرح : يستحب لمن سمع المؤذن أن يقول كما يقول إلا في الحيلة فانه يقول: لاحمل ولا قوة إلا بالله، وهذا مستحب لانعلم فيه خلافا ، ثم يقول «اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعهه مقاما محموداً الذي وعدته» رواه البخاري انتهى، وقال بعض العلماء كذلك عند الاقامة، وأما الكلام عند تلاوة القرآن فقال النووي رحمه الله في كتاب التبيان : ويتأكد الامر باحترام القرآن من أمور، فمنها اجتناب الضحك واللفظ والحديث في خلال القرآن إلا كلاما يضطر اليه ولتمثل أمر الله ، قال تعالى (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) وعن ابن عمر أنه كان اذا قرئ

«١» هذا انما يصح في حال خوف الفتنة فقط

القرآن لا يتكلم حتى يفرغ مما أراد أن يقرأ انتهى
وأما الكلام حال الجماع : فيكره كثرة الكلام حال الوطء ، قيل ان
منه الحرس والغافاة (١)

(المسئلة الثانية عشرة) هل نداء الشخص والديه أو قرابته باسمائهم من
العقوق المنهي عنها أم لا ؟

(الجواب) قال في كتاب الاذكار (باب نهى الولد والمتعلم والتلميذ أن ينادي
أباه أو معلمه أو شيخه باسمه) رويناه في كتاب ابن السني عن أبي هريرة أن رسول الله
ﷺ رأى رجلا معه غلام فقال « يا غلام من هذا ؟ » قال أبي ، قال « لا تنش
أمامه ، ولا تستسب له ، ولا تجلس قبله ، ولا تدعه باسمه » قلنا معنى لا تستسب
له أي لا تفعل فعلا تتعرض فيه لأن يسبك أبوك زجرا لك وتأديبا لك على فعلك
القبیح . وروينا عن عبد الله بن زحر قال : كان يقال « من العقوق أن تسمي أباك
باسمه ، وان تمشي أمامه في الطريق » انتهى (٢) وأما القرابة غير الوالدين فلا أعلم في
ندائهم باسمائهم بأساً

(المسئلة الثالثة عشرة) هل يجوز التفريق بين المملوكة وولدها في البيع والهبة أم لا ؟

(الجواب) لا يجوز التفريق بين ذوي رحم محرم قبل البلوغ لقوله ﷺ
« من فرق بين والدته وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة » حديث حسن
(المسئلة الرابعة عشر) هل يفتقر غسل النجاسة إلى عدد أم لا ؟

(الجواب) أما نجاسة الكلب والخنزير وما تولد منهما إذا أصابت غير

« ١ » أي انه يورث هذين الامرين : وفي هذا نظر

« ٢ » هذان العملان من سوء الادب بلا شك ولكن لا يعدان من العقوق الا اذا
كان الوالد يتأذى بهما اذى شديدا وهذا يختلف باختلاف العرف والاحوال فالعقوق
الاذى الشديد ، مشتق من العق وهو شق اثوب ونحوه ، ولذلك كان من اكبر الكبائر

٨١٦ طهارة النجس وما يجب فيه العدد منها ، الكلام والنحنحة في الصلاة

الارض فيجب غسلها سبعا احداهن بالتراب سواء من ولوغه أو غيره لانهما نجسان وما تولد منهما (١) لقوله ﷺ « اذا ولغ الكلب في اناء أحدكم فليغسله سبعا إحدهن بالتراب » متفق عليه ولملم «أولاهن بالتراب»

وأما النجاسات على الارض فيطهرها أن يغمرها بالماء فيذهب عينها أو لوئها لقوله ﷺ في بول الاعرابي « صبوا عليه ذنوبا من ماء » متفق عليه . وأما باقي النجاسات ففيها عن احمد ثلاث روايات (الاولى) سبعا (الثانية) ثلاثا (الثالثة) تكاثر بالماء حتى يذهب عينها ولونها من غير عدد لقوله ﷺ « اغسله بالماء » ولم يذكر عدداً . وهذا مذهب الشافعي ، واختاره شيخ الاسلام أحمد بن تيمية وهو المفتي به عندنا .

(المسئلة الخامسة عشرة) اذا تكلم المصلي في نفس الصلاة أو تنحنح هل تبطل صلاته أم لا ؟

(الجواب) إن تكلم فيها عمداً لمير اصلاح صلاته بطلت بالاجماع ، وإن تكلم فيها ناسيا أو جاهلا لتحريمه لم تبطل في إحدى الروايتين عن احمد وهو مذهب الشافعي ، لحديث معاوية بن الحكم حين تكلم في صلاته ولم يأمره بالاعادة وكذلك إن تنحنح لم تبطل ، وقيل إن بان حرفان بطلت والله أعلم

«١» كان ينبغي ان يقول ان هذا مذهب أحمد الذي هو مذهبهم وكذا الشافعي فأنهما عللا الامر في الحديث بالانجاسة وقاسا الخنزير على الكلب وبرى مالك ان الامر تعبدى لأنه غير معقول والتعبدى لا يقاس عليه ولا يتعدى حكمه المنصوص فلا يقال ان الثوب اذا لاقى شعر الكلب مع البال في احدهما فانه يجب غسله سبع مرات احداهن بالتراب بل لم يرد نص من الشارع بفصل صيد الكلب مع الحاجة اليه لو كان نجسا وتوفر الدواعي على نقله لو ورد وقد ظهر للأطباء علة للأمر بفصل الاماء الذي ولغ فيه وتربيته وهو ان لعاب الكلب يوجد فيه جراثيم دودة ضارة تسمى الدودة الشريطية كما يوجد في لحم الخنزير جراثيم الدودة الوحيدة . وكتبه محمد رشيد رضا

(المسئلة السادسة عشرة) هل يحل عرض أحد من المسلمين أم لا ؟

(الجواب) الغيبة محرمة بالاجماع، وهي ذكرك أخاك بما يكرهه لو كان حاضراً وتباح لسته أسباب :

(الاول) التظلم فيجوز أن يقول لمن له قدرة على انصافه فلان ظلمي أو فعل بي كذا ونحو ذلك

(الثاني) الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى الصواب فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر فلان يعمل كذا فازجره

(الثالث) الاستفتاء بان يقول لعفتي ظلمي أبي أو أخي أو فلان بكذا ونحو ذلك فهذا جائز للحاجة

(الرابع) تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم فمنها جرح المجرورين من الرواة والشهود ، ومنها اذا استشارك انسان في مصاهرته أو معاملته ونحو ذلك فيجب عليك أن تذكر له ما تعلم منه على وجه النصيحة ، ومنها اذا رأيت من يشتري سلعة معيبة فعليك أن تبين ذلك للمشتري وهذا على كل من علم بالعيب وجب عليه بيانه (الخامس) أن يكون مجاهرّاً بالفسق أو ببذعة كالمجاهر بشرب الخمر وخيانة الاموال ظلماً وتولي الامور الباطلة ، فيجوز ذكره بما يجاهر به ، ويحرم ذكره

بغيره من العيوب إلا أن يكون لجوازه سبب آخر

(السادس) التعريف فاذا كان الانسان معروفاً بقلب كالاعرج والاعمى ونحوهما جاز تعريفه بذلك بنية التعريف لا التنقيص . فهذه الستة ذكرها العلماء مما يباح بها الغيبة ودلائلها مشهورة في الاحاديث.

فرحم الله من نظر فيها، وأصلح خلل ألفاظها ومعانيها بعد التحقيق (١) فان الانسان لا يعصم من الخطأ والنسيان، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

«١» يقول محمد رشيد رضا: اننى أرجو أن أكون أهلاً لهذا الدعاء وادعوا لهذا الملقى بمنزلة ذلك: رحمه الله وإمانه، وصلى الله على خاتم النبيين محمد وآله واصحابه آمين

هذه مسائل سئل عنها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى
فأجاب والسائل عامي. (*)

بسم الله الرحمن الرحيم

أما المفقود فلا يحكم بموته إلا بعد أربع سنين ، وإذا أخذ الكفار مال مسلم
وتملكه مسلم آخر بشراء أو هبة لم يكن لصاحبه الاول عليه طريق لانتقال ملك
الاول عنها، لان الكفار يملكون أموال المسلمين بالقهر والاستيلاء كما هو مذهب
أحمد في إحدى الروايتين وهي المذهب ، ومذهب مالك وأبي حنيفة، لكن يكون
صاحبه أحق به بالثمن بعد قسمه أو شرائه

والنخلة : ماتصير وقفا إلا بشهادة رجلين مقبولين .

والوالد : إذا أعطى بعض بنيه عطية وحازها المعطى ولم يعط الآخرين لم
يرجعوا عليه ، والبيع يصح إذا انقطع الخيار ولو كان بدون القيمة

والبعير : إذا غدت عينه وهو مثل فاطر ذبحت، ولا علم القصاب أنها غادية
إلا بعد ما ذبحها فلا له طالابه

ورد الدين على المعسر ما يجوز لا ثمن زاد ولا غيره ، وإذا أوفاه بالعقد
الفاقد مثل الرد على المعسر ماله إلا رأس ماله ، ويصح قسم الدين في الذمة :
وإذا استغرق دين من عليه الدين لم يصح الرهن إلا بأمر الديانين. وإذا اختلف
المقرض والمقترض ، فقال المقرض أقرضتك ، وقال الآخر أرهنتني فالقول قول
المقرض مع يمينه ، وإذا تلفت الصبرة والمشتري متمكن من القبض ولم يقبض
فهي من ضمان المشتري ، وإذا اشترى ثوبا فصبغه أو نسجه أو أخطأه وهو
معيب عند البائع فهو يرد المشتري لا مساكه مع الارش وله قدر صبغه أو نسجه
أو أخطأه وقت الرد ويلحق البائع قدر استعماله له .

(*) قد عثرنا على ورقة فيها هذه المسائل بعد طبع ما تقدم فطبعتها بنصها

وإذا استأجر أجيراً إلى مكان يأتي له منه بشيء فحصل له مانع لزمته الاجرة والصبي أبو خمسة عشر سنة أنا راجي أن مثله ما يضمن ومثله (١)
ومال اليتامى ما فيه زكاة حتى يصيب كل واحد منهم نصيب . وإذا قال الزوج لامرأته اطعني من داري فليست بقرينة ويحلف أنه ما أراد الطلاق .
والهر إذا كان عادة الناس أنه ما يطلب إلا إذا طلفت المرأة أو مات الزوج فلا يطلب إلا إذا طلق أو مات

وصاحب الدين المؤجل إذا قال لست بمزكيه إلا بعد قبضه فوافقه ، وبعد ماجد يوم يشتري النخل فيعطي زكاة ثمنه ، والذي يشتري صبر التمر في الحصاد فلا يبيعهامشترهما حتى يشيئها وما ذكرت من قبل الذي يسرق من ثمرة فهو على المشتري والهبة تلزم بمجرد العقد ، وإذا وهبه وقال أو هبتك عمرك أو عشر سنين فهذا جائز ، ولا يجوز للوالد تنفيل بعض أولاده في العطية على بعض ، والمرأة التي حلفت بالظهار فليس عليها إلا كفارة يمين . والضرر المانع من القسمة هو إذا نقص قيمته مفرداً فهو بمنع . والنخل الذي بين الشركاء واحد يشتهي القسمة وواحد ما يشتهي ، فإن كان على بعضهم مضرة لم يقسم ، وأما إذا كان في ذمة رجل لآخر دراهم واشترى من رجل شيئاً بشرط أنه يقبل الثمن من ذمة فلان فلا يرى فيه بأس . وأما الذين يبيعون الثمرة وقت الجذاذ فيبيعهم صحيح ولو مانع المشتري الثمن وقبض الثمرة فإنه يلزم إذا خلى بينه وبينها ويكون قبضاً لأن قبض هذا بالتخلية ، وإذا أوصى بوصية وعلقها على الموت ثم بعد ذلك أوصى بثالث ماله فالوصية من الثلث إلا إن كان منجزها . ومسئلة الصغير الذي ورث عصبه له فإن كان الأمير يقول بيعها أصلح له فلا تعارضه ، وإن كان الأمير والجماعة يقولون غاديه أصلح فالذي أرى أن البيع ما يتم ، ومسئلة الرهن إذا ظهر مستحقاً فالثاني يرجع على الثاني والثاني يرجع على الأول

(انتهى والله أعلم)

مَسَائِلُ وَفَتَاوَى
فِي الطَّلَاقِ وَالْعَدَّةِ وَالْإِبْرَارَةِ وَالْمَثَارِ
وَالْعَاقِلَةِ وَالتَّيْمُمِ لِنَجَاسَةِ الثُّوبِ وَالْبَدَنِ
وَالْحُدُودِ وَالنِّكَاحِ وَالْإِقْرَارِ وَغَيْرِ ذَلِكَ

لِلْعَلَامَةِ الشَّيْخِ سَعِيدِ بْنِ حُجِيِّ الْحَنْبَلِيِّ النَّجْدِيِّ
رَحِمَهُ اللَّهُ وَعَظَا عَنْهُ

بسم الله الرحمن الرحيم

من سعيد بن حجي الى الاخ مسفر بن عبد الرحمن
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) الخط وصل وصلى الله الى رضوانه
وتسأل فيه عن مسائل

(الاولى) قول العلماء في رجل تزوج امرأة فطلقها قبل أن يدخل بها أعني
الجماع ، ثم تزوجها بعده آخر فطلقها قبل أن يدخل بها هل تجوز أم لا ؟
(الجواب) لا تحل له ان كان الاول طلقها ثلاثا بكلمة واحدة لعدم تمام
شروط النكاح الثاني ، وان كان طلاقه أعني الاول دون الثلاث حلت له
(الثانية) اذا عتق العبد وتحتة أمة ولم تعتق هي ما الحكم ؟

(الجواب) قال في الانصاف لو عتق العبد وتحتة أمة فلا خيار له على الصحيح
من المذهب . وقاله الموفق والشارح ، لان الكفاءة تعتبر فيه لافيها . انتهى وكذا
قال في المغني والاقناع ، فقد علمت أنه لا بأس باستدامة النكاح لهما
(الثالثة) طلاق البتة هل المراد به جمع الثلاث بكلمة واحدة او غيره ؟

(الجواب) في المطلق : وبتة بمعنى مقضوعة يقال طلقها ثلاثا بتة ، وفي حديث
فاطمة بنت قيس ان أبا عمر وطلقها البتة وهو غائب . وفي رواية طلقها ثلاثا - الحديث
متفق عليه . قال ابن دقيق العيد على هذا الحديث مانصه - : ان لفظة البتة يعبر بها
عن طلاق الثلاث دفعة ، وتارة عن طلبة يتم بها الثلاث

(الرابعة) إذا كان عند الرجل أربع نسوة فطلق واحدة بالثلاث وأراد أن
يتزوج رابعة ، والتي طلق لم تزل في العدة هل يجوز أم لا ؟

(الجواب) مذهب احمد بن حنبل وأبي حنيفة لا يجوز حتى تنقضي عدة
المطلقة فيتزوج رابعة ان شاء ، قال في الاقناع وشرحه : ومن طلق واحدة من

نهاية جمعه لم يجوز أن يتزوج أخرى حتى تنقضي عدتها ولو كانت بائناً، لان المعتدة في حكم الزوجات ، وان ماتت واحدة جاز في الحال نص عليه انتهى . ولانه لا يجوز أن يجمع ماءه في رحم خمس نسوة ، وهذا هو المفتي به عندنا الآن ومذهب مالك والشافعي في البائن بخلافه

(الخامسة) إذا استأجر أرضاً بطعام وبقطعة من أرض معلومة هل يصح أم لا ؟
(الجواب) إذا تمت شروط الاجارة صح إن كان المراد رقة الارض لان الارض من العروض ، وان كان المعنى على حذف مضاف ، تقديره وزرع قطعة من أرض لم يصح، لانه من المحاربة المنهي عنها ، ولانه يعود بمحالة الاجرة
(السادسة) إذا كان رجلان شريكان في ثمرة نخل واحتاج أحدهما الى أخذ ثمرة نخلة بعضها ثمر وبعضها بسر ، وقل لشريكه إذا صرم النخل فخذ قيمتها ثمرًا هل يصح أم لا ؟

(الجواب) قد ذكر العلماء انه يجوز قسمة الثمار خرصا ، ولو كانت الثمار على شجر قبل بدو صلاحه أي الثمر ولو بشرط التبقية ، وانه يجوز تفرقهما قبل القبض لانها افراز حق لا بيع

وأما المسئلة المسئول عنها فلا تجوز لانها في الحقيقة بيع وهو غير صحيح
(السابعة) هل الاب وإن علا والابن وإن سفل من العاقلة أم لا

(الجواب) المسئلة فيها روايتان عن احمد بن حنبل المذهب عند متأخري الحنابلة أنهم من العاقلة لانهم أحق العصبات بميراثه فكانوا أولى بتحمل عقله ولحديث عمرو بن شعيب وهو مذهب مالك وابي حنيفة

(الثامنة) وهل الاحصان للأمة من قبل اقامة الحد عليها اذا زنت الاسلام أو التزوج

(الجواب) قل في المعني اذا زنى العبد أو الامة جلد كل واحد منهما خمسين

ولم يغربا، بكرين كانا أو ثيدين، في قول أكثر الفقهاء منهم عمر وعلي وابن مسعود والحسن والنخعي ومالك والاوزاعي وأبو حنيفة والشافعي انتهى ، ثم ذكر اختلاف العلماء في المسئلة وأصلها قوله تعالى (فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة) الآية. وقد استدلوا على ما ذكرنا بقوله (فعليه نصف ما على المحصنات من العذاب) والعذاب الجلد منه فينصرف التنصيف له دون غيره ، وبقوله ﷺ علي « إذا تعالت من نفاسها فاجلدوها خمسين » رواه عبد الله بن أحمد . ورواه مالك عن ابن عمرو بعمومات الاحاديث التي وردت في اقامة الحد على الاماء

(التاسعة) رجل أصاب ثوبه أو بدنه نجاسة وعدم الماء وصلى بها هل يعيد اذا وجد الماء أم لا ؟

(الجواب) قال الشيخ تقي الدين : أما التيمم للنجاسة على الثوب فلا نعلم له قائلًا من العلماء ، وإن كانت النجاسة في البدن فهل يتيمم لها ؟ فيه قولان للعلماء هما روايتان عن أحمد (احدهما) لا يتيمم لها وهذا قول جمهور العلماء كمالك وأبي حنيفة والشافعي - إلى أن قال : لما كان عاجزاً عن إزالة النجاسة سقط وجوب إزالتها وجازت الصلاة معها بدون تيمم انتهى ملخصاً . وقال في الكافي وفي وجوب الاعادة روايتان (احدهما) لا يجب لقوله عليه السلام « التراب كافيك ما لم تجد الماء » وقياسا على التيمم . والاخرى تجب الاعادة

(العاشرة) ما حكم من فعل اللواط وأنى بهيمة ؟

(الجواب) أجمع أهل العلم على تحريم اللواط ، وأما حكمه فإن اختلفت الرواية عن أحمد فعنه أن حده الرجم بكرراً كان أو ثبباً وهذا قول علي وابن عباس وجابر وغيرهم ومالك واحدى قولي الشافعي

(والرواية الثانية) حده حد الزنى وبه قال ابن المسيب وغيره ، ووجه الرواية الاولى قوله عليه السلام « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به » رواه أبو داود . وفي لفظ « فارجوا الاعلى والاسفل » ولان الصحابة أجمعوا على قتله وانما اختلفوا في صفته . انتهى ملخصا من المغني وقال الشيخ تقي الدين في جواب له : وفي السنن عن النبي عليه السلام « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به » ولهذا اتفق الصحابة على قتلها جميعا ، لكن اختلفوا في صفة القتل فذهب جمهور السلف والفقهاء أنهما كانا برحمان بكرين كانا أو ثيبين ، حرين كانا أو مملوكين أو كان أحدهما مملوكا للآخر ، واتفق المسلمون على أن من استحلها من مملوك أو غيره أنه كافر مرتد انتهى . وانما يثبت هذا الحد بينة أو اقرار كلزنى سواء

وأما من أتى بهيمة فهو يعزر ويبالغ في تعزيره ولا حد عليه . روي ذلك عن ابن عباس وحماد ومالك وأصحاب الرأي وهو قول الشافعي ، وتقتل البهيمة ، ويكره أكل لحماها ، وانما يثبت هذا التعزير بشهادة رجلين عدلين أو اقراره ولو مرة

(الحادية عشرة) مامعنى قوله عليه السلام « لا قطع في نمر ولا كثر » رواه ابو داود واحمد والترمذي وابن ماجه ، ما الكثر ؟

(الجواب) الكثر - بضم الكاف وسكون التاء - جمار النخل ، والجمار بالضم والتشديد شحم النخل الذي في جوفه ، وجمرت النخلة قطعت جمارها

(الثانية عشرة) ما الفرق بين المختلس والمنتهب ؟

(الجواب) السرقة أخذ مال محترم على وجه الاختفاء فلا قطع على منتهب وهو الذي يأخذ المال على وجه الغنيمة لما روى جابر مرفوعا قال « ليس على

٨٢٦ إذا شرطت المرأة طلاقاً ضررتها ، اقرار المريض ، والوكالة في النكاح

متنهب قطع « رواه ابو داود ، ولا على مختلس ، والاختلاس نوع من الخطف والنهب ، وانما سمي اختفاء في ابتداء اختلاسه انتهى من الاقتناع وشرحه

(الثالثة عشر) إذا شرطت المرأة طلاقاً ضررتها هل يصح هذا الشرط أم لا ؟
(الجواب) قال في الشرح وان شرطت طلاقاً ضررتها فالصحيح انه باطل انتهى عليه السلام ان تشترط المرأة طلاقاً أختها رواه البخاري . وانهي يقتضي فساد المنهي عنه ، وعند متأخري الحنابلة انه صحيح للزوجة بمعنى ثبوت الخيار لها بعده ولا يجب عليه الوفاء به بل يسن

(الرابعة عشرة) إذا أقر المريض في مرضه الخوف بشيء لوارث أو لغيره هل يصح أم لا ؟

(الجواب) قال في الشرح ويصح اقرار المريض في المرض بالخوف بغير المال وان أقر بمال لمن لا يرثه صح حكاه ابن المنذر اجماعاً وان أقر لوارث لم يقبل إلا ببينة ، وقال عطاء والحسن واسحاق يقبل ، وقال مالك يصح إلا أن يتهم إلا أن يقر لزوجه بمهر مثلاً فاقبل فيصح في قول الجميع إلا الشعبي . انتهى

*

* *

(الخامسة عشرة) إذا شهد رجل عدل أن فلاناً وكل فلاناً على تزويج ابنته فزوجها ثم أنكر الموكل هل تمضي الشهادة أم لا ؟

(الجواب) للولي أن يوكل من يزوج موليته . قال في المغني ولا يعتبر في صحة الوكالة إذن المرأة في التوكيل ، ولا يقتصر إلى حضور شاهدين لأنه إذن من الولي في التزويج فلم يقتصر إلى إذن المرأة ، ولا إلى الاشهاد كاذن الحاكم انتهى . لكن لا بد من إذنها للوكيل ، فقد علمت أنه إذا أذن للوكيل صح وإن لم يشهد ، والاشهاد أحوط

(السادسة عشرة) هل تجوز شهادة العبد إذا كان عدلا في كل شيء ، أم لا ؟
 (الجواب) تجوز شهادته في كل شيء ، إلا في الحدود والقصاص في إحدى الروايتين عن أحمد ، وعنه تقبل فيهما أيضا على الصحيح من المذهب ، واختاره ابن القيم في أعلام الموقعين ، ونصره هو وغيره بأدلة ، ولعل مذهب الأئمة الثلاثة على خلافه

* * *

(السابعة عشرة) هل يقطع السارق باقراره مرة أم لا بد من مرتين ؟
 (الجواب) قال في المغنى ولا يقطع إلا بشهادة عدلين او اعتراف مرتين قال ابن المنذر اجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم أن قطع السارق يجب إذا شهد بالسرقة شاهدان حران مسلمان ووصفا ما يوجب القطع انتهى ، او يعترف مرتين روى ذلك عن علي ، وبه قال ابن أبي ليلى وأبو يوسف وقال أبو حنيفة والشافعي يقطع باقراره مرة

ولنا ما روى أبو داود أنه عليه السلام أتى بلص قد اعترف فقال « ما أخالك سرق ؟ » قال : بلى . فأعاد عليه مرتين فأمر به فقطع انتهى ، ولحديث علي ، وهذا مذهب الحنابلة والله أعلم

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم



سَالَةٌ

فِي الرَّدِّ عَلَى صَاحِبِ جَرِيدَةِ الْقَبْلَةِ
الَّتِي كَانَتْ لِسَانَ الْحَيِّ بْنِ عَلِيٍّ بِمَكَّةَ الْمَكْرَمَةِ
فِيمَا افْتَرَاهُ عَلَى أَهْلِ نَجْدٍ مِنْ تَقْيِصِ الرُّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وغير ذلك من الفِرْيَةِ والضَّلَالِ

أَحَدُ عُلَمَاءِ نَجْدٍ ، لَمْ يَذْكُرْ اسْمَهُ ^{وَضَمَّهَا} عَلَى الْأَصْلِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ،
وأشهد أن لا إله إلا الله إله الأولين والآخرين ، وقيوم السموات والأرضين ،
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين
كله وكفى بالله شهيدا ، ونشهد أنه ﷺ بلغ الرسالة وأدى الأمانة ، ونصح
الامة ، وكشف الغمة ، وفتح الله به عيوننا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا ، وجاهد
في الله حق جهاده ، وعبد الله مخلصا له الدين حتى أتاه اليقين ، صلى الله عليه
وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

(أما بعد) فاعلم يا من نور الله قلبه بالاسلام ان الله سبحانه وتعالى ما أنعم على
خلقه نعمة أجل وأعظم من نعمته ببعثة محمد عبده ورسوله ﷺ ، فان الله بعثه وأهل
الأرض عربهم وعجمهم كتابيهم وأمبيهم ، قروبيهم وبدويهم ، جهال ضلال على
غير هدى ، ولا دين يرتضى ، إلا من شاء الله من غُبر (١) أهل الكتب - فصدع
بما أوحى اليه وأمر بتبليغه ، وبلغ رسالة ربه ، وأنكر ما الناس عليه من الديانات
المتفرقة ، واللل التباينة المتنوعة ، ودعاهم إلى صراط مستقيم ، ومنهج واضح
قويم ، يصل بسالكه إلى جنات النعيم ، ويتطهر به من كل خلق ذميم ، وجاءهم
من الآيات والادلة القاطعة الدالة على صدقه وثبوت رسالته ، بما أعجزهم وأفخمهم
عن معارضته ، ولم يبق لاحد على الله حجة . ومع ذلك كابر من كابر وعاند من
عاند ، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ، ورأوا أن الانقياد له ﷺ وترك
ما هم عليه من النحل واللل يجر عليهم من مسبة آبائهم ، وتسفيه أحلامهم ، أو
نقص رياستهم ، أو ذهاب ما كانهم ، ما يحول بينهم وبين مقاصدهم وما ربهم . فلذلك
عدلوا إلى ما اختاروه من الرد والكبرة ، والتمصص على باطلهم والثابرة ، وأكثرهم
(١) غبر - بضم الغين المعجمة بعدها باء موحدة . كركع : بقية أهل الكتاب

يعلمون أنه محق، وأنه جاءهم بالهدى ودعا إلى الله، لكن في النفوس موانع، وهناك إرادات ومؤاخذات ورياسات لا يقوم ناموسها، ولا يحصل مقصودها إلا بمخالفتها، وترك الاستجابة له وموافقته، وهذا هو المانع في كل زمان ومكان من متابعة الرسل وتقديم ما جاءوا به، ولولا ذلك ما اختلف من الناس اثنان، ولا اختصم في الإيمان بالله وإسلام الوجه له خصمان

ثم بعد أن ظهر نور الشريعة وطبق مغارب الأرض ومشاركها، وشامها ويمناها، حدث بعد ذلك في الدين من الاغيار، مالا يعلمه إلا العليم الغفار، وتفرق الناس في أديانهم، وتشعبت بهم الأهواء، وصاروا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون، ومن طاف البلاد وخبر أحوال الناس منذ أزمان متطاولة عرف انحرافهم عن الأصل الاصيل، وبعدهم عما جاءت به الرسل من التفريع والتأصيل، فكل بلد وكل قطر وكل جهة فيما نعلم فيها من الآلهة التي عبدت مع الله بخالص العبادات، وقصدت من دونه في الرغبات والرهبات، ماهو معروف مشهور لا يمكن ججده ولا إنكاره، بل وصل الأمر ببعضهم إلى أن ادعوا لمعبوديتهم مشاركة في الربوبية بالعتاء والنمق والتدبير، ومن أنكر ذلك عليهم فهو خارجي ينكر الكرامات، وكذلك في باب الاسماء والصفات، ورؤساؤهم وأخبارهم معظلة، وكذلك يدينون بالاحاد والتحريفات، وهم يظنون انهم من أهل التنزيه والمعرفة باللغات، ثم اذا نظرت اليهم وسبرتهم في باب فروع العبادات، رأيتهم قد شرعوا لأنفسهم شريعة لم تأت بها النبوات. هذا وصف من يدعي الاسلام منهم في سائر الجهات

وأما من كذب بأصل الرسالة أو أعرض عنها ولم يرفع بذلك رأسا فهو لاء نوع آخر وجنس ثان ليسوا مما جاءت به الرسل في شيء، بل هم ككافل تعالى (ولقد ذرأنا لجنهم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون)

فاذا تقرر هذا فاعلم أن الذي نعتقده وندين الله به هو أفراد الله سبحانه وتعالى باخلاص العبادة له وحده لا شريك له ، وترك عبادة ماسواه ، فلا ندعو الا الله وحده لا شريك له ، ولا نستغيث إلا به ، ولا نستعين الا به ، ولا نتوكل الا عليه ، ولا نرجو الا إياه ولا نخاف الا منه ، ولا ننيب إلا اليه ولا نذبح الا له ، ولا نستعين الا به ، ولا ننذر الا له ، ولا نرغب إلا اليه - الى غير ذلك من أنواع العبادة التي من صرفها لغير الله كان مشركا ، ونقر ان الله سبحانه وتعالى هو الخالق الرازق المحيي المميت النافع الضار المدبر لجميع الامور ، وانهرب كل شيء وخالقه ومليكه - الى غير ذلك من أفعال الربوبية التي لا يقدر أحد عليها الا هو سبحانه

وبالجملة فنحن على ما كان عليه السلف الصالح وأئمة الفقه والتقوى في باب معرفة الله واثبات صفات كماله ، ونعوت جلاله ، التي نطق بها الكتاب العزيز ، وصحت بها الاخبار النبوية وتلقاها أصحاب رسول الله ﷺ بالقبول والتسليم ثبوتها ونؤمن بها ونعمرها كما جاءت من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل . ونحن في هذا على مذهب الامام احمد بن حنبل رحمه الله تعالى خلافا لما يزعمه أعداء الله ورسوله من ان مذهبنا مذهب خامس

ولبسطة هذه الجمل موضع آخر ، مذكورة فيه بأدلتها من الكتاب والسنة ليس هذا موضع بسطها ، وما ذاك الا انا اتبعنا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وقدمناها على قول كل أحد كائنا من كان ، فزعموا أن ذلك مذهب خامس ، فمن أنكر شيئا مما ذكرناه وأراد المناظرة على ذلك ناظرناه ومن سألنا عن بيان ذلك أجبناه بحول الله وقوته إذا تحققت هذا فاعلم أن السبب الداعي لهذا الكلام وتسطيره ، والباعث على تصويره وتحريره ، هو ما رأيناه في جريدة صاحب القلمة مما نسب الينا معاشر الوهابية من الاكاذيب والافاضاع ، التي تجمعها النفوس وتنفر منها الطباع ، وتستك عند سماعها الاسماع ،

(افترأوه عليهم تفضيل العصا على المصطفى)

وذلك انه زعم انا نقول : ان العصا أنفع من النبي ﷺ
فنقول : الله أكبر على هؤلاء الملاحدة الذين ينفرون الناس عن الدخول
في دين الله ، (ويصدون عن سبيل الله من آمن به ويبيعونها عوجا* ويسعون في
الارض فساداً والله لا يحب المفسدين* ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون*
ولتصفي اليه أئمة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقرءوا ما هم مقرءون)
فمن نسب هذا البناء، واقرأه علينا، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين
لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا ، وفضحه على رؤس الاشهاد (يوم لا ينفع الظالمين
معدرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار)

وياسبحان الله ، كيف يتصور وقوع هذا عاقل أو جاهل أو مجنون ؟ ولا
يقول هذا من يؤمن بالله واليوم الآخر ، ويعلم انه موقوف بين يدي الله ، ومسئول
عن ذلك ، بل لا يقوله إلا من هو أضل من حمار أهله ، نعوذ بالله من دين
الذنوب ، وانتكاس القلوب (ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم)
بل نشهد الله وملائكته وجميع خلقه انا نشهد ان محمداً عبده ورسوله ،
وأمينه على وحيه ، وخيرته من خلقه ، أرسله رحمة للعالمين ، وقدوة للعاملين ،
ومحجة للسالكين ، وحجة على العباد أجمعين . بعثه للإيمان منادياً ، وإلى دار السلام
داعياً ، وللخليفة هادياً ، ولكتابه تالياً ، وفي مرضاته ساعياً ، وبالمعروف آمراً ، وعن
النكر ناهياً . أرسله على حين قفرة من الرسل ، فهدى به إلى أقوم الطرق وأوضح
السبل ، واقتضى على العباد طاعته ومحبته وتعزيره وتوقيره والقيام بحقه . وسد
إلى الجنة جميع الطرق فلم يفتحها لأحد إلا من طريقه ، فلو أنوا من كل طريق
واستفتحوا من كل باب لما فتح لهم حتى يكونوا خلفه من الداخلين ، وعلى
منهاجه وطريقته من السالكين

إذا تحققت ما قدمته لك فكيف يصح مع هذا أن تقول ان العصا أنفع من النبي ﷺ؟ سبحانه الله ما أعظم شأنه وأعز سلطانه (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون)

(فرية أنهم اتخذوا ملة ابراهيم وأعرضوا عن ملة محمد)

وأما قوله فيما نسبته هذا المفترى إلينا انا اتخذنا ملة ابراهيم وأعرضنا عن سنة محمد عليه الصلاة والسلام فنقول:

وهذا أيضا من الكذب علينا والظلم والعدوان ، والزور والبهتان ، فان دين محمد ﷺ وما سنه هو من ملة ابراهيم عليه السلام ، وملة ابراهيم هي دين محمد لافرق في ذلك قال الله تعالى لنبيه ﷺ (قل انني هدايتي ربي إلى صراط مستقيم * دينا قيا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) وقال تعالى (ثم اوحينا إليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) وقال تعالى (ومن يرغب عن ملة ابراهيم إلا من سفه نفسه) وقال تعالى (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله) فمن زعم انا نفرق بين دين محمد وملة ابراهيم فقد كذب علينا واقتري وأعظم الفرية على الله وعلى رسله ودينه وحسبنا الله ونعم الوكيل

وقد قال ﷺ « نحن معاشر الانبياء أولاد علات ، الاب واحد والامهات متفرقات » فدين الرسل صلوات الله وسلامه عليهم من أولهم إلى آخرهم دين واحد وشرائعهم مختلفة كما قال تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) ومراد هؤلاء الملاحدة بهذه الاوضاع الكاذبة الخاطئة تنفير الناس عن دين الله ورسوله (يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله أن يتم نوره ولو كره الكافرون)

﴿ فرية أن الوهابية يلزمون الناس تكفير آباءهم وأجدادهم ﴾

وأما قوله : انا نلزم الناس ان يكفروا آباءهم وأجدادهم فنقول:
وهذا أيضاً من نخط ما قبله من الكذب والبهتان. والذي نقوله في ذلك: ان
من مات من أهل الشرك قبل بلوغ هذه الدعوة إليه فالذي يحكم عليه اذا كان معروفاً
بفعل الشرك ويدين به ومات على ذلك فهذا ظاهره انه مات على الكفر فلا
يدعى له ، ولا يضحى له ، ولا يتصدق عنه

وأما حقيقة أمره فإلى الله تعالى فان كان قد قامت عليه الحجة في حياته
وعاند فهذا كافر في الظاهر والباطن ، وإن كان لم تقم عليه الحجة فأمره إلى الله
وأما من لا نعلم حاله في حال حياته ولا ندري مات عليه فانا لا نحكم بكفوره
وأمره إلى الله . فمن نسب إلينا غير هذا فقد كذب علينا واقتري (وحسبنا
الله ونعم الوكيل)

ثم لو قدر ان بعض الجاهل الذين لا يعلمون حدود ما أنزل الله على رسوله
قال ذلك جهلاً منه بمقتضى الأمور ومدارك الأحكام وتفصيلها ، أفينسب إلينا
مقاله هذا الجاهل ؟ نحن نبرأ الى الله من هذه المقالة التي قالها من قالها بغير
دليل ولا برهان من الكتاب والسنة

﴿ إبطال قياس دعاء الموتي على الاسباب الطبيعية وبيان أن هناك أسباباً محرمة لا يجوز تداعيها ﴾

وأما قوله : في اعتقادهم في الانبياء والصالحين انه كما يقول الرجل لابنه رد
إلي علي ، او لجاره رد ناقتي علي

(فالجواب) ان نقول : هذا قياس من هؤلاء الملاحدة على أن هذه الاسباب العادية

الطبيعية يقاس عليها دعاء الانبياء والصالحين بمعنى انهم اسباب ووسائط بينهم وبين الله فيقال لهذا الجاهل: ليس الامر كما زعمت ولا على ما توهمت، فان هذا القول لا ينبغي أن يؤخذ على اطلاقه لانه من المعلوم بالضرورة ان من الاسباب اسبابا محرمة لا يجوز لأحد أن يتعاطاها ويجعلها اسبابا الى ما حرمه الله ورسوله ونحن لاننازع في اثبات ما أثبتته الله من الاسباب والحكم، لكن من هو الذي جعل الاستغاثة بالخلق ودعاءه سببا في الامور التي لا يقدر عليها الا الله؟ ومن الذي قال انك اذا استعنت بميت أو غائب من البشرية كان أو غيره كان سببا في حصول الرزق والنصر والهدى وغير ذلك مما لا يقدر عليه الا الله؟ ومن الذي شرع ذلك وأمر به؟ ومن الذي فعل ذلك من الانبياء والصحابة والتابعين لهم باحسان؟ فان هذا المقام يحتاج الى مقدمة وهي ان الاسباب المشروعة لا يحرم فعلها، فانه ليس كل ما كان سببا كونيا يجوز تعاطيه، فان المسافر قد يكون سفره سببا لاختد مال وكلاهما محرم. والدخول في دين من الاديان غير الاسلام قد يكون سببا لمال يعطونه وهو محرم، وشهادة الزور قد تكون سببا لنيل المال يؤخذ من المشهود له وهو محرم، وكثير من الفواحش والظلم قد يكون سببا لنيل مطلب وهو محرم. وكذلك الشرك كدعوة الكواكب والشياطين بل وعبادة البشر قد يكون سببا لبعض المطالب وهو محرم

فان الله تعالى حرم من الاسباب ما كان مفسده راجحة على مصلحته كالخمر وان كان يحصل به بعض الاغراض أحيانا. وهذا المقام مما يظهر به ضلال هؤلاء المشركين خلقا وأمرآ، فانهم مطالبون بالادلة الشرعية

(جواز الاستعانة بالاسباب الظاهرية الحسية)

وأما قوله في الاسباب العادية: مثل قول الرجل لابنه رد ابني علي او لجاره رد ناقتي علي . فنقول :

لا نزاع بين العلماء في جواز الاستعانة بالاسباب العادية الطبيعية الظاهرة الحسية كأن يستعين الرجل بأصحابه في قتال او ادراك عدو أو سبع ونحوه من الاسباب العادية المتعلقة مسبباتها بأسبابها فتى أنى العبد بالسبب وقع المقدور ومتى لم يأت بالسبب انتفى المقدور . وهذا كقدر الشبع والري بالاكل والشرب ، وقدر الولد بالوطء ، وقدر حصول الزرع بالبذر ، وقدر خروج نفس الحيوان بذبحه ، لكن هذه الافعال العادية القائمة بفعالها تنسب اليه وتضاف اليه حقيقة ، من إضافة الفعل الى فاعله فيقال : أكل وشرب وقام وقعد وحكى ودعا واستغاث حقيقة لا مجازاً باجماع العقلاء ، ولم يخالف في إضافة الافعال الى فاعلها حقيقة الا من هو من أجهل الناس وأضلهم عن سواء السبيل

اذا عرفت هذا فالالتفات الى الاسباب غير المشروعة شرك في التوحيد ، ومحو الاسباب العادية أن تكون أسباباً نقص في العقل . والاعراض عن الاسباب بالكلية قدح في الشرع

اذا تبين لك هذا فقياس الاموات من الانبياء والصالحين في الامور التي لا يقدر عليها الا الله - على الاحياء انقادين على الاسباب العادية المقدور عليها من أفسد القياس وأبطل الباطل وأحمل المحال ، لان الله سبحانه وتعالى فرق بين الاحياء والاموات ولم يسو بينهما بقوله (وما يستوي الاحياء ولا الاموات)

وقال تعالى (والذين يدعون من دونه لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون*أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون) وقال تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون

الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) وقال تعالى (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير * ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير)

*
* *

هذا ملخص الجواب عما افتراه علينا كل آفك كذاب ، ونحن نعلم ان من خالفنا في ديننا وعاب علينا سلوك طريق نبينا ﷺ وأصحابه ومن تبعهم من السلف الصالح والصدر الاول أن عندهم من الترهات والا كاذيب والخرافات أضعاف أضعاف ما ذكره هذا المفتري . وجوابنا عن كل ما يفتره علينا أعداء الله ورسوله مما خالف دين الاسلام ، وما كان عليه الائمة الاعلام من سلف هذه الامة وأئمتها أن نقول : سبحانه هذا بهتان عظيم ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل

تم بحمد الله وحسن توفيقه ، والحمد لله أولاً وآخراً ، وظاهر أوابطنا . وصلى الله تعالى على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه
(انتهى الرد على الجريدة المسماة بالقبلة)

الْعَلَامَةُ الْمُتَّقِي

مَا يَنْفَلِقُ بِكَلِمَةِ التَّقْوَى
“لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ”

تأليف

للعلامة الشيخ سعيد بن حجي الحنبلي النجدي

رحمه الله وعفا عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

(رب عونك)

إلى الاخ الشيخ محمد بن أحمد الحفظي حفظه الله من الآفات، وجنبه الشرك
والبدع المضلات، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(أما بعد) فوصل الكتاب، وفهمنا مضمون الخطاب، وهو قولكم: الشوق
إلى الاطلاع على فوائدكم، وماتنتجها القريحة من عوائدكم، وههنا عشرة افصاص
في كلمة الاخلاص، أفيدونا بالكلام عليها وهي هذه: لفظها، معناها، حقها،
حقيقتها، حكمها، لازمها، فائدتها، مقتضاها، نواقضها، متماتها. اهملخص جوابكم
﴿ فالجواب والله التوفيق ﴾ قولكم: ههنا. يشعر ان العشرة لديكم
افصاص، لو قلت اخص، أي أبحاث لكن أنسب للمقام (١) وكلمة الاخلاص
هي لا إله الا الله، فأمرها عظيم، وخطبها جسيم، أعلاها مشمر، وأسفلها مغدق،
وهي كلمة التقوى. قال الله تعالى (وألزمتهم كلمة التقوى) قال ابن عباس وأكثر
المفسرين: كلمة التقوى «لا إله الا الله» وقال عطاء الخراساني: هي لا إله الا الله محمد
رسول الله. اه من البغوي، وقال البيضاوي وغيره: أضاف الكلمة إلى التقوى
لأنها سببها، أو كلمة أهلها اه

وأصل التقوى اتخاذ وقاية تقيه مما يخافه ويحذره. فتقوى العبد لله أن يجعل
بينه وبين ما يخشاه من غضبه وقاية تقيه منه، وهي امتثال أوامره، واجتناب زواجره

(١) النص يجمع على فصوص والفحص مصدر الاصل فيه ألا يجمع إلا باعتبار
أفراده وفص الخاتم قلبه الذي ينقش فيه الاسم وفصوص العظام مفاصها. قال في
أساس البلاغة: وفلان حزاز الفصوص إذا كان مصيباً في رأيه، وآتيك بالامر من
فصه أي من محزه وأصله. وقرأت في فص الكتاب كذا. ومنه فصوص الاخبار اه
فاستعمل الفصوص في مسائل كلمة التوحيد أفصح من استعمال الاخص أو الفصوص

وقولكم : أفيدونا بالكلام عليها . فليست أهلاً لذلك ، لان علمي لم يصل إلى ذلك ، وتسمع بالمعيدي خير من ان تراه ، لكن مالا يدرك كله لا يترك كله ونذكر قبل الشروع في المرام ، مقدمة في فضل العلم لتكون له كالتمام : وقد ورد في فضل العلم آيات كثيرة ، وأخبار صحيحة شهيرة ، وله آداب وشروط ، من أهمها الاخلاص لله تعالى في طلبه

قال الامام عبدالرحمن بن احمد بن رجب الحنبلي في شرحه على الاربعين النووية المسمى (جامع العلوم والحكم) وقد ورد الوعيد على تعلم العلم لغير وجه الله تعالى كما خرج الامام احمد وأبو داود وابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله تعالى * لا يتعلمه الا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة (١) يوم القيامة » وخرج الترمذي من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « من طلب العلم ليماري به السفهاء ، أو يجاري به العلماء ، أو يصرف به وجوه الناس اليه أدخله الله النار » وخرجه ابن ماجه بمعناه . وجاء من حديث جابر « لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ، ولتماروا به السفهاء ، ولتخيروا به المجالس ، فمن فعل ذلك فليأكل النار » اهـ

وقال الشهاب احمد بن حجر العسقلاني في شرح الاربعين النووية عند قوله ﷺ « فانما اهلك الذين من قبلكم (٢) » الحديث : إن كثرة السؤال من غير ضرورة مشعر بالتعنت او مفض اليه وهو حرام . وقد نهى الشارع عن قيل وقال وكثرة السؤال اهـ وقال في الاحياء : حقيقة الاخلاص ان كل شي . يتصور أن يشوبه غيره ، فاذا صفا عن شوبه وتخلص عنه يسمى خالصاً ، ويسمى الفعل الخالص المصفي ، والتصفية اخلاصاً ، قال الله تعالى (من بين فرث ودم ابنا خالصا) فاذا خلص الفعل عن الرياء كان لله خالصاً اهـ

(*) اي من العلوم الدينية وخرج بهذا القيد العلوم المعاشية من فنون الصناعة والزراعة والتجارة وغيرها فهذه تتعلم لاجل عرض الدنيا ولا يدخل متعلمها في هذا الوعيد بل هو ماجور عليها لانها من فروض الكفايات

« ١ » عرف الجنة - فتح المين المهمة وسكون الرأه - ربح الجنة « ٢ » تتمه « كثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم » وهذا الشرح لابن حجر الهيتمي الفقيه للاحفاظ العسقلاني

وقال ابن القيم رحمه الله : من الناس من يجرّم العلم لعدم حسن السؤال إما
انه لا يسأل، او يسأل عن شيء وغيره أهم منه.
وقال سلمان الحذيفة: ان العلم كثير، والعمر قصير، فخذ من العلم ما تحتاج اليه
في أمر دينك ودع ما سواه

(رجعنا الى الجواب)

﴿ أما لفظها ﴾ فقال في المختصرة المسماة (فاكهة القلوب والافواه) في تحقيق
ما يتعلق بلا إله الا الله، محمد رسول الله (المنتخبة من شرح محمد بن يوسف السنوسي :

فصل

في ضبط هذه الكلمة

فينبغي للذاكر أن لا يمد الف [لا] جداً، وأن يقطع الهمزة من إله، اذ كثيراً
ما يلحن بعض الناس فيردها ياء، وكذلك يفصح بالهمزة من (إلا) ويشدد اللام
بعدها، اذ كثيراً ما يلحن بعضهم فيرد الهمزة ايضاً ياء ويخفف اللام، وأما كلمة
الجلالة والتعظيم التي بعد «الا» فلا يخلو اما ان يقف عليها الذاكر أو لا، فان وقف
تعين عليه السكون . وان وصلها بشيء آخر كأن يقول لا إله الا الله وحده
لا شريك له، فله فيها وجهان: الرفع وهو الارجح، والنصب وهو مرجوح
وقد ذكر اهل التجويد في اسم الله تعالى : المحافظة على ترقيق ألفه، وان
لا يزيد فيها على مقدار المد الطبيعي، وترقق لام (الله) اذا كسرت او كسر ما قبلها
وقد اجمعوا على تفخيمها بعد فتحة او ضمة

فصل

(في اعراب هذه الكلمة)

قد احتوت على صدر وعجز، فمجزها ظاهر الاعراب، إذ هو جملة من مبتدأ
وخبر ومضاف اليه، وأما صدرها فلا فيه نافية (واله) مبنى معها لتضمنه معنى «من»

إذ التقدير لا من إله، ولهذا كانت نصافي العموم، كأنه قد نفى كل إله غيره عز وجل من مبدأ ما يقدر منها إلى مالا نهاية له، بني الاسم معها للتركيب، وذهب الزجاج إلى أن اسمها معرب منصوب بها، وإذا فرعنا على المشهور من البناء فوضع الاسم نصب بلا العاملة عمل إن، وقال الاخفش: لا هي العاملة فيه

ونقل السنوسي كلاما قال: قال أهل العلم: إن الاسم المعظم في هذا التركيب يرفع، وهو الكثير ولم يأت في القرآن غيره، وقد ينصب، فالرفع بالبدلية أو على الخبرية، فالقول بالبدلية هو المشهور، وهو رأي ابن مالك، ثم الأقرب أن يكون البديل من الضمير المستتر في الخبر المقدر، أما القول بالخبرية في الاسم المعظم فقد قال به جماعة.

ومن البسيط الوافي: (لا إله إلا الله) لأصل فيه: الله إله، فلما أريد قصر الخبر على المبتدأ، وهو من قصر الصفة على الموصوف، قدم الخبر فاقترن بالآلان المقصور عليه هو الذي يلي إلا، والمقصود هو الواقع في سياق النفي

ومن القواعد أن المبتدأ إذا اقترن بالآلان وجب تقديم الخبر والله مرفوع على أنه بدل من اسم (لا) حملا على محله البعيد الذي هو الرفع بالابتداء الحاصل بالتحويل إليه بمد التقديم وقبل اعتبار النسخ، والتقدير: لا إله موجود في الوجود إلا الله، وهذا هو التقدير المشهور

فصل

وأما معنى هذه الكلمة فلا تنسج له هذه الرسالة، لكن لا نخل ببعضه والله المستعان. فلا شك أنها محتوية على نفي وإثبات، فالنفي كل فرد من أفراد حقيقة الإله غير مولانا عز وجل، والمثبت من تلك الحقيقة فرد واحد، وهو مولانا عز وجل، وآتى بالآلان قصر حقيقة الإله على الله تعالى، وهو الواجب الوجود المستحق للعبادة، المعبود بحق، وهو الخالق المستغني عن كل ماسواه، المفتقر إليه كل من عداه. انتهى كلام صاحب فاكهة القلوب ملخصا

ومنه قال العباد ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله) الآية : هذا الخطاب يعم أهل الكتاب ومن جرى مجراهم ، والكلمة تطلق على الجملة المفيدة كما قال ههنا ، ثم وصفها بقوله (سواء بيننا وبينكم) أي عدل ونصف نستوي نحن وأنتم فيها ، ثم فسر لها بقوله (ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً) لا وثناً ولا صلياً ، ولا صنماً ، ولا طاغوتاً ، ولا ناراً ، ولا نبياً ، بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له ، وهذه دعوة جميع الرسل ثم قال تعالى (ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله) قال ابن جرير : يعني يطبع بعضنا بعضاً في معصية الله ، وقال عكرمة : يعني يسجد بعضنا لبعض ، انتهى ما خلاصه فقد علمت أن معنى لا إله إلا الله أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، وشيئاً أنكر النكرات ، وأن لا يطبع بعضنا بعضاً في معصية الله

ومنه قوله تعالى (ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، تؤتي أكلها كل حين باذن ربها) الآية ، فالكلمة الطيبة كلمة التوحيد ، أصلها تصديق بالجنان ، وفرعها اقرار باللسان ، وأكلها عمل بالاركان . انتهى من تفسير الحنفى

وفي تفسير البغوي (كلمة طيبة) لا إله إلا الله . انتهى ثم ذكر نحو ما تقدم

ومنه الكفر بعبادة غير الله وتوحيده ، قال العباد ابن كثير في تفسير قوله تعالى (فن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله) الآية ، أي من خلع الأنداد والوثان وما يدعوا إليه الشيطان من عبادة كل ما يعبد من دون الله ، ووجد الله ، فعبده وحده ، وشهد أن لا إله إلا هو (فقد استمسك بالعروة الوثقى) أي فقد ثبت على الصراط المستقيم قال مجاهد (فقد استمسك بالعروة الوثقى) يعني الإيمان ، وقال سعيد بن جبير

والضحك : يعني لا إله إلا الله . انتهى ملخصاً

ومنه قوله تعالى (وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه انني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني) الآية، أي بريء من عبادتكم إلا الذي فطرني، لأنهم كانوا يعبدون الله والأوثان، أو إني بريء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني ، انتهى ملخصاً من البضاوي

ومنه قوله ﷺ «من قال لا إله إلا الله ، وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل» رواه البخاري

وقال الشيخ ابو علي امام اهل نجد في زمانه محمد بن عبد الوهاب في معنى لا إله إلا الله في (كتاب التوحيد) شيئاً عجيباً ، قال (باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله) الى أن قال : وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الابواب فليراجع

ومنه قوله رحمه الله في نبذة تسمى (كشف الشبهات) اذا تحققت ان التوحيد الذي دعت اليه الرسل وأبى عن الاقرار به المشركون هو التوحيد في العبادة وهو معنى قولك لا إله إلا الله، فان الإله عندهم هو الذي يقصد لاجل هذه الامور سواء كان ملكاً او نبياً او ولياً او شجرة او قبراً او جنياً، لم يريدوا ان الآله هو الخالق الرزاق، فانهم يعلمون ان ذلك هو الله وحده، وانما يعنون بالاله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السيد، فاتاهم رسول الله ﷺ يدعوهم الى كلمة التوحيد « لا إله إلا الله » والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها ، والكفار الجهال يعملون ان مراد النبي ﷺ هو افراد الرب بالتعلق، والكفر بما يعبد من دونه، والبراءة منهم . فانه لما قال لهم « قولوا لا إله إلا الله قالوا (اجعل آلهة إلهنا واحداً) الآية » انتهى كلامه رحمه الله

(فرعان)

(الاول) في تعريف الآله، قال الامام البيضاوي في تفسيره : الله ، أصله إله، خذفت الهمزة وعوض عنها الالف واللام: ولذلك قيل يا الله بالقطع، إلا أنه مختص بالمعبود بالحق، والآله في الاصل يقع على كل معبود ثم غلب على المعبود بحق، واشتقاقه من إله إلهة وألوهة وألوهية، بمعنى عبد، وقيل من إله إذا تحير، إذا العقول تتحير في معرفته، أو من إلهت الى فلان أي سكنت اليه، لأن القلوب تطمئن بذكره والارواح تسكن الى معرفته، أو من إله الفصيل إذا ولع بأمه، إذا العباد مولعون بالتضرع اليه في الشدائد، وقيل إنه علم لذاته العلية لأنه يوصف ولا يوصف به، والاظهر أنه وصف في أصله، لكنه لما غلب عليه بحيث لا يستعمل في غيره صار له كالعالم، انتهى كلام البيضاوي ملخصا، وذكر الهامد ابن كثير القولين

(تفسير)

انظر الى قول البيضاوي المتقدم، والآله في الاصل يقع على كل معبود ثم غلب على المعبود بحق، وقوله والاظهر أنه وصف في أصله الى آخره، وقول صاحب الفاكهة المتقدم، وهو من قصر الصفة على الموصوف، وقول أهل اللغة إله ياله من باب تعب إلهة بمعنى عبدعبادة، وتأله تعبد، والآله المعبود، وهو الله سبحانه ثم استعاره المشركون لما عبدوا من دونه، وإله على فعال بمعنى مفعول، لأنه ماؤه أي معبود، ككتاب بمعنى مكتوب، وامام بمعنى مؤتم به. انتهى من المصباح وانظر أيضا إلى قول الشيخ محمد المتقدم وهو قوله: فإن الآله عندهم هو الذي يقصد - الى آخره، وقال تعالى (ومن يدع مع الله إلهًا آخر) الآية قال البيضاوي: يعبد افراداً وأشراكاً، انتهى فسمى المعبود الها

وعن أبي واقد الليثي قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ الى حنين ونحن

حدثنا عهد بكفر وللمشركين سدره يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط، فقررنا بسدره، فقلنا يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ «الله أكبر، إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو اسرائيل لموسى: اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون، لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة (١)» رواه الترمذي في صحيحه .

فتأمل هذا الحديث وقصة بني اسرائيل المشار اليها تجدها مصرحة بما ذكرنا اذا ثبت هذا فالمقصود ان لفظة اله اسم صفة لكل من قصد بشيء من العبادة، كاسم القاضي لمن ولي القضاء، والامير لمن تأمر، والامام والمؤذن ونحو ذلك، فكل من قصد مخلوقا بشيء من العبادة فهو إله لمن قصده، والاله الاعظم المستحق للعبادة، المنزه عن النقائص، الموصوف بصفات الكمال هو الله تبارك وتعالى وهذا بخلاف اسم الجلالة، فانه علم على الرب تبارك وتعالى مختص به وهو المعبود بالحق، فانه لم يسم به غيره قال الله تعالى (هل تعلم له سميا؟)

الفرع الثاني

(في تعريف العبادة)

قال العماد ابن كثير في تفسيره: العبادة في اللغة من الذلة، يقال طريق معبد أي مذل، وبعبير معبد أي مذل، وفي الشرع: عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف انتهى،

وعبارة البيضاوي في تفسيره: العبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل، ومنه طريق معبد أي مذل، وثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة، ولذلك

«١» القذة وبشة السهم، أي كما تقدر كل واحدة منهما على قدر صاحبها وتقطع

يضرب مثلا للشيثيين يستويان ولا يتفاوتان

لا يستعمل إلا في الخضوع لله تعالى انتهى
وفي حاشية الشهاب على البيضاوي: العبادة أبلغ من المعبودية التي هي إظهار التذلل،
وعرفت العبادة بأنها فعل اختياري مناف للشهوات البدنية يصدر عن نية يراد بها
التقرب إلى الله تعالى. انتهى ، والعبادة اسم جنس يشمل جميع أنواعها (١)

تفصيل

اعلم ان مبنى العبادة على الامر لنظام الادلة على ذلك ، فمنها قوله تعالى
(إن الحكم) في أمر الدين والعبادة (إلا لله) ثم بين ما حكم به فقال (أن لا تعبدوا
إلا إياه، ذلك الدين القيم) الثابت الذي دلت عليه البراهين - الآية . وقوله تعالى
(وقضى ربك) أمر أمراً مقطوعاً به (أن لا تعبدوا إلا إياه) أن مفسرة ، ولا
تعبدوا أي بان لا تعبدوا ، انتهى من تفسير الخنفي (٢)

وقال البغوي في تفسيره (وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه) أي أمر ربك
قاله ابن عباس وقتادة والحسن . انتهى

وقد تقدم في حديث أبي واقد الليثي قول الصحابة: يا رسول الله اجعل لنا

(١) هذا في العبادة الشرعية . وكل ما تقدم من معناها اللغوي فهو من التعريف
بالرسم والخواص . وأما حقيقة معناها الفطري الذي يصدق عليها عند العرب وغيرهم
أنها كل تعظيم وتقرب بقول أو فعل يبعث عليه الشعور بالسلطان الغيبي الذي هو
مصدر النفع ودفع الضرر بذاته لا بالاسباب ، وأعظم هذه العبادة الدعاء بطلب
منفعة أو دفع مسرة تعذر على الداعي بكسبه واتخاذ الاسباب له فلجأ إليه بشعوره
بذلك السلطان . الخاص برب العالمين القادر على كل شيء . العالم بكل شيء . الذي يحير
ولا يجار عليه ، والنصوص تدل على هذا ولا سيما الآيات والاحاديث في الدعاء
(٢) لعنه النسفي

ذات أنواط ، فإنه متقرر عندهم أن العبادات مبناهما على الامر
وقد ذكر ذلك الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مسائله على التوحيد ، ومنه
قوله عليه السلام « وما أمرتكم به فأتوا به ما استطعتم » الحديث ، متفق عليه . وقال
ابن القيم رحمه الله في نونية :

حق الاله عبادة بالامر لا بهوى النفوس فذلك للشيطان
إذا تمَّ هذا فالامر هو استدعاء الفعل بالقول ، ممن هو دونه على سبيل الوجوب
عند الاطلاق والتجرد عن القرينة . فيحمل عليه والله أعلم

فصل

في حكم كلمة التوحيد

وأما حكمها فقال في فاكهة القلوب والافواه : اعلم أن الناس مؤمن وكافر ،
فما المؤمن بالاصالة فيجب أن يذكرها مرة في عمره وينوي بها الوجوب (١) ثم
ينبغي له أن يكثر من ذكرها وليعرف معناها لينتفع بها ، وأما الكافر فذكره

(١) قد قال كثير من العلماء مثل هذا في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بناء على أن
الامر في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً) للوجوب وان الامتثال
يحصل مرة واحدة . ومثل هذا التدقيق أو التقييد بالاصطلاحات لم يكن يخطر ببال
الصحابة ولا غيرهم من علماء السلف أولى السليقة العربية ، ولا يعقل أحد منهم ولا
عاقل من غيرهم أن يوجد مسلم في العالم لا يذكر كلمة التوحيد في عمره الامرة واحدة
أو مرتين أو مراراً قليلة ، دع وجوبها في الصلاة . ولما أن نقول ، على طريقتهم في
الاستدلال - ان الله تعالى أمر المؤمنين أن يذكره ذكرًا كثيراً ووصفهم بكثرة الذكر
قياماً وعوداً وعلى جنوبهم ، ووصف المنافقين بقلة الذكر . وأفضل الذكر لا إله
إلا الله ، فهي مما أمرنا بالاكثار منها أو في مقدمته — فكيفها الاكثار منها لا
النطق بها مرة واحدة في العمر

لهذه الكلمة واجب، وهو شرط في صحة إيمانه القلبي مع القدرة . انتهى ملخصا
وفي حديث أبي هريرة المتفق عليه عن النبي ﷺ انه قال «أمرت أن أقاتل
الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها»
قال علماءنا رحمهم الله : إذا قال الكافر لا إله إلا الله فقد شرع في العاصم لدمه ،
فيجب الكف عنه، فإن تم ذلك تحققت العصمة والابطال ويكون النبي ﷺ قد قال كل حديث في وقت، فقال «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله»
ليعلم المسلمون أن الكافر المحارب إذا قالها كف عنه وصار ماله ودمه معصومين
ثم بين ﷺ في الحديث الآخر أن القتال ممدود إلى الشهادتين والعبادتين، فقال
«أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا
الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام
وحسابهم على الله عز وجل» متفق عليه. فبين أن تمام العصمة إنما يحصل بذلك (١)
ولئلا تقع الشبهة بأن مجرد الإقرار يعصم على الدوام

(١) التحقيق أن المراد بالحديثين واحد وهو الدخول في الإسلام ومفتاح
الدخول فيه من المشركين النطق بكلمة التوحيد فهو يعصم صاحبه في المعركة
إذ لا مجال فيها للصلاة ولا زكاة، وأما الكفار الموحدون فلا بد من نطق أحدهم
برسالة محمد ﷺ كما سيأتي عن النووي . وذكر الصلاة والزكاة في الحديث الآخر
يراد به قبول شرائع الإسلام وركنها الديني المحض الأعظم الصلاة وركنها المالى
الزكاة فمن دان بهما دان بغيرهما ، فان فرض أنه جحد الصيام أو الحج أو غيرهما بما
علم من الدين بالضرورة حكم بكفره ، وقد حققنا هذه المسألة في تفسير (فان تابوا
وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة نفلوا سيولهم) فيراجع في الجزء العاشر من تفسير المنار
وسيأتي ما يؤيد هذا

وقال النووي رحمه الله قوله عليه السلام «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله»
 فإله لا إله إلا الله نفاً قد عصم من ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله عز وجل قال
 الخطابي : معلوم أن المراد بهذا أهل الاوثان دون أهل الكتاب ، لأنهم يقولون
 لا إله إلا الله ، ثم يقاتلون ، ولا يرفع عنهم السيف . وذكر القاضي عياض رحمه الله معنى
 هذا ، وزاد عليه وأوضح ، فقال : اختصاص عصمة المأل والنفس لمن قال لا إله إلا الله
 تعبيراً عن الإجابة إلى الإيمان ، وإن المراد مشركو العرب وأهل الاوثان ومن
 لا بوحده ، وهم كانوا أول من دعي إلى الاسلام وقوتل عليه . فاما غيرهم ممن يقر
 بالتوحيد فلا يكتفى في عصمته بقوله لا إله إلا الله إذ كان يقولها في كفره وهي من
 اعتقاده ، ولذلك جاء في الحديث الآخر «أني رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة»
 هذا كلام القاضي (قلت) ولا بد من الإيمان بما جاء به رسول الله عليه السلام كما جاء في الرواية
 الأخرى لأبي هريرة رضي الله عنه «حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما
 جئت به . انتهى كلام النووي ، انتهى من رسالة الشيخ أحمد بن ناصر الحنبلي
 المسماة (الفواكه العذبة ، في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب)

وقال الحافظ ابن رجب في شرح الأربعين : ومن المعلوم بالضرورة أن النبي صلى الله عليه وسلم
 كان يقبل من كل من جاء يريد الدخول في الاسلام الشهادتين ويعصم دمه بذلك ويجعله
 مسلماً وقد أنكر على أسامة بن زيد قتله من قال لا إله إلا الله واشتد نكيره عليه
 وقال شهاب الدين أحمد بن حجر على شرح الأربعين النووية نحو ذلك
 والمقصود أن حكم من قال لا إله إلا الله أنها تعصم ماله ودمه ثم يطالب بمعناها
 وحققها كالكفر بعبادة غير الله وشهادة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وأقام الصلاة وإيتاء
 الزكاة وسائر شرائع الاسلام وقد تظاهرت الأدلة على ذلك

فصل

واما حقها^(١) فقال الحافظ ابن رجب في شرح الاربعين: على حديث ابن عمر «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا» الخ وتقدم- فقوله ﷺ «الابحقتها» وفي رواية «الابحق الاسلام» قد سبق أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أدخل في هذا الحق فعل الصلاة والزكاة وأن من العلماء من أدخل فيه فعل الصيام والحج أيضا. ومن حقها ارتكاب ما يبيح دم المسلم من المحرمات، وقد روى تفسير حقها بذلك. خرج الطبراني وابن جرير الطبري من حديث أنس عن النبي ﷺ قال «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قتلوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الابحقتها وحسابهم على الله عز وجل» قيل وما حقها؟ قال «زنا بعد احصان، وكفر بعد إيمان، وقتل نفس فيقتل بها» ويشهد لهذا ما في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا بأحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة» انتهى

وقد ذكر ابن رجب في شرح هذا الحديث أنه قد ورد قتل المسلم بغير هذه الثلاث، فمنها اللواط، ومنها من أتى ذات محرم، ومنها الساحر، وذكر غير ذلك.

«١» قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في نبذة له في الحب والبغض في الله واعلم أن قول رسول الله ﷺ «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنا رسول الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الابحقتها» (بدل) تحقيقا على أن الصلاة من حقها والزكاة من حقها والصوم من حقها والحج من حقها. فهذا تحقيق قوله ﷺ «الابحقتها» يعني إذا أقرروا بالشهادتين وأقاموا الصلاة وأنفوا الزكاة وصاموا رمضان وحجوا البيت «فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم» انتهى والله اعلم

واما لازمها فالظاهر لي والله اعلم انه داخل في حكمها وحتمها المتقدمين فتأملهم (١)

فصل

وأما نواقضها فقال في المطلع على ابواب المقنع : النواقض واحدها ناقض ، وهو اسم فاعل من نقض الشيء اذا افسده ، فنواقض الوضوء مفسداته انتهى ومنه انقض الامر بعد استقامته فسد

فنسأل الله الرحمن الرحيم ، اللطيف الكريم، ان يحفظ علينا ديننا ، وان يمتعنا به ويزيد إيماننا ، وأن يدخلنا جنته برحمته ، وان يعيدنا من اليم نعمته ، انه جواد كريم ، ويجيب دعوة العباد،

فأما نواقض لا إله إلا الله فمسير إحصاؤها، ولا يكاد يطاق استقصاؤها، وقد تقدم في معنى لا إله إلا الله وفي حكمها جمل من نواقضها فتأمله فتحيلك على باب المرتد قل في الاقناع وشرحه : وهو العمدة عند متأخري الحنابلة (باب حكم المرتد) وهو الذي يكفر بعد اسلامه نطقا أو اعتقادا أو شكاً أو فعلاً، ولو كان هازلاً،

(١) اللزوم الثبوت والدوام، وفسره بعضهم بعدم الانكسار، فلازم الشيء ما يصحبه ولا ينفك عنه في الواقع ، فلازم كلمة التوحيد ما هو أثر فطري طبعي لاعتقاد مضمونها ، وهو غير حقيقتها وحكمها اللذان هما من وضع الشرع ، لا من تأثير الطبع . فالؤمن الموقن بانه لا إله يعبد بحق إلا الله الخالق الذي بيده ملكوت كل شيء من نفع وضر وعطاء ومنع يلزم يقينه هذا لإخلاص الدعاء له وحده في كل شدة تعرض له ، هذا الصق لوازم الكلمة بصاحبها مهما يكن مسرفاً على نفسه ، فإذا كمل يقينه بكثرة الذكر والعبادة كان من لوازم توحيد كمال التوكل والشجاعة في الحق - إلى غير ذلك ، فأظهر لوازم كلمة التوحيد ألا يدعو صاحبها غير الله فيما هو وراء الأسباب ولا يستغيث غيره في أشد أحواله ولا يندر ولا يذبح لغيره فسكاه فويل للمشركين الذين يبيحون كل انكسار هذه اللوازم عن كلمة التوحيد بدعاء غير الله الخ ويسمونونه توسلاً إلى الله لا شركاً به

واجمعوا على وجوب قتل المرتد ، فمن أشرك بالله أو جحد ربوبيته أو صفة من صفاته أو اتخذ له - أي لله - صاحبة أو ولدا ، كفر ، ومن ادعى النبوة أو صدق من ادعاه أو جحد البعث ، أو سب الله ورسوله ، أو استهزأ بالله أو كتبه أو رسله - كفر لقوله تعالى (قل أبا لله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن ؟ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) وقال الشيخ أبو العباس أحمد بن تيمية : أو كان مبغضا لرسوله أو لما جاء به الرسول اتفاقا ، وقال أيضا : أو جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم إجماعا ، أي كفر لأن ذلك كفعل عابدي الأصنام قائلين (مانعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) انتهى من الاقتناع وشرحه فتأمل قوله : وهو الذي يكفر بعد إسلامه ، فإن ظفرت بهذا الباب ، ففيه ما يكشف الحجاب .

ونحملك أيضا على كتاب (الاعلام ، بقواطع الاسلام) تأليف شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي الشافعي ، فإنه ذكر فيه الانفاظ والافعال التي توقع في الكفر عند الأئمة ، حتى أنه ذكر أن العزم على الكفر كفر في الحل . ونحملك أيضا على نبذة ألفها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، وذكر في آخرها سبع قصص

(أولاهن) قصة الردة بعد وفاته ﷺ

وصورتها أن العرب افتقرت في ردتها فطائفة رجعت إلى عبادة الأصنام وقالوا : لو كان نبيا ما مات . وطائفة قالت تؤمن بالله ولا نصلي . وطائفة أقرت بالاسلام وصلوا ولكن منعوا الزكاة ، وطائفة شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ولكن صدقوا مسيلة الكذاب : أن النبي ﷺ أشركه معه في النبوة ، ولم يشك أحد من الصحابة في كفر من ذكرنا إلا مانعي الزكاة ، فناظر أبو بكر عمر فيهم ، فافتنع عمر ، وأجمع العلماء على تصويب أبي بكر فقاتلهم

(الثانية) قصة وقعت في زمن الخلفاء الراشدين وهي ان بقايا بني حنيفة لما رجعوا الى الاسلام وتبرؤا من مسيعة تحملوا الى الشجر باهليهم ، فترلوا التوقفه ، فسمع منهم كلام معناه: ان مسيعة على حق ، وهم جماعة ، فجمع عبد الله بن مسعود من عنده من الصحابة فاستشارهم ، فاستتاب بعضهم وقتل بعضهم . وهذه القصة في صحيح البخاري

(الثالثة) قصة أصحاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما اعتقدوا فيه الالهية فدعاهم الى التوبة فأبوا فخذلهم الاخايد فأضرم فيها النار فقتلهم فيها وهم احياء ، وأجمع الصحابة وأهل العلم على كفرهم

(القصة الرابعة) قصة المختار بن أبي عبيد الثقفي وهو رجل ظهر في العراق زمن التابعين يطلب بدم الحسين وأهل بيته فقتل عبيد الله بن زياد قاتل الحسين ، واستولى على العراق وأظهر شمرايع الاسلام ونصب القضاة والأئمة من اصحاب ابن مسعود ، وكان هو الذي يصلي بالناس الجمعة والجماعة ، لكن في آخر امره ادعى أمورا باهلة وغلا غلوا فاحشا وزعم انه يوحى اليه ، فسير اليه عبد الله بن الزبير جيشا فمزم جيشه فقتلوه . وأجمع العلماء على كفر المختار بن أبي عبيد هذا .

(الخامسة) ما وقع في زمن التابعين وهي قصة الجعد بن درهم وكان من أشهر الناس بالعلم والعبادة ، فلما جحد صفات الله ضحى به خالد بن عبد الله القسري بواسطة يوم الاضحى وقال: يا أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم ، فإني مضح بالجعد بن درهم فإنه يزعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما ثم زل فذبجه ، ولم نعلم احداً من العلماء انكر عليه ذلك ، بل ذكر ابن القيم في النونية اجماعهم على استحسانه فقال:

شكر الضحية كل صاحب سنة لله درك من اخي قربان
ثم ذكر قصة بني عبيد الله القداح ، ثم ذكر قصة التاراه ملخصاً من
كلام الشيخ المتقدم ذكره

وذكر القاضي عياض في كتاب الشفاء أن رجلاً لما أتى مطر يسير قال: ابتداءً
الخرار يرش سيوره ، وهو قريب للملك فلم يأمر القاضي بقتله مداراة للملك فغضب
المسلمون عليه ورفعوا أمره إلى السلطان فأمر السلطان بقتل قريبه ، وأمر بعزل
القاضي الذي تركه مداراة انتهى . فكل هؤلاء الذين ذكرنا لما نقضوا لإله إلا
الله جرى عليهم ما ذكرنا والله أعلم

فصل

(في بيان فضلها)

فاعلم انه لو لم يكن في بيان فضلها الا كونها علماً على الايمان في الشرع تعصم
الدماء والاموال الابحثةا ، وكون إيمان الكافر موقوفاً على النطق بها لكان
كافياً للعقلاء ، كيف وقد ورد في فضلها أحاديث كثيرة ؟

فمنها قوله ﷺ « افضل ماقت انا والنبون من قبلي لا اله الا الله وحده
لا شريك له » رواه مالك في الموطأ ، زاد الترمذي في روايته « له الملك وله الحمد
وهو على كل شيء قدير »

وروى النسائي انه ﷺ قال « افضل الذكر لا اله الا الله ، وأفضل
الدعاء الحمد لله »

وروى الترمذي ان النبي ﷺ قال « التسبيح نصف الايمان والحمد لله تملأ
الميزان ، ولا اله الا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص اليه »
وقال ﷺ « ما قل احد لا اله الا الله مخلصاً من قلبه الا فتحت له ابواب
السماء حتى تفضي الى العرش ما اجتنبت الكبائر »

وقل ﷺ « انا في آت من ربي فأخبرني انه من مات يشهد أن لا اله الا الله وحده
لا شريك له الجنة » فقال له ابو ذر: وإن زنى أو سرق ؟ قال « وإن زنى أو سرق » كررها

ثلاثا كل ذلك يقول «وان زنى وان سرق» وقال في الثالثة «رغم أنف أبي ذر»
 وقال ﷺ «من دخل القبر بلا إله الا الله خلصه الله من النار»
 وقال ﷺ «اسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه»
 وقال ﷺ «من مات وهو يعلم ان لا اله الا الله دخل الجنة»
 وعنه ﷺ «لا اله الا الله مفتاح الجنة»
 وعنه ﷺ انه قال «من لقن عند الموت لا اله الا الله دخل الجنة»
 وفي الاحياء عنه ﷺ «لو جاء قاتل لا اله الا الله صادقا بقراب الارض
 ذنوبا غفر له»

وقل «لندخلن الجنة كلكم الا من أبى وشرد عن الله شرود البعير عن
 أهله» فقيل يا رسول الله من أبى؟ قال «من لم يقل لا اله الا الله»
 فأكثروا من قول لا اله الا الله من قبل ان يحال بينكم وبينها فانها كلمة
 التوحيد وهي كلمة الاخلاص وهي كلمة التقوى ، وهي الكلمة الطيبة ، وهي دعوة
 الحق ، وهي العروة الوثقى ، وهي ثمن الجنة

وفي الاحياء ايضا قال تعالى (هل جزاء الاحسان الا الاحسان) فقيل الاحسان
 في الدنيا لا اله الا الله ، وفي الآخرة الجنة اهـ ملخصا من فاكهة القلوب والافواه

*
* *

أما فائدة لا إله إلا الله فقال أهل اللغة : الفائدة ما استفدته من علم أو مال ،
 وما أفادت له فائدة أي حصلت : وأفدت المال استفدته .
 وقال في فاكهة القلوب والافواه :

فصل

(في الفوائد التي تحصل لذا كر هذه الكلمة المشرفة وهي كثيرة)
 فمنها الزهد ، ونعني به خلو الباطن من الميل الى فان ، وفراغ القلب من الثقة
 إلى زائل ، وإن كانت اليد معمورة بمحتاج حلال فعلى سبيل العارية
 ومنها التوكل ، وهو ثقة القلب بالوكيل الحق بحيث يسكن عن الاضطراب
 عند تعذر الاسباب ثقة بمسبب الاسباب ، ولا يقدر في توكله تلبس ظاهره
 بالاسباب إذا كان قلبه فارغا منها
 ومنها الحياء بتعظيم الله عز وجل بدوام ذكره والتزام امتثال أمره ونهييه ،
 والامساك عن الشكوى إلى العجزة
 ومنها الغناء ، وهو غناء القلب بسلامته من قن الاسباب ، فلا يعترض على
 الاحكام بلو ولعل ، لعلمه بمن صدرت عنه عز وجل
 ومنها الفتوة ، وهي التجافي عن مطالبة الخلق بالاحسان اليه ولو أحسن اليهم
 لعلمه بأن احسانه واساءتهم اليه - كل ذلك مخلوق لله تعالى (والله خلقكم وما تعملون)
 ومنها الشكر ، وهو إفراد القلب بالثناء على الله تعالى ورؤية النعم في طي النعم
 ومنها وضع البركة في الطعام ونحوه ، حتى يكسر القليل ويكفي اليسير . وهذا
 مشاهد لاولياء الله تعالى . انتهى ملخصا

(قالت) ومنها انها تعصم الدم والمال لمن قالها إلا بحققها كما تقدم
 ومنها ان من مات عليها دخل الجنة ، لحديث معاذ مرفوعا « من كان آخر
 كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » رواه احمد والحاكم وقال صحيح الاسناد وغيره
 من الاحاديث الدالة على ذلك ، وقد تقدم بعضها والله أعلم

ثم بعد نقل هذه الرسالة من الكتب المذكورة مع مافتح الله به سنح لي أن

ذكر كلاماً ذكره الامام الحافظ زين الدين عبد الرحمن بن رجب انتقد مذكرة
على كلمة الاخلاص يليق ذكره هنا . فانه ذكر شيئاً من تحقيق لا إله إلا الله ، وتحقيق
أن محمداً رسول الله ، وما تقتضي لا إله إلا الله . وشيئاً من أنواع العبادة . وشيئاً من
الشرك ، وشيئاً من فضل لا إله إلا الله
قال رحمه الله في أثناء كلامه

فتحققه بقول لا إله إلا الله أن لا يؤله القلب غير الله : حبا ورجاء وخوفاً وتوكلًا
واستعانة وخضوعاً وإناابة وطلباً
وتحققه بأن محمداً رسول الله ، أن لا يعبد الله بغير ما شرعه على لسان محمد
ﷺ وقد جاء هذا المعنى مرفوعاً إلى النبي ﷺ صريحاً انه قال « من قال لا إله
إلا الله مخلصاً دخل الجنة - قيل ما خلاصها يا رسول الله ؟ - قال أن تحجزك عما
حرم الله عليك » وهذا يروى من حديث أنس بن مالك وزيد بن أرقم ولكن اسنادهما
لا يصح . وجاء أيضاً من مراسيل الحسن نحوه

وتحقيق هذا المعنى وإيضاحه أن قول العبد لا إله إلا الله يقتضي أن لا إله غير
الله ، والاله هو الذي يطاع فلا يعصى هيمه له واجلالاً ومحبة وخوفاً ورجاءاً وتوكلًا
عليه وسؤالاً منه ، ودعاء له ، ولا يصح ذلك كله إلا لله عز وجل ، فمن أشرك
مخلوقاً في شيء من هذه الامور التي من خصائص الالهية كان ذلك قدحاً في
اخلاصه في قول لا إله إلا الله ، ونقصاً في توحيده ، وكان فيه من عبودية المخلوق
بحسب ما فيه من ذلك ، وهذا كله من فروع الشرك ، ولهذا ورد إطلاق الكفر
والشرك على كثير من المعاصي التي منشؤها من طاعة غير الله أو خوفه أو رجائه أو
التوكل عليه أو العمل لاجله كما ورد إطلاق الشرك على الرياء ، وعلى الحلف بغير الله ،
وعلى التوكل على غير الله والاعتماد عليه ، وعلى من سوى بين الله وبين المخلوق في
المشيئة مثل أن يقول : ماشاء الله وشاء فلان ، وكذا قوله : مالي إلا الله وأنت ،

وكذلك ما يقدح في التوحيد وتفرد الله بالنفع والضرر كالطيرة والرقى المكروهة، وإتيان الكهان وتصديقهم بما يقولون،

وكذلك اتباع هوى النفس فيما نهى الله عنه قادح في تمام التوحيد وكما به، ولهذا أطلق الشرع على كثير من الذنوب التي منشؤها من اتباع هوى النفس أنها كفر وشرك كقتال المسلم، ومن أتى حائضاً أو امرأة في دبرها، ومن شرب الخمر في المرة الرابعة. وإن كان ذلك لا يخرج من الملة بالسكينة، ولهذا قال السلف «كفر دون كفر وشرك دون شرك»

وقد ورد إطلاق الاله على الهوى المتبع قال الله تعالى (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه) قل الحسن: هو الذي لا يهوى شيئاً إلا ركه. وقال قتادة: هو الذي كلما هوى شيئاً ركه، وكما انتهى شيئاً أتاه. لا يحجزه عن ذلك ورع ولا تقوى وروي من حديث أبي امامة مرفوعاً باسناد ضعيف «ما تحت السماء إله يعبد أعظم عند الله من هوى متبع» وفي حديث آخر «لا تزال لإله إلا الله تدفع عن أصحابها حتى يؤثروا دنياهم على دينهم، فإذا فعلوا ذلك ردت عليهم، وقيل لهم كذبتم» ويشهد لذلك الحديث الصحيح عن النبي ﷺ «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد القطيفة، تعس عبد الخنيفة، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش (١)» فدل هذا على أن كل من أحب شيئاً وأطاعه وكان غاية قصده ومطلوبه ووالى لاجله، وعادى لاجله فهو عبده، وذلك الشيء معبوده وإلهه

ويدل عليه أيضاً أن الله تعالى سمي طاعة الشيطان في معصيته عبادة للشيطان كما قال تعالى (ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان؟) وقال تعالى حاكماً

(١) انتكس: انقلب على رأسه، وهو عاء عليه بالحية. وإذا شيك فلا انتقش:

إذا دخات فيه شوكة لا أخرجها من موضعها بالناقش

عن خليله ابراهيم عليه السلام لا بيه (يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان
الرحمن عصياً)

فمن لم يحقق عبودية الرحمن وطاعته فإنه يعبد الشيطان بطاعته له ولم يخص
من عبادة الشيطان ، إلا من أخاص عبودية الرحمن ، وهم الذين قال فيهم (ان
عبادي ليس لك عليهم سلطان) فهم الذين حققوا قول لا اله الا الله وأخلصوا في
قولها ، وصدقوا قولهم بفعلهم ، فلم يلتفتوا إلى غير الله ، محبة ورجاء وخشية وطاعة
وتوكلا ، وهم الذين صدقوا في قول لا اله الا الله وهم عباد الله حقا
فأما من قال لا اله الا الله بلسانه ، ثم أطاع الشيطان وهواه في معصية الله
ومخالفته فقد كذب فعله قوله ، ونقص من كمال توحيدته بقدر معصية الله في
طاعة الشيطان والهوى (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ؟) (ولا تتبع
الهوى فيضلك عن سبيل الله)

فيا هذا كن عبداً لله لا عبداً للهوى ، فان الهوى يهوي بصاحبه في النار
(أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) «تمس عبد الدرهم تمس عبد الدينار»
والله ما ينجو غداً من عذاب الله إلا من حقق عبودية الله وحده ولم يلتفت
معه الى شيء من الاغيار ،

من علم أن إلهه ومعبوده فرد فليفرده بالعبودية. ولا يشرك بعبادة ربه أحداً
كان بعض العارفين يتكلم على أصحابه على رأس جبل فقال في كلامه : لا ينال
أحد مراده حتى ينفرد فرداً بفرد . فارتزعج واضطرب حتى رأى أصحابه ان
الصخور قد تدكدكت وبقي على ذلك ساعات ، فلما أفاق فكأنه نشر من قبره
قول لا اله الا الله ، يقتضي أن لا يحب سواه ، فان الا اله هو الذي يطاع محبة
وخوفا ورجاء ، ومن تمام محبته محبة ما يحبه ، وكرهه ما يكرهه ، فمن أحب شيئاً
مما يكرهه الله أو كره شيئاً مما يحبه الله لم يكمل توحيدته وصدقته في قول لا اله

الا الله، وكان فيه من الشرك الخفي بحسب ما كرهه مما يحبه الله، وما أحبه مما يكرهه الله، قال تعالى (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم) قال ليث بن سعد عن مجاهد في قوله تعالى (لا بشر كون بي شيداً) قال لا يحبون غيري. وفي صحيح الحاكم عن عائشة عن النبي ﷺ قال «الشرك في هذه الامة أخفى من ديب الذرة على الصفا (١) في الليلة الظلماء وأدناه أن يحب على شيء من الجور أو يبغيض على شيء من العدل»

وهل الدين الا الحب والبغض قال الله عز وجل (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)

وهذا نص في أن محبة ما يكرهه الله وبغض ما يحبه متابعة للهوى، والموالاته على ذلك والمعاداة عليه من الشرك الخفي. وقال الحسن: اعلم انك لن تحب الله حتى تحب طاعته،

وسئل ذو النون متى أحب ربّي؟ قال إذا كان ما يبغضه عندك أمراً من الصبر وقال بشر بن السري: ليس من أعلام الحب أن تحب ما يبغضه حبيبك. وقال أبو يعقوب النهرجوري: كل من ادعى محبة الله ولم يوافق الله في أمره فدعواه باطلة. وقال روم، المحبة الموافقة في جميع الاحوال وأنشد:

ولو قلت لي متّ متّ سماً وطاعة وقلت لداعي الموت أهلاً ومرحباً
ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) قال الحسن قال أصحاب رسول الله ﷺ: إنا نحب ربنا حباً شديداً فأحب الله أن يجعل لحبه علماً فأُنزل الله هذه الآية

ومن هنا يعلم انه لا تتم شهادة ان لا اله الا الله الا بشهادة أن محمداً رسول الله فاذا علم أنه لا يتم محبة الله الا بمحبة ما يحبه وكرهه ما يكرهه، فلا طريق الى معرفة ما يحبه وما يكره الا من طريق الرسول، فصارت محبة الله مستلزمة لمحبة رسوله

وتصديقه ومتابعته . ولهذا قرن الله بين محبته ومحبة رسوله في قوله (قل ان كان آباؤكم وأبنائكم -- الى قوله -- أحب اليكم من الله ورسوله) كما قرن طاعته بطاعة رسوله في مواضع كثيرة

وقال ﷺ « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان : أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه الا لله ، وأن يكره أن يرجع الى الكفر بعد ما انتقذه الله منه كما يكره ان يلقى في النار »

هذه حال السحرة لما سكنت المحبة قلوبهم سمحوا ببذل نفوسهم وقالوا لفرعون (اقض ما أنت قاض)

ومتى تمكنت المحبة في القلب ، لم تنبعث الجوارح الا الى طاعة الرب ، وهذا هو معنى الحديث الالهي الذي خرجه البخاري في صحيحه ، وفيه « ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمعه به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها » وقد قيل في بعض الروايات « في يسمعه ، وفي يبصر ، وفي يمشي »

والمعنى أن محبة الله إذا استغرق بها القلب ، واستولت عليه لم تنبعث الجوارح إلا إلى رضا الرب ، وصارت النفس حينئذ مطمئنة بإرادة مولاها عن مرادها وهواها ، يا هذا ، اعبد الله لمراده منك لا لمرادك منه ، فمن عبده لمراده منه فهو ممن يعبد الله على حرف (فان أصابه خير اطمان به ، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة) ومتى قويت المعرفة والمحبة لم يرد صاحبها إلا ما يريد مولا ، وفي بعض الكتب السابقة : من أحب الله لم يكن شيء عنده آثر من رضاه ، ومن أحب الدنيا لم يكن شيء عنده آثر من هوى نفسه

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن الحسن قال : ما نظرت ببصري ولا نطقت بلساني ولا بطشت بيدي ولا نهضت على قدمي حتى أفطر على طاعة أو على

معصية ، فان كانت على طاعة تقدمت ، وان كانت على معصية تأخرت . هذا حال خواص المحبين الصادقين

فافهموا رحمكم الله هذا فانه من دقائق أسرار التوحيد الغامضة . وإلى هذا المقام أشار عليه السلام في خطبته لما قدم المدينة حيث قال « أحبوا الله من كل قلوبكم » وقد ذكرها ابن اسحاق وغيره . فانه من امتلاء قلبه من محبة الله لم يكن فيه فراغ لشيء من إرادة النفس والهوى ، وإلى ذلك أشار القائل بقوله :

أروح وقد ختمت على فؤادي بحبك أن يحل به سواكا
فلو أني استطعت غضضت طرفي فلم أنظر به حتى أراكا
أحبك لا بيعضي ، بل بكلي وإن لم يُبق حبك لي حراكا
وفي الاحباب مخصوص بوجد وآخر يدعي معيه اشتراكا
إذا اشتبكت دموع في خدود تبين من بكى ممن تباكي

ومتى بقي للمحب حظ من نفسه فما بيده من المحبة الا الدعوى ، اما الحب من يقى عن كل هوى ويبقى بحبيبه « فيسمع وبني يبصر » ، القلب بيت الرب ، وفي بعض الاسرائيليات : ما وسعني سائي ولا أرضي وانما وسعني قلب عبدي المؤمن فمتى كان القلب فيه غير الله فالله أغنى الاغنياء عن الشرك ، وهو لا يرضى بمزاحمة أصنام الهوى . الحق غيور يغار على عبده المؤمن أن يسكن في قلبه سواه ، أو أن يكون فيه شيء لا يرضاه

أردناكم صرفاً فلما مزجتم بدمتم بمقدار التفاتكم عنا
وقلنا لكم لا تسكنوا القلب غيرنا فأسكنتم الاغيار ، ما أنتم منا

لا ينجو غداً إلا من لقي الله بقلب سليم ليس فيه سواه . قال الله تعالى (يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم) السليم هو الطاهر من أدناس

المخالفات ، فأما المتلطف بشيء من المكروهات فلا يصلح لمجاورة حضرة القدس إلا بعد أن يصهر في كير العذاب ، فإذا زال عنه الحبث صلح حينئذ للمجاورة « إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً » فأما القلوب الطيبة فتصلح للمجاورة من أول الامر (سلام عليكم طبتهم فادخلوها خالدون * الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة)

من لم يحرق قلبه اليوم بنار الاسف على ما سلف أو بنار الشوق إلى لقاء الحبيب فنار جهنم له أشد حراً ، ما يحتاج للتطهير بنار جهنم إلا من لم يكمل تحقيق التوحيد والقيام بحقوقه

أول من تسعر بهم النار من الموحدين العباد المراءون بأعمالهم ، وأولهم العالم والمجاهد والمتصدق للرياء ، لأن يسير الرياء شرك .

مانظر المرأى إلى الخلق بعمله إلا لجهله بعظمة الخالق

المرأى يزور التوقيع على اسم الملك ليأخذ البراطيل لنفسه ويوهم أنه من خاصة الملك وهو ما يعرف الملك بالكلية

نقش المرأى على الدرهم الزائف اسم الملك ليروج ، والبهرج لا يجوز إلا على غير النافذ وبعد أهل الرياء يدخل النار أصحاب الشهوات وعبيد الهوى ، الذين أطاعوا هواهم ، وعصوا مولاهم . وأما عبيد الله حقاً فيقال لهم (يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي)

جهنم تنطفي بنور إيمان الموحدين . في الحديث « تقول النار للمؤمن جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي »

وفي المسند عن جابر عن النبي ﷺ « لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخله فتكون على المؤمن برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم ، حتى أن للنار ضجيعاً من بردهم » هذا ميراث ورثه المحبون من حال الخليل عليه السلام

نار المحبة في قلوب المحبين تخاف منها نار جهنم . قال الجنيد : قالت النار يارب لو لم أطعمك هل كنت تعذبني بشيء ؟ قال نعم كنت أسلط عليك ناري الكبرى . قالت : وهل نار أعظم مني وأشد ؟ قال نعم : نار محبتي أسكنتها قلوب أوليائي المؤمنين (١) . في الحديث « من أصبح وهمه غير الله فليس من الله » قال بعضهم من أخبرك ان وليه له هم في غيره فلا تصدقه

وكان داود الطائي يقول : همك عطل على الهدوم ، وحالف بيني وبين السهاد وشوقي إلى النظر إليك أوثق مني اللذات ، وحال بيني وبين الشهوات ، فانا في سجنك أيها الكريم مطلوب ،

مالي شغل سواه مالي شغل ما يصرف عن هواه قلبي عذل
ما صنع ان جنى وخاب الامل مني بدل ومنه مالي بدل
إخواني إذا فهمتم هذا المعنى فهمتم معنى قوله ﷺ « من شهد أن لا إله إلا الله صادقاً من قلبه حرمة الله على النار » فاما من دخل النار من أهل هذه الكلمة فلقلّة صدقه في قولها ، فان هذه الكلمة إذا صدقت طهرت القلب من كل ماسوى الله ، ومتى بقي في القلب أثر سوى الله فن قلّة الصديق في قولها من صدق في قول لا إله إلا الله لم يحب سواه ، لم يبرج سواه ، لم ينحس أحداً إلا الله ، لم يتوكل إلا على الله ، لم يبق له بقية من أثر نفسه وهواه

ومع هذا فلا تظنوا أن الحب مطالب بالعصمة ، وإنما هو مطالب كما زل أن يتلافى تلك الوصمة ، قال زيد بن اسلم : ان الله ليحب العبد حتى يبلغ من حبه أن يقول : اذهب فاعمل ما شئت فقد غفرت لك (٢) وقال الشعبي : اذا أحب الله عبداً لم يضره ذنب

(١) ان صح هذا عن الجنيد فراه منه ان نار الحب أشد حراً من جهنم بطريقة التمثيل لا الرواية وهو أشبه بكلام جهالة الصوفية منه بكلام الامام الجنيد (رح)
(٢) أخذ هذا من حديث أهل بدر الصحيح

وتفسير هذا الكلام ان الله عز وجل له عناية بمن يحبه من عباده فكلمنا
 زلق ذلك العبد في هوة الهوى أخذ بيده الى النجاة ويسر له اسباب التوبة ،
 ينبيهه على قبح الزلة، فيفزع الى الاعتذار ، ويبتليه بمصائب مكفرة لما جنى
 في بعض الآثار يقول الله عز وجل « أهل ذكري أهل مجالستي ، وأهل
 طاعتي أهل كرامتي، وأهل معصيتي لأؤيسهم من رحمتي ، ان تابوا فأنا حبيبهم،
 وإن لم يتوبوا فأنا طيبهم ، أبتليهم بالمصائب، لأطهرهم من المعاييب » وفي صحيح مسلم
 عن جابر عن النبي ﷺ قال « الحمى تذهب الخطايا كما يذهب الكبر الخبث »
 وفي المسند وصحيح ابن حبان عن عبد الله بن مغفل ان رجلا لقي امرأة كانت
 بغياً في الجاهلية فجعل يلاعها حتى بسط يده اليها، فقالت : مة ، فان الله قد أذهب
 الشرك وجاء بالاسلام، فتركها وولى، فجعل يلتفت خلفه وينظر اليها ، حتى اصاب
 وجهه (١) فاخبره بالأمر فقال ﷺ « انت عبد اراد الله بك خيراً »
 ثم قال « ان الله اذا اراد بعبد شراً أمسك عنه بذنبه حتي يوافي يوم القيامة »
 يا قوم قلوبكم على أصل الطهارة وإنما اصابها رشاش من نجاسة الذنوب فرشوا
 عليها من دموع العيون فقد طهرت ، اعزموا على فطام النفوس عن رضاع الهوى
 قالحية رأس الدواء ، متى طالبتكم بما لو فاتها فقولوا كما قالت تلك المرأة لذلك الرجل
 الذي دمي وجهه قد أذهب الله الشرك وجاء بالاسلام، والاسلام يقتضي الاستسلام
 والالتقياد للطاعة ، ذكروها مدحة (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) لعلمنا نحن
 الى الاستقامة ، وعرفوها اطلاقاً من هو أقرب اليها من جبل الوريد ، لعلمها
 تستحي من قربه ونظره (ألم يعلم بأن الله يرى) ان ربك لبالمرصاد
 راود رجل امرأة في فلاة ليلاً فأبته ، فقال لها ما يرانا إلا الكواكب . فقالت
 فأين مكوكبها ؟

(١) بياض في الأصل . والمفهوم من السياق انه أصاب وجهه جدار أو نحوه

قديم . ثم ذهب الى النبي ﷺ

أكره رجل امرأة على نفسها وأمرها بغلاق الابواب، فغلقت ، فقال لها هل بقي باب لم تغلقه ؟ قالت نعم ، الباب الذي بيننا وبين الله تعالى . فلم يتعرض لها رأى بعض العارفين رجلا يكلم امرأة فقال : ان الله يراك ، سترنا الله وإياكما سئل الجنيد عما يستعان به على غض البصر ؟ قال بعلمك ان نظار الله اليك أسبق من نظرك الى ما تنظره . وقال المحاسبي المراقبة علم القلب بقرب ازب ، كلما قويت المعرفة بالله قوى الحياء من قربه ونظره .

وصى النبي ﷺ رجلا « ان يستحي من الله كما يستحي من رجل من صالح عشيرته لا يفارقه » قل بعضهم استحي من الله على قدر قربه منك ، وخف من الله على قدر قدرته عليك

كان بعضهم يقول : لي منذ اربعين سنة ما خطوت خطوة لغير الله ولا نظرت الى شيء استحسنه حياء من الله عز وجل

كأن رقيباً منك يرعى خواطري وآخر يرعى ناظري ولساني
فما أبصرت عيناي بعدك منظراً لغيرك إلا قلت قد رمقاني
ولا بدرت من في بعدك لفظة لغيرك إلا قلت قد سمعاني
ولا خطرت من ذكر غيرك خطرة على القلب إلا عرجت بعناني

فصل

وكلمة التوحيد لها فضائل عظيمة لا يمكن ها هنا استقصاؤها . فنذكر بعض ما ورد فيها

فهي كلمة التقوى كما قال عمر وغيره من الصحابة

وهي كلمة الاخلاص، وشهادة الحق، ودعوة الحق، وبراءة من الشرك، ونجاة العبد ، ورأس هذا الامر ، ولا أجلها خلق الخلق، كما قال تعالى (وما خلقت الجن

والانس إلا لعبدون) ولاجلها ارسلت الرسل وأنزلت الكتب كما قال الله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه أن لا إله إلا أنا فاعبدون) وقال تعالى (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن انذروا أنه لا إله إلا أنا) وهذه الآية أول ما عدد الله على عباده من النعم في سورة النعم التي تسمى سورة النحل ولهذا قال ابن عيينة: ما أنعم الله على عبد من العباد نعمة أعظم من أن عرفه لا إله إلا الله، وإن لا إله إلا الله لأهل الجنة كالماء البارد لأهل الدنيا، ولاجلها أعدت دار الثواب ودار العقاب، ولاجلها أمرت الرسل بالجهاد، فمن قالها عصم ماله ودمه، ومن أبها فماله ودمه حلال

وهي مفتاح دعوة الرسل، ومها كالم الله موسى كفا (١) وفي مسند البزار وغيره عن عياض بن حمار الانصار عن النبي ﷺ قال «ان لا إله الا الله كلمة حق على كريم ولها من الله مكان»

وهي كلمة جمعت وشركت. فمن قالها صادقاً دخله الله الجنة، ومن قالها كاذباً احرزت ماله وحقت دمه واتى الله فيحاسبه

وهي مفتاح الجنة وهي تمن الجنة كما تقدم قاله الحسن، وجاء مرفوعاً من وجوه ضعيفة، ومن كانت آخر كلامه دخل الجنة وهي نجاة من النار، وسمع النبي ﷺ مؤذناً يقول اشهد ان لا إله الا الله فقال «خرج من النار» خرجه مسلم

وهي توجب المغفرة. في المسند عن شداد بن اوس وعبادة بن الصامت ان النبي ﷺ قال لاصحابه يوماً «ارفعوا ايديكم وقولوا لا إله الا الله» فرفعنا ايدينا ساعة ثم وضع رسول الله ﷺ يده ثم قال «الحمد لله اللهم بعثني بهذه الكلمة وامرني بها ووعدني الجنة عليها وانك لا تخلف الميعاد» ثم قال - ابشروا فان الله قد غفر لكم (٢) وهي احسن الحسنات قال ابوذر قلت: يا رسول الله، علمني عملاً يقربني من

(١) أي بغير واسطة ولا حجاب (٢) هذا حديث متكلم فيه بالضعف الشديد

الجنة ويباعدني من النار، فقال « اذا عملت سيئة فاعمل حسنة فانها عشر أمثالها » قلت: يا رسول الله، لا إله الا الله من الحسنات؟ قال « هي احسن الحسنات وهي تمحو الذنوب والخطايا » وفي سنن ابن ماجه عن ام هانئ عن النبي ﷺ قال « لا إله الا الله لا تترك ذنبا ولا يسبقها عمل »

رؤي بعض السلف بعد موته في المنام فسئل عن حاله فقال ما بقيت لا إله الا الله شيئا وهي تجدد ما درس من الايمان في القلب ، وفي المسند ان النبي ﷺ قال لصاحبه « جددوا ايمانكم » قالوا كيف نجدد ايماننا يا رسول الله ؟ قال « قولوا لا إله الا الله » وهي التي لا يعدها شيء في الوزن فلو وزنت بالسموات والارض لرجحت بهن، كما في المسند عن عبدالله بن عمر عن النبي ﷺ « ان نوحا عليه السلام قال لابنه عند موته : آمرك بالآله الا الله فان السموات والارضين السبع لو وضعت في كفة ووضعت لآله لا الله في كفة رجحت بهن لآله الا الله، ولو ان السموات السبع والارضين السبع كن حلقمة مبهمة فصمتن لآله الا الله » وفيه ايضا عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ « ان موسى عليه السلام قال يارب علمني شيئا اذكرك وادعوك به ، قال يا موسى قل لا إله الا الله، فقال يارب، كل عبادك يقولون هذا ، قال قل لا إله الا الله ، فقال لا إله الا انت ، انما اريد شيئا تخصني به ، قال يا موسى لو ان السموات السبع وعامرهن غيري والارضين السبع في كفة ولا إله الا الله في كفة مالت بهن لا إله الا الله »

وكذلك ترجح بصحائف الذنوب كما في حديث السجلات والبطاقة ، وقد اخرجه احمد والنسائي والترمذي ايضا من حديث عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ وهي التي تحرق الحجب كما حتى تصل الى الله عز وجل، وفي الترمذي عن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ قال « لا إله الا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تصل اليه » وفيه ايضا عن ابي هريرة عن النبي ﷺ « ما قال عبدا لاله الا الله مخلصا الا فتحت

له ابواب السماء حتى تفضي إلى العرش ما اجتنبت الكبائر» وروى عن عباس مرفوعا «مامن شيء إلا بينه وبين الله حجاب الا قول لا اله الا الله كما ان شفيعك لا تحجبها كذلك لا يحجبها شيء حتى تنتهي إلى الله عز وجل» وقال ابو امامة مامن عبد يهمل تهليلة فيمنهها (١) شيء دون العرش

وهي التي ينظر الله إلى قائلها ويحجب دعاءه، خرج النسائي في كتاب اليوم والليلة من حديث رجلين من الصحابة عن النبي ﷺ «من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مخلصا بها روحه، مصدقا بها لسانه، الا فتق الله له السماء فتقا حتى ينظر إلى قائلها من أهل الارض، وحق لعبد نظر الله إليه أن يعطيه سؤاله»

وهي الكلمة التي يصدق الله قائلها كما خرج النسائي والترمذي وابن حبان من حديث أبي هريرة وأبي سعيد عن النبي ﷺ قال «إذا قال العبد لا اله الا الله والله أكبر، صدقه ربه وقل لا اله الا أنا وأنا أكبر، وإذا قال لا اله الا الله وحده، يقول الله لا اله الا أنا وحدي، وإذا قال لا اله الا الله وحده لا شريك له، قال لا اله الا أنا وحدي لا شريك لي، وإذا قل لا اله الا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد. قال الله لا اله الا أنا لي الملك ولي الحمد، وإذا قال لا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله، قال الله لا اله الا أنا لا حول ولا قوة الا بي، وكان يقول «من قالها في مرضه ثم مات لم تطعمه النار»

وهي أفضل ما قاله النبيون كما ورد ذلك في دعاء يوم عرفة. وهي أفضل الذكر كما في حديث جابر المرفوع «فضل الذكر لا اله الا الله»

وعن ابن عباس قال: أحب كلمة إلى الله «لا اله الا الله» لا يقبل الله عملا الا بها وهي

(١) في النهاية: في حديث وائل «لقد ابتدرها اثنا عشر ملكا فما نهوها شيء دون العرش» أي ما منعها وكفها عن الوصول إليه اه

أفضل الاعمال وأكثرها تضييافاً، وتعديل عتق الرقاب، وتكون حرزاً من الشيطان كما في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في كل يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به، إلا رجل عمل أكثر منه يوم ذلك » وفيهما أيضاً عن أبي أيوب عن النبي ﷺ « من قالها عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد اسماعيل »

وفي الترمذي عن عمر مرفوعاً « من قالها إذا دخل السوق حتى يمسي - وزاد فيها - يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة - وفي رواية - وبني له بيتاً في الجنة » (١)

ومن فضائلها أنها أمان من وحشة القبر وهول المحشر، كما في المسند وغيره عن النبي ﷺ قال « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم، وكانى باهل لا إله إلا الله قد قاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن » وفي حديث مرسل من رواية علي كرم الله وجهه « من قال لا إله إلا الله الملك الحق المبين، كل يوم مائة مرة، كان له أمان من الفقر، وأنس من وحشة القبر، واستجلب به الفنى، واستقرع به باب الجنة » وهى شعار المؤمنين إذا قاموا من قبورهم.

(١) رواه الترمذي من طريق أزهر بن سنان وهو ضعيف وأنكره عليه وضعفه به علي بن المديني جداً. ومن طريق عمرو بن دينار البصري فهرمان آل الزبير وهو ضعيف يروي المنكرات عن انفات بل يروي الموضوعات أيضاً وقد أنكره عليه. ومثل هذه المبالغة في انتواب الكثير على العمل اليسير من علامات وضع الحديث

قال المضرب بن عربي: بلغني ان الناس اذا قاموا من قبرهم كان شعارهم لا اله الا الله وقد خرج الطبراني مرفوعا « ان شعار هذه الامة على الصراط لا اله الا أنت » ومن فضائلها انها تفتتح لثانها ابواب الجنة الثمانية يدخل من ايها شاء كما في حديث عمر عن النبي ﷺ فيمن اتى بالشهادتين بعد الوضوء . وقد خرجه مسلم ، وفي الصحيحين عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ « من قل اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ، وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاه الى مريم وروح منه ، وان الجنة حق والنار حق ، وان الله يبعث من في القبور ، فتحت له ثمانية ابواب الجنة يدخل من ايها شاء » وفي حديث عبد الرحمن ابن سمرة عن النبي ﷺ في قصة منامه الطويل وفيه « رأيت رجلا من أمتي انتهى الى ابواب الجنة فاغلقت الابواب دونه فجاءته شهادته ان لا اله الا الله ففتحت له الابواب وادخلته الجنة »

ومن فضائلها ان اهلها وان دخلوا النار بتقصيرهم في حقها فاقهم لا بد ان يخرجوا منها . وفي الصحيحين عن انس عن النبي ﷺ « يقول الله عز وجل : وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لا اخرجن منها من قال لا اله الا الله » وخرج الطبراني عن انس عن النبي ﷺ قال « ان اناسا من اهل لا اله الا الله يدخلون النار بذنوبهم ، فيقول لهم اهل اللات والعزى ما اغنى عنكم قول لا اله الا الله فيغضب الله لهم فيخرجهم من النار ويدخلهم الجنة » ومن كان في سخطه محسنا فكيف يكون اذا مارضي ؟ لا يسوي بين من وحده وان قصر في حقوق توحيده . وبين من اشرك به ، قال بعض السلف: كان ابراهيم عليه السلام يقول في دعائه « اللهم لا تشرك من كان يشرك بك بمن كان لا يشرك بك . كان بعض السلف يقول في دعائه: اللهم انك قلت عن اهل النار انهم: أقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت ونحن نقسم بالله جهد ايماننا ليمعن الله من يموت اللهم لا تجمع بين اهل القسمين في دار واحدة

كان ابو سلمان يقول: ان طالبني ببخلي طالبته بجموده ، وان طالبني بذنوبي طالبته بعفوه ، وان ادخلني النار اخبرت اهل النار اني كنت احبه ، ما طيب وصله ، وما اعذبه ، ما اثقل هجره وما اصعبه ، في السخط والرضى فما أهيبه ، القلب يحبه وان عذبه . انتهى كلام الحافظ بن رجب ملخصا

فتأمل رحمك الله قوله فتحققه بقول لا إله إلا الله ان لا ياله القلب غير الله الى آخره . وقوله وتحقيقه بأن محمداً رسول الله أن لا يعبد الله بغير ما شرعه على لسان محمد ﷺ الخ . وقوله : وتحقيق هذا المعنى وإيضاحه أن قول العبد لا إله إلا الله يقتضي أنه لا إله غير الله الى آخره . وقوله : وقد ورد إطلاق الإله على الهوى التابع الخ . وقوله : قول لا إله إلا الله يقتضي أن لا يحب سواه الخ . وقوله : ومن هنا يعلم أنه لا يتم شهادة أن لا إله إلا الله إلا شهادة أن محمداً رسول الله الى آخره وهذه من متمات لا إله إلا الله وغير ذلك مما يتعلق بلا إله إلا الله ، فانه إنما يبرز بتأمله لأن له تعلقات بما نحن بصدده والله أعلم

فهذا ما فتح الله به ويسره من فضله من الكلام على عشرة الافصاص ، على كلمة الاخلاص ، جمعه وخلصه فقير ربه الملتجئ الي عفوهِ ومغفرته سعيد ابن حجي الحنبلي النجدي قدس الله روحه ونور ضريحه آمين

انتهى

طبع هذا عن نسخة حسنة الخط ، قليلة التحريف والغلط ، أخذها الاستاذ الشيخ حامد الفقي المصري من العلامة الشهير الشيخ عبدالله بن بليهد النجدي وقد كتب ناسخها في آخرها مانصه

وافق الفراغ من كتابة هذه النسخة صبيحة الجمعة في يوم تسع وعشرين من ربيع الأول من شهور سنة ١٢٩٩ الف ومائتين وتسع وتسعين على يد المفتقر الى كرم الله صالح بن سالم بن محسن بن شيبان غفر الله له ولوالديه ولمشائخه ولجميع المسلمين آمين

وبلي هذا الرسالة الآتية للمؤلف

حكم التزام مذهب معين

(والانتقال من مذهب الى آخر)

رسالة من الشيخ سعيد بن حجبي الحنبلي النجدي، الى الشيخ محمد بن احمد الحفظي الشافعي التهامي - هي جواب سؤال
(السؤال) ما قول العلماء ارحمهم الله فيمن التزم مذهباً . هل له الانتقال عنه الى غيره أم لا ؟

(الجواب) قال شيخ الاسلام احمد بن تيمية في الفتاوي المصرية :
واذا كان الرجل متبعاً لابي حنيفة أو لمالك أو الشافعي أو احمد ورأى في بعض المسائل أن مذهب غيره أقوى فاتبعه كان قد أحسن في ذلك ولم يقدح ذلك في دينه ولا عدالته بلا نزاع ، بل هذا أولى بالحق وأحب الى الله ورسوله ممن يتعصب لواحد معين غير النبي ﷺ . كمن يتعصب لابي حنيفة أو لمالك أو الشافعي أو أحمد ويرى أن قول هذا المعين هو الصواب الذي ينبغي اتباعه دون الامام الذي خالفه . فمن فعل هذا كان جاهلاً بل قد يكون كافراً . انتهى

وقل في الاقناع وشرحه : ولزوم التمسك بمذهب وامتناع الانتقال الى غيره الاشهر عدمه ، قال الشيخ تقي الدين بن تيمية العامي ، هل عليه أن يلتزم مذهباً معيناً يأخذ بعزائمه ورخصه وفيه وجهان لأصحاب أحمد ، وهما وجهان لأصحاب الشافعي والجمهور من هؤلاء وهؤلاء لا يوجبون ذلك ، والذين يوجبون يقولون اذا التزمه لم يكن له أن يخرج عنه مادام ملتزماً له ، أو ما لم يتبين له أن غيره أولى بالالتزام منه

ولا ريب أن التزام المذاهب والخروج عنها ان كان لغير أمر ديني ، مثل أن يلتزم مذهباً لحصول غرض دنيوي من مال أو جاه أو نحو ذلك فهذا مما لا يحمده عليه بل يذمه عليه في نفس الامر ، ولو كان ما انتقل اليه خيراً مما انتقل عنه وهو

بمنزلة من يسلم لا يسلم الا لغرض دينوي والمهاجر من مكة الى المدينة لامرأة يتزوجها أو دنيا يصيها قل واما ان كان انتقاله من مذهب الى مذهب لامر ديني فهو مثاب على ذلك بل واجب على كل واحد اذا تبين له حكم الله ورسوله في امر ان لا يعدل عنه ولا يتبع احدا في مخالفة الله ورسوله فان الله فرض طاعة رسوله على كل احد في كل حال انتهى وفي الرعاية: من التزم مذهبا انكر عليه مخالفته بلا دليل ولا تقليد سائق ولا عقدر. ومراده بقوله بلا دليل اذا كان من اهل الاجتهاد، وقوله ولا تقليد سائق اي لعالم افتاه اذا لم يكن اهلا للاجتهاد. وقوله ولا عقدر اي يبيح له ما فعله فينكر عليه لانه يكون متبعا لهواه

وقال في موضع آخر يلزم كل مقلد ان يلتزم بمذهب معين في الاشهر ولا يقلد غيره، وقيل بلى وقيل لضرورة، انتهى كلام صاحب الاقتناع وشرحه بلفظه وقال في الانصاف في (كتاب القضاء) وقال الشيبخ تقي الدين: من أوجب تقليد امام بعينه استتيب فان تاب والا قتل (١) وإن قال ينبغي كان جاهلا صالا ومن كان متبعا لامام خالفه لقوة الدليل أو لكون أحدهما أعلم أو أتقى فقد أحسن ولم يقدح في عدلته بلا نزاع، وقال في هذه الحال يجوز تقليد من اتصف بذلك عند أئمة الاسلام وقال بل يجب انتهى

ومن قول الشافعي وقواعده إذا صح الحديث فهو مذهبي - وفي لفظ - فاضربوا بقولي الخاطئ - وفي رواية عنه - إذا رأيتم عن النبي ﷺ الثبت فاضربوا على قولي وارجعوا إلى الحديث انتهى نقلته من كتاب الآداب

فقد علم السائل أن من كان متبعا لمذهبا من المذاهب الاربعة ورأى الحق مع غيره فاتبعه انه محسن، ولا يقدح في عدالته - لاسيما ان كان مع الغير نص أو اجماع أو قول صحابي بشرطه أو جمهور العلماء والله أعلم،

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿تم الكتاب﴾

(١) أي لان هذا الاجاب لإشراك بالله في التشريع الذي هو من خصائصه بنص قوله تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله)

فهرس
مجموعه
الرسائل والمسائل النجديه

﴿ فهرس الجزء الرابع من مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ﴾

(رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب)

- ٨-١ الجواهر المضئية ، في بيان عقيدة أهل نجد السلفية
 ١٢-٨ رسالة في المسائل الخمس الواجب معرفتها
 ٢٣-١٢ « في التفريق الأكبر والأصغر وصفة المنافقين
 ٣٢-٢٤ « في الشهادات ودلائل نبوة محمد ﷺ
 ٣٣ « في كلمة التوحيد
 ٣٤ « « « وما تنقي وما ثبتت
 ٣٥ مذاكرة الشيخ مع أهل حريملاء في كلمة التوحيد، وفيمن يجمع بينها وبين الشرك
 ٤١ رسالة في حقيقة الإسلام ومن خالفه من أدعياء العلم
 ٤٣ ذبيحة المرتد وما يكفر به المسلم

﴿ رسائل الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﴾

﴿ جواب أهل السنة في نقض كلام الشيعة والزيدية ٤٧ — ٢٢٢ ﴾

- ٥٠ الاختلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما
 ٥٥ مدة الحرب « « «
 ٥٧ (فصل) افتراق الأمة بعد قتل عثمان
 ٥٩ « تفضيل أهل السنة عليا على معاوية
 ٦٣ « انصاف أهل السنة وكذب الروافض
 ٦٥ « وأما قوله ونشأ من هذا الافتراق
 ٧٠ « الأقوال والآراء في القتال بين الحسين ويزيد
 ٧٤ « في بيان ما في مذاهب الزيدية من البدع وقول العلماء في الإمام زيد
 ٧٧ « الشيعة المعتدلون من أهل الحديث
 ٧٨ « افتراء الشيعة على أهل السنة
 ٨٤ « في أهواء الشيعة والخوارج في حديث الردة وحديث الوصية

٨٧	فصل في تفسير (قل لا أسألكم عليه أجراً) الآية
٨٩	» » » (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) الآية
٩١	» في أهواء الشيعة في مناقب آل البيت
٩٢	» وأما قوله فانرجع إلى الكلام على السؤال والجواب
٩٧	» في زعم الزيدي تكفير الوهابي لمن يخالفه
٩٩	» في تفسير آيات الصفات
١٠١	» انكار الزيدي صفة الملو والقوية والرد عليه
١٠٣	» الاحتجاج بالرسول ورد دعوى تكفير الوهابية لمن خالفهم مطلقاً
١٠٤	» بدعة انكار القدر وتقدمها على بدعة تأويل الصفات
١٠٦	» في اثبات السلف والخلف من أهل السنة للقدر
١٠٩	» في رد ما زعمه من الجهل في رد صفة الطو
١١١	» في شبهة تأويل بعض المتقدمين للصفات
١١٧	» في ابطال زعم الزيدي أن السلف يؤولون الصفات
١١٩	» » » » أن الرسول ﷺ لم يفسر الصفات
١٢٣	» فيمن هو أولى بلقب أهل السنة والجماعة
١٢٥	» في ابطال زعم الزيدي أن الطائفة الناجية هم أهل البيت فقط
١٢٨	» في معنى قول أهل السنة في الصفات: تقربها ونعلم أنها صفات
١٣٨	» رد الامام أحمد على الزنادقة والجهمية
١٤٣	باب بيان ما فصل الله به بين قوله وبين خلقه (من كلام أحمد)
١٥٠	(فصل) في ابطال ما زعمه الزيدي مذهب أهل البيت في الصفات
١٥٢	» » » » » » في الاستواء
١٥٣	القول عن مصنف السلف في مذهب أهل السنة في الصفات
١٥٣	قول الامام الكرمانى
١٥٤	» » الاثرم
١٥٤	» » اسحاق بن ابراهيم
١٥٧	(فصل) في ابطال تأويل الاستواء بالاستيلاء
١٥٩	» » نقض حجة الزيدي من كلام من احتج به

- ١٦٤ (فصل) في نقض مازعه الزيدى من أن أهل البيت جميعا لا يخالفون القرآن
- ١٦٥ » » إبطال مازعه أن النبي ﷺ أسر إلى بعض أزواجه حديثا في الخلافة
- ١٦٦ زعم الزيدى وسائر الشيعة أن النبي ﷺ نص على تقديم علي في الخلافة
- ١٨٤ (فصل) في وصف الزيدى والشيعة الامامية بالغلو كالباطنية
- ١٨٩ (فصل) في كذب ما يروى الشيعة في علي « أنت مني كراشي من جسدي »
- ١٩٠ (فصل) في إبطال ما ادعاه أن العمومات الواردة في السنة تنصرف لعلي وحده
- ١٩٤ (فصل) في كذبهم في دعوى أنهم لو رأوا غير علي ورد فيه من الآثار مثله لقدموه
- ١٩٤ (فصل) الكلام على حديث عمار « تقتلك الفئة الباغية »
- ١٩٧ (فصل) زعمه أن أهل السنة قدموا معاوية على علي بالهوى والباطل
- ٢٠٣ (فصل) في اعتدال أهل السنة بين غلو الشيعة وجفاء التواصب
- ٢٠٥ (فصل) ضلال مذهب الزيدية في لعن معاوية رضي الله عنه
- ٢٠٧ (فصل) في الحكم لمعاوية أو غيره من المؤمنين بالجنة
- ٢٠٦ (فصل) في المأمنين بقوله ﷺ « يؤتى رجال من أصحابي فيؤخذ بهم ذات الشمال » وضلال الزيدى في حمله على معاوية
- ٢٠٨ (فصل) في معنى قوله تعالى (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا)
- ٢١٠ (فصل) في إبطال ما استدل به الزيدى من حديث غدير خم
- ٢١٢ (فصل) في الجواب على ما ذكره من إحدائهم معاوية
- ٢١٣ (فصل) رد دعواه العصمة لعلي
- ٢١٤ (فصل) في كلام بعض أهل البيت فيثناء على معاوية
- (بيان المحجة في الرد على اللجة)

(ويان مافي البردة وكلام بعض الشعراء من الغلو والخروج عن الدين)

(للشيخ عبد الرحمن بن الشيخ حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ٢٢٣-٢٨٨)

- ٢٢٧ مافي قول صاحب البردة : يا أكرم الخلق مالي من ألؤذبه * ألح من الشرك
- ٢٣٢ مافي قوله : إن لم تكن في معادي آخذاً بيدي * البيت
- ٢٣٢ مافي قوله : فإن من جودك الدنيا وضرتها * البيت

٢٣٤	ما في قوله : فان لي ذمة منه بتسميتي * محمداً * البيت
٢٣٦	ما في قوله : وان يضيق رسول الله جاهدك بي * البيت
٢٤٨	ما في الايات من مناقاة الآيات المحكمات
٢٥١	لا ينفع الزهد والورع مع اعتقاد معنى هذه الايات
٢٥٢	بطلان حججهم على صحة هذه الايات بروية النبي ﷺ في المنام وهي تنشد بين يديه
٢٥٣	طلب الشفاعة من النبي ﷺ
٢٥٥	مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله
٢٥٩	المعنيون بقوله ﷺ «علماء هم شر من تحت أديم السماء»
٢٦٠	فتنة الجهمية وأول من أظهرها
٢٦٢	حدوث البدع وغربة الدين لا تختص زمان أو مكان
٢٦٥	ما قاله ابن مسعود في نقر من بني حنيفة «لا يزالون في شر من كذابهم»
٢٦٦	كفر مسيلة ومن كان معه من بني حنيفة بجحد آيات من القرآن
٢٦٨	كذب المعترض أن ابن تيمية لم ينقل عنه في البردة كلام
٢٦٩	بيان شيخ الاسلام ابن تيمية أنواع الشرك وبعض افراده
٢٧٦	كذب المعترض أن ابن تيمية مدح الصرصري
٢٧٩	سبب الفتنة بقصائد هؤلاء المتأخرين في مدح النبي ﷺ
٢٧٩	قول ابن القيم رحمه الله في زيارة القبور الشرعية والشركية
	﴿المورد العذب الزلال في كشف شبه أهل الضلال﴾
	﴿ورد مفتریات رجل من أهل الخرج﴾
	(للشيخ عبد الرحمن بن حسن)
٢٨٩	أصل دين الاسلام توحيد العبادة
»	نواقض التوحيد
٢٩٠	الامور التي لا يقوم التوحيد إلا بها
٢٩٥	(فصل) فيما تضمنته لإله إلا الله من اثبات التوحيد ونفي الشرك
٣٠٠	(جواب الشيخ محمد بن عبد الوهاب لمن سأله عما يقاتلون عليه وما يكفر به)

٣٠٢	(فصل) في الشروع في الجواب على ما أورده الخرجي
٣٠٣	غش هذا الرجل للإمام في تحذيره من أولاد الشيخ
٣٠٤	وأما قوله إن ابن ثنيان يلقيهم الحرام
٣٠٥	أخذ العلماء الارزاق من بيت المال
٣٠٦	سبه العلماء لانهم وسعوا للإمام في دأه مصر وغيرها من الجهات
٣٠٩	زعمه أنه معذور في الإقامة مع هؤلاء الامراء كالمؤمنين الذين كانوا بمكة قبل الفتح
٣١٢	سياق قصة هجرة الحبشة
٣١٥	دحض شهرتهم في استنصار أبي بكر عبد الله بن أريقط في طريق الهجرة إلى المدينة
٣١٧	وحاصل الجواب على ما أورده المشبه يتضمن خمسة أوجه
	(بان كلمة التوحيد والرد على الكشميري عبد المحمود)
	(للشيخ عبدالرحمن بن حسن ٣٢٠-٣٦٤)
٣٢١	أنابعت الله الرسل لاخلص العبادة والدين له
٣٢٣	الرد على الكشميري في قوله (الحمد لله المتوحد بجميع الجهات)
٣٢٥	» » » في تفسير الاله
٣٢٨	وأما قوله: إذ اشتقاقه من ألله يوجب اتحاده معه في المعنى
٣٢٩	» » (ثم استعمل في العرف على الاغلب)
٣٣٣	» » (لعدم تحقق العبادة إلا بعد اعتقاد استحقاق المعبود لها)
٣٣٧	اعراب لا إله إلا الله
٣٣٨	زعمه أن المنفي بلا كلّي منوي ذهنا
٣٤٣	رجوع إلى تقرير معنى لا إله إلا الله
٣٥١	الاصل الذي اعتمد عليه هذا الرجل في كلامه هو أصل الفلاسفة
٣٥٢	رد شيخ الاسلام ابن تيمية على كلام الفلاسفة
٣٥٣	تصريح الكشميري بان لا إله إلا الله مثل لا شمس إلا الشمس
»	قوله (وخلاصة المعنى سلب مفهوم الاله لما سوى الله وانحصاره فيه)
٣٦٠	واعلم أن هؤلاء الزنادقة طردوا أصلهم حتى في الايمان على أمور باطلة
٣٦٣	ذيل للرد للعلامة أبابطين

﴿ مسائل وفتاوى للشيخ عبد الرحمن بن حسن ﴾

- ٣٦٦ جوابه عن قول الخطيب (الحمد لله الذي تحيرت العقول في مبدأ أنواره الخ)
 ٣٦٧ الفرق بين الرخصة والعزيمة وحكم الشرع فيهما
 ٣٦٨ مسألة الجد والاختوة
 » قلب الدين اذا كان له عقار وعوامل ونواضح ونحوها
 ٣٦٩ في الرد على الجهمية والرافضة

﴿ مسائل سئل عنها الشيخ عبدالله أبا بطين ﴾

- ٣٧٢ الصفة تارة تعتبر من حيث هي هي
 ٣٧٣ معنى قوله تعالى (ألا له الخلق والأمر)
 ٣٧٤ النهي عن الشرب منبطحاً على بطنه
 » جواب للشيخ عبد الرحمن بن حسن عن معنى قول الشيخ الصنعاني: لا ينفع
 المشرك قوله أنا لا أشرك
 ٣٧٥ معنى قوله ﷺ (ولا إله غيرك)
 ٣٧٦ مسألة في بعض ما يتعلق بفلات الوقف
 ٣٧٩ نصيحة لولي الأمر بالحرص على إقامة الدين
 ٣٨٣ جواب فيصل ولي الأمر عن النصيحة المتقدمة
 » الرد على من قال بقول الفلاسفة في دعاء الموتى والتعلق بأرواحهم

﴿ نصائح وفتاوى للشيخ عبد الرحمن بن حسن ٤٠٤-٤٣٠ ﴾

- ٤٠٤ الوصية بتدبر كتاب الله
 ٤٠٥ نصيحة في الزجر عن طلب العلم لغير الله
 ٤٠٦ طواف الخائف بالبيت وسعيها بين الصفا والمروة
 ٤٠٧ من صلى بالتيمم هل بعيد اذا وجد الماء في الوقت
 ٤٠٨ فتاوى في خروج النساء وليس الحرير وغير ذلك
 ٤٠٩ معنى قوله ﷺ «الدين النصيحة»
 ٤١٠ النهي عن الحرير للرجال

٤١٥	الكتب التي يؤخذ منها التوحيد والنهي عن الحرب
٤١٦	مسائل وفتاوى فقهية
»	وقوع الطلاق الثلاث
»	سكوت المرأة عن بيع نصيبها من العقار
٤١٧	مسائل تتعلق بالطلاق
٤١٩	معنى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته)
٤٢٥	ذكر تأليف ابن منصور
٤٢٦	الرد على من زعم أنه لا يصح تبديع مسلم ولا تقسيقه
٤٢٧	الاجتماع للصلاة على النبي يوم الجمعة في المسجد
٤٢٧	صلاة الجمعة قبل الزوال، ومسائل أخرى
٤٢٨	جواب الشيخ عبد الرحمن عن كتاب محمد بن عمر آل سالم وفيه ذكر كلام ابن القيم في حياة القلب
٤٢٩	نصيحة بالعمل بمادات عليه الشهاداتان . كتبها إلى أمير الاحساء
	(بعض رسائل الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن)
٤٣١	الكلام على «أما» بالتخفيف
٤٣٣	إعراب «عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه» الخ
٤٣٤	حكمة الله في ابتلاء المؤمنين
٤٣٥	شكر النعمة يوجب زيادتها ومعنى قوله تعالى (وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم) وأثر الشيخ محمد بن عبد الوهاب في إزالة الشرك من نجد وما حولها
٤٤٥	كتاب الشيخ عبد اللطيف إلى سهل بن عبد الله يحضه على تدبر آيات القرآن
٤٤٦	» « إلى المذكور يشنع فيه على حج القبور
٤٤٧	التحذير من البطالة ووصية جامعة بلزوم التقوى في كل حال
٤٤٨	كتاب منه إلى حمد آل عمر ينوه فيه بشرح كتاب التوحيد
٤٤٩	» إلى صالح آل عثمان
٤٥١	حسن الاتجاه إلى الله والثقة به
٤٥٢	تعظيم أوامر الله ومجاهدة أعدائه . والولى في التكاح

رسالة للشيخ عبد الله بن حسن في إمامة من يعتقد العقائد المبتدعة	٤٥٣
فتاوى في الديات والحروح ودم الذمي والمعاهد والحربي والمساقاة والزكاة والعدة والولاية في النكاح	٤٥٦
حكم وطء الرجل مملوكة ولده	٤٥٩
الاعتصام والانباغ والتهمي عن اتفرق في الدين والابتداع	٤٦٠
(رسائل وفتاوى للشيخ عبد الله أبا بطين)	
تشديد الله والرسول في أمر الشرك واتباع الساف لذلك التشديد منهم ابن تيمية	٤٦٦
دحض شهادات أوردها الجاهل على النوحيد من سوء الفهم لثلاثة أحاديث	٤٨١
الاول «ان الشيطان يئس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب»	٤٨٢
الثاني «إذا انقلبت دابة أحدكم في السفر فليقل: يا عباد الله احبسوا»	٤٨٧
الثالث قوله ﷺ لاسامة «أقتلته بعد ما قال لا إله الا الله؟»	٤٨٨
كلام فقهاء المذاهب في الردة والمرند	٤٩٢
معنى قوله ﷺ «ان لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة»	٤٩٦
الطلاق على عوض ونصيحة في النكاح بالتوحيد وإنكار المنكر	٤٩٧
معنى كلمة التوحيد وحكم من قالها ولم يكفر بما يعبد من دون الله	٥٠١
» » » وما تنفى وما تثبت	٥٠٣
فتاوى في تصرف الوصي في مال الصبي وفي الطلاق وفيما يقدم من مال الميت	٥٠٤
سداد الدين أو الحج عنه	
هبة ثواب الاعمال للميت	٥٠٥
من يكفر غيره من المسلمين والكفر الذي يعذر صاحبه بالجهل والذي لا يعذر	٥٠٩
وما هي الحججة التي تفصل بين المؤمن والمشرک	
قاعدة عظيمة هل يجوز تكفير المعين بارتكاب بعض الامور المكفرة أم لا؟	٥٢٣
عدم الاعتداد بسكوت كثير من الناس على المنكرات حججة على مشروعيها	٥٢٤
في الرد على من جوز الشرك والهلالة بعمل السواد الاعظم	٥٢٧
أسئلة عن أحاديث غير صحيحة	٥٣١
قول بعضهم: الجملة خائف غير المتزوج لا تصح وإتمام التراويح ٢٠ ركعة	٥٣٣
والكلام على إعادة الروح في القبر حين السؤال	

بيان الربا وما يمله ائناس من الخيل اليه ومسائل أخرى في الديون وغيرها	٥٣٧
تكليم الله لموسى	٥٤٠
تعلم التوحيد والطريق اليه للشيخ حمين وعبدالله ابني الشيخ محمد بن عبد الوهاب	٥٤٢
وجوب جهاد أهل الفساد ودفع فسادهم في الدين للشيخ عبد الرحمن بن حسن	٥٤٥
الآيات في التوحيد الذي دعت اليه الانبياء » » »	٥٤٧
أقوال العلماء في الاشتغال بفن المنطق	٥٤٩
رسالة أدبية سياسية صوفية لاشيخ عبداللطيف بن عبد الرحمن	٥٥١
وجوب صلاة الجمعة على أهل القرى والعدد الذي تنمقد به (له)	٥٥٣
وصية بالتقوى والامر بالمعروف والنهي عن المنكر	٥٥٥
فضل من يحيي السنة ويهدم الشرك والبدع	٥٥٨
الإشارة إلى إيواء أهل غنيزة لبعض الخارجين	٥٦٠
عموم المصائب بقسوة القلوب وغربة الاسلام	٥٦١
العمل بالخط في الوصية	٥٦٢
حق الضيف على أهل القرية	٥٦٣
المسائل الشرعية إلى علماء الدرعية	٥٦٤
» (السؤال الاول) ماهو الشرك الاكبر الذي يحل الدم والمال؟	
وأما الشرك الاصغر	٥٦٧
مراتب التوحيد والايمان وحقيقتها ومجازها	٥٦٨
تفاضل الناس في التوحيد	٥٧٣
ماهي دار الكفر ودار الاسلام؟	٥٧٤
(السؤال الثاني) هل تلزم الهجرة في هذا الزمان؟	٥٧٥
» (السؤال الثالث) ماهو الذي يهدمه الاسلام مما مضى؟	
(السؤال الرابع) المصافحة بالايدي والمعانقة وتقبيل الايدي	٥٧٧
(السؤال الخامس) عن خلق الشمر	٥٧٨
(السؤال السادس) ماورد في فضائل آل بيت النبي ﷺ	٥٧٩
من هم الآل؟	٥٨٣

﴿ فتاوى ومسائل فنية ﴾

- ٥٨٥ أجوبة مسائل للشيخ سليمان بن علي
- ٥٨٦ على مؤجر الارض قيمة حفر البئر فيها الخ للشيخ عبدالله بن عضيف
- ٥٨٨ ومن جواب لبراهيم بن سليمان بن علي في الاقرار
- النبهة الشريفة النفيسة في الرد على القبوريين
- للعلامة الشيخ حمد بن ناصر - من ٥٩١ - ٦٥٩
- ٥٩٢ دعاء غير الله
- ٦٠٧ أقسام الناس في اثبات الشفاعة
- ٦١١ (فصل) وأما قوله (الثاني إن نظر فيه من حيثية القول فهو كالخلف بغير الله)
- ٦١٦ وأما قول القائل الثالث أنه قد ورد في حديث الضمير . وقوله يا عباد الله احبسوا
- ٦١٩ الجواب عن حديث الاعمى وحديث يا عباد الله احبسوا
- ٦٢٧ بطلان ما روي من توسل آدم بالثي عليه السلام وأنواع التوسل المشروع وغير المشروع
- ٦٣٧ (فصل) وأما قول القائل فالجاهل معذور . وما هي الحجة التي تبطل العذر
- ٦٤٠ حكم الذين ماتوا قبل ظهور الدعوة
- ٦٤١ إقرار العلماء ببدع القبور والموالد ليس حجة على شرعيتها
- ٦٥٠ مفساد اتخاذ القبور أعياداً وموالد
- ٦٥٣ فصل وأما قوله : فلكل شيخ يوم معروف الخ
- ٦٦٠ رسالة فيما يدلي به العاصب من الورثة وما لا يدلي وما هو التناسب والتماثل
- ٦٦٢ » فيما يلحق بالتقدين في الزكاة للشيخ حسن بن حسين
- (تنزيه الذات والصفات ، من درن الاحماء والشبهات)
- (بعض علماء نجد)
- ٦٦٤ معنى قوله تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) وما هي العبادة وشروطها

- ٦٧٤ فصل في الشرك الاكبر بدعاء غير الله
- ٦٨١ » » توحيد الاسماء والصفات والمذهب الصحيح في ذلك
- ﴿رسالة فيما هو الميثاق الذي أخذه الله على بني آدم﴾
- ومعنى قوله تعالى (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم) الآية ٧٢٢-٧٣٨
- (مسائل وفتاوى فقهية للشيخ حسن بن حسين)
- ٧٤٠ المسئلة الاولى هل تتداخل الطهارة الصغرى في الكبرى؟
- ٧٤٢ » الثانية اذا غسل - من عليه الحدث - يديه بقية القيام من النوم هل يرتفع الحدث عنها بتلك النية
- ٧٤٣ » الثالثة هل يؤثر غمس اليدين في الماء بعد غسلها؟
- » الرابعة هل لاشرط تقديم الطهارة على المسح على الجبهة دليل؟
- ٧٤٤ » الخامسة هل تشترط الموالاة والترتيب بين الوضوء والتيمم؟
- ٧٤٥ » السادسة هل لاشرط دخول الوقت لطهارة المعذور دليل؟
- ٧٤٦ » السابعة هل سقوط الجبيرة ينقض الوضوء؟
- ٧٤٧ » الثامنة هل لمن تحقق وجود الماء قبل خروج الوقت أن يؤخر الصلاة ويجمعهما
- » التاسعة ما الذي ورد في يوم الجمعة كقراءة الكهف والغسل وغير ذلك؟
- ٧٥٠ » العاشرة ما معنى قوله صلى الله عليه وسلم «البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة في الاضحية»
- ٧٥٢ » ١١ هل يجب على الوارث الزكاة المستحقة على المورث
- ٧٥٤ » ١٢ إذا وجد البائع عين ماله عند المفلس بشروطه المعبرة
- » ١٣ هل يصح صرف غلة الوقف إلى غير الجهة التي شرطها الواقف؟
- ٧٥٥ » ١٤ ما نصح به العقود من قول وفعل
- ٧٥٦ » ١٥ وجوب رد اللقطة لصاحبها وتحريم أخذ الجمل عليها
- ٧٥٧ » ١٦ التحكيم ونفوذه حكم الحكم بالتراضي أو مطلقا
- ٧٥٩ رسالة في الرد على المدعو عبد الحمود لبعض علماء نجد
- ٧٧٣ رسالة في الهدد والامان وما يشترط في احترامهما ومن يكونان

(مسائل وفتاوى أخرى لبعض علماء نجد)

٧٧٥	المسئلة الاولى فيمن طلق امرأته ثلاثا بلفظة واحدة أو ثلاثا متتابعات على عوض هل يصح أن يراجعها بعقد؟
٧٨٢	(م-٢) إذا قال لامرأته أنت طالق وكررها ثلاثا
»	(م-٣) إذا طلق امرأته على عوض
٧٨٦	(م-٤) شهادة النساء في الطلاق
»	(م-٥) من له دين على ملي أو مفاس
»	(م-٦) حرمة التسمية بعد غير الله إلا عبد المطلب
٧٨٧	(م-٧) زكاة النحاس والحديد والرصاص
٧٨٨	(م-٨) زكاة الطعام
»	(م-٩) أركان الصلاة
٧٩٠	(م-١٠) النية في الاستجمار
»	(م-١١) نجية المسجد في الاوقات المنهي عنها
»	(م-١٢) الحديث الغريب والمتصل
٧٩١	(م-١٣) الاجارة بنصف البرمة
»	(م-١٤) بيع العينة
٧٩٣	(م-١٥) لبس الحرير في الحرب
»	(م-١٦) بيع الطعام صبرة
٧٩٤	(م-١٧) الخلوة بالزوج
»	(م-١٨) مسافة الرخصة في السفر
»	(م-١٩) بيع الحيوان بالحيوان نسبة
٧٩٥	مسائل وفتاوى في المعاملات من بيع وإجارة والإيمان وغيرها وهي عشرون مسئلة لاحد علماء نجد
٨٠٢	مسائل وفتاوى أخرى في الصلاة ومصطلح الحديث والنسخ والاجماع والتكفير وهي عشرون مسئلة لبعض علماء نجد
٨١٣	مسائل وفتاوى أخرى في الطهارة والصلاة والطلاق والنية وغيرها وهي ست عشرة مسئلة

مسائل سئل عنها الشيخ محمد بن عبد الوهاب	٨١٨
» في الطهارة والطلاق والعدة والاجارة والحدود والنكاح وغيرها وهي	٨٢٢
سبع عشرة مسألة للشيخ سعيد بن حجي	
رسالة في الرد على صاحب جريدة القبلة الهاشمية لاحد علماء نجد	٨٣٠
(الكلام المنتقى فيما يتعلق بكلمة التقوى)	

للشيخ سعيد بن حجي ٨٤٠-٨٧٤

أصل التقوى وحقيقة معناها	٨٤٠
حقيقة الاخلاص	٨٤١
(فصل) في ضبط كلمة لا إله إلا الله	٨٤٢
» » اعرابها	»
» » معناها	٨٤٣
فرعان : الاول في تعريف الاله	٨٤٦
الفرع الثاني في تعريف العبادة	٨٤٧
مبنى العبادة على اتباع الامر الوارد	٨٤٨
(فصل) في حكم كلمة التوحيد	٨٤٩
» وأما حقها	٥٨٢
» وأما نواقضها	٨٥٣
» في بيان فضائها	٨٥٦
» في فوائد لا إله إلا الله	٨٥٨
» وكلمة التوحيد لها فضائل عظيمة	٨٦٨

(رسالة في حكم التزام مذهب معين في الفروع)

(للشيخ سعيد بن حجي ٨٧٥-٨٧٦)

تم الفهرس والحمد لله